

الأخلاق المحمدية

من

المواهب اللدنية

تأليف

القاضي الشيخ يوسف بن أحمد بن أبي بكر

مترجم

عبدالله بن محمد بن أبي بكر

الشيخ عبد الله بن أبي بكر

مترجم

عبدالله بن محمد بن أبي بكر



الأخبار المحمدية

من

المواهب اللدنية

تأليف

القاضي الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني

المتوفى ١٣٥٠هـ

ضبطه وصححه وخرّج آياته

الشيخ عبد الوارث محمد علي

مشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب
العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة
أو إعادة تلخيص الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة
كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر. أو برمجته على اسطوانات
مضغوطة إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٢٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohatory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اضْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَاخْتَارَ مِنْهُمْ الْعَرَبَ وَمِنْهُمْ قُرَيْشًا وَمِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ وَمِنْهُمْ حَبِيبَهُ مُحَمَّدًا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ، فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفْوَةُ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ، وَنُخْبَةُ الثُّخْبِ وَخِيَارُ الْخِيَارِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ صَلَاةً كَامِلَةً دَائِمَةً يُشَارِكُ فِيهَا الْأَزَلُ الْأَبَدُ، وَلَا يُشَارِكُهُ فِيهَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَحَدٌ، صَلَاةً لَا تُخْبِرُ قُتْحَدًا، وَلَا تُخَصِّرُ فَتْعَدًا، صَلَاةً نِهَائَةً أَعْلَى دَرَجَاتِ الْمُقَرَّبِينَ لَا تَصِلُ إِلَى بِدَائِيهَا فِي الْأَزَلِ وَلَا بِدَائِيَّةً، وَلَمْ تَزَلْ دَائِمَةً التَّرْقِي فِي كُلِّ لَمَحَةٍ وَلَنْ تَزَالَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ لَهَا نِهَائَةً، وَعَلَى آلِهِ الْأَقْرَبِينَ، وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَصَحْبِهِ نُجُومِ الْمُهْتَدِينَ، وَرُجُومِ الْمُغْتَدِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَا بَعْدُ فَيَقُولُ الْفَقِيرُ الْمُذِيبُ يُوسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّبْهَانِيُّ غَفَرَ اللَّهُ رَزَلَّهُ، وَقَبِلَ عَمَلَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدَّارَيْنِ أَمَلَهُ.

لَا يَخْفَى أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا وَنَبِيَّنَا أَبَا الْقَاسِمِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ فِي كُلِّ وَضْعٍ جَمِيلٍ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَجَمِيعِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَكَافَةِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، أَفْرَادًا وَإِجْمَالًا أَيُّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ عَلَى جَدِّهِ وَأَفْضَلُ مِنْ مَجْمُوعِهِمْ لَوْ اجْتَمَعُوا بِمَعْنَى أَنَّ جَمِيعَ فَضَائِلِهِمْ لَوْ اجْتَمَعَتْ فِي كَفَّةٍ مِيزَانٍ وَفَضَائِلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكَفَّةِ الْأُخْرَى لَرَجَحَتْ فَضَائِلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَضَائِلِهِمْ وَمَا أَحْسَنَ مَا قُلْتُهُ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ الثَّانِيَةِ إِحْدَى الْقَصَائِدِ السَّبْعِ الَّتِي خَتَمْتُ بِهَا كِتَابِي أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى سَيِّدِ السَّادَاتِ وَكُلِّهَا تَخَامِيصُ عَلَى نَحْوِ هَذَا الْأَسْلُوبِ الْحَسَنِ.

سَيِّدُ الرُّسُلِ قُدْرُهُ مَعْلُومٌ أَيْنَ مِنْهُ الْمَسِيحُ أَيْنَ الْكَالِيمُ
أَيْنَ نُوحٌ وَأَيْنَ إِبْرَاهِيمُ كُلُّهُمْ عَنْ مَقَامِهِ مَفْطُومٌ
فَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ

أَيْنَ جَبْرِيلُ أَيْنَ إِسْرَافِيلُ
فَعَلَيْهِمُ طُرَا لَهُ التَّفْضِيلُ
وَبِمِغْرَاجِهِ دَلِيلُ قَرِيمُ
فَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ

أَيْنَ كُلُّ الْعَوَالِمِ الْعُلُوِّ
أَيْنَ كُلُّ الْعَوَالِمِ السُّفْلِيِّ
أَيْنَ كُلُّ الْوَرَى بِكُلِّ مَرِيَّةٍ
إِنَّمَا قُوَّةُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ
فَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ

إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ فَضَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَزَايَاهُ،
مَعْرِفَةُ تَحِيّطُ بِهَا مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ وَلَوْ اجْتَمَعَ لِذَلِكَ كُلُّ مَنْ عَدَاهُ، إِذْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهُ وَلَا
يُحِيطُ بِفَضَائِلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا زَالَ مَهَرَةُ الْعُلَمَاءِ يَتَوَصُّونَ فِي لُجَجِ
بُحُورِهَا الزَّوَاحِرِ، فَيَسْتَخْرِجُونَ مِنْهَا رَوَائِعَ الْأَلْيِ وَبَدَائِعَ الْجَوَاهِرِ، فَمِنْهُمْ مَنْ نَظَّمَهَا عُقُودًا
زَيْنَ بِهَا جِيدَ الزَّمَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَثَرَهَا عَلَى بِسَاطِ الْبَسِيطَةِ فَاسْتَعْنَى بِهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ
وَالْإِيمَانِ، أَلْفُوا فِيهَا الْكُتُبَ وَدَوَّنُوا الدَّوَائِينَ، وَرَوَوْا أَخْبَارَهَا عَنْ كُلِّ صَادِقٍ آمِينَ، فَمِنْهُمْ
مَنْ اخْتَصَرَ فِي تَأْلِيفِهِ فَأَجَادَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَطَالَ فَأَطَابَ وَأَفَادَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَوَسَّطَ وَكَانَ مَذْهَبُهُ
حُسْنُ الْإِقْتِسَادِ، فَمِنْ الْمُخْتَصِرِينَ الْإِمَامُ الْبَارِعُ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَحَسْبُكَ بِكِتَابِهِ الشِّفَاءُ الَّذِي
سَارَ فِي الْأَقَاقِ، وَرَقَعَ عَلَى قَبُولِهِ الْإِثْقَاقُ، وَمِنْ الْمُطَوَّلِينَ الْإِمَامُ الْهَمَامُ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَطْلِعْ عَلَى كِتَابِهِ وَلَئِنَّمَا رَأَيْتُ فِي آخِرِ نَفْحِ الطَّيِّبِ بَعْدَ أَنْ نَقَلَ مِنْهُ شَيْئًا
مَنْ الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ مَا نَصُّهُ: نَقَلْتُهُ مِنَ الْمُجَلَّدِ الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ كِتَابِ مُنْتَهَى السُّوْلِ فِي
مَدْحِ الرَّسُولِ لِلْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عُذْرَةَ الْمَغْرِبِيِّ الْأَنْصَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى وَرَضِي عَنْهُ هـ، وَمِنْ الْمُتَوَسِّطِينَ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شِهَابُ الدِّينِ
الْقِسْطَلَانِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمَوَاهِبِ اللَّذْنِيَّةِ بِالْمَنْحِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَهُوَ مُجَلَّدَانِ صَحْمَانِ سَارَتْ بِهِ
الرُّكْبَانُ، فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ، وَلَمْ يَشْتَهَرْ أَجْمَعُ وَأَنْفَعُ مِنْهُ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ هَذَا الشَّانِ، إِلَّا أَنَّ
مُؤَلَّفَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَفَعَّنَا بِهِ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الْإِسْتِطْرَادِ إِلَى دَلَائِلِ أَصُولِيَّةٍ، وَمَسَائِلِ فُرُوعِيَّةٍ،
وَمُتَافِقَاتٍ مَذْهَبِيَّةٍ، وَمَبَاحِثِ خِلَافِيَّةٍ، وَشَحْنَةٍ بِقَرَائِدَ بَهِيَّةٍ، وَجَدَتْ فِي غَيْرِ مَكَانِهَا، وَقَوَاكِي
شَهِيَّةٍ، أَتَتْ فِي غَيْرِ زَمَانِهَا، وَهُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي الْفَضْلِ الثَّالِثِ مِنَ الْمَقْصِدِ
السَّابِعِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: وَقَدْ أَطَلْتُ الْمَقَالَ وَلَئِنَّمَا جَرْنِي
إِلَى ذَلِكَ ذِكْرُ حَمَلِ الصَّدِيقِ لِلْحَسَنِ عَلَى عَاتِقِهِ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أُسْطَرٍ وَهَذَا وَقَعَ لِي كَثِيرًا فِي

هَذَا الْمَجْمُوعُ بَلْ فِي غَالِيهِ لِكَيْتُهُ لَا يَخْلُو مِنْ فَرَائِدِ الْفَوَائِدِ هـ، فَكَانَ كِتَابُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ
كَثِيرَ الْعِلْمِ كَبِيرَ الْحُجْمِ، وَصَارَ عَزِيزَ الْخُصُولِ مَقْصُورَ النَّفْعِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَعَ كَثْرَةِ
تَدَاوُلِهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ، وَظُهُورِ وَجُوبِ اخْتِصَارِهِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ، لَمْ أَرْ لَهُ
مُخْتَصَرًا، وَلَمْ أَسْمَعْ لَهُ خَبَرًا، مَعَ أَطْلَاعِي مِنْ أَسْمَاءِ الْكُتُبِ عَلَى مَا لَا أَكَادُ أَحْصِيهِ، نَعَمْ
رَأَيْتُ بَعْدَ شُرُوعِي بِاخْتِصَارِهِ فِي خُلَاصَةِ الْأَثَرِ فِي تَرْجَمَةِ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْوَارِثِيِّ أَنَّهُ
شَرَعَ فِي اخْتِصَارِهِ وَمَاتَ قَبْلَ إِكْمَالِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ وَقَّعَنِي اللَّهُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ لِاخْتِصَارِهِ
بِحَذْفِ مَا ذَكَرْتُهُ مِنَ الْمَبَاحِثِ الزُّوَائِدِ، مَعَ اسْتِيفَاءِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
الْأَخْبَارِ وَالْفَوَائِدِ، اخْتَصَرْتُهُ أَحْسَنَ اخْتِصَارٍ اقْتَصَرْتُ بِهِ مِنْهُ عَلَى لُبِّابِهِ، وَجَرَّدْتُ سَيْفَهُ
الصَّقِيلَ مِنْ قِرَابِهِ، وَأَمَطْتُ عَنْ وَجْهِهِ الْجَمِيلِ سِتَارَ نِقَابِهِ، وَأَزَلْتُ عَنْ بَذَرِهِ الْمُنِيرِ حِجَابَ
سَحَابِهِ، فَكَانَ مُسْتَوْفِيًا لِكَافَةِ شُرُوطِ الْحُسْنِ وَجَمِيعِ أَسْبَابِهِ، وَقَدْ جَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَقْلٌ مِنْ
نِصْفِ حُجْمِهِ، مَعَ بَقَاءِ كُلِّ الْمَقْصُودِ مِنْ عِلْمِهِ، وَصَارَ سَهْلَ الْخُصُولِ مَعَ سُهولةِ فَهْمِهِ، إِذْ
جَمَعْتُ أَشْنَاتَ مَعَانِيهِ وَضَمَمْتُ كُلَّ شَكْلِ إِلَى شَكْلِهِ، وَجَعَلْتُهُ بِحَالَةٍ مَأْلُوفَةٍ لَا عُذْرَ مَعَهَا
لِمُؤْمِنٍ فِي جَهْلِهِ، مَعَ الْجُرْحِ عَلَى بَقَاءِ عِبَارَاتِ مُصَنِّفِهِ الْعَلَامَةِ النَّحْرِيرِ، وَرُبَّمَا تَصَرَّفْتُ بِهَا
فِي النَّزْرِ النَّادِرِ بِتَقْدِيمِ وَتَأْخِيرِ، أَوْ إِكْمَالِ حَدِيثٍ أَوْ تَبْدِيلِ يَسِيرٍ، أَوْ زِيَادَةِ تَفْسِيرٍ مِنَ الشَّارِحِ
أَوْ نِهَآيَةِ ابْنِ الْأَثِيرِ، عَقِبَ بَعْضِ الْأَلْفَافِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي تَرَكَهَا بِلَا تَفْسِيرٍ، وَلَمَّا تَمَّ اخْتِصَارُهُ،
وَأَشْرَفْتُ أَنْوَارَهُ، سَمَّيْتُهُ «الْأَنْوَارَ الْمُحَمَّدِيَّةَ مِنَ الْمَوَاهِبِ اللَّدُنِّيَّةِ» فَدُونَكَ مُخْتَصَرًا طَابَ
أَصْلُهُ فَطَابَ، وَتَجَلَّتْ شُمُوسُ مَعَانِيهِ مِنْ تَحْتِ سَحَابِ الْإِسْهَابِ، جَمَعَ مِنْ فَضَائِلِهِ وَشُؤْنِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَجْمَعُهُ فِي حُجْمِهِ كِتَابٌ، وَاشْتَرَكَ فِي سُهولةِ فَهْمِهِ وَالْإِنْتِفَاعِ
بِعِلْمِهِ الْعَامَّةُ وَالْعُلَمَاءُ وَالطُّلَّابُ، فَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، أَنْ يَجْعَلَ سَبَبًا
لِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي وَالْمُسْلِمِينَ بِهِ كَمَا نَفَعَ بِأَصْلِهِ الْأَصِيلِ،
وَأَنْ يَقْبَلَهُ مِنِّي، وَيَعْفُو بِي عَنِّي، وَهُوَ حَسْبِي وَيَعْنِي الْوَكِيلُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنِ اقْتِنَاءِ
أَصْلِهِ الْمَوَاهِبِ اللَّدُنِّيَّةِ، فَقَدْ جَمَعْتُ أَشْنَاتَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ زِيَادَةً عَلَى الْمَنَحِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَلَا
يَسْتَغْنِي عَنْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ، فَضْلًا عَمَّنْ دُونَهُمْ مِنْ أَفَاضِلِ الْإِسْلَامِ، وَإِنِّي أَرْوِيهَا
بِالْإِجَازَةِ مِنْ جُمْلَةِ طُرُقِ مِنْهَا طَرِيقُ أَسْتَاذِي الْعَلَامَةِ الْإِمَامِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ السَّقَا الْمِصْرِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ عَنْ عِدَّةِ أَشْيَاخٍ مِنْهُمْ الشَّيْخُ ثَعْنَلِبُ عَنْ شَيْخَيْهِ الْأَحْمَدَيْنِ الْمُلُويِّ وَالْجَوْهَرِيِّ
وَهُمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ الْبُصْرِيِّ عَنِ الشَّيْخِ مَنْصُورِ الطُّوْخِيِّ عَنِ الشَّيْخِ سُلْطَانِ الْمَرْجَاحِيِّ

عَنِ الشَّيْخِ نُورِ الدِّينِ الزَّيَّادِيِّ عَنْ قُطَيْبِ الْوُجُودِ أَبِي الْحَسَنِ الْبُكْرِيِّ عَنْ مُؤَلَّفِهَا الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ الْقَسْطَلَانِيِّ وَكُلُّهُمْ أَئِمَّةٌ شَافِعِيُونَ وَجَمِيعُهُمْ مِصْرِيُّونَ مَا عَدَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَالِمٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَتَقَعْنَا بِهِمْ، وَجَعَلْتُ تَرْتِيبَ هَذَا الْمُخْتَصَرِ كَأَصْلِهِ الْمَوَاهِبِ اللَّدُنِّيَّةِ عَلَى عَشْرَةِ مَقَاصِدَ:

المَقْصِدُ الْأَوَّلُ: فِي تَشْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسَبْقِ نُبُوَّتِهِ فِي الْأَزَلِ وَطَهَارَةِ نَسَبِهِ وَأَيَّاتِ حَمَلِهِ وَإِلَادَتِهِ وَرِضَاعِهِ وَحَضَائِهِ وَأَخْبَارِ بَغْتِيهِ وَهَجْرَتِهِ وَمَغَازِيهِ وَسَرَائِيهِ وَبُعُوثِهِ وَسِيرَتِهِ مُرتَّبًا عَلَى السَّنِينَ مِنْ جِوْنِ نَشَأَتِهِ إِلَى وَقْتِ وَقَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المَقْصِدُ الثَّانِي: فِي ذِكْرِ أَسْمَائِهِ الشَّرِيفَةِ وَأَوْلَادِهِ الطَّاهِرِينَ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْمَامِهِ وَعَمَّاتِهِ وَإِخْوَتِهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَجَدَّاتِهِ وَخَدَمِهِ وَمَوَالِيهِ وَحَرَسِهِ وَكُتَابِهِ وَكُتُبِهِ إِلَى الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ وَمُؤَذِّنِيهِ وَخُطَبَائِهِ وَخُدَائِهِ وَشُعْرَائِهِ وَأَلَاتِ حُرُوبِهِ وَدَوَائِيهِ وَالزَّوَادِيْنَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ عَشْرَةُ فُصُولٍ:

المَقْصِدُ الثَّلَاثُ: فِيمَا فَضَّلَهُ اللَّهُ سُحْنَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ مِنْ كَمَالِ خَلْقِيهِ وَجَمَالِ صُورَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ الرَّكْبِيَّةِ وَأَوْصَافِهِ الْمَرْضِيَّةِ وَمَا تَدْعُو ضَرُورَةُ حَيَاتِهِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِهَذَا الْمَقْصِدُ جَامِعٌ لِشَمَائِلِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ:

المَقْصِدُ الرَّابِعُ: فِي مُعْجَزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الدَّالَّةِ عَلَى ثُبُوتِ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ خَصَائِصِ آيَاتِهِ وَبَدَائِعِ كَرَامَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ فُضُلَانٌ:

المَقْصِدُ الْخَامِسُ: فِي تَخْصِيصِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِخَصَائِصِ الْمِعْرَاجِ وَالْإِسْرَاءِ وَتَعْمِيمِهِ بِعُمُومِ لَطَائِفِ التَّكْرِيمِ فِي حَضْرَةِ التَّقْرِيبِ بِالْمُكَالَمَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ الْكُبْرَى.

المَقْصِدُ السَّادِسُ: فِيمَا وَرَدَ فِي آيِ التَّنْزِيلِ مِنْ تَعْظِيمِ قَدْرِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ وَشَهَادَتِهِ تَعَالَى لَهُ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ وَقَسَمِهِ عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَأَخْذِهِ تَعَالَى لَهُ الْمِيثَاقِ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ لِيُؤْمِنُوا بِهِ إِنْ أَدْرَكُوهُ وَلَيَنْصُرُوهُ وَالتَّنْوِيهِ بِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ كَالْتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِيهِ عَشْرَةُ أَنْوَاعٍ.

المَقْصِدُ السَّابِعُ: فِي وَجُوبِ مَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَالْإِهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ وَفَرْضِ مَحَبَّةِ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحُكْمِ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ:

المَقْصِدُ الثَّامِنُ: فِي طِبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَوِي الْأَمْرَاضِ وَالْعَاهَاتِ وَتَغْيِيرِهِ
الرُّؤْيَا وَإِنْبَائِهِ بِالْأَنْبَاءِ الْمُغَيَّبَاتِ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ:

المَقْصِدُ التَّاسِعُ: فِي لَطِيفَةِ مِنْ حَقَائِقِ عِبَادَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ سَبْعَةُ أَنْوَاعٍ.

المَقْصِدُ الْعَاشِرُ: فِي إِتْمَامِ اللَّهِ نِعَمَتَهُ عَلَيْهِ بِوَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْلِيهِ إِلَيْهِ
وَزِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ وَمَسْجِدِهِ الْمُنِيفِ وَتَفْضِيلِهِ فِي الْأَخِرَةِ بِقَضَائِلِ الْأَوَّلِيَّاتِ وَتَشْرِيفِهِ
بِخَصَائِصِ الزُّلْفَى فِي مَشْهَدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَتَخْصِيصِهِ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى وَالْمَقَامِ
الْمَحْمُودِ فِي مَجْمَعِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَتَرْقِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّاتِ إِلَى أَعْلَى
الدَّرَجَاتِ.

المقصد الأول

في تَشْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَسْبِقُ نُبُوَّتِهِ فِي الْأَزَلِ وَطَهَارَةِ نَسَبِهِ
وَأَيَّاتِ حَمَلِهِ وَوِلَادَتِهِ وَرِضَاعِهِ وَحَضَائَتِهِ وَأَخْبَارِ بَغْتَتِهِ وَهَجْرَتِهِ وَمَعَارِزِهِ وَسَرَائِيهِ وَبُعُوثِهِ
وَسِيرَتِهِ مُرْتَبًا عَلَى السَّنِينَ مِنْ حِينَ نَشَأَتِهِ إِلَى وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا تَعَلَّقَتْ إِرَادَةُ الْحَقِّ تَعَالَى بِإِبْجَادِ خَلْقِهِ أَبْرَزَ الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ مِنْ أَنْوَارِهِ
ثُمَّ سَلَخَ مِنْهَا الْعَوَالِمَ كُلَّهَا غُلُوهَا وَسُفْلَهَا ثُمَّ أَعْلَمَهُ بِنُبُوَّتِهِ وَآدَمَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ثُمَّ انْبَجَسَتْ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُيُونُ الْأَرْوَاحِ فَهُوَ
الْجِنْسُ الْعَالِي عَلَى جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَبُّ الْأَكْبَرُ لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ وَلَمَّا انْتَهَى الزَّمَانُ
بِالْأَسْمِ الْبَاطِنِ فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وُجُودِ جَسْمِهِ وَازْتِبَاطِ الرُّوحِ بِهِ انْتَقَلَ حُكْمُ
الزَّمَانِ إِلَى الْأَسْمِ الظَّاهِرِ وَظَهَرَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكُلِّيَّتِهِ جَسْمًا وَرُوحًا فَفِي
صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ
قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَمِنْ جُمْلَةِ مَا
كَتَبَ فِي الذِّكْرِ وَهُوَ أُمُّ الْكِتَابِ إِنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

وَعَنِ الْعِزْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتِمُ
النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدِلٌ فِي طِينَتِهِ أَيْ طَرِيحٌ مُلْقَى قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، وَعَنِ مَيْسَرَةَ الضُّبِّيِّ
قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى كُنْتُ نَبِيًّا قَالَ وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، وَعَنِ سُهَيْلِ بْنِ صَالِحٍ
الْهَمْدَانِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ كَيْفَ صَارَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَدَّمُ
الْأَنْبِيَاءَ وَهُوَ آخِرُ مَنْ بُعِثَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَخَذَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ بَلَى
وَلِذَلِكَ صَارَ يَتَقَدَّمُ الْأَنْبِيَاءَ وَهُوَ آخِرُ مَنْ بُعِثَ.

وَعَنِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ فَالْإِشَارَةُ
بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْتُ نَبِيًّا إِلَى رُوحِهِ الشَّرِيفَةِ أَوْ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَالْحَقَائِقُ تَقْصُرُ

عُقُولُنَا عَنْ مَعْرِفَتِهَا وَإِنَّمَا يَعْلَمُهَا خَالِقُهَا وَمَنْ أَمَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِثَوْرِ إِلَهِي فَحَقِيقَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ آتَاهَا اللَّهُ وَضَفُ الثُّبُورَةِ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ آدَمَ إِذْ خَلَقَهَا مُتَهَيَّئَةً لِدَلِكِ وَأَقَاضَهُ عَلَيْهَا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ فَصَارَ نَبِيًّا وَكَتَبَ اسْمُهُ عَلَى الْعَرْشِ وَأَخْبَرَ عَنْهُ بِالرَّسَالَةِ لِيُعْلِمَ مَلَائِكَتَهُ وَغَيْرُهُمْ كَرَامَتَهُ عِنْدَهُ فَحَقِيقَتُهُ مَوْجُودَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَإِنْ تَأَخَّرَ جَسَدُهُ الشَّرِيفُ الْمُتَّصِفُ بِهَا، وَعَنِ الشُّعْبِيِّ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى اسْتُنِيفْتُ قَالَ وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ حِينَ أَخَذَ مِنِّي الْيَمِينَا فَهُوَ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلَقًا وَآخِرُهُمْ بَعَثًا.

وَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُصَّ بِاسْتِخْرَاجِهِ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ وَهُوَ عَيْنُهُ وَخَلَاصَتُهُ وَوَاسِطَةُ عِفْدِهِ، وَرَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ قَالَ لَمْ يَنْعَبِ اللَّهُ نَبِيًّا مِنْ آدَمَ فَتَمَّ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعِنَ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيَنْصُرْتَهُ وَيَأْخُذَ بِذَلِكَ الْعَهْدِ عَلَى قَوْمِهِ وَهُوَ يُرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَقِيلَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ وَرَ نَبِيًّا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَنْوَارِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَعَشِيَهُمْ مِنْهُ مَا أَنْطَقَهُمُ اللَّهُ بِهِ فَقَالُوا يَا رَبَّنَا مَنْ عَشِيَّتَا نُورُهُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا نُورُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِنْ آمَنْتُمْ بِهِ جَعَلْتُكُمْ أَنْبِيَاءَ قَالُوا آمَنَّا بِهِ وَبَشَّرْتَهُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ قَالُوا نَعَمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ مِنَ التَّنْوِيهِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعْظِيمِ قَدْرِهِ الْعَلِيِّ مَا لَا يَخْفَى وَفِيهَا مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرٍ مَجِيئِهِ فِي زَمَانِهِمْ يَكُونُ مُرْسَلًا إِلَيْهِمْ فَتَكُونُ بُبُورُهُ وَرِسَالَتُهُ عَامَّةً لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ زَمَنِ آدَمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتَكُونُ الْأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهُمْ كُلُّهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ وَيَكُونُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لَا يَخْتَصُّ بِهِ النَّاسُ مِنْ زَمَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَلْ يَتَنَاولُ مَنْ قَبْلَهُمْ أَيْضًا وَيَتَبَيَّنُ بِهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ.

فَإِذَا عُرِفَ هَذَا فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيُّ الْأَنْبِيَاءِ وَلِهَذَا ظَهَرَ ذَلِكَ فِي الْأَخِرَةِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ لَوَائِهِ وَفِي الدُّنْيَا كَذَلِكَ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ صَلَّى بِهِمْ وَلَوْ اتَّفَقَ مَجِيئُهُ فِي زَمَنِ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ وَجِبَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أُمَمِهِمُ الْإِيمَانُ بِهِ وَنُصْرَتُهُ وَبِذَلِكَ أَخَذَ اللَّهُ الْيَمِينَا عَلَيْهِمْ، وَعَنْ كُتُبِ الْأَخْبَارِ قَالَ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ

تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ جِبْرِيلَ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالطِّينَةِ الَّتِي هِيَ قَلْبُ الْأَرْضِ وَبَهَاوُهَا وَتَوَرُّهَا قَالَ فَهَبَطَ جِبْرِيلُ فِي مَلَأَيْكَةِ الْفِرْدَوْسِ وَمَلَأَيْكَةِ الرِّقِيعِ الْأَعْلَى فَقَبَضَ قَبْضَةً رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَوْضِعِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ وَهِيَ بَيْضَاءُ مُنِيرَةٌ فَعُجِنَتْ بِمَاءِ التَّنْسِيمِ فِي مَعِينِ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ حَتَّى صَارَتْ كَالدَّرَةِ الْبَيْضَاءِ لَهَا شُعَاعٌ عَظِيمٌ ثُمَّ طَافَتْ بِهَا الْمَلَأَيْكَةُ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَفِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالْبِحَارِ فَعَرَفَتْ الْمَلَأَيْكَةُ وَجَمِيعُ الْخَلْقِ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا وَقَضَلَهُ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ آدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَضَلُّ طِينَةٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سُرَّةِ الْأَرْضِ بِمَكَّةَ وَمِنْ مَوْضِعِ الْكَعْبَةِ دُجِيتِ الْأَرْضُ فَصَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْأَضَلُّ فِي التَّكْوِينِ وَالْكَائِنَاتِ تَبَعَ لَهُ.

وَعَنْ صَاحِبِ عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ أَنَّ الْمَاءَ يَغْنِي فِي الطُّوفَانِ لَمَّا تَمَوَّجَ رَمَى بِالزَّبَدِ إِلَى التَّوَاجِيهِ فَوَقَعَتْ جَوْهَرَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَا يُحَازِي تَرْبَتَهُ بِالْمَدِينَةِ فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكْنِيًا مَدْنِيًّا، وَيُزَوَّى أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْهَمَهُ أَنْ قَالَ يَا رَبِّ لِمَ كَتَبْتَنِي أَبَا مُحَمَّدٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ ازْغِفْ رَأْسَكَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَرَأَى نُورَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُرَادِقِ الْعَرْشِ فَقَالَ يَا رَبِّ مَا هَذَا النُّورُ قَالَ هَذَا نُورُ نَبِيِّ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ اسْمُهُ فِي السَّمَاءِ أَحْمَدُ وَفِي الْأَرْضِ مُحَمَّدٌ لَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ وَلَا خَلَقْتُ سَمَاءَ وَلَا أَرْضًا.

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَأْبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَخْبَرَنِي عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَ الْأَشْيَاءِ قَالَ يَا جَابِرُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ فَجَعَلَ ذَلِكَ النُّورَ يَدُورُ بِالْقُدْرَةِ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ لَوْحٌ وَلَا قَلَمٌ وَلَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ وَلَا مَلَكٌ وَلَا سَمَاءٌ وَلَا أَرْضٌ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ وَلَا جَنَّةٌ وَلَا جَنَّةٌ وَلَا جَنَّةٌ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَسَمَ ذَلِكَ النُّورَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ الْقَلَمَ وَمِنَ الثَّانِي اللَّوْحَ وَمِنَ الثَّالِثِ الْعَرْشَ ثُمَّ قَسَمَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ حَمَلَةَ الْعَرْشِ وَمِنَ الثَّانِي الْكُرْسِيِّ وَمِنَ الثَّالِثِ بَاقِي الْمَلَأَيْكَةِ ثُمَّ قَسَمَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الْأَوَّلِ السَّمَوَاتِ وَمِنَ الثَّانِي الْأَرْضِينَ وَمِنَ الثَّالِثِ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ثُمَّ الْقِسْمَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الْأَوَّلِ نُورَ أَبْصَارِ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنَ الثَّانِي نُورَ قُلُوبِهِمْ وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَمِنَ الثَّالِثِ نُورَ أَنْسِهِمْ وَهُوَ التَّوْحِيدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ كُنْتُ نُورًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ، وَفِي الْخَبَرِ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ جَعَلَ ذَلِكَ النُّورَ فِي ظَهْرِهِ فَكَانَ يَلْمَعُ فِي جَبِينِهِ فَيَغْلِبُ عَلَى سَائِرِ نُورِهِ ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَرِيرٍ مَمْلُوكِيهِ وَحَمَلَهُ عَلَى أَكْتَافِ مَلَائِكَتِهِ وَأَمَرَهُمْ فُطِّقُوا بِهِ فِي السَّمَوَاتِ لِيَرَى عَجَائِبَ مَلَكُوتِهِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ خَلْقُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي وَقْتِ الزُّوَالِ إِلَى الْعَصْرِ ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ حَوَاءَ زَوْجَتَهُ مِنْ ضِلَعٍ مِنْ أَضْلَاعِهِ الْيُسْرَى وَهُوَ نَائِمٌ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ وَرَأَاهَا سَكَنَ إِلَيْهَا وَمَدَّ يَدَهُ لَهَا فَقَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ مَهْ يَا آدَمُ قَالَ وَلِمَ وَقَدْ خَلَقَهَا اللَّهُ لِي فَقَالُوا حَتَّى تُؤَدِّيَ مَهْرَهَا قَالَ وَمَا مَهْرُهَا قَالُوا تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَفِي رِوَايَةٍ عَشْرِينَ مَرَّةً، وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ رَأَى مَكْتُوبًا عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ وَعَلَى كُلِّ مَوْضِعٍ فِي الْجَنَّةِ اسْمُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْرُونًا بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ يَا رَبِّ هَذَا مُحَمَّدٌ مَنْ هُوَ فَقَالَ هَذَا وَلَدُكَ الَّذِي لَوْلَا مَا خَلَقْتُكَ فَقَالَ يَا رَبِّ بِحُرْمَةِ هَذَا الْوَلَدِ اارْحَمْ هَذَا الْوَالِدَ فَنُودِيَ يَا آدَمُ لَوْ تَشَفَّعْتَ إِلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ فِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَشَفَّعْنَاكَ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا افْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا عَفَرْتَ لِي فَقَالَ اللَّهُ يَا آدَمُ وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ قَالَ لِأَنَّكَ يَا رَبِّ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لِأَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيَّ وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ وَهُوَ أَجْرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ دُرَرِيكَ، وَفِي حَدِيثٍ سَلَمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ هَبْطَ جَبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ إِنَّ كُنْتُ اتَّخَذْتُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا فَقَدْ اتَّخَذْتُكَ حَبِيبًا وَمَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ وَلَقَدْ خَلَقْتُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا لِأَعْرِفَهُمْ كَرَامَتَكَ وَمَنْزِلَتَكَ عِنْدِي وَلَوْلَاكَ مَا خَلَقْتُ الدُّنْيَا، وَقَدْ وَلَدْتُ حَوَاءَ مِنْ آدَمَ أَرْبَعِينَ وَلَدًا فِي عَشْرِينَ بَطْنًا وَوَضَعْتُ شَيْئًا وَخَذَهُ كَرَامَةً لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ نُورَهُ انْتَقَلَ مِنْ آدَمَ إِلَى شَيْثٍ وَقَبْلَ وَفَاتِهِ جَعَلَهُ وَصِيًّا عَلَى وَلَدِهِ ثُمَّ أَوْصَى شَيْثَ وَلَدَهُ بِوَصِيَّةِ آدَمَ أَنْ لَا يَضَعَ هَذَا النُّورَ إِلَّا فِي الْمُطَهَّرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ جَارِيَةً تَنْقُلُ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَرْنٍ إِلَى أَنْ أَدَّى اللَّهُ النُّورَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَوَلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ وَطَهَرَ اللَّهُ هَذَا النَّسَبَ الشَّرِيفَ مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ كَمَا وَرَدَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَرْصُيَّةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ مَا وَلَدَنِي إِلَّا نِكَاحُ الْإِسْلَامِ.

وَرَوَى هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسِمِائَةَ أُمَّ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِمْ سِفَاحًا وَلَا شَيْئًا مِمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي وَلَمْ يُصِيبْنِي مِنْ سِفَاحِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَنْفُلُنِي مِنَ الْأَضْلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًى مُهْدَبًا لَا تَشْغَبُ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» بِفَتْحِ الْفَاءِ وَقَالَ أَنَا أَنْفُسُكُمْ نَسَبًا وَصِهْرًا وَحَسَبًا لَيْسَ فِي آبَائِي مِنْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ قُلْتُ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا فَلَمْ أَرِ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ أَرِ بَنِي أَبِ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قُرْنَا فَقُرْنَا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقُرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاضْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةِ وَاضْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ وَاضْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَعَنْ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَتِهِمْ وَخَيْرِ الْقَرِيقَيْنِ ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ بَيُوتِهِمْ فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا وَخَيْرُهُمْ بَيْنًا أَيْ خَيْرُهُمْ رُوحًا وَذَاتًا وَخَيْرُهُمْ أَضْلًا، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ خَلْقَهُ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ بَنِي آدَمَ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ الْعَرَبَ ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنَ الْعَرَبِ فَلَمْ أَرَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَارِ آلَا مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمِنْ أَبْغَضِ الْعَرَبِ فَبِغْضِي أَبْغَضَهُمْ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَشْرِكْهُ فِي وَلَادَتِهِ مِنْ أَبَوَيْهِ أَحَدٌ وَلَا أَخْتُ لِانْتِهَاءِ صِفْوَتِهِمَا إِلَيْهِ وَقُصُورِ نَسَبِهِمَا عَلَيْهِ لِيَكُونَ مُخْتَصًّا بِنَسَبِ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّبُوَّةِ غَايَةً وَلِتَمَامِ الشَّرَفِ نِهَائَةً وَأَلَّتْ إِذَا اخْتَبَرْتَ حَالِ نَسَبِهِ وَعَلِمْتَ طَهَارَةَ مَوْلَاهُ تَيَقَّنْتَ أَنَّهُ سُلَالَةُ آبَاءِ كِرَامٍ فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ الْأَبْطَحِيُّ الْحَرَمِيُّ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ نَخْبَةُ بَنِي هَاشِمٍ

الْمُخْتَارُ الْمُتَّخَبُ مِنْ خَيْرِ بَطُونِ الْعَرَبِ وَأَعْرَفُهَا فِي النَّسَبِ وَأَشْرَفُهَا فِي الْحَسَبِ وَأَنْضَرُهَا عَوْدًا وَأَطْوَلُهَا عُمُودًا وَأَطْيَبُهَا أُرُومَةً وَأَعَزُّهَا جُرُثُومَةً وَأَفْصَحُهَا لِسَانًا وَأَوْضَحُهَا بَيِّنَاتًا وَأَرْجَحُهَا مِيزَانًا وَأَصَحُّهَا إِيمَانًا وَأَعَزُّهَا نَفَرًا وَأَكْرَمُهَا مَعَشَرًا مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَمِنْ أَكْرَمِ بِلَادِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الذَّبِيحِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَاسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ بْنِ هَاشِمٍ وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ وَاسْمُهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ قُصَيٍّ وَاسْمُهُ مُجَمِّعُ بْنُ كِلَابٍ وَاسْمُهُ حَكِيمُ بْنُ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ وَكَانَتْ تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ قُرَيْشُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيُخَطِّبُهُمْ وَيَذْكُرُهُمْ بِمَنْبَعِثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُعَلِّمُهُمْ بِأَنَّهُ مِنْ وَلَدِهِ وَيَأْمُرُهُمْ بِاتِّبَاعِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ ابْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ وَاسْمُهُ قُرَيْشُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ كِنَانَةَ بْنِ حُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسٍ وَيَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ فِي ضُلْبِهِ تَلِيَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجِّ ابْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ سُمِّيَ بِذَلِكَ قِيلَ لِأَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ وَنَظَرَ أَبُوهُ إِلَى نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا وَأَطْعَمَ وَقَالَ إِنَّ هَذَا كُلُّهُ نَزَرَ أَيُّ قَلِيلٍ بِحَقِّ هَذَا الْمَوْلُودِ فَسُمِّيَ نِزَارًا ابْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ.

قَالَ ابْنُ دُحْيَةَ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ وَالْإِجْمَاعُ حُجَّةٌ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِثْمًا انْتَسَبَ إِلَى عَدْنَانَ وَلَمْ يَتَجَاوِزْهُ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا انْتَسَبَ لَمْ يَجَاوِزْ مَعَدَّ بْنَ عَدْنَانَ ثُمَّ يُنْسِكُ وَيَقُولُ كَذَبَ السَّابُونَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ ثَلَاثُونَ أَبًا لَا يُعْرَفُونَ، وَعَنِ كَعْبِ الْأَخْبَارِ أَنَّ نُورَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا صَارَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَذْرَكَ نَامَ يَوْمًا فِي الْحَجَرِ فَانْتَبَهَ مَكْحُولًا مَذْهُونًا قَدْ كَسِيَ حُلَّةَ الْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ فَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا لَا يَدْرِي مَنْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ فَأَخَذَ أَبُوهُ يَدَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى كَهَنَةِ قُرَيْشٍ فَأَسَارُوا عَلَيْهِ بِتَزْوِيجِهِ فَرُوجَهُ وَكَانَتْ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ وَنُورُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُضِيءُ فِي غُرَّتِهِ وَكَانَتْ قُرَيْشُ إِذَا أَصَابَهَا قَحْطٌ شَدِيدٌ تَأْخُذُ بِيَدَيْهِ فَتُخْرِجُ بِهِ إِلَى جَبَلِ ثَبِيرٍ فَيَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يَسْقِيَهُمُ الْعَيْنَ فَكَانَ يُغِيثُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ بِرِكَتِهِ نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا قَدِمَ أَبْرَهَةَ مَلِكُ الْيَمَنِ لِهَدمِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشٌ لَهُمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لَا يَصِلُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ لِأَنَّ لَهُ رَبًّا يَحْمِيهِ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ أَبْرَهَةَ إِلَى قُرَيْشٍ وَعَظَمَهَا وَكَانَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِيهَا أَرْبَعُمِائَةٍ نَاقَةٍ فَزَكَبَ فِي قُرَيْشٍ حَتَّى طَلَعَ جَبَلُ ثَبِيرٍ فَاسْتَدَارَ نُورُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَبِينِهِ كَالْهَلَالِ وَالْعَكْسَ شُعَاعُهُ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ

الْمُطَلِّبِ إِلَى ذَلِكَ قَالَ يَامَعَشَرَ قُرَيْشٍ اذْجِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ هَذَا الْأَمْرَ فَوَاللَّهِ مَا اسْتَدَارَ هَذَا الثَّوْرُ مِنِّي إِلَّا أَنْ يَكُونَ الظَّفَرُ لَنَا فَرَجَعُوا مُتَّفَقِينَ ثُمَّ إِنَّ أَبْرَهَةَ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ وَنَظَرَ إِلَى وَجْهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَضَعَ وَتَلَجَّلَجَ لِسَانَهُ وَخَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ فَكَانَ يَخُورُ كَمَا يَخُورُ الثَّوْرُ عِنْدَ ذُبْحِهِ فَلَمَّا أَفَاقَ خَرَّ سَاجِدًا لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ حَقًّا.

وَرُوي أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ لَمَّا حَضَرَ عِنْدَ أَبْرَهَةَ نَظَرَ الْفِيلَ الْأَبْيَضَ الْعَظِيمُ إِلَى وَجْهِهِ فَبَرَكَ كَمَا يَبْزُكُ الْبَعِيرُ وَخَرَّ سَاجِدًا وَأَنطَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْفِيلَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَى الثَّوْرِ الَّذِي فِي ظَهْرِكَ يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ وَلَمَّا دَخَلَ جَيْشُ أَبْرَهَةَ لِهَدمِ الْكَعْبَةِ الشَّرِيقَةِ بَرَكَ الْفِيلُ فَضَرَبُوهُ فِي رَأْسِهِ ضَرْبًا شَدِيدًا لِيَقُومَ فَأَبَى فَوَجَّهَهُ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَامَ ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ مِنَ الْبَحْرِ مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ حَجَرٍ فِي مِثْقَالِهِ وَحَجَرَانِ فِي رَجُلِيهِ كَأَمْثَالِ الْعَدَسِ لَا تُصِيبُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا أَهْلَكَتَهُ فَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَتَسَاقَطُونَ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَأُصِيبَ أَبْرَهَةُ فِي جَسَدِهِ بِدَاءٍ فَتَسَاقَطَتْ أَثَامِلُهُ أَثْمَلَةٌ أَثْمَلَةٌ وَسَالَ مِنْهُ الصَّدِيدُ وَالْقَيْحُ وَالْدَّمُ وَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ قَلْبُهُ وَإِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ أَشَارَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ دَالَّةً عَلَى شَرَفِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِزْهَاصِ لُبُوبِهِ أَيْ تَأْسِيسِهَا لَهَا وَإِعْزَازِهَا لِقَوْمِهِ بِمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِعْتِنَاءِ حَتَّى دَانَتْ الْعَرَبُ وَاعْتَقَدَتْ شَرَفَهُمْ وَفَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِحِمَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ وَدَفْعِهِ عَنْهُمْ مَكْرَ أَبْرَهَةَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِسَائِرِ الْعَرَبِ قُدْرَةً عَلَى قِتَالِهِ، وَلَمَّا فَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَجَعَ أَبْرَهَةُ خَائِبًا قَبِيئًا هُوَ نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ إِذْ رَأَى مَنَامًا عَظِيمًا فَانْتَبَهَ فَرَعَا مَرْعُوبًا وَأَتَى كَهَنَةَ قُرَيْشٍ وَقَصَّ عَلَيْهِمْ رُؤْيَاهُ فَقَالُوا لَهُ إِنْ صَدَقْتَ رُؤْيَاكَ لَيُخْرِجَنَّ مِنْ ظَهْرِكَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَنَّ فِي النَّاسِ عَلَمًا مُبِينًا فَتَزَوَّجَ فَاطِمَةُ وَحَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ الذَّبِيحِ وَفِصَّتُهُ فِي ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ، وَلَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ اللَّهِ مَعَ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ فَدَاهُ بِبَحْرِ مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ لِرُؤْيَا رَأَاهَا مَرَّةً عَلَى امْرَأَةٍ كَاهِنَةٍ مُتْهَوِّدَةٍ قَدْ قَرَأَتْ الْكُتُبَ يُقَالُ لَهَا فَاطِمَةُ فَقَالَتْ لَهُ جِبْنَ نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ وَكَانَ أَحْسَنَ رَجُلٍ فِي قُرَيْشٍ لَكَ مِثْلُ الْإِبِلِ الَّتِي تُحَرِّثُ عَنْكَ وَقَعَ عَلَيَّ الْآنَ لِمَا رَأَتْ فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ وَرَجَحْتُ أَنْ تَحْمِلَ بِهِذَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجَابَهَا بِقَوْلِهِ:

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَاَسْتَبَيْنَهُ
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِيْنَهُ يَحْمِي الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ

ثُمَّ خَرَجَ بِهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَتَى بِهِ وَهَبَ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ
بَنِي زُهْرَةَ نَسَبًا وَشَرَفًا فَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ أَمِيَّةَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ أَفْضَلُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَسَبًا وَمَوْضِعًا فَوَقَعَ
عَلَيْهَا يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ مِنْ أَيَّامِ مَيِّ فِي شِغْبِ أَبِي طَالِبٍ فَحَمَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا فَمَرَّ بِالْمَرْأَةِ الَّتِي عَرَضَتْ عَلَيْهِ مَا عَرَضَتْ فَقَالَ لَهَا مَا لَكَ لَا
تَعْرِضِينَ عَلَيَّ الْيَوْمَ مَا عَرَضْتَ بِالْأَمْسِ فَقَالَتْ فَارْقَكَ الثَّورُ الَّذِي كَانَ مَعَكَ بِالْأَمْسِ فَلَيْسَ
لِي بِكَ الْيَوْمَ حَاجَةٌ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ الثَّورُ فِي فَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَهُ حَيْثُ شَاءَ.

وَلَمَّا حَمَلَتْ أَمِيَّةُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَهَرَ لِحَمْلِهِ عَجَائِبُ قَالَ سَهْلُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ التَّنُشِيرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
بَطْنِ أُمِّهِ أَمِيَّةَ لَيْلَةَ رَجَبٍ وَكَانَتْ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ أَمَرَ رِضْوَانُ حَارِثِ الْجَنَانِ أَنْ يَفْتَحَ الْفَرْدَوْسَ
وَنَادَى مُنَادٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ الثَّورَ الْمَخْرُوزَ الْمَكْنُونُ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ النَّبِيُّ
الْهَادِي يَسْتَقِرُّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ الَّذِي فِيهِ يَتِمُّ خَلْقُهُ وَيَخْرُجُ إِلَى النَّاسِ بِشِيرَا وَنَذِيرَا
وَفِي رِوَايَةٍ كَغِبِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ نُودِيَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي السَّمَاءِ وَصَفَّاجِهَا وَالْأَرْضِ وَبِقَاعِهَا أَنَّ
الثَّورَ الْمَكْنُونُ الَّذِي مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَقِرُّ اللَّيْلَةَ فِي بَطْنِ أَمِيَّةَ فَيَا طُوبَى
لَهَا ثُمَّ يَا طُوبَى، وَأَصْبَحَتْ يَوْمَئِذٍ أَضْنَامُ الدُّنْيَا مَنْكُوسَةً وَكَانَتْ قُرَيْشٌ فِي جَذَبٍ شَدِيدٍ
وَضِيْقٍ عَظِيمٍ فَاحْضَرَتِ الْأَرْضُ وَحَمَلَتِ الْأَشْجَارُ وَأَتَاهُمُ الرُّفْدُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَسُمِّيتِ تِلْكَ
السَّنَةُ الَّتِي حُمِلَ فِيهَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةُ الْفَتْحِ وَالْإِنْبِهَاجِ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ أَمِيَّةَ كَانَتْ تُحَدِّثُ أَنَّهَا أُتِيَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهَا إِنَّكَ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَقَالَتْ مَا شَعَرْتُ بِأَنِّي حَمَلْتُ بِهِ وَلَا وَجَدْتُ لَهُ
ثِقَلًا وَلَا وَحَمًا كَمَا تَجِدُ النِّسَاءَ إِلَّا أَنِّي أَنْكَرْتُ رَفَعَ حَيْضَتِي وَأَتَانِي آتٍ وَأَنَا بَيْنَ النَّائِمَةِ
وَالْيَقْظَانَةِ فَقَالَ هَلْ شَعَرْتَ بِأَنَّكَ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ الْأَنْامِ ثُمَّ أَمْهَلَنِي حَتَّى إِذَا دَنَتْ وَلَادَتْنِي أَتَانِي
فَقَالَ قَوْلِي:

أَعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ

ثُمَّ سَمَّيَهُ مُحَمَّدًا، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَادَ أَنْ دَلَّاهُ حَمْلُ أَمِيَّةَ
بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ كُلَّ دَابَّةٍ لِقُرَيْشٍ نَطَقَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَقَالَتْ حَمْلُ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ وَهُوَ إِمَامُ الدُّنْيَا وَسِرَاجُ أَهْلِهَا وَلَمْ يَبْقَ سَرِيرٌ لِمَلِكٍ
مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا إِلَّا أَصْبَحَ مَنْكُوسًا وَفَرَّتْ وَخُوشَ الْمَشْرِقُ إِلَى وَخُوشِ الْمَغْرِبِ بِالنِّشَارَاتِ

وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْبَحَارِ يُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَلَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ حَمَلِهِ يَدَاءٌ فِي الْأَرْضِ
وَيَدَاءٌ فِي السَّمَاءِ أَنْ أَبْشِرُوا فَقَدْ أَنْ أَنْ يَظْهَرُ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْمُونًا مُبَارَكًا .

وَعَنْ غَيْرِهِ لَمْ يَبْقَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ دَارٌ إِلَّا أَشْرَقَتْ وَلَا مَكَانٌ إِلَّا دَخَلَهُ الثُّورُ وَلَا دَابَّةٌ إِلَّا
نَطَقَتْ، وَعَنْ أَبِي زَكْرِيَّا يَحْيَى بْنِ عَائِدٍ بَقِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ
كُمَلًا لَا تَشْكُو وَجَعًا وَلَا مَغْصًا وَلَا رِيحًا وَلَا مَا يَغْرُضُ لِدَوَابِّ الْحَمَلِ مِنَ النَّسَاءِ وَكَانَتْ
تَقُولُ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمَلٍ هُوَ أَخْفُ وَلَا أَغْظَمَ بَرَكَتَةً مِنْهُ، وَلَمَّا تَمَّ لَهَا مِنْ حَمَلِهَا شَهْرَانِ
تُوَفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْمَدِينَةِ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ وَذُفِنَ بِالْأَبْوَاءِ، وَيُذَكَّرُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ لَمَّا تُوَفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى الْمَلَائِكَةُ إِلَهَتَا وَسَيِّدَنَا بَقِيَ نَبِيَّكَ يَتِيمًا فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى
أَنَا لَهُ حَافِظٌ وَنَصِيرٌ، وَعَنْ عَمْرِو بْنِ قُتَيْبَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي وَكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ قَالَ لَمَّا
حَضَرَتْ وَلَادَةُ أَمِيَّةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ افْتَحُوا أَبْوَابَ السَّمَاءِ كُلَّهَا وَأَبْوَابَ الْجَنَّةِ
وَالْبِسْطِ الشَّمْسِ يَوْمَئِذٍ نُورًا عَظِيمًا وَكَانَ قَدْ أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ السَّنَةَ لِنِسَاءِ الدُّنْيَا أَنْ يَحْمِلْنَ
دُكُورًا كَرَامَةً لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَتْ أَمِيَّةُ تُحَدِّثُ وَتَقُولُ أَتَانِي آتٍ جِئَ مَرَّةً مِنْ حَمَلِي سِتَّةَ أَشْهُرٍ فِي
الْمَنَامِ فَقَالَ لِي يَا أَمِيَّةُ إِنَّكَ حَمَلْتِ بِخَيْرِ الْعَالَمِينَ فَإِذَا وَلَدْتِهِ فَسَمِيهِ مُحَمَّدًا وَاكْتُمِي شَأْنَكَ
قَالَتْ ثُمَّ لَمَّا أَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ النِّسَاءَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِي أَحَدٌ لَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى وَإِنِّي لَوَحِيدَةٌ فِي
الْمَنْزِلِ وَعَبْدُ الْمُطَلِّبِ فِي طَوَائِفِهِ فَسَمِعْتُ وَجِبَةً عَظِيمَةً وَأَمْرًا عَظِيمًا هَالِكًا ثُمَّ رَأَيْتُ كَأَنَّ
جَنَاحَ طَيْرٍ أَبْيَضَ قَدْ مَسَحَ عَلَى فُؤَادِي فَذَهَبَ عَلَيَّ الرُّغْبُ وَكُلُّ رَجَعٍ أَجِدُهُ ثُمَّ انْتَفَتَتْ فَإِذَا أَنَا
بِشَرْبَةٍ بَيْضَاءٍ فَتَنَّاوَلْتُنَّي نُورَ عَالٍ ثُمَّ رَأَيْتُ نِسْوَةً كَالْتَّحْلِ طَوَالًا كَأَنَّهُنَّ مِنْ بَنَاتِ عَبْدِ
مَنَافٍ يُحَدِّثْنَ بِي قَبِيئًا أَنَا أَتَعَجَّبُ وَأَقُولُ وَاعْتَوَاهُ مِنْ أَيْنَ عَلِمَنْ بِي فَقُلْنَ لِي نَحْنُ أَسِيَّةُ امْرَأَةٍ
فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَهَؤُلَاءِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَاشْتَدَّ بِي الْأَمْرُ وَأَنَا أَسْمَعُ الْوَجِبَةَ فِي كُلِّ
سَاعَةٍ أَغْظَمَ وَأَهْوَلَ مِمَّا تَقْدَمُ قَبِيئَتَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا بِدِيْبَاجٍ أَبْيَضَ قَدْ مَدَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَإِذَا بِقَائِلٍ يَقُولُ خُذُوهُ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ .

قَالَتْ وَرَأَيْتُ رَجَالًا قَدْ وَقَفُوا فِي الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِمْ أَبَارِيْقُ مِنْ فِضَّةٍ ثُمَّ تَنَظَّرْتُ فَإِذَا أَنَا
بِقِطْعَةٍ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ غَطَّتْ حُجْرَتِي مَنَاقِيرُهَا مِنَ الزُّمُرِّدِ وَأَجْنِحَتُهَا مِنَ الْيَاقُوتِ فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْ
بَصَرِي لَرَأَيْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَرَأَيْتُ ثَلَاثَةَ أَعْلَامٍ مَضْرُوبَاتٍ عَلَمًا بِالشَّمْسِ وَقَلَمًا
بِالشَّمْسِ وَعَلَمًا عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ فَأَخَذَنِي الْمَخَاضُ فَوَضَعْتُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ قَدْ رَفَعَ اضْبَعِيهِ إِلَى السَّمَاءِ كَالْمُتَضَرِّعِ الْمُبْتَهِلِ ثُمَّ رَأَيْتُ سَحَابَةً بَيَاضًا قَدْ أَقْبَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى غَشِيَتْهُ فَعَيَّبَتْهُ عَنِّي فَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يَنَادِي طُوفُوا بِهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَأَدْخِلُوهُ الْبَحَارَ لِيَعْرِفُوهُ بِاسْمِهِ وَنَعْتِهِ وَصُورَتِهِ ثُمَّ تَجَلَّتْ عَنْهُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ .

وَرَوَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ أَنَّ آمِنَةَ قَالَتْ لَمَّا وَضَعْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ رَأَيْتُ سَحَابَةً عَظِيمَةً لَهَا نُورٌ أَسْمَعُ فِيهَا صَهِيلَ الْخَيْلِ وَخَفَقَانَ الْأَجْنِحَةِ وَكَلَامَ الرُّجَالِ حَتَّى غَشِيَتْهُ وَغُيِبَ عَنِّي فَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يَنَادِي طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ وَاغْرِضُوهُ عَلَى كُلِّ رُوْحَانِيٍّ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ وَأَعْطُوهُ خَلْقَ آدَمَ وَمَعْرِفَةَ شَيْثٍ وَشَجَاعَةَ نُوحٍ وَخُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَلِسَانَ إِسْمَاعِيلَ وَرِضَا إِسْحَاقَ وَفَصَاحَةَ صَالِحٍ وَحِكْمَةَ لُوطٍ وَبُشْرَى يَعْقُوبَ وَشِدَّةَ مُوسَى وَضَبَرَ أَيُّوبَ وَطَاعَةَ يُوسُفَ وَجِهَادَ يُوشَعَ وَصَوْنَ دَاوُدَ وَحُبَّ دَنِيَّالَ وَوَقَالَ لِلنَّاسِ وَعِصْمَةَ يَحْيَى وَزُهْدَ عِيسَى وَاغْمِسُوهُ فِي أَخْلَاقِ النَّبِيِّينَ قَالَتْ ثُمَّ انْجَلَتْ عَنْهُ فَإِذَا بِهِ قَدْ قَبِضَ عَلَى حَرِيرَةٍ خَضِرَاءَ مَطْوِيَةٍ طَيِّبًا شَدِيدًا يَنْبُعُ مِنْهَا مَاءٌ وَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ بَخٍ بَخٍ قَبِضْ مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الدُّنْيَا كُلِّهَا لَمْ يَنْتَقِ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا دَخَلَ فِي قَبْضَتِهِ قَالَتْ ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَإِذَا بِهِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَرِيحُهُ يَسْطَعُ كَالْمِسْكِ الْأَذْفَرِ وَإِذَا بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ فِي يَدِ أَحَدِهِمْ إِبْرِيْقٌ مِنْ فِضَّةٍ وَفِي يَدِ الثَّانِي طَسْتُ مِنْ زُمُرَدٍ وَفِي يَدِ الثَّلَاثِ حَرِيرَةٌ بَيَاضَةٌ فَتَشْرَاهَا فَأَخْرَجَ مِنْهَا خَاتَمًا تَحَارُّ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ دُونَهُ فَعَسَلَهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِبْرِيْقِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ثُمَّ خَتَمَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِالْخَاتَمِ وَلَفَّهُ بِالْحَرِيرَةِ ثُمَّ اخْتَمَلَهُ فَأَدْخَلَهُ بَيْنَ أَجْنِحَتِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيَّ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَّا وَلَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي أَذُنِهِ رِضْوَانٌ خَازِنُ الْجَنَانِ أَبَشِيرُ يَا مُحَمَّدُ قَمَا بَقِيَ لِنَبِيِّ عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَتْهُ فَأَلَّتْ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا وَأَشْجَعُهُمْ قَلْبًا، وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّ آمِنَةَ قَالَتْ لَمَّا فُصِّلَ مِنِّي تَغْيِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مَعَهُ نُورٌ أَضَاءَ لَهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ثُمَّ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ مُعْتَمِدًا عَلَى يَدَيْهِ ثُمَّ أَخَذَ قُبْضَةً مِنَ الثَّرَابِ فَقَبَضَ بِهَا وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ وَقَعَ مَقْبُوضَةً أَصَابَ يَدَيْهِ مُشِيرًا بِالسَّبَابَةِ كَالْمُسْبَحِ بِهَا، وَرَوَى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ عَنْ أُمِّهِ قَاطِمَةَ قَالَتْ لَمَّا خَضَرَتْ وَلَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ حِينَ وَقَعَ قَدْ امْتَلَأَ نُورًا وَرَأَيْتُ النُّجُومَ تَدْنُو حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا سَتَقَعُ عَلَيَّ .

وَعَنِ الْعِزْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدِلٌ فِي طِينَتِهِ وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ إِنِّي دَعَوْتُ أَبِي
إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةَ عِيسَى وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ وَكَذَلِكَ أُمّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ، وَإِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ عُمَةُ
الْعَبَّاسُ بِقَوْلِهِ :

وَأَنْتَ لَمَّا وَلَدْتَ أَشْبَرَقْتَ الْأَرْضَ ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأَفْئُقَ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّورِ رِ وَسُبُلِ الرُّشَادِ نَحْتَرِقُ
وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ أَنَّهَا وَلَدَتْهُ نَظِيفًا مَا بِهِ قَدَرٌ، وَفِي إِضَاءَةِ قُصُورِ الشَّامِ بِذَلِكَ النُّورِ
إِشَارَةً إِلَى مَا خَصَّ الشَّامَ مِنْ نُورِ نُبُوتِهِ فَإِنَّهَا دَارُ مُلْكِهِ كَمَا ذَكَرَ كَعْبُ أَنَّ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ مَوْلَاهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجَرُهُ بِبَثْرَبَ وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ وَلِهَذَا أُسْرِيَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَمَا هَاجَرَ قَبْلَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الشَّامِ وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ
مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ .

وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَزُوفٍ عَنْ أُمِّهِ الشُّفَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ لَمَّا وَلَدْتَ آمِيَّةَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَعَ عَلَى يَدَيَّ فَاسْتَهَلَّ فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ رَحِمَكَ اللَّهُ
وَأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى بَعْضِ قُصُورِ الرُّومِ قَالَتْ ثُمَّ أَلَيْسَتْهُ
وَأَضْجَعْتُهُ فَلَمْ أَنْسَبْ أَنْ عَشِيَّتَنِي ظَلَمَةٌ وَرُغْبٌ وَقَشَعِرِيرَةٌ ثُمَّ غُيِبَ عَنِّي فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ
أَيْنَ ذَهَبْتَ بِهِ قَالَ إِلَى الْمَشْرِقِ قَالَتْ فَلَمْ يَزَلِ الْحَدِيثُ مِنِّي عَلَى بَالٍ حَتَّى ابْتَعْتُهُ اللَّهُ فَكُنْتُ
فِي أَوَّلِ النَّاسِ إِسْلَامًا .

وَعَنْ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ إِنِّي لَعُلَّامٌ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ أَعْقِلُ مَا
رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ إِذَا يَهُودِيٌّ يَصْرُخُ ذَاتَ عَدَاةٍ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ فَاجْتَمِعُوا إِلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ قَالُوا
وَيَلَكَ مَا لَكَ قَالَ طَلَعَ نَجْمٌ أَحْمَدُ الَّذِي وَلَدَ بِهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ يَهُودِيٌّ قَدْ سَكَنَ بِمَكَّةَ فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَلَدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ وَلَدَ فِيكُمْ اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ قَالُوا لَا نَعْلَمُ قَالَ انْظُرُوا
فَإِنَّهُ وَلَدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ نَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَامَةٌ قَائِصَرُفُوا فَسَأَلُوا فَقِيلَ لَهُمْ قَدْ وَلَدَ
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ غُلَامٌ فَذَهَبَ الْيَهُودِيٌّ مَعَهُمْ إِلَى أُمِّهِ فَأَخْرَجَتْهُ لَهُمْ فَلَمَّا رَأَى
الْيَهُودِيُّ الْعَلَامَةَ خَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ وَقَالَ ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَاللَّهِ

لَيْسَطُونُ بِكُمْ سَطَوَةٌ يَخْرُجُ خَبَرُهَا مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ رَوَاهُ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ
كَمَا فِي فَتْحِ الْبَارِي.

وَمِنْ عَجَائِبِ وَلَاذِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رُوِيَ مِنْ اِزْتِجَاجِ إِيْوَانَ كِسْرَى وَسُقُوطِ
أَرْبَعِ عَشْرَةَ شُرْفَةً مِنْ شُرَفَاتِهِ وَغِيْضِ بُحَيْرَةِ طَبْرِئَةَ وَخُمُودِ نَارِ قَارِسٍ وَكَانَ لَهُ أَلْفُ عَامٍ لَمْ
تُخَمَدْ كَمَا رَوَاهُ كَثِيرُونَ وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَقَعَ مِنْ زِيَادَةِ جِرَاسَةِ السَّمَاءِ فِي الشَّهْبِ وَقَطْعِ رَصَدِ
الشَّيَاطِينِ وَمَنْعِهِمْ مِنْ اسْتِزَاقِ السَّمْعِ، وَوُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْتُونًا مَسْرُورًا أَيْ مَقْطُوعَ
السُّرَّةِ كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو وَغَيْرِهِ، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ مِنْ كَرَامَتِي عَلَى رَبِّي أَنِّي وُلِدْتُ مَخْتُونًا وَلَمْ يَرَأَ أَحَدٌ سَوَاتِي.

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي عَامِ وَلَاذِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَكْثَرُونَ أَنَّهُ وُلِدَ عَامَ الْفِيلِ وَأَنَّهُ
بَعْدَ الْفِيلِ بِخَمْسِينَ يَوْمًا وَأَنَّهُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِإِثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْهُ عِنْدَ
طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ
وَاسْتَشْبِيءَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَخَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ
الْإِثْنَيْنِ وَرَفَعَ الْحَجَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَكَذَا فَتَحَ مَكَّةَ وَتُرُوتُ سُورَةِ الْمَائِدَةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ رَاهِبٌ
يُسَمَّى عَيْصًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَكَانَ يَقُولُ يَوْشِكُ أَنْ يُولَدَ فِيكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ مَوْلُودٌ تَدِينُ لَهُ
الْعَرَبُ وَيَمْلِكُ الْعَجَمُ هَذَا زَمَانُهُ فَكَانَ لَا يُولَدُ بِمَكَّةَ مَوْلُودٌ إِلَّا وَيَسْأَلُ عَنْهُ فَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةُ
الْيَوْمِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَتَى عَيْصَ
فَنَادَاهُ فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ عَيْصُ كُنْ أَبَاهُ فَقَدْ وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي كُنْتُ أَحَدِّثُكُمْ عَنْهُ يَوْمَ
الْإِثْنَيْنِ وَيُبْعَثُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَمُوتُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ قَالَ وَلَدَ لِي اللَّيْلَةَ مَعَ الصُّبْحِ مَوْلُودٌ قَالَ فَمَا
سَمَّيْتَهُ قَالَ مُحَمَّدًا قَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَوْلُودُ فِيكُمْ أَهْلَ هَذَا النَّبِيِّ
بِثَلَاثَةِ خِصَالٍ أَنَّهُ طَلَعَ نَجْمُهُ الْبَارِحَةَ وَأَنَّهُ وُلِدَ الْيَوْمَ وَأَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَوَافَقَ ذَلِكَ مِنَ الشُّهُورِ الشَّمْسِيَّةِ نَيْسَانَ وَكَانَ لِعِشْرِينَ مَضَتْ مِنْهُ.

وَقِيلَ وُلِدَ لَيْلًا فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ بِمَكَّةَ يَهُودِيٌّ يَتَجَرُّ فِيهَا فَلَمَّا
كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ وُلِدَ فِيكُمْ
الْلَّيْلَةَ مَوْلُودٌ قَالُوا لَا نَعْلَمُهُ قَالَ وَلَدَ اللَّيْلَةَ نَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْأَخِيرَةِ بَيْنَ كِتْفَيْهِ عَلَامَةٌ فِيهَا
شَعْرَاتٌ مُتَوَاتِرَاتٌ كَأَنَّهُنَّ عُرْفُ فَرَسٍ فَخَرَجُوا بِالْيَهُودِيِّ حَتَّى أَدْخَلُوهُ عَلَى أُمِّهِ فَقَالُوا أَخْرِجِي

لَنَا ابْنُكَ فَأَخْرَجْنَاهُ وَكَشَفُوا عَنْ ظَهْرِهِ فَرَأَى تِلْكَ الشَّامَةَ فَوَقَعَ الْيَهُودِيُّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالُوا مَا لَكَ وَتِلْكَ قَالَ دَهَبَتْ وَاللَّهِ التُّبُوَّةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَوَاهُ الْحَاكِمُ، وَلَيْلَةُ مَوْلِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَوُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَكَّةَ فِي الدَّارِ الَّتِي كَانَتْ لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ، وَأَرْضَعَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبَةُ عَيْفَةَ أَبِي لَهَبٍ أَغْتَقَهَا حِينَ بَشَّرَتْهُ بِوِلَادَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَدْ رُؤِيَ أَبُو لَهَبٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي النَّوْمِ فَقِيلَ لَهُ مَا حَالُكَ فَقَالَ فِي النَّارِ إِلَّا أَنَّهُ خُفِّفَ عَنِّي فِي كُلِّ لَيْلَةٍ اثْنَتَيْنِ وَأَمْصُ مِنْ بَيْنِ إِصْبَعَيْ هَاتَيْنِ مَاءً وَأَشَارَ بِرَأْسِ إِصْبَعَيْهِ وَإِنَّ ذَلِكَ بِإِغْتَاقِي لِثَوْبَتِي بِوِلَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِإِزْصَاعِهَا لَهُ.

قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فَإِذَا كَانَ هَذَا أَبُو لَهَبٍ الْكَافِرُ الَّذِي نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذَمِّهِ جُوزِي بِفَرْجِهِ لَيْلَةُ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا حَالُ الْمُسْلِمِ الْمُوَحِّدِ مِنْ أُمِّيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَرُّ بِمَوْلِدِهِ وَيَبْدُلُ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ قُدْرَتُهُ فِي مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَمْرِي إِنَّمَا يَكُونُ جَزَاؤُهُ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ أَنْ يُدْخِلَهُ بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَا زَالَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ يَحْتَفِلُونَ بِشَهْرِ مَوْلِدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَعْمَلُونَ الْوَلَائِمَ وَيَتَصَدَّقُونَ فِي لَيْلَائِهِ بِأَنْوَاعِ الصَّدَقَاتِ وَيُظْهِرُونَ السُّرُورَ وَيَزِيدُونَ فِي الْمَبْرَاتِ وَيَعْتَنُونَ بِقِرَاءَةِ مَوْلِدِهِ الْكَرِيمِ وَيُظْهِرُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَرَكَاتِهِ كُلِّ فَضْلٍ عَمِيمٍ وَمِمَّا جُرَّبَ مِنْ خَوَاصِهِ أَنَّهُ أَمَانٌ فِي ذَلِكَ الْعَامِ وَيُشْرَى عَاجِلَةً بِنِيلِ الْبُغْيَةِ وَالْمَرَامِ فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اتَّخَذَ لَيْلَائِي شَهْرَ مَوْلِدِهِ الْمُبَارَكَةَ أَعْيَادًا.

قَالَتْ حَلِيمَةُ قَدِمْتُ مَكَّةَ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ نَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ فِي سَنَةِ شَهْبَاءَ فَقَدِمْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي وَمَعِيَ صَبِيٌّ لَنَا وَشَارِفٌ لَنَا وَاللَّهِ مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا ذَلِكَ أَجْمَعَ مَعَ صَبِيَّتِنَا وَلَا نَجِدُ فِي ثَدْيِيَّ مَا يُغْدِيهِ وَلَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغْدِيهِ فَقَدِمْتَا مَكَّةَ قَوْلَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنَّا أَمْرًا إِلَّا وَقَدْ عَرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَأَبَّاهُ إِذْ قِيلَ إِنَّهُ يَتِيمٌ مِنَ الْأَبِ قَوْلَ اللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْ صَوَاحِبِي أَمْرًا إِلَّا أَخَذْتُ رَضِيعًا غَيْرَهُ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ قُلْتُ لِرِزْوَاجِي إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبَاتِي وَلَيْسَ مَعِيَ رَضِيعٌ لَأَنْطَلِقَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَا أَخَذْتُهُ.

قَدْ هَبْتُ فَإِذَا بِهِ مُذَرَّجٌ فِي ثَوْبٍ صُوفٍ أَبْيَضَ مِنَ اللَّبَنِ يَفُوحُ مِنْهُ الْمِسْكُ وَتَحْتَهُ حَرِيرَةٌ خَضْرَاءُ رَاقِدًا عَلَى قَفَاهُ يَعْطُ قَاشِقَةً أَنْ أَوْقِظُهُ مِنْ نَوْمِهِ لِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ رُونِدًا فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى صَدْرِهِ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ يَنْظُرُ إِلَيَّ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنَيْهِ نُورٌ حَتَّى

دَخَلَ جَلَالَ السَّمَاءِ وَأَنَا أَنْظُرُ فَقَبْلَتْهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَعْطَيْتُهُ ثُدْيِي الْأَيْمَنَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ فَحَوَّلَتْهُ إِلَى الْأَيْسَرِ فَأَبَى وَكَانَتْ تِلْكَ حَالَهُ بَعْدَ قَالَتْ فَرَوِي وَرَوِي أَخُوهُ ثُمَّ أَخَذَتْهُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جِثَّتْ بِهِ إِلَى رَحْلِي فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ثُدْيَايَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ حَتَّى رَوِي وَشَرِبَ أَخُوهُ حَتَّى رَوِي فَقَامَ صَاحِبِي تَعْنِي زَوْجَهَا إِلَى شَارِفَتَا تِلْكَ فَإِذَا بِهَا لِحَافِلٌ فَحَلَبَ مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ حَتَّى رَوَيْنَا وَبَيْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ فَقَالَ صَاحِبِي يَا حَلِيمَةُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاكَ قَدْ أَخَذْتَ نَسَمَةَ مُبَارَكَةٍ أَلَمْ تَرَيَا مَا بَيْنَنَا بِهِ اللَّيْلَةَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ حِينَ أَخَذْنَاهُ فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَزِيدُنَا خَيْرًا.

قَالَتْ حَلِيمَةُ قَوْدَعْتُ أُمَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَكِبْتُ أَتَانِي وَأَخَذَتْهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَسَبَقَتْ دَوَابَّ النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا مَعِي وَهُمْ يَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَ بَنِي سَعْدِ وَلَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبَ مِنْهَا وَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ شِبَاعًا لَبَنًا فَتَحْلِبُ وَتَشْرِبُ وَمَا يَحْلِبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُغْيَانِهِمْ اسْرْحُوا حَيْثُ يَسْرُحُ رَاعِي غَنَمٍ بِنْتُ أَبِي دُوَيْبٍ فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِئَاعًا مَا تَبْضُ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ تَرُوحُ أَغْنَامِي شِبَاعًا لَبَنًا، وَعَنْ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعَانِي إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِكَ أَمَارَةً لِنُبُوتِكَ رَأَيْتُكَ فِي الْمَهْدِ تُنَاقِي الْقَمَرَ وَتُشِيرُ إِلَيْهِ بِإِصْبَعِكَ فَحَيْثُ أَشَرْتَ إِلَيْهِ مَالَ قَالَ إِنِّي كُنْتُ أَخَذْتُهُ وَيُحَدِّثُنِي وَيُلْهِينِي عَنِ الْبُكَاءِ وَأَسْمَعُ وَجَنَّتْهُ حِينَ يَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ.

وَفِي فَتْحِ الْبَارِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَلَّمَ فِي أَوَائِلِ مَا وُلِدَ وَذَكَرَ ابْنَ سَبْعِ أَنْ مَهْدُهُ كَانَ يَتَحَرَّكُ بِتَحْرِيكِ الْمَلَائِكَةِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَتْ حَلِيمَةُ تُحَدِّثُ أَنَّهَا أَوَّلُ مَا قَطَمَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَلَّمَ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا فَلَمَّا تَرَعَرَعَ كَانَ يَخْرُجُ فَيَنْظُرُ إِلَى الصَّبِيِّانِ يَلْعَبُونَ فَيَجْتَنِبُهُمَا.

وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّ الشَّيْمَاءَ أُخْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرِّضَاعَةِ رَأَتْ عَمَامَةً تُظِلُّهُ إِذَا وَقَفَ وَقَفَّتْ وَإِذَا سَارَ سَارَتْ أَيَّامَ كَانَ عِنْدَ حَلِيمَةَ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشِبُّ شَبَابًا لَا يَشْبُهُ الْغُلَمَانُ، قَالَتْ حَلِيمَةُ فَلَمَّا فَصَلْتُهُ قَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكَّتِهِ فِينَا لِمَا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ وَقُلْنَا لَوْ تَرَكَتَنِي عِنْدَنَا حَتَّى يَغْلُظَ فَإِنَّا نَحْشِي عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ وَلَمْ نَزَلْ حَتَّى رَدَّتْهُ مَعَنَا فَرَجَعْنَا بِهِ قَوْلَ اللَّهِ إِنَّهُ لَبَعْدَ مَقْدِمَتَا بِشَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ مَعَ أَخِيهِ مِنْ

الرُّضَاعَةِ لَيْفِي بِهِمْ لَنَا خَلْفَ بَيُوتِنَا جَاءَ أَخُوهُ يَسْتَدُ فَقَالَ ذَاكَ أَخِي الْفَرَسِيُّ قَدْ جَاءَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ فَأَضْجَعَاهُ وَشَقَّ بَطْنَهُ قَالَتْ حَلِيمَةُ فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُوهُ نَسْتَدُ نَحْوَهُ فَتَجَدَّهُ قَائِمًا مُنْتَقِعًا لَوْنُهُ فَاغْتَنَفَهُ أَبُوهُ فَقَالَ لَهُ أَيُّ بَنِي مَا شَأْنُكَ قَالَ جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ فَضَجَعَانِي فَشَقَّ بَطْنِي ثُمَّ اسْتَخْرَجَا مِنْهُ شَيْئًا فَطَرَحَاهُ ثُمَّ رَدَّاهُ كَمَا كَانَ فَرَجَعْنَاهُ مَعَنَا فَقَالَ أَبُوهُ يَا حَلِيمَةُ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ ابْنِي قَدْ أَصِيبَ فَاَنْطَلِقِي بِنَا نَرُدُّهُ إِلَى أَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ بِهِ مَا نَتَخَوَّفُ فَاخْتَمَلْنَاهُ حَتَّى قَدِمْنَا بِهِ مَكَّةَ عَلَى أُمِّهِ .

فَقَالَتْ مَا رَدُّكُمَا بِهِ فَقَدْ كُنْتُمَا حَرِيصَيْنِ عَلَيْهِ قُلْنَا نَخْشَى عَلَيْهِ الْأَثْلَافَ وَالْأَخْدَاتِ فَقَالَتْ مَا ذَاكَ بِكُمَا فَاصْذُقَانِي شَأْنَكُمَا فَلَمْ تَدْعُنَا حَتَّى أَخْبَرْنَاَهَا خَبْرَهُ قَالَتْ أَحْشِشْتُمَا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ كَلَّا وَاللَّهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ وَإِنَّهُ لَكَائِنٌ لِابْنِي هَذَا شَأْنٌ قَدْ عَاهَدْنَا عَنْكُمَا، وَفِي حَدِيثِ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُنْتُ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ ابْنِ بَكْرِ فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَطْنٍ وَادٍ مَعَ أَثْرَابٍ لِي مِنَ الصُّبْيَانِ إِذْ نَأَانَا بَرَهْطٍ ثَلَاثَةِ مَعَهُمْ طَسْتُ مِنْ دَهَبٍ مُلِئَةٍ ثُلُجًا فَأَخَذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي وَانْطَلَقَ الصُّبْيَانُ هِرَابًا مُسْرِعِينَ إِلَى الْحَيِّ فَعَجِدَ أَحَدُهُمْ فَأَضْجَعَنِي عَلَى الْأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ لَمْ أَجِدْ لِدَلِكِ مَسًّا ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي ثُمَّ غَسَلَهَا بِذَلِكَ الثُّلُجِ فَأَتَعَمَّ غَسَلَهَا ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا .

ثُمَّ قَامَ الثَّانِي فَقَالَ لِصَاحِبِهِ تَنَحَّ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي وَأَخْرَجَ قَلْبِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَصَدَعَهُ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ فَرَمَى بِهَا ثُمَّ قَالَ بَيْنِيهِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً كَأَنَّهُ يَتَنَازَلُ شَيْئًا فَإِذَا بِخَاتِمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُ النَّاطِلُ ذُوْنَهُ فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي فَاَمْتَلَأَ نُورًا وَذَلِكَ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتِمِ فِي قَلْبِي دَهْرًا ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ لِصَاحِبِهِ تَنَحَّ فَأَمَرَ يَدَهُ بَيْنَ مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِنِّهَاضًا لَطِيفًا ثُمَّ قَالَ لِلْأَوَّلِ زِنْهُ بِعَشْرَةِ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَّنَنِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ثُمَّ قَالَ زِنْهُ بِمِائَةِ مِنْ أُمَّتِهِ فَرَجَحْتُهُمْ .

ثُمَّ قَالَ زِنْهُ بِالْفَلْبِ فَرَجَحْتُهُمْ فَقَالَ دَعُوهُ فَلَوْ وَزَّنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحْتُهُمْ ثُمَّ ضَمُونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ثُمَّ قَالُوا يَا حَبِيبُ لَمْ تُرْعَ إِثْمُكَ لَوْ تَذَرِي مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ . وَالْمُرَادُ بِالْوَزْنِ فِي قَوْلِهِ زِنْهُ بِعَشْرَةِ إِلَى آخِرِهِ الْوَزْنُ الْإِعْتِبَارِيُّ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالرُّجْحَانِ الرُّجْحَانِ فِي الْفَضْلِ ، وَقَدْ وَقَعَ شَقُّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ مَجِيءِ

جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ بِالْوَحْيِ فِي غَارِ حَرَاءٍ وَمَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ الْإِسْرَاءِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الدَّلَائِلِ الشَّقَّ أَيْضًا وَهُوَ ابْنُ عَشِيرَيْنِ وَالْحِكْمَةُ فِي شَقِّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ فِي حَالِ صِبَاهُ وَاسْتِخْرَاجِ الْعَلَقَةِ مِنْهُ تَطْهِيرُهُ عَنْ خَالَاتِ الصَّبَا حَتَّى يَتَّصِفَ فِي سِنِّ الصَّبَا بِأَوْصَافِ الرُّجُولَةِ وَلِلَّذَلِكَ نَشَأَ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْعِصْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ خُتِمَ بِخَاتَمِ الثُّبُوتِ بَيْنَ كَيْفِيَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ يَنْتُمِي مِسْكًا وَإِنَّهُ مِثْلُ زُرِّ الْحَجَلَةِ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ. قَالَ الثَّوَوِيُّ الْحَجَلَةُ وَاحِدَةُ الْحِجَالِ وَهِيَ بَيْتٌ كَالْقُبَّةِ لَهَا أَرْزَارٌ وَعُرَى هَذَا هُوَ الصَّوَابُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْمُرَادُ بِالْحَجَلَةِ الطَّائِرُ الْمَعْرُوفُ وَزُرُّهَا يَبْضُهَا، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَلَغَ سِتِّ سِنِينَ خَرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى أَخْوَالِهِ بَنِي عَدِيٍّ بَنِ الثُّجَارِ بِالْمَدِينَةِ تَزُورُهُمْ وَمَعَهُ أُمُّ أَيْمَنَ فَنَزَلَتْ بِهِ دَارَ الثَّابِعَةِ فَأَقَامَتْ بِهِ عِنْدَهُمْ شَهْرًا فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ أُمُورًا كَانَتْ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ وَنَظَرَ إِلَى الدَّارِ وَقَالَ هَا هُنَا نَزَلْتُ بِي أُمِّي وَأَحْسَنْتُ الْعَوْمَ فِي بَنِي عَدِيٍّ بَنِ الثُّجَارِ وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ يَخْتَلِفُونَ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فَسَمِعْتُ أَحَدَهُمْ يَقُولُ هُوَ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهَذِهِ دَارُ هِجْرَتِهِ فَوَعَيْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ كَلَامِهِمْ ثُمَّ رَجَعَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى مَكَّةَ فَلَمَّا كَانَتْ بِالْأَنْبَاءِ تُوَفِّيتُ.

وَرَوَى الزُّهْرِيُّ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ رَهْمٍ عَنْ أُمِّهَا قَالَتْ شَهِدْتُ أَمَةً أُمَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِلَّتِيهَا الَّتِي مَاتَتْ بِهَا وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامٌ يَقَعُ لَهُ خُمْسُ سِنِينَ عِنْدَ رَأْسِهَا فَتَنْظُرَتْ إِلَى وَجْهِهِ وَقَالَتْ أَبْيَاتُ شِعْرِ ثُمَّ قَالَتْ كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ وَكُلُّ جَدِيدٍ بَالٍ وَكُلُّ كَثِيرٍ يَفْنَى وَأَنَا مَيِّتَةٌ وَذِكْرِي بَاقٍ وَقَدْ تَرَكْتُ خَيْرًا وَلَدْتُ طَهْرًا ثُمَّ مَاتَتْ فَكُنَّا نَسْمَعُ نَوْحَ الْجَنِّ عَلَيْهَا.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أَمَةً آمَنَتْ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهَا رَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ الْحُحُونُ كَثِيرًا حَزِينًا فَأَقَامَ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَجَعَ مَسْرُورًا قَالَ سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأَخْبَنِي لِي أُمِّي فَأَمَنْتُ بِهِ ثُمَّ رَدَّهَا وَكَذَا رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَيْضًا إِخْيَاءُ أَبِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى آمَنَّا بِهِ وَأَوْرَدَهُ السُّهَيْلِيُّ وَالْحَطِيبُ، وَقَالَ الْفَرُطِيُّ فِي التَّذَكُّرَةِ إِنَّ فَضَائِلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَصَائِصَهُ لَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى وَتَتَنَابَعُ إِلَى جِوْنِ مَمَاتِهِ فَيَكُونُ هَذَا وَمِمَّا فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ وَأَكْرَمَهُ قَالَ وَلَيْسَ إِخْيَاؤُهُمَا وَإِيمَانُهُمَا مُمْتَنَعًا عَقْلًا وَلَا شَرْعًا فَقَدْ وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ إِخْيَاءُ قَبِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَخْبَرَ بِقَاتِلِهِ وَكَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخَيِّي الْمَوْتَى وَكَذَلِكَ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْيَا اللَّهُ

عَلَى يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَوْتَى ثَبَتَ هَذَا فَمَا يَمْتَنِعُ إِيمَانُهُمَا بَعْدَ إِخْيَافِهِمَا وَيَكُونُ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي كَرَامَتِهِ وَقُضِيلَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ إِنَّ جَمِيعَ آبَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا مُسْلِمِينَ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَزَلَّ أَنْقُلٌ مِنْ أَضْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحَامِ الطَّاهِرَاتِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾، فَوَجِبَ أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَجْدَادِهِ مُشْرِكًا وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ بَنُ نَاصِرِ الدِّينِ الدَّمَشْقِيُّ حَيْثُ قَالَ:

حَبَا اللَّهُ النَّبِيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ عَلَى فَضْلٍ وَكَانَ بِهِ رَوْفًا
فَأَخْيَى أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ لِإِيمَانٍ بِهِ فَضْلًا لَطِيفًا
فَسَلَّمَ فَالْقَدِيمُ بِذَا قَدِيرٍ وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفًا
وَقَدْ كَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ ذَاتَهُ وَحَاضِنَتَهُ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهَا
أَنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي، وَمَاتَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ كَافِلُهُ وَلَهُ ثَمَانُ سِنِينَ عَنْ عَشْرِ وَمِائَةِ سَنَةٍ وَقِيلَ
عَنْ مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَفَلَهُ أَبُو طَالِبٍ وَأَسَمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَوْصَاهُ
بِذَلِكَ لِكُونِهِ شَقِيقَ عَبْدِ اللَّهِ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ جُلْهَمَةَ بْنِ عَرْفُطَةَ قَالَ قَدِمْتُ مَكَّةَ وَهُمْ فِي فَحْطٍ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ
يَا أَبَا طَالِبٍ أَفَحَطَ الْوَادِي وَأَجَذَبَ الْعِيَالُ فَهَلُمَّ فَاسْتَسْقِ فَخَرَجَ أَبُو طَالِبٍ وَمَعَهُ غُلَامٌ كَانَتْهُ
شَمْسٌ تَجَلَّتْ عَنْهَا سَحَابَةٌ وَحَوْلَهُ أَغْيَلِمَةٌ فَأَخَذَهُ أَبُو طَالِبٍ فَالْصَقَ ظَهْرَهُ بِالْكَعْبَةِ وَلَاذَ الْغُلَامِ
بِإِضْبَاعِهِ وَمَا فِي السَّمَاءِ قَرَعَةٌ فَأَقْبَلَ السَّحَابُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا وَأَغْدَقَ وَأَغْدَوْدَقَ وَانْفَجَرَ لَهُ
الْوَادِي وَأَخْصَبَ النَّادِي وَالْبَادِي وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو طَالِبٍ:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَزَامِلِ
وَالثِّمَالُ بِالْكَسْرِ الْمَلْجَأُ وَعِصْمَةٌ لِلْأَزَامِلِ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الضِّيَاعِ وَالْأَزَامِلُ الْمَسَاكِينُ مِنْ
رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَاسْتِعْمَالُهُ بِالنِّسَاءِ أَكْثَرُ، وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ
سَنَةً خَرَجَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ حَتَّى بَلَغَ بُضْرَى فَرَأَاهُ بِحَيْرَا الرَّاهِبِ وَأَسَمُهُ جَرْجِيسُ
فَعَرَفَهُ بِصِفَتِهِ فَقَالَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ هَذَا يَنْعُمُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَقِيلَ لَهُ وَمَا
عِلْمُكَ بِذَلِكَ فَقَالَ إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ بِهِ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا
يَسْجُدَانِ إِلَّا لِيَنِي وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فِي أَسْفَلٍ مِنْ غُضْرُوفٍ كَتِفِهِ مِثْلُ التُّفَاحَةِ وَإِنَّا نَجِدُهُ
فِي كُتُبِنَا وَسَأَلَ أَبَا طَالِبٍ أَنْ يَرُدَّهُ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ وَأَقْبَلَ سَبْعَةَ مِنَ الرُّومِ يَقْصِدُونَ قَتْلَهُ

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَاسْتَقْبَلَهُمْ بِحِيرَا فَقَالَ مَا جَاءَ بِكُمْ قَالُوا إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهَا بِأَنَاسٍ فَقَالَ أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدُّهُ قَالُوا لَا قَالَ فَبَايَعُوهُ فَأَقَامُوا مَعَهُ وَرَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ أَنَّ بَحِيرَا رَأَاهُ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فِي الرُّكْبِ حِينَ أَقْبَلُوا وَعَمَامَةً بَيْضَاءُ يُظَلُّهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ ثُمَّ أَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْهُ فَتَنَظَّرَ إِلَى الْعِمَامَةِ حِينَ أَظْلَمَتِ الشَّجَرَةُ وَتَهَيَّأَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى اسْتَظَلَّ تَحْتَهَا وَأَنَّ بَحِيرَا قَامَ فَاخْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ مِنْ تَوْبِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ وَيُخْبِرُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُؤَافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَا مِنْ صِفَتِهِ وَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ عَشْرِينَ سَنَةً وَهُمْ يُرِيدُونَ الشَّامَ فِي تِجَارَةٍ حَتَّى نَزَلَا مُنْزِلًا فِيهِ سِدْرَةٌ قَعَدَ فِي ظِلِّهَا وَمَضَى أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَاهِبٍ يُقَالُ لَهُ بَحِيرَا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَهُ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي فِي ظِلِّ الشَّجَرَةِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ هَذَا وَاللَّهِ نَبِيٌّ مَا اسْتَظَلَّ تَحْتَ ظِلِّهَا بَعْدَ عَيْسَى إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقَعَ فِي قَلْبِ أَبِي بَكْرٍ التَّصَدِيقُ فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّبَعَهُ .

ثُمَّ خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا وَمَعَهُ مَيْسَرَةٌ غُلَامٌ حَدِيدَجَةٌ بَنَتْهُ حُوَيْلِدُ بْنُ أَسَدٍ فِي تِجَارَةٍ لَهَا حَتَّى بَلَغَ سُوقَ بُضْرَى وَلَهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَتَنَزَّلَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ فَقَالَ نَسْطُورُ الرَّاهِبِ مَا نَزَلَ تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ بَعْدَ عَيْسَى إِلَّا نَبِيٌّ وَكَانَ مَيْسَرَةٌ يَرَى فِي الْهَاجِرَةِ مَلَكَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّمْسِ وَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ فِي وَقْتِ الظُّهَيْرَةِ وَحَدِيدَجَةٌ فِي عِلِّيَّةِ لَهَا فَرَأَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ وَمَلَكَانِ يُظْلَانِ عَلَيْهِ وَتَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِشَهْرَيْنِ وَخَمْسَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا وَسِنَةً إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً وَقِيلَ ثَلَاثُونَ وَكَانَتْ تُدْعَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالطَّاهِرَةِ وَكَانَتْ تَحْتَ أَبِي هَالَةَ بْنِ زَرَارَةَ التَّمِيمِيِّ فَوَلَدَتْ لَهُ هُنْدًا وَهَالَةَ وَهُمَا ذَكَرَانِ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عَتِيقُ بْنُ عَائِذِ الْمُخَزُومِيِّ فَوَلَدَتْ لَهُ هُنْدًا وَكَانَ لَهَا حِينَ تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعُمَرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَبَعْضُ أُخْرَى .

وَكَانَتْ عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ فَخَرَجَ مَعَهُ مِنْهُمْ حَمْرَةٌ حَتَّى دَخَلَ عَلَى حُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ فَتَزَوَّجَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَحَضَرَ أَبُو طَالِبٍ وَرُؤَسَاءُ مُضَرَ فَخَطَبَ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَزَرَعَ إِسْمَاعِيلَ وَضِئِضِيءٍ مَعَدٍّ وَعُنْصُرٍ مُضَرٍّ وَجَعَلَنَا حَضَنَةَ بَيْتِهِ وَسُوَاسَ حَرَمِهِ وَجَعَلَ لَنَا بَيْتًا مَحْجُوجًا وَحَرَمًا آمِنًا وَجَعَلَنَا الْحُكَّامَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَخِي هَذَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَا يُوزَنُ بِرَجُلٍ إِلَّا رَجَحَ بِهِ فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ فَإِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَأَمْرٌ حَائِلٌ وَمُحَمَّدٌ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ وَقَدْ خَطَبَ خَدِيجَةَ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ وَبَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مَا آجِلُهُ وَعَاجِلُهُ مِنْ مَالِي كَذَا وَهُوَ وَاللَّهُ بَعْدَ هَذَا لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ وَخَطَرٌ جَلِيلٌ فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا أَبُوهَا حُوَيْلِدٌ وَكَانَ الصَّدَاقُ ثِنْتِي عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً ذَهَبًا وَنَشَا وَالْأَوْقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا وَالنَّشُ نِصْفُ أَوْقِيَّةٍ وَالضُّضْيُيَّةُ الْأَصْلُ وَكَذَا الْعُنْصُرُ.

وَلَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً بَنَتْ قُرَيْشُ الْكَعْبَةَ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ وَكَانُوا يَضَعُونَ أَرْزَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ وَيَحْمِلُونَ الْحِجَارَةَ فَعَمَلَ ذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَقَطَ مِنْ قِيَامٍ وَتُودِي عَوْرَتَكَ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا تُودِي فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ أَوِ الْعَبَّاسُ يَا بَنَ أَخِي اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَأْسِكَ فَقَالَ مَا أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلَّا مِنَ التَّعَرِّيِّ، وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَرَسُولًا إِلَى كَافَّةِ الثَّقَلَيْنِ أَجْمَعِينَ وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي التَّعْبِيرِ حَدِيثَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ وَكَانَ يَأْتِي جِرَاءً فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي دَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتَزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَأَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ جِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِيءٍ فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِيءٍ فَأَخَذَنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِيءٍ فَأَخَذَنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] حَتَّى بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ ﴿مَا لَمْ يَغْلَمْ﴾ فَزَجَعَ بِهَا تَرْجُفٌ بِوَادِرِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمِّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوْحُ فَقَالَ يَا خَدِيجَةُ مَا لِي

وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ لَهُ كَلَّا أَبْشِرْ قَوْلَ اللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتُقْرِئُ الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَيُّ ابْنِ عَمِّ اسْمِعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ.

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُخْرِجِيْ هُمْ فَقَالَ وَرَقَةُ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَدَّرًا.

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيَ فَنَزَّ حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغْنَا حُزْنًا عَدَا مِنْهُ مَرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لَكِنِّي يُلْقِي نَفْسُهُ مِنْهُ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِدَلِكِ جَاشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَنَرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِيَمْلَأَ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ مَا أَنَا بِقَارِيءٍ أَنِي إِنِّي أُمِّي فَلَا أَفْرَأُ الْكُتُبَ وَقَوْلُهُ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ هِيَ جَمْعُ بَادِرَةٍ وَهِيَ اللَّحْمَةُ الَّتِي بَيْنَ الْعُنُقِ وَالْمَنْكَبِ وَقَوْلُ وَرَقَةَ لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا الضَّمِيرُ لِلنُّبُوَّةِ أَنِي لَيْتَنِي كُنْتُ شَابًا عِنْدَ ظُهُورِهَا حَتَّى أَبَالِغَ فِي نُصْرَتِهَا.

وَأَخْرَجَ النَّبِيَّ هَاقِي أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَابْتَدَأَهُ بِالنُّبُوَّةِ كَانَ لَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَمِعَ مِنْهُ فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا الشَّجَرَ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْحِجَارَةِ وَهِيَ تُحْيِيهِ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ جَاوَزْتُ بِحَرَاءٍ شَهْرًا فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا فَلَمْ أَتُبَّ لَهُ فَاتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ دَثُرُونِي دَثُرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا فَتَزَلَّتْ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ﴾ [المدثر: ١] الْآيَةَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفَرَضَ الصَّلَاةُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ أَنَّ وَرْقَةَ قَالَ لَهُ أَبَشِرْ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
وَأَنَّكَ عَلَى مِثْلِ نَامُوسِ مُوسَى وَأَنَّكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَدِيلٍ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ جَبْرِيلَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ وَنَزَلَ عَلَى آدَمَ
اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً وَعَلَى إِدْرِيسَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ وَعَلَى نُوحٍ خَمْسِينَ مَرَّةً وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ اِثْنَتَيْنِ
وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً وَعَلَى مُوسَى أَرْبَعِمِائَةَ مَرَّةً وَعَلَى عِيسَى عَشَرَ مَرَّاتٍ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ.

وَقَدْ رَوَى أَنَّ جَبْرِيلَ تَبَدَّى لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَطْيَبِ رَائِحَةٍ
فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ يُقَرِّتُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ أَنْتَ رَسُولِي إِلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ فَادْعُهُمْ إِلَى
قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ ضَرَبَ بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ فَتَبَعَتْ عَيْنُ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَقَامَ جَبْرِيلُ يُصَلِّي وَأَمَرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ مَعَهُ فَعَلِمَهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ ثُمَّ عَرَجَ
إِلَى السَّمَاءِ وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا مَدْرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا وَهُوَ
يَقُولُ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أَتَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَخْبَرَهَا فَعُشِيَ عَلَيْهَا مِنْ
الْفَرَحِ ثُمَّ أَمَرَهَا فَتَوَضَّأَتْ وَصَلَّى بِهَا كَمَا صَلَّى بِهِ جَبْرِيلُ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ فَرَضِهَا رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقَرَّهَا فِي السَّفَرِ كَذَلِكَ وَأَتَمَّهَا فِي الْحَضَرِ.

وَعَنِ الْإِمَامِ الشَّعْبِيِّ أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبُيُوتُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَقُرِنَ
بِبُيُوتِهِ إِسْرَافِيلُ ثَلَاثَ سِنِينَ فَكَانَ يُعَلِّمُهُ الْكَلِمَةَ وَالشَّيْءَ وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ فَلَمَّا
مَضَتْ ثَلَاثَ سِنِينَ قُرِنَ بِبُيُوتِهِ جَبْرِيلُ فَتَنَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ عِشْرِينَ سَنَةً رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ
وَعُيُورُهُ، فَقَدْ تَبَيَّنَ أَيُّ مِنْ جُمْلَةٍ مَا سَاقَهُ أَنْ تُبَوِّتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ مُتَقَدِّمَةً عَلَى
رِسَالَتِهِ فَكَانَ فِي نُزُولِ سُورَةِ اقْرَأْ بُبُوْتُهُ وَفِي نُزُولِ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ إِزْسَالُهُ بِالْعَدَارَةِ وَالْبِشَارَةِ
وَالْتَّشْرِيعِ وَهَذَا قَطْعًا مُتَأَخِّرٌ عَنِ الْأَوَّلِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَ صَدِيقُهُ النُّسَاءُ
خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَامَتْ بِأَعْبَاءِ الصَّدِيقِيَّةِ قَالَتْ لَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَشِيتُ عَلَى
نَفْسِي فَقَالَتْ لَهُ أَبَشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ثُمَّ اسْتَدَلَّتْ بِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَخْلَاقِ
وَالسَّيِّمِ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا يُخْزَى أَبَدًا، وَكَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ آمَنَ بِغَدَاةِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَآزَرَهُ فِي اللَّهِ، وَأَوَّلَ صَبِيٍّ آمَنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَسَيِّئُهُ عَشْرَ
سِنِينَ.

وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنَ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَمِنَ الْعَبِيدِ بِلَالٌ، ثُمَّ أَسْلَمَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ

وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ بِدُعَاءِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَجَاءَ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ فَأَسْلَمُوا وَصَلُّوا ثُمَّ أَسْلَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ وَأَبُو سَلَمَةَ بَعْدَ تِسْعَةِ أَنْفُسٍ وَالْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ الْمَخْزُومِيُّ وَعُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ الْجُمَحِيُّ وَأَخَوَاهُ قُدَامَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ وَأَمْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ، وَأَوَّلُ امْرَأَةٍ أَسْلَمَتْ بَعْدَ خَدِيجَةَ أُمِّ الْفَضْلِ زَوْجُ الْعَبَّاسِ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ أَرْسَالًا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَصْدَعَ بِمَا جَاءَ بِهِ أَيْ يُوَاجِهَ بِهِ الْمُشْرِكِينَ فَمَا زَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا حَتَّى تَزَلَّتْ [الحجر: ٩٤] فَجَهَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قَالُوا وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ مِنَ النَّبُوءَةِ وَهِيَ الْمُدَّةُ الَّتِي أَخْفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ فِيهَا إِلَى أَنْ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِإِظْهَارِهِ فَتَدَايَ قَوْمَهُ بِالْإِسْلَامِ وَصَدَعَ بِهِ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يَبْعُدْ قَوْمَهُ وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ حَتَّى ذَكَرَ إِلَهُتَهُمْ وَعَابَهَا فَأَجْمَعُوا عَلَى خِلَافِهِ وَعَدَاوَتِهِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ وَحَدِثَ عَلَيْهِ عَمَهُ أَبُو طَالِبٍ وَمَنَعَهُ مِنْهُمْ وَقَامَ دُونَهُ فَاشْتَدَّ الْأَمْرُ وَتَضَارَبَ الْقَوْمُ وَأَظْهَرَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْعَدَاوَةَ وَتَدَامَرَتْ قُرَيْشٌ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ يُعَذِّبُونَهُمْ وَيَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَمَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مِنْهُمْ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَبَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَّلِبِ غَيْرَ أَبِي لَهَبٍ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فِي مَنَازِلِهِمْ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَبُو لَهَبٍ وَرَأَاهُ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتْرَكُوا دِينَ آبَائِكُمْ.

وَرَمَاهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بِالسَّحَرِ وَتَبِعَهُ قَوْمُهُ عَلَى ذَلِكَ وَأَذَنَهُ قُرَيْشٌ وَرَمَوْهُ بِالسَّحَرِ وَالْكَهَانَةِ وَالْجُنُونِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَحْثُو الثَّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ وَيَجْعَلُ الدَّمَ عَلَى بَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَطِيءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رَقَبَتِهِ الشَّرِيفَةِ وَهُوَ سَاجِدٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّى كَادَتْ عَيْنَاهُ تَبْرَزَانِ وَخَنَقُوهُ خَنْقًا شَدِيدًا فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ دُونَهُ فَجَذَبُوا رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ حَتَّى سَقَطَ أَكْثَرُ شَعْرِهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَفَّ ثَوْبَهُ فِي عُقْبَتِهِ وَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا.

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَجَمَعَ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمَرَّائِيِّ أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جُزُورِ آلِ فُلَانٍ فَيَعْمَدُ

إِلَى قُرَيْشِهَا وَدَيْمِهَا وَسَلَاهَا فَيَجِيءُ بِهِ ثُمَّ يُنْمِلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَأَنْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ فَلَمَّا سَجَدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَتَبَّتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا فَضَبَحُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الصُّحُفِ فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ وَهِيَ جَوِيرِيَةٌ فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى وَتَبَّتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا حَتَّى أَلْفَنَهُ عَنْهُ وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبِيحُهُمْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثُمَّ سَمَى فَقَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ وَعُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدَ بْنَ عُثْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ وَعُفْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ قَوْلَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَعَى يَوْمَ بَذَرٍ ثُمَّ سَجُّوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبٍ بَذَرٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَّبِعْ أَصْحَابَ الْقَلِيبِ لَعَنَةً وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَكْثَرِهِمْ لِأَنَّ عُفْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ لَمْ يُصْرَغْ فِي بَذَرٍ وَإِنَّمَا قُتِلَ صَبْرًا بَعْدَ أَنْ رَحَلُوا عَنْ بَذَرٍ مَرْحَلَةً وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ لَمْ يُطْرَحْ فِي الْقَلِيبِ وَعُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ هَلَكَ فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ.

ثُمَّ أَسْلَمَ حَمْرَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ أَعَزُّ قَتَى فِي قُرَيْشٍ وَأَشَدُّهُ شَكِيمَةً سَنَةَ سِتٍّ فَعَزَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَفَّتْ عَنْهُ قُرَيْشٌ قَلِيلًا، وَقَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ الشَّرَفَ فِينَا فَتَخُنْ نُسُودَكَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مَلَكًا مَلَكُنَاكَ عَلَيْنَا وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَيْئًا أَيْ جَنًّا قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ بَدَلْنَا أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ الطَّبِّ لَكَ حَتَّى تُبْرِئَكَ مِنْهُ أَوْ نُعَذِّرَ فَيْكَ فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا بِي مَا تَقُولُونَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَبْشِي رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.

ثُمَّ إِنَّ النَّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ وَعُفْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ذَهَبَا إِلَى أَخْبَارِ الْيَهُودِ فَسَأَلَاهُمْ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا لَهُمَا سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثَةٍ فَإِنْ أَخْبَرْتُكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَإِنْ لَمْ يُجِبْ فَهُوَ مُتَقَوِّلٌ سَلُوهُ عَنْ فِتْنَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ وَعَنْ رَجُلٍ طَوَافٍ وَعَنْ الرُّوحِ مَا هُوَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَ الْفِتْنَةِ الَّذِينَ ذَهَبُوا وَهُمْ أَصْحَابُ الْكَهْفِ وَذِكْرَ الرَّجُلِ الطَّوَافِ وَهُوَ ذُو الْقُرَيْنَيْنِ وَقَالَ فِي الرُّوحِ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُطْلِعْ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَقِيقَةِ الرُّوحِ بَلْ يَخْتَلِئُ أَنْ يَكُونَ أَطْلَعَهُ وَلَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يُطْلِعَهُمْ وَقَدْ قَالُوا فِي عِلْمِ السَّاعَةِ نَحْوُ هَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَلَمَّا كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَظَهَرَ الْإِيمَانُ أَقْبَلَ كُفَارُ قُرَيْشٍ عَلَى مَنْ آمَنَ يُعَذِّبُونَهُمْ وَيُؤْذُونَهُمْ لِيُرْدُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ حَتَّى أَنَّهُ مَرَّ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ بِسُمَيَّةَ أُمِّ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَهِيَ تُعَذِّبُ فُطْعَنَهَا بِحَرْبَةٍ فَقَتَلَهَا، وَكَانَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا مَرَّ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَبِيدِ يُعَذِّبُ اشْتَرَاهُ وَأَعْتَقَهُ مِنْهُمْ بِلَالٌ وَعَامِرُ بْنُ قُهَيْرَةَ، وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ سَبْعَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلَالٌ وَالْمِقْدَادُ فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأُمِّ أَبِي بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يُعَذِّبُونَهُمْ فَأَلْبَسُوهُمْ أَذْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ وَإِنْ بِلَالًا هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَغَطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطْفُونُونَهُ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ.

ثُمَّ أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ فِي الْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ وَلِذَلِكَ فِي رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ النَّبُوَّةِ فَهَاجَرَ إِلَيْهَا نَاسٌ ذَوُو عَدَدٍ مِنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ وَأَمِيرُهُمْ عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ مَعَ امْرَأَتِهِ رُقَيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ خَبَرُهُمَا فَقَدِمَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ رَأَيْتُهُمَا وَقَدْ حَمَلَ عُثْمَانُ امْرَأَتَهُ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ عُثْمَانَ لَأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ لُوطٍ، فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ اسْتِقْرَارَهُمْ فِي الْحَبَشَةِ وَأَمْنَهُمْ أَرْسَلُوا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بِهَدَايَا وَتَحْفٍ مِنْ بِلَادِهِمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَاسْمُهُ أَصْحَمَةُ وَكَانَ مَعَهُمَا عَمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ لِيُرْدُوهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ فَأَبَى ذَلِكَ وَرَدَّهُمَا حَاتِيَيْنِ بِهَدِيَّتَيْهِمَا.

وَأَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِيمَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ يَدْعُوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ ذَاكَ بِضَعَةَ وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا وَإِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ اسْتَبَشَرَ أَهْلُ السَّمَاءِ بِإِسْلَامِ عُمَرَ.

وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ عِزَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ مَعَهُ وَإِسْلَامَ عُمَرَ وَعِزَّةَ أَصْحَابِهِ بِالْحَبَشَةِ وَفُشُو الْإِسْلَامِ فِي الْقَبَائِلِ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَقْتُلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَبَّغَ ذَلِكَ أَبَا طَالِبٍ فَجَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ فَأَذْخَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

شِعْبَهُمْ وَمَنَعُوهُ مِمَّنْ أَرَادَ قَتْلَهُ وَأَجَابَهُ لِذَلِكَ حَتَّى كَفَّارُهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ حَمِيَّةً فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشُ ذَلِكَ اجْتَمَعُوا وَاتَّخَمُوا أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا يَتَعَاقَدُونَ فِيهِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ أَنْ لَا يَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يَنْكِحُوهُمْ وَلَا يَبِيعُوا مِنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يَبْتَاعُوا مِنْهُمْ وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صَلَاحًا أَبَدًا حَتَّى يُسَلِّمُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْقَتْلِ وَكَتَبُوهُ فِي صَحِيفَةٍ بِخَطِّ بَغِيضِ بْنِ عَامِرٍ فَشَلَّتْ يَدُهُ وَعَلَقَتْ الصَّحِيفَةُ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ هَلَالُ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ النَّبُوءَةِ فَانْحَازَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَدَخَلُوا مَعَهُ فِي شِعْبِهِ إِلَّا أَبَا لَهَبٍ فَكَانَ مَعَ قُرَيْشٍ فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ سِتِّينَ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى جُهِدُوا وَكَانَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ إِلَّا سِرًّا.

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ مَنْ فِي الْحَبَشَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ نَفَرٌ مِنْهُمْ لِيُظَنِّهِمْ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا كُلَّهُمْ وَصَلُّوا مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ آمَنَ الْمُسْلِمُونَ بِمَكَّةَ فَأَقْبَلُوا سِرَاعًا مِنَ الْحَبَشَةِ، ثُمَّ هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ الْهَجْرَةَ الثَّانِيَةَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَعِدَّتُهُمْ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا وَثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً وَكَانَ مَعَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ مَعَ امْرَأَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ فَتَنَصَّرَ هُنَاكَ ثُمَّ تُوُفِّيَ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ.

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ بِالْحَبَشَةِ، ثُمَّ قَامَ رَجُلَانِ فِي تَقْضِ الصَّحِيفَةِ فَأُطْلِعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ أَكَلَتْ جَمِيعَ مَا فِيهَا مِنَ الْقَطِيعَةِ وَالظُّلْمِ فَلَمْ تَدَعْ إِلَّا أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَطْ فَلَمَّا أُنْزِلَتْ لِتَمَرَّقُ وَجِدَتْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ، وَلَمَّا أَتَتْ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَأَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا مَاتَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ قَبْلَ هِجْرَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِثَلَاثِ سِنِينَ.

وَحَكِي عَنْ هِشَامِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ جَمَعَ إِلَيْهِ وَجُوهَ قُرَيْشٍ فَأَوْصَاهُمْ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَنْتُمْ صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ إِلَى أَنْ قَالَ وَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِمُحَمَّدٍ خَيْرًا فَإِنَّهُ الْأَمِينُ فِي قُرَيْشٍ وَالصِّدِّيقُ فِي الْعَرَبِ وَهُوَ النَّجَامُ لِكُلِّ مَا أَوْصِيكُمْ بِهِ وَقَدْ جَاءَ بِأَمْرِ قَبِيلَةِ الْجَنَانِ وَالْأَنْكَرَةِ اللَّسَّازِ مَخَافَةَ الشُّنَّانِ وَإِنَّمَا اللَّهُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى صَعَالِيكِ الْعَرَبِ وَأَهْلِ الْوَبَرِ وَالْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النَّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ وَصَدَّقُوا

كَلِمَتَهُ وَعَظَّمُوا أَمْرَهُ فَخَاضَ بِهِمْ عَمَرَاتِ الْمَوْتِ فَصَارَتْ رُؤْسَاءُ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَابًا
وَدُورُهَا خَرَابًا وَضَعْفَاؤُهَا أَرْبَابًا وَإِذَا أَعْظَمَهُمْ عَلَيْهِ أَخَوَجُهُمْ إِلَيْهِ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَخْطَاهُمْ عِنْدَهُ
قَدْ مَحَضَّتْهُ الْعَرَبُ وَدَادَهَا وَأَصْفَتْ لَهُ فُؤَادَهَا وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ كُونُوا لَهُ وَلَاةَ
وَلِجَزِيرِهِ حِمَاةَ وَاللَّهِ لَا يَسْلُكُ أَحَدٌ سَبِيلَهُ إِلَّا رَشَدٌ وَلَا يَأْخُذُ بِهِدْيِهِ إِلَّا سَعِدَ وَلَوْ كَانَ لِتَنْفُسِي
مُدَّةٌ وَلَا جَلِي تَأْخِيرٌ لَكَفَفْتُ عَنْهُ الْهَزَاهِرَ وَلَدَفَعْتُ عَنْهُ الدَّوَاهِيَ ثُمَّ هَلَكَ .

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَقِيلَ بِخُمْسَةِ فِي رَمَضَانَ بَعْدَ الْبُعْثِ بِعَشْرِ سِنِينَ عَلَى الصَّحِيحِ
مَاتَتْ حَدِيدَجَةُ أُمُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّي ذَلِكَ الْعَامَ عَامَ
الْحُزْنِ وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهَا مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى الصَّحِيحِ ثُمَّ
بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ مَوْتِ حَدِيدَجَةَ تَرَوَّجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسُودَةٍ بَنَتْ رَمْعَةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثُمَّ
خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ لِمَا نَالَهُ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَكَانَ مَعَهُ
زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَأَقَامَ بِهِ شَهْرًا يَدْعُو أَشْرَافَ ثَقِيفٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ يُجِيبُوهُ وَأَعْرَفُوا بِهِ
سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ يَسُبُّونَهُ وَرَمَوْا عَرَاقِيْبَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى اخْتَضَبَتْ نَعْلَاهُ بِالدَّمَاءِ وَكَانَ إِذَا
أَزْلَقَتْهُ الْحِجَارَةُ قَعَدَ إِلَى الْأَرْضِ فَيَأْخُذُونَ بِعَضْدِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقِيْمُونَهُ فَإِذَا مَشَى
رَجَمُوهُ وَهُمْ يَضْحَكُونَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَقِيهِ بِنَفْسِهِ حَتَّى لَقِيَ شُجَّ فِي رَأْسِهِ شِجَاجًا .

وَفِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْ يَوْمٍ أُحِدَ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدَّ مَا
لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِيبْنِي إِلَى مَا
أَرَدْتُ فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِيقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا
بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَنَتْنِي فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ
قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا بِهِ عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ
فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ
وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخَشَبِينَ وَهُمَا جَبَلَانِ .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَزْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَضْلَالِهِمْ مَنْ يَغْبُدُ اللَّهَ
وَخَدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّائِفِ عَشْرَةَ أَيَّامٍ . وَلَمَّا
انْصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَتَيْ رَبِيعَةَ وَهُمَا فِي
حَائِطٍ لُهُمَا فَلَمَّا رَأَى مَا لَقِيَ تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا فَبَعَثَا لَهُ مَعَ عَدَّاسِ النَّضْرَانِيِّ غُلَامِيْنِمَا قَطَفَ

عَنْبٍ فَلَمَّا وَضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَضَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الْقُطْفِ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ ثُمَّ أَكَلَ
فَنَظَرَ عَدَّاسٌ إِلَى وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبَلَدَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ وَمَا دِينُكَ قَالَ نَصْرَانِيٌّ مِنْ نِسْيَوَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَالَ وَمَا يُدْرِيكَ قَالَ ذَلِكَ أَخِي وَهُوَ نَبِيٌّ
مِثْلِي فَأَكْبَ عَدَّاسٌ عَلَى يَدَيْهِ وَرَأْسِهِ وَرَجُلَيْهِ يُقْبِلُهَا وَأَسْلَمَ، وَلَمَّا نَزَلَ لَحْخَلَةٌ وَهُوَ مُوَضَّعٌ عَلَى
لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ صُرِفَ إِلَيْهِ سَبْعَةٌ مِنْ جُنِّ نَصِيبِيْنَ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَامَ فِي جَوْفِ
الْلاَّيْلِ يُصَلِّي فَاِسْتَمَعُوا لَهُ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْحِجْنِ وَالَّذِي آذَنَهُ بِهِمْ شَجَرَةٌ.

وَفِي طَرِيقِهِ هَذِهِ دَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالدُّعَاءِ الْمَشْهُورِ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ
قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَنْتَ رَبُّ
الْمُسْتَضْعَفِينَ إِلَى مَنْ تَكَلَّمِي إِلَى عَدُوِّ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَى صَدِيقٍ قَرِيبٍ مَلَكَتْهُ أَمْرِي إِنْ لَمْ
تَكُنْ غَضَبَانَا عَلَيَّ فَلَا أَبَالِي غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي أَعُوذُ بِثَوْرِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَتْ لَهُ
السَّمَوَاتُ وَأَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ أَوْ يَحِلَّ
بِي سَخَطُكَ وَلَكَ الْعُثْبَى حَتَّى تَرْضَى وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ ثُمَّ دَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَكَّةَ فِي جَوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

وَلَمَّا كَانَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقَظَةً مِنْ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ثُمَّ عُرِجَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى فَوْقِ سَبْعِ
سَمَوَاتٍ وَرَأَى رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى وَفَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ثُمَّ
انْصَرَفَ فِي لَيْلَتِهِ إِلَى مَكَّةَ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ فَصَدَّقَهُ الصَّدِيقُ وَكُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَكَذَّبَهُ الْكُفَّارُ
وَاسْتَوْصَفُوهُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ فَمَثَّلَهُ اللَّهُ لَهُ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَصِفُهُ وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ النَّعْبِ بِخَمْسِ
سِنِينَ وَقِيلَ كَانَ لَيْلَةَ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ وَاخْتَارَهُ الْحَافِظُ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمَقْدِسِيُّ وَقِيلَ
لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَقِيلَ لَيْلَةَ السَّبْتِ.

١٢٠ هـ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ وَإِنْجَازَ مُوْعِدِهِ لَهُ خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي الْمَوْسِمِ الَّذِي لَقِيَ فِيهِ الْأَنْصَارَ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ
كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الْخَزْرَجِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا
فَقَالَ لَهُمْ مَنْ أَنْتُمْ قَالُوا نَفَرْنَا مِنَ الْخَزْرَجِ قَالَ أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكَلَمَكُمُ قَالُوا بَلَى فَجَلَسُوا مَعَهُ
فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ وَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ أَنْ يَهْدِيَ الْيَهُودَ

كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَكَانَ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا إِنَّ نَبِيًّا سَيَنْبُتُ فَقَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ تَتَّبِعُهُ فَتَفْتَلِكُمْ مَعَهُ فَلَمَّا كَلَّمَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفُوا اللَّغْتَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَا تَسْبِقْنَا الْيَهُودَ إِلَيْهِ فَأَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَصَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ نَفَرٍ وَهُمْ أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِقَاعَةَ وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ وَرَافِعُ ابْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجَلَانِ وَقُطَيْبَةُ ابْنُ عَامِرِ بْنِ حُدَيْدَةَ وَعُقَيْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَابِيٍّ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِيَابٍ.

فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمْنَعُونَ ظَهْرِي حَتَّى أُبْلَغَ رِسَالَةَ رَبِّي فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَتْ بُعَاثُ عَامٍ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِنَا افْتَتَلْنَا بِهِ فَإِنْ تَقَدَّمَ وَنَحْنُ كَذَلِكَ لَا يَكُونُ لَنَا عَلَيْكَ اجْتِمَاعٌ فَدَعَوْنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى عَشَائِرِنَا لَعَلَّ اللَّهَ يُصْلِحُ ذَاتَ بَيْنِنَا وَنَدْعُوهُمْ إِلَى مَا دَعَوْنَا فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَيْكَ فَإِنْ اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَيْكَ وَاتَّبَعُوكَ فَلَا أَحَدَ أَعَزَّ مِنْكَ وَمَوْعِدُكَ الْمَوْسِمُ الْعَامُ الْفَاقِلُ وَانصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ لَقِيَهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا وَهِيَ الْعَقَبَةُ الثَّانِيَةُ فَأَسْلَمُوا فِيهِمْ خَمْسَةٌ مِنَ السِّتَةِ الْمَذْكُورِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِيَابٍ وَالسَّبْعَةُ تَتِمَّةُ الْإِثْنِي عَشَرَ هُمْ مُعَاذُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِقَاعَةَ وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ أَخُو عَوْفِ الْمَذْكُورِ قَبْلًا وَذُكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسِ الزُّرْقِيِّ وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَيَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْبَلَوِيِّ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ وَهَؤُلَاءِ مِنَ الْخَزْرَجِ وَمِنْ الْأَوْسِ رَجُلَانِ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَعَوْنُ بْنُ سَاعِدَةَ.

فَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوا عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ أَيْ وَفِي بَيْعَتِهِنَّ الَّتِي أُنْزِلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَهِيَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تُسْرِقَ وَلَا تُزْنِيَ وَلَا تُقْتُلَ أَوْلَادَنَا وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ تُفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ وَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمُنْشِطِ وَالْمَكْرَهُ وَأُتْرَتِهِ عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَأَنْ نَقُولَ الْحَقَّ حَيْثُ كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَيِّمٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ وَفَّقْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ وَمَنْ غَشِيَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذْبُهُ وَإِنْ شَاءَ عَقَا عَنْهُ وَلَمْ يُفْرَضْ يَوْمَئِذٍ الْقِتَالُ ثُمَّ انصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَظْهَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ يَجْمَعُ بِالْمَدِينَةِ بِمَنْ أَسْلَمَ وَكَتَبَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْعَثْ إِلَيْنَا مَنْ يُفَرِّئُنَا الْقُرْآنَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُضْعَبَ بْنَ عَمْرٍِ فَأَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ خَلَقَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَأَسْلَمَ بِإِسْلَامِهِمَا جَمِيعُ بَنِي

عَبْدُ الْأَشْهَلِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ حَاشَا الْأَصْبِرِمَ وَهُوَ عَمَرُو بْنُ ثَابِتٍ بْنُ وَقْشٍ فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَى يَوْمٍ أُحْدٍ فَأَسْلَمَ وَاسْتَشْهَدَ وَلَمْ يَسْجُدْ لِلَّهِ سَجْدَةً وَاحِدَةً وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَلَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ مُتَافِقٌ وَلَا مُتَافِقَةٌ بَلْ كَانُوا كُلُّهُمْ حَتَفَاءَ مُخْلِصِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

ثُمَّ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَقَبَةِ الثَّالِثَةِ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ فِي ذِي الْحِجَّةِ أَوْسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا وَأَمْرَاتَانِ وَقَالَ الْحَاكِمُ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ نَفْسًا فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلْمُبَايَعَةِ الْبَرَاءُ بْنُ مَغُورٍ وَيُقَالُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّازَةَ عَلَى أَنَّهُمْ يَمْنَعُونَهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَعَلَى حَزْبِ الْأَخْمَرِ وَالْأَسْوَدِ فَتَقَبَّ عَلَيْهِمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا .

وَمَكَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوَاسِمِ بِمَنْى وَعَظِيمًا يَقُولُ مَنْ يُؤْمِنِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبْلَغَ رِسَالَةَ رَبِّي فَلَهُ الْجَنَّةُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الْأَنْصَارَ وَلَمَّا ثَمَّتْ لَهُ الْبَيْعَةُ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ مَعَهُ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَخَرَجُوا أَرْسَالًا وَأَقَامَ بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤَدَّ لَهُ فِي الْخُرُوجِ ثُمَّ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ فِي دَارِ الْكُدَّةِ يَتَشَاوَرُونَ فِيمَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ وَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ فَأَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَا تَبْتَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرْضُدُونَهُ حَتَّى يَتَامَ فَيَبْشُرُوا عَلَيْهِ فَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا فَنَامَ مَكَانَهُ وَعُطِيَ بِزِدٍ أَخْضَرَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ شَرَى نَفْسَهُ فِي اللَّهِ ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ فَلَمَ يَرَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَنَزَرَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ كُلِّهِمْ ثُرَابًا كَانَ فِي يَدِهِ وَهُوَ يَثْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَسْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩] ثُمَّ انْصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ أَرَادَ فَأَتَاهُمْ آتٍ مِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فَقَالَ مَا تَنْتَظِرُونَ هَهُنَا قَالُوا مُحَمَّدًا قَالَ قَدْ حَبَّبَكُمْ اللَّهُ قَدْ وَاللَّهِ خَرَجَ مُحَمَّدٌ عَلَيْكُمْ ثُمَّ مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ ثُرَابًا وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ أَقْمَا تَرَوْنَ مَا بِكُمْ فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ عَلَى رَأْسِهِ فَإِذَا عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ حَصَاةٌ إِلَّا قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا وَفِي هَذِهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] .

ثُمَّ أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَشْرُفَ بِهِ الْمَكَانَ كَمَا تَشْرَفُ بِهِ الزَّمَانُ وَلَمَّا هَاجَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا شَرُفَتْ بِهِ حَتَّى وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنْ أَفْضَلَ الْبَقَاعِ الْمَوْضِعُ الَّذِي ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الْكَرِيمَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ لِإِهْلَالِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ، وَأَمَرَهُ جِبْرِيلُ أَنْ يَسْتَضْحِبَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَلِيًّا بِمَخْرَجِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْهُ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ وَأَتَى دَارَ أَبِي بَكْرٍ مُسْتَخْفِيًا فَاسْتَضْحَبَهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ فَأَبَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِالثَّمَنِ لِيَسْتَكْمِلَ فَضْلَ الْهَجْرَةِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ وَجَهَزْنَاهُمَا أَحَبَّ الْجَهَازِ ثُمَّ لَحِقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارِ ثَوْرٍ وَهُوَ جَبَلٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ وَنَظَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خُرُوجِهِ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ وَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَحَبُّ أَزْوَاجِ اللَّهِ إِلَيَّ وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ أَزْوَاجِ اللَّهِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنْ أَهْلَكَ أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا خَرَجْتُ وَلَمَّا فَقَدْتُ قُرَيْشَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَبُوهُ بِمَكَّةَ أَغْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا وَبَعَثُوا الْقَافَةَ أَتْرَهُ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ وَجَعَلُوا مِائَةَ نَاقَةٍ لِمَنْ رَدَّهُ فَلَمْ يَظْفَرُوا بِهِ وَأَنْبَتَ اللَّهُ عَلَى بَابِ الْغَارِ شَجَرَةً أُمُّ غَيْلَانَ وَأَمَرَ الْعَنْكَبُوتَ فَتَسَجَّتْ عَلَى وَجْهِ الْغَارِ وَأَرْسَلَ حِمَامَتَيْنِ وَحُشِيَتَيْنِ فَوَقَفَتَا عَلَى وَجْهِ الْغَارِ وَحَمَامُ الْحَرَمِ مِنْ نَسْلِ تَيْنِكَ الْحِمَامَتَيْنِ وَأَقْبَلَ فَنِيَانُ قُرَيْشَ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ حَتَّى وَصَلَ بَعْضُهُمُ الْغَارَ وَصَدَّهُمْ وَجُودُ الْحِمَامَتَيْنِ وَقَالَ أَحَدُهُمُ ادْخُلُوا الْغَارَ فَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ إِنَّ فِيهِ لَعَنْكَبُوتًا أَقْدَمَ مِنْ مِيلَادِ مُحَمَّدٍ.

وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْحِمَامَتَيْنِ بَاضَتَا فِي أَسْفَلِ الثُّغْبِ وَتَسَجَّ الْعَنْكَبُوتُ فَقَالُوا لَوْ دَخَلْنَا لَتَكَسَّرَ الْبَيْضُ وَتَفْسَخَ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الْإِعْجَازِ مِنْ مُقَاوَمَةِ الْقَوْمِ بِالْجُنُودِ وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ أَعِمْ أَبْصَارَهُمْ فَعَمِيَتْ عَنْ دُخُولِ الْغَارِ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ حَوْلَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَرَأَا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا.

وَرَوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ وَقَدْ تَقَطَّرَتَا دَمًا فَاسْتَبْكَيْتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ تَعُودُ الْحَفَاءَ وَالْجَفَوَةَ وَرَوَى أَنَّهُ دَخَلَ الْغَارَ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَقِيَهُ بِتَفْسِهِ وَأَنَّهُ رَأَى جُحْرًا فِيهِ فَأَلْقَمَهُ عَقِبَهُ لِئَلَّا يَخْرُجَ مِنْهُ مَا يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ وَنَامَ فَلَدِعَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِجْلِهِ

مِنَ الْجُحْرِ وَلَمْ يَتَحَرَّكَ فَسَقَطَتْ دُمُوعُهُ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَالِكُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ لِدَغْتُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي فَتَقَلَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ، وَرَوِي أَنَّهُ لَمَّا رَأَى الْقَافَةَ اشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ إِنْ قُتِلْتُ فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَإِنْ قُتِلْتَ أَنْتَ هَلَكَتِ الْأُمَّةُ فَعِنْدَهَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» يَغْنِي بِالْمَعُونَةِ وَالنُّصْرِ «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ» وَهِيَ أَمَنَةٌ تَسْكُنُ عِنْدَهَا الْقُلُوبُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ مُزْعِجًا «وَأَيَّدَهُ» يَغْنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا» يَغْنِي الْمَلَائِكَةُ لِيُخْرِسُوهُ فِي الْغَارِ وَلِيَضْرِبُوا وَجْهَ الْكُفَّارِ وَأَبْصَارَهُمْ عَنْ رُؤْيَيْهِ.

وَمَكَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْغَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَكَانَ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ بِمَكَّةَ فَجِئْنَ يَخْتَلِطُ الظُّلَامُ يَأْتِيهِمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَيَرْوِحُ عَلَيْهِمَا بَعْدَ الْعِشَاءِ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ يَغْنَمُ فَيَكْتَفِيَانِ مِنْ لَبَنٍهَا وَاسْتَأْجَرَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْأَزْرقِطِ ذَلِيلًا وَهُوَ كَافِرٌ وَلَمْ يُعْرِفْ لَهُ إِسْلَامًا فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا هُوَ وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ عَلَى طَرِيقِ السَّوَاجِلِ فَمَرُّوا بِقُدَيْدٍ عَلَى أُمِّ مَعْبِدٍ عَاتِكَةَ بِنْتِ خَالِدِ الْخَزَاعِيَّةِ فَطَلَبُوا لَبَنًا أَوْ لَحْمًا يَشْتَرُونَهُ مِنْهَا فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهَا شَيْئًا فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْخِيَمَةِ خَلْفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْعَنَمِ فَسَأَلَهَا هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ فَقَالَتْ هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ أَتَأْذِينِ لِي أَنْ أَخْلُبَهَا.

فَقَالَتْ نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلَبًا فَاخْلُبْهَا فَدَعَا بِالشَّاةِ فَاغْتَقَلَهَا وَمَسَحَ ضَرْعَهَا فَذَرَّتْ وَدَعَا بِإِنَاءٍ يُشْبِعُ الْجَمَاعَةَ فَحَلَبَ فِيهِ وَسَقَى الْقَوْمَ حَتَّى رَوَّا ثُمَّ شَرِبَ آخِرَهُمْ ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ مَرَّةً أُخْرَى عَلَلًا بَعْدَ نَهْلٍ ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا وَذَهَبُوا فَمَا لَبِثَ حَتَّى جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبِدٍ يَسُوقُ أَغْنَرًا عِجَافًا فَلَمَّا رَأَى اللَّبَنَ عَجِبَ وَقَالَ مَا هَذَا يَا أُمِّ مَعْبِدٍ قَالَتْ إِنَّهُ مَرٌّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ خَالِهِ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ صَفِيهِ فَوَصَفَتْهُ بِأَحْسَنِ الْأَوْصَافِ فَقَالَ هَذَا وَاللَّهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ لَوْ رَأَيْتُهُ لَاتَّبَعْتُهُ وَبَقِيتَ هَذِهِ الشَّاةُ إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ تُحْلَبُ صَبَاحًا وَمَسَاءً.

ثُمَّ تَعَرَّضَ لَهَا بِقُدَيْدٍ سَرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ الْمُذَلِّجِي فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْنَا قَالَ كَلَّا وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَعَوَاتٍ فَسَاحَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ وَطَلَبَ الْأَمَانَ فَقَالَ أَعْلَمُ أَنْ قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ فَادْعُوا لِي وَلَكُمْ أَنْ أُرِدَّ النَّاسَ عَنْكُمَا وَلَا أَضُرَّكُمَا قَالَ فَوْقًا لِي فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمَا فَأَخْبَرْتُهُمَا خَبَرَ مَا يُرِيدُهُ بِهِمَا النَّاسُ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمَا الرَّادَ

وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَزَلْ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاجْتِازَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ بِعَبْدٍ يَزْعَى غَنَمًا فَاسْتَسْقِيَاهُ اللَّبَنَ فَقَالَ مَا عِنْدِي شَاءَ تَحْلُبُ غَيْرَ أَنْ هَهُنَا عَنَّا قَحْلٌ عَامٌ أَوَّلَ وَمَا بَقِيَ بِهَا لَبَنٌ فَقَالَ ادْعُ بِهَا فَأَتَى بِهَا وَحَلَبَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَأَسْلَمَ الرَّاعِي.

وَلَمَّا بَلَغَ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ خُرُوجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ وَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ يَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدُّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَمَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ فَلَمَّا أَوْوَا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى أَطْمٍ مِنْ أَطَامِهِمْ لِأَمْرِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مُبْيَضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ نَفْسَهُ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا بَنِي قَيْلَةَ يَغْنِي الْأَوْسَ وَالخَزْرَجَ هَذَا جَدُّكُمْ أَيْ حَظَّكُمْ وَمَطْلُوبُكُمْ قَدْ أَقْبَلَ فَخَرَجُوا إِلَيْهِ سِرَاعًا بِسِلَاحِهِمْ فَتَلَقَّوهُ فَتَزَلَّ بِقَبَاءٍ عَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ثُمَّ خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَبَاءٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ فَأَذْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمٍ بْنِ عَوْفٍ فَصَلَّاهَا بِمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ مِائَةٌ وَرَكِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى دَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ يَدْعُوهُ إِلَى الْمَقَامِ عِنْدَهُمْ قَائِلِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلُمَّ إِلَى الْقُوَّةِ وَالْمَنْعَةِ فَيَقُولُ خَلُّوا سَبِيلَهَا يَغْنِي نَاقَتُهُ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَقَدْ أَرَخَى زِمَامَهَا وَمَا يُحَرِّكُهَا وَهِيَ تَنْظُرُ يَجِينًا وَشِمَالًا حَتَّى إِذَا أَتَتْ دَارَ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ بَرَكْتَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَوْمِيذٍ مِرْبَدٌ تَمُرٌ لِسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ ابْنَتِي رَافِعِ بْنِ عَمْرِو وَهُمَا يَتِيمَانِ فِي حِجْرِ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ ثُمَّ سَارَتْ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا حَتَّى بَرَكْتَ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ سَارَتْ فِيهِ وَبَرَكْتَ فِي مَبْرِكَيْهَا الْأَوَّلِ وَالْأَلْفَتْ جَرَانِهَا أَيْ بَاطِنَ عُنُقِهَا بِالْأَرْضِ وَأَرْزَمَتْ أَيْ صَوَّتَتْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَفْتَحَ فَاهَا وَنَزَلَ عَنْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ هَذَا الْمَنْزِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ رَحْلَهُ وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَكَانَتْ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ أَوْسَطَ دُورِ الْأَنْصَارِ وَأَفْضَلَهَا وَهُمْ أَخْوَالُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَدُّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ وَصَبَعَتْ ذَوَاتُ الْخُدُورِ عَلَى الْأَجَاجِيرِ عِنْدَ قُدُومِهِ يَقُلْنَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثِيَابِ الْوَدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا إِلَهُ دَاعِي
وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضًا لَمَّا بَرَكَتِ الثَّاقَةُ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُّوبَ خَرَجَ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النُّجَارِ
بِالدُّفُوفِ يَقْلَنُ :

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النُّجَارِ يَا حَبِذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَحْيِيَنِي قُلْنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكُمْ، قَالَ الطَّبْرِيُّ وَتَفَرَّقَ الْعِلْمَانُ وَالْحَدَمُ فِي الطَّرِيقِ يَتَأَدُّونَ جَاءَ مُحَمَّدٌ
جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَبِي أَيُّوبَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَلَمَّا أَرَادَ بِنَاءَ
الْمَسْجِدِ قَالَ يَا بَنِي النُّجَارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ قَالُوا لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ فَأَبَى ذَلِكَ
وَابْتِاعَهَا بِعَشْرَةِ دَنَانِيرٍ أَذَاهَا مِنْ مَالِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ بِمَالِهِ
كُلِّهِ، وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاتِّخَاذِ اللَّبَنِ فَاتَّخَذَ وَبَنَى الْمَسْجِدَ وَسَقَفَ بِالْجَرِيدِ وَجُعِلَتْ
عُمْدُهُ خَشَبَ النَّخْلِ وَعَمِلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبَنَ فِي
بَنَائِهِ وَيَقُولُ وَهَمَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ :

هَذَا الْجِمَالُ لَا جِمَالَ خَيْبَرَ هَذَا أَبَرُّ رِبَّنَا وَأَطْهَرُ
اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجَرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ فَأَرْحَمُ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ
وَجُعِلَتْ قِبْلَةُ الْمَسْجِدِ لِلْقُدْسِ وَجُعِلَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ بَابٌ فِي مُؤَخَّرِهِ وَبَابٌ يُقَالُ لَهُ
بَابُ الرَّحْمَةِ وَالبَابُ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ وَجُعِلَ طُولُهُ مِثْلَ يَلِي الْقِبْلَةِ إِلَى مُؤَخَّرِهِ مِائَةُ ذِرَاعٍ وَفِي
الْجَانِبَيْنِ مِثْلَ ذَلِكَ أَوْ دُونَهُ وَجُعِلَ أَسَاسُهُ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثَةِ أَذْرُعٍ وَبَنَى بُيُوتًا إِلَى جَنْبِهِ بِاللَّبَنِ
وَسَقَفَهَا بِجُدُوعِ النَّخْلِ وَالْجَرِيدِ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْبِنَاءِ بَنَى لِعَائِشَةَ فِي النَّبِيِّ الَّذِي يَلِيهِ شَارِعًا إِلَى
الْمَسْجِدِ وَجَعَلَ سَوْدَةً بِنْتَ زَمْعَةَ فِي النَّبِيِّ الْآخِرِ الَّذِي يَلِيهِ ثُمَّ تَحَوَّلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
مِنْ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ إِلَى مَسَاكِينِهِ الَّتِي بَنَاهَا وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَأَبَا رَافِعٍ مَوْلَاهُ فَقَدِمَا
بِقَاطِمَةٍ وَأُمِّ كُلْثُومٍ وَسَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَأُمِّ أَيْمَنَ وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ
مَعَهُمْ بِعِيَالِ أَبِيهِ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى جَذْعٍ فِي الْمَسْجِدِ قَائِمًا فَقَالَ إِنَّ
الْقِيَامَ قَدْ شَقَّ عَلَيَّ فَصَنِعَ لَهُ الْمِنْبَرَ وَسَتَاتِي قِصَّةُ حَنِينِ الْجَذْعِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَقْصِدِ
الْمُعْجَزَاتِ، وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ قُدُومِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخُمْسَةِ أَشْهُرٍ آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ

وَالْأَنْصَارِ وَبَنَى بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي شَوَّالٍ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ وَنَصَبَتْ أَخْبَارُ الْيَهُودِ الْعِدَاوَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْيًا وَحَسَدًا وَانْصَافَ إِلَيْهِمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مُتَافِقُونَ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ مِنَ الشَّرِكِ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ رَأْسُ الْمُتَافِقِينَ وَقَهَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِظُهُورِ الْإِسْلَامِ.

وَأَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقِتَالِ قَالَ الزُّهْرِيُّ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْإِذْنِ بِالْقِتَالِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] فَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبُعُوثَ وَالسَّرَايَا وَغَزَا وَقَاتَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا أَفْوَاجًا وَكَانَ عَدَدُ مَعَارِيزِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّتِي خَرَجَ فِيهَا بِنَفْسِهِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ قَاتَلَ فِي تِسْعٍ مِنْهَا بِنَفْسِهِ بَذَرٍ وَأَحَدٍ وَالْمُرَيْسِيعَ وَالْخَنْدَقَ وَقُرَيْظَةَ وَخَيْبَرَ وَفَتَحَ مَكَّةَ وَحُتَيْنَ وَالطَّائِفَ وَسَرَايَاهُ الَّتِي بَعَثَ فِيهَا سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَرِيَّةً أَوَّلُهَا (سَرِيَّةُ عَمْرِو حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَخَرَجُوا يَغْتَرِضُونَ عِيرًا لِقُرَيْشٍ فَلَمْ يَقَعِ حَرْبٌ ثُمَّ (سَرِيَّةُ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ) إِلَى بَطْنِ رَابِعٍ فِي سِتِّينَ رَجُلًا يَلْقَى أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَكَانَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي مِائَتَيْنِ فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ ثُمَّ (سَرِيَّةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) إِلَى الْخُرَارِ وَادٍ بِالْحِجَازِ فِي عِشْرِينَ رَجُلًا يَغْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ فَوَجَدُوهَا قَدْ مَرَّتْ بِالْأَنْسِ.

غَزْوَةُ وَدَّانَ

ثُمَّ غَزْوَةُ وَدَّانَ وَهِيَ الْأَبْوَاءُ وَهِيَ أَوَّلُ مَعَارِيزِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي صَفَرٍ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ يُرِيدُ قُرَيْشًا فِي سِتِّينَ رَجُلًا وَحَمَلَ اللَّوَاءَ حَمْرَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فَكَانَتْ الْمُوَادَعَةُ أَيْ الْمُصَالَحَةُ عَلَى أَنَّ بَنِي ضَمْرَةَ لَا يَغْزُونَهُ وَلَا يُكْثِرُونَ عَلَيْهِ جَمْعًا وَلَا يُعِينُونَ عَدُوًّا.

غَزْوَةُ بَوَاطٍ

ثُمَّ غَزْوَةُ بَوَاطٍ وَهِيَ الثَّانِيَةُ غَزَاهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ الْأَوَّلِ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَةِ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ فِي مِائَتَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ يَغْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ فِيهِمْ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلَفِ الْجُمَحِيِّ فَرَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا أَيْ حَرْبًا.

غَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ

ثُمَّ غَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ وَهِيَ مَوْضِعٌ لِبَنِي مُذَلِجٍ يَتَّبِعُ خَرَجَ إِلَيْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمَادَى الْأُولَى وَقِيلَ الْأَخِرَةُ عَلَى رَأْسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الْهَجْرَةِ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةً رَجُلٍ وَقِيلَ مِائَتَيْنِ وَمَعَهُمْ ثَلَاثُونَ بَعِيرًا وَحَمَلَ اللَّوَاءُ وَكَانَ أَبْيَضَ حَمْرَةً يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ بِالتَّجَارَةِ فَخَرَجَ إِلَيْهَا لِيُغْنِمَهَا فَوَجَدَهَا قَدْ مَضَتْ وَوَادَعَ بَنِي مُذَلِجٍ مِنْ كِنَانَةَ عَلَى أَنْ يَنْصُرُوهُ وَيَنْصُرُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

غَزْوَةُ بَذْرِ الْأُولَى

ثُمَّ غَزْوَةُ بَذْرِ الْأُولَى أَعَارَ كُرُزُ بْنُ جَابِرٍ الْفِهْرِيُّ عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ بَعْدَ غَزْوَةِ الْعُشَيْرَةِ بَعَشْرَةَ أَيَّامٍ فَخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِ حَتَّى بَلَغَ سَفَوَانَ مَوْضِعٌ مِنْ تَاجِيَةِ بَذْرِ فَقَاتَهُ كُرُزُ بْنُ جَابِرٍ وَتَسَمَّى بَذْرًا الْأُولَى وَحَمَلَ اللَّوَاءُ عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سَرِيَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَكَانَ مَعَهُ ثَمَانِيَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى نُخْلَةٍ عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ فِي رَجَبٍ يَتَرَصَّدُ عِيرَ قُرَيْشٍ فَمَرَّتْ بِهِ تَحْمِلُ زَيْبًا وَتَمْرًا وَأَدَمًا مِنَ الطَّائِفِ فِيهَا عَمْرُو ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ فَقَتَلُوهُ وَأَسْرُوا عَثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَالْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ وَاسْتَأْفُوا الْعِيرَ فَكَانَتْ أَوَّلَ غَنِيمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ.

غَزْوَةُ بَذْرِ الْكُبْرَى

ثُمَّ غَزْوَةُ بَذْرِ الْكُبْرَى وَهُوَ يَوْمُ الْفُرْقَانِ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ وَأَذَلَّ فِيهِ الشِّرْكَ وَأَهْلَهُ مَعَ قَلَّةٍ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةِ الْمُشْرِكِينَ مَعَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ سَوَابِغِ الْحَدِيدِ وَالْعُدَّةِ الْكَامِلَةِ وَالْخِيُولِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْخِيَلَاءِ الزَّائِدَةِ وَلِذَلِكَ امْتَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَذْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ أَعْظَمَ غَزَوَاتِ الْإِسْلَامِ إِذْ مِنْهَا كَانَ ظُهُورُهُ وَبَعْدَ وَفُوعِهَا أَشْرَقَ عَلَى الْأَفَاقِ نُورُهُ وَكَانَ خُرُوجُهُمْ يَوْمَ السَّبْتِ لِثِنْتَيْنِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى رَأْسِ تِسْعَةِ عَشَرَ شَهْرًا وَخَرَجَ مَعَهُ الْأَنْصَارُ وَلَمْ يَخْرُجُوا مَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ.

وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ خَرَجَ مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ وَثَمَانِيَّةٍ لَمْ يَخْضُرُوهَا وَإِنَّمَا ضَرَبَ لَهُمْ

بِسَهْمِهِمْ وَأَجْرِهِمْ فَكَانُوا كَمَنْ حَضَرَهَا وَكَانَ مَعَهُمْ ثَلَاثَةُ أَفْرَاسٍ لِلْمِقْدَادِ وَالرُّبَيْرِ وَمَرْكِدِ
الْعُتُوبِيِّ وَكَانَ مَعَهُمْ سَبْعُونَ بَعِيرًا أَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَكَانُوا أَلْفًا وَمَعَهُمْ مِائَةُ فَرَسٍ وَسَبْعُمِائَةِ بَعِيرٍ
وَكَانَ قِتَالُهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ وَكَانَ خُرُوجُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِقَصْدِ التَّعَرُّضِ لِعَبِيرِ قُرَيْشٍ الْقَادِمَةِ مِنَ الشَّامِ فِي قَافِلَةٍ عَظِيمَةٍ فِيهَا أَمْوَالُ قُرَيْشٍ وَعَلَيْهَا أَبُو
سُفْيَانٍ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا فَلَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ الرُّوحَاءَ أَتَاهُ الْعَبَرُ بِمَسِيرِ
قُرَيْشٍ لِيَمْنَعُوا عَنْ عِبَرِهِمْ فَاسْتَشَارَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ
إِخْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَّا الْعَبَرُ وَإِمَّا قُرَيْشٌ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ فَأَحْسَنَ ثُمَّ قَامَ عُمَرُ فَقَالَ فَأَحْسَنَ ثُمَّ
قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عُمَرَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ امْضِ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ فَتَخُنْ مَعَكَ وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ
كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ
وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتُ بِنَا إِلَى بَرَكِ الْغِمَادِ يَغْنِي مَدِينَةَ
الْحَبَشِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ ثُمَّ
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيُّهَا النَّاسُ وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارُ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ
تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَجَلٌ قَالَ سَعْدُ قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَقْتَنَاكَ وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ
الْحَقُّ وَأَعْظَمُنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهْدُونَا وَمَوَائِقُنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَامْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا
أَرَدْتَ فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْتَاهُ مَعَكَ مَا تَخَلَّفَ مِنَّا
رَجُلٌ وَاحِدٌ وَمَا نَكَّرَهُ أَنْ نَلْقَى عَدُوَّنَا وَإِنَّا لَصَبْرٌ عِنْدَ الْحَزَبِ صُدُقٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَعَلَّ اللَّهَ
يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقْرُ بِهِ عَيْنُكَ فَمِزَ بِنَا عَلَى بَرَكَتِهِ تَعَالَى .

فَسُرَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَوْلِ سَعْدٍ وَتَشَطُّهُ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ سِيرُوا عَلَى بَرَكَتِهِ تَعَالَى
وَأَبَشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِخْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ الْآنَ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ وَعَيْنَ
مَصَارِعِهِمْ فَمَا تَعَدُّوْهَا ثُمَّ ارْتَحَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرِ وَتَرَكَ قُرَيْشًا بِالْعُدُوَّةِ
الْفُضُوى وَبَنِي لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشٌ فَكَانَ فِيهِ ثُمَّ خَرَجَ عُثْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ
وَأَبْنَاهُ الْوَلِيدُ وَدَعَوْا إِلَى الْمُبَارَزَةِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَنِيَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا مَا لَنَا بِكُمْ حَاجَةٌ .

ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ الْمُطَّلِبِ
وَحَمْزَةُ وَعَلِيٌّ فَبَارَزَ حَمْزَةُ شَيْبَةَ فَقَتَلَهُ وَبَارَزَ عَلِيٌّ الْوَلِيدَ فَقَتَلَهُ وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَعُثْبَةَ
ضَرْبَتَانِ فَأُلْحَنَ كُلُّ مِنْهُمَا صَاحِبَةً فَمَالَ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ عَلَى عُثْبَةَ فَقَتَلَاهُ وَاحْتَمَلَا عُبَيْدَةَ
وَاسْتَشْهَدَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الْجَرَاحَاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ تَرَاحَفَ النَّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ

بَغْضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرِيشِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَطَ وَهُوَ يُنَاشِدُ رَبَّهُ مَا وَعَدَهُ مِنَ النَّصْرِ.

وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ الْيَوْمَ فَلَا تُعَبِّدْ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا وَلَمَّا نَظَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثْرَةَ الْمُشْرِكِينَ وَقِلَّةَ الْمُسْلِمِينَ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ وَقَالَ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ اللَّهُمَّ لَا تَخْذُلْنِي اللَّهُمَّ أَنْشِدْكَ مَا وَعَدْتَنِي وَلَمَّا كَانَ فِي الْعَرِيشِ وَمَعَهُ الصَّدِيقُ أَخَذَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِنَّةٌ مِنَ النَّوْمِ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ مُتَبَسِّمًا فَقَالَ أَبَشِّرْ يَا أَبَا بَكْرٍ هَذَا جِبْرِيلُ عَلَى نَتَائِجِ النَّفْعِ أَيُّ الْعُبَارِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَابِ الْعَرِيشِ وَهُوَ يَثْلُو ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] وَأَمَدَّ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ صَارُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ثُمَّ صَارُوا خَمْسَةَ آلَافٍ وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ لَا تَعْرِفُ كَيْفَ تُقْتَلُ الْأَدَمِيُّونَ فَعَلَّمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] أَيُّ كُلِّ مَفْصِلٍ وَكَانُوا يَغْرِفُونَ قَتْلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ قَتْلَاهُمْ بِأَثَارِ سُودٍ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْبَنَانِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا يَوْمَ بَدْرٍ وَفِيمَا سِوَاهُ كَانَتْ عُدَدًا وَمَدَدًا وَكَانَتْ سِيْمَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمُ بَيْضَ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ عَمَائِمُ خُضْرَ.

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَإِنَّا أَحَدُنَا يُشِيرُ بِسَيْفِهِ إِلَى الْمُشْرِكِ فَتَقَعُ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ السَّيْفُ، وَلَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ تَنَاولَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفًّا مِنَ الْحَضْبَاءِ فَرَمَى بِهِ فِي وُجُوهِهِمْ وَقَالَ شَاهَتِ الْوُجُوهُ فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ إِلَّا دَخَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَمِنْخَرَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ فَأَنْهَزَمُوا وَقَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ وَأَسِيرَ مَنْ أُسِرَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَقَاتَلَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِخَصَّنٍ الْأَسَدِيُّ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفِهِ حَتَّى انْقَطَعَ فِي يَدِهِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ جِزْلًا مِنْ حَطَبٍ فَقَالَ لَهُ قَاتِلْ بِهِ فَهَزَّهُ فَعَادَ فِي يَدِهِ سِنْفًا طَوِيلَ الْقَامَةِ شَدِيدَ الْمَتْنِ أَبْيَضَ الْحَدِيدَةِ فَقَاتَلَ بِهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ ذَلِكَ السَّيْفُ يُسَمَّى الْعَوْنُ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ عِنْدَهُ وَجَاءَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَئِذٍ مُعَادٌ بْنُ عَمْرِو يَحْمِلُ يَدَهُ ضَرْبَةَ عِكْرِمَةَ عَلَيْهَا فَتَعَلَّقَتْ بِجُلْدِهِ فَبَصَقَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْهَا فَلَصَقَتْ ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى زَمَنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلِيلِ فَطَرَحُوا فِيهِ

وَنَادَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا فُلَانُ بِنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ بِنَ فُلَانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَهْلَ الْقَلْبِ بِسْ الْعَشِيرَةِ كُنْتُمْ كَذِبْتُمُونِي وَصَدَقَنِي النَّاسُ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَكْلُمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا فَقَالَ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا شَيْئًا قَالَ فَتَادَهُ أَحْيَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى تَوْبِيخًا وَتَضْغِيرًا وَنِقْمَةً وَحَسْرَةً، وَقَالَ ابْنُ مَرْزُوقٍ وَمِنْ آيَاتِ بَذْرِ الْبَاقِيَةِ مَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْحُجَّاجِ أَنَّهُمْ إِذَا اجْتَاؤُوا بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ يَسْمَعُونَ كَهَيْئَةِ طَبْلِ مَلُوكٍ الْوَقْفِ وَيَزَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ لِنَضْرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَكُنْتُ رُبَّمَا أَتُكْرَ ذَلِكَ وَرُبَّمَا أَتَأَوَّلُهُ حَتَّى مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ بِالْوُضُولِ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الشَّرِيفِ فَسَمِعْتُ صَوْتَ الطَّبْلِ سَمَاعًا مُحَقَّقًا الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ يَوْمِي أَجْمَعَ.

وَقَدْ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ بَذْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا سِتَّةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَثَمَانِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَبْعُونَ وَأَسِيرَ سَبْعُونَ وَلَمَّا فَرَّغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَذْرِ فِي آخِرِ رَمَضَانَ وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَوَّالٍ بَعَثَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِبَشِيرًا فَوَصَلَ الْمَدِينَةَ ضُحَى وَقَدْ نَفَضُوا أَيْدِيَهُمْ مِنْ تُرَابِ رُقِيَّةَ بِنْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهَا وَسَلَّمَ وَكَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَذْرِ لِمُتْرِيضَتِهَا فَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَهْمِهِ وَأَجْرِهِ، (ثُمَّ سَرِيَّةُ عُمَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْخَطْمِيِّ) إِلَى عَضْمَاءَ بِنْتِ مَرْوَانَ وَكَانَتْ تَعِيبُ الْإِسْلَامَ وَتُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهَا عُمَيْرٌ لَيْلًا فَقَتَلَهَا ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَظْرَانٌ.

غَزْوَةُ قَرْقَرَةَ الْكُذْرِ

ثُمَّ غَزْوَةُ قَرْقَرَةَ الْكُذْرِ خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ بَذْرِ بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ يُرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ فَبَلَغَ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ الْكُذْرُ فَأَقَامَ ثَلَاثًا وَقِيلَ عَشْرًا فَلَمْ يَلْقَ أَحَدًا وَكَانَتْ غَيِّبَتُهُ خُمْسَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ سَالِمِ بْنِ عُمَيْرٍ) إِلَى أَبِي عَفْكَ الْيَهُودِيِّ وَكَانَ يُحَرِّضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُ فِيهِ الشُّعْرَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ سَالِمٌ فَقَتَلَهُ.

غَزْوَةُ بَنِي قَيْنَقَاعٍ

ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي قَيْنَقَاعٍ بَطْنٌ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ يَوْمَ السَّبْتِ نِصْفَ شَوَّالٍ عَلَى رَأْسِ عِشْرِينَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ وَقَدْ كَانَتْ الْكُفَّارُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى

ثَلَاثَةَ أَفْسَامٍ قَسَمَ وَادْعَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَنْ لَا يُحَارِبُوهُ وَلَا يَأْلَبُوا عَلَيْهِ عَدُوَّهُ وَهُمْ طَوَائِفُ الْيَهُودِ الثَّلَاثَةُ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ وَبَنُو قَيْنِقَاعَ وَقَسَمَ حَارِبُوهُ وَنَصَبُوا لَهُ الْعَدَاوَةَ كَقُرَيْشٍ وَقَسَمَ تَرَكُوهُ وَانْتَظَرُوا مَا يَوُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ كَطَوَائِفَ مِنَ الْعَرَبِ فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحِبُّ ظُهُورَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ مَعَهُ ظَاهِرًا وَمَعَ عَدُوِّهِ بَاطِنًا وَهُمْ الْمُتَنَافِقُونَ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ مِنَ الْيَهُودِ بَنُو قَيْنِقَاعَ فَحَارَبَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي شَوَالٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَذْرِ فَحَاصَرَهُمْ أَشَدَّ الْحِصَارِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَكَانَ اللَّوَاءُ بِيَدِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ أَيْبَضُ فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِم الرُّعْبَ وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّ لَهُ أَمْوَالَهُمْ وَأَنَّ لَهُمُ النِّسَاءَ وَالذَّرِيَّةَ وَأَمَرَ أَنْ يُجْلُوا مِنَ الْمَدِينَةِ فَلَجَحُوا بِأَذْرِعَاتٍ وَأَخَذَ مِنْ حِصْنِهِمْ سِلَاحًا وَآلَةً كَثِيرَةً.

غَزْوَةُ السَّوِيقِ

ثُمَّ غَزْوَةُ السَّوِيقِ فِي ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ الْأَحَدِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْهَا عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ زَادِ الْمُشْرِكِينَ السَّوِيقِ وَغَنِمَهُ الْمُسْلِمُونَ وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ الْغَزْوَةِ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ حِينَ رَجَعَ بِالْعِيرِ مِنْ بَذْرِ إِلَى مَكَّةَ نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسَّ النِّسَاءَ وَالذُّهْنَ حَتَّى يَغْزُوَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَخَرَجَ فِي مِائَتَيْنِ رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِيُبْرِيَ يَمِينَهُ حَتَّى أَتُوا الْعُرَيْضَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَحَرَقُوا نَخْلًا وَقَتَلُوا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ وَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي طَلَبِهِمْ فِي مِائَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَجَعَلَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ يُلْقُونَ جُرْبَ السَّوِيقِ وَهِيَ عَامَّةُ أَرْوَادِهِمْ يَتَخَفُّونَ لِلْهَرَبِ فَيَأْخُذُهَا الْمُسْلِمُونَ وَلَمْ يَلْحَقْهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ غَنِيمَتُهُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ عَلِيٌّ بِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَخَطَبَهَا قَبْلَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمْ يُجِبْهُمَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ دَعَاهُمَا وَجَمَاعَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا وَكَانَ عَلِيٌّ غَائِبًا خَطَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً بَلِيغَةً ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَاشْهَدُوا أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهُ عَلَى أَرْبَعِمِائَةٍ مِثْقَالٍ فِضَّةٍ إِنْ رَضِيَ بِذَلِكَ عَلِيٌّ ثُمَّ دَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَبَقٍ مِنْ بُسْرٍ وَقَالَ انْتَهَبُوا فَانْتَهَبُوا وَدَخَلَ عَلِيٌّ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكَ فَاطِمَةَ عَلَى أَرْبَعِمِائَةٍ مِثْقَالٍ فِضَّةٍ أَرْضِيَتْ بِذَلِكَ فَقَالَ قَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ يَا

رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَكُمْ وَأَعَزَّ جَدَّكُمْ وَبَارَكَ عَلَيْكُمْ وَأَخْرَجَ مِنْكُمْ كَثِيرًا طَيِّبًا قَالَ أَنَسُ قَالَ لَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهُ مِنْهُمَا الْكَثِيرَ الطَّيِّبَ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْلَمَةَ) وَأَزْبَعَهُ مَعَهُ إِلَى كُتَيْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيِّ وَكَانَ شَاعِرًا يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَحْرُضُ عَلَيْهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ فَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ وَقَتَلُوهُ.

غَزْوَةُ عَطْفَانَ

ثُمَّ غَزْوَةُ عَطْفَانَ بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ عَلَى رَأْسِ خُمُسَةِ وَعِشْرِينَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ وَسَبَبُهَا أَنَّ جَمْعًا مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ وَمُحَارِبٍ تَجَمُّعُوا يُرِيدُونَ الْإِغَارَةَ جَمْعَهُمْ دُعُورُ بْنُ الْحَارِثِ الْمُحَارِبِيُّ وَكَانَ شَجَاعًا فَتَدَبَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ وَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ فَارِسًا وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ فَلَمَّا سَمِعُوا بِمَهْطِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَرَبُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ فَأَصَابُوا رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ يُقَالُ لَهُ جَبَانٌ فَأَذْخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ وَأَصَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَطَرٌ فَتَنَزَعَ ثَوْبِيهِ وَنَشَرَهُمَا عَلَى شَجَرَةٍ لِيَجِفَّا وَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا وَهُمْ يَنْظُرُونَهُ فَقَالُوا لِدُعُورٍ قَدِ انْفَرَدَ مُحَمَّدٌ فَعَلَيْكَ بِهِ فَأَقْبَلَ وَمَعَهُ سَيْفٌ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي الْيَوْمَ.

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ فَدَفَعَهُ جِبْرِيلُ فِي صَدْرِهِ فَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي الْيَوْمَ فَقَالَ لَا أَحَدٌ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ الْآيَةَ ثُمَّ رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَلَقَ كَيْدًا وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً.

غَزْوَةُ بُحْرَانَ

ثُمَّ غَزْوَةُ بُحْرَانَ وَتُسَمَّى غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ وَسَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ بَهَا جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ فَخَرَجَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَوَجَدَهُمْ قَدْ تَفَرَّقُوا فِي مِيَاهِهِمْ فَزَجَعَ وَلَمْ يَلَقَ كَيْدًا وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ عَشْرَ لَيَالٍ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ رَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْقَرْدَةِ اسْمُ مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ فِي مِائَةِ رَاكِبٍ يَغْتَرِضُ عَيْرًا لِقُرَيْشٍ فِيهَا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ وَمَعَهُمْ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَصَابُوهَا وَقَدِمُوا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَزْوَةُ أَحَدٍ

ثُمَّ عَزْوَةُ أَحَدٍ كَانَتْ فِي شَوَّالِ سَنَةِ ثَلَاثٍ بِالْإِتِّفَاقِ يَوْمَ السَّبْتِ لِإِحْدَى عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْهُ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُذِرْكُوا نَارَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَكَتَبَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كِتَابًا يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَبَرِهِمْ وَسَارَ بِهِمْ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى نَزَلُوا بِبَطْنِ الْوَادِي مِنْ قِبَلِ أَحَدٍ مُقَابِلَ الْمَدِينَةِ وَكَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَسْفُوا عَلَى مَا قَاتَهُمْ مِنْ مَشْهَدِ بَدْرٍ وَأَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤْيَا أَحَبَّ لِأَجْلِهَا الْمُحْكُثَ فِي الْمَدِينَةِ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ امْكُثُوا فَإِنْ دَخَلَ الْقَوْمُ الْأَرِزَةَ قَاتَلْنَاهُمْ وَرُمُوا مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ فَقَالَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا نَتَمَتَّى هَذَا الْيَوْمَ أَخْرَجَ بَنَّا إِلَى أَعْدَائِنَا لَا يَرُونَ أَنَّا جَبْنَا عَنْهُمْ فَصَلَّى عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ ثُمَّ وَعَظَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ مَا صَبَرُوا وَأَمَرَهُمْ بِالنَّهْيِ لِعَدُوِهِمْ فَقَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بَيْنَهُ ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ لَبَسَ لَامَتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ فَتَنَدَّمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا وَقَالُوا مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَكَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ فَقَالَ مَا يَنْبَغِي لِيْنِي إِذَا لَبَسَ لَامَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ وَعَقَّدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ ثَلَاثَةَ أَلْوِيَةِ لِيَوَاءَ لِلْمُهَاجِرِينَ بِيَدِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَلِيَوَاءَ لِلْخَزَرَجِ بِيَدِ الْحَبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَلِيَوَاءَ لِلْأَوْسِ بِيَدِ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَفِي الْمُسْلِمِينَ مِائَةِ دَارِعٍ.

وَخَرَجَ السَّعْدَانِ أَمَامَهُ يَدْعُوَانِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دَارِعِينَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَعَلَى الْحَرَسِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَذْلَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فِي السَّحْرِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ أَلْفَ رَجُلٍ وَالْمُشْرِكُونَ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ رَجُلٍ فِيهِمْ سَبْعُمِائَةِ دَارِعٍ وَمِائَتَا فَرَسٍ وَثَلَاثَةُ أَلْفٍ بَعِيرٍ وَخَمْسُ عَشْرَةِ امْرَأَةٍ وَنَزَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ بِأَحَدٍ وَرَجَعَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فِي ثَلَاثِمِائَةِ مِئَةٍ تَبِعَهُ مِنْ أَهْلِ الثَّقَافِ.

وَيُقَالُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُمْ بِالْإِنْصِرَافِ لِكُفْرِهِمْ ثُمَّ صَفَّ الْمُسْلِمُونَ بِأَصْلِ أَحَدٍ صَفَّ الْمُشْرِكُونَ بِالسَّبْحَةِ وَكَانَ عَلَى مِئْمَنَةِ خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَلَى مِيسَرَتِهَا عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرُّمَاءِ وَهُمْ خَمْسُونَ رَجُلًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَالَ لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ وَاحْمُوا ظُهُورَنَا فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نَقْتُلُ فَلَا تَنْصُرُونَا وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلَا تَشْرَكُونَا، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ جَمَاعَةٌ وَأَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَحَسُوا الْكُفَّارَ بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ عَنِ الْعَسْكَرِ

وَكَاثِبَ الْهَزِيمَةِ قَوْلَى الْكُفَّارِ لَا يَلُونُ عَلَى شَيْءٍ وَنَسَاؤُهُمْ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى أَجْهَضُوهُمْ وَوَقَعُوا يَنْهَبُونَ الْعُسْكَرَ وَيَأْخُذُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْغَنَائِمِ فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جُبَيْرِ أَيُّ قَوْمٍ الْغَنِيمَةَ ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ أَنْتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا وَاللَّهِ لِنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلْنُصَيِّرَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صَرَفَتْ وَجُوهَهُمْ فَأَقْبَلُوا مِنْهُمْ زَيْمِينَ وَنَظَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى خِلَاءِ الْجَبَلِ وَقُلَّةِ أَهْلِهِ فَكَّرَ بِالْخَيْلِ وَتَبِعَهُ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ فَحَمَلُوا عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ الثُّفَرِ الرُّمَاءِ فَقَتَلُوهُمْ وَأَمِيرُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّهُمْ لَمَّا اضْطَفُوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سَبَاعٌ فَقَالَ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَشَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَنَّهُ الدَّاهِبُ وَكَانَ وَخْشِي كَأَمِنَا تَحْتَ صَخْرَةٍ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ رَمَاهُ بِحَرْبِيَّةٍ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرَكَيْهِ فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ رِضِي اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَانَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قَاتَلَ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ ابْنُ قَيْمَةَ وَهُوَ يَظُنُّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَاحَ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ وَقَالَ قَاتِلُ أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أَخْرَاكُمْ أَيُّ اخْتَرْتُمَا مِنْ جِهَةِ أَخْرَاكُمْ فَعَطَفَ الْمُسْلِمُونَ بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَانْهَزَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى جِهَةِ الْمَدِينَةِ وَتَفَرَّقَ سَائِرُهُمْ وَوَقَعَ فِيهِمْ الْقَتْلُ وَتَبَتِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْكَشَفُوا عَنْهُ وَتَبَتَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا سَبْعَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَسَبْعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَصِيبٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبْعُونَ رَجُلًا وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَتَنَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجِيبُوهُ ثُمَّ قَالَ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَتَنَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجِيبُوهُ ثُمَّ قَالَ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَمَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا فَمَا مَلَكَ عَمْرٍ نَفْسُهُ فَقَالَ كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ عَذَّبْتَ لِأَخِيَاءِ كُلُّهُمْ وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِحَالٌ.

وَرُمِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ فَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ الِئْمْنَى السُّفْلَى وَجُرِحَتْ شَفَتُهُ السُّفْلَى وَشَجَّ فِي جَنْبَيْهِ وَجُرِحَتْ وَجَنَّتُهُ وَهَشَمُوا الْبَيْضَةَ عَلَى رَأْسِهِ أَيُّ كَسَرُوا الْخُوْدَةَ وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى سَقَطَ لِيَشْقِيهِ فِي حُفْرَةٍ فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ وَاحْتَضَنَهُ طَلْحَةُ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ حَتَّى اسْتَوَى قَائِمًا وَنَشِبَتْ حَلَقَتَانِ مِنَ الْمُعَقَّرِ بِوَجْهِهِ فَانْتَزَعَهُمَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ

الْجِرَاحِ وَعَضَّ عَلَيْهِمَا حَتَّى سَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ مِنْ شِدَّةِ غَوْصِهِمَا فِي وَجْهِهِ الشَّرِيفِ وَامْتَصَّ مَالِكُ ابْنِ سَيَّانٍ وَالِدُ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ الدِّمَ مِنْ وَجَنَتِهِ ثُمَّ اُزْدَرَدَهُ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ رَمَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ قَمِيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ فَشَجَّ وَجْهَهُ وَكَسَرَ رُبَاعِيَّتَهُ فَقَالَ خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ قَمِيَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَمْسُحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ أَقْمَأَكَ اللَّهُ فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَيْسَ جَبَلٍ فَلَمْ يَزَلْ يَنْطَحُهُ حَتَّى قَطَعَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً وَعَنِ الْإِمَامِ الْأَوَزَاعِيِّ قَالَ بَلَّغْنَا أَنَّهُ لَمَّا جُرِحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ أَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يُنَشِّفُ دَمَهُ وَيَقُولُ لَوْ وَقَعَ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى الْأَرْضِ لَنَزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ ضَرَبَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِالسَّيْفِ سَبْعِينَ ضَرْبَةً وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا كُلَّهَا وَأَصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجَنَتِهِ فَأَتَى بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ وَرَدَّهَا إِلَى مَوْضِعِهَا وَقَالَ اللَّهُمَّ اكْسُهِ جَمَالًا فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَخَذَهُمَا وَدُمِيَ أَبُو رَهْمٍ الْغِفَارِيُّ كُلُّثُومُ بْنُ الْحُصَيْنِ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ فِي نَحْرِهِ فَبَصَقَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَرَأَ وَانْقَطَعَ سَيْفُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ فَأَعْطَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرْجُونًا فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا فَقَاتَلَ بِهِ وَكَانَ ذَلِكَ السَّيْفُ يُسَمَّى الْعُرْجُونُ وَلَمْ يَزَلْ يَتَوَارَثُ حَتَّى بَاعَ مِنْ بَعَا الثُّرَيْكِيُّ مِنْ أَمْرَاءِ الْمُغْتَصِمِ بِاللَّهِ فِي بَغْدَادَ بِمِائَتِي دِينَارٍ، وَاشْتَغَلَ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلِ الْمُسْلِمِينَ يُمَثِّلُونَ بِهِمْ يَقْطَعُونَ الْأَذَانَ وَالْأَثُوفَ وَالْفُرُوجَ وَيَبْقُرُونَ الْبُطُونَ.

وَقُتِلَ مِنَ الْكُفَّارِ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ وَقَتَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ أَبِي بَنٍ خَلْفٍ، وَلَمَّا أَرَادَ أَبُو سُفْيَانَ الْأَنْصَرَفُ أَشْرَفَ عَلَى الْجَبَلِ ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ إِنَّ الْحَزْبَ سَجَالُ يَوْمَ بَدْرٍ أَغْلُ هُبَلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ أَجِبْهُ فَقَالَ اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلَ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ أَنْعَمْتَ أَيُّ الْأَزْلَامِ فَقَالَ عُمَرُ لَا سِوَاءَ قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلْنَاكُمْ فِي النَّارِ فَقَالَ إِنَّ لَنَا الْعُزَى وَلَا عُزَى لَكُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قُولُوا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ فَلَمَّا انْصَرَفَ نَادَى مَوْعِدَكُمْ بِدَرْ الْعَامِ الْقَابِلِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قُلْ نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ، وَنَظَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُمْزَةَ وَقَدْ بَقِيَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ وَجَدِعَ أَنْفُهُ وَأَذْنَاهُ فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى شَيْءٍ أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْهُ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَدْ كُنْتُ فَعُولًا لِلْخَيْرِ وَضُولًا لِلرَّجِيمِ.

وَمِمَّنْ مِثْلُ بِهِ كَمَا مِثْلُ بِحَمْرَةَ ابْنِ أُخْتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَدُفِنَ مَعَهُ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ.
وَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى قَتْلَى الْمُسْلِمِينَ قَالَ أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ وَمَا مِنْ
جَرِيحٍ يُجْرَحُ فِي اللَّهِ إِلَّا وَاللَّهُ يَنْعُثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَذْمَى جُرْحُهُ اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرَّيْحُ رِيحُ
الْمِسْكِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أُصِيبَتْ
إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرٍ خُضِرَ تَرْدُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا
وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَاكِلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَحُسْنَ
مَقِيلِهِمْ قَالُوا يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِنَا لِنَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَيَتَكَلَّوْا عَنِ
الْحَزَبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا أَبْلُغُهُمْ عَنْكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ

قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الْآيَاتِ.

غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ

ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ وَهِيَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْأَحَدِ
خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ لِيَطْلُبَ عَدُوَّهُمْ بِالْأَمْسِ وَتَأْدَى مُؤَدُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَخْرُجَ مَعَنَا أَحَدٌ إِلَّا مَنْ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ أَيْ مَنْ شَهِدَ أَحَدًا وَإِنَّمَا خَرَجَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُزْهِبًا لِلْعَدُوِّ وَلِيَنْبَلِّغَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ لِيُظْثُوا بِهِمْ قُوَّةً وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ
لَمْ يُوهِنُهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ وَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ
غَابَ حَمْسًا وَظَفَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَخْرَجِهِ ذَلِكَ بِمُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ
فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ صَبْرًا.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ أَبِي سَلَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ) إِلَى قَطَنِ جَبَلٍ بِنَاحِيَةِ فَيْدٍ وَمَعَهُ مِائَةٌ
وَحَمْسُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ لِيَطْلُبَ طَلِيحَةَ وَسَلَمَةَ ابْنَتَيْ حُوَيْلِدٍ فَلَمْ يَجِدْهُمَا
وَوَجَدَ إِبِلًا وَشَاءَ فَأَغَارَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ) وَخَدَهُ إِلَى سُفْيَانَ
ابْنِ خَالِدٍ الْهَذَلِيِّ بِعُرْنَةٍ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جَمَعَ الْجُمُوعَ لِحَزْبِهِ فَقَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ
وَأَخَذَ رَأْسَهُ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ) إِلَى الرَّجِيعِ اسْمُ مَاءٍ لِهَذَلٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَعُسْفَانَ قَدِيمٍ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَحَدٍ زَهْطٍ مِنْ غُضَلٍ وَالْقَارَةَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فِينَا
إِسْلَامًا فَأَبْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَنَا قُبْعَكَ مَعَهُمْ سِتَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ
عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ فَخَرَجُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى أَتَوْا عَلَى الرَّجِيعِ عَدَرُوا بِهِمْ فَاسْتَضَرَّخُوا عَلَيْهِمْ

هَذَا يَلَّا فَتَقَرُّوْا بِقَرِيْبٍ مِّنْ مَّائَتِي رَجُلٍ فَلَمَّ يَرِجُ الْقَوْمُ وَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ إِلَّا الرُّجَالُ بِأَيْدِيهِمْ
السُّيُوفُ وَقَدْ عَشَوْهُمْ فَقَاتَلَهُمْ مَزْنَدٌ وَخَالِدٌ وَعَاصِمٌ حَتَّى قُتِلُوا وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ عَلَى الْعَهْدِ
وَالْمِيثَاقِ حُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ الدُّثَيْلَةِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ ثُمَّ امْتَنَعَ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَتَلُوهُ
وَانْطَلَقُوا بِحُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا لِأَهْلِ مَكَّةَ فَقَتَلُوهُمَا وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ لَزَيْدٍ أَنْشِدْكَ بِاللَّهِ
أَتُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ تَضْرِبُ عَنْقَهُ وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنْ
مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةُ تُؤْذِيهِ وَأَنْتَ لَجَالِسٍ فِي أَهْلِي فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ
مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ثُمَّ قَتَلُوهُ.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ الْمُتَلِدِرِ بْنِ عَمْرِو) إِلَى بَثْرِ مَعُونَةَ وَهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَعُسْفَانَ بَعَثَهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْقُرَاءِ لِيَدْعُوا أَهْلَ نَجْدٍ إِلَى الْإِسْلَامِ بِطَلَبِ أَبِي بَرَاءٍ مُلَاعِبِ
الْأَسِيَّةِ وَجَوَارِهِ فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِبَثْرِ مَعُونَةَ فَاسْتَضَرَّخَ عَلَيْهِمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ قَبَائِلَ بَنِي
سُلَيْمٍ عَصِيَّةً وَرِغْلًا فَخَرَجُوا حَتَّى عَشَوْا الْقَوْمَ فَأَخَاطُوا بِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُمْ أَخَذُوا
سُيُوفَهُمْ وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قُتِلُوا إِلَى آخِرِهِمْ إِلَّا كَعْبُ بْنُ زَيْدٍ وَعَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ فَلَمَّا بَلَغَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَهُمْ قَالَ هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ قَدْ كُنْتُ لِهَذَا كَارِهَا مُتَخَوِّفًا فَلَبَّغَ
ذَلِكَ أَبَا بَرَاءٍ فَمَاتَ أَسْفًا، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ أُنَى حَزَنٍ عَلَى أَحَدٍ مَا وَجَدَ عَلَى أَهْلِ بَثْرِ مَعُونَةَ وَدَعَا عَلَى مَنْ قَتَلَهُمْ
ثَلَاثِينَ صَبَاحًا.

غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ

ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَكَانَتْ فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ خَرَجَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَفَرٍّ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُو وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَسْتَعِينُهُمْ فِي
دِيَةِ رَجُلَيْنِ قَتَلَهُمَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ فَقَالُوا يَا أَبَا الْقَاسِمِ نُعِينُكَ عَلَى مَا أُخْبِتَتْ ثُمَّ هَمُّوا
بِالْقَاءِ صَخْرَةَ عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَهَاهُمْ سَلَامٌ بْنُ مِشْكَمٍ فَلَمْ يَنْتَهُوا فَقَالَ لَهُمْ
لَا تَفْعَلُوا وَاللَّهِ لِيُخْبِرَنَّ بِمَا هَمَمْتُمْ وَإِنَّهُ لَنَقُضُ لِلْعَهْدِ قَاتَاهُ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ
فَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُظْهِرًا أَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً وَرَجَعَ مُسْرِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ
فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَرَادَتْ يَهُودُ مِنَ الْعَدْرِ بِهِ وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّهْيِءِ لِحَرْبِهِمْ وَالْمَسِيرِ
إِلَيْهِمْ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فَحَاصَرَهُمْ سِتَّ لَيَالٍ
فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ فِي الْحُصُونِ ثُمَّ قَدَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَنْ يُجْلِيَهُمْ عَنْ أَرْضِهِمْ وَيَكْفَ عَنْ دِمَائِهِمْ فَأَجْلَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَلَّى إِخْرَاجَهُمْ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ فَكَانُوا يُخْرَبُونَ بَيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَحَمَلُوا النِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ وَتَحَمَّلُوا عَلَى سِتْمَائَةٍ بَعِيرٍ فَلَحِقُوا بِخَيْبَرَ وَقَسَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَازِلَهُمْ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ لِيَرْفَعَ بِذَلِكَ مُؤَنَّتَهُمْ عَنِ الْأَنْصَارِ.

غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ

ثُمَّ غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ رَفَعُوا فِيهَا رَايَاتِهِمْ وَكَانَ مِنْ خَبَرِهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا نَجْدًا يُرِيدُ بَنِي مُحَارِبٍ وَبَنِي ثُعَلْبَةَ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْجُمُوعَ فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَقِيلَ سَبْعِمِائَةٍ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَخَرَجَ حَتَّى نَزَلَ نَخْلًا وَهُوَ مُوضِعٌ مِنْ نَجْدٍ مِنْ أَرْضِ عَطْفَانَ فَتَقَارَبَ النَّاسُ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَزَبٌ وَقَدْ أَخَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْخَوْفِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

غَزْوَةُ بَذْرِ الْأَخِيرَةِ

وَهِيَ الصُّغْرَى لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ مِنْ غَزْوَةِ ذَاتِ الرَّقَاعِ أَقَامَ بِهَا جُمَادَى الْأُولَى إِلَى آخِرِ رَجَبٍ ثُمَّ خَرَجَ فِي شَعْبَانَ إِلَى بَذْرِ لَيْمِعَادِ أَبِي سُفْيَانَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَعَهُ أَلْفٌ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَشْرَةُ أَفْرَاسٍ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَقَامُوا عَلَى بَذْرِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يَنْتَظِرُونَ أَبَا سُفْيَانَ وَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى نَزَلَ عُسْفَانَ ثُمَّ بَدَأَ لَهُ الرُّجُوعُ فَرَجَعَ بِالنَّاسِ.

غَزْوَةُ دُومَةِ الْجَنْدَلِ

وَهِيَ مَدِينَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِمَشْقَ خَمْسُ لَيَالٍ وَبُعْدُهَا مِنَ الْمَدِينَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَكَانَتْ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأُولَى عَلَى رَأْسِ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ بِهَا جَمْعًا كَثِيرًا يَظْلِمُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ فَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَبَاعُ بْنُ عُزْفَةَ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا النَّعَمَ وَالشَّاءَ فَهَجَمَ عَلَى مَاشِيَتِهِمْ وَرُعَاتِهِمْ فَأَصَابَ مَنْ أَصَابَ وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ فِي كُلِّ وَجْهِ وَجَاءَ الْخَبَرُ أَهْلَ دُومَةِ فَتَفَرَّقُوا وَنَزَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسَاحَتِهِمْ

فَلَمْ يَلْقَ أَحَدًا فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا وَبَثَّ السَّرَايَا ثُمَّ رَجَعَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي عِشْرِي رَجَبِ الْآخِرِ .

غَزْوَةُ الْمُرَيْسِيعِ

وَهُوَ مَاءٌ لِبَنِي خُزَاعَةَ وَتُسَمَّى غَزْوَةُ بَنِي الْمُضْطَلِقِ وَكَانَتْ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِلثَّلَاثِينَ خَلَقًا مِنْ شُعْبَانِ سَنَةِ خُمْسٍ وَسَبَبَهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ رَئِيسَهُمُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ سَارَ فِي قَوْمِهِ وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَرَبِ قَدَعَاهُمْ إِلَى حَزْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجَابُوهُ وَتَهَيَّئُوا لِلْمَسِيرِ مَعَهُمْ فَبَعَثَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بُرَيْدَةَ بْنَ الْحَصِيْبِ الْأَسْلَمِيَّ يَغْلُمُ عِلْمَ ذَلِكَ فَأَتَاهُمْ وَلَقِيَ الْحَارِثَ وَكَلَّمَهُ وَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ وَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُسْرِعًا وَبَلَغَ الْحَارِثَ وَمَنْ مَعَهُ مَسِيرُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَمِيسَتْهُ بِذَلِكَ وَخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا وَتَفَرَّقَ عَنْهُمْ مَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ وَبَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُرَيْسِيعَ وَصَفَّ أَصْحَابَهُ وَدَفَعَ رَايَةَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَرَايَةَ الْأَنْصَارِ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَتَرَامَوْا بِالثَّبَلِ سَاعَةً ثُمَّ أَمَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَصْحَابَهُ فَحَمَلُوا حِمْلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ وَقَتَلُوا عَشْرَةَ وَأَسْرَوْا سَائِرَهُمْ وَسَبَّوْا النِّسَاءَ وَالرِّجَالَ وَالذَّرِيَّةَ وَالنَّعَمَ وَالشَّاءَ وَلَمْ يُقْتَلْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَكَانَتْ غَنِيْمَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا .

غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ

وَهِيَ الْأَحْزَابُ سُمِّيَتْ بِالْخَنْدَقِ الَّذِي حُفِرَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ بِأَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي أَشَارَ بِهِ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَمِلَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ تَزْغِيًا لِلْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا بِالْأَحْزَابِ فَلِاجْتِمَاعِ طَوَائِفٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى حَزْبِ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ قُرَيْشٌ وَعُطْفَانُ وَالْيَهُودُ وَمَنْ مَعَهُمْ .

وَكَانَ مِنْ حَدِيثٍ لَهُذِهِ الْغَزْوَةِ أَنَّ نَفَرًا مِنْ يَهُودَ خَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ مَكَّةَ وَقَالُوا إِنَّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُ فَاجْتَمَعُوا لِذَلِكَ وَاتَّعَدُوا لَهُ ثُمَّ خَرَجَ أُولَئِكَ الْيَهُودُ حَتَّى جَاؤُوا عُطْفَانَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَزْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ وَأَنَّ قُرَيْشًا بَايَعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَاجْتَمَعُوا مَعَهُمْ فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ وَقَائِدُهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَزْبٍ وَخَرَجَتْ عُطْفَانُ وَقَائِدُهَا عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فِي فِرَازَةٍ وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ فِي بَنِي مُرَّةٍ وَكَانَ عِدَّتُهُمْ عَشْرَةَ آلَافٍ وَالْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَحْزَابِ وَبِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ ضَرَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْخَنْدَقَ .

وَقَدْ وَقَعَ فِي حَفْرِ الْخُنْدَقِ آيَاتٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتَّسَائِي عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ لَمَّا كَانَ جِئْنَ أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَفْرِ الْخُنْدَقِ عَرْضَتْ لَنَا صُخْرَةٌ لَا تَأْخُذُ مِنْهَا الْمَعَاوِلُ فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ ثُمَّ ضَرَبَ ضَرْبَةً فَتَشَرَّ ثُلُثُهَا وَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ ثُلُثًا آخَرَ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ قَارِسَ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأُبْصِرُ قُصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضِ الْآنَ ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ فِي مَكَانِي السَّاعَةَ، وَمِنْهَا تَكْثِيرُ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ بِحَدِيثِ جَابِرٍ وَسَيَاتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مُسْتَوْفَى فِي مَقْصِدِ الْمُعْجَزَاتِ، وَلَمَّا قَرَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخُنْدَقِ أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلَتْ بِمُجْتَمَعِ السُّيُولِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيْشِهِمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ يَهَامَةَ وَنَزَلَ عُنَيْنَةُ بْنُ جِصْنٍ فِي غَطَفَانَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ تَجْدٍ إِلَى جَانِبِ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ حَتَّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى سَلْعٍ وَكَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ رَجُلٍ فَضَرَبَ هُنَاكَ مُعْسَكَرَهُ وَالْخُنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ وَكَانَ لِيَوَاءَ الْمُهَاجِرِينَ بَيْدَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَلِيَوَاءَ الْأَنْصَارِ بَيْدَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ.

وَكَانَ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى عَهْدٍ وَعَقْدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّ يَزَلْ حَيْثُ ابْنُ أَخْطَبَ بِرَأْسِهِمْ كَغَبِ بْنِ أَسَدٍ حَتَّى نَقَضَ هُوَ وَقَوْمُهُ الْعَهْدَ فَلَمَّا انْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ إِلَيْهِمْ فَوَجَدَهُمْ عَلَى أَخْبَثَ مَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ فَعَظَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَلَاءَ وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ وَأَتَاهُمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ قَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ حَتَّى ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ظَنٍّ وَنَجَمَ النُّفَاقُ فِي بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] وَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْمُسْلِمُونَ وَعَدُوُّهُمْ يُحَاصِرُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ إِلَّا مُرَامَةً بِاللُّبِّ لَكِنْ كَانَ عَمْرُو بْنُ وَدِّ الْعَامِرِيِّ افْتَحَمَ هُوَ وَنَفَرَ مَعَهُ خِيُولُهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ ضَيْقَةٍ مِنَ الْخُنْدَقِ فَبَارَزَهُ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَبَرَزَ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ وَرَجَعَتْ بَقِيَّةُ الْخِيُولِ مُنْهَرِمَةً وَرُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بِسَهْمٍ فَقَطَعَ مِنْهُ الْأَكْحَلَ وَهُوَ عِزُّ الْحَيَاةِ وَفِي كُلِّ غُضْبٍ مِنْهُ شُغْبَةٌ فَلَمَّ يَزَلْ الْقَوْمُ، وَفِي الْبُخَارِيِّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَحْزَابِ فَقَالَ اللَّهُمَّ مَنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ.

وَفِي يَنْبُوعِ الْحَيَاةِ لِابْنِ ظَفَرٍ قِيلَ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا فَقَالَ يَا صَرِيحَ الْمَكْرُوبِينَ يَا مُجِيبَ الْمُضْطَرِّينَ اكْشِفْ هَمِّي وَكَرْبِي فَإِنَّكَ تَرَى مَا نَزَلَ بِي وَيَأْضَحِبِي فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَشَّرَهُ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُزِيلُ عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا فَأَعْلَمَ أَصْحَابُهُ وَرَفَعَ يَدَيْهِ قَائِلًا شُكْرًا شُكْرًا وَهَبْتَ رِيحَ الصَّبَا لَيْلًا فَقَلَعْتَ الْأَوْتَادَ وَأَلْقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَبْنِيَّةَ وَكَفَّاتِ الْقُدُورَ وَسَفَّتْ عَلَيْهِمُ التُّرَابَ وَزَمَتْهُمْ بِالْحَضْبَاءِ وَسَمِعُوا فِي أَرْجَاءِ مُعَسَّكَرِهِمُ التَّكْبِيرَ وَقَعَقَةَ السَّلَاحِ فَارْتَحَلُوا هُرَابًا فِي لَيْلَتِهِمْ وَتَرَكُوا مَا اسْتَتَقَلُّوهُ مِنْ مَتَاعِهِمْ قَالَ قَدْ لِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] وَانصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِسَبْعِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَكَانَ قَدْ أَقَامَ بِالْخَنْدَقِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَنْ تَغْزَوْكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا وَفِي ذَلِكَ عَلِمَ مِنْ أَعْلَامِ الثَّبُوتِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغْتَمَرَ فِي السَّنَةِ فَصَدَّدَهُ قُرَيْشٌ عَنِ الْبَيْتِ وَوَقَعَتِ الْهُدْنَةُ بَيْنَهُمْ إِلَى أَنْ تَقْضَوْهَا فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ فَتْحِ مَكَّةَ فَوَقَعَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ

لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَ السَّلَاحَ وَاغْتَسَلَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ قَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ وَاللَّهُ مَا وَضَعْتَاهُ أَخْرُجْ إِلَيْهِمْ وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِمْ فَمَزَلَزِلْ بِهِمْ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَدَّنًا فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ وَبَعَثَ مُنَادِيًا يَتَادِي يَا خَيْلُ اللَّهِ اذْكَبِي وَبَعَثَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمُقَدَّمَةِ ثُمَّ سَارَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَالْخَيْلُ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ فَرَسًا وَحَاصِرَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَمْسًا وَعَشْرِينَ لَيْلَةً حَتَّى أَجْهَدَهُمُ الْحِصَارَ وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ رِئِيسُهُمْ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ أَنْ يُؤْمِنُوا فَقَالَ لَهُمْ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ وَإِنِّي أَعْرِضُ عَلَيْكُمْ خِلَالَ ثَلَاثَاتٍ فَخُذُوا أَيَّهَا شِئْتُمْ قَالُوا وَمَا هِيَ قَالَ نَبَايِعَ هَذَا الرَّجُلَ وَنُصَدِّقْهُ قَوْلَ اللَّهِ إِنَّهُ لَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَنَبِيِّ مُرْسَلٍ وَأَنَّهُ الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ فَتَأْمَنُونَ عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ فَأَبَوْا فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ أَوْلَادِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَالْخُرُوجِ إِلَى قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبَوْا فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِالْهَجُومِ لَيْلَةً السَّبْتِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ فَأَبَوْا ثُمَّ لَمَّا اشْتَدَّ الْحِصَارُ بِهِمْ أَدْعَعُوا أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حَكَمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَيِّدِ الْأَنْصَارِ فَحَكَمَ فِيهِمْ بِأَنْ تُقْتَلَ الرُّجَالُ وَتُقَسَّمِ الْأَمْوَالُ وَتُسَبَى الذَّرَارِي وَالنِّسَاءُ.

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَقَدْ حَكَمْتَ الْيَوْمَ فِيهِمْ بِاللَّهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ مِنْ فَوْقِ
سَبْعِ سَمَوَاتٍ وَانْصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسَبْعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ
وَأَمَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِنِي قُرَيْظَةَ فَأَدْخَلُوا الْمَدِينَةَ وَخَفَرُوا لَهُمْ أَخْدُوْدُ فِي السُّوقِ وَجَلَسَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ وَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ فَضْرِبَتْ أَغْنَأُفُهُمْ وَكَانُوا مَا بَيْنَ سِتْمِائَةٍ إِلَى
سَبْعِمِائَةٍ وَاصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةَ رِيْحَانَةً فَتَزَوَّجَهَا وَأَمَرَ بِالْعَنَائِمِ
فَجُمِعَتْ وَأَخْرَجَ الْخُمْسَ وَقَسَمَ الْبَاقِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَانْفَجَرَ جُرُحُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَمَاتَ
شَهِيدًا وَخَضَرَ جَنَازَتُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَاهْتَزَّ لِمَوْتِهِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَاهْتَزَّاهُ تَحَرُّكُهُ فَرَحًا
بِقُدُومِ رُوحِ سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ كُنْتُ مِمَّنْ حَفَرَ لِسَعْدٍ قَبْرَهُ فَكَانَ
يَقُوعُ عَلَيْنَا الْمِسْكُ كُلَّمَا حَفَرْنَا .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْلَمَةَ) إِلَى الْقُرْطَاءِ بَطْنٌ مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ وَهُمْ يَنْزِلُونَ
بِالْبُحَرَاتِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَبْعُ لَيَالٍ بَعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا فَلَمَّا أَغَارَ
عَلَيْهِمْ قَتَلَ نَفَرًا مِنْهُمْ وَهَرَبَ سَائِرُهُمْ وَاسْتَأَقَّ نَعْمًا وَشَاءَ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَمَعَهُ ثِمَامَةُ بِنْتُ أَنَالِ
الْحَنْظَلِيِّ أُسِيرًا فَرُبَطَ بِأَمْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ أُطْلِقَ بِأَمْرِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعْتَسَلَ وَأَسْلَمَ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ
إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَضْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبُّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ
دِينِكَ فَأَضْبَحَ دِينَكَ أَحَبُّ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَضْبَحَ
بَلَدَكَ أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَيَّ وَإِنْ خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ صَبَوْتُ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا وَاللَّهِ تَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

غَزْوَةُ بَنِي لَحِيَانَ

فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ قَالُوا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ وَأَصْحَابِهِ وَجْدًا شَدِيدًا فَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الشَّأْمَ وَعَسَكَرَ فِي بَاثْنِي رَجُلٍ وَمَعَهُمْ
عِشْرُونَ قَرْسًا وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْنُومٍ ثُمَّ أَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى
حَيْثُ كَانَ مُضَابُ أَصْحَابِهِ أَهْلُ الرَّجِيعِ فَتَرَحَّمْ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ فَسَمِعَتْ بِهِ بَنُو لَحِيَانَ فَهَرَبُوا
فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ فَلَمْ يَقْدِرْ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ فَأَقَامَ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ يَتَّبِعُ السَّرَايَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى عُسْفَانَ فَبَعَثَ أَبَا بَكْرٍ فِي عَشْرَةِ فَوَارِسَ لِيَسْمَعَ بِهِمْ فَرِيضٌ فَيَذْعَرُهُمْ فَأَتَوْا كُرَاعَ ثُمَّ رَجَعُوا وَلَمْ يَلْقُوا أَحَدًا وَانْصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا وَهُوَ يَقُولُ آيُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبَّنَا حَامِدُونَ وَغَابَ عَنِ الْمَدِينَةِ أَرْبَعُ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

غَزْوَةُ الْعَابَةِ

وَسَبِّبَهَا أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشْرُونَ لِفَحَةً وَهِيَ ذَوَاتُ اللَّبَنِ الْقَرِيبَةُ الْعَهْدُ بِالْوِلَادَةِ تَرعى بِالْعَابَةِ وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ فِيهَا فَأَعَارَ عَلَيْهِمْ عَيْنِيَّةَ بْنِ حِصْنِ الْفِزَارِيِّ لَيْلَةً الْأَرْبَعَاءِ فِي أَرْبَعِينَ فَارِسًا فَاسْتَأْذَنُوا وَفَقَتَلُوا ابْنَ أَبِي ذَرٍّ فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَبْرُ نَادَى يَا خَيْلَ اللَّهِ اذْكَبِي وَرَكِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَمْسِمِائَةٍ وَعَقَدَ لِلْمُقَدَّادِ بْنِ عَمْرِو لِيَوَاءَ فِي رُمَحِهِ وَقَالَ لَهُ امْضِ حَتَّى تَلْحَقَكَ الْخَيُْولُ وَأَنَا عَلَى أَثَرِكَ فَأَذْرَكَ أُخْرِيَّاتِ الْعَدُوِّ وَقَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسًا وَعُكَّاشَةَ آخَرَ وَأَذْرَكَ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ الْقَوْمَ وَهُوَ عَلَى رِجْلَيْهِ وَلَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشَاءً وَاسْتَنْقَدُوا عَشَرَ لِقَاحٍ وَأَلْفَتِ الْقَوْمُ بِمَا بَقِيَ وَهِيَ عَشْرٌ وَرَجَعَ وَقَدْ غَابَ خَمْسَ لَيَالٍ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ عُكَّاشَةَ بْنِ مَخْصَنٍ الْأَسَدِيِّ) إِلَى عَمْرِو مَرْزُوقٍ وَهُوَ مَاءٌ لِبَنِي أَسَدٍ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا فَخَرَجَ سَرِيعًا فَتَلَدَّرَ بِهِ الْقَوْمُ فَهَرَبُوا فَاسْتَأْذَنُوا بَعِيرٍ وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ) إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ وَمَعَهُ عَشْرَةُ فَوَرَدَ عَلَيْهِمْ لَيْلًا فَأَخَذَقَ بِهِمُ الْقَوْمَ وَهُمْ مِائَةٌ رَجُلٍ فَتَرَامَوْا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ حَمَلَتِ الْأَعْرَابُ عَلَيْهِمُ بِالرَّمَاكِ فَقَتَلُوهُمْ إِلَّا مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فَوَقَعَ جَرِيحًا وَاخْتُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا إِلَى مَصَارِعِهِمْ فَهَرَبُوا فَاسْتَأْذَنُوا نَعَمًا مِنْ نَعْمِهِمْ وَرِثَةً مِنْ مَتَاعِهِمْ وَقَدِمَ بِهِ الْمَدِينَةَ فَخَمَّسَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَسَمَ مَا بَقِيَ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ (سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ) إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ فَأَصَابُوا امْرَأَةً مِنْ مُزَيْنَةَ يُقَالُ لَهَا حَلِيمَةُ فَذَلَّلَتْهُمْ عَلَى مَحَلَّةٍ مِنْ مَحَالِّ بَنِي سُلَيْمٍ فَأَصَابُوا نَعَمًا وَشَاءً وَأَسْرَى فَكَانَ فِيهِمْ زَوْجٌ حَلِيمَةَ الْمُزَيْنَةِ فَلَمَّا قَتَلَ زَيْدٌ بِمَا أَصَابَ وَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُزَيْنَةِ نَفْسَهَا وَزَوْجَهَا.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ زَيْدِ أَيْضًا) فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا يَغْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنَ الشَّامِ فَأَخَذُوهَا وَمَا فِيهَا. ثُمَّ (سَرِيَّةُ زَيْدِ أَيْضًا) إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا فَأَصَابَ نَعَمًا وَشَاءً وَهَرَبَتِ الْأَعْرَابُ. ثُمَّ (سَرِيَّةُ زَيْدِ أَيْضًا) فِي خَمْسِمِائَةٍ رَجُلٍ إِلَى جُدَامٍ لِأَنَّهُمْ قَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى دِحْيَةِ الْكَلْبِيِّ فَأَعَارُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الصُّبْحِ فَقَتَلُوا فِيهِمْ فَأَوْجَعُوا وَأَخَذُوا مِنَ النَّعَمِ

أَلْفَ شَاةٍ وَمِائَةً مِنَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ فَجَاءَ زَيْدُ بْنُ رِقَاعَةَ الْجُدَامِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَقَرٍ مِنْ قَوْمِهِ وَأَسْلَمَ فَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ يَأْمُرُهُ أَنْ يُخْلِيَ بَيْنَهُمْ وَيَبَيِّنَ حُرْمَتَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ فَفَعَلَ . ثُمَّ (سَرِيَّةُ زَيْدٍ أَيْضًا) إِلَى وَادِ الْقَرْيَةِ فَقَتَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَتْلَى وَحَمَلَ زَيْدٌ مِنَ الْمَغْرَكَةِ جَرِيحًا .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ) إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ قَالُوا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَأَقْعَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَمَّمَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ اغْزِ بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَلَا تَغْدِرْ وَلَا تُفْتِلْ وَلِيَدًا وَبَعَثَهُ إِلَى كُلِّ بَدُومَةِ الْجَنْدَلِ وَقَالَ إِنْ اسْتَجَابُوا لَكَ فَتَزَوَّجْ ابْنَتَهُ مَلِكِهِمْ فَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى قَدِمَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ فَمَكَثَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ الْأَصْبَغُ بْنُ عَمْرِو الْكَلْبِيِّ وَكَانَ نَضْرَانِيًّا وَكَانَ رَئِيسَهُمْ وَأَسْلَمَ مَعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِ وَأَقَامَ مِنْ أَقَامَ عَلَى إِعْطَاءِ الْجَزْيَةِ وَتَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ثَمَاضِرَ بِنْتَ الْأَصْبَغِ وَقَدِمَ بِهَا الْمَدِينَةَ فَوَلَدَتْ لَهُ أَبَا سَلَمَةَ . ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) وَمَعَهُ مِائَةٌ رَجُلٍ إِلَى بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ لَمَّا بَلَغَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُمِلُّوا يَهُودَ خَيْبَرَ فَأَعَارُوا عَلَيْهِمْ فَأَخَذُوا خَمْسِمِائَةَ بَعِيرٍ وَأَلْفِي شَاةٍ وَهَزَبَتْ بَنُو سَعْدِ .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ) إِلَى أُمِّ قِرْقَةَ الْفَزَارِيَّةِ وَسَبَّبَهَا أَنَّ زَيْدًا خَرَجَ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ فَلَقِيَهُ نَاسٌ مِنْ فِزَارَةَ فَضَرَبُوهُ وَضَرَبُوا أَصْحَابَهُ وَأَخَذُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَبَعَثَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فَصَبَحَهُمْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَكَبَّرُوا وَأَحَاطُوا بِالْحَاضِرِ وَأَخَذُوا أُمَّ قِرْقَةَ وَكَانَتْ مَلِكَةً رَئِيسَةً وَأَخَذُوا ابْنَتَهَا جَارِيَةً بِنْتُ مَالِكِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكٍ) لِأَبِي رَافِعِ الْيَهُودِيِّ وَكَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ فَوَضَعَهُمْ خَارِجَ الْحِصْنِ وَدَخَلَ هُوَ وَاخْتَالَ عَلَيْهِ وَقَتْلَهُ وَفِي انْصِرَافِهِ كَسِرَتْ سَافَهُ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ ابْسُطْ رِجْلَكَ فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّمَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ وَعَادَتْ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ) إِلَى أُسَيْرِ بْنِ رِزَامِ الْيَهُودِيِّ بِخَيْبَرَ الَّذِي أَمَرْتُهُ الْيَهُودَ عَلَيْهَا بَعْدَ قَتْلِ أَبِي رَافِعٍ فَسَارَ فِي عَطْفَانٍ وَغَيْرِهِمْ يَجْمَعُهُمْ لِحَرْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا فَضَرَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنْتَسٍ بِالسَّيْفِ وَمَالُوا عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فَقَتَلُوهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَلَمْ يُصَبِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ . ثُمَّ (سَرِيَّةُ كُرْزِ بْنِ جَابِرِ الْفِهْرِيِّ) إِلَى الْعُرَيْنِيِّ فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَاسًا

مِنْ عُكْلٍ وَعُرَيْتَةٍ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ فَقَالُوا يَا نَبِيَّ
اللَّهُ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيْفٍ وَاسْتَوْخَمُوا الْمَدِينَةَ فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَوْدٍ وَرَاعٍ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِيهِ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا
كَانُوا نَاحِيَةَ الْحَرَّةِ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَقَتَلُوا رَاعِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَأَفُوا
الدَّوْدَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ فَأَمَرَ بِهِمْ فَسَمَلُوا أَعْيُنَهُمْ
وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَتَرَكُوا فِي نَاحِيَةِ الْحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا عَلَى خَالَتِهِمْ قَالَ أَنَسٌ إِنَّمَا سَمَلَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْيُنَهُمْ لِأَنَّهُمْ سَمَلُوا أَعْيُنَ الرَّعَاءِ فَيَكُونُ مَا فَعَلَ بِهِمْ قِصَاصًا وَعَنْ
سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ فِي آثَارِهِمْ خَيْلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَمِيرُهُمْ
كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفَهْرِيُّ .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضُّمَرِيِّ) إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَزْبٍ بِمَكَّةَ لِأَنَّهُ أَرْسَلَ لِلنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَقْتُلُهُ غَدْرًا فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ وَمَعَهُ خَنْجَرٌ لِيُغْتَالَهُ فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ هَذَا لَيُرِيدُ غَدْرًا فَجَذَبَهُ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِدَاخِلَةٍ إِزَارِهِ فَإِذَا بِالْخَنْجَرِ
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اضْطَفِنِي مَا أَنْتَ قَالٌ وَأَنَا آمِنٌ قَالَ نَعَمْ فَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِهِ فَخَلَّى عَنْهُ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضُّمَرِيُّ وَمَعَهُ سَلَمَةُ بْنُ أَسْلَمَ إِلَى أَبِي
سُفْيَانَ وَقَالَ إِنَّ أَصَبْتُمَا مِنْهُ غِرَّةً فَافْتُلَاهُ وَمَضَى عَمْرُو يَطُوفُ بِالْبَيْتِ لَيْلًا فَرَأَاهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي
سُفْيَانَ فَأَخْبَرَ قُرَيْشًا بِمَكَانِهِ فَخَافُوهُ وَطَلَبُوهُ وَكَانَ فَاتِكًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَحَشَدَ لَهُ أَهْلُ مَكَّةَ
وَتَجَمَّعُوا فَهَرَبَ عَمْرُو وَسَلَمَةُ فَلَقِيَ عَمْرُو عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ التَّيْمِيِّ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ آخَرَ وَلَقِيَ
رَسُولَيْنِ لِقُرَيْشٍ بَعَثَهُمَا يَتَجَسَّسَانِ الْخَبَرَ فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا وَأَسَرَ الْآخَرَ فَقَدِمَ بِهِ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ
عَمْرُو يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَضْحَكُ .

أَمْرُ الْحُدَيْبِيَّةِ

وَهِيَ قَرْيَةٌ عَلَى تِسْعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ هَلَاكٌ ذِي
الْفُعْدَةِ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ لِلْعُمْرَةِ وَخَرَجَ مَعَهُ زَوْجَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِلَا سِلَاحٍ
إِلَّا سِلَاحَ الْمَسَافِرِ السُّيُوفِ فِي الْقُرْبِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَلَمَّا كَانَ بِذِي
الْحُلَيْفَةِ قَلَدَ الْهَدْيِ وَأَشْعَرَ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُرَاعَةٍ وَسَارَ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ
الْأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ فَقَالَ إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ النَّبِيِّ
وَمَانِعُوكَ فَقَالَ أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذُرَارِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ

يُرِيدُونَ أَنْ يُصَدِّدُوا عَنِ النَّبِيتِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا النَّبِيتِ لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ فَتَوَجَّهَ لَهُ فَمَنْ صَدَّدَنَا عَنْهُ فَأَتَيْنَاهُ قَالَ امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهَا مِنْهَا بَرَكْتَ رَاحِلَتُهُ فَقَالَ النَّاسُ خَلْ خَلْ فَأَلَحَّتْ يَغْنِي تَمَادَتْ عَلَى عَدَمِ الْقِيَامِ فَقَالُوا خَلَّاتِ الْقَضَوَاءُ أَيْ خَرَّتْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا خَلَّاتِ الْقَضَوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَايِسُ الْفِيلِ أَيْ حَبَسَهَا اللَّهُ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ كَمَا حَبَسَ الْفِيلَ عَنْ دُخُولِهَا لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَوْ دَخَلُوهَا وَصَدَّتْهُمْ قُرَيْشٌ لَوَقَعَ بَيْنَهُمُ الْقِتَالُ وَسَفَكَ الدَّمَاءَ وَلَكِنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَيُسْتَخْرِجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ نَاسٌ يُسْلِمُونَ وَيَجَاهِدُونَ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةَ يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرَمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ رَجَرَهَا فَوُثِّتَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحَذِييَةِ عَلَى ثَمَدٍ أَيْ قَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ فَتَزَحَّوهُ وَشَكِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِتَانَيْهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ .

قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ قَوْلَ اللَّهِ مَا زَالَ يَجِيئُ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيِّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ وَكَانُوا عَيْنَةَ نُصْحٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحَذِييَةِ وَهُمْ مُقَاتِلُونَ وَصَادُونَ عَنِ النَّبِيتِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا لَمْ نَجِءْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ تَهَكَّتْهُمْ الْحَرْبُ وَأَضْرَتْ بِهِمْ فَإِنْ شَاؤُوا مَا دَذَنْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَظْهَرَ فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جُمُوا يَعْنِي اسْتَرَاخُوا وَإِنْ هُمْ أَبَوْا قَوْلَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّكُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ فَقَالَ بُدَيْلٌ سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ فَاَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةٌ رُشِدَ أَفْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيَهُ فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ وَجَعَلَ عُرْوَةُ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنَيْهِ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا تَنْحُمُ نَحَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ أَمَرًا ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ

كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُجِدُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ
فَرَجَعَ عُرْوَةً إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيْ قَوْمُ وَاللَّهِ لَقَدْ وَقَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَقَدْتُ عَلَى كِسْرَى
وَقَبِصَرَ وَالنَّجَاشِي وَاللَّهِ إِنِّي مَا رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظَّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظَّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ
مُحَمَّدًا وَاللَّهِ مَا تَنْحَنُّ لُحَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ وَإِذَا
أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ
وَمَا يُجِدُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٌ فَأَقْبِلُوهَا ثُمَّ دَعَتْ قُرَيْشُ
سَهَيْلَ بْنِ عَمْرٍو فَقَالُوا اذْهَبْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَصَالِحُهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَرَادَتْ
قُرَيْشُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثَتْ هَذَا فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرَى بَيْنَهُمَا الْقَوْلُ
حَتَّى وَقَعَ بَيْنَهُمَا الصُّلْحُ عَلَى أَنْ يُوضَعَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ وَأَنْ يَأْمَنَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَأَنْ
يَرْجِعَ عَنْهُمْ عَامَهُمْ هَذَا وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِهِ إِلَّا رَدُّهُ إِلَيْهِمْ وَكَتَبَ
فِي ذَلِكَ كِتَابًا.

فَإِنْ قُلْتُ مَا الْحِكْمَةُ فِي كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَافَقَ سَهَيْلًا عَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ رَجُلٌ
مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ إِلَّا وَيَرُدُّهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَالْجَوَابُ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ الْمُرْتَبَةَ عَلَى
إِثْمَامِ هَذَا الصُّلْحِ مَا ظَهَرَ مِنْ ثَمَرَاتِهِ الْبَاهِرَةِ وَقَوَائِدِ الْمُتَظَاهِرَةِ الَّتِي كَانَتْ عَاقِبَتُهَا فَتْحَ مَكَّةَ
وَالْإِسْلَامَ أَهْلِهَا كُلِّهِمْ وَدُخُولَ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَبْلَ الصُّلْحِ لَمْ يَكُونُوا
يَخْتَلِطُونَ بِالْمُسْلِمِينَ وَلَا تَظْهَرُ عِنْدَهُمْ أُمُورُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا هِيَ وَلَا يَخْلُونَ
بِمَنْ يُعْلِمُهُمْ بِهَا مَفْصِلَةً فَلَمَّا حَصَلَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ اخْتَلَطُوا بِالْمُسْلِمِينَ وَجَاوُوا إِلَى الْمَدِينَةِ
وَذَهَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَكَّةَ وَخَلَوْا بِأَهْلِيهِمْ وَأَصْدِقَائِهِمْ وَغَيْرِهِمْ وَسَمِعُوا مِنْهُمْ أَخْوَالَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعْجَزَاتِهِ الظَّاهِرَةَ وَأَعْلَامَ نُبُوَّتِهِ الْمُتَظَاهِرَةَ وَحَسَنَ سِيرَتِهِ وَجَمِيلَ
طَرِيقَتِهِ وَعَايَنُوا بِأَنْفُسِهِمْ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ فَمَالَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ حَتَّى بَادَرَ خَلْقٌ مِنْهُمْ إِلَى
الْإِسْلَامِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ فَأَسْلَمُوا بَيْنَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَفَتْحِ مَكَّةَ وَازْدَادَ الْآخَرُونَ مِيلًا إِلَى
الْإِسْلَامِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ أَسْلَمُوا كُلُّهُمْ لَمَّا كَانَ قَدْ تَمَهَّدَ لَهُمْ مِنَ الْمَيْلِ وَكَانَتْ الْعَرَبُ مِنْ
غَيْرِ قُرَيْشٍ يَنْتَظِرُونَ بِإِسْلَامِهِمْ إِسْلَامَ قُرَيْشٍ فَلَمَّا أَسْلَمَتْ أَسْلَمُوا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ
نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢] فَاللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَعْلَمُ.

وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكِتَابِ إِلَيْهِمْ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَمْسَكَ

سَهْلَ بْنَ عَمْرِو عَنْهُ فَأَمْسَكَ الْمُشْرِكُونَ عُثْمَانَ فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ وَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ فَدَعَا النَّاسَ إِلَى بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عَلَى الْمَوْتِ وَقِيلَ عَلَى أَنْ لَا يَفِرُّوا وَوَضَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِمَالَهُ فِي يَمِينِهِ وَقَالَ هَذِهِ عَنْ عُثْمَانَ وَلَكَمَا سَمِعَ بِهِذِهِ الْبَيْعَةِ الْمُشْرِكُونَ خَافُوا وَبَعَثُوا بِعُثْمَانَ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَفِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨] وَحَلَّقَ النَّاسُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحَرُوا هَدَايَاهُمْ بِالْحَدِيثِ وَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِالْحَدِيثِ بِضْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَقِيلَ عِشْرِينَ ثُمَّ قَفَلَ وَفِي نَفْسٍ بَعْضُهُمْ شَيْءٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ الْفَتْحِ يُسْلِمُهُمْ بِهَا وَيَذْكُرُهُمْ نِعْمَةً فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَنَسُ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ الْفَتْحُ هُنَا فَتْحُ الْحَدِيثِ وَوُقُوعُ الصُّلْحِ ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَزْوَةُ خَيْبَرٍ

وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ ذَاتُ حُصُونٍ وَمَزَارِعَ عَلَى ثَمَانِيَةِ بُرْدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى جِهَةِ الشَّامِ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَقِيَّةِ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ سَبْعٍ فَأَقَامَ يَحَاصِرُهَا بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً إِلَى أَنْ فَتَحَهَا وَكَانَ مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ رَاجِلٍ وَمِائَتَا فَارِسٍ وَمَعَهُ أُمُّ سَلَمَةَ رُوحَتُهُ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلًا وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بِلَيْلٍ لَمْ يَغْزُهُمْ حَتَّى يُضْبِحَ فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ أَيُّ الْجَيْشِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرِبَتْ خَيْبَرُ «إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ» وَفِي رِوَايَةٍ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الرَّاياتِ وَفِي الْبُخَارِيِّ وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ رَمِدًا فَلَحِقَ قَالَ رَأَوِيهِ فَلَمَّا بَيْنَا اللَّيْلَةَ الَّتِي فُتِحَتْ قَالَ لِأَعْطَيْنِ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يَجِبُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ عَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأَتَاهُ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَانُوا لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلْهُمْ حَتَّى يَخُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ أَيُّ هَيْتِكَ

حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ قَوْلُ اللَّهِ
لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ، وَفِي رِوَايَةٍ أَنْ عَلِيًّا
قَلَعَ بَابَ خَيْبَرَ وَلَمْ يَحْرُكْهُ سَبْعُونَ رَجُلًا إِلَّا بَعْدَ الْجُهْدِ، وَقَاتَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ
خَيْبَرَ وَقَاتَلُوهُ أَشَدَّ الْقِتَالِ وَاسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَمْسَةَ عَشَرَ وَقُتِلَ مِنَ الْيَهُودِ ثَلَاثَةٌ وَتَسْعُونَ
وَفَتَحَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ حِصْنًا حِصْنًا وَأَخَذَ كَنْزَ آلِ أَبِي الْحَقِيقِ الَّذِي كَانَ فِي مَسْكِ الْحِمَارِ
أَبَى جَلْدِهِ وَكَانُوا قَدْ غِيَّوْهُ فِي خِزْيَةٍ فَدَلَّ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ عَلَيْهِ فَاسْتَخْرَجَهُ.

وَنَزَّوَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُصَيْنٍ ابْنِ أَخْطَبٍ وَكَانَ قَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا كِنَانَةُ
ابْنُ الرَّبِيعِ وَكَانَتْ عَرُوسًا فَذَكَرَ لَهُ جَمَالَهَا فَاصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ بَعْدَ أَنْ أَعْتَقَهَا فَصَارَتْ
مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ أَنَّ الْقَمَرَ سَقَطَ فِي حِجْرِهَا فَتَوَوَّلَ بِذَلِكَ.

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ بِسَاقِي سَلَمَةَ فَقُلْتُ مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ قَالَ هَذِهِ
ضَرْبَةُ أَصَابَتْهَا يَوْمَ خَيْبَرَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَفَتَّ فِيهَا ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا
اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ.

وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ سَمِتَ الْيَهُودِيَّةُ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ شَاةَ مَضْلِيَّةٍ أَيْ مَشْوِيَّةٍ ثُمَّ أَهْدَتْهَا
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكَلَ مِنْهَا وَأَكَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْزُقُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَرْسَلْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَقَالَ سَمِمْتَ هَذِهِ الشَّاةُ فَقَالَتْ مَنْ
أَخْبَرَكَ قَالَ أَخْبَرْتَنِي هَذِهِ فِي يَدَيَّ لِلذَّرَاعِ فَقَالَتْ نَعَمْ قُلْتُ إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَنْ يَضُرَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ
نَبِيًّا اسْتَرْخَنَا مِنْهُ فَعَمَّا عَنْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُعَاقِبْهَا وَتَوَفَّى أَصْحَابُهَا الَّذِينَ أَكَلُوا مِنْ
الشَّاةِ وَفِيهِمْ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ فَدَفَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَهُودِيَّةَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ فَتَقَتَلُوهَا بِهِ قِصَاصًا
وَاخْتَجَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كَاهِلِهِ.

غَزْوَةُ وَادِي الْقُرَى

فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ بَعْدَمَا أَقَامَ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعًا يُحَاصِرُهُمْ وَصَالَحَهُ أَهْلُ
تَيْمَاءَ عَلَى الْجِزْيَةِ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى تُرَيْبَةَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سَبْعٍ
وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا فَخَرَجَ مَعَهُ دَلِيلٌ مِنْ بَنِي هِلَالٍ فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَحْكُمُ النَّهَارَ فَأَتَى الْخَبَرَ
إِلَى هَوَازِنَ فَهَرَبُوا وَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى مَحَالِهِمْ فَلَمْ يَلْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا فَانْصَرَفَ رَاجِعًا
إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى فَرَازَةَ نَاجِيَةَ ضَرْبَةٍ فِي شَعْبَانَ
سَنَةِ سَبْعٍ فَسَبَى مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَقَتَلَ آخَرِينَ.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ) إِلَى بَنِي مُرَّةَ بِفَذَكٍ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا فَقَتَلُوا وَقَاتَلَ بَشِيرٌ حَتَّى اِزْتُ وَاقْدَمَ ابْنُ زَيْدٍ الْحَارِثِيُّ بِخَبَرِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ) إِلَى الْمَيْقَعَةِ بِنَاحِيَةِ تَجْدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ بُرْدٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ فِي يَاسْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا فَهَجَمُوا عَلَيْهِمْ فِي وَسْطِ مَحَالِهِمْ فَقَتَلُوا مَنْ أَشْرَفَ لَهُمْ وَاسْتَأَقُوا نَعَمًا وَشَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالُوا وَفِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ قَتَلَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ نَهْيَكَ بْنُ مِرْدَاسَ بَعْدَ أَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا شَقَقْتُ عَنْ قَلْبِهِ فَتَعَلَّمَ أَصَادِقُ أَمْ كَذِبُ فَقَالَ أَسَامَةُ لَا أَقَاتِلُ أَحَدًا يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُرَقَةِ فَصَبَّخْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْتَاهُمْ وَلَجِثْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ ثَلَاثًا عَشِينَ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ عَنْهُ وَطَعْنَتْهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أَسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُلْتُ كَانَ مُتَعَوِّذًا فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَثَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ) أَيْضًا إِلَى يُمْنٍ وَجَبَارَ وَهِيَ أَرْضٌ لِعَظْفَانَ فِي شَوَالِ سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ ثَلَاثِينَ رَجُلًا لِيَجْمَعَ تَجْمَعُوا لِلْإِعَارَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ فَسَارُوا اللَّيْلَ وَكَمَوْا النَّهَارَ فَلَمَّا بَلَغَهُمْ مَسِيرُ بَشِيرٍ هَرَبُوا وَأَصَابَ لَهُمْ نَعَمًا كَثِيرَةً فَغَنِمَهَا وَأَسَرَ رَجُلَيْنِ وَقَدِمَ بِهِمَا إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْلَمَا.

عُمْرَةُ الْقَضَاءِ

قَالَ الْحَاكِمُ فِي الْإِخْلِيلِ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَلَ ذُو الْقَعْدَةِ يَغْنِي سَنَةَ سَبْعٍ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَغْتَمِرُوا قَضَاءَ لِعُمْرَتِهِمْ الَّتِي صَدَّهُمُ الْمُشْرِكُونَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِيَّةِ وَأَنْ لَا يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ مِنْ شُهَدَاءِ الْحَدِيثِيَّةِ فَلَمْ يَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلَانِ اسْتَشْهَدَا بِخَبَرِ وَرَجُلَانِ مَاتُوا وَخَرَجَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْفَانِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُحْمٍ الْغِفَارِيُّ وَسَاقَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ سِتِينَ بَدَنَةً وَحَمَلَ السَّلَاحَ وَالْيَبِضَ وَالْذُرُوعَ وَالرُّمَاحَ وَقَادَ مِائَةَ فَرَسٍ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ قَدَّمَ الْخَيْلَ أَمَامَهُ عَلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَقَدَّمَ السَّلَاحَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ وَأَخْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَبَّى وَالْمُسْلِمُونَ يُلْبُونَ مَعَهُ وَمَضَى مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فِي الْخَيْلِ إِلَى مَرِّ الظُّهْرَانِ فَوَجَدَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ فَسَأَلُوهُ.

فَقَالَ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْبِحُ هَذَا الْمَنْزِلَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَأَتَوْا قُرَيْشًا فَأَخْبَرُوهُمْ فَقَزَعُوا وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ وَقَدَّمَ السَّلَاحَ إِلَى بَطْنِ يَاجِجٍ مَوْضِعَ بِقُرْبِ مَكَّةَ وَخَلَّفَ عَلَيْهِ أَوْسَ بْنَ خَوْلِيٍّ الْأَنْصَارِيَّ فِي مَائَتَيْ رَجُلٍ وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ وَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدْيَ أَمَامَهُ فَحَبَسَ بِيَدِي طَوَى وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاجِلَيْهِ الْقُضْوَاءَ وَالْمُسْلِمُونَ مُتَوَشِّحُونَ السُّيُوفَ مُحْدِثُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبُثُونَ فَدَخَلَ مِنْ الثُّبَيْتَةِ الَّتِي تُطْلِعُهُ عَلَى الْحَجَّوْنِ وَابْنِ رَوَاحَةَ آخِذٌ بِرِمَامٍ رَاجِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ شَيْعَرًا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَّ عَنْهُ يَا عُمَرُ قَلْبِي أَسْرَعَ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ الثُّبُلِ وَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْبِي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ بِمَحْجَتِهِ مُضْطَبِّعًا بِثَوْبِهِ وَطَافَ عَلَى رَاجِلَيْهِ وَالْمُسْلِمُونَ يَطُوفُونَ مَعَهُ وَقَدْ اضْطَبَّعُوا بِثِيَابِهِمْ وَالْإِضْطَبَاعُ أَنْ يُدْخَلَ الرِّدَاءُ تَحْتَ إِنْطِيطِ الْأَيْمَنِ وَيَزُدَّ طَرَفُهُ عَلَى يَسَارِهِ وَيُؤَدِّي مَلَكَبَةَ الْأَيْمَنِ وَيُعْطَى الْأَيْسَرَ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ قَالَ الْمُشْرِكُونَ إِنَّهُ قَدِيمٌ عَلَيْكُمْ وَقَدْ وَهَنْتُهُمْ حُمَى يَثْرِبَ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَزْمُلُوا الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ ارْزُمُوا لِيَرِي الْمُشْرِكِينَ قُوَّتَهُمْ ثُمَّ طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الصُّفَا وَالْمَرْوَةِ عَلَى رَاجِلَيْهِ فَلَمَّا كَانَ الطَّوَافُ السَّابِعُ عِنْدَ قَرَاغِهِ وَقَدْ وَقَفَ الْهَدْيَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ قَالَ هَذَا الْمَنْحَرُ وَكُلُّ فِجَاجٍ مَكَّةَ مَنْحَرٌ فَتَحَرَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ وَحَلَقَ هُنَاكَ وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْمُسْلِمُونَ وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا مِنْهُمْ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى أَصْحَابِهِ بِبَطْنِ يَاجِجٍ فَيُقِيمُوا عَلَى السَّلَاحِ وَيَأْتِي الْآخَرُونَ فَيَقْضُوا نُسُكَهُمْ فَفَعَلُوا وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثَلَاثًا فَلَمَّا مَضَى الْأَجَلَ أَتَى الْمُشْرِكُونَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالُوا قُلْ لِمَ لَمْ يَخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الْأَجَلُ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ ابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ السَّلْمِيَّةُ) إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سَبْعٍ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا فَأَخَذَ بِهِمُ الْكُفَّارُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَقَاتَلَ الْقَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى قُتِلَ عَامَّتُهُمْ وَأَصِيبَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ جَرِيحًا مَعَ الْقَتْلَى ثُمَّ تَحَامَلَ حَتَّى بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ) إِلَى بَنِي الْمُلُوحِ بِالْكَدِيدِ فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ فَعِيمَ
وَفِي هَذَا الشَّهْرِ قَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْمَدِينَةُ
فَأَسْلَمُوا، ثُمَّ (سَرِيَّةُ غَالِبِ أَيْضًا) إِلَى مُصَابِ أَصْحَابِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ بِقَدِيقٍ فِي صَفَرِ سَنَةِ
ثَمَانٍ وَمَعَهُ مِائَتَا رَجُلٍ فَأَعَارَوْا عَلَيْهِمْ مَعَ الصُّبْحِ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ قَتْلَى وَأَصَابُوا نَعْمًا ثُمَّ (سَرِيَّةُ
شُجَاعِ بْنِ وَهَبِ الْأَسَدِيِّ) إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ
رَجُلًا إِلَى جَمْعٍ مِنْ هَوَازِنَ وَأَمَرَهُ أَنْ يُغِيرَ عَلَيْهِمْ فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ حَتَّى
صَبَحَهُمْ فَأَصَابُوا نَعْمًا وَشَاءَ وَاسْتَأْفُوا ذَلِكَ حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ كَعْبِ بْنِ عُمَيْرِ
الْغِفَارِيِّ) إِلَى ذَاتِ أَطْلَاحٍ فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا فَسَارُوا حَتَّى انْتَهَوْا
إِلَى ذَاتِ أَطْلَاحٍ فَوَجَدُوا جَمْعًا كَثِيرًا فَقَاتَلَهُمُ الصُّحَابَةُ أَشَدَّ الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلُوا وَأَقْلَتَ مِنْهُمْ
رَجُلٌ جَرِيحٌ فِي الْقَتْلِ قِيلَ هُوَ الْأَمِيرُ فَلَمَّا بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ تَحَامَلَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَهَمَّ بِالْبُعْثِ إِلَيْهِمْ فَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ سَارُوا إِلَى مَوْضِعٍ
آخَرَ فَتَرَكَهُمْ.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ مُوتَةَ) وَهِيَ مِنْ عَمَلِ الْبَلْقَاءِ بِالشَّامِ كَانَتْ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَمَانٍ
وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَرْسَلَ الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرِ الْأَزْدِيَّ بِكِتَابٍ إِلَى
مَلِكِ بَصْرَى فَلَمَّا نَزَلَ مُوتَةَ عَرَضَ لَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرِو الْعَسَانِي فَقَتَلَهُ وَلَمْ يَقْتُلْ لِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولَ غَيْرِهِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ عَلَى
ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَقَالَ إِنْ قُتِلَ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَإِنْ قُتِلَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ
فَإِنْ قُتِلَ فَلْيَرْتَضِ الْمُسْلِمُونَ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِيهِمْ يَجْعَلُونَهُ عَلَيْهِمْ وَعَقَدَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِوَاءً أَبْيَضَ وَدَفَعَهُ إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأَوْصَاهُمْ أَنْ يَأْتُوا مَقْتَلَ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرِ وَأَنْ يَدْعُوا
مَنْ هُنَاكَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوا وَإِلَّا اسْتَعِينُوا عَلَيْهِمْ بِاللَّهِ وَقَاتِلُوهُمْ وَخَرَجَ مُشِيرًا لَهُمْ حَتَّى
بَلَغَ ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ فَلَمَّا سَارُوا نَادَى الْمُسْلِمُونَ دَفَعَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَرَدَّكُمْ صَالِحِينَ غَانِمِينَ فَلَمَّا
فُصِّلُوا مِنَ الْمَدِينَةِ سَمِعَ الْعَدُوُّ بِمَسِيرِهِمْ فَجَمَعُوا لَهُمْ وَقَامَ شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرِو فَجَمَعَ أَكْثَرَ مِنْ
مِائَةِ آلَافٍ وَقَدَّمَ الطَّلَاحَ أَمَامَهُ.

وَقَدْ نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ مَعَانَ مَوْضِعٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَبَلَغَ النَّاسَ كَثْرَةُ الْعَدُوِّ وَتَجَمُّعُهُمْ
وَأَنَّ هِرْقُلَ نَزَلَ بِأَرْضِ الْبَلْقَاءِ فِي مِائَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَقَامُوا لَيْلَتَيْنِ لِيَنْظُرُوا فِي أَمْرِهِمْ
وَقَالُوا نَكُتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتُخْبِرُهُ الْخَبَرُ فَسَجَّعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ
عَلَى الْمُضِيِّ فَمَضَوْا إِلَى مُوتَةَ وَوَأَفَاهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَجَاءَ مِنْهُمْ مَا لَا قِتْلَ لِأَحَدٍ بِهِ مِنَ الْعَدُوِّ

وَالسَّلَاحَ وَالْكُرَاعَ وَالذِّبَاجَ وَالْحَرِيرَ وَالذَّهَبَ وَالتَّقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فَقَاتَلَ الْأَمْرَاءُ يَوْمَئِذٍ عَلَى أَرْجُلِهِمْ فَأَخَذَ اللَّوَاءُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَاتَلَ وَقَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ عَلَى صُفُوفِهِمْ حَتَّى قُتِلَ طَعْنًا بِالرَّمَاكِ ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَتَزَلَّ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَفَرَاءَ فَعَقَرَهَا ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ جَمِيعًا أَخَذَ اللَّوَاءُ بِبَيْمِيهِ فَقُطِعَتْ ثُمَّ أَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقُطِعَتْ ثُمَّ اخْتَضَّهَ فَقُتِلَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ أَبْدَلَهُ بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ وَوُجِدَ فِيهَا أَقْبَلُ مِنْ بَدَنِهِ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ ضَرْبَةً بِسَيْفٍ وَطَعْنَةٍ بِرُمْحٍ ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَأَخَذَ اللَّوَاءُ ابْنَ أَفْرَمَ الْعِجْلَانِيَّ إِلَى أَنْ اضْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَأَخَذَ اللَّوَاءُ وَقَاتَلَهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَأَصَابَ غَنِيمَةً ثُمَّ انْحَارَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ وَرُفِعَتْ الْأَرْضُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَظَرَ إِلَى مُعْتَرِكِ الْقَوْمِ وَذَكَرَ مُوسَى ابْنُ عُقْبَةَ فِي الْمَغَازِي أَنْ يَغْلَى بْنُ أُمَيَّةَ قَدِيمٌ بِخَبَرِ أَهْلِ مَوْتَةٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ شَيْئًا فَأَخْبِرْنِي وَإِنْ شَيْئًا أَخْبَرْتُكَ قَالَ أَخْبِرْنِي فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُمْ فَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا تَرَكْتُ مِنْ حَدِيثِهِمْ خَرَفًا لَمْ تَذْكُرْهُ.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ) إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ وَهِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ وَكَانَتْ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبِّحَهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ جَمْعًا مِنْ قُضَاعَةٍ قَدْ تَجَمَّعُوا لِلْإِغَارَةِ فَبَعَثَ عَمْرًا وَعَقَدَ لَهُ لَوَاءً أَبْيَضَ وَجَعَلَ مَعَهُ رَايَةً سَوْدَاءَ وَبَعَثَهُ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ سَرَاةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَعَهُمْ ثَلَاثُونَ فَرَسًا فَسَارَ اللَّيْلَ وَكَمَنَّ النَّهَارَ فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمْ بَلَغَهُ أَنَّ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيرًا فَبَعَثَ رَافِعَ بْنَ مَكِيثَ الْجُهَيْنِيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِدُّهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ وَعَقَدَ لَهُ لَوَاءً وَبَعَثَ مَعَهُ مِائَتَيْنِ مِنْ سَرَاةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِعَمْرٍو وَأَنْ يَكُونَا جَمِيعًا وَلَا يَخْتَلِفَا فَأَرَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يَوْمَ النَّاسِ فَقَالَ عَمْرٍو إِنَّمَا قَدِمْتُ عَلَيْكَ مَدَدًا وَأَنَا الْأَمِيرُ فَأَطَاعَ لَهُ ذَلِكَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَكَانَ عَمْرٍو يُصَلِّي بِالنَّاسِ وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْعَدُوِّ بَلِيٍّ وَعُذْرَةٍ فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ فَهَرَبُوا بِالْبِلَادِ وَتَفَرَّقُوا.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجُرَّاحِ) وَسَمَاهَا الْبُخَارِيُّ غَزْوَةَ سَيْفِ الْبَحْرِ وَتُسَمَّى بِسَرِيَّةِ الْخَبْطِ وَكَانَتْ فِي رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ إِلَى حَيٍّ مِنْ جُهَيْنَةَ بِالْقَبْلِيَّةِ مِمَّا يَلِي سَاحِلَ الْبَحْرِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ خَمْسُ لَيَالٍ: زَوَى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرٍ قَالَ خَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثِمِائَةٌ نَحْمِلُ

زَادَنَا عَلَى رِقَابِنَا فَقَنِي زَادَنَا حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ تَمْرَةً تَمْرَةً وَابْتَاعَ قَبْسُ بْنُ سَعْدٍ جَزُورًا وَنَحَرَهَا لَهُمْ وَأَخْرَجَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ دَابَّةً تُسَمَّى الْعَنْبَرُ فَأَكَلُوا مِنْهَا وَتَزَوَّدُوا وَرَجَعُوا وَلَمْ يَلْقُوا كَيْدًا زَادَ فِي رِوَايَةٍ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَّرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ هُوَ رِزْقُ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ فَهَلْ مَعَكُمْ شَيْءٌ مِنْ لَحْمِهِ فَتَطْعِمُونَا قَالَ فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ فَأَكَلَ .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ) إِلَى خَضِرَةَ وَهِيَ أَرْضٌ مُحَارِبٌ يَنْجِدُ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَبَعَثَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا إِلَى غَطَفَانَ فَقَتَلَ مَنْ أَشْرَفَ مِنْهُمْ وَسَبَى سَبْيًا كَثِيرًا وَاسْتَأَقَ النَّعَمَ فَكَانَتْ الْإِبِلُ مَائَتِي بَعِيرٍ وَالْعَنَمُ أَلْفِي شَاةٍ وَكَانَتْ عَيْنَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ أَبِي قَتَادَةَ أَيْضًا) إِلَى بَطْنِ إِضْمٍ عَلَى ثَلَاثَةِ بُرْدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَمَّ أَنْ يَغْزُوا أَهْلَ مَكَّةَ بَعَثَهُ لِيُظَنَّ ظَانٌّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَجَّهَ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَلِأَنَّهُ تَذَهَّبَ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ فَلَقُوا عَامِرَ بْنَ الْأَضْبَطِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ فَقَتَلَهُ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَامَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء : ٩٤] الْآيَةَ فَجَاءَ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَامَةَ فِي بُرْدَيْنِ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا عَفْرَ اللَّهُ لَكَ فَقَامَ وَهُوَ يَتَلَقَّى دُمُوعَهُ بِبُرْدَيْهِ فَمَا مَضَتْ لَهُ سَابِعَةٌ حَتَّى مَاتَ فَلَقَطْنَاهُ الْأَرْضُ ثُمَّ عَادُوا بِهِ فَلَقَطْنَاهُ الْأَرْضُ فَلَمَّا غَلَبَ قَوْمُهُ عَمَدُوا إِلَى صُدَيْنِ أَيْ جَبَلَيْنِ فَسَطَّحُوهُ ثُمَّ رَضَمُوا عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ حَتَّى وَارَوْهُ فَذَكَّرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ الْأَرْضَ تَقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْ صَاحِبِكُمْ وَلَكِنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَعْظُكُم .

فَتْحُ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ

زَادَهَا اللَّهُ شَرَفًا وَكَرَمًا وَهُوَ الْفَتْحُ الْأَعْظَمُ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ دِينَهُ وَرَسُولَهُ وَجُنْدَهُ وَحَرَمَهُ الْأَمِينَ وَاسْتَنْقَذَ بِهِ بَلَدَهُ وَبَيْنَتَهُ الَّذِي جَعَلَهُ هُدًى لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ خَرَجَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ الْإِسْلَامِ، وَجُنُودِ الرَّحْمَنِ لِيَنْقُضَ قُرَيْشَ الْعَهْدَ الَّذِي وَقَعَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ وَقَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ أَنْ يُجَدِّدَ الْعَهْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ فَأَبَى عَلَيْهِ فَاَنْصَرَفَ إِلَى مَكَّةَ فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ إِعْلَامٍ أَحَدٍ فَكَتَبَ حَاطِبٌ كِتَابًا وَأَرْسَلَهُ إِلَى مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِذَلِكَ فَأُطْلِعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى

ذَلِكَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَلِّي وَالزُّبَيْرِ وَالْمِقْدَادِ انْطَلِفُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاحٍ فَإِنْ بِهَا طَعِينَةٌ مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا قَالَ فَاَنْطَلَفْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ فَلَمَّا نَحْنُ بِالطَّعِينَةِ قُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ قَالَتْ مَا مَعِيَ كِتَابٌ قُلْنَا لَنُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنَلْقَيْنَنَّ الثِّيَابَ قَالَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِأُمُورِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا حَاطِبُ مَا هَذَا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ أَنِّي حَلِيفًا وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَخْبَيْتُ إِذْ قَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَخُذَ عَنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلَا رِضَى بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبَ عُتُقَ هَذَا الْمُتَنَافِقِ فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَذْرًا وَمَا يُذْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَذْرًا فَقَالَ ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَحَكَى السُّهَيْلِيُّ أَنَّ لَفْظَ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ حَاطِبُ أَمَا بَعْدُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَكُمْ بِجَنِيحٍ عَظِيمٍ يَسِيلُ كَالسَّبِيلِ قَوْلَ اللَّهِ لَوْ جَاءَكُمْ وَخَذَهُ لَتَصَرَّهَ اللَّهُ وَأَنْجَزَ لَهُ فَاَنْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَالسَّلَامِ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْعَرَبِ أَسْلَمَ وَغَفَارَ وَمُرَئْتَةَ وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ وَسَلِيمَ فَجَلَبَهُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ وَاثَاهُ بِالْمَدِينَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَحِقَهُ بِالطَّرِيقِ وَاسْتَخْلَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَخَرَجَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِلْيَلْتَنِ خَلَّتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَقِيلَ لِعَشْرِ وَقِيلَ لِأَكْثَرِ بَعْدَ الْعَصْرِ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ عَشْرَةَ آلَافٍ وَقِيلَ اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا وَكَانَ الْعَبَّاسُ قَدْ خَرَجَ بِأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ مُسْلِمًا مُهَاجِرًا فَلَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْلَمَ بِالْجُحْفَةِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُقِيمًا بِمَكَّةَ عَلَى سِقَايَتِهِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ رَاضٍ وَكَانَ مِمَّنْ لَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ ابْنُ عَمِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَخُوهُ مِنْ رِضَاعٍ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةَ وَمَعَهُ وَلَدُهُ جَعْفَرٌ وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ يَأْلَفُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا بُعِثَ عَادَاهُ وَهَجَاهُ وَكَانَ لِقَاؤُهُمَا لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْأَبْوَاءِ وَأَسْلَمَا قَبْلَ دُخُولِ مَكَّةَ ثُمَّ سَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَانَ بِقُدَيْدٍ عَقَدَ الْأَلْوِيَةَ وَالرَّايَاتِ وَدَفَعَهَا إِلَى الْقَبَائِلِ ثُمَّ نَزَلَ مَرَّ الظُّهْرَانِ عِشَاءَ فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَوْقَدُوا عَشْرَةَ

آلِافِ نَارٍ وَلَمْ يَنْلُغْ قُرَيْشًا مَسِيرُهُ وَهُمْ مُعْتَمِدُونَ لِمَا يَخَافُونَ مِنْ عَزْوِهِ إِثَابُهُمْ فَبِعَثُوا أَبَا سُفْيَانَ ابْنَ حَرْبٍ وَقَالُوا إِنَّ لَقَيْتَ مُحَمَّدًا فُخْذَلْنَا مِنْهُ أَمَانًا فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظُّهْرَانِ فَلَمَّا رَأَوْا الْعَسْكَرَ أَفْزَعَهُمْ فَرَأَهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَذْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ فَأَتَوْا بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ فَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ فَقَالَ يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ قَالَ هَذِهِ غِفَارٌ قَالَ مَا لِي وَلِغِفَارٍ ثُمَّ جُهِتَتْهُ قَالَ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَالَ مَنْ هَذِهِ قَالَ هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ فَقَالَ سَعْدُ يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ الْيَوْمُ الْمَلْحَمَةُ الْيَوْمَ تُسْتَحْلُ الْكَعْبَةُ وَفِي رِوَايَةٍ تُسْتَحْلُ الْحُرْمَةُ فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آمَنُ أَنْ يَكُونَ لِسَعْدٍ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ فَقَالَ لِعَلِّي أَذْرِكُهُ فُخْذِلِ الرَّايَةَ مِنْهُ فَكُنْ أَنْتَ تَدْخُلُ بِهَا وَرُويَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَاذَاهُ أَمَرْتُ بِقَتْلِ قَوْمِكَ قَالَ لَا فَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ثُمَّ نَاشَدَهُ اللَّهُ وَالرَّجِمَ فَقَالَ يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ الْيَوْمُ الْمَرْحَمَةُ الْيَوْمَ يُعِزُّ اللَّهُ قُرَيْشًا وَأَرْسَلَ إِلَى سَعْدٍ فَأَخَذَ الرَّايَةَ مِنْهُ فَدَفَعَهَا إِلَى ابْنِهِ قَيْسٍ .

قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَخَيْلِهِمْ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ كَدَاءٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَغِيرَ رَايَتَهُ بِالْحَجَّوِينَ وَلَا يَبْرَحَ حَتَّى يَأْتِيَهُ وَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي قَبَائِلِ قُضَاعَةَ وَسَلِيمَ وَغَيْرِهِمْ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ وَأَنْ يَغِيرَ رَايَتَهُ عِنْدَ أَدْنَى الْبُيُوتِ وَبَعَثَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فِي كَتِيبَةِ الْأَنْصَارِ فِي مَقْدَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ وَلَا يَقَاتِلُوا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ وَانْدَفَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ حَتَّى دَخَلَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ وَقَدْ تَجَمَّعَ بِهَا بَنُو بَكْرِ وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَنَاسٌ مِنْ هَذِيلٍ وَمِنْ الْأَحَابِيشِ الَّذِينَ انْتَصَرَتْ بِهِمْ قُرَيْشٌ فَقَاتَلُوا خَالِدًا فَقَاتَلَهُمْ فَأَنْهَزُوا وَقُتِلَ مِنْ بَنِي بَكْرِ نَحْوُ مِنْ عِشْرِينَ رَجُلًا وَمِنْ هَذِيلٍ ثَلَاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ حَتَّى انْتَهَى بِهِمُ الْقَتْلُ إِلَى الْحَزْوَرَةِ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ حَتَّى دَخَلُوا الدُّورَ فَارْتَفَعَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عَلَى الْجَبَالِ وَصَاحَ أَبُو سُفْيَانَ مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْبَارِقَةِ فَقَالَ مَا هَذِهِ وَقَدْ نَهَيْتُ عَنِ الْقِتَالِ فَقَالُوا إِنَّ خَالِدًا قُوتِلَ وَبُدِيَءَ بِالْقِتَالِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَقَاتِلَهُمْ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ اطمأنَّ لِخَالِدٍ لِمَ قَاتَلْتَ وَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ

الْقِتَالِ فَقَالَ هُمْ بَدَوْنَا بِالْقِتَالِ وَقَدْ كَفَفْتُ يَدِي مَا اسْتَطَعْتُ فَقَالَ قُضَاءُ اللَّهِ خَيْرٌ وَقَالَ الْعَبَّاسُ
بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الْفَخْرَ
فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا قَالَ نَعَمْ وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَادَى مُتَأَدِّيه مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ
وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ إِلَّا الْمُسْتَنْتَبِينَ وَهُمْ عَلَى مَا
جَمَعَهُ الْوَاقِدِيُّ عَنْ شَيْوَيْهِ عَشْرَةَ أَنْفُسٍ سِتَّةَ رِجَالٍ وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ بَعَثَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَبِّتَيْنِ خَالِدَ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى الْأُخْرَى
وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْحُسْرِىِ أَيُّ الدِّينِ بِغَيْرِ سِلَاحٍ فَقَالَ لِي يَا أَبَا هُرَيْرَةَ اهْتِفْ لِي بِالْأَنْصَارِ
فَهْتَفْتُ بِهِمْ فَجَاؤُوا قَاطَافُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ أَتَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ ثُمَّ قَالَ بِإِحْدَى
يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى اخْصِدُوا وَهُمْ خَصَصُوا حَتَّى تُوَافُونِي بِالصِّفَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَانْطَلَقْنَا فَمَا نَشَاءُ
أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا قَتَلْنَاهُ فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْبَحَثْ خَضِرَاءَ قُرَيْشٍ لَا
قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ رَأْسَهُ تَوَاضَعًا لِلَّهِ لَمَّا رَأَى مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْفَتْحِ حَتَّى إِنَّ رَأْسَهُ
لَتَكَادَ تَمَسَّ رَحْلَهُ شُكْرًا وَخُضُوعًا لِعَظَمَتِهِ تَعَالَى أَنْ أَحَلَّ لَهُ بَلَدَهُ وَلَمْ يُحِلَّهُ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا
لِأَحَدٍ بَعْدَهُ وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ
الْمِغْفَرُ.

وَهُوَ زَرَدٌ يُنْسَجُ عَلَى قَدْرِ الرَّأْسِ مِثْلُ الْفَلَنْسُورَةِ وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَانَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، وَلَمَّا كَانَ الْعُدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ قَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَطِيبًا
فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ بِحُزْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا أَوْ يَغْضِدَ بِهَا شَجَرَةً فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ فِيهَا لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ
نَهَارٍ وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ
مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ قَالُوا خَيْرًا أَخُ كَرِيمٍ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ قَالَ أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ أَيُّ الدِّينِ
أَطْلِقُوا قَلَمَ يَسْتَرْقُوا وَلَمْ يُؤْسَرُوا.

وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْأَنْصَارُ فِيمَا

بَيْنَهُمْ أَتَرُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ يُقِيمُ بِهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عَلَى الصُّفَا رَافِعًا يَدَيْهِ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ دُعَائِهِ قَالَ مَاذَا قُلْتُمْ قَالُوا لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَزَلْ يَهْمُ حَتَّى أَخْبَرُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَاذَ اللَّهِ الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتِ مَمَاتُكُمْ.

وَهُمْ فُضَالَةٌ بَنُ عُمَيْرِ بْنِ الْمُلُوحِ أَنْ يَقْتُلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفُضَالَةٌ قَالَ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ قَالَ لَا شَيْءَ كُنْتُ أَذْكُرُ اللَّهَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ فَكَانَ فُضَالَةُ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ، وَفِي تَفْسِيرِ الْعَلَامَةِ ابْنِ النَّقِيبِ الْمُقَدِّسِيِّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَعْلَمَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ قَدْ أُنْجِزَ لَهُ وَعْدُهُ بِالنُّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَفُتِحَ مَكَّةَ وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ دِينِهِ أَمَرَهُ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ أَنْ يَقُولَ: «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» [الإسراء: ٨١] فَصَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْعَنُ الْأَضْيَانِ النَّبِيَّ حَوْلَ الْكَعْبَةِ بِمِخْجَنِهِ وَيَقُولُ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ فَيَخِرُّ الصُّنَمَ سَاقِطًا مَعَ أَنَّهَا كُلُّهَا كَانَتْ مُبْتَنًى بِالْحَدِيدِ وَالرُّصَاصِ وَكَانَتْ ثَلَاثِمِائَةً وَسِتِّينَ صَنَمًا بِعَدَدِ أَيَّامِ السَّنَةِ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَتِهِ الْقُصْوَاءِ وَهُوَ مُزْدِفٌ أَسَامَةً حَتَّى أَتَاخَ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ ثُمَّ دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ فَقَالَ اثْنَيْنِ بِالْمِفْتَاحِ فَذَهَبَ إِلَى أُمِّهِ فَأَبَتْ أَنْ تُعْطِيَهُ فَقَالَ وَاللَّهِ لَتُعْطِيَنِي أَوْ لَيُخْرِجَنَّ هَذَا السَّيْفُ مِنْ صُلْبِي فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ فَجَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ فَفَتَحَ الْبَابَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي الطَّبَقَاتِ لِابْنِ سَعْدٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ كُنَّا نَفْتَحُ الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْكَعْبَةَ مَعَ النَّاسِ فَأَغْلَظَتْ لَهُ وَنَلَتْ مِنْهُ فَحَلَمَ عَنِّي ثُمَّ قَالَ يَا عُثْمَانُ لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ فَقُلْتُ لَقَدْ هَلَكْتُ فَرَيْشُ يَوْمِيذٍ وَذَلْتُ فَقَالَ بَلْ عَمَرْتُ وَعَزْتُ يَوْمِيذٍ وَدَخَلَ الْكَعْبَةَ فَوَقَعَتْ كَلِمَتُهُ مِنِّي مَوْقِعًا ظَنَنْتُ يَوْمِيذٍ أَنْ الْأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَى مَا قَالَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ قَالَ يَا عُثْمَانُ اثْنَيْنِ بِالْمِفْتَاحِ فَأَتَيْنِي بِهِ فَأَخَذَهُ مِنِّي ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيَّ وَقَالَ خُذُوهَا خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّهَ اسْتَأْمَنَكُمْ عَلَى بَيْتِهِ فَكُلُّوا مِمَّا يَصِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ بِالْمَعْرُوفِ قَالَ فَلَمَّا وَلَيْتُ نَادَانِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ أَلَمْ يَكُنْ الَّذِي قُلْتُ لَكَ قَالَ

فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ قُلْتُ بَلَى أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَفِي عُثْمَانَ هَذَا نَزَلَتْ آيَةُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وَرَوَى مُسْلِمٌ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ هُوَ وَأَسَامَةُ ابْنُ زَيْدٍ وَبِلَالٌ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الْكَعْبَةَ فَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ قَالَ ابْنُ عُمَرَ فَلَمَّا فَتَحُوا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ وَلَجَ فَلَقِيتُ بِلَالًا فَسَأَلْتُهُ هَلْ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَعَمْ بَيْنَ الْعُمُودَيْنِ الْيَمَانِيَيْنِ وَذَهَبَ عَنِّي أَسْأَلُهُ كَمْ صَلَّى.

وَفِي إِحْدَى رِوَايَاتِ الْبُخَارِيِّ جَعَلَ عُمُودًا عَلَى يَسَارِهِ وَعُمُودًا عَلَى يَمِينِهِ وَثَلَاثَةَ أَغْمِدَةٍ وَرَاءَهُ وَفِي كِتَابِ مَكَّةَ لِلْأَزْرَقِيِّ وَالْفَاكِهِيَّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْجِدَارِ ذِرَاعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ أَذْرُعَ فَعَلَى هَذَا يَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ الْأَتْبَاعَ فِي ذَلِكَ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِدَارِ ثَلَاثَةَ أَذْرُعَ فَإِنَّهُ تَقَعُ قَدَمَاهُ فِي مَكَانٍ قَدَمَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَتْ ثَلَاثَةُ سَوَاءٍ أَوْ تَقَعُ رُكْبَتَاهُ أَوْ يَدَاهُ أَوْ وَجْهُهُ إِنْ كَانَ أَقْلٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَذْرُعَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكَعْبَةِ وَرَأَى صُورًا فِدْعًا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْحُوهَا وَيَقُولُ قَاتَلَ اللَّهُ قَوْمًا يُصَوِّرُونَ مَا لَا يَخْلُقُونَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَقِيلَ أَكْثَرَ وَكَانَ فَتَحَ مَكَّةَ لِعَشْرِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَقِبَ فَتَحَ مَكَّةَ إِلَى الْعُرَى بِنَخْلَةٍ وَكَانَتْ لَقُرَيْشٍ وَجَمِيعِ بَنِي كِنَانَةَ وَكَانَتْ أَعْظَمَ أَضْثَامِهِمْ لِحَمْسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ فَارِسًا لِيَهْدِمَهَا فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهَا هَدَمَهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ هَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا قَالَ لَا قَالَ فَإِنَّكَ لَمْ تَهْدِمَهَا فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَاهْدِمَهَا فَرَجَعَ فَجَرَّدَ سَيْفَهُ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ عُزَيَّانَةٌ سَوْدَاءُ ثَائِرَةٌ الرَّأْسِ فَجَعَلَ السَّادُّ يَصِيحُ فِيهَا فَضَرَبَهَا خَالِدٌ فَجَنَدَلَهَا بِالثَّنَتَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ نَعَمْ تِلْكَ الْعُرَى وَقَدْ يَيْسَتْ أَنْ تُعْبَدَ بِبِلَادِكُمْ أَبَدًا.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ) إِلَى سَوَاعِ صَنَمٍ هَذِيلٍ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ حِينَ فَتَحَ مَكَّةَ قَالَ عَمْرُو فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ السَّادُّ فَقَالَ مَا تُرِيدُ فَقُلْتُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَهْدِمَهُ قَالَ لَا تُفْدِرْ عَلَى ذَلِكَ قُلْتُ لِمَ قَالَ ثُمَّنْ

فَقُلْتُ وَيْحَكَ وَهَلْ يَسْمَعُ أَوْ يُبْصِرُ قَالَ فَذَنُوتُ مِنْهُ فَكَسَرْتُهُ ثُمَّ قُلْتُ لِلسَّادِنِ كَيْفَ رَأَيْتَ قَالَ
 أَسَلَمْتُ لِلَّهِ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ الْأَشْهَلِيِّ) إِلَى مَنَاءَ صَنْمٍ لِلأَوْسِ وَالخَزْرَجِ بِالْمُسَلَّلِ فِي
 شَهْرِ رَمَضَانَ حِينَ فَتَحَ مَكَّةَ فَخَرَجَ فِي عِشْرِينَ فَارِسًا حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا قَالَ السَّادِنُ مَا تُرِيدُ قَالَ
 هَذِمَ مَنَاءَ قَالَ أَنْتَ وَذَلِكَ فَأَقْبَلَ سَعْدٌ يَمْشِي فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ عَزِيَانَةٌ سَوْدَاءُ نَائِرَةُ الرَّأْسِ
 تَدْعُو بِالْوَيْلِ وَتَضْرِبُ صَدْرَهَا فَضَرَبَهَا سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَتَلَهَا وَأَقْبَلَ إِلَى الصَّنَمِ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ
 فَهَدَمُوهُ وَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ ذَلِكَ لَيْسَتْ بِقِيَمٍ مِنْ
 رَمَضَانَ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى بَنِي جَدِيْمَةَ قَبِيلَةَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ
 أَسْفَلَ مَكَّةَ عَلَى لَيْلَةٍ بِنَاجِيَةٍ يَلْمَلَمُ فِي شَوَّالٍ سَنَةِ ثَمَانٍ وَهُوَ يَوْمُ الْعُمَيْصَاءِ بَعَثَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ لَمَّا رَجَعَ مِنْ هَذِمِ الْعُزَّى وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقِيمٌ بِمَكَّةَ وَبَعَثَ مَعَهُ ثَلَاثِمِائَةً
 وَخَمْسِينَ رَجُلًا دَاعِيًا إِلَى الْإِسْلَامِ لَا مُقَاتِلًا فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ قَالَ مَا أَنْتُمْ قَالُوا مُسْلِمُونَ قَدْ
 صَلَّيْنَا وَصَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ وَبَيَّنَّا الْمَسَاجِدَ فِي سَاحَاتِنَا وَفِي الْبُخَارِيِّ لَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ
 فَقَالُوا صَبَأْنَا فَقَالَ لَهُمْ اسْتَأْذِنُوا فَاسْتَأْذِنُوا فَأَمَرَ بَعْضَهُمْ فَكَتَفَ بَعْضًا وَفَرَّقَهُمْ فِي أَصْحَابِهِ
 فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ نَادَى مُنَادِي خَالِدٍ مَنْ كَانَ مَعَهُ أُسَيْرٌ فَلْيَقْتُلْهُ فَقَتَلَتْ بَنُو سُلَيْمٍ مَنْ كَانَ بِأَيْدِيهِمْ
 وَأَمَّا أَلْهُ هَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَأَرْسَلُوا أَسْرَاهُمْ فَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي
 أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ فِعْلِ خَالِدٍ وَبَعَثَ عَلِيًّا قَوْدَى لَهُمْ قَتَلَاهُمْ قَالَ الْخَطَّابِيُّ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَالِدٌ
 نَقِمَ عَلَيْهِمُ الْعُدُولَ عَنْ لَفْظِ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَنْقَادُوا لِلدِّينِ فَقَتَلَهُمْ مَثْوًى وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ الْعَجَلَةَ وَتَرَكَ التَّثْبُتَ فِي أَمْرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُعْلَمَ الْمَرَادُ مِنْ قَوْلِهِمْ صَبَأْنَا.

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ

وَهُوَ وَادِ قُرْبِ الطَّائِفِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَتُسَمَّى غَزْوَةُ هَوَازِنَ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ وَتَمَهِيْدِهَا وَأَسْلَمَ عَامَّةُ أَهْلِهَا مَشَتْ أَشْرَافُ هَوَازِنَ
 وَتَقْيِيفُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَحَشَدُوا وَقَصَدُوا مُحَارَبَةَ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ رَئِيسُهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ
 النَّضْرِيُّ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ السَّبْتِ لَيْسَتْ لَيَالٍ مِنْ
 شَوَّالٍ فِي اثْنَتَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَشْرَةُ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْفَنَانِ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ
 أَهْلِ مَكَّةَ وَاسْتَعْمَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَكَّةَ عَتَابَ بْنَ أُسَيْدٍ فَوَصَلَ إِلَى حُنَيْنٍ لَيْلَةَ
 الثَّلَاثَةِ لِعِشْرِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ إِنِّي انْطَلَقْتُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ حَتَّى
 طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ يَطْعَمُهُمْ وَتَعْمِيهِمْ وَشِيَاهِهِمْ اجْتَمَعُوا إِلَى

حَتَّينِ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ تِلْكَ غَنِيمةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَقَالَ رَجُلٌ لَنْ تُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ دُلْدَلٌ وَلَيْسَ دِرْعَيْنِ وَالْمَغْفَرُ وَالْبَيْضَةُ فَاسْتَقْبَلَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ مِنَ السَّوَادِ وَالْكَثْرَةِ وَذَلِكَ فِي غَبَشِ الصُّبْحِ وَخَرَجَتِ الْكَتَائِبُ مِنْ مَضِيْقِ الرَّادِي فَحَمَلُوا حَمْلَةً وَاحِدَةً فَانْكَشَفَتْ خَيْلُ بَنِي سُلَيْمٍ مُوَلِّيةٌ وَتَبِعَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ وَالنَّاسُ وَلَمْ يَثْبُتْ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمِيذٌ إِلَّا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

قَالَ الْعَبَّاسُ وَأَنَا آخِذٌ بِلِحْجَامِ بَغْلَتِي أَكْفُهَا مَخَافَةً أَنْ تَصِلَ إِلَى الْعَدُوِّ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَقَدَّمُ فِي تَحْرِ الْعَدُوِّ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ آخِذٌ بِرِكَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ يَقُولُ لِلْعَبَّاسِ نَادِ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ يَا أَصْحَابَ السُّمُرَةِ يَغْنِي شَجَرَةَ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ الَّتِي بَايَعُوهُ تَحْتَهَا أَنْ لَا يَفِرُّوا عَنْهُ فَجَعَلَ تَارَةً ينادي يَا أَصْحَابَ السُّمُرَةِ وَتَارَةً يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَكَانَ الْعَبَّاسُ رَجُلًا صَيِّتًا فَلَمَّا سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ نِدَاءَ الْعَبَّاسِ أَقْبَلُوا كَأَنَّهُمْ الْإِبِلُ إِذَا حَنَّتْ إِلَى أَوْلَادِهَا وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ قَالَ الْعَبَّاسُ قَوْلَ اللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا يَقُولُونَ يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ فَتَرَا جَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِذَا لَمْ يُطَارِعْهُ بَعِيرُهُ عَلَى الرُّجُوعِ انْحَدَرَ عَنْهُ وَأَرْسَلَهُ وَرَجَعَ بِنَفْسِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ أَنْ يَضُدُّوا الْحَمْلَةَ فَافْتَتَلُوا مَعَ الْكُفَّارِ فَأَشْرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَظَّرَ إِلَى قِتَالِهِمْ فَقَالَ الْآنَ حِمِّي الْوُطَيْسَ وَهُوَ التُّنُورُ ضَرْبُهُ مَثَلًا لِشِدَّةِ الْحَرْبِ وَهَذَا مِنْ قِصَصِ الْكَلَامِ الَّذِي لَمْ يُسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنِ الْبَرَاءِ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ أَفَرَزْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حَتَّينِ فَقَالَ لَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ كَانَ هَوَازِنَ رُمَاءَ وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ انْكَشَفُوا فَأَكْبَبْنَا عَلَى الْمَغَائِمِ فَاسْتَقْبَلُونَا بِالسَّهَامِ وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَإِنْ أَبَا سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ آخِذٌ بِرِجَامِهَا وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

وَتَنَاوَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصِيَّاتٍ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ شَاهَتِ الْوُجُوهُ أَنِّي قُبِّحْتُ
وَرَمَى بِهَا فِي وَجْهِهِ الْمُشْرِكِينَ فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَاعِيْنِيهِ مِنْ تِلْكَ الْقُبْضَةِ وَفِي
رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قُبْضَةٌ مِنْ تُرَابِ الْأَرْضِ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْمَدَ وَغَيْرِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَمَّا وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدِيرِينَ قَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ثُمَّ أَخَذَ كَفًّا
مِنْ تُرَابٍ وَضَرَبَ وَجُوهَهُمْ وَقَالَ شَاهَتِ الْوُجُوهُ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ حَدَّثَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَتُهُ فَمَالَ السَّرْجُ فَقُلْتُ ارْتَفِعْ رَفَعَكَ
اللَّهُ فَقَالَ نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَضَرَبَ وَجُوهَهُمْ وَامْتَلَأَتْ أَعْيُنُهُمْ تُرَابًا وَجَاءَ الْمُهَاجِرُونَ
وَالْأَنْصَارُ سِيوفُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ كَأَنَّهَا الشُّهْبُ قَوْلَى الْمُشْرِكُونَ الْأَذْبَارَ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَهْرِيِّ
قَالَ حَدَّثَنِي أَبْنَاءُؤُهُمْ عَنْ آبَائِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لَمْ يَبْقَ مِنَّا وَاحِدٌ إِلَّا اِمْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ وَقَمَهُ تُرَابًا
وَسَمِعْنَا صَلَافَةً مِنَ السَّمَاءِ كَأَمْرٍ الْحَدِيدِ عَلَى الطُّسْتِ الْجَدِيدِ . ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى
رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦] وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَفِي سِيرَةِ
الدُّمَيْطِيِّ كَانَ سَيِّمًا الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَمَائِمُ حُمْرٍ أَرْخَوْهَا بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ، وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقْتَلَ مَنْ قُتِلَ عَلَيْهِ وَأَفْضَى الْمُسْلِمُونَ فِي الْقَتْلِ إِلَى الدُّرِّيَّةِ فَتَهَاكُمُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ وَاسْتَلَبَ أَبُو طَلْحَةَ وَخَذَهُ ذَلِكَ
الْيَوْمَ عَشْرِينَ رَجُلًا، وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَلَبِ الْعَدُوِّ فَاثْتَمَى بَعْضُهُمْ إِلَى الطَّائِفِ
وَبَعْضُهُمْ لَحَوْ نَخْلَةٍ وَقَوْمٌ مِنْهُمْ إِلَى أَوْطَاسٍ وَاسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ أَيْمَنُ
الْحَبَشِيِّ وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ قَتِيلًا .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ أَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيِّ) وَهُوَ عَمُّ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ بَعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ حِينَ فَرَعَ مِنْ حُنَيْنٍ فِي طَلَبِ الْفَارِسِينَ مِنْ هَوَازِنَ وَكَانَ مَعَهُ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ فَانْتَهَى
إِلَيْهِمْ فَأَذَاهُمْ مُجْتَمِعُونَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ أَبُو عَامِرٍ تِسْعَةَ إِخْوَةٍ مُبَارَزَةً بَعْدَ أَنْ يَدْعُو كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ لَا تَشْهَدْ عَلَيَّ فَكَفَّ عَنْهُ أَبُو
عَامِرٍ فَأَقْلَّتْ ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ فَحْشَنِ إِسْلَامِهِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَوْ قَالَ
هَذَا شَرِيدُ أَبِي عَامِرٍ وَرَمَى أَبَا عَامِرٍ ابْنًا الْحَارِثِ الْعَلَاءِ وَأَوْفَى فَقَتَلَاهُ فَحَلَفَهُ أَبُو مُوسَى
الْأَشْعَرِيُّ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَتَلَ قَاتِلَ أَبِي عَامِرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي عَامِرٍ وَاجْعَلْهُ مِنْ أَعْلَى أُمَّتِي فِي الْجَنَّةِ وَكَانَ فِي السَّنَةِ السَّيِّئَةِ الشَّيْمَاءِ أُخْتُهُ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الرُّضَاعَةِ .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرِو الدُّوسِيِّ) إِلَى ذِي الْكُفَيْنِ صَتْمٌ مِنْ خَشَبٍ فِي شَوَالٍ لَمَّا أَرَادَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السَّيْرَ إِلَى الطَّائِفِ لِيَهْدِمَهُ وَيُؤَافِيَهُ بِالطَّائِفِ فَخَرَجَ سَرِيعًا فَهَدَمَهُ وَجَعَلَ يَحُشُّ النَّارَ فِي وَجْهِهِ أَيْ يُلْقِيهَا عَلَيْهِ وَيُخْرِقُهَا وَيَقُولُ:

يَا ذَا الْكُفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبادِكَ
مِيلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَ
إِنِّي خَشَوْتُ النَّارَ فِي قُودِكَ

وَالْحَدَرَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ أَرْبَعُمِائَةٍ رَجُلٍ سِرَاعًا فَوَافُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّائِفِ بَعْدَ مَقْدَمِهِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ.

غَزْوَةُ الطَّائِفِ

وَهِيَ بَلَدٌ كَبِيرٌ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْ مَكَّةَ سَارَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَوَالٍ سَنَةِ ثَمَانٍ حِينَ خَرَجَ مِنْ حُنَيْنٍ وَحَبَسَ الْعَنَائِمَ بِالْجَعِرَانَةِ وَقَدَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ وَكَانَتْ ثَقِيفٌ لَمَّا انْهَزَمُوا مِنْ أَوْطَاسٍ دَخَلُوا جِصْنَهُمْ بِالطَّائِفِ وَأَغْلَقُوهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ أَدَخَلُوا فِيهِ مَا يَصْلِحُهُمْ سَنَةً وَتَهَيَّئُوا لِلْقِتَالِ فَسَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنَ الْحِصْنِ وَعَسْكَرَ هُنَاكَ فَرَمَوْا الْمُسْلِمِينَ بِالْبُتْلِ رَمِيًا شَدِيدًا كَأَنَّهُ رَجُلٌ جَرَادٍ حَتَّى أَصِيبَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقُتِلَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا فَارْتَفَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَوْضِعٍ مَسْجِدِ الطَّائِفِ الْيَوْمَ وَكَانَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبُ فَضْرَبَ لهُمَا قُبَّتَيْنِ وَكَانَ يُصَلِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ حِصَارَ الطَّائِفِ كُلَّهُ فَحَاصَرَهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَنَصَبَ عَلَيْهِمُ الْمُنْجَنِيْقَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْجَنِيْقٍ رُمِيَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَمَرَ بِقَطْعِ أَغْنَابِهِمْ وَتَخْرِيقِهَا فَقَطَعَ الْمُسْلِمُونَ قِطْعًا ذَرِيعًا ثُمَّ سَأَلُوهُ أَنْ يَدْعَهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ.

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أَدْعُهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ ثُمَّ نَادَى مُتَابِعِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيُّمَا عَبْدٍ نَزَلَ مِنَ الْحِصْنِ وَخَرَجَ إِلَيْنَا فَهُوَ حُرٌّ فَخَرَجَ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ عَبْدًا مِنْهُمْ أَبُو بَكْرَةَ وَلَمْ يُؤْذَنَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فَتْحِ الطَّائِفِ وَأَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَذَّنَ بِالنَّاسِ فِي الرَّحِيلِ فَضَحَّ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا نَزَحَلْ وَلَمْ يَفْتَحْ عَلَيْنَا الطَّائِفُ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَأَعْدُوا عَلَى الْقِتَالِ فَعَدُّوا فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ جَرَاحَاتٌ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَسَرُّوا بِذَلِكَ وَأَدْعُوا وَجَعَلُوا يَزْحَلُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ وَفَقِئَتْ عَيْنُ أَبِي سَفْيَانَ صَخْرٍ بِنِ حَرْبٍ يَوْمَئِذٍ.

فَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ وَهِيَ فِي يَدِهِ أَيَّمَا أَحَبِّ إِلَيْكَ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ أَوْ أَذْعُو اللَّهَ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيْكَ قَالَ بَلْ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ وَرَمَى بِهَا وَشَهِدَ التَّيْمُوكَ فَقَاتَلَ وَفَقِئَتْ عَيْنُهُ الْأُخْرَى يَوْمَئِذٍ. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخُذْهُ صَدَقَ وَعْدُهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَخْزَابَ وَخُذْهُ فَلَمَّا ارْتَحَلُوا قَالَ قُولُوا آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، وَلَمَّا قِيلَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْغُ عَلَى ثَقِيفٍ قَالَ اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَائِثْ بِهِمْ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُجَمَعَ السَّبِيُّ وَالْعَتَائِمُ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَجَمَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى الْحِجْرَانَةِ فَكَانَ بِهَا إِلَى أَنْ انْصَرَفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الطَّائِفِ وَكَانَ السَّبِيُّ سِتَّةَ آلَافٍ رَأْسٍ وَالْإِبِلُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرِينَ أَلْفَ بَعِيرٍ وَالْعَتَمُ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ شَاةٍ وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ أُرْقِيَّةٌ فِضَّةٌ وَانْتَظَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَوَازِنَ أَنْ يَفْدَمُوا عَلَيْهِ مُسْلِمِينَ بِضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ ثُمَّ بَدَأَ يَقْسِمُ الْأَمْوَالَ وَفِي الْبُخَارِيِّ وَطَفِيقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي رَجُلًا مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ فَقَالَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرَكُنَا وَسَيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ.

قَالَ أَنَسٌ فَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَقَالَتِهِمْ فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ قَوْلَ اللَّهِ لَمَّا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا، وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ تَبَيَّنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ النَّاسُ مَفْقَلُهُ مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَغْرَابُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ أَعْطُونِي رِدَائِي فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِصَاةِ نَعَمًا لَقَسَمْتُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخَيْلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا وَالْعِصَاةُ شَجَرٌ ذُو شَوْكٍ.

وَأَخْرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُمْرَةٍ وَدَخَلَ مَكَّةَ ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَقَدْ غَابَ عَنْهَا شَهْرَيْنِ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ بْنِ عَبَادَةَ إِلَى نَاجِيَةِ الْيَمَنِ فِي أَرْبَعِمِائَةِ فَارِسٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ قَبِيلَةَ ضَدَاءَ حِينَ مُرُورِهِ عَلَيْهِمْ فِي الطَّرِيقِ فَقَدِمَ زِيَادُ بْنُ الْحَارِثِ الصَّدَائِيَّ فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ الْبَغْتِ فَأُخْبِرَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا وَافِدُهُمْ فَأَرْدَدِ الْجَيْشَ وَأَنَا لَكَ بِقَوْمِي فَرَدَّهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدِمَ الصَّدَائِيُّونَ بَعْدَ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا

فَأَسْلَمُوا، وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ الْقَزَارِيَّ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ بِالسُّفْيَا وَهِيَ أَرْضُ بَنِي تَمِيمٍ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَ تِسْعٍ فِي خَمْسِينَ فَارِسًا مِنَ الْعَرَبِ لَيْسَ فِيهِمْ مُهَاجِرِيٌّ وَلَا أَنْصَارِيٌّ فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ فَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي صَحْرَاءَ قَدْ حَلُّوا وَسَرَّحُوا مَوَاشِيَهُمْ فَلَمَّا رَأَوْا الْجَمْعَ وَلَوْا فَأَخَذُوا مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَإِخْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً وَثَلَاثِينَ صَبِيًّا فَقَدِمَ عَشْرَةٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْأَسَارَى وَالسَّبْيَ.

ثُمَّ بَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى بَنِي الْمُضْطَلِّقِ مِنْ خُزَاعَةَ لِصَدَقَتِهِمْ وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا وَبَنُوا الْمَسَاجِدَ فَلَمَّا سَمِعُوا بِدُئُورِ الْوَلِيدِ قَدِمَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ رَجُلًا يَتَلَقَّوْنَهُ بِالْجُزْرِ وَالْعَنَمِ فَرَحًا بِهِ وَتَعْظِيمًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثَهُ الشَّيْطَانُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ فَرَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ لَقَوْهُ بِالسَّلَاحِ يَحْوِلُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ فَهَمَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَغْزُوهُمْ وَيَلْغِ ذَلِكَ الْقَوْمَ فَقَدِمَ مِنْهُمْ الرُّكْبُ الَّذِينَ لَقُوا الْوَلِيدَ فَأَخْبَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ عَلَى وَجْهِهِ فَنَزَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَقَرَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآيَةَ وَبَعَثَ مَعَهُمْ عَبَادَ بْنَ بِشْرٍ يَأْخُذُ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ وَيُفَرِّغُهُمُ الْقُرْآنَ.

وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَوْسَجَةَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ حَارِثَةَ فِي مُسْتَهْلٍ صَفَرٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُوا وَاسْتَحْفُوا بِالصُّحُفَةِ فَدَعَا عَلَيْهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَهَابِ الْعَقْلِ قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ فَهَمَّ إِلَى الْيَوْمِ أَهْلُ رَغْدَةَ وَعَجَلَةَ وَكَلَامٍ مُخْتَلِطٍ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ قُطَيْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى خُثْعَمَ قَرِيبًا مِنْ ثُرَيْبَةَ مِنْ أَعْمَالِ مَكَّةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَبَعَثَ مَعَهُ عِشْرِينَ رَجُلًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَشُنَّ الْعَارَةَ عَلَيْهِمْ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى كَثُرَ الْجُرْحَى فِي الْقَرِيقَيْنِ جَمِيعًا وَقَتَلَ قُطَيْبَةُ مَنْ قَتَلَ وَسَاقُوا النَّعَمَ وَالشَّاءَ وَالنِّسَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ الضُّحَاكِ بْنِ سُفْيَانَ الْكِلَابِيِّ) إِلَى بَنِي كِلَابٍ فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعٍ إِلَى الْقُرْطَاءِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ وَعَنَمُوا.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَلْقَمَةَ بْنِ مُجَرِّزٍ الْمَذَلِجِيِّ) إِلَى نَاسٍ مِنَ الْحَبَشَةِ فِي رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ فَانْتَهَى إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ فَلَمَّا خَاضَ إِلَيْهِمْ هَرَبُوا فَلَمَّا رَجَعَ تَعَجَّلَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى أَهْلِيهِمْ فَأَمَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ عَلَى مَنْ تَعَجَّلَ وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ فَنَزَلُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَأَوْقَدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا فَقَالَ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَوَاقَبْتُمْ فِي هَذِهِ النَّارِ فَلَمَّا هَمَّ

بَعْضُهُمْ بِذَلِكَ قَالَ اجْلِسُوا إِنَّمَا كُنْتُ أَمْرُحُ فَذَكَّرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ أَمَرَكُمْ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا تَطِيعُوهُ وَفِي رِوَايَةٍ فَقَالَ لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا .

ثُمَّ (سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى الْفُلُسِ وَهُوَ صَنْمٌ طَيٌّ لِهَذِيمَةٍ فِي رِبْعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَبَعَثَ مَعَهُ مِائَةً وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ وَخَمْسِينَ قَرَسًا فَهَدَمَهُ وَغَنِمَ سَبِيًّا وَنَعَمًا وَشَاءَ وَكَانَ فِي السَّبْيِ سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ فَأُطْلِقَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ إِسْلَامِ أَخِيهَا عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، ثُمَّ (سَرِيَّةُ عُكَّاشَةَ بِنِ مَخْصَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى الْحِجَابِ مَوْضِعٍ بِالْحِجَازِ وَهُوَ أَرْضُ عُذْرَةَ وَبَلِيٍّ اسْمُ قَبِيلَتَيْنِ وَقِيلَ أَرْضُ قَزَارَةَ وَكَلْبِ .

قِصَّةُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَكَانَتْ فِيمَا بَيْنَ رُجُوعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الطَّائِفِ وَعَزْوَةِ تَبُوكَ وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ وَأَخِيهِ بُجَيْرٌ أَنْ بُجَيْرًا قَالَ لِكَعْبٍ اثْبُتْ حَتَّى آتِيَ هَذَا الرَّجُلُ يَغْنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْمَعَ كَلَامَهُ وَأَعْرِفَ مَا عِنْدَهُ فَأَقَامَ كَعْبٌ وَمَضَى بُجَيْرٌ حَتَّى آتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَمَنَ بِهِ وَذَلِكَ أَنَّ زُهَيْرًا كَانَ يُجَالِسُ أَهْلَ الْكِتَابِ فَسَمِعَ مِنْهُمْ أَنَّهُ قَدْ آتَى مَبْعُثُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَى زُهَيْرًا فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ قَدْ مَدَّ سَبَبَ مِنَ السَّمَاءِ وَأَنَّهُ قَدْ مَدَّ يَدَهُ لِيَتَنَاوَلَهُ فَقَاتَلَهُ بِالنَّبِيِّ الَّذِي يُبْعَثُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَنَّهُ لَا يَذْرُكُهُ وَأَخْبَرَ بَيْنَهُ بِذَلِكَ وَأَوْصَاهُمْ إِنْ أَدْرَكُوهُ أَنْ يُسَلِّمُوا وَكَتَبَ بُجَيْرٌ إِلَى كَعْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلَ رَجُلًا بِمَكَّةَ مِمَّنْ كَانَ يَهْجُوهُ وَأَنَّ مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعْرَاءِ قُرَيْشٍ هَرَبُوا فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ فَطِرْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَانْجِ إِلَى نَجَائِكَ فَكَتَبَ لَهُ أَتِيَانَا لَامَهُ فِيهَا عَلَى إِسْلَامِهِ فَأَنْشَدَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ كَعْبَ بْنَ زُهَيْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ فَلَمَّا بَلَغَ كَعْبًا ضَافَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ فَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ جَاءَ لِيَسْتَأْمِنَكَ تَائِبًا مُسْلِمًا فَهَلْ أَنتَ قَابِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ قَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ فَوُتِبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي وَعَدُّوْا لِي أَضْرِبَ عُنُقَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعُهُ عَنْكَ فَقَدْ جَاءَ تَائِبًا ثُمَّ قَالَ قَصِيدَتَهُ «بَآثُ سَعَادٍ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْأَثْبَارِيِّ لَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَيَّئٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ
رَمَى عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ إِلَيْهِ بُرْدَةٌ كَانَتْ عَلَيْهِ وَإِنْ مُعَاوِيَةُ بَدَلَ لَهُ فِيهَا عَشْرَةَ آلَافٍ
فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَوْثَرٍ بِغُزْبٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا فَلَمَّا مَاتَ كَغَبِّ بَعَثَ
مُعَاوِيَةُ إِلَى وَرَثَتِهِ بِعِشْرِينَ أَلْفًا فَأَخَذَهَا مِنْهُمْ قَالَ وَهِيَ الْبُرْدَةُ الَّتِي عِنْدَ السَّلَاطِينِ إِلَى الْيَوْمِ.

غَزْوَةُ تَبُوكَ

مَكَانٌ مَعْرُوفٌ وَهُوَ نِصْفُ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ إِلَى دِمَشْقَ وَهِيَ غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ وَكَانَتْ يَوْمَ
الْخَمِيسِ فِي رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَكَانَ حَرًّا شَدِيدًا وَجَذْبًا كَثِيرًا فَلِذَلِكَ لَمْ يُوْرَ عَنْهَا
كَعَادَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَائِرِ الْغَزَوَاتِ.

خَرَجُوا فِي قِلَّةٍ مِنَ الظُّهْرِ وَفِي حَرٍّ شَدِيدٍ حَتَّى كَانُوا يَنْحَرُونَ الْبَعِيرَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِي
كَرْسِهِ مِنَ الْمَاءِ فَكَانَ ذَلِكَ عُسْرَةً فِي الْمَاءِ وَفِي الظُّهْرِ وَفِي التَّفَقُّةِ فَسُمِّيَتْ «غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ»
وَسَبَّبَهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَتْبَاطِ الَّذِينَ يَفْدُمُونَ بِالزَّيْتِ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ
أَنَّ الرُّومَ تَجَمَّعَتْ بِالشَّامِ مَعَ هِرْقُلَ فَتَدَبَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ وَأَعْلَمَهُمْ
بِالْمَكَانِ الَّذِي يُرِيدُ لِيَتَأَهَّبُوا لِذَلِكَ وَقَالَ عُثْمَانُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ مَائَتَا بَعِيرٍ بِأَقْتَابِهَا وَأَخْلَاسِهَا
وَمَائَتَا أُوقِيَّةٍ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَضُرُّ عُثْمَانُ مَا عَمِلَ بَعْدَهَا وَرَوِي عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ
قَالَ حَمَلُ عُثْمَانَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ عَلَى أَلْفِ بَعِيرٍ وَسَبْعِينَ قَرَسًا.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَلْفٍ دِينَارٍ فِي
كُمِهِ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَتَنَّتْهَا فِي حِجْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارِثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْلِبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّ عُثْمَانَ بَعَثَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصُبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بِيَدِهِ وَيُقْلِبُهَا
ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَيَقُولُ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا عُثْمَانُ مَا أَسْرَزْتَ وَمَا أَعْلَنْتَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
مَا يُبَالِي مَا عَمِلَ بَعْدَهَا وَلَمَّا تَأَهَّبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْخُرُوجِ قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُتَأَفِّقِينَ لَا
تُفَرُّوا فِي الْحَرِّ فَتَزَلْ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَقَالُوا لَا تَتَفَرُّوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا
يَفْقَهُونَ» [التوبة: ٨١] وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ إِلَى مَكَّةَ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ يَسْتَفِزُّهُمْ وَجَاءَ
الْبُكَائِيُّونَ يَسْتَخِيمُونَهُ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ لَا أَجِدُ مَا أَخْمِلُكُمْ عَلَيْهِ وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِمْ «تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ» وَجَاءَ

الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ فَأُذِنَ لَهُمْ وَهُمْ اثْنَانِ وَتَمَثَّلُوا رَجُلًا وَقَعَدَ آخَرُونَ مِنَ الْمُتَأَفِّفِينَ بِغَيْرِ عَذْرِ وَإِظْهَارِ عِلَّةٍ جَرَاءَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٩].

وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَعَلَى عِيَالِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ يَوْمَئِذٍ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَتَخَلَّفَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا اِزْتِيَابٍ مِنْهُمْ كَغَبُ بْنُ مَالِكٍ وَمَرَّادُ بْنُ الرَّبِيعِ وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ وَفِيهِمْ نَزَلُ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ [التوبة: ١١٨] وَأَبُو ذَرٍّ وَأَبُو خَيْثَمَةَ ثُمَّ لَحِقَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ بَطْنٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْقَبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَتَّخِذُوا لِرِوَاءِ وَرَايَةِ وَكَانَ مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثَلَاثُونَ أَلْفًا وَكَانَتْ الْخَيْلُ عَشْرَةَ آلَافٍ فَلَمَّا قَدِمُوا تَبَوَّكَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَتَهَبُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يَقُمْ أَحَدٌ مِنْكُمْ فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلٍ طَوِيٍّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجْرِ سَجَى ثَوْبُهُ عَلَى وَجْهِهِ وَاسْتَحَثَّ رَاجِلَتُهُ ثُمَّ قَالَ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا وَأَنْتُمْ بَاكُونَ خَوْفًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَالْحِجْرُ دِيَارُ ثَمُودَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وَلَمَّا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَبْغِضُ الطَّرِيقَ ضَلَّتْ نَاقَتُهُ فَقَالَ زَيْدُ بْنُ اللُّصِيْتِ وَكَانَ مُتَافِقًا أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَيُخْبِرُكُمْ بِأَخْبَارِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَذَرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ كَذَا وَذَكَرَ مَقَالَتَهُ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقَدْ ذَلَّنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا وَهِيَ فِي الْوَادِي فِي شِعْبٍ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا فَانْطَلَقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا فَانْطَلَقُوا فَجَاؤُوا بِهَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ.

وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُمْ وَرَدُوا عَيْنَ تَبُوكَ وَهِيَ تَبِيضُ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ وَأَنَّهُمْ عَرَفُوا مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَرْقٍ ثُمَّ غَسَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتْ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَاسْتَقَى النَّاسُ وَلَمَّا انْتَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ أَتَاهُ صَاحِبُ أَيْلَةَ فَصَالِحَهُ وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ وَأَتَاهُ أَهْلُ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ وَهَمَّا بِلَدَانِ بِالشَّامِ فَأَعْطَوْهُ الْجِزْيَةَ وَكَتَبَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا وَرُجِدَ هِرْقُلُ بِحِمَصَ فَأَرْسَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى أَكْبِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ النُّصْرَانِيِّ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ فَارِسًا فِي رَجَبٍ سَرِيَّةً وَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّكَ سَتَجِدُهُ لَيْلًا يَصِيدُ الْبَقَرَ فَانْتَهَى إِلَيْهِ خَالِدُ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ حِصْنِهِ فِي لَيْلَةٍ مُقِيمَةً إِلَى بَقَرٍ يُطَارِدُهَا هُوَ وَأَخُوهُ حَسَّانُ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ
خَيْلُ خَالِدٍ فَاسْتَأْسَرَا كَيْدِرَ وَقَتْلَ أَخُوهُ حَسَّانَ وَهَرَبَ مَنْ كَانَ مَعَهُمَا فَدَخَلَ الْحِصْنَ ثُمَّ أَجَارَ
خَالِدٌ أَكْبِيدَرًا مِنَ الْقَتْلِ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ
دُورَةَ الْجَنْدَلِ فَقَعَلَ وَصَالَحَهُ عَلَى أَلْفِي بَعِيرٍ وَتَمَانِمَائَةٍ فَرَسٍ وَأَرْبَعِمَائَةٍ دِرْعٍ وَأَرْبَعِمَائَةٍ رُمْحٍ .

وَفِي هَذِهِ الْعَزْوَةِ كَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا فِي تَبُوكَ إِلَى هِرْقَلٍ يَدْعُوهُ إِلَى
الْإِسْلَامِ فَقَارَبَ الْإِجَابَةَ وَلَمْ تُجِبْ رِوَاهُ ابْنُ جِبَّانَ وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ أَنَّ هِرْقَلَ كَتَبَ مِنْ تَبُوكَ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي مُسْلِمٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَبَ هُوَ
عَلَى نَضْرَانِيَّتِهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَبُوكَ بَعْدَ أَنْ أَقَامَ بِهَا بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً
وَقِيلَ عَشْرِينَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا وَبَنَى فِي طَرِيقِهِ مَسَاجِدَ وَأَقْبَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ
بِذِي أَوَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَاعَةً جَاءَهُ خَبَرُ مَسْجِدِ الضَّرَارِ مِنَ السَّمَاءِ فَأَرْسَلَ مَنْ هَدَمَهُ
وَحَرَقَهُ بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ [التوبة: ١٠٧] الْآيَةَ
وَكَانَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا يُضَارُونَ بِهِ مَسْجِدَ قُبَاءَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي طَائِفَةٍ مِنْ
الْمُتَأَفِّقِينَ نَبِيًّا مَسْجِدًا فَتَقِيلُ فِيهِ فَلَا نَحْضُرُ خَلْفَ مُحَمَّدٍ . وَلَمَّا دَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
الْمَدِينَةِ خَرَجَ النَّاسُ لِيَتَلَقَّيْهِ وَخَرَجَ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ وَالْوَلَدُ يَقْلُنَ :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا إِلَيْهِ دَاعِي
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ فِي الْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ سِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاِدِيًا إِلَّا
كَانُوا مَعَكُمْ حَبْسَهُمُ الْعُدْرَ وَلَمَّا أَشْرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ هَذِهِ طَائِفَةٌ وَهَذَا
أَحَدُ جَبَلٍ يُجِبُّنَا وَلُجْبُهُ، وَلَمَّا دَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذُنُ لِي
أُمْتَدِّحَكَ قَالَ قُلْ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَآكَ فَقَالَ قَصِيدَةً مِنْهَا :

وَأَلَّتْ لَمَّا وَلِدَتْ أَشْرَقَتِ الْأَرْ ضُ وَضَاءَتْ بِئُورِكَ الْأَفْئُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي الشُّو رِ وَسُبُلِ الرُّشَادِ نَخْتَرِقُ
وَجَاءَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَحَلَفُوا لَهُ فَعَدَّرَهُمْ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ
وَأَرْجَأَ أَمْرَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبِيهِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ وَمَرَارَةَ بْنِ رَبِيعَةَ حَتَّى نَزَلَتْ تَوْبَتُهُمْ وَعَنِ
ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَأَخْرُوجُوا اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾

[التوبة: ١٠٢] قَالَ كَانُوا عَشْرَةَ رَهْطٍ تَخْلَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ تَبُوكَ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْثَقَ سَبْعَةً مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ مَمَرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَجَعَ فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالُوا هَذَا أَبُو لُبَابَةَ وَأَصْحَابُ لَهُ تَخْلَفُوا عَنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى تُطْلِقَهُمْ وَتَعَذِّرَهُمْ فَقَالَ أَفَيْسُ بِاللَّهِ لَا أَطْلِقُهُمْ وَلَا أَعَذِّرُهُمْ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُهُمْ رَغِبُوا عَنِّي وَتَخْلَفُوا عَنِ الْغَزْوِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجُوا اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ فَلَمَّا نَزَلَتْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُطْلِقَهُمْ وَعَذَّرَهُمْ.

ثُمَّ (حَجَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِالثَّلاثِ سَنَةٍ تَسْعَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَكَانَ مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَعِشْرُونَ بَدَنَةً بَعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤَدُّنَ فِي الثَّانِي يَوْمِ النَّحْرِ أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ شُرْكَ وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ غُرَبَاءُ ثُمَّ أَرَدَقَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ بِبَرَاءَةٍ فَقَرَأَهَا عَلَى النَّاسِ حَتَّى خَتَمَهَا وَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨] فَلَمْ يَحُجَّ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مُشْرِكًا.

ثُمَّ بَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلَافٍ أَيْ إِفْلِيمٍ وَالْيَمَنُ مِخْلَقَانِ ثُمَّ قَالَ يَسْرًا وَلَا تَعْسَرًا وَبَشْرًا وَلَا تُتَفَرَّأَ وَقَالَ لِمُعَاذٍ إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَأَذْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خُمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيُنِيهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ وَكَانَتْ جِهَةٌ مُعَاذِ الْعُلَيَّا إِلَى صَوْبِ عَدْنٍ وَكَانَتْ جِهَةٌ أَبِي مُوسَى السُّفْلَى.

ثُمَّ أُرْسِلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ عَشْرِ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ قَبِيلَةَ بَنِي جُرَّانَ فَأَسْلَمُوا، ثُمَّ أُرْسِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْيَمَنِ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرِ وَعَقَّدَ لَهُ لِقَاءَ وَعَمَّمَهُ بِيَدِهِ قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى

الْيَمَنِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَبْعُنِي إِلَى قَوْمِ أَسَنِّ مِثِّي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ لَا أَبْصِرُ الْقَضَاءَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صَدْرِي وَقَالَ اللَّهُمَّ ثَبِّتْ لِسَانَهُ وَاهْدِ قَلْبَهُ وَقَالَ يَا عَلِيُّ إِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ الْخَضَمَانِ فَلَا تَقْضِ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخِرِ فَخَرَجَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ فَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ فَأَتَوْا بِنَهْبٍ وَعَنَائِمٍ وَنِسَاءٍ وَأَطْفَالٍ وَنَعَمٍ وَشَاءٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ لَقِيَ جَمْعَهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا وَرَمَوْا بِالْثُّبُلِ ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَصْحَابِهِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَشْرِينَ رَجُلًا فَتَفَرَّقُوا وَانْهَزَمُوا فَكَفَّ عَنْ طَلِبِهِمْ ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْرَعُوا وَأَجَابُوا ثُمَّ قَفَلَ فَوَاقَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ قَدْ قَدِمَهَا لِلْحَجِّ سَنَةَ عَشْرِ، ثُمَّ حَجَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ وَتُسَمَّى حَجَّةَ الْإِسْلَامِ وَحَجَّةُ الْبَلَاغِ فَخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ يَوْمَ السَّنَةِ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَخَرَجَ مَعَهُ تِسْعُونَ أَلْفًا وَيُقَالُ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةُ عَشَرَ أَلْفًا وَيُقَالُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِي مَقْصِدِ الْعِبَادَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ثُمَّ (سَرِيَّةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ) إِلَى أَهْلِ أُنْبَى بِالسَّوَادِ نَاجِيَةً بِالْبَلْقَاءِ وَكَانَتْ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَهِيَ آخِرُ سَرِيَّةِ جَهْرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوَّلُ شَيْءٍ جَهَّزَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَزْوِ الرُّومِ مَكَانَ قَتْلِ أَبِيهِ زَيْدٍ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ بَدَأَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَهُ فُحْمٌ وَضِدَعٌ فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمَ الْخَمِيسِ عَقَدَ لِأُسَامَةَ لِيَوَاءِ بَيْدِهِ فَخَرَجَ بِلِوَائِهِ مَغْفُودًا فَدَفَعَهُ إِلَى بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ فَعَسَكَرَ بِالْجَرْفِ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ وَجُوهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَّا انْتَدَبَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَجْمَعِينَ وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مَعَ أُسَامَةَ يُودِّعُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَخْرُجُونَ إِلَى الْعَسْكَرِ بِالْجَرْفِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَحَدِ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ فَدَخَلَ أُسَامَةُ مِنْ مُعْسِكَرِهِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَغْمُورٌ قَطَاطًا أُسَامَةُ فَقَبَّلَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَكَلَّمُ فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَضَعُهُمَا عَلَى أُسَامَةَ قَالَ أُسَامَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي فَرَجَعَ أُسَامَةُ إِلَى مُعْسِكَرِهِ ثُمَّ دَخَلَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُفِيقًا فَوَدَّعَهُ أُسَامَةُ وَخَرَجَ إِلَى مُعْسِكَرِهِ فَأَمَرَ النَّاسَ بِالرَّحِيلِ فَبَيَّنَّا هُوَ يُرِيدُ الرُّكُوبَ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَيْمَنَ قَدْ جَاءَهُ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُوتُ فَأَقْبَلَ هُوَ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ فَتَوَفَّيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ لِإِثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَاعْتَمَدَ الْحَافِظُ بْنُ حَجَرٍ أَنَّهَا فِي ثَانِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ.

وَلَمَّا تُوفِّيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ عَسَكُرُوا بِالْجُرْفِ إِلَى الْمَدِينَةِ
وَدَخَلَ بُرَيْدَةُ بِلِوَاءِ أُسَامَةَ مَعْقُودًا حَتَّى أَتَى بِهِ بَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَزَهُ
عِنْدَ بَابِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَلَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَرَ بُرَيْدَةَ أَنْ يَذْهَبَ
بِاللِّوَاءِ إِلَى بَيْتِ أُسَامَةَ لِيَمْضِيَ بِهِ إِلَى وَجْهِتِهِ فَمَضَى إِلَى مُعَسَكَرِهِمُ الْأَوَّلِ وَخَرَجَ أُسَامَةُ
هِلَالَ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ إِلَى أَهْلِ أُبْنَى فَشَنَّ عَلَيْهِمُ الْعَارَةَ فَقَتَلَ مَنْ أَشْرَفَ لَهُ
وَسَبَى مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ وَحَرَقَ مَنَازِلَهُمْ وَتَخَلَّاهُمْ وَقَتَلَ قَاتِلَ أَبِيهِ فِي الْعَارَةِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ
وَلَمْ يُصَبِّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَأَهْلِي الْمَدِينَةِ يَتَلَقَّوْنَهُ سُرُورًا،
فَجَمِيعُ سَرَايَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحَوِ السُّتَيْنِ وَمَعَاذِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَبْعَ
وَعِشْرُونَ.

المقصد الثاني

فِي أَسْمَائِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ أَوْلَادِهِ الْكَرَامِ الطَّاهِرِينَ وَأَزْوَاجِهِ
الطَّاهِرَاتِ أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْمَامِهِ وَعَمَّاتِهِ وَإِخْوَتِهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَجَدَّاتِهِ وَخَدَمِهِ وَمَوَالِيهِ
وَحَرَسِهِ وَأَمْرَائِهِ وَرُسُلِهِ وَكُتَّابِهِ وَكُتُبِهِ إِلَى الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ وَمُؤَذِّنِيهِ وَخُطْبَائِهِ وَخُدَاتِهِ وَشُعْرَائِهِ
آلَاتِ حُرُوبِهِ وَدَوَابِّهِ وَالْوَافِدِينَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ عَشْرَةُ فُصُولٍ.

الفصل الأول

فِي ذِكْرِ أَسْمَائِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اعْلَمَنَّ أَنَّ كَثْرَةَ الْأَسْمَاءِ تَدُلُّ عَلَى شَرَفِ الْمُسَمَّى وَقَدْ سَمَى اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَعَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ
عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَدْ تَعَرَّضَ جَمَاعَةٌ لِتَعْدَادِهَا وَبَلَّغُوا بِهَا عَدَدًا مَخْصُوصًا فَمِنْهُمْ مَنْ
بَلَغَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ كَعَدَدِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى الْوَاقِعَةِ فِي الْحَدِيثِ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ وَقَدْ
خَصَّصَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّ سَمَاءَهُ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى بِنَحْوِ ثَلَاثِينَ اسْمًا وَقَالَ ابْنُ دُحَيْبَةَ إِذَا
فُحِصَ عَنْ جُمْلَتِهَا مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَقَتِ الثَّلَاثِمِائَةِ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ قَالَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى أَلْفُ اسْمٍ وَلِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَلْفُ اسْمٍ. وَذَكَرَ مِنْهَا صَاحِبُ الْمَوَاهِبِ الَّتِي هِيَ أَضَلُّ هَذَا الْكِتَابِ مَا يَزِيدُ عَلَى
الْأَرْبَعِمِائَةِ اسْمًا، فَمِنْهَا: اسْمُهُ «مُحَمَّدٌ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَشْهُرُ أَسْمَائِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ سَمَاءُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ قَبْلَ الْخَلْقِ بِأَلْفِي عَامٍ كَمَا وَرَدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَبِهِ
سَمَاءُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَقَدْ قِيلَ لَهُ مَا سَمَّيْتَ وَلَدَكَ قَالَ مُحَمَّدًا فَقِيلَ لَهُ كَيْفَ سَمَّيْتَهُ بِاسْمِ
لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ آبَائِكَ وَقَوْمِكَ فَقَالَ لِأَنِّي أَرَجُو أَنْ يَحْمَدَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ وَذَلِكَ لِرُؤْيَا كَانَ
رَأَاهَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَقَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ خَرَجَتْ مِنْ ظَهْرِهِ لَهَا طَرَفٌ فِي
السَّمَاءِ وَطَرَفٌ فِي الْمَشْرِقِ وَطَرَفٌ فِي الْمَغْرِبِ ثُمَّ عَادَتْ كَأَنَّهَا شَجَرَةٌ عَلَى كُلِّ وَرَقَةٍ مِنْهَا

ثُورٌ وَإِذَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَتَعَلَّقُونَ بِهَا فَقَصَّصَهَا فَعُبِّرَتْ لَهُ بِمَوْلُودٍ يَكُونُ مِنْ صُلْبِهِ يَتَّبِعُهُ
أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَيَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ مُحَمَّدًا مَعَ مَا حَدَّثَتْهُ
بِهِ أُمُّهُ آمِنَةُ حِينَ قَالَ لَهَا الْمَلَكُ إِنَّكَ قَدْ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِذَا وَضَعْتِيهِ فَسَمِّيه مُحَمَّدًا .

وَمِنْ خَصَائِصِ هَذَا الْأَسْمِ كَوْنُهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ لِيُوَافِقَ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَلَّهُ عَلَى
شَكْلِ صُورَةِ الْأَدْمِيِّ فَالْجِيمُ الْأَوَّلُ رَأْسُهُ وَالْحَاءُ جَنَاحَاهُ وَالْيَمِيمُ الثَّانِي سُرُّتُهُ وَالذَّالُ رِجْلَاهُ
وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِي الْخَطِّ الْقَدِيمِ الْكُوفِيِّ . قِيلَ وَلَا يَدْخُلُ الثَّارُ مَنْ يَسْتَحِقُّ دُخُولَهَا أَعَادَنَا اللَّهُ
مِنْهَا إِلَّا مَمْسُوحُ الصُّورَةِ إِكْرَامًا لِصُورَةِ لَفْظِ مُحَمَّدٍ وَأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى مَحْمُودٍ
كَمَا قَالَ حَسَّانُ :

أَعْرُ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مِنْ نُورٍ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَهُ اسْمِ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذَّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ
وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ أَنَّ آدَمَ قَالَ لِأَبْنَيْهِ شَيْثَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَيُّ بُنَيَّ أَنْتَ
خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي فَخَذَّهَا بِعِمَارَةِ الثَّقَوَى وَالْعَزْوَةِ الْوُثْقَى وَكُلَّمَا ذَكَرْتَ اللَّهَ فَادْكُرْ إِلَى جَنْبِهِ
اسْمُ مُحَمَّدٍ فَإِنِّي رَأَيْتُ اسْمَهُ مَكْتُوبًا عَلَى سَائِي الْعَرْشِ وَطُفْتُ السَّمَوَاتِ فَلَمْ أَرِ فِيهَا مَوْضِعًا
إِلَّا وَرَأَيْتُ اسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ وَلَقَدْ رَأَيْتُ اسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوبًا عَلَى نُحُورِ الْحُورِ الْعِينِ
وَعَلَى وَرَقِ قَصَبِ آجَامِ الْجَنَّةِ وَعَلَى وَرَقِ شَجَرَةِ طُوبَى وَعَلَى وَرَقِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَعَلَى
أَطْرَافِ الْحُجُبِ وَبَيْنَ أَغْنِي الْمَلَائِكَةِ فَأَكْثَرُ ذِكْرَهُ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَذْكُرُهُ فِي كُلِّ سَاعَاتِهَا .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمَّا عَرِجَ بِي إِلَى
السَّمَاءِ مَا مَرَزْتُ بِسَمَاءٍ إِلَّا وَجَدْتُ اسْمِي فِيهَا مَكْتُوبًا مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرٍ مِنْ
خَلْفِي . وَوَجَدَ عَلَى الْحِجَارَةِ الْقَدِيمَةِ مَكْتُوبًا مُحَمَّدٌ تَقِي مَضْلِحَ أَمِينٍ ذَكَرَهُ فِي الشَّقَاءِ . وَوَجَدَ
عَلَى حَجَرٍ بِالْخَطِّ الْعِبْرَانِيِّ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ جَاءَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ بِلسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَكَتَبَهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ فِي الْبَشْرِ عَنْ مُعَمَّرِ الرَّهْرِيِّ .

وَذَكَرَ الْعَلَامَةُ ابْنُ مَرْزُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صُوحَانَ قَالَ عَصَفَتْ بِنَا رِيحٌ وَتَحَنَّنَ فِي
لُجَجِ بَحْرِ الْهِنْدِ فَأَرْسَلْنَا فِي جَزِيرَةٍ فَرَأَيْنَا فِيهَا وَرْدًا أَحْمَرَ ذِكْرِي الرَّائِحَةِ طَيِّبَ الشَّمِّ وَفِيهِ
مَكْتُوبٌ بِالْأَبْيَضِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَوَرْدًا أَبْيَضَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِالْأَصْفَرِ بَرَاءَةٌ مِنْ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى جَنَاتِ النَّعِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ . وَذَكَرَ فِي الشَّقَاءِ أَنَّهُ

شُوهِدَ فِي بَعْضِ بِلَادِ خُرَاسَانَ مَوْلُودٌ وَلِدَ عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ مَكْتُوبٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَعَلَى الْآخَرِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَشُوهِدَ بِبِلَادِ الْهِنْدِ وَزِدَ أَحْمَرُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ بِالْأَبْيَضِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

وَفِي كِتَابِ رَوْضِ الرِّيَاحِينَ لِلْيَافِعِيِّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ وَجَدَ بِبِلَادِ الْهِنْدِ شَجَرَةً تَحْمِلُ ثَمَرًا كَاللُّوزِ لَهُ قَشْرٌ إِذْ كُسِرَ خَرَجَتْ مِنْهُ وَرَقَةٌ خَضِرَاءُ مَطْوِيَّةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا بِالْحُمْرَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ كِتَابَةٌ جَلِيلَةٌ وَهُمْ يَتَبَرَّكُونَ بِهَا قَالَ فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ أَبَا يَعْقُوبَ الصِّيَّادَ فَقَالَ مَا أَسْتَعْظِمُ هَذَا كُنْتُ أَضْطَاذُ عَلَى نَهْرِ الْأَبْلَةِ فَاضْطَدْتُ سَمَكَةً عَلَى جَنْبِهَا الْأَيْمَنِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَعَلَى جَنْبِهَا الْأَيْسَرِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَلَمَّا رَأَيْتُهَا قَدَفْتُهَا بِأَلْمَاءٍ اخْتِزَامًا لَهَا وَرَوَى خَبَرُ هَلِيدِ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْمِلُ ثَمَرًا كَاللُّوزِ الْقَاضِي أَبُو الْبَقَاءِ بْنُ الضَّيَّاءِ فِي مَنْسَكِهِ نَقْلًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ رَأَى تِلْكَ الشَّجَرَةَ وَكَمَرَتْهَا مَكْتُوبٌ فِيهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَوُجِدَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِمِائَةٍ حَبَّةٌ عِنَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهَا بِحَطِّ بَارِعٍ يَلُونِ أَسْوَدَ مُحَمَّدٌ.

وَفِي كِتَابِ النُّطْقِ الْمَفْهُومِ لِابْنِ طُغْرُيْكَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ رَأَى فِي جَزِيرَةِ شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ لَهَا وَرَقٌ كَثِيرٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ مَكْتُوبٌ فِيهِ بِالْحُمْرَةِ كِتَابَةٌ بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ فِي الْوَرَقَةِ ثَلَاثَةٌ أَسْطُرٍ الْأَوَّلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالثَّانِي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالثَّلَاثُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ. قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَمِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يُسَمَّ أَحَدٌ قَبْلَهُ بِاسْمِهِ مُحَمَّدٌ صِيَانَةً مِنَ اللَّهِ لِهَذَا الْأَسْمِ الشَّرِيفِ كَمَا فُعِلَ بِبَيْحَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلِ سَمِيًّا إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا قَرُبَ زَمَنُهُ وَبَشَّرَ أَهْلَ الْكِتَابِ بِقُرْبِهِ سَمَّى قَوْمَ أَوْلَادِهِمْ كَذَلِكَ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ هُوَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَقَدْ بَلَّغُوا خَمْسَةَ عَشَرَ نَفْسًا، وَمِنْهَا اسْمُهُ «أَحْمَدُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ اسْمُهُ الَّذِي سَمَّى بِهِ عَلَى لِسَانِ عِيسَى وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَهُوَ مَنْقُولٌ عَنِ اسْمِ التَّفْضِيلِ فَمَعْنَاهُ أَحْمَدُ الْحَامِدِينَ لِزُبُّهِ وَكَذَلِكَ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ بِمَحَامِدٍ لَمْ يُفْتَحْ بِهَا عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ فَيَحْمَدُ رَبَّهُ بِهَا وَيُعْقَدُ لَهُ لَوَاءُ الْحَمْدِ ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحَمَّدًا حَتَّى كَانَ أَحْمَدَ حَمْدَ رَبِّهِ فَنَبَأَهُ وَشَرَّفَهُ فَلِذَلِكَ تَقَدَّمَ اسْمُهُ أَحْمَدُ عَلَى اسْمِهِ مُحَمَّدٍ فَذَكَرَهُ عِيسَى فَقَالَ اسْمُهُ أَحْمَدُ وَذَكَرَهُ مُوسَى حِينَ قَالَ لَهُ رَبُّهُ تِلْكَ أُمَةُ أَحْمَدَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَةِ أَحْمَدَ فَيَأْخُذُ دُكْرًا قَبْلَ أَنْ يُذَكَّرَ بِمُحَمَّدٍ لِأَنَّ حَمْدَهُ لِزُبُّهِ كَانَ قَبْلَ حَمْدِ النَّاسِ لَهُ فَلَمَّا وَجِدَ وَبُعِثَ كَانَ مُحَمَّدًا بِالْفِعْلِ ذَكَرَ ذَلِكَ الشَّهْنِيلِيُّ وَالْقَاضِي عِيَّاضُ. وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ أَيْضًا أَحْمَدُ بِمَعْنَى أَكْبَرُ مِنْ حَمْدٍ

وَأَجَلَ مَنْ حُمِدَ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «مَحْمُودٌ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ شَيْبَةٌ بِاسْمِهِ تَعَالَى الْحَمِيدُ لِأَنَّ مَعْنَاهُ الْمَحْمُودُ وَهَذَا الْأَسْمُ الشَّرِيفُ وَقَعَ فِي زُبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْمَاجِي» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَرَهُ فِي الْحَدِيثِ بِمَخْرِجِ الْكُفْرِ وَلَمْ يُنْجِ الْكُفْرَ بِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ مِثْلَ مَا مَجِيَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ بَعِثَ وَأَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ كُفَّارًا مَا بَيْنَ عِبَادِ أَوْتَانٍ وَيَهُودٍ وَنَصَارَى وَصَابِئَةٍ وَذَهْرِيَّةٍ وَعُبَادِ كَوَاكِبَ وَعِبَادِ نَارٍ فَمَحَاها اللَّهُ تَعَالَى بِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَتَّى أَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ وَبَلَغَ دِينُهُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَسَارَتْ دَعْوَتُهُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الْأَقْطَارِ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْفَاتِحُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ اللَّهَ فَتَحَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَابَ الْهُدَى إِذْ كَانَ مُرْتَجَاً وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمَيَّا وَأَذَانَا صُغْمًا وَقُلُوبًا غُلْفًا وَفَتَحَ أَمْصَارَ الْكُفَّارِ وَفَتَحَ بِهِ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ وَفَتَحَ بِهِ طُرُقَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْحَاشِرُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَرُ أَيْضًا فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِهِ أَيْ يَقْدُمُهُمْ وَهُمْ خَلْفَهُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ فَيُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى أُنْفُسِهِمْ وَإِلَيْهِ يَلْجَأُونَ فِي مَحْشَرِهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْعَاقِبُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الَّذِي جَاءَ عَقِبَ الْأَنْبِيَاءِ فَلَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ لِأَنَّ الْعَاقِبَ هُوَ الْآخِرُ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْمُقَفَّى» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ كَالْعَاقِبِ أَيْ قَفَا آثَارَ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الرُّسُلِ وَكَانَ خَاتِمَهُمْ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْأَوَّلُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلَقًا وَكَمَا أَنَّهُ أَوَّلُ فِي الْبَدْءِ هُوَ أَوَّلُ فِي الْعُودِ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشْفِعٍ كَمَا كَانَ فِي أَوَّلِيَّاتِ الْبَدْءِ فِي عَالَمِ الدَّرِّ أَوَّلُ مُجِيبٍ إِذْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بَلَى إِذْ أَخَذَ رَبُّهُ الْبَيْثَاقَ عَلَى الذَّرِّيَّةِ الْأَكْمِيَّةِ فَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَوَّلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْآخِرُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْبَعْثِ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْخَاتِمُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَتَمَ بِهِ النَّبِيِّينَ كَمَا أَنَّهُ أَوَّلُهُمْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرُهُمْ فِي الْبَعْثِ وَمِنْهَا اسْمُهُ «الظَّاهِرُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ ظَهَرَ عَلَى جَمِيعِ الظَّاهِرَاتِ ظُهُورُهُ وَظَهَرَ عَلَى الْأَدْيَانِ دِينُهُ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْبَاطِنُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ الْمُطْلِعُ عَلَى بَوَاطِنِ الْأُمُورِ بِوَاسِطَةِ مَا يُوجِيهِ اللَّهُ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» [التوبة: ١٢٨]
وَالرُّؤُوفُ مِنَ الرَّأْفَةِ وَهِيَ أَرْقُ مِنَ الرَّحْمَةِ قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالرَّحِيمُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقِيلَ رَؤُوفٌ
بِالْمُطِيعِينَ رَحِيمٌ بِالْمُذْنِبِينَ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْحَقُّ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ ضِدُّ الْبَاطِلِ
وَالْمُتَحَقِّقُ صِدْقُهُ وَأَمْرُهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الزخرف: ٢٩] وَقَالَ: ﴿قَدْ
جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٨] قِيلَ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ الْقُرْآنُ.

وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْمُبِينُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ الْبَيِّنُ أَمْرُهُ وَرِسَالَتُهُ وَالْمُبِينُ عَنِ اللَّهِ
مَا بُعِثَ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْجَبَّارُ»
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُمِّيَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَزَامِيرِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ فِي
الْمَزْمُورِ الرَّابِعِ وَالْأَرْبَعِينَ تَقْلُدُ أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ فَإِنْ نَامُوسَكَ وَشَرَائِعَكَ مَقْرُونَةً بِهِيَّةَ يَمِينِكَ
فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَبَّارُ الَّذِي جَبَّرَ الْخَلْقَ بِالسَّيْفِ عَلَى الْحَقِّ وَصَدَّهُمْ عَنِ الْكُفْرِ
جَبْرًا قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ وَقَدْ نَفَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ جَبْرِيَّةَ التَّكْبِيرِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِهِ
فَقَالَ ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥].

وَمِنْهَا «الْمُزْمَلُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ الْمُتَلَفُّفُ فِي ثِيَابِهِ قَالَ السُّدِّيُّ مَعْنَاهُ يَا
أَيُّهَا النَّاسُ وَكَانَ مُتَلَفِّفًا فِي ثِيَابِ نَوْمِهِ، وَمِنْهَا «الْمُدَّثِّرُ» وَهُوَ الْمُتَلَفُّفُ بِالذُّنُوبِ وَهُوَ مَا يُلْقِيهِ
عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ كِسَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ كُنْتُ بِحِجَازٍ فَتَوَدِدْتُ
فَتَنْظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي فَلَمْ أَرِ أَحَدًا وَتَنْظَرْتُ فَوْقِي فَإِذَا هُوَ عَلَى عَرْشِ بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ يَغْنِيهِ الْمَلَكُ الَّذِي نَادَاهُ فَرُعَيْبُ فَرَجَعْتُ إِلَى حَدِيجَةَ فَقُلْتُ دَثْرُونِي دَثْرُونِي فَنَزَلَ
جِبْرِيلُ فَقَالَ «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» وَمِنْهَا اسْمُهُ «الثَّقِيبُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ شَاهِدُ الْقَوْمِ
وَنَاطِرُهُمْ وَضَمِيمُهُمْ، وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْعَظِيمُ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقَعَ فِي أَوَّلِ سِفْرِ مِنْ
التَّوْرَةِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ وَسَيِّدُ عَظِيمًا لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَمِنْهَا «طُه» قِيلَ مَعْنَاهُ يَا طَاهِرُ يَا هَادِي.

وَمِنْهَا «يَس» عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ مَعْنَاهُ يَا سَيِّدُ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الْوَرَّاقِ يَا سَيِّدَ الْبَشَرِ،
وَمِنْهَا «النَّبِيُّ وَالرَّسُولُ» وَاخْتَلَفَ هَلْ هُمَا بِمَعْنَى أَوْ بِمَعْنَيْنِ فَقَالَ بِالْأَوَّلِ قَوْمٌ وَقَالَ آخَرُونَ
بِالثَّانِي فَعَلَى هَذَا النَّبِيُّ كُلُّهُ بِمَا يَخْصُهُ وَالرَّسُولُ بِذَلِكَ وَبِتَبْلِيغِ غَيْرِهِ فَالرَّسُولُ أَحْصَى مُطْلَقًا،
وَمِنْهَا «نَبِيُّ الْمَلَاحِمِ» وَهِيَ الْحُرُوبُ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
الْقِتَالِ وَلَمْ يُجَاهِدْ نَبِيٌّ وَأُمَّتُهُ قَطُّ مَا جَاهَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ، وَمِنْهَا «مُقِيمُ السُّنَّةِ»
فَفِي كِتَابِ الشَّعَاءِ قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا مُحَمَّدًا مُقِيمَ السُّنَّةِ بَعْدَ الْفِتْرَةِ.

وَمِنْهَا «عَبْدُ اللَّهِ» سَمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ فِي أَشْرَفِ مَقَامَاتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» [الفرقان: ١] وَغَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ وَلَمَّا خُيِّرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلَكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَبَ النَّصَارَى عِيسَى وَلَكِنْ قُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَمِنْهَا «مَاذَا» وَنَقَلَ الْعَلَامَةُ الْحِجَازِيُّ فِي حَاشِيَّتِهِ عَلَى الشِّفَاءِ عَنِ السَّهْلِيِّ ضَمَّ الْمِيمَ وَإِسْمَامَ الْهَمْزَةَ ضَمَّةً بَيْنَ الْوَاوِ وَالْأَلِفِ مَمْدُودَةً وَقَالَ نَقَلْتُهُ عَنْ رَجُلٍ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَ مَعْنَاهُ طَيِّبٌ طَيِّبٌ وَلَا زَيْبٌ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْيَبُ الطَّيِّبِينَ، وَمِنْهَا «الْبَارَقَلِيطُ» بِالْبَاءِ وَيُقَالُ الْفَارَقِلِيطُ وَوَقَعَ فِي إِنْجِيلِ يُوَحْنَّا وَمَعْنَاهُ رُوحَ الْحَقِّ وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهَائَةِ مَعْنَاهُ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ بِتَضَدِّيقِهِ وَتَكْذِيبِهِ.

وَمِنْهَا «حَمَطَايَا» قَالَ أَبُو عَمْرٍو سَأَلْتُ بَعْضَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ عَنْهُ فَقَالَ مَعْنَاهُ يَخْمِي الْحَرَمَ مِنَ الْحَرَامِ وَبُوطِيءُ الْحَلَالِ، وَ «أَحِيدُ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْمِي فِي الْقُرْآنِ مُحَمَّدٌ وَفِي الْإِنْجِيلِ أَحْمَدُ وَفِي التَّوْرَةِ أَحِيدُ وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ أَحِيدُ لِأَنِّي أَحِيدٌ عَنْ أُمَّتِي نَارَ جَهَنَّمَ، وَمِنْهَا «الْمُحْمِنَا» بِالسُّرْيَانِيَّةِ مُحَمَّدٌ وَمِثْلُهُ «الْمُسْفَحُ» فِيهِ كِتَابٌ شَعْبًا فِي الْبُشَارَةِ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَفْتَحُ الْعُيُونَ الْعُورَ وَالْأَذَانَ الصُّمَّ وَيُخَيِّ الْقُلُوبَ الْغُلْفَ وَمَا أُعْطِيَهُ لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مُشْفَحٌ يَحْمَدُ اللَّهَ حَمْدًا جَدِيدًا، وَمِنْهَا «قُتْمٌ» وَمَعْنَاهُ الْجَامِعُ لِلْخَيْرِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا: السَّرَاجُ، الثُّورُ، الْمُنِيرُ، الْمِصْبَاحُ، النُّجْمُ، الْقَمَرُ، الشَّمْسُ، السَّيِّدُ السَّعِيدُ، الْمَسْعُودُ، الرَّشِيدُ الْخَبِيرُ، الْمَذْكُرُ، الْمُبْلَغُ، الْمَيْسَرُ، الْمُبَشِّرُ، الْمُثْنِرُ، الْعَزِيزُ، الْبَصِيرُ، الْبَرُّ، الْبَشِيرُ، النَّذِيرُ، الْأُمِّيُّ، الْمَكِّيُّ الْمَدَنِيُّ، الْعَرَبِيُّ، الْحِجَازِيُّ، الشَّهَامِيُّ، النَّقِيُّ، النَّقِيُّ، الْوَفِيُّ، الصَّفِيُّ، الْوَلِيُّ، الْمَوْلَى، الْأَمِينُ، الْمَأْمُونُ، الْمُؤْتَمَنُ الْحَبِيبُ، الْحَسِيبُ، الطَّاهِرُ، الْمُطَهَّرُ، الشَّاكِرُ، الشُّكُورُ، الشَّارِعُ، الشَّافِعُ، النَّاصِحُ، الصَّالِحُ، الْمُصْلِحُ، الضَّحَّاكُ، الْمُبَارَكُ، الْحَامِدُ، الْحَمَّادُ، الْجَوَادُ، الْكَرِيمُ، الْحَكِيمُ، الْعَلِيمُ، الْحَلِيمُ، الْمُؤَيَّدُ، الْمُخْتَارُ، الْمُصْطَفَى، الْمُخْلَصُ، الْهُدَى، الْمَعْصُومُ، الْوَجِيهَ، الْوَسِيلَةُ، الْعَفْوُ، الصَّفْوُ، الْعَطُوفُ، الْهَادِي، الْمُقَدَّسُ، الْبَرْهَانُ، الْحَنِيفُ، الْحَلِيلُ، الْخَلِيفَةُ، الْمَكِينُ، الصَّفْوَةُ، الصَّادِقُ، الْمَصْدُوقُ، صَاحِبُ الْحَوْضِ

الْمُزَوَّدِ، صَاحِبِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، صَاحِبِ اللَّوَاءِ، صَاحِبِ الْمُعْجَزَاتِ، مِفْتَاحِ الْجَنَّةِ، رَسُولِ الرَّحْمَةِ، نَبِيِّ التَّوْبَةِ، إِمَامِ الْخَيْرِ، إِمَامِ الْمُتَّقِينَ، إِمَامِ السَّيِّئِينَ، أَكْرَمِ النَّاسِ، خَطِيبِ الْأَنْبِيَاءِ، خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، خَيْرُهُ اللَّهُ، دَارِ الْحِكْمَةِ، دَلِيلِ الْخَيْرَاتِ، رَحْمَةِ الْعَالَمِينَ، رُوحِ الْقُدُسِ، عِلْمِ الْيَقِينِ، الْغُرُوءِ الْوُثْقَى، مَدِينَةُ الْعِلْمِ، هَدْيَةُ اللَّهِ، عَبْدُ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ قَالَ اسْمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَبْدُ الْكَرِيمِ، وَعِنْدَ أَهْلِ النَّارِ عَبْدُ الْعَجَّارِ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْعَرْشِ عَبْدُ الْحَمِيدِ، وَعِنْدَ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ عَبْدُ الْمُجِيدِ، وَعِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَبْدُ الْوَهَّابِ، وَعِنْدَ الشَّيَاطِينِ عَبْدُ الْقَهَّارِ، وَعِنْدَ الْجِنِّ عَبْدُ الرَّحِيمِ، وَفِي الْجِبَالِ عَبْدُ الْخَالِقِ، وَفِي الْبُرِّ عَبْدُ الْقَادِرِ، وَفِي الْبَحْرِ عَبْدُ الْمُهَيِّمِ، وَعِنْدَ الْحَيَاتِ عَبْدُ الْقُدُوسِ، وَعِنْدَ الْهَوَامِّ عَبْدُ الْغِيَاثِ، وَعِنْدَ الْوُحُوشِ عَبْدُ الرَّزَاقِ، وَعِنْدَ السَّبَاعِ عَبْدُ السَّلَامِ، وَعِنْدَ النَّهَائِمِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ، وَعِنْدَ الطُّيُورِ عَبْدُ الْغَفَّارِ، وَفِي الثُّرَاةِ مُوَدُّ مُوَدِّ، وَفِي الْإِنْجِيلِ طَابَ طَابٌ، وَفِي الصُّحُفِ عَاقِبٌ، وَفِي الزُّبُورِ قَارُوقٌ، وَعِنْدَ اللَّهِ طُهُ وَيسَ، وَعِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَتَبَتْهُ أَبُو الْقَاسِمِ لِأَنَّهُ يَفْسُمُ الْجَنَّةَ بَيْنَ أَهْلِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفصل الثاني

فِي ذِكْرِ أَوْلَادِهِ الْكَرَامِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

أَمَّا بَنَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِنَّ وَسَلَّمَ فَأَرْبَعٌ زَيْنَبُ وَرُقِيَّةُ وَأُمُّ كُلْثُومٌ وَفَاطِمَةُ. وَأَمَّا أَبْنَاؤُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَثَلَاثَةٌ الْقَاسِمُ وَإِبْرَاهِيمُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَزَادَ بَعْضُهُمُ الطَّيِّبُ وَالْمُطَيِّبُ وَالطَّاهِرُ وَالْمُطَهَّرُ، أَمَّا الْقَاسِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهُوَ أَوَّلُ وَلَدٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَبْلَ الثُّبُوءِ وَبِهِ كَانَ يَكْنَى وَعَاشَ حَتَّى مَشَى وَقِيلَ عَاشَ سَتَيْنِ.

وَأَمَّا زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَهِيَ أَكْبَرُ بَنَاتِهِ وَلَدَتْ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ مِنْ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَذْرَكَتِ الْإِسْلَامَ وَهَاجَرَتْ وَمَاتَتْ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ عِنْدَ زَوْجِهَا وَابْنِ خَالَتِهَا أَبِي الْعَاصِ لَقِيطِ بْنِ الرَّبِيعِ وَكَانَتْ هَاجَرَتْ قَبْلَهُ وَتَرَكْتُهُ عَلَى شِرْكِهِ ثُمَّ أَسْلَمَ فَرَدَّهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ وَقِيلَ بِنِكَاحِ جَدِيدٍ وَلَدَتْ لَهُ عَلِيًّا مَاتَ صَغِيرًا وَكَانَ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَتِهِ يَوْمَ الْفَتْحِ وَلَدَتْ لَهُ أَيْضًا أُمَامَةَ الَّتِي حَمَلَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ عَلَى عَاتِقِهِ وَكَانَ إِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ أَعَادَهَا وَتَرَوَّجَهَا عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ مَوْتِ فَاطِمَةَ، وَأَمَّا رُقِيَّةُ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهَا قَوْلِدَتْ سَنَةً ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ مِنْ مَوْلِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهَاجَرَ بِهَا الْهَجْرَتَيْنِ وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ رَائِعٍ وَتُوْفِيَتْ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْدُرُ وَلَمَّا تُوْفِيَتْ رُقِيَتْ حَظَبُ عُثْمَانَ ابْنَةُ عُمَرَ حَفْصَةَ قَبْلَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا عُمَرُ أَذَلِكَ عَلَى خَيْرٍ لَكَ مِنْ عُثْمَانَ وَأَذَلُّ عُثْمَانَ عَلَى خَيْرٍ لَهُ مِنْكَ قَالَ نَعَمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ تَزَوَّجْنِي ابْنَتَكَ وَأَزْوَجْ عُثْمَانَ ابْنَتِي فَزَوَّجَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ كُلثُومَ وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لِعُثْمَانَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مِائَةَ بَنَاتٍ يَمْشُرْنَ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ زَوْجَتُكَ أُخْرَى هَذَا جَنَرِيْلُ أَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَزْوَجَكُمَا وَكَانَ تَزَوُّجُ عُثْمَانَ بِأُمِّ كُلثُومَ سَنَةً ثَلَاثَ مِنْ الْهَجْرَةِ وَمَاتَتْ سَنَةً تَسْعَ وَجَلَسَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى الْقَبْرِ وَعَيْنَاهُ تَذْرِقَانِ، وَأَمَّا فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ الْبَثُولُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَوْلِدَتْ سَنَةً إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مِنْ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ وَلِدَتْ قَبْلَ النَّبُوَّةِ بِخَمْسِ سِنِينَ وَرُوِيَ مَرْفُوعًا.

إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَطَمَهَا وَذُرِّيَّتُهَا عَنِ الثَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسُمِّيَتْ بَثُولًا لِأَنَّهُ قَطَاعُهَا عَنْ نِسَاءِ زَمَانِهَا فَضْلًا وَدِينًا وَحَسَبًا وَقِيلَ لِأَنَّهُ قَطَاعُهَا عَنِ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ وَتَزَوَّجَتْ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ بِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَوَحْيِهِ وَلَهَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفٌ وَلِعَلِيٍّ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ قَالَ أَبُو عَمْرِو وَفَاطِمَةُ وَأُمُّ كُلثُومَ أَفْضَلُ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَحَبَّ أَهْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ وَكَانَ يُقْبَلُهَا فِي فِيهَا وَيُمْصُهَا لِسَانَهُ وَإِذَا أَرَادَ سَفَرًا يَكُونُ آخِرَ عَهْدِهِ بِهَا وَإِذَا قَدِمَ أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَعْضَبَهَا أَعْضَبَنِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَقَالَ لَهَا أَوْ مَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَفِي رِوَايَةٍ أَحْمَدُ أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَتُوْفِيَتْ بَعْدَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ لِثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةً إِحْدَى عَشْرَةَ وَوَلِدَتْ لِعَلِيٍّ حَسَنًا وَحُسَيْنًا وَمُحْسِنًا قَمَاتَ مُحْسِنٌ صَغِيرًا وَأُمُّ كُلثُومَ وَزَيْنَبُ وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقِبٌ إِلَّا مِنْ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ فَانْتَشَرَ نَسْلُهُ الشَّرِيفُ مِنْهَا مِنْ جِهَةِ السَّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَقَطُ.

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ مَاتَ صَغِيرًا بِمَكَّةَ وَاخْتَلَفَ هَلْ وُلِدَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ أَوْ بَعْدَهَا وَهَلْ هُوَ الطَّيِّبُ وَالطَّاهِرُ الرَّصَّاحُ أَنَّهُمَا لَقَبَانِ لَهُ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ فَمِنْ مَارِيَةِ الْقِبْطِيَّةِ وَوُلِدَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ وَكَانَتْ سَلَمَى زَوْجُ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَابِلَتَهُ فَبَشَّرَ أَبُو رَافِعٍ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَهَبَ لَهُ عَبْدًا وَعَقَّ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ بِكَبْشَيْنِ وَحَلَقَ رَأْسَهُ أَبُو هِنْدٍ وَسَمَّاهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ وَتَصَدَّقَ بِرِثَةِ شَعْرِهِ وَرَقًا أَيْ فِضَّةً عَلَى الْمَسَاكِينِ وَدَفَنُوا شَعْرَهُ فِي الْأَرْضِ وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ سَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَتَنَافَسَتِ الْأَنْصَارُ فِي مَنْ يُرْضِعُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَلْهَمَهُمْ أَحَبُّوا أَنْ يُفْرِعُوا مَارِيَةَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ لِأُمِّ بُرْدَةَ بِنْتِ الْمُثَنِّرِ زَوْجَةِ الْبَرَاءِ بْنِ أَوْسٍ فَكَانَتْ تُرْضِعُهُ بِلَبَنِ ابْنَيْهَا فِي بَنِي مَازِنِ بْنِ الثَّجَارِ وَتَرْجِعُ بِهِ إِلَى أُمِّهِ وَأَعْطَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ بُرْدَةَ قِطْعَةً لُحْلٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِبْرَاهِيمَ مُسْتَرْضِعًا فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَكَانَ ظُهُرُهُ قَيْنًا فَيَقْبَلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ زَادَ الْبُخَارِيُّ وَيَسْمُهُ وَتَوَكَّلِي وَلَهُ سَبْعُونَ يَوْمًا وَقِيلَ أَكْثَرُ مَنْ ذَلِكَ وَصَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَقِيعِ وَقَالَ نَذِفْنَاهُ عِنْدَ فَرَطَانَ عُثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ وَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهِ وَرَشَّ وَعُلِمَ بِعَلَامَةٍ وَهُوَ أَوَّلُ قَبْرِ رُشٍّ.

وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ أَخَذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَأَتَى بِهِ النُّخْلَ فَإِذَا ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِتَفْسِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ فِي جَنْبِهِ ثُمَّ دَرَفَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ تَبْكِي الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ وَانْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَوْتِهِ فَقَالَ النَّاسُ لَئِمَّا كُشِفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْحِجَّةِ وَلَوْ عَاشَ لَكَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا وَلَوْ عَاشَ لَأَعْتَقْتُ أَخْوَالَهُ مِنَ الْقِبْطِ وَمَا اسْتَرْقُ قِبْطِي.

الفصل الثالث

فِي ذِكْرِ أَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ وَسَرَائِهِ الْمُطَهَّرَاتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ»

[الأحزاب : ٦] وَذَلِكَ فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِهِنَّ وَوُجُوبِ اخْتِرَائِهِنَّ لَا فِي نَظَرِ وَخُلُوةٍ وَفَضْلِنَ عَلَى النِّسَاءِ وَتَوَاتُيْهِنَّ وَعِقَابُهُنَّ مُضَاعَفَانِ وَلَا يَجِلُّ سَوَالُهُنَّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَفِي أَفْضَلِيهِمَا خِلَافٌ . وَاخْتَلَفَ فِي عِدَّةِ زَوْجَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً سِتَّةً مِنْ قُرَيْشٍ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَعَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَحَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَأُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَسَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، وَأَرْبَعٌ عَرَبِيَّاتٌ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةُ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ الْهَلَالِيَّةُ أُمُّ الْمَسَاكِينِ، وَجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْمُضْطَلِقِيَّةُ، وَوَاحِدَةٌ غَيْرُ عَرَبِيَّةٍ، مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ مِنْ بَنِي النُّضَيْرِ، وَمَاتَ عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُنَّ اثْنَتَانِ خَدِيجَةُ وَزَيْنَبُ أُمُّ الْمَسَاكِينِ وَمَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تِسْعٍ .

فَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَدْ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ ثَيِّبٌ وَلَهَا مِنَ الْعُمْرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَكَانَ سِنُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَأَصْدَقَهَا عِشْرِينَ بَكْرَةً وَقِيلَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَوْ قِيَّةً ذَهَبًا وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ مِنَ النِّسَاءِ وَقَالَ جَبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِئِي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ وَالْقَصَبُ اللَّوْلُؤُ الْمَجُوفُ وَالصَّخَبُ الْمُنَارَعَةُ بِرَفْعِ الصَّوْتِ وَالنَّصَبُ التَّعَبُ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِنْ رَدِّ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيُحْزِنُهُ ذَلِكَ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ بِخَدِيجَةَ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا تَثَبُّتُهُ وَتُخَفَّفُ عَنْهُ وَتُصَدَّقُهُ وَتُهَوَّنُ عَلَيْهِ أَمَرَ النَّاسِ حَتَّى مَاتَتْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي شَرْحِ الْبَهْجَةِ وَأَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ وَعَائِشَةُ وَفِي أَفْضَلِيهِمَا خِلَافٌ صَحَّحَ ابْنُ الْعِمَادِ تَفْضِيلَ خَدِيجَةَ لِمَا ثَبَتَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ قَالَتْ قَدْ رَزَقَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا لَا وَاللَّهِ مَا رَزَقَنِي خَيْرًا مِنْهَا أَمَنْتُ بِبِي حِينَ كَفَّرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقَنِي حِينَ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَأَعْطَنِي مَا لَهَا حِينَ حَرَمَنِي النَّاسُ وَسُئِلَ ابْنُ دَاوُدَ فَأَجَابَ بِأَفْضَلِيَّةِ خَدِيجَةَ عَلَى عَائِشَةَ وَبِأَنَّ ابْنَتَهَا فَاطِمَةَ أَفْضَلُ مِنْهَا وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَلَا أَعْدِلُ بِبَضْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تُكَوِّنِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا مَرَّتِمَ .

وَسُئِلَ السُّبُكِيُّ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ الَّذِي نَخْتَارُهُ وَنَدِينُ اللَّهَ بِهِ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ ثُمَّ أُمُّهَا خَدِيجَةُ ثُمَّ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ قَالَ أَبُو أُمَامَةَ بْنُ النَّضَّاسِ إِنَّ سَبَقَ خَدِيجَةَ وَتَأْيِيرَهَا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَمُؤَاوَزَتَهَا وَنُصْرَتَهَا وَقِيَامَهَا فِي الدِّينِ لِلَّهِ بِمَا لَهَا وَنَفْسِهَا لَمْ يَشْرِكْهَا فِيهِ أَحَدٌ لَا عَائِشَةُ وَلَا أَحَدٌ غَيْرُهَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَأْيِيرُ عَائِشَةَ فِي حَمْلِ الدِّينِ وَتَبْلِيغِهِ إِلَى الْأُمَّةِ مَا لَمْ تَشْرِكْهَا فِيهِ خَدِيجَةُ وَلَا غَيْرُهَا بِمَا تَمَيَّزَتْ بِهِ عَنْ غَيْرِهَا.

وَمَاتَتْ خَدِيجَةُ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَدُفِنَتْ فِي الْحَجُّونِ وَهِيَ ابْنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ يُصَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ وَكَانَتْ مُدَّةُ مُقَامِهَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَسْلَمَتْ قَدِيمًا وَيَايَعَتْ وَكَانَتْ تَحْتَ ابْنِ عَمِّهَا السُّكْرَانِ بْنِ عَمْرِو أَسْلَمَ مَعَهَا قَدِيمًا وَهَاجَرَا جَمِيعًا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْهَجْرَةَ الثَّانِيَةَ فَلَمَّا قَدِمَا مَكَّةَ مَاتَ زَوْجُهَا وَتَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ قَبْلَ أَنْ يَعْقِدَ عَلَى عَائِشَةَ وَقِيلَ بَعْدَ أَنْ عَقَدَ عَلَيْهَا وَدَخَلَ بِهَا قَبْلَ عَائِشَةَ وَلَمَّا كَثُرَتْ سَوْدَةُ أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَاقَهَا فَسَأَلَتْهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ وَجَعَلَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ فَأَمْسَكَهَا وَتَوَفِّيَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي شَوَالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَخُطِبَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُضِدَّقَهَا فِيمَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ أَرْبَعِمِائَةٍ دِزْهَمٍ وَتَزَوَّجَهَا بِمَكَّةَ فِي شَوَالِ سَنَةِ عَشْرِ مِنْ النَّبُوَّةِ وَقَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَلَهَا سِتُّ سِنِينَ وَأَعْرَسَ بِهَا بِالْمَدِينَةِ فِي شَوَالِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ وَلَهَا تِسْعُ سِنِينَ. قَالَ أَبُو عَمْرِو كَانَ نِكَاحُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهَا فِي شَوَالِ وَابْتَنَى بِهَا فِي شَوَالٍ وَكَانَتْ تُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ النِّسَاءَ مِنْ أَهْلِهَا وَأَجَبَّيْهَا فِي شَوَالٍ. وَكَانَتْ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ وَكَانَتْ إِذَا هَوَيْتَ شَيْئًا تَابَعَهَا عَلَيْهِ وَقَالَ لَهَا رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ يَقُولُ هَذِهِ أَمْرُكَ فَأَكْثِفُ عَنْ وَجْهِكَ فَأَقُولُ إِنَّ يَكُ مِنْ عِلْدِ اللَّهِ يُمَضِّهِ. وَالسَّرَقَةُ بِوَزْنِ قَصَبَةٍ شَقَّةُ حَرِيرٍ بَيْنَاءً.

وَكَانَتْ مُدَّةُ مُقَامِهَا مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تِسْعَ سِنِينَ وَمَاتَ عَنْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَلَمْ يَتَزَوَّجْ بِكَرًا غَيْرَهَا وَكَانَتْ فَقِيهَةً عَالِمَةً فَصِيحَةً كَثِيرَةً الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَارِفَةً بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا رَوَى عَنْهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَهِيَ ابْنَةُ سِتٍّ وَسِتِّينَ سَنَةً وَكَانَتْ تُكْنَى أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بِابْنِ أُخْتِهَا

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمَا وَلَدَتْ قَطُّ . وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَدْ أَسْلَمَتْ وَهَاجَرَتْ وَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ حُنَيْنِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ هَاجَرَتْ مَعَهُ وَمَاتَ عَنْهَا بَعْدَ عَزْوَةِ بَذْرِ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً وَاحِدَةً ثُمَّ رَاجَعَهَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ رَاجِعَ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ رَوَى عَنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَاتَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ وَهِيَ ابْنَةُ سِتِّينَ سَنَةً .

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَاسْمُهَا هِنْدٌ فَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ وَكَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَهِيَ أَوَّلُ ظَلِيعَةٍ دَخَلَتْ الْمَدِينَةَ مَعَ هَاجِرَةٍ وَمَاتَ أَبُو سَلَمَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ فَخَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَبَتْ وَخَطَبَهَا عُمَرُ فَأَبَتْ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ مَرْحَبًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَتْ لِابْنِهَا زَوْجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَوَّجَهُ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَمَاتَتْ عَنْ أَرْبَعٍ وَلَمَّا نِينَ سَنَةَ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ .

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَاسْمُهَا رَمْلَةٌ فَكَانَتْ تَحْتَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَهَاجَرَ بِهَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْثَانِيَةَ ثُمَّ تَنَصَّرَ وَازْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَمَاتَ هُنَاكَ وَتَبَتَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمَرِيُّ إِلَى النَّجَاشِيِّ لِيُخَاطِبَهَا عَلَيْهِ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ أَرْبَعًا دِينَارٍ وَبَعَثَهَا إِلَيْهِ وَقَدْ أَمَرَ النَّجَاشِيُّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ هُنَاكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَحَضَرُوا فَخَطَبَ النَّجَاشِيُّ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ الْمُؤْمِنِ الْمُهَيِّمِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوَّجْتُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ فَبَارَكَ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَفَعَ الدَّانِيَّ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَقَبَضَهَا ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَقْرَأُوا فَقَالَ اجْلِسُوا فَإِنَّ سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا تَزَوَّجُوا أَنْ يُؤْكَلَ طَعَامٌ عَلَى التَّزْوِيجِ فَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَكَلُوا ثُمَّ تَفَرَّقُوا وَمَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ .

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأُمُّهَا أُمَيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوَّجَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ مَدَّةً ثُمَّ

طَلَّقَهَا فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا مِنْهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَبِّهِ أَذْهَبَ فَأَذْكُرُنِي لَهَا قَالَ فَذَهَبَتْ
إِلَيْهَا فَجَعَلَتْ ظَهْرِي إِلَى النَّبِ فَنُفِثْتُ يَا رَبِّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُكِ
فَقَالَتْ مَا كُنْتُ لِأُحْدِثَ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِ لَهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿فَلَمَّا قَضَى رَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَكَانَتْ تَفْتَحُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ زَوَّجَكُنْ أَبَاؤُكُنْ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ وَكَانَ
تَزْوِجُهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةً خَمْسٍ مِنَ الْهِجْرَةِ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ فِي شَأْنِهَا وَلَمْ تَكُنْ
امْرَأَةً خَيْرًا مِنْهَا فِي الدِّينِ وَأَتَقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّجِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً وَأَشَدَّ
ابْتِدَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَتَصَدَّقُ بِهِ وَيَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ زَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ
مِنْ أَزْوَاجِهِ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ سَنَةً عِشْرِينَ وَلَهَا ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً
وَصَلَّى عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ حُزَيْمَةَ الْهَلَالِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَدْ كَانَتْ تَخْتُ عِنْدَ اللَّهِ
ابْنِ جَحْشٍ قُتِلَ عَنْهَا يَوْمَ أُحُدٍ فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةً ثَلَاثٍ وَلَمْ
تَلْبَثْ عِنْدَهُ إِلَّا شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَتُوفِّيَتْ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ وَهِيَ
أَخْتُ مَيْمُونَةَ لِأُمِّهَا، وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَدْ
كَانَتْ قَبْلَ عِنْدِ أَبِي رَهْمٍ بِنِ عَبْدِ الْعُزَّى تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَانَ
مُعْتَمِرًا سَنَةً سَبْعٍ بَعْدَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ جَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَى الْعَبَّاسِ فَأَلْكَحَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَهُوَ مُحَرَّمٌ فَلَمَّا رَجَعَ بَنَى بِهَا بِسَرَفٍ حَلَالًا وَسَرَفَ اسْمُ مَكَانٍ عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ
مَكَّةَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَيُقَالُ أَنَّهَا وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ أَنَّ خُطْبَتَهُ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ انْتَهَتْ إِلَيْهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرِهَا فَقَالَتْ الْبَعِيرُ وَمَنْ عَلَيْهِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ
وَتُوفِّيَتْ بِسَرَفٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي بَنَى بِهَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةً إِحْدَى
وَخَمْسِينَ وَصَلَّى عَلَيْهَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَدَخَلَ قَبْرَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ جُؤَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَكَانَتْ تَخْتُ مُسَافِعَ بْنَ صَفْوَانَ
الْمُضَلِيقِيَّ وَكَانَتْ قَدْ وَقَعَتْ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ الْأَنْصَارِيِّ فِي غَزْوَةِ الْمُرَيْسِيعِ وَهِيَ
غَزْوَةُ أَبِي الْمُضْطَلِقِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَقِيلَ سِتٌ فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا جُؤَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ وَكَانَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا
يَخْفَى عَلَيْكَ وَوَقَعْتُ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ وَإِنِّي كَاتَبْتُ نَفْسِي فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ

فِي كِتَابَتِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَلْ لَكَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ قَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أُوْدِي عَنْكَ كِتَابَتُكَ وَأَتَزَوَّجُكَ قَالَتْ قَدْ فَعَلْتُ فَتَسَامَعْ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ فَأَرْسَلُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ فَأَعْتَقُوهُمْ وَقَالُوا أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً أَعْظَمَ بَرَكََةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا أُغِيقَ فِي سَبَبِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُضْطَلِقِ وَكَانَتْ ابْنَةُ عَشْرِينَ سَنَةً وَتَوَفِّيَتْ وَغُمَرُهَا خَمْسٌ وَبِشْتُونَ سَنَةً سَنَةً خَمْسٌ وَخَمْسِينَ.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَهِيَ مِنْ سِبْطِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ تَحْتَ كِنَانَةَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ قُتِلَ يَوْمَ خَيْبَرَ قَالَ أَنَسٌ لَمَّا افْتَتَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ وَجَمَعَ السَّبْيَ جَاءَهُ دِخْيَةٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي جَارِيَةً فَقَالَ أَذْهَبَ فَخُذْ جَارِيَةً فَاخْذْ صَفِيَّةَ بِنْتُ حُيَيٍّ فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطَيْتِ دِخْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتُ حُيَيٍّ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ مَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ قَالَ اذْعُوهُ بِهَا فَجَاءَ بِهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَزْتَهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَأَصْبَحَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَرُوسًا فَقَالَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ وَبَسَطَ نَظْعًا فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِئُ بِالْأَقِطِ وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِئُ بِالنَّمْرِ وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِئُ بِالسَّمْنِ فَحَاسُوا حَيْسًا فَكَانَتْ وَلِيَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَاتَتْ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسِينَ فِي زَمَنٍ مُعَاوِيَةَ وَدُفِنَتْ بِالبَقِيعِ فَهَؤُلَاءِ أَزْوَاجُهُ اللَّائِي دَخَلَ بِهِنَّ لَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ أَهْلِ السِّيَرِ وَالْعِلْمِ بِالْأَثَرِ.

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ نِسْوَةً غَيْرَ مَنْ ذُكِرَ وَجُمِلَتْهُنَّ اثْنَتَا عَشْرَةَ امْرَأَةً الْأُولَى أُمُّ شُرَيْكٍ الْوَاهِبَةُ نَفْسَهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا فَلَمْ تَتَزَوَّجْ حَتَّى مَاتَتْ وَقَالَ عَزْرَةُ بِنْتُ الزُّبَيْرِ كَانَتْ حَوْلَةَ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنَ اللَّائِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. الثَّانِيَةُ حَوْلَةُ بِنْتُ الْهَذِيلِ بِنْتُ هُبَيْرَةَ تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ. الثَّلَاثَةُ عَمْرَةُ بِنْتُ يَزِيدَ الْكِلَابِيَّةُ طَلَّقَهَا وَأَمَرَ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَمَتَّعَهَا ثَلَاثَةَ أَثْوَابٍ. الرَّابِعَةُ أَسْمَاءُ بِنْتُ النُّعْمَانِ الْكِنْدِيِّ تَزَوَّجَهَا فَلَمَّا دَعَاهَا قَالَتْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ فَقَالَ غَذَتْ بِمَعَادٍ ثُمَّ سَرَّحَهَا إِلَى أَهْلِهَا وَكَانَتْ تُسَمَّى نَفْسَهَا الشَّقِيَّةَ.

الْخَامِسَةُ مَلِيكَةُ بِنْتُ كَعْبٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يُنَكِّرُ تَزْوِيجَهَا. السَّادِسَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الضُّحَاكِ تَزَوَّجَهَا ثُمَّ فَارَقَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقِيلَ إِنَّ أَبَاهَا قَالَ إِنَّهَا لَمْ تُصْدَقْ قَطُّ فَقَالَ عَلَيْهِ

الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ لَا حَاجَةَ لِي بِهَا. السَّابِعَةُ عَالِيَةُ بِنْتُ ظَنِيَّانَ بْنِ عَمْرٍو تَزَوَّجَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَانَتْ عِنْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ طَلَّقَهَا. الثَّامِنَةُ قُتَيْلَةُ بِنْتُ قَيْسِ أَخْتِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ زَوْجُهُ إِثْبَاهَا أَخُوهَا فِي سَنَةِ عَشْرِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ فَحَمَلَهَا فَقُبِضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ قُدُومِهَا عَلَيْهِ. الثَّاسِعَةُ سَنَا بِنْتُ أَسْمَاءَ بِنِ الصَّلْتِ السَّلْمِيَّةِ تَزَوَّجَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا وَعِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا.

الْعَاشِرَةُ شَرَّافُ بِنْتُ خَلِيفَةَ أَخْتُ دُخَيْةَ الْكَلْبِيِّ تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَاتَتْ قَبْلَ دُخُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهَا. الْحَادِيَةُ عَشْرٌ لَيْلَى بِنْتُ الْحَطِيمِ أَخْتُ قَيْسِ تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ غَيُورًا فَاسْتَقَالَتْهُ فَأَقَالَهَا فَأَكَلَهَا الذُّبُّ. الثَّانِيَةُ عَشْرٌ امْرَأَةٌ مِنْ غِفَارٍ تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهَا فَتَزَوَّجَتْ نِيَابَهَا فَرَأَى بِكَشْحِهَا بَيَاضًا فَقَالَ الْحَقِي بِأَهْلِكَ وَلَمْ يَأْخُذْ بِمَا آتَاهَا شَيْئًا فَهَوَّلَاءُ جُمْلَةٌ مَن ذَكَرَ مِنْ أَزْوَاجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَفَرَقَهُنَّ فِي حَيَاتِهِ بَعْضُهُنَّ قَبْلَ الدُّخُولِ وَبَعْضُهُنَّ بَعْدَهُ.

وَرَوَيْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ عِدَّةَ نِسْوَةِ الْأَوَّلَى مِنْهُنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ خَطَبَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِيهَا فَقَالَ إِنَّ بِهَا بَرَصًا وَهُوَ كَاذِبٌ فَرَجَعَ فَوَجَدَ الْبَرَصَ بِهَا. الثَّانِيَةُ امْرَأَةٌ قُرَشِيَّةٌ يُقَالُ لَهَا سَوْدَةُ خَطَبَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ مُضْطِئَةً فَقَالَتْ أَخَافُ أَنْ يَضُجُّوا أَيْ يَضُجُّوا عِنْدَ رَأْسِكَ فَدَعَا لَهَا وَتَرَكَهَا. الثَّلَاثَةُ صَفِيَّةُ بِنْتُ بَشَامَةَ وَكَانَ أَصَابَهَا فِي سَبِيٍّ فَخَيَّرَهَا بَيْنَ نَفْسِهَا الْكَرِيمَةِ وَبَيْنَ زَوْجِهَا فَاخْتَارَتْ زَوْجَهَا. الرَّابِعَةُ وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَهَا خَطَبَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ أَسْتَأْمِرُ أَبِي فَلَقِيَتْ أَبَاهَا فَأَذِنَ لَهَا فَعَادَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ التَّحَفُّنَا لِحَافًا غَيْرِكِ.

الْخَامِسَةُ أُمُّ هَانِيءٍ فَاخْتَتَمَتْ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ أَخْتُ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خَطَبَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي مُضْطِئَةٌ وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ فَعَدَّرَهَا. السَّادِسَةُ ضُبَاعَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ قُرْطٍ خَطَبَهَا إِلَى ابْنِهَا سَلَمَةَ بْنِ هَاشِمٍ فَقَالَ حَتَّى أَسْتَأْمِرَهَا فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهَا قَدْ كَبُرَتْ فَلَمَّا عَادَ ابْنُهَا وَقَدْ أَذِنَتْ لَهُ سَكَتَ عَنْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَنْكِحْهَا. السَّابِعَةُ أُمَامَةُ بِنْتُ حَمْرَةَ بِنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عُرِضَتْ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هِيَ ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرُّضَاعَةِ.

الثَّامِنَةُ عَزَّةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ عَرَضَتْهَا أَخْتُهَا أُمُّ حَبِيبَةَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي لِمَكَانِ أَخْتُهَا. وَقِيلَ تَزَوَّجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ امْرَأَةً مِنْ جُنْدُغٍ وَهِيَ بِنْتُ

جُنْدُبِ بْنِ ضَمْرَةَ وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا وَأَنْكَرَهُ بَعْضُ الرُّوَاةِ فَهَؤُلَاءِ النُّسُوءُ الَّتِي دُكِرَ أَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهُنَّ أَوْ خَطَبَهُنَّ أَوْ دَخَلَ بِهِنَّ أَوْ لَمْ يَدْخُلْ بِهِنَّ أَوْ عَرَّضَ عَلَيْهِ، وَأَمَّا سَرَارِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ إِنَّهُنَّ أَرْبَعَةٌ: مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّةُ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَاهَا لَهُ الْمُقَوْقُسُ صَاحِبُ الإسْكَندَرِيَّةِ وَمَاتَتْ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي سَنَةِ سِتٍّ عَشْرَةَ وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ. وَرَيْحَانَةُ الْقُرَظِيَّةُ وَمَاتَتْ قَبْلَ وَقَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَنَةَ عَشْرٍ وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ. وَأُخْرَى وَهَبَتْهَا لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ. وَالرَّابِعَةُ أَصَابَهَا فِي بَعْضِ السَّنِي.

الفصل الرابع

فِي أَغْمَامِهِ وَعَمَّاتِهِ وَإِخْوَتِهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَجَدَّاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ صَاحِبُ دَخَائِرِ الْعُقَبَى فِي مَنَاقِبِ ذَوِي الْقُرْبَى وَكَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثْنَا عَشَرَ عَمًّا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ ثَلَاثَ عَشْرِهِمُ الْحَارِثُ، وَأَبُو طَالِبٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ، وَالزُّنَيْرُ وَيُكْنَى أَبَا الْحَارِثِ، وَحَمْزَةُ، وَأَبُو لَهَبٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ الْعُزَّى، وَالْعَيْدَادِيُّ، وَالْمَقُومُ، وَضِرَارُ. وَالْعَبَّاسُ، وَقُثْمٌ، وَعَبْدُ الْكَعْبَةِ، وَحَجَلٌ وَيُسَمَّى الْمُغِيرَةَ.

أَمَّا حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيُكْنَى أَبَا عُمَارَةَ وَأَبَا يَغْلَى فَكَانَ إِسْلَامُهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمَبْعَثِ وَقِيلَ فِي السَّادِسَةِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَمْزَةُ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَيْرُ أَغْمَامِي حَمْزَةُ وَأَوَّلُ رَايَةٍ عَقَدَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ لِحَمْزَةَ وَأَوَّلُ سَرِيَّةٍ بَعَثَهَا كَانَتْ لَهُ وَشَهِدَ بَذْرًا وَاسْتَشْهَدَ فِي وَقْعَةٍ أُحِدَ قَتَلَهُ وَخَشِيَ وَلَمَّا رَأَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتِيلًا بَكَى فَلَمَّا رَأَى مَا مِثْلَ بِهِ شَهِقَ وَقَالَ لَنْ أَصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا مَا وَقَفْتُ مَوْفِقًا قَطُّ أَغِيظُ لِي مِنْ هَذَا وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ مَا رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاكِيًا قَطُّ أَشَدَّ مِنْ بُكَائِهِ عَلَى حَمْزَةَ وَضَعَهُ فِي الْقَبِيلَةِ ثُمَّ وَقَفَ عَلَى جَنَازَتِهِ وَانْتَحَبَ حَتَّى نَشَعَ مِنَ الْبُكَاءِ يَقُولُ يَا حَمْزَةُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ وَأَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدَ رَسُولِهِ يَا حَمْزَةُ يَا فَاعِلَ الْخَيْرَاتِ يَا حَمْزَةُ يَا كَاشِفَ الْكُرْبَاتِ يَا حَمْزَةُ يَا ذَابًا عَنَّا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ. وَالتَّشْعُ الشَّهِيقُ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى عَلَى جَنَازَةِ كَبَّرَ أَرْبَعًا وَكَبَّرَ عَلَى حَمْزَةَ سَبْعِينَ تَكْبِيرَةً رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ. وَكَانَ مِنْ حَمْزَةَ يَوْمَ قُتِلَ تِسْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَدُفِنَ هُوَ وَابْنُ أُخْتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ فِي قَبْرِ

وَاحِدٍ . وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ كَانَ يَقُولُ كُنْتُ أَعْجَبُ لِقَائِلِ حَمْزَةَ كَيْفَ يَتَجَوَّحُ حَتَّى أَنَّهُ مَاتَ غَرِيقًا فِي الْخَمْرِ وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ بَلَغَنِي أَنَّ وَخْشِيًّا لَمْ يَزَلْ يُحَدِّثُ فِي الْخَمْرِ حَتَّى خُلِعَ مِنْ الدِّيَوَانِ فَكَانَ عَمْرٌ يَقُولُ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ قَاتِلَ حَمْزَةَ .

وَأَمَّا الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْفَضْلِ فَقَدْ كَانَ أَسَنُّ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسِتَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ وَكَانَ رَئِيسًا فِي فُرَيْشٍ وَإِلَيْهِ عِمَارَةُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَسْلَمَ قَبْلَ فَتْحِ خَيْبَرَ وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ وَأَظْهَرَهُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْرِمُهُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ وَيُعْظِمُهُ وَقَالَ الْعَبَّاسُ عَمِّي وَصِنُو أَبِي مَنْ آذَاهُ أَذَابِي وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَا عَمَّ لَا تَرَمْ مَنَزِلَكَ أَتَنْتَ وَتَبُوكَ غَدًا حَتَّى آتَيْكُمْ فَإِنِّي لِي فِيكُمْ حَاجَةٌ فَلَمَّا أَتَاهُمْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِمْ بِمَلَأَةٍ ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ هَذَا عَمِّي وَصِنُو أَبِي وَهَؤُلَاءِ أَهْلِي بَنِي قَاسِطَرْتُمْ مِنَ النَّارِ كَسْتَرِي إِيَّاهُمْ بِمَلَأَةٍ هَلْهِيَ فَأَمَنْتُ أَسْكُفُهُ الْبَابَ وَخَوَائِطَ النَّيْتِ فَقَالَتْ آمِينَ آمِينَ آمِينَ رَوَاهُ ابْنُ غِيْلَانَ وَغَيْرُهُ .

وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِلَفْظٍ فَأَلْبَسْنَا كِسَاءً ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا اللَّهُمَّ اخْفِظْهُ فِي وَلَدِهِ . وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ . وَتَكَرَّرَ دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ وَلِبَنِيهِ وَمُحِبِّبِهِ وَتُوفِّي فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَذُفِنَ بِالْبَقِيعِ وَكَانَ أَصْغَرَ أَعْمَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْهُمْ إِلَّا هُوَ وَحَمْزَةُ وَأَسْنُهُمُ الْحَارِثُ .

وَأَمَّا عَمَّائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنَاتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَمُجْمَلَتُهُنَّ سِتُّ عَاتِكَةٌ ، وَأُمِّيَّةٌ ، وَالْبَيْضَاءُ وَهِيَ أُمُّ حَكِيمٍ ، وَبَرَّةٌ ، وَصَفِيَّةٌ ، وَأَزْوَى ، فَأَمَّا صَفِيَّةُ أُمُّ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَدْ أَسْلَمَتْ بِإِثْفَاقٍ وَشَهِدَتْ الْخَنْدَقَ وَقَتَلَتْ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ وَضَرَبَتْ لَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسَهْمٍ وَتُوفِّيَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي خِلَافَةِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَلَهَا ثَلَاثُ وَسَبْعُونَ سَنَةً وَذُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ .

وَأَمَّا عَاتِكَةُ وَأَزْوَى فَقَدْ اخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِيهِمَا . وَأَمَّا جَدَّائِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَبِيهِ : فَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو الْمُخْزُومِيَّةُ ، وَأُمُّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَلَمَى بِنْتُ عَمْرِو النَّجَّارِيَّةُ ، وَأُمُّ هَاشِمٍ عَاتِكَةُ بِنْتُ مُرَّةَ السُّلَيْمِيَّةُ ، وَأُمُّ عَبْدِ مَنَافٍ عَاتِكَةُ بِنْتُ قَالِجٍ السُّلَيْمِيَّةُ أَيْضًا ، وَأُمُّ قُصَيٍّ فَاطِمَةُ بِنْتُ سَعْدِ الْأَزْدِيَّةُ ، وَأُمُّ كِلَابٍ نَعْمَ بِنْتُ سُرَيْرِ الْكِتَابِيَّةُ ، وَأُمُّ مُرَّةَ

وَحَشِيَّةُ بِنْتُ شَيْبَانَ الْفَهْمِيَّةُ، وَأُمُّ كَعْبٍ سَلَمَى بِنْتُ مُحَارِبٍ الْفَهْمِيَّةُ أَيْضًا، وَأُمُّ لُؤْيٍ وَحَشِيَّةُ بِنْتُ مُذَلِّجِ الْكِنَانِيَّةُ، وَأُمُّ غَالِبٍ سَلَمَى بِنْتُ سَعْدِ الْهَذَلِيَّةُ، وَأُمُّ فِهْرِ جَنْدَلَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ الْجَرْهَمِيَّةُ، وَأُمُّ مَالِكٍ هِنْدُ بِنْتُ عَدَوَانَ الْقَيْسِيَّةُ، وَأُمُّ النَّضْرِ بَرَّةُ بِنْتُ مَرَّةَ الْمُرَيَّْةُ، وَأُمَّا جَدَّائُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أُمِّهِ أَمْنَةَ بِنْتُ وَهَبٍ الزُّهْرِيَّةُ: فَأُمُّ أَمْنَةَ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعَزَى، وَأُمُّ أَبِيهَا وَهَبٌ عَائِكَةُ بِنْتُ الْأَوْقَصِ السُّلَيْمِيَّةُ وَيَعْرِفُ أَبُوهَا بِأَبِي كَبْشَةَ وَهُوَ الَّذِي كَانُوا يَعْثُونَهُ بِقَوْلِهِمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْبُدُ الشَّعْرَى وَلَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ تَعْبُدُهَا وَقِيلَ ذَلِكَ أَبُوهُ مِنَ الرِّضَاعِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى زَوْجُ حَلِيمَةَ، وَأُمُّ بَرَّةَ وَالِدَةُ أَمْنَةَ هِيَ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَسَدٍ وَأُمُّهَا بَرَّةُ بِنْتُ عَوْفٍ وَالثَّلَاثَةُ قُرَشِيَّاتٌ، وَأُمُّ بَرَّةَ هَذِهِ قِلَابَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَذَلِيَّةُ، وَأُمُّهَا هِنْدُ بِنْتُ يَرْبُوعِ الثَّقَفِيَّةِ فَفِي كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَقْلَةٌ نَسَبَ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَغَيْرُهُ فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَفَ وَلَدِ آدَمَ حَسَبًا وَأَفْضَلُهُمْ نَسَبًا مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ.

وَأُمَّا إِخْوَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَحَمْرَةُ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ أَرْضَعَتْهُمَا مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبَةُ جَارِيَّةُ أَبِي لَهَبٍ بِلَبَنٍ ابْنِهَا مَسْرُوحُ بْنُ ثَوْبَةَ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَرْضَعَتْهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلِيمَةَ السُّعْدِيَّةُ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَآسِيَّةُ، وَحُدَافَةُ وَتُعْرِفُ بِالشَّيْمَاءِ، الثَّلَاثَةُ أَوْلَادُ حَلِيمَةَ وَقَدْ رَوَى أَنَّ خَيْلًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَغَارَتْ عَلَى هَوَازِنَ فَأَخَذُوها فِي جُمْلَةِ السَّبْيِ فَقَالَتْ أَنَا أُخْتُ صَاحِبِكُمْ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَهُ يَا مُحَمَّدُ أَنَا أُخْتُكَ فَرَحَّبَ بِهَا وَيَسَّطَ لَهَا رِدَاءَهُ وَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّ أُخْبِتِ فَأَقِيمِي عِنْدِي مُكْرَمَةً مُحَبَّبَةً وَإِنْ أُخْبِتِ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكَ وَصَلْتُكَ قَالَتْ بَلْ أَرْجِعْ إِلَى قَوْمِي فَأَسَلَمْتُ وَأَعْطَاهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَعْبُدَ وَجَارِيَّةً وَتَعْمًا وَشَاءَ، وَأُمَّا أُمُّهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَحَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي دُؤَيْبٍ مِنْ هَوَازِنَ وَهِيَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ حَتَّى أَكْمَلَتْ رِضَاعَهُ وَجَاءَتْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَامَ إِلَيْهَا وَيَسَّطَ رِدَاءَهُ لَهَا فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ وَكَذَا ثَوْبَةُ جَارِيَّةُ أَبِي لَهَبٍ أَيْضًا وَاخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِهَا كَمَا اخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِ حَلِيمَةَ وَزَوْجَهَا وَكَانَتْ ثَوْبَةُ تَدْخُلُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ تَزُوجَ خَدِيجَةَ فَكَانَتْ تُكْرِمُهَا وَأَعْتَقَهَا أَبُو لَهَبٍ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَبْعَثُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَدِينَةِ بِكِسْوَةٍ وَصِلَةٍ حَتَّى مَاتَتْ بَعْدَ فَتْحِ حَيْبَرَ.

وَكَانَتْ حَاضِرَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أُمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةَ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ أُمُّ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ مَوْلَاةُ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاجَرَتِ الْهَجْرَتَيْنِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَإِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ لِأَبِيهِ وَقِيلَ لِأُمِّهِ قَوْرَتُهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي وَكَانَتْ الشَّيْمَاءُ بِنْتُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ تَحْضُنُهُ مَعَ أُمِّهَا.

الفصل الخامس

فِي خَدَمِهِ وَحَرَسِهِ وَمَوَالِيهِ وَمَنْ كَانَ عَلَى نَفَقَاتِهِ وَخَاتِمِهِ وَنَعْلِهِ وَسِوَاكِهِ وَمَنْ

يَأْذُنُ عَلَيْهِ وَمَنْ كَانَ يَضْرِبُ الْأَعْتَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَمَّا خَدَمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ، وَرَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ، وَأَيْمَنُ بْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ الْهَذَلِيُّ، وَأَسْلَعُ بْنُ شَرِيكٍ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجَهَنِيُّ، وَسَعْدُ بْنُ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، وَأَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ، وَمُهَاجِرُ بْنُ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَحُثَيْنُ بْنُ الْإِدِّ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْعَبَّاسِ، وَتُعَيْمُ بْنُ رَبِيعَةَ الْأَسْلَمِيِّ، وَأَبُو الْحَمْرَاءِ هِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَبُو السَّمْحِ وَأَسْمُهُ إِيَادُ، وَمِنْ النِّسَاءِ بَرَكَةُ أُمُّ أَيْمَنَ الْحَبَشِيَّةُ وَهِيَ وَالِدَةُ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَخَوْلَةُ جَدَّةُ حَفْصِ، وَسَلَمَى أُمُّ رَافِعِ زَوْجِ أَبِي رَافِعٍ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ سَعْدٍ، وَأُمُّ عِيَّاشٍ مَوْلَاةُ رُقَيْيَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ يَضْرِبُ الْأَعْتَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَالضُّحَّاكُ بْنُ سَفْيَانَ وَكَانَ قَيْنَسُ بْنُ سَعْدٍ بِنِ عِبَادَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ وَكَانَ يَلَالُ عَلَى نَفَقَاتِهِ، وَمُعَيَّقِبُ بْنُ أَبِي فَاطِمَةَ الدَّوْسِيِّ عَلَى خَاتِمِهِ، وَابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى سِوَاكِهِ وَنَعْلِهِ، وَأَبُو رَافِعٍ وَأَسْمُهُ أَسْلَمُ عَلَى ثَقْلِهِ، وَأَمَّا حُرَّاسُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَبِلَالٌ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَعَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ، وَحَرَسُهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ فِي الْعَرِيشِ يَوْمَ بَدْرٍ.

وَأَمَّا مَوَالِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْهُمْ: أَسَامَةُ، وَأَبُوهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُؤْبَانُ، وَأَبُو كَبْشَةَ أَوْسٌ، وَشُقْرَانُ وَأَسْمُهُ صَالِحُ الْحَبَشِيِّ، وَرَبَّاحُ الْأَسْوَدِ الثُّوبِيِّ وَكَانَ يَأْذُنُ عَلَيْهِ أَخِيَانَا إِذَا انْفَرَدَ، وَيَسَارُ الرَّاعِي، وَزَيْدُ أَبُو يَسَارٍ، وَمِدْعَمُ عَبْدِ أَسْوَدٍ، وَأَبُو رَافِعٍ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدِ الْجُدَامِيِّ، وَسَفِيئَةُ، وَمَأْبُورُ الْقِنْطِطِيِّ، وَوَاقِدٌ، وَأَبُو وَاقِدٍ، وَأَنْجَشَةُ الْحَادِي، وَسَلَمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَشَمْعُونُ بْنُ زَيْدِ أَبُو رَيْحَانَةَ، وَأَبُو بَكْرَةَ تُفَيْعُ بْنُ

الْحَارِثُ، وَمِنْ النِّسَاءِ: أُمُّ أَيْمَنَ الْحَبَشِيَّةُ وَسَلَمَى أُمُّ زَافِعٍ زَوْجُ أَبِي زَافِعٍ، وَمَارِيَّةُ، وَرَيْحَانَةُ وَمَقْبَصَرُ أُخْتُ مَارِيَّةَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ مَوَالِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ وَإِمَاؤُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

الفصل السادس

فِي أَمْرَائِهِ وَرُسُلِهِ وَكُتَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ

أَمَّا كُتَابُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَابْنَاهُ أَبَانُ وَخَالِدُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَامِرُ بْنُ قُهَيْرَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَرْقَمِ، وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَأَبُو سُفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَابْنَاهُ مُعَاوِيَةُ، وَيَزِيدُ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، وَالْعَلَاءُ بْنُ الْحَضَرَمِيِّ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَمُعَقِّبُ بْنُ أَبِي قَاطِمَةَ الدَّوْسِيِّ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَحُوَيْطُبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى الْعَامِرِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَكَانَ مُعَاوِيَةُ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ أَلَزَمَهُمْ بِذَلِكَ وَأَخْصَهُمْ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحَذِيثَةِ كَتَبَ إِلَى الرُّومِ فَقِيلَ إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنَقَشَ فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَسْطَرٍ: مُحَمَّدٌ سَطَرَ وَرَسُولُ سَطَرَ وَاللَّهُ سَطَرَ وَخَتَمَ بِهِ الْكِتَابَ وَكَتَبَ إِلَى هِرَقْلَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلِمَ يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَرْسَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِتَابَ إِلَى هِرَقْلَ مَعَ دِيخِيَّةِ الْكَلْبِيِّ فَلَمَّا قُرِئَ غَضِبَ ابْنُ أُخْيَ قَبِصَرَ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ أَرْنِي الْكِتَابَ فَقَالَ وَمَا تَضَعُ بِهِ فَقَالَ إِنَّهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ وَسَمَّاكَ الرُّومَ فَقَالَ لَهُ عُمَةُ وَاللَّهِ إِنَّكَ لَضَعِيفُ الرَّأْيِ تَرِيدُ أَنْ أَرْمِيَ كِتَابَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ الثَّامُوسُ الْأَكْبَرُ لَيْتَنِي كَانَ رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَأَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ وَقَدْ صَدَقَ أَنَا صَاحِبُ

الرُّومَ ثُمَّ أَمَرَ بِإِنْزَالِ دِخْيَةٍ وَإِكْرَامِهِ، وَقَوْلُهُ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ أَيُّ فَإِنَّ عَلَيْكَ مَعَ إِثْمِكَ إِثْمَ الْأَتْبَاعِ وَالْأَرِيسِيِّ الْفَلَاخِ.

وَقَدْ كَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَدْعُوكَ بِدُعَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ لِأَنْلِزَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ أَسْلِمَ تَسْلَمَ فَإِن تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوسِ» وَبَعَثَ الْكِتَابَ إِلَى كِسْرَى مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ فَلَمَّا قَرِئَ عَلَيْهِ مَرْقَاهُ قَبْلَعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مُزُقْ مُلْكُهُ. وَفِي كِتَابِ الْأَمْوَالِ لِأَبِي عُبَيْدٍ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى وَقَيَّصَرُ فَأَمَّا كِسْرَى فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ مَرْقَاهُ وَأَمَّا قَيَّصَرُ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ طَوَاهُ ثُمَّ رَعَاهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَمِزُّوْنَ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَسَيَكُونُ لَهُمْ بَقِيَّةٌ وَرَوِي أَنَّهُ لَمَّا جَاءَهُ جَوَابُ كِسْرَى قَالَ مُزُقْ مُلْكُهُ وَلَمَّا جَاءَهُ جَوَابُ هِرَقْلَ قَالَ ثَبَتْ مُلْكُهُ.

وَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّجَاشِيِّ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَثُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ فَحَمَلَتْ بِعِيسَى فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْمَوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُودَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرًا وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى» وَبَعَثَ الْكِتَابَ مَعَ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمَرِيِّ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّهُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ وَإِنْ بِشَارَةَ مُوسَى بِرَاكِبِ الْحِمَارِ كِبْشَارَةَ عِيسَى بِرَاكِبِ الْجَمَلِ ثُمَّ كَتَبَ النَّجَاشِيُّ جَوَابَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَّغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى قَوْرَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ عِيسَى لَا يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ تُفْرُو قَا إِنَّهُ كَمَا ذَكَرْتَ وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بَعَثْتَ بِهِ إِلَيْنَا فَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مُصَدِّقًا

وَقَدْ بَايَعْتُكَ وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمِّكَ وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِابْنِي وَإِنْ شِئْتَ أَتَيْتُكَ بِنَفْسِي فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَا تَقُولُهُ حَقٌّ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» .

ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي سِتْنَيْنِ نَفْسًا فِي أَثَرِ مَنْ أَرْسَلَهُ مِنْ عِنْدِهِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَعَرَقَ ابْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ وَوَأَفَى جَعْفَرٌ وَأَصْحَابَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ مِنْهُمْ اثْنَانِ وَسِتُّونَ مِنَ الْحَبَشَةِ وَتَمَانِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْآنًا سُورَةَ يَاسٍ إِلَى آخِرِهَا فَبَكَوْا حِينَ سَمِعُوا الْقُرْآنَ وَآمَنُوا وَقَالُوا مَا أَشَبَّهُ هَذَا بِمَا كَانَ يُنْزَلُ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَتَجِدُنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة: ٨٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَصْحَابِ الصُّوَامِعِ وَالتُّفُرُوقِ عِلَاقَةً مَا بَيْنَ الثَّوَابَةِ وَالْقُمْعِ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى الْمُقَوْسِ مَلِكِ مِصْرٍ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الْمُقَوْسِ عَظِيمِ الْقَبِيطِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَذْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِنَّهُمُ الْقَبِيطُ وَبَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» وَبَعَثَ بِهِ مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ فَأَخَذَ كِتَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَهُ فِي حَقٍّ مِنْ عَاجٍ وَدَفَعَهُ لِجَارِيَةٍ لَهُ ثُمَّ دَعَا كَاتِبًا لَهُ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَكَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِمُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ مُقَوْسٍ عَظِيمِ الْقَبِيطِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَهُ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا بَقِيَ وَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ يَخْرُجُ بِالشَّامِ وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَكَ وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَارِيَتَيْنِ لَهُمَا مَكَانٌ مِنَ الْقَبِيطِ عَظِيمٍ وَبِكِسْوَةٍ وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بَغْلَةً لِتَرْكَبَهَا وَالسَّلَامُ» وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يُسَلِّمْ .

وَكَتَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَبَعَثَ بِهِ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضَرَمِيِّ فَكَتَبَ الْمُنْذِرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَمَّا بَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَكَ عَلَى أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ الْإِسْلَامَ وَأَعْجَبَهُ وَدَخَلَ فِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَهُ وَبَارِضِي يَهُودَ وَمَجُوسَ فَأَخْبِثْ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ أَمْرًا» فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي سَلَامٌ

عَلَيْكَ فَإِنِّي أَخْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَذْكُرُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحْ فَإِنَّمَا يَنْصَحْ لِنَفْسِهِ وَإِنَّهُ مَنْ يُطِيعْ رُسُلِي وَيَتَّبِعْ أَمْرَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ نَصَحَ لَهُمْ فَقَدْ نَصَحَ لِي وَإِنْ رُسُلِي قَدْ أَتَوْا عَلَيْكَ خَيْرًا وَإِنِّي قَدْ شَفَعْتُكَ فِي قَوْمِكَ فَأَتْرُكُ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ وَإِنَّكَ مَهْمَا تُصْلِحْ فَلَنْ نَعْزِلَكَ عَنْ عَمَلِكَ وَمَنْ أَقَامَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ مَجُوسِيَّتِهِ فَعَلَيْهِ الْجَزَاءُ».

وَكَتَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى مَلِكِي عُثْمَانَ بِالْيَمَنِ وَبَعَثَهُ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى جَيْفَرٍ وَعَبْدِ ابْنِي الْجَلَنْدِي سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمُوا تَسْلِمًا فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِأَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ وَإِنَّكُمْ إِنْ أَقْرَزْتُمَا بِالْإِسْلَامِ وَلَيْسَتْكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تُقْرَأَ بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّ مُلْكَكُمْ زَائِلٌ عَنْكُمْ وَخِيَلِي تَحُلُ بِسَاحَتِكُمَا وَتَظْهَرُ نُبُوتِي عَلَى مُلْكِكُمَا» وَكَتَبَ أَيُّ بَنٍ كَعْبٍ وَخَتَمَ الْكِتَابَ فَأَجَابَا إِلَى الْإِسْلَامِ قَالَ عَمْرُو وَخَلِيَا بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّدَاقَةِ وَبَيْنَ الْحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَكَانَا لِي عَوْنًا عَلَى مَنْ خَالَفَنِي.

وَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَاحِبِ الْيَمَامَةِ هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ وَأَرْسَلَ بِهِ مَعَ سَلِيطِ ابْنِ عَمْرِو الْعَامِرِيِّ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَاعْلَمْ أَنَّ دِينِي سَيَظْهَرُ إِلَى مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَاوِيرِ فَأَسْلِمَ تَسْلَمَ وَأَجْعَلَ لَكَ مَا تَحْتَ يَدِكَ» فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَلِيطٌ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْتُومًا أَنْزَلَهُ وَحْيَاهُ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَرَدَّ رَدًّا دُونَ رَدِّ وَكَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَأَجْمَلَهُ وَالْعَرَبُ تَهَابَ مَكَانِي فَأَجْعَلَ لِي بَعْضَ الْأَمْرِ أَتْبِعُكَ وَأَجَارَ سَلِيطًا بِجَائِزَةٍ وَكَسَاهُ أَلْوَابًا مِنْ نَسِجِ هَجَرَ فَقَدِمَ بِذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ وَقَرَأَ كِتَابَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ سَأَلَنِي سَيَابَةُ أَيْ قِطْعَةً مِنَ الْأَرْضِ مَا فَعَلْتُ بَادَ وَبَادَ مَا فِي يَدِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَتْحِ جَاءَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ هُوْدَةَ مَاتَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّ الْيَمَامَةَ سَيَظْهَرُ بِهَا كَذَابٌ يَتَّبِعُ يَقْتُلُ بَعْدِي فَكَانَ كَذَلِكَ.

وَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَرٍّ الْغَسَانِيِّ وَكَانَ بِدِمَشْقَ بِغُوطِيَّتِهَا «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَ وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يَبْقَى لَكَ

مُلْكُكَ» وَأَرْسَلَهُ مَعَ شُجَاعِ بْنِ وَهَبٍ فَلَمَّ يُسْلِمُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَادَ وَبَادَ مُلْكُكَ، وَقَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمِيمُ بْنُ أَوْسٍ الدَّارِيُّ فِي سِتَّةِ نَفَرٍ مِنَ الدَّارِيِّينَ فَاسْتَلَمُوا وَسَلَّوْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ فَأَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا وَكَتَبَ لَهُمْ فِيهَا كِتَابًا نُسَخَتْهُ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ ذَكَرَ فِيهِ مَا وَهَبَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلدَّارِيِّينَ إِذَا أَعْطَاهُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَهَبَ لَهُمْ بَيْنَ عَيْنُونِ وَحَبْرُونَ وَالْمَرْطُومَ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ فِيهِمْ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِ شَهِدَ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَشُرَيْمَةُ بْنُ قَيْسٍ وَشُرَيْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ وَكَتَبَ».

ثُمَّ قَالَ انصَرِفُوا حَتَّى تَسْمَعُوا أَنِّي قَدْ هَاجَرْتُ أَيْ رَجَعْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ لِأَنَّ قُدُومَهُمْ كَانَ عِنْدَ انصِرَافِهِ مِنْ تَبُوكَ فَلَمَّا رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَدِمُوا عَلَيْهِ فَسَأَلُوهُ أَنْ يُجَدِّدَ لَهُمْ كِتَابًا آخَرَ فَكَتَبَ كِتَابًا نُسَخَتْهُ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَنْطَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ لِتَمِيمِ الدَّارِيِّ وَأَصْحَابِهِ إِنِّي قَدْ أَنْطَيْتُهُمْ بَيْنَ عَيْنِ وَحَبْرُونَ وَالْمَرْطُومَ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبُرْمَيْهِمْ وَجَمِيعِ مَا فِيهِمْ نَظِيَةً بَتْ وَتَقُدَّتْ وَسَلَّمْتُ ذَلِكَ لَهُمْ وَلِأَعْقَابِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبَدًا الْأَبَدِ فَمَنْ آذَاهُمْ فِيهِ آذَاهُ اللَّهُ شَهِدَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانُ بْنُ عَمَّانَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَكَتَبَ» فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ وَجَدَّ الْجُنُودَ إِلَى الشَّامِ كَتَبَ لَهُمْ بِذَلِكَ كِتَابًا.

وَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُوحَا بْنِ رُوْبَةَ صَاحِبِ أَيْلَةَ لَمَّا أَتَاهُ بِتَبُوكَ وَصَالِحَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْطَاهُ الْجَزْيَةَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذِهِ أَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيُوحَا بْنِ رُوْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ أَسَاقِفَتِهِمْ وَسَائِرِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ النَّبِيِّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ فَمَنْ أَخَذَتْ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّهُ لَا يَجُلُ أَنْ يُنْشَعُوا مَاءَ يَرُدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يَرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ».

وَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ جَزْبَاءَ وَأَذْرَحَ لَمَّا أَتَوْهُ بِتَبُوكَ أَيْضًا وَأَعْطَوْهُ الْجَزْيَةَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِأَهْلِ جَزْبَاءَ وَأَذْرَحَ إِنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَأَمَانِ مُحَمَّدٍ وَإِنَّ عَلَيْهِمْ مِائَةَ دِينَارٍ فِي كُلِّ رَجَبٍ وَافِيَةً طَيِّبَةً وَاللَّهُ كَفِيلٌ عَلَيْهِمْ بِالنُّصْحِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ لَجَأَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَخَافَةِ»، وَعَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ضَمَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ لِجَدِّهِ «بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِأَبِي ضَمِيرَةَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْتَقَهُمْ وَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ إِنْ أَحَبُّوا أَقَامُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ أَحَبُّوا رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَلَا يُعْرَضُ لَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ وَمَنْ لَقِيَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا وَكَتَبَ أَبِي بَنْ كَعْبٍ «وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُتُبٌ غَيْرُ هَذِهِ فِي بَيَانِ الرُّكَاةِ وَالْأَحْكَامِ».

وَأَمَّا أَمْرَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَمِنْهُمْ بَادَاؤُنْ بَنْ سَامَانَ مِنْ وَلَدِ بَهْرَامِ أَمْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْيَمَنِ وَأَمْرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَنْعَاءَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ وَوَلِيُّ زِيَادُ بْنُ لَيْبِدِ الْأَنْصَارِيِّ حَضْرَمَوْتُ وَأَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ زَبِيدٌ وَعَدَنُ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلِ الْجَنْدِ بِالْيَمَنِ وَأَبَا سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ نَجْرَانَ وَابْنُهُ يَزِيدُ تَيْمَاءَ وَعَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ مَكَّةَ وَإِقَامَةُ الْمَوْسِمِ وَالْحَجِّ بِالْمُسْلِمِينَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْقَضَاءُ بِالْيَمَنِ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عُمَانَ وَأَعْمَالُهَا وَأَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقُ إِقَامَةُ الْحَجِّ سَنَةَ تِسْعٍ وَبَعَثَ فِي أَثَرِهِ عَلِيًّا فَقَرَأَ عَلَى النَّاسِ سُورَةَ بَرَاءةٍ وَقَدْ وَلَّى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الصَّدَقَاتِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً.

وَأَمَّا رُسُلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعَثَ سِنَةَ ثَمَانٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَنَةَ سَبْعٍ فَأَصْبَحَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ وَكَانَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ وَبَعَثَ دُخَيْبَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَيْصَرَ وَعَبْدَ اللَّهِ السُّهْمِيَّ إِلَى كِسْرَى وَحَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْسِ وَشُجَاعُ بْنُ وَهَبٍ إِلَى مَلِكِ الْبَلْقَاءِ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَمْرٍ الغَسَّانِيَّ وَسَلَيْطُ بْنُ عَمْرِو الْعَامِرِيِّ إِلَى هُوَذَةَ وَإِلَى ثُمَامَةَ بْنِ أَثَالِ الْحَتَفِيِّ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى جَنْفَرٍ وَعَبْدُ ابْنِ الْجُلَنْدِيِّ بِعُمَانَ وَالْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ وَالْمُهَاجِرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيِّ إِلَى الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ كَلَالٍ الْجَمِيمِيِّ بِالْيَمَنِ وَأَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ عِنْدَ انصِرَافِهِ مِنْ تَبُوكَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ إِلَى ذِي الْكَلَاعِ وَذِي عَمْرٍو وَعَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ إِلَى مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى فَرْوَةَ بْنِ عَمْرِو الْجَذَامِيِّ وَكَانَ عَامِلًا لِقَيْصَرَ فِي مَعَانَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ وَكَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِهِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ مَعَ مَسْعُودِ ابْنِ سَعْدٍ وَهِيَ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ يُقَالُ لَهَا فِضَّةٌ وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهَا الظَّرْبُ وَحِمَارٌ يُقَالُ لَهُ يَغْفُورُ وَبَعَثَ إِلَيْهِ أَثَوَابًا وَقَبَاءَ شُنْدُسِيًّا مُذْهَبًا فَقَبِلَ هَدِيَّتَهُ وَوَهَبَ لِمَسْعُودٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً وَبَعَثَ لِأَخِيهِ

الْصَّدَقَاتِ هِلَالَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعِ عِشْرَةِ بَنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ إِلَى تَمِيمٍ وَبُرَيْدَةَ إِلَى أَسْلَمَ وَغِفَارَ
وَعَبَادَ بْنَ بَشِيرٍ إِلَى سُلَيْمٍ وَمُرَيْتَةَ وَرَافِعَ بْنَ مَكِيثٍ إِلَى جُهَيْنَةَ وَعَمْرُو بْنَ الْعَاصِ إِلَى قَزَارَةَ
وَالضُّحَاكَ بْنَ سَفْيَانَ إِلَى بَنِي كِلَابٍ وَبُسْرَ بْنَ سَفْيَانَ الْكَعْبِيِّ إِلَى بَنِي كَعْبٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ
الْثَّيْبَةِ إِلَى ذُبْيَانَ وَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ سَعْدِ هُذَيْلٍ إِلَى قَوْمِهِ .

الفصل السابع

فِي مُؤَدَّنِيهِ وَحُدَاتِهِ وَشُعْرَائِهِ وَخَطِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَمَّا مُؤَدَّنُوهُ فَأَرْبَعَةُ اثْنَانِ بِالْمَدِينَةِ وَهُمَا بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ وَعَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومِ الْقُرَشِيِّ
الْأَعْمَى وَأَذْنُ لَهُ بِقَبَاءِ سَعْدِ الْقُرْظِ مَوْلَى عُمَارٍ وَأَذْنُ لَهُ بِمَكَّةَ أَبُو مَخْدُورَةَ أَوْسَ الْجُمَحِيِّ
الْمَكِّيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَأَمَّا شُعْرَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِينَ كَانُوا يَذُبُّونَ عَنِ الْإِسْلَامِ
فَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَكَانَ
خَطِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ شَمَّاسٍ الْأَنْصَارِيُّ وَكَانَ يَخْطُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي السَّفَرِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَعَامِرُ بْنُ الْأَكْحَرِ وَأَنْجَشَةُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ وَالْبَرَاءُ
ابْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

الفصل الثامن

فِي آلَاتِ خُرُوبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَدْرُوعِهِ وَأَقْوَاسِهِ وَمِنْطَقَتِهِ وَأَنْتَرَاسِهِ

أَمَّا أَسْيَافُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَتِسْعَةٌ : مَأْثُورٌ وَهُوَ أَوَّلُ سَيْفٍ مَلَكَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ ، وَالْعُضْبُ ، وَذُو الْفَقَارِ لِأَنَّهُ كَانَ فِي وَسْطِهِ مِثْلُ فَقَرَاتِ الظَّهْرِ ، وَالْقَلْعِيُّ أَصَابَهُ مِنْ
قَلْعٍ مَوْضِعُ بِالنَّبَاحِيَّةِ ، وَالْبَتَّارُ أَيُّ الْقَاطِعِ ، وَالْحَتْفُ وَهُوَ الْمَوْتُ ، وَالْمِخْدَمُ وَهُوَ الْقَاطِعُ ،
وَالرُّسُوبُ أَيُّ يَمْضِي فِي الضَّرْبَةِ ، وَالْقَضِيبُ وَهُوَ اللَّطِيفُ مِنَ السُّيُوفِ .

وَأَمَّا أَذْرَاعُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَبْعَةٌ : ذَاتُ الْفُضُولِ وَذَاتُ الْوِشَاحِ ، وَذَاتُ
الْحَوَاشِي ، وَالسَّغْدِيَّةُ نِسْبَةً لِمَوْضِعِ ، وَفِضَّةُ وَالبَتْرَاءُ لِقَصَرِهَا ، وَالْخَزْنِيُّ بِاسْمِ وَلَدِ الْأَرْبِ ،
وَأَمَّا أَقْوَاسُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَبْعَةٌ : الرُّزْرَاءُ ، وَالرُّوَحَاءُ ، وَالصَّفَرَاءُ ، وَشَوْحُطُ ،
وَالْكُتُومُ ، وَالسَّدَادُ ، وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعْبَةٌ تُدْعَى الْكَافُورَ وَمِنْطَقَةٌ مِنْ أَدِيمٍ
فِيهَا ثَلَاثُ حِلَقٍ مِنْ فِضَّةٍ وَالْإِبْرِيمُ مِنْ فِضَّةٍ وَالطَّرْفُ مِنْ فِضَّةٍ ، وَأَمَّا أَنْتَرَاسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: فَكَانَ لَهُ تُرْسُ اسْمِهِ الزُّلُوفُ يَزَلُّ عَنْهُ السِّلَاحُ، وَتُرْسٌ يُقَالُ لَهُ الْفَتَقُ، وَتُرْسٌ أَهْدِي إِلَيْهِ فِيهِ صُورَةُ تِمْنَالٍ عَقَابٍ أَوْ كَبِشٍ قَوْضَعٌ يَدُهُ عَلَيْهِ فَأَذْهَبَ اللَّهُ ذَلِكَ التَّمْنَالَ، وَأَمَّا أَرْمَاحُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فَالْمُتَوَرِّجُ لِأَنَّهُ يَنْبُتُ الْمَطْعُونُ بِهِ، وَالْمُتَنَتِّي، وَرُمَحَانِ آخَرَانِ، وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَزْبَةٌ كَبِيرَةٌ اسْمُهَا الْبَيْضَاءُ، وَحَزْبَةٌ صَغِيرَةٌ ذُوْنَ الرُّمَحِ يُقَالُ لَهَا الْعَنْزَةُ، وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَغْفَرٌ مِنْ حَدِيدٍ يُسَمَّى السَّبُوعُ، وَآخَرُ يُسَمَّى الْمَوْشَحُ.

وَكَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُسْطَاطٌ يُسَمَّى الْكِزْنُ وَكَانَ لَهُ مِخْجَنٌ قَدْرُ ذِرَاعٍ يَمْشِي وَيَزَكُّ بِهِ وَيُعَلِّقُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى بَعِيرِهِ، وَكَانَ لَهُ مِخْصَرَةٌ تُسَمَّى الْعُرْجُونُ، وَقَضِيبٌ مِنَ الشُّوْحِطِ يُسَمَّى الْمَمْشُوقُ، وَكَانَ لَهُ قَدْحٌ يُسَمَّى الرِّيَّانُ، وَآخَرُ يُسَمَّى مُغِيَّثًا، وَقَدْحٌ مُضَبَّبٌ بِسِلْسِلَةٍ مِنْ فِضَّةٍ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ، وَآخَرُ مِنْ عِيدَانِ وَالْعِيدَانَةُ الثُّخْلَةُ السَّخُوقُ، وَآخَرُ مِنْ رُجَاجٍ، وَتَوَرُّ أَيْ إِنَاءٌ مِنْ حِجَارَةٍ يُسَمَّى الْمِخْضَبُ، وَرَكْوَةٌ تُسَمَّى الصَّادِرَةُ، وَمِخْضَبٌ مِنْ نُحَاسٍ وَمُعْتَسَلٌ مِنْ صُفْرِ، وَمُذْهَنٌ مِنْ عَاجٍ، وَرَبْعَةٌ إِسْكَندَرَانِيَّةٌ يَجْعَلُ فِيهَا الْمِرَاةَ وَمِشْطًا مِنْ عَاجٍ وَالْمُكْحَلَةَ يَكْتَحِلُ مِنْهَا عِنْدَ النَّوْمِ ثَلَاثًا، وَالْمِقْرَاضُ، وَالسَّوَالِكُ، وَكَانَتْ لَهُ قَضْعَةٌ تُسَمَّى الْغُرَاءُ بِأَرْبَعِ حِلَقٍ، وَصَاعٌ، وَمُدٌّ، وَقَطِيفَةٌ، وَسَرِيرٌ قَوَائِمُهُ مِنْ سَاجٍ، وَفِرَاشٌ مِنْ أَدَمٍ حَشُوهُ لَيْفٌ، وَخَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ مَلُوبٍ بِفِضَّةٍ، وَخَاتَمٌ فِضَّةٍ قَصَبُهُ مِنْهُ يَجْعَلُهُ فِي يَمِينِهِ وَقِيلَ كَانَ أَوَّلًا فِي يَمِينِهِ ثُمَّ حَوَّلَهُ إِلَى يَسَارِهِ مَنَقُوشٌ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَهْدَى لَهُ النُّجَاشِيُّ خُفَيْنِ سَادَجَيْنِ فَلَبِسَهُمَا. وَكَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُبَّةٌ سُنْدُسٍ أَخْضَرَ وَجُبَةٌ طَيَالِسِيَّةٌ وَجُبَةٌ ثَالِثَةٌ يَلْبَسُهَا فِي الْحَرْبِ. وَعِمَامَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّحَابُ وَآخَرَى سَوْدَاءُ وَرِدَاءُ.

الفصل التاسع

فِي ذِكْرِ خَيْلِهِ وَلِقَاحِهِ وَدَوَابِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَمَّا خَيْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَالسُّكْبُ أَيْ كَثِيرُ الْجَزْيِ، وَالْمُرْتَجِزُ سُمِّيَ بِهِ لِحُسْنِ صَهْلِيهِ، وَالظَّرَبُ سُمِّيَ بِهِ لِقُوَّتِهِ وَصَلَابَةِ رِجْلَيْهِ، وَاللَّحِيفُ سُمِّيَ بِهِ لِسَمِيِّهِ وَكِبَرِهِ، وَاللِّزَازُ سُمِّيَ بِهِ لِشِدَّةِ تَلَزُّزِهِ وَاجْتِمَاعِ خَلْقِهِ، وَالْوَرْدُ، وَسَبْحَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ قَرَسَ سَابِغٌ إِذَا كَانَ حَسَنَ مَدِّ الْيَدَيْنِ فِي الْجَزْيِ، وَالْبَحْرُ وَكَانَ كَمَيْتًا، وَالسَّجَلُ مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ سَجَلْتُ الْمَاءَ فَأَنْسَجَلُ أَيْ صَبَبْتُهُ فَأَنْصَبُ، وَذُو اللَّمَّةِ، وَذُو الْعُقَالِ، وَالسَّرْحَانُ، وَالطَّرْفُ، وَالْمُرْتَجِلُ، وَالْمِرْوَاخُ مِنَ الرِّيحِ لِسُرْعَتِهِ، وَمَلَاوِيخُ، وَالْمَنْدُوبُ، وَالنَّجِيبُ، وَالْيَعْبُوبُ، وَالْيَعْسُوبُ،

وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْبَعَالِ: دُلْدُلُ وَكَانَتْ شَهْبَاءَ، وَفِضَّةً، وَأُخْرَى أَهْدَاهَا لَهُ صَاحِبُ أَيْلَةَ، وَأُخْرَى مِنْ دُومَةِ الْجَنْدَلِ، وَأُخْرَى مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ. وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْحَمِيرِ: عُفَيْرٌ، وَيَغْفُورٌ، وَأَعْطَاهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ حِمَارًا فَرَكَبَهُ.

وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ اللَّقَاحِ. الْقَضَوَاءُ وَهِيَ الَّتِي هَاجَرَ عَلَيْهَا، وَالْعُضْبَاءُ، وَالْجَذَعَاءُ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِمَا عَضْبٌ وَلَا جَذَعٌ وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ. وَعَنِمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَ بَدْرٍ جَمَلًا لِأَبِي جَهْلٍ فِي أَنْفِهِ بُرَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ فَأَهْدَاهُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ لِيَغِيظَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ. وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ لِفَحَّةً أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مِنْهَا: أَطْلَالٌ، وَأَطْرَافٌ، وَبُرُودَةٌ، وَبَرَكَةٌ، وَالْبُغُومُ، وَالْحَنَاءُ، وَزَمْزَمٌ، وَالرَّيَاءُ، وَالسَّغْدِيَّةُ، وَالسَّقِيَا، وَالسُّمْرَاءُ، وَالشُّقْرَاءُ، وَعَجْرَةٌ، وَالْعَرِيْسُ، وَغَوَثَةٌ وَقِيلَ غَيْثَةٌ، وَقَمَرٌ، وَمَرْوَةٌ، وَمُهْرَةٌ، وَوَرَشَةٌ، وَالْيَسِيرَةُ، وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةُ شَاةٍ، وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَةٌ أَعْنَزَ تَرْعَاهُنَّ أُمُّ أَيْمَنَ.

الفصل العاشر

فِي ذِكْرِ مَنْ وَقَدَّ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ النَّوَوِيُّ الْوَفْدُ الْجَمَاعَةُ الْمُخْتَارَةُ لِلتَّقْدِمِ فِي لُفْيَا الْعُظَمَاءِ وَاجِدُهُمْ وَإِذَا هـ وَكَانَتْ سَنَةٌ تَسْمَى سَنَةُ الْوُفُودِ وَلَمَّا انْصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الطَّائِفِ فِي شَوَالٍ إِلَى الْجِعْرَانَةِ وَفِيهَا سَبْعِي هَوَازَنٌ قَدِمَتْ عَلَيْهِ وَفُودُهُمْ مُسْلِمِينَ فِيهِمْ تِسْعَةٌ نَفَرٍ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوا ثُمَّ كَلَّمُوهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فِي مَنْ أَصْنَبْتُمُ الْأُمَّهَاتِ وَالْأَخَوَاتِ وَالْعَمَّاتِ وَالْخَالَاتِ فَقَالَ سَأَطْلُبُ لَكُمْ وَقَدْ وَقَعَتِ الْمَقَاسِمُ فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ السَّبِي أَوْ الْمَالِ فَقَالُوا خَيْرُتَنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَ الْحَسْبِ وَالْمَالِ فَالْحَسْبُ أَحَبُّ إِلَيْنَا وَلَا تَكُنْ فِي شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا كَانَ لِي وَلِعَبْدٍ الْمُطْلَبِ فَهُوَ لَكُمْ وَقَالَتْ قُرَيْشٌ مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدٌ ثَقِيفٌ بَعْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ تَبُوكَ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الطَّائِفِ قِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى ثَقِيفٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَاثْبِتْ بِهِمْ وَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُمْ اتَّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَذْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمَ وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ بِالْإِسْلَامِ فَفَعَلَ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ

بَعَثُوا سِتَّةَ مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ وَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَسْلَمُوا وَكَانَ فِيمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدَعَ لَهُمُ الطَّاعِيَةَ وَهِيَ الثَّلَاثُ لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ فَأَبَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَغْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ وَأَنْ لَا يُكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ إِلَّا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَسَرُوا أَوْثَانَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَلَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَكَتَبَ لَهُمُ الْكِتَابَ أَمَرَ عَلَيْهِمُ عُمَانُ بْنُ الْعَاصِ وَكَانَ أَخَذَهُمْ سِنًا لِكَيْتُهُ كَانَ مِنْ أَخْرَصِهِمْ عَلَى الثَّقَفِ فِي الْإِسْلَامِ وَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ وَمَعَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَزْبٍ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ لِهَذَا الطَّاعِيَةَ فَلَمَّا دَخَلَ الْمُغِيرَةُ عَلَيْهَا عَلَاهَا يَضْرِبُهَا بِالْمِغْوَلِ وَخَرَجَ نِسَاءُ ثَقِيفٍ حُسْرًا يَبْكِينَ عَلَيْهَا وَأَخَذَ الْمُغِيرَةُ بَعْدَ أَنْ كَسَرَهَا مَالَهَا وَحُلِيِّهَا وَكَانَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَتَبَ لَهُمْ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ إِنْ عِصَاةٌ وَجْ وَصِيْدُهُ حَرَامٌ لَا يُغْضَدُ مَنْ وَجَدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يُجْلَدُ وَتُنَزَّعُ نِيبَاتُهُ فَإِنْ تَعَدَّى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبْلَغُ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بِأَمْرِ الرَّسُولِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّاهُ أَحَدٌ فَيُظْلِمَ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَجَّ وَادٍ بِالطَّائِفِ .

وَقَدِيمٌ وَفَدُ بَنِي عَامِرٍ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ لَمَّا فَرَغَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ تَبُوكَ وَأَسْلَمَتْ ثَقِيفٌ وَبَايَعَتْ ضَرَبَتْ أَيْ سَارَتْ إِلَيْهِ وَفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ قَدَحَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَوَفَدَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَنُو عَامِرٍ فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ وَأَزْبَدُ بْنُ قَيْسٍ وَجَبَّارُ ابْنِ سَلَمَى وَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ رُؤَسَاءَ الْقَوْمِ وَشَيَاطِينُهُمْ فَقَدِيمٌ عَدُوُّ اللَّهِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَغْدُرَ بِهِ فَقَالَ لِأَزْبَدَ إِذَا قَدِمْنَا عَلَى الرَّجُلِ فَإِنِّي شَاغِلٌ عَنْكَ وَجْهَهُ فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَاغْلُهُ بِالسَّيْفِ فَكَلَّمَ عَامِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ وَاللَّهِ لَا مَلَائِكَةً عَلَيْكَ خَيْلًا وَرَجُلًا فَلَمَّا وَلَّى قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ عَامِرُ لِأَزْبَدَ وَيْحَكَ أَيَّنَ مَا كُنْتُ أَمَرْتُكَ بِهِ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ إِلَّا دَخَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَفَاضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ وَلَمَّا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بَعَثَ اللَّهُ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ الطَّاغُوتَ فِي عُنُقِهِ فَقَتَلَهُ اللَّهُ .

وَقَدِيمٌ وَفَدُ عَبْدُ الْقَيْسِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ يَسْكُنُونَ الْبَحْرَيْنِ

فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِمَّنِ الْقَوْمُ قَالُوا مِنْ رِبِيعَةَ قَالَ مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ غَيْرِ
خَزَايَا وَلَا نَدَامَى فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْحَيَّ مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ وَإِنَّا لَا نَصِلُ إِلَيْكَ
إِلَّا فِي شَهْرِ حَرَامٍ فَأَمَرْنَا بِأَمْرِ فَضْلٍ نَأْخُذُ بِهِ وَنَأْمُرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ قَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَمَرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ أَمَرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَخَدَهُ أَتَذُرُونَ مَا الْإِيمَانُ
بِاللَّهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ
رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ الدُّبَاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالنَّقِيرِ وَالْمَرْفَتِ
فَاخْطُوهُنَّ وَادْعُوا إِلَيْهِنَّ مِنْ وَرَاءِكُمْ.

وَإِنَّمَا نَهَاكُمْ عَنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ أَيْ عَنِ الْإِنْتِبَازِ بِهَا لِأَنَّهُ يُسْرِعُ إِلَيْهَا الْإِسْكَارُ. وَالِدُّبَاءُ
الْقَرْعُ وَالْحَنْتَمُ نَوْعٌ مِنَ الْجَزَارِ وَالنَّقِيرُ أَضْلُ النَّخْلِ الْمَنْقُورُ وَالْمَرْفَتُ الْمَطْبِيُّ بِالزَّفْتِ. قَالَ
الْقُرْطُبِيُّ قِيلَ إِنَّ أَوَّلَ الْأَرْبَعَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا إِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ الشَّهَادَتَيْنِ تَبَرُّكًا لِأَنَّ الْقَوْمَ
كَانُوا مُؤْمِنِينَ مُقَرَّرِينَ بِكَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَّ بَنِي حَنِيفَةَ وَفِيهِمْ
مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ فَأَتَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْتَرْ بِالثِّيَابِ وَرَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي يَدِهِ عَسِيبٌ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ يَسْتُرُونَهُ بِالثِّيَابِ كَلَّمَهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ الْأَمْرَ مِنْ
بَعْدِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ سَأَلْتَنِي هَذَا الْعَسِيبَ الَّذِي فِي يَدِي مَا
أَعْطَيْتُكَ ثُمَّ انْصَرَفُوا فَلَمَّا قَدِمُوا الْيَمَامَةَ أَزْدَدَ عَدُوَّ اللَّهِ وَتَنَبَّأَ وَقَالَ إِنِّي أَشْرِكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ
ثُمَّ جَعَلَ يَسْجَعُ السَّجَعَاتِ وَلَمَّا سَمِعَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَّ فِي بَثْرِ فَكَثُرَ مَاؤُهَا
وَتَقَلَّ فِي عَيْنِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَكَانَ أَرْمَدَ فَبَرَأَ فَتَقَلَّ اللَّعِينُ فِي بَثْرِ فَغَارَ مَاؤُهَا وَفِي عَيْنِ
بَصِيرٍ فَعَمِيَ وَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَ شَاةٍ حُلُوبٍ فَارْتَفَعَ دَرُّهَا وَبَيَسَ ضَرْعُهَا ثُمَّ إِنَّ اللَّعِينَ وَضَعَ عَنْ
قَوْمِهِ الصَّلَاةَ وَأَحْلَى لَهُمُ الْخَمْرَ وَالزَّنا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَشْهَدُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَدْ كَانَ كَتَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ
رَسُولِ اللَّهِ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ أَشْرِكْتُ مَعَكَ فِي الْأَمْرِ إِنَّ لَنَا نِصْفَ الْأَمْرِ وَلِقُرَيْشٍ نِصْفَ
الْأَمْرِ.

فَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُهُ بِهَذَا الْكِتَابِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ سَلَامٌ عَلَى
مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ». وَقَدِمَ

عَلَيْهِ وَفَدَّ طِيءٌ فِيهِ زَيْدُ الْخَيْلِ وَهُوَ سَيِّدُهُمْ فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمُوا وَحَسَنَ إِسْلَامُهُمْ
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا ذُكِرَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِفَضْلِ ثَمٍّ جَاءَنِي إِلَّا رَأَيْتُهُ
دُونَ مَا يَقَالُ فِيهِ إِلَّا زَيْدَ الْخَيْلِ فَإِنَّهُ لَمْ يُبْلَغْ كُلُّ مَا فِيهِ ثَمٌّ سَمَاءُ زَيْدَا الْخَيْرِ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَّ كِنْدَةَ فِي ثَمَانِينَ أَوْ سِتِينَ رَاكِبًا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْجِدَهُ قَدْ رَجَلُوا جُمَعَهُمْ وَتَسَلَّحُوا وَلَبِسُوا جُبَّاتِ الْحَبَرَاتِ مُكَفَّفَةً
بِالْحَرِيرِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ لَمْ تُسَلِّمُوا قَالُوا بَلَى قَالَ فَمَا هَذَا الْحَرِيرُ فِي أَغْثَاكُمْ
فَشْتَوْهُ وَتَزَعَوْهُ وَأَلْقَوْهُ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَشْعَرِيُّونَ وَأَهْلُ الْيَمَنِ قَالَ الْخَافِظُ
ابْنُ حَجَرٍ الْمُرَادُ بَعْضُ أَهْلِ الْيَمَنِ وَهُمْ وَفَدَّ حِمَيْرَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَفْقَدُ عَلَيْكُمْ قَوْمٌ هُمْ أَزَقُّ مِنْكُمْ قُلُوبًا فَقَدِمَ الْأَشْعَرِيُّونَ فَجَعَلُوا
يَزْتَجِرُونَ:

عَدَا نَلَقَى الْأَحْبَةَ مَحْمَدًا وَحَزَبَهُ

وَرَوَى مُسْلِمٌ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَزَقُّ أَفِيدَةً وَأَضْعَفُ قُلُوبًا
الْإِيمَانِ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةِ يَمَانِيَّةُ السَّكِينَةِ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ وَالْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلُ الْوَبَرِ
قَبْلَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ وَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْنَا لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَنَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ فَقَالَ
كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ. وَالْفَدَّادُونَ جَمْعُ فَدَادٍ وَهُوَ مَنْ يَغْلُو صَوْتَهُ فِي إِبِلِهِ وَخَيْلِهِ وَحَزَبِهِ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صُرَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ فِي وَفَدٍ مِنَ الْأَزْدِ فَأَسْلَمُوا
وَحَسَنَ إِسْلَامُهُمْ فَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُجَاهِدَ بَيْنَ
أَسْلَمَ أَهْلَ الشُّرَكِ مِنْ قَبَائِلِ الْيَمَنِ فَفَعَلَ وَقَاتَلَ قَبَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ جُرَشٍ فَقَتَلَهُمْ قَتْلًا
شَدِيدًا وَكَانُوا بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ فَبَيْنَمَا هُمَا عِنْدَهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لَهُمَا إِنَّ بَذَنَ اللَّهُ لِنَحْرٍ عِنْدَ شَكْرِ أَيِّ الْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَ بِهِ قَتْلُ قَوْمِهِمْ
فَخَرَجَا إِلَى قَوْمِهِمَا فَوَجَدَاهُمْ قَدْ أُصِيبُوا فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَسَلَّمَ مَا قَالَ وَفِي السَّاعَةِ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا مَا ذَكَرَ فَخَرَجَ وَفَدَّ جُرَشَ حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمُوا وَحَمَى لَهُمْ جَمَى حَوْلَ قَوْمِيهِمْ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَّ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بَنَجْرَانَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يَقَاتِلَهُمْ فَخَرَجَ

خَالِدٌ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ فَبَعَثَ الرُّكْبَانُ يَضْرِبُونَ فِي كُلِّ وَجْهِهِ وَيَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَقُولُونَ
أَيُّهَا النَّاسُ اسْلِمُوا تَسْلَمُوا فَأَسْلَمَ النَّاسُ ثُمَّ أَقْبَلَ خَالِدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمَعَهُ وَفْدُهُمْ فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمَ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ قَالُوا كُنَّا نَجْتَمِعُ وَلَا
تَتَفَرَّقُ وَلَا نَبْدَأُ أَحَدًا بِظُلْمٍ قَالَ صَدَقْتُمْ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ قَيْسَ بْنِ الْحَضَنِ بْنِ قَوْمِهِمْ،
وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ هَمْدَانَ وَعَلَيْهِمْ مَقَطَعَاتُ الْجَبَرَاتِ وَالْعَمَائِمُ الْعَدَنِيَّةُ
عَلَى الرُّوَاكِجِ الْمَهْرِيَّةِ الْأَرْحَبِيَّةِ وَمَالِكُ بْنُ النَّمِطِ يَرْتَجِزُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَتَبَ
لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كِتَابًا أَفْطَعَهُمْ فِيهِ مَا سَأَلُوهُ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ النَّمِطِ وَاسْتَعْمَلَهُ
عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ مُزَيْنَةَ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ قَالَ
قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِمِائَةَ رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَنْصَرِفَ
قَالَ يَا عُمَرُ زَوِّدِ الْقَوْمَ قَالَ مَا عِنْدِي إِلَّا شَيْءٌ مِنْ ثَمَرٍ مَا أَظُنُّهُ يَقَعُ مِنَ الْقَوْمِ مَوْقِعًا قَالَ انْطَلِقْ
فَزَوِّدْهُمْ فَأَنْطَلَقَ بِهِمْ عُمَرُ فَأَدْخَلَهُمْ مَنْزِلَهُ ثُمَّ أَصْعَدَهُمْ إِلَى عَلَيْهِ قَالَ فَلَمَّا دَخَلْنَا إِذَا فِيهَا مِنَ
الثَّمَرِ مِثْلُ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ فَأَخَذَ الْقَوْمُ مِنْهُ حَاجَتَهُمْ وَكُنْتُ فِي آخِرٍ مِنْ خَرَجٍ فَتَطَرْتُ وَمَا أَفْقِدُ
مَوْضِعَ ثَمَرَةٍ مِنْ مَكَانِهَا. وَالْأَوْرَقُ مَا فِي ثَوْبِهِ بَيَاضٌ إِلَى سَوَادٍ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ دُوسٍ وَكَانَ قُدُومُهُمْ عَلَيْهِ بِخَبِيرٍ وَكَانَ الطُّفَيْلُ بْنُ
عَمْرِو الدَّوْسِيِّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا فَخَوَّفَهُ رِجَالٌ مِنْ
قُرَيْشٍ أَمْرَهُ وَقَالُوا لَهُ لَا تُكَلِّمُهُ وَلَا تَسْمَعْ مِنْهُ ثُمَّ رَأَاهُ قَائِمًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكُتْبَةِ فَسَمِعَ مِنْهُ كَلَامًا
حَسَنًا قَالَ فَمَكَثْتُ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى بَيْتِهِ فَتَبِعْتُهُ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ فَقُلْتُ يَا
مُحَمَّدُ إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا فَوَاللَّهِ مَا بَرَحُوا يُخَوِّفُونِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنِي
بِكُرْسُفٍ أَنْ لَا أَسْمَعَ قَوْلَكَ ثُمَّ أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِيهِ فَسَمِعْتُ قَوْلًا حَسَنًا فَأَعْرَضَ عَلَيَّ
أَمْرَكَ فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ فَلَا وَاللَّهِ مَا
سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ فَأَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ وَقُلْتُ يَا
رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي وَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ فَقَدَّاعِيَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَادَّعَى اللَّهُ أَنْ
يَجْعَلَ لِي آيَةً قَالَ فَخَرَجْتُ إِلَيَّ قَوْمِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِشَيْئَةٍ تُطْلِعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ
عَيْنَيَّ مِثْلُ الْمِصْبَاحِ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَقُولُوا مِثْلَهُ وَقَعَتْ فِي وَجْهِي
لِغِرَاقِي دِينِهِمْ قَالَ فَتَحَوَّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوَاطِي كَالْقَيْنَدِيلِ الْمُتَعَلِّقِ وَأَنَا أَهْبِطُ إِلَيْهِمْ مِنَ الثُّنْيَةِ

حَتَّى جِئْتَهُمْ وَأَصْبَحَتْ فِيهِمْ قَالَ فَدَعَوْتُ أَبِي إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ وَدَعَوْتُ زَوْجَتِي فَأَسْلَمَتْ
ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبْطَوُوا عَلَيَّ فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا
نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهُ قَدْ عَلَنِي عَلَى دَوْسِ الزَّنَا فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا ثُمَّ قَالَ ازْجِعْ
إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَارْفُقْ بِهِمْ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ فَلَمْ أَرُلْ أَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ قَدِمْتُ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ فَنَزَلْتُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ
ثُمَّ لَحِقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ .

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ نَصَارَى نَجْرَانَ وَكَانُوا سِتِينَ رَاكِبًا وَأَمِيرُهُمُ
الْعَاقِبُ وَصَاحِبُ مَشَوْرَتِهِمْ عَبْدُ الْمَسِيحِ وَصَاحِبُ رَحْلِهِمْ وَمُجْتَمِعُهُمُ السَّيِّدُ وَاسْمُهُ الْأَيْهَمُ
وَيُقَالُ شُرْحَيْلُ وَأَبُو حَارِثَةَ أَخُو بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ قَدْ شَرَفَ فِيهِمْ وَدَرَسَ كُتُبَهُمْ وَكَانَتْ مُلُوكُ
الرُّومِ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ قَدْ شَرَفُوهُ وَمَوْلُوهُ وَكَانَ يَعْرِفُ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَأْنَهُ
وَصِفَتَهُ مِمَّا عَلِمَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَلَكِنْ حَمَلَهُ الْجَهْلُ عَلَى الْأَسْتِمْرَارِ فِي النَّصْرَانِيَّةِ لِمَا
يَرَى مِنْ تَعْظِيمِهِ وَرَجَاهَتِهِ عِنْدَ أَهْلِهَا فَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَلَا
عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَاُمْتَنَعُوا فَقَالَ إِنْ أَنْكَرْتُمْ مَا أَقُولُ فَهَلْكُمْ أَبَاهِلُكُمْ فَقَالَ شُرْحَيْلُ قَوْلَ اللَّهِ لَئِنْ كَانَ
نَبِيًّا فَلَا عَنَاءَ يَغْنِي بَاهِلْنَاهُ لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا أَبَدًا وَصَالَحَهُمْ عَلَى أَلْفِي حُلَّةٍ
أَلْفٍ فِي رَجَبٍ وَأَلْفٍ فِي صَفَرٍ مَعَ كُلِّ حُلَّةٍ أَوْقِيَّةٌ . وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُ
قُرُوءَةَ بْنِ عَمْرِو الْجُدَامِيِّ بِإِسْلَامِهِ وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ .

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بَعَثَهُ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ رَوَى الْبُخَارِيُّ
مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاحَهُ بِالْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَكِيُّ فَقَالَ لَهُ
الرَّجُلُ إِبْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَجَبْتُكَ فَقَالَ إِنِّي سَأَيْلُكَ فَمَشَدُّ
عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ فَقَالَ سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ فَقَالَ أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ
مَنْ قَبْلَكَ أَلَلَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ أَلَلَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ
الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ أَلَلَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَصُومَ هَذَا
الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ أَلَلَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَانَا
فَتَقْسِمَهَا عَلَى فَقَرَانَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ نَعَمْ فَقَالَ آمَنْتُ بِمَا جِئْتُ بِهِ ثُمَّ

أَتَى قَوْمَهُ فَأَسْلَمُوا جَمِيعًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَمَا سَمِعْنَا بِوَافِدِ قَوْمِ أَفْضَلٍ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَوَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَارِقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَارِبِيُّ وَقَوْمُهُ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَمْتَارُونَ ثَمَرًا فَلَقِيَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا دَنَوْا مِنْ حِيطَانِهَا وَتَخْلِبُهَا وَلَمْ يَغْرِفُوهُ فَاشْتَرَى مِنْهُمْ جَمَلًا أَحْمَرَ بَتَمْرٍ وَانْطَلَقَ بِهِ قَالَ طَارِقٌ فَلَمَّا تَوَارَى عَنَّا بِحِيطَانِ الْمَدِينَةِ وَتَخْلِبُهَا قُلْنَا مَا صَنَعْنَا وَاللَّهِ مَا بَغْنَا جَمَلَنَا مِمَّنْ نَعْرِفُهُ وَلَا أَخَذْنَا لَهُ ثَمَنًا فَقَالَتْ امْرَأَةٌ كَانَتْ مَعَنَا لَا تَلَاوُمُوا لَقَدْ رَأَيْتُ وَجْهَ رَجُلٍ لَا يَغْدُرُكُمْ مَا رَأَيْتُ أَشْبَهَ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَذْرِ مِنْ وَجْهِهِ وَأَقْبَلَ رَجُلٌ فَقَالَ أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ هَذَا ثَمَرُكُمْ فَكُلُوا وَاشْبَعُوا وَاكْتَالُوا وَاسْتَوْفُوا فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا وَاكْتَلْنَا وَاسْتَوْفَيْنَا ثُمَّ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ فَلَمَّا دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ إِذَا إِذَا هُوَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ فَأَذَرْنَا مِنْ خُطْبَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ تَصَدَّقُوا فَإِنَّ الصَّدَقَةَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْيَدِ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ تَجِيبَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا قَدْ سَأَفُوا مَعَهُمْ صَدَقَاتٍ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَسَرَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهِمْ وَأَكْرَمَ مِنْزِلَتَهُمْ وَأَمَرَ بِإِلَاءِ أَنْ يُخْسِنَ ضِيَافَتَهُمْ ثُمَّ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُودِعُونَهُ فَأَمَرَ بِإِلَاءِ فَأَجَازَهُمْ بِأَرْزَاقٍ مَا كَانَ يُجِيزُ بِهِ الْوُفُودَ قَالَ هَلْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَالُوا غُلَامٌ خَلَفْنَاهُ عَلَى رِحَالِنَا هُوَ أَخَذْنَا سِنًا قَالَ أَرْسَلُوهُ إِلَيْنَا فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا أَخَّرَ بَنِي مِنْ بِلَادِي إِلَّا أَنْ تَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَأَنْ يَرْحَمَنِي وَأَنْ يَجْعَلَ غِنَايَ فِي قَلْبِي فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَاجْعَلْ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمَا أَمَرَ بِهِ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ انْطَلَقُوا رَاجِعِينَ إِلَى أَهْلِهِمْ ثُمَّ وَافُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنَى سَنَةَ عَشْرِ فَقَالَ مَا فَعَلَ الْغُلَامُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ قَطُّ وَلَا حَدَّثْنَا بِأَفْنَعٍ مِنْهُ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ لَوْ أَنَّ النَّاسَ افْتَسَمُوا الدُّنْيَا مَا نَظَرُوا نَحْوَهَا وَلَا التَفَّتْ إِلَيْهَا.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ بَنِي سَعْدٍ هَذِيمَ رَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنِ ابْنِ الثُّعْمَانِ عَنْ أَبِيهِ مِنْ سَعْدٍ هَذِيمَ قَالَ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَافِدًا فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي فَبَايَعْنَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ انْصَرَفْنَا إِلَى رِحَالِنَا وَقَدْ خَلَفْنَا أَصْغَرَنَا فَبَيَّتَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي طَلَبِنَا فَأَتَى بَنَاهُ فَتَقَدَّمَ صَاحِبُنَا إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ أَصْغَرُنَا وَخَادِمُنَا فَقَالَ أَصْغَرَ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ قَالَ فَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَنَا

وَأَفْرَأْنَا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَمَرَهُ عَلَيْنَا فَكَانَ يُؤْمِنَا فَرَجَعْنَا إِلَى قَوْمِنَا
فَرَزَقَهُمُ اللَّهُ الْإِسْلَامَ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ بَنِي قَزَاةَ لَمَّا رَجَعَ مِنْ تَبُوكَ
بِضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا وَهُمْ مُسْنِتُونَ عَلَى رِكَابٍ عِجَافٍ فَسَأَلَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ بِلَادِهِمْ
فَقَالَ أَحَدُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَنْتَ بِلَادُنَا وَهَلَكْتَ مَوَاشِينَا وَأَجْدَبَ جَنَابُنَا وَغَرَبَتْ عِيَالُنَا فَادْعُ
رَبَّكَ يَغِيثُنَا فَصَعِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ وَدَعَا لَهُمْ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ بَنِي أَسَدٍ عَشْرَةَ رَهْطٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ فَقَالَ مُتَكَلِّمُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا شَهِدْنَا أَنَّ اللَّهَ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَجِئْنَاكَ وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْنَا بَعْدًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ
أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
[الحجرات: ١٧] وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ بَهْرَاءَ مِنَ الْيَمَنِ وَكَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ
رَجُلًا فَلَمَّا نَهَضُوا إِلَى بَابِ الْمِقْدَادِ رَحَّبَ بِهِمْ وَقَدَّمَ لَهُمْ جَفْنَةً مِنْ خَيْسٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى
نَهَلُوا وَرَدَّتِ الْقِضْعَةُ وَفِيهَا شَيْءٌ فَجُمِعَ فِي قِصْعَةٍ صَغِيرَةٍ وَأُرْسِلَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتٍ أَمْ سَلَمَةَ فَأَصَابَ مِنْهَا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ حَتَّى نَهَلُوا ثُمَّ أَكَلُوا
مِنْهَا هُمْ وَالضُّيْفُ مَا أَقَامُوا يُرَدُّونَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَمَا تَغِيضُ حَتَّى جَعَلُوا يَقُولُونَ يَا أَبَا مَعْبُدٍ
إِنَّكَ تُنْهَلُنَا مِنْ أَحَبِّ الطَّعَامِ إِلَيْنَا وَمَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِلَّا فِي الْحِينِ فَأَخْبَرَهُمْ أَبُو مَعْبُدٍ
بِخَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا وَرَدَّهَا وَأَنَّ هَذِهِ بَرَكَتُهُ أَصَابِعُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَقُولُونَ نَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَازْدَادُوا يَقِينًا وَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَأَقَامُوا
أَيَّامًا ثُمَّ وَدَّعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزٍ وَانْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ عُذْرَةَ وَكَانُوا اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا فَرَحَّبَ بِهِمْ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَأَسْلَمُوا وَبَشَّرَهُمْ بِفَتْحِ الشَّامِ وَهَرَبَ هِرْقُلُ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَقَدْ أُجِيزُوا، وَقَدِمَ
عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ بَلِيٍّ فَأَسْلَمُوا فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ فَكُلُّ مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ فِي النَّارِ ثُمَّ وَدَّعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ أَجَارَهُمْ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ بَنِي مُرَّةَ وَكَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ
رَجُلًا فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَيْفَ الْبِلَادُ فَقَالُوا وَاللَّهِ إِنَّا لَمُسْنِتُونَ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَقَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اسْقِهِمُ الْغَيْثَ ثُمَّ أَقَامُوا أَيَّامًا وَرَجَعُوا بِالْجَائِزَةِ فَوَجَدُوا بِلَادَهُمْ قَدْ
أُمِيطَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي دَعَا لَهُمْ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ حَوْلَانِ وَكَانُوا عَشْرَةَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ مُصَدِّقُونَ بِرَسُولِهِ وَقَدْ ضَرَبْنَا إِلَيْكَ أَبَاطَ الْإِبِلِ وَرَكِبْنَا حُزُونَ الْأَرْضِ وَسَهَوَلَهَا وَالْمِثَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَقَدِمْنَا زَائِرِينَ لَكَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَمَا مَا ذَكَّرْتُمْ مِنْ مَسِيرِكُمْ إِلَيَّ فَإِنْ لَكُمْ بِكُلِّ خُطْوَةٍ خَطَايَا بَعِيرٍ أَحَدِكُمْ حَسَنَةً وَأَمَا قَوْلُكُمْ زَائِرِينَ لَكَ فَإِنَّهُ مَنْ زَارَنِي بِالْمَدِينَةِ كَانَ فِي جَوَارِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ عَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قِرَاطِصَ الدِّينِ وَأَمَرَهُمْ بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَذَاءِ الْأَمَانَةِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ وَأَنْ لَا يَظْلِمُوا أَحَدًا ثُمَّ أَجَازَهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَهَدَمُوا الصُّنَمَ الَّذِي كَانُوا يَعْبُدُونَهُ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ مُحَارِبٍ وَكَانُوا أَغْلَظَ الْعَرَبِ وَأَقْظَهُمْ عَلَيْهِ أَيَّامَ عَرْضِهِ عَلَى الْقَبَائِلِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ فَجَاءَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْهُمْ عَشْرَةَ فَأَسْلَمُوا ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ صُدَاءَ وَكَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا قَبَايِعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَفَشَا فِيهِمُ الْإِسْلَامُ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ غَسَّانَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ فَأَسْلَمُوا فَأَجَازَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِجَوَائِزٍ وَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ سَلَامَانَ سَبْعَةَ نَفَرٍ فَأَسْلَمُوا وَشَكُّوا إِلَيْهِ جَذَبَ بِلَادِهِمْ فَدَعَا لَهُمْ ثُمَّ وَدَعُوهُ وَأَمَرَ لَهُمْ بِالْجَوَائِزِ وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ فَوَجَدُوهَا قَدْ أُمِطِرَتْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي دَعَا لَهُمْ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ بَنِي عَبَسَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدِمَ عَلَيْنَا قُرَاؤُنَا وَأَخْبَرُونَا أَنْ لَا إِسْلَامَ لِمَنْ لَا هِجْرَةَ لَهُ وَلَنَا أَمْوَالٌ وَمَوَاشٍ فَإِنْ كَانَ لَا إِسْلَامَ لِمَنْ لَا هِجْرَةَ لَهُ بَغَانَا وَهَاجَرْنَا فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اتَّقُوا اللَّهَ حَيْثُ كُنْتُمْ فَلَنْ يَلْتَكُمُ مِنْ عَمَلِكُمْ شَيْئًا وَمَعْنَى يَلْتَكُمُ يَنْقُصُكُمْ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ غَامِدٍ عَشْرَةَ فَأَقْرَأُوا بِالْإِسْلَامِ وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا فِيهِ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ وَأَمَرَ أَبِي بَنْ كَعْبٍ فَعَلَّمَهُمْ قُرْآنًا وَأَجَازَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَانْصَرَفُوا، وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ الْأَزْدِ عَنْ عِلْقَمَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ سُوَيْدِ الْأَزْدِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ وَفَدْتُ سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ قَوْمِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ وَكَلَّمْنَاهُ أَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ سَمِيَّتِنَا وَزِينَتِنَا فَقَالَ مَا أَنْتُمْ قُلْنَا مُؤْمِنُونَ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ قُلْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ خَضَلَةً خَمْسٌ مِنْهَا أَمَرْتُنَا رُسُلَكَ أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا وَخَمْسٌ أَمَرْتُنَا أَنْ نَعْمَلَ بِهَا وَخَمْسٌ تَخَلَّفْنَا بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَنَحْنُ عَلَيْهَا إِلَّا أَنْ تَكْرَهَ مِنْهَا شَيْئًا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا الْخَمْسُ الَّتِي

أَمَرْتُكُمْ بِهَا رُسُلِي قُلْنَا أَمَرْتُنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ قَالَ
وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا قُلْنَا أَمَرْتُنَا أَنْ نَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَنُقِيمَ الصَّلَاةَ
وَنُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَنُصُومَ رَمَضَانَ وَنَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْنَا إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي
تَخْلُقْتُمْ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ قُلْنَا الشُّكْرُ عِنْدَ الرِّخَاءِ وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ
وَالصَّدَقُ فِي مَوَاطِنِ اللَّقَاءِ وَتَرْكُ الشَّمَاتَةِ بِالْأَعْدَاءِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ
كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أُرِيدُكُمْ خَمْسًا فَتَتِمُّ لَكُمْ
عِشْرُونَ خَصْلَةً إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ فَلَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ وَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ وَلَا
تَتَأَفَّسُوا فِي شَيْءٍ أَنْتُمْ عَنْهُ غَدَا زَائِلُونَ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَعَلَيْهِ تُعْرَضُونَ وَازْعَبُوا
فِيمَا عَلَيْهِ تَقْدُمُونَ وَفِيهِ تَخْلُدُونَ فَانْصَرَفُوا وَقَدْ حَفِظُوا وَصِيَّتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعَمِلُوا
بِهَا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ بَنِي الْمُتَنَفِّقِ قَالَ عَاصِمُ بْنُ لَقِيطٍ إِنْ لَقِيطُ بْنُ
عَامِرٍ خَرَجَ وَإِذَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ نَهَيْكَ بْنُ
عَاصِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْمُتَنَفِّقِ قَالَ فَوَافَيْتَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ
فَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكُمْ صَوْتِي مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ
لِتَسْمَعُوا الْيَوْمَ أَلَا قَهْلٌ مِنْ أَمْرِي بَعَثَهُ قَوْمُهُ فَقَالُوا لَهُ اغْلَمْ لَنَا مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ أَلَا ثُمَّ لَعَلَّهُ
يُلْهِمُهُ حَدِيثَ نَفْسِهِ أَوْ حَدِيثَ صَاحِبِهِ أَلَا وَإِنِّي مَسْئُولٌ هَلْ بَلَّغْتُ أَلَا اسْمَعُوا تَعِيشُوا الْحَدِيثَ
وَفِيهِ ذِكْرُ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْحِجَّةِ وَالتَّارِ وَفِيهِ ثُمَّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَامَ أَبَايُكَ قَبَسَطَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ وَقَالَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَأَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا
الْحَدِيثَ.

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ النَّخَعِ وَهُمْ آخِرُ الْوُفُودِ فِي مَائَتِي رَجُلٍ فَتَزَلُّوا
دَارَ الْأَضْيَافِ ثُمَّ جَاؤُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَرَّرِينَ بِالْإِسْلَامِ وَقَدْ كَانُوا
بَايَعُوا مُعَاذَ بْنِ جَبَلٍ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ زُرَّارَةُ بْنُ عَمْرِو يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي
سَفَرِي هَذَا عَجَبًا قَالَ وَمَا رَأَيْتُ قَالَ رَأَيْتُ أَتَانَا تَرَكْنَاهَا كَأَنَّهَا وَلَدَتْ جَذِيًا أَسْفَعَ أَخَوِي فَقَالَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تَرَكْتَ لَكَ مُصْرَّةً عَلَى حِمْلِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهَا قَدْ
وَلَدَتْ غُلَامًا وَهُوَ ابْنُكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُهُ أَسْفَعَ أَخَوِي قَالَ اذْنُ مِثِّي فَدَنَا مِنْهُ قَالَ هَلْ
يَكُ مِنْ بَرَصٍ تَكْتُمُهُ قَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ وَلَا أَطْلَعَ عَلَيْهِ غَيْرُكَ قَالَ

فَهُوَ ذَلِكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَأَيْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ الْمُثَدِرِ عَلَيْهِ قُرْطَانٍ وَدُمْلَجَانٍ وَمَسَكَتَانٍ قَالَ
 ذَلِكَ مُلْكُ الْعَرَبِ رَجَعَ إِلَى أَحْسَنِ زِيٍّ وَبَهَجَتِهِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَأَيْتُ عَجُوزًا شَمْطَاءَ
 خَرَجَتْ مِنَ الْأَرْضِ قَالَ تِلْكَ بَقِيَّةُ الدُّنْيَا قَالَ وَرَأَيْتُ نَارًا خَرَجَتْ مِنَ الْأَرْضِ فَحَالَتْ بَيْنِي
 وَبَيْنَ ابْنِ لِي يُقَالُ لَهُ عَمْرُو وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي آخِرِ
 الزَّمَانِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْفِتْنَةُ قَالَ يَقْتُلُ النَّاسُ إِمَامَهُمْ وَخَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ يَخْسِبُ الْمُسِيءُ فِيهَا أَنَّهُ مُحْسَنٌ وَيَكُونُ دَمُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ أَخْلَى
 مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ إِنْ مَاتَ ابْنُكَ أَذْرَكَكَ الْفِتْنَةُ وَإِنْ مِتُّ أَنْتَ أَذْرَكَهَا ابْنُكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْغُ
 اللَّهُ أَنْ لَا أَذْرِكَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ لَا يُذْرِكُهَا فَمَاتَ فَبَقِيَ ابْنُهُ
 فَكَانَ مِمَّنْ خَلَعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

المقصد الثالث

فِيمَا فَضَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ كَمَالِ خَلْقَتِهِ وَجَمَالِ صُورَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ الزَّكِيَّةِ
وَأَوْصَافِهِ الْمَرْضِيَّةِ وَمَا تَدْعُو ضَرُورَةَ حَيَاتِهِ إِلَيْهِ وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى شَمَائِلِهِ
الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

فِي كَمَالِ خَلْقَتِهِ وَجَمَالِ صُورَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اَعْلَمَ أَنَّ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ
خَلْقَ بَدَنِهِ الشَّرِيفِ عَلَى وَجْهِ لَمْ يَظْهَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ خَلْقٌ آدَمِيٌّ مِثْلُهُ قَالَ الْأَبُوصَيْرِيُّ :

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اضْطَفَّاهُ حَبِيبًا بَارِيءُ النَّسَمِ
مُنَزَّةً عَنِ شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوَّهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ
قَالَ الْقُرْطُبِيُّ لَمْ يَظْهَرْ لَنَا تَمَامُ حُسْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ لَوْ ظَهَرَ لَنَا تَمَامُ حُسْنِهِ
لَمَا أَطَاقَتْ أَغْيُنُنَا رُؤْيَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (فَأَمَّا وَجْهُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَدْ رَوَى الشُّيْخَانِ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا
وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَسُئِلَ الْبَرَاءُ أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ السَّيْفِ فَقَالَ لَا بَلْ مِثْلُ
الْقَمَرِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ أَكَانَ وَجْهُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ السَّيْفِ فَقَالَ لَا بَلْ مِثْلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَكَانَ مُسْتَدِيرًا .
وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ أَيْ مُقَمَّرَةٍ
وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حُمْرَاءُ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَى الْقَمَرِ فَلَهِرَ فِي عَيْنَيَّ أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ . وَرَوَى
التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ نَعَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ

وَلَا الْمُكَلَّمُ وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَذْوِيرٌ وَالْمُطَهَّمُ الْكَثِيرُ السَّمَنُ وَالْمُكَلَّمُ الْمُدَوَّرُ الْوَجْهِ أَيْ لَمْ يَكُنْ شَدِيدَ تَذْوِيرِ الْوَجْهِ بَلْ فِي وَجْهِهِ تَذْوِيرٌ قَلِيلٌ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسِيلَ الْحَدِيثِ. وَالْحَدُّ الْأَسِيلُ هُوَ مَا فِيهِ اسْتِطَالَةٌ غَيْرُ مُرْتَفِعِ الْوَجْهِ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَتَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ تَبَرَّقَ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ. وَفِي حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ التَّفَتُّ إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَجْهِهِ مِثْلُ شِقَةِ الْقَمَرِ فَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى صِفَتِهِ عِنْدَ الْإِتِّفَاتِ، وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ كَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّهُ دَارَةُ قَمَرٍ. وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ امْرَأَةٍ مِنْ هَمْدَانَ قَالَتْ حَجَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهَا شَبِيهَ قَالَتْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَمْ أَرُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَرَوَى الدَّارِمِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ قُلْتُ لِلرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِذٍ صِفِي لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَوْ رَأَيْتَهُ قُلْتُ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ صِفْ لَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا سُرَّ فَكَانَ وَجْهُهُ الْمِرَّةَ وَكَانَ الْجُدْرُ تُرَى فِي وَجْهِهِ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ يَتْلَأُ وَجْهُهُ تَلَاؤُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، (وَأَمَّا بَصَرُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا رَأَى الْبَصَرَ وَمَا طَعَى﴾ وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرَى بِاللَّيْلِ فِي الظُّلْمَةِ كَمَا يَرَى بِالنَّهَارِ فِي الضُّوءِ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَلْ تَرَوْنَ قَبْلَتِي هَهُنَا فَوَاللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ رُكُوعُكُمْ وَلَا سُجُودُكُمْ إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَعِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَى مَنْ خَلْفَهُ مِنَ الصُّفُوفِ كَمَا يَرَى مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي الشِّعَاءِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرَى فِي الثُّرَيَّا أَحَدَ عَشَرَ نَجْمًا وَعِنْدَ السُّهَيْلِيِّ اثْنَيْ عَشَرَ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ إِذَا التَّفَتُّ التَّفَتُّ

جَمِيعًا خَافِضَ الطَّرْفِ نَظَرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ جُلَّ نَظَرُهُ الْمَلَاخِظَةُ وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ اللَّحِظِ وَهُوَ النَّظَرُ بِشِقِّ الْعَيْنِ الَّذِي يَلِي الصَّدْعَ، وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ مُشْرَبَ الْعَيْنِ بِحُمْرَةِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَلِيعَ الْقَمِ أَشْكَلَ الْعَيْنَيْنِ مَلْهُوسَ الْقَدَمَيْنِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَالشُّكْلَةُ الْحُمْرَةُ تَكُونُ فِي بَيَاضِ الْعَيْنِ وَهُوَ مَحْمُودٌ مَحْبُوبٌ وَأَمَّا الشُّهْلَةُ فَإِنَّهَا حُمْرَةٌ فِي سَوَادِهَا. وَعِنْدَ الثُّرُمُذِيِّ فِي حَدِيثٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ نَعَتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ فِي وَجْهِهِ تَذْوِيرٌ أَبْيَضُ مُشْرَبٌ أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ وَهِيَ شَعْرُ الْعَيْنِ.

وَعِنْدَهُ أَيْضًا عَنْ عَلِيٍّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْوَدَ الْحَدَقَةِ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ. وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ فَرَأَيْتُ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ لِي صِفْ أَبَا الْقَاسِمِ فَقُلْتُ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ الْحَدِيثِ وَفِيهِ قَالَ عَلِيٌّ ثُمَّ سَكَتُ فَقَالَ الْحَبْرُ وَمَاذَا قُلْتُ هَذَا مَا يَحْضُرُنِي قَالَ الْحَبْرُ فِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ حَسَنُ اللَّحْيَةِ ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَتُهُ قَالَ الْحَبْرُ فَإِنِّي أَجِدُ هَذِهِ الصِّفَةَ فِي سِفْرِ آبَائِي وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً. (وَأَمَّا سَمْعُهُ الشَّرِيفُ) فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطْبَتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَبْطُ لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَنْبَهُتَهُ سَاجِدٌ لِلَّهِ تَعَالَى رَوَاهُ الثُّرُمُذِيُّ عَنْ أَبِي دَرٍّ. وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ قَالُوا مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ قَالَ إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطُ السَّمَاءُ وَمَا ثَلَاثٌ أَنْ تَبْطُ مَا فِيهَا مَوْضِعٌ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ. (وَأَمَّا جَبِينُهُ الْكَرِيمُ) فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِحَ الْجَبِينِ مَفْرُوعَ الْحَاجِبَيْنِ بِهَذَا وَصْفِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ مَفْرُوعُ الْحَاجِبَيْنِ صَلَّتُ الْجَبِينِ أَيْ وَاضِحُهُ وَعِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا رَجُلٌ حَسَنَ الْجِسْمِ عَظِيمَ الْجَبْهَةِ دَقِيقَ الْحَاجِبَيْنِ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ أَرَجَّ الْحَوَاجِبِ وَفُسِّرَ بِالْمُقَوَّسِ الطَّوِيلِ الْوَافِرِ الشَّعْرِ ثُمَّ قَالَ سَوَابِغٌ مِنْ غَيْرِ قَرْنٍ بَيْنَهُمَا عِزْقٌ يَدْرُهُ الْغَضَبُ.

وَعَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانٍ قَالَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْمَعْ وَأَطِعْ يَا بَنَ

الطَاهِرَةِ الْبُكَرِ الْبَثُولِ إِنِّي خَلَقْتُكَ مِنْ غَيْرِ فُحُلٍ فَجَعَلْتُكَ آيَةً لِلْعَالَمِينَ فَإِيَّايَ قَاعْبُدْ وَعَلَيَّ
فَتَوَكَّلْ فَيَسِّرْ لِأَهْلِ سُورَانَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا أَرُودُ صَدُقُوا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ صَاحِبَ
الْجَمَلِ وَالْمَذْرَعَةِ وَالْعِمَامَةِ وَالثُّغْلَيْنِ وَالْهَرَاوَةَ الْجَعْدَ الرَّأْسِ الصَّلْتَ الْجَبِينِ الْمُفْثُونَ الْحَاجِبَيْنِ
الْأَهْدَبَ الْأَشْفَارِ الْأَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ الْأَنْجَلَ الْعَيْنَيْنِ الْأَفْنَى الْأَنْفِ الْوَاضِحَ الْحَدِيثِ الْكَثَّ اللَّحِيَّةَ
عَرَقَهُ فِي وَجْهِهِ كَاللُّؤْلُؤِ وَرِيحُ الْمِسْكِ يَنْفَعُ مِنْهُ كَأَنَّ عُنُقَهُ إِبْرِيْقُ فِضَّةٍ الْحَدِيثِ . وَالْأَنْجَلَ
الْوَاسِعَ شِقَّ الْعَيْنِ وَالْفَرْقُ بِالْتَّخْرِيكِ الْبَقَاءَ الْحَاجِبَيْنِ .

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ وَالصَّحِيحُ فِي صِفَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ حَوَاجِبَهُ سَوَابِغٌ مِنْ غَيْرِ
قَرْنٍ كَمَا وَصَفَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ ابْنُ أَبِي هَالَةَ . وَالْقَتْنَى فِي الْأَنْفِ طُولُهُ وَرِقَّةُ أَرْبَعِينَ
مَعَ حَدَبٍ قَلِيلٍ فِي وَسْطِهِ ، وَقَدْ وَصَفَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ وَغَيْرُهُ بِأَنَّهُ كَانَ
عَظِيمَ الْهَامَةِ أَيُّ الرَّأْسِ . وَقَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ضَخْمُ الرَّأْسِ . وَقَالَ أَنَسٌ كَانَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضَخْمَ الْكَرَادِيْسِ وَهِيَ رُؤُوسُ الْعِظَامِ وَقَالَ فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ جَلِيلَ الْمُسَاشِ
وَالْكَتِدِ وَفُسَّرَ بِرُؤُوسِ الْعِظَامِ كَالرُّكْبَتَيْنِ وَالْمِرْقَتَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ أَيْ عَظِيمَهَا . وَالْكَتْدُ مُجْتَمِعُ
الْكَتِفَيْنِ .

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دَقِيقَ الْعِزِّينِ أَيْ أَعْلَى الْأَنْفِ كَمَا وَصَفَهُ بِهِ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ وَوَصَفَهُ أَيْضًا بِأَفْنَى الْأَنْفِ وَفُسِّرَ بِالسَّائِلِ الْمُرْتَفِعِ الْوَسْطِ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ أَفْنَى
الْعِزِّينِ لَهُ نُورٌ يَغْلُوهُ يَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشْمٌ . وَالْأَشْمُ الطَّوِيلُ قَصَبَةِ الْأَنْفِ . (وَأَمَّا فَمُهُ
الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ ضَلِيعَ الْقَمِ . وَقَالَ
ابْنُ أَبِي هَالَةَ يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتَتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ يَغْنِي لِسَعَةً فَمِهِ وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِهِ وَتَذُمُّ بِصِغَرِ
الْقَمِ . وَوَصَفَهُ ابْنُ أَبِي هَالَةَ فَقَالَ أَشْتَبَ مُفْلَجُ الْأَسْنَانِ . وَالشُّنْبُ رَوْقُ الْأَسْنَانِ وَمَاؤُهَا
وَمُفْلَجُ الْأَسْنَانِ أَيْ مُتَفَرِّقُهَا . وَقَالَ عَلِيُّ مُبْلَجُ الثَّنَائَا وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ بَرَأْتُ الثَّنَائَا . وَعَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْلَجَ الثَّنَائَيْنِ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ
بَيْنِ ثَنَائَاهُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ
عِبَادِ اللَّهِ شَفَتَيْنِ وَالْطَّفَفُ حَثَمٌ فَمٌ . وَعَنْ أَبِي قِرْصَافَةَ قَالَ بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَا وَأُمِّي وَخَالَتِي فَلَمَّا رَجَعْنَا قَالَتْ لِي أُمِّي وَخَالَتِي يَا بُنَيَّ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ
أَحْسَنَ وَجْهًا وَلَا أَفْقَى ثَوْبًا وَلَا أَلَيْنَ كَلَامًا وَرَأَيْنَا كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ . (وَأَمَّا رِيفُهُ الشَّرِيفُ)
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ الصَّحِيحُ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ يَوْمَ خَبِرَ لَاُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا قَالَ آيَنَ عَلَيَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ قَالُوا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأَتِي بِهِ فَبَصَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ قَبْرًا حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ.

وَمَجَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَشْرِ فَقَاحٍ مِنْهَا رَائِحَةُ الْمِسْكِ وَبَصَقَ فِي بَشْرِ فِي دَارِ أَنْسٍ فَلَمْ يَكُنْ بِالْمَدِينَةِ بَشْرٌ أَغْدَبَ مِنْهَا. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَدْعُو بِرُضْعَائِهِ وَرُضْعَاءِ ابْنَتَيْهِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَيَتَقَبَّلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَيَقُولُ لِلْأُمَّهَاتِ لَا تُرْضِعْنَهُمْ إِلَى اللَّيْلِ فَكَانَ رِيْقُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْزِيهِمْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ. وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ عُمَيْرَةُ بِنْتُ مَسْعُودٍ هِيَ وَأَخَوَاتُهَا يَبْتَاعُنَهُ وَهُنَّ خَمْسٌ فَوَجَدْنَهُ يَأْكُلُ قَدِيدًا فَمَضَعَتْ لَهُنَّ قَدِيدَةً فَمَضَعْنَهَا كُلُّ وَاحِدَةٍ قُطْعَةً فَلَقِيَنَّ اللَّهَ وَمَا وَجَدَ لِأَفْوَاهِهِمْ خُلُوفٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْخُلُوفُ تَغْيِيرُ رَائِحَةِ الْفَمِ. وَمَسَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ بَعْدَ أَنْ نَفَتْ فِيهَا مِنْ رِيْقِهِ عَلَى ظَهْرِ غُبَّةٍ وَبَطْنِهِ وَكَانَ بِهِ شَرَى فَمَا كَانَ يُشْمُ أَطْيَبَ مِنْهُ رَائِحَةً. وَأَعْطَى الْحَسَنَ لِسَانَهُ وَكَانَ قَدْ اشْتَدَّ ظَمْؤُهُ فَمَضَعَهُ حَتَّى رَوَى. (وَأَمَّا فَصَاحَةُ لِسَانِهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَفْصَحَ خَلْقِ اللَّهِ وَأَعْدَبَهُمْ كَلَامًا حَتَّى كَأَنَّ كَلَامَهُ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عُدَّ الْعَادُ لِأَخْصَاهُ وَكَانَ يُعِيدُ الْكَلِمَةَ ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ وَكَانَ يَقُولُ أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ وَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ أَفْصَحَنَا وَلَمْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا قَالَ كَانَتْ لُغَةُ إِسْمَاعِيلَ قَدْ دُرِسَتْ فَجَاءَنِي بِهَا جِبْرِيلُ فَحَفَظْتُهَا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ. وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ نَحْنُ بَنُو أَبِي وَاحِدٍ وَنَشَأْنَا فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ وَإِنَّكَ تُكَلِّمُ الْعَرَبَ بِلِسَانٍ مَا نَفْهَمُ أَكْثَرُهُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَذْبَنِي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ طُفْتُ فِي الْعَرَبِ وَسَمِعْتُ فَصَحَاءَهُمْ فَمَا سَمِعْتُ أَفْصَحَ مِنْكَ قَالَ أَذْبَنِي رَبِّي وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ. وَأَمَّا مَا يُرَوَى أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالْحَقِّ فَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ لَا أَضِلُّ لَهُ لَكِنْ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ.

وَقَدْ جَمَعَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُفْرَدَ الْمُوجَزَ الْبَدِيعَ الَّذِي لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ دَوَائِرٌ وَفِي كِتَابِ الشَّقَاءِ لِلْقَاضِي عِيَّاضٍ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي الْعَلِيلَ كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَسْلِمَ تَسْلَمَ، وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ
مَرَّتَيْنِ، السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَمِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ رَجَمَهُ اللَّهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا
الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، لَيْسَ لِلْعَامِلِ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا مَا نَوَاهُ، نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ
رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ. يَا حَيْلَ اللَّهِ ازْكَبِي رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

الْوَلَدُ يُلْفِرُاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَالْعَاهِرُ الزَّانِي، كُلُّ الصَّبْدِ فِي جَوْفِ
الْفَرَا رَوَاهُ الرَّامَهُزْمِيُّ وَالْفَرَا جِمَارُ الْوُحْشِ، الْحَزْبُ خَذَعَةُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ
الدُّمَنِ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ فِي الْمَنْثَبِ السُّوءِ رَوَاهُ الرَّامَهُزْمِيُّ وَالْدُّمَنِ جَمْعُ دِمْنَةٍ وَهِيَ الْبَغْرُ،
الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَنَّى إِنَّهُمْ بِطَانَتُهُ وَمَوْضِعُ سِرِّهِ، لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى
نَفْسِهِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهَ، لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ النَّاسَ إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ
رَوَاهُ ابْنُ جِبَّانَ، لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ رَوَاهُ
الشَّيْخَانِ، لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمَعَانِيَةِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ رَوَاهُ الْعُقَيْلِيُّ، الْبَلَاءُ
مُوكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ.

تَرَكُ الشَّرَّ صَدَقَةٌ، أَيُّ دَاءٍ أَذْوَى مِنَ الْبُخْلِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، لَا يَنْتَطِجُ فِيهَا عَنَزَانُ أَيُّ لَا
يَجْرِي فِيهَا خِلَافٌ وَلَا نِزَاعٌ، الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعَ
رَوَاهُ فِي مُسْنَدِ الْفَزْدَوِسَ، سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، فَضْلُ الْعِلْمِ
خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ، الْحَيْلُ فِي تَوَاصِيهَا الْخَيْرُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَفِي لَفْظِ
مَعْفُودٍ بِتَوَاصِيهَا الْخَيْرُ، أَعَجَلَ الْأَشْيَاءُ عُقُوبَةُ الْبَغْيِ، إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ
جَهْلًا وَإِنَّ مِنَ الشُّعْرِ حِكْمًا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، الصُّحَّةُ وَالْفَرَاغُ نِعْمَتَانِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، اسْتَعِيثُوا
عَلَى الْحَاجَاتِ بِالْكَيْتَمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ
رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ، مَنْ عَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، التَّدَمُّ
تَوْبَةٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعِلُهُ رَوَاهُ الْعَسْكَرِيُّ، حُبُّكَ الشَّيْءَ يُغْمِي وَيُصِمُّ
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، الْعَارِيَةُ مُؤَدَاةٌ وَالْمِنْحَةُ مَزْدُودَةٌ وَالذَّيْنُ مَقْضِيٌّ وَالزَّعِيمُ غَارِمٌ رَوَاهُ
التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ كَذَا رُوِيَ فِي عِدَّةٍ
رَوَايَاتٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ وَمَعْنَاهُ كَمَا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ عَظُمَ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَكَبُرَ لَدَيْهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ
رَضِي وَأَثَابَ، قُتِلَ صَبْرًا رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، لَيْسَ الْمَسْئُولُ بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ
وَغَيْرُهُ، لَا تَرْفَعِ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ أَذْبَا رَوَاهُ أَحْمَدُ أَيُّ لَا تَدْعُ تَأْدِيبَهُمْ وَجَمْعُهُمْ عَلَى طَاعَةٍ

اللَّهِ يُقَالُ شَقَّ الْعَصَا إِذْ قَارَقَ الْجَمَاعَةُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ الضَّرْبُ بِالْعَصَا وَلَكِنَّهُ جَعَلَهُ مَثَلًا، إِنَّ مِمَّا يُنْبِئُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبْطًا أَوْ يُلِيمُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالْحَبْطُ انْتِفَاحُ الْبَطْنِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ حَتَّى يَنْتَفِخَ فَيَمُوتَ أَوْ يُلِيمُ أَيُّ يَقْرُبُ مِنَ الْهَلَاكِ وَهُوَ مَثَلٌ لِلْمُنْهَمِكِ فِي جَمْعِ الدُّنْيَا الْمَانِعِ مِنْ إِخْرَاجِهَا فِي وَجْهِهَا، خَيْرُ مَالٍ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنِ نَائِمَةٍ وَمَعْنَاهُ عَيْنٌ مَاءٌ تَجْرِي لَيْلًا وَنَهَارًا وَصَاحِبُهَا نَائِمٌ، خَيْرُ مَالٍ الْمَرْءُ مُهَرَّةٌ مَأْمُورَةٌ أَوْ سِكَّةٌ مَأْمُورَةٌ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ وَمَعْنَى مَأْمُورَةٌ كَثِيرَةُ النَّتَاجِ وَسِكَّةٌ مَأْمُورَةٌ أَيُّ طَرِيقَةٌ مُصْطَفَاةٌ مِنَ النَّخْلِ، مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسْبُهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، رُزْغِبًا تَزْدَدُ حُبًّا رَوَاهُ الْبَزْزَاوِيُّ وَغَيْرُهُ، إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعَوْهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ، الْخُلُقُ السَّيِّئُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخُلُ الْعَسَلَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ، إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ وَلَا تُبْغِضْ لِنَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ فَإِنَّ الْمُتَنَبِّتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى رَوَاهُ الْبَزْزَاوِيُّ وَغَيْرُهُ وَالْمُتَنَبِّتُ الْمُتَقَطِّعُ وَالْمُرَادُ بِهِ الَّذِي يَغْسِفُ الرِّكَابَ وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَا لَا تُطِيقُ رَجَاءَ الْإِسْرَاعِ فَيَنْقَطِعُ ظَهْرُهُ فَلَا هُوَ قَطَعَ الْأَرْضَ الَّتِي أَرَادَ وَلَا أَبْقَى ظَهْرَهُ سَالِمًا.

إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، الْكَئِيسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيُّ رَوَاهُ الْحَاكِمُ، مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ فَدَعُهُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِحَمَالِهَا وَمَالِهَا وَدِينِهَا وَحَسَبِهَا فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّثَ يَدَاكَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَتَرَبَّثَ لَصِيفَتِ بِالثَّرَابِ أَيُّ افْتَقَرْتَ إِذَا خَالَفْتَ، الشَّيْءُ رِبِيعُ الْمُؤْمِنِ قَصْرَ نَهَارُهُ قَصَامُهُ وَطَالَ لَيْلُهُ فَقَامَهُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ، الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ وَكَثْرٌ لَا يَفْنَى رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ، مَا خَابَ مَنْ اسْتَحَارَ وَلَا تَدِمَ مَنْ اسْتَشَارَ وَلَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، الْإِقْتِصَادُ فِي الثَّقَفَةِ يَصْفُ الْمَعِيشَةَ وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ يَصْفُ الْعَقْلَ وَحُسْنُ السُّؤَالِ يَصْفُ الْعِلْمَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ، لَا عَقْلَ كَالْتَدْبِيرِ وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

الْمُسْلِمُ مِنَ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، التَّدْبِيرُ يَصْفُ الْمَعِيشَةَ وَالتَّوَدُّدُ يَصْفُ الْعَقْلَ وَالْهَمُّ يَصْفُ الْهَرَمَ وَقِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ، أَدُّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، الرِّضَاغُ يُغَيِّرُ الطَّبَاعَ رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ، لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. النَّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ رَوَاهُ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ، حُسْنُ الْعَهْدِ مَنْ

الإيمان رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عِنْدِي فَقَالَ لَهَا مَنْ أَنْتِ فَقَالَتْ جِئْتُكَ الْمُرِيَّةُ قَالَ أَنْتِ حَسَانَةُ كَيْفَ أَنْتُمْ كَيْفَ حَالُكُمْ كَيْفَ كُنْتُمْ قَالَتْ بِخَيْرٍ يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُقْبَلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالُ قَالَ إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ وَإِنْ حُسِنَ الْعَهْدُ مِنَ الْإِيمَانِ، جَمَالَ الرَّجُلُ فَصَاحَةُ لِسَانِهِ رَوَاهُ الْفَضَائِي، مِنْهُمَا مَنْ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ، لَا فَتْرَ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ وَلَا مَالٌ أَعَزُّ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا وَخْشَةُ أَشَدُّ مِنَ الْعُجْبِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه، الذَّنْبُ لَا يُنْسَى وَالْبِرُّ لَا يَنْبَلَى وَالذِّيَانُ لَا يَمُوتُ فَكُنْ كَمَا شِئْتَ رَوَاهُ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ .

مَا جُمِعَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَحْسَنُ مِنْ جِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ رَوَاهُ الْعَسْكَرِيُّ، التَّمِسُّوا الرِّزْقَ فِي حَبَايَا الْأَرْضِ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شُرَيْحٍ وَالْمُرَادُ الرِّزْقُ، كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعَدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ، صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ وَصَدَقَةُ السُّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، الْعَفْوُ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا عِزًّا وَالتَّوَاضُّعُ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا رِفْعَةً وَمَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ بِالْفَاطِ مُخْتَلِفَةً، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى رَوَاهُ الْأَزْبَعَةُ عَنْ عَائِشَةَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِيَّتِي أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ عَنْ شَكْلٍ .

الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ وَالْآخِرَةُ وَعَدَّ صَادِقٌ يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ عَادِلٌ يُحِقُّ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ فَكُونُوا أَبْنَاءَ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَا فَإِنْ كُلُّ أُمَّ يَنْبَغِيهَا وَلَدُهَا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ، أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةٌ مَنْ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ وَرَوَاهُ ابْنُ النَّجَّارِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةٌ رَجُلٌ أَخْلَقَ يَدَيْهِ فِي أَمَالِهِ وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الْآيَاتُ عَلَى أُمِّيَّتِهِ فَعَخَّرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بَغِيرَ زَادٍ وَقَدِمَ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ، إِنَّ مِنْ كُنُوزِ الْبَرِّ كِتْمَانَ الْمَصَائِبِ، الْيَمِينُ جِنْتُ أَوْ نَدَمٌ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ .

لَا تُظْهِرِ السَّمَاءُ بِأَخِيكَ يُعَافِيهِ اللَّهُ وَيَنْتَلِيكَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ قَالَهُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ، الْيَوْمَ الرَّهَانُ وَعَدَا السَّبَاقُ وَالْعَايَةُ الْجَنَّةُ وَالْهَالِكُ مَنْ دَخَلَ النَّارَ، مَنْ ضَمِنَ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ، فَهَذَا وَاشْبَاهُهُ مِمَّا يَغْسُرُ اسْتِفْصَاؤُهُ يَدْلُكَ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَقِيَ مِنَ الْفَصَاحَةِ

وَجَوَامِعِ الْكَلِمِ دَرَجَةً لَا يُقَاسُ بِهَا غَيْرُهُ وَحَازَ مَرْتَبَةً لَا يُقَدَّرُ فِيهَا قَدْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِمَّا عُدَّ مِنْ وَجُوهِ بَلَاعَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جَمَعَ مُتَفَرِّقَاتِ الشَّرَائِعِ وَقَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ فِي أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ وَهِيَ حَدِيثُ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَحَدِيثُ الْحَلَالِ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَحَدِيثُ الْبَيِّنَةِ عَلَى الْمُدْعِي وَالْيَمِينِ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ، وَحَدِيثُ لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُ الْمَرْءِ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، فَالْحَدِيثُ الْأَوَّلُ يَشْتَمِلُ عَلَى رُبْعِ الْعِبَادَاتِ وَالْحَدِيثُ الثَّانِي يَشْتَمِلُ عَلَى رُبْعِ الْمُعَامَلَاتِ وَالْحَدِيثُ الثَّلَاثُ يَشْتَمِلُ عَلَى رُبْعِ الْحُكُومَاتِ وَفَضْلِ الْخُصُومَاتِ وَالْحَدِيثُ الرَّابِعُ يَشْتَمِلُ عَلَى رُبْعِ الْأَذَابِ وَالْمُنَاصَفَاتِ وَيَدْخُلُ تَحْتَهُ التَّحْذِيرُ مِنَ الْجَنَائِزَاتِ قَالَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ.

وَقَدْ كَانَ مِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُكَلِّمَ كُلَّ ذِي لُغَةٍ بِلُغَتِهِ بِلُغَتِهِ عَلَى اخْتِلَافِ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَتَرْكِيبِ أَلْفَاظِهَا وَأَسَالِيبِ كَلِمِهَا وَكَانَ أَحَدُهُمْ لَا يَتَجَاوَزُ لُغَتَهُ وَإِنْ سَمِعَ لُغَةً غَيْرَهُ فَكَالْعَجَمِيَّةِ يَسْمَعُهَا الْعَرَبِيُّ وَمَا ذَلِكَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِقُوَّةِ إِلَهِيَّةٍ وَمَوْهَبَةِ رَبَّانِيَّةٍ لِأَنَّهُ بَعَثَ إِلَى الْكَافَّةِ طُرًّا وَإِلَى الْخَلِيقَةِ سُودًا وَحُمْرًا وَلَا يَوْجَدُ غَالِبًا مُتَكَلِّمٌ بِغَيْرِ لُغَتِهِ إِلَّا قَاصِرًا نَازِلًا عَنْ صَاحِبِ الْأَصَالَةِ بِتِلْكَ اللُّغَةِ إِلَّا نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ يَتَكَلَّمُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَفْصَحَ مِنْهَا بِلُغَةٍ نَفْسِهَا وَجَدِيرٌ بِهِ ذَلِكَ فَقَدْ أُوتِيَ فِي سَائِرِ الْقَوَى الْبَشَرِيَّةِ الْمَحْمُودَةِ زِيَادَةً عَلَى سَائِرِ النَّاسِ مَا لَا يَضِيطُّهُ قِيَاسٌ. (وَأَمَّا صَوْتُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا بَعَثَهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصُّوْتِ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصُّوْتِ.

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالثَّوْرِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِيَاهُ. وَقَدْ كَانَ صَوْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَبْلُغُ حَيْثُ لَا يَبْلُغُهُ صَوْتُ غَيْرِهِ فَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَسْمَعَ الْعَوَاتِقُ فِي حُدُورِهِنَّ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمُنْبَرِ فَقَالَ لِلنَّاسِ اجْلِسُوا فَسَمِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَهُوَ فِي بَنِي غَنَمٍ فَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ مُعَاذٍ التَّيْمِيُّ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ فَتَحَّ اللَّهُ أَسْمَاعَنَا حَتَّى إِنْ كُنَّا لَنَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا. وَعَنْ أُمِّ هَانِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كُنَّا نَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي، (وَأَمَّا ضِحْكُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَسَلَّمَ مُسْتَجْمِعًا قَطُ صَاحِبًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنْ مَا كَانَ يَتَبَسَّمُ . وَاللَّهَوَاتُ جَمْعُ لَهَاءٍ وَهِيَ اللَّخْمَةُ الَّتِي بِأَعْلَى الْحَنْجَرَةِ مِنْ أَفْصَى الْقَمِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ الْمَوَاقِعِ أَهْلَهُ فِي رَمَضَانَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَالنَّوَاجِذُ الْأَضْرَاسُ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ جُلُّ ضِخْكِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّبَسُّمُ وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْعَمَامِ قَالَ الْحَافِظُ بْنُ حَجَرٍ وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي مُعْظَمِ أَحْوَالِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى التَّبَسُّمِ وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَضَحِكَ ، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ وَالَّذِي يَتَّبِعِي أَنْ يُقْتَدَى بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِ مَا وَاطَبَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِذَا ضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَلَاؤُا فِي الْجُدْرِ أَيْ يُشْرِقُ نُورُهُ عَلَيْهِ إِشْرَاقًا كِإِشْرَاقِ الشَّمْسِ عَلَيْهَا .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِجَبْرِيلَ لَمْ يَتَبَسَّمْ صَاحِبًا حَتَّى يَرْفَعَ عَنْهُ بَلْ كَانَ إِذَا خَطَبَ أَوْ ذَكَرَ السَّاعَةَ اشْتَدَّ غَضَبُهُ وَعَلَا صَوْتُهُ كَأَنَّهُ مِنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَحَكُمْ وَمَسَاءَكُمْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَكَانَ بَكَاءُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ جِنْسِ ضِخْكِهِ لَمْ يَكُنْ بِشَهِيْقِي وَرَفَعَ صَوْتٍ كَمَا لَمْ يَكُنْ ضِخْكَهُ بِقَهْقَهَةٍ وَلَكِنْ تَذَمُّعٌ عَيْنَاهُ حَتَّى تَهْمَلَانِ وَيُسْمَعُ لَصْدَرِهِ أَرْبُزُ يَبْكِي رَحْمَةً لِمَنِيَتْ وَخَوْفًا عَلَى أَمْتِهِ وَشَفَقَةً وَمِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَأَحْيَانًا فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ .

وَقَدْ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّنَاقُظِ وَمَا تَنَاءَبَ نَبِيٌّ قَطُ ، (وَأَمَّا يَدُهُ الشَّرِيفَةُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَصَفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ بِأَنَّهُ كَانَ شَتْنُ الْكَفَّيْنِ أَيْ غَلِيظُ أَصَابِعِهِمَا وَبَأَنَّهُ عَنِ الْدَّرَاعَيْنِ رَحْبُ الْكَفَّيْنِ وَقَدْ مَسَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدَّ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُودَةِ عَطَارٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَالَ وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ لَقَدْ كُنْتُ أَصَافِحُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْ يَمَسُّ جِلْدِي جِلْدَهُ فَأَتَعَرَّفُهُ بَعْدَ فِي يَدِي وَإِنَّهُ لِأَطْيَبُ رَائِحَةٍ مِنَ الْمِسْكِ . وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ نَاوَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ . وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيْبَاجًا أَلْتَمَسْتُ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ كَانَتْ كَفُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُمْتَلِئَةً لَحْمًا غَيْرَ أَنَّهَا مَعَ ضَخَامَتِهَا كَانَتْ لَيْثَةً .

وَعَنْ مُعَاذٍ قَالَ رَدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ فِي سَفَرٍ فَمَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُ أَلْتَمَسْتُ مِنْ جِلْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَصِيبُ عَائِذُ بْنُ عَمْرِو فِي وَجْهِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَسَالَ

الدَّم عَلَى وَجْهِهِ وَصَدْرِهِ فَسَلَّتِ الثَّيْبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّم بِيَدِهِ عَنْ وَجْهِهِ وَصَدْرِهِ ثُمَّ دَعَا لَهُ فَكَانَ أَثَرُ يَدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى مُنْتَهَى مَا مَسَحَ مِنْ صَدْرِهِ غُرَّةً سَائِلَةً كَغُرَّةِ الْفَرَسِ رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ. وَمَسَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَ مَذْلُوكِ أَبِي سُفْيَانَ فَكَانَ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ يَدُهُ أَسْوَدَ وَشَابَ مَا سِوَى ذَلِكَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ. وَعَنْ أَبِي زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ مَسَحَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِي وَلِخَيْتِي ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ جَمِّلهُ قَالَ الرَّاوي عَنْهُ فَبَلَغَ بِضْعًا وَمِائَةً سَنَةً وَمَا فِي لِحْيَتِهِ بَيَاضٌ وَلَقَدْ كَانَ مُنْبَسِطَ الْوَجْهِ وَلَمْ يَنْقَبِضْ وَجْهُهُ حَتَّى مَاتَ رَوَاهُ النَّبْهَاقِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَمَسَحَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَأْسَ حَنْظَلَةَ بْنِ جَذِيمٍ بِيَدِهِ وَقَالَ لَهُ بُورِكَ فَيْكَ فَكَانَ يُؤْتَى بِالشَّاةِ الْوَارِمِ ضَرْعُهَا وَالْبَعِيرِ وَالْإِنْسَانِ بِهِ الْوَرَمُ فَيَتَفَلَّ فِي يَدِهِ وَيَمَسَحُ بِصَلْتِهِ ثُمَّ يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ عَلَى أَثَرِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَمْسَحُهُ ثُمَّ يَمَسَحُ مُضِيعَ الْوَرَمِ فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. وَقَدْ جَاءَ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بَيَاضُ إِبْطِئِهِ فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِئِهِ. قَالَ الطَّبْرِيُّ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْإِبْطَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ غَيْرُهُ. وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي حَرِيشٍ قَالَ ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَالَ عَلَيَّ مِنْ عَرَقٍ إِبْطِئِهِ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ رَوَاهُ الْبَزَّازُ.

وَوَصَفَهُ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فَقَالَ دُوْ مَسْرُوبَةٍ وَفُسَّرَ بِخَيْطِ الشَّعْرِ بَيْنَ الصُّدْرِ وَالسُّرَّةِ وَعِنْدَ النَّبْهَاقِيِّ لَهُ شَعْرَاتٌ مِنْ لَبْيِهِ إِلَى سُرَّتِهِ تَجْرِي كَالْقَضِيبِ لَيْسَ عَلَى صَدْرِهِ وَلَا عَلَى بَطْنِهِ غَيْرُهَا. وَوَصَفَتْ بَطْنَهُ أُمُّ هَانِيَةٍ فَقَالَتْ مَا رَأَيْتُ بَطْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا دَكْرَتِ الْقَرَّاطِيسَ الْمُثْنَى بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ كَأَنَّمَا صَبِغَ مِنْ فِضَّةٍ رَجُلَ الشَّعْرِ مُفَاضَ الْبَطْنِ عَظِيمَ مُشَاشِ الْمُنْكَبِّينَ وَمُفَاضَ الْبَطْنِ وَاسِعَهُ وَالْمُشَاشُ رُؤُوسُ الْعِظَامِ، وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مُحَرِّشِ الْكَعْبِيِّ قَالَ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْجِعْرَانَةِ لَيْلًا فَتَنَظَّرْتُ إِلَى ظَهْرِهِ كَأَنَّهُ سَبِيكَةٌ فِضَّةٌ. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعِيدًا مَا بَيْنَ الْمُنْكَبِّينَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَخِبَ الصُّدْرُ، (وَأَمَّا قَلْبُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ صَحَّ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَفَّهُ وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً فَقَالَ لَهُ هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ دَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ فَأَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ قَالَ أَنَسٌ فَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ الْمِخْيَطِ فِي

صَدْرِهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَهَذَا الشَّقُّ رُوِيَ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَرَاتٍ، (وَأَمَّا جَمَاعُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِخْدَى عَشْرَةٌ قَالَ الرَّائِي قُلْتُ لِأَنْسٍ أَوْكَانَ يُطِيقُهُ قَالَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَعَنْ مُعَاذٍ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ وَعَنْ مُجَاهِدٍ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَعَنْ أَنْسٍ مَرْفُوعًا يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا فِي الْجَمَاعِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يُطِيقُ ذَلِكَ قَالَ يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ.

وَقَدْ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْإِخْتِلَامِ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ مَا اخْتَلَمَ نَبِيٌّ قَطُّ وَإِنَّمَا الْإِخْتِلَامُ مِنَ الشَّيْطَانِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، (وَأَمَّا قَدَمُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَصَفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ بِأَنَّهُ كَانَ شَتْنُ الْقَدَمَيْنِ أَيْ غَلِيظُ أَصَابِعِهِمَا. وَعَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ كَزْدَمٍ قَالَتْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا نَسِيتُ طَوْلَ إِصْبَعِ قَدَمَيْهِ السَّبَابَةِ عَلَى سَائِرِ أَصَابِعِهِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ خُمَصَانُ الْأَخْمَصِينَ مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ. وَالْأَخْمَصُ مِنَ الْقَدَمِ الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا يَلْصُقُ بِالْأَرْضِ مِنْهَا عِنْدَ الْوُطْءِ وَالْخُمَصَانُ النَّبَالِغُ مِنْهُ وَمَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ أَيْ مَلَسَاوَتَانِ لِيَتَنَانِ لَيْسَ فِيهِمَا تَكْسُرٌ وَلَا شَقَاقٌ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ الْبَشَرِ قَدَمًا، (وَأَمَّا طَوْلُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا قَصِيرَ وَلَا طَوِيلَ وَهُوَ إِلَى الطَّوْلِ أَقْرَبُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ. وَوَصَفَهُ غَيْرُهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ وَالْمَرَادُ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ الْمُمْرِطُ فِي الطَّوْلِ مَعَ اضْطِرَابِ الْقَامَةِ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ أَطْوَلُ مِنَ الْمَرْبُوعِ وَأَقْصَرُ مِنَ الْمَشْدَبِ وَالْمَشْدَبُ الْبَائِنُ الطَّوِيلُ فِي نَحَافَةٍ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمُمَعِّطِ أَيْ الْمُتَنَاهِي الطَّوِيلِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ وَكَانَ يُنْسَبُ إِلَى الرَّبْعَةِ إِذَا مَشَى وَخَذَهُ وَلَمْ يَكُنْ عَلَى حَالٍ يَمَاشِيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُنْسَبُ إِلَى الطَّوِيلِ إِلَّا طَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَرُبَّمَا اخْتَنَفَهُ الرَّجُلَانِ الطَّوِيلَانِ فَيَطْوِلُهُمَا فَإِذَا فَارَقَاهُ نُسِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الرَّبْعَةِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ وَزَادَا ابْنُ سَنَعٍ فِي الْخَصَائِصِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا جَلَسَ يَكُونُ كَنَفُهُ أَعْلَى مِنْ جَمِيعِ الْجَالِسِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَصَفَهُ ابْنُ أَبِي هَالَةَ بِأَنَّهُ بَادِنٌ مُتَمَاسِكٌ أَيْ مُعْتَدِلٌ الْخَلْقِي كَأَنَّ أَعْضَاءَهُ يُمَسِكُ بَعْضُهَا بَعْضًا، (وَأَمَّا شَعْرُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنِ قَتَادَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَنْسًا

وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذَهْنَ رَأْسِهِ وَتَسْرِيحَ لِحْيَتَيْهِ رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ . وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْحَلَّاقُ يُخْلِفُهُ وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَلَمْ يَزَوْا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَلَقَ رَأْسَهُ الشَّرِيفَ فِي غَيْرِ نُسُكٍ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ فَتَكُونُ تَبْقِيَةُ الشَّعْرِ فِي الرَّأْسِ سُنَّةً وَمُنْكَرُهَا مَعَ عِلْمِهِ يَجِبُ تَأْذِيئُهُ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّبْقِيَةَ يَبَاحُ لَهُ إِزَالَتُهُ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ قُلْتُ لِعَبِيدَةَ عِنْدَنَا مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْبَنَاهُ مِنْ قَبْلِ أَنَسٍ قَالَ لَأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعْرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ مِنْ لِحْيَتَيْهِ مِنْ عَرْضِهَا وَطُولِهَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَرَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصُ شَارِبَيْهِ ، وَأَمَّا الْعَانَةُ فَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَتَنَوَّرُ وَكَانَ إِذَا كَثُرَ شَعْرُهُ حَلَقَهُ . وَفِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا طَلَى بَدَأَ بِعَانَتَيْهِ وَطَلَاهَا بِالثُّورَةِ وَسَائِرِ جَسَدِهِ أَهْلُهُ . وَحَدِيثُ دُخُولِهِ الْحَمَامَ مَوْضُوعٌ .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ مُزْسَلِ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَظْفَارِهِ وَشَارِبَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَفَارِقُ سِوَاكَهُ وَمِشْطَهُ وَكَانَ يَنْظُرُ فِي الْمِرْآةِ إِذَا سَرَّحَ لِحْيَتَهُ . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَهُ مَكْحَلَةٌ يَكْتَحِلُ مِنْهَا كُلَّ لَيْلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ ثَلَاثَةً فِي هَلِيزِهِ وَثَلَاثَةً فِي هَلِيزِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ وَزَادَ أَحْمَدُ يَكْتَحِلُ بِالْإِثْمِيدِ وَالْإِثْمِيدُ حَبْرُ الْكُحْلِ أَسْوَدُ يَضْرِبُ إِلَى حُمْرَةٍ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ أَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَطَيَّبُ قَالَتْ نَعَمْ بِذِكَارَةِ الطَّيِّبِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالذَّكَارَةِ جَمْعُ ذَكَرٍ مَا يَصْلُحُ لِلرِّجَالِ وَهُوَ مَا لَا لَوْنَ لَهُ (وَأَمَّا مَشْيُهُ الشَّرِيفِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى تَكْفَأُ تَكْفَأًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ وَالتَّكْفُؤُ الْمِيلُ إِلَى سَتْرِ الْمَشْيِ وَالصَّبَبُ الْمَكَانُ الْمُنْحَدِرُ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ إِذَا وَطِئَ بِقَدَمَيْهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا . وَعَنْهُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطَوَّى لَهُ إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرِبٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى مَشَى مُجْتَمِعًا أَيِ قَوِيٍّ الْأَغْضَاءُ غَيْرُ مُسْتَرَخٍ فِي الْمَشْيِ .

وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ إِذَا زَالَ زَالَ تَقَلَّعًا يَخْطُرُ تَكْفِيًا وَيَمْشِي هَوْنًا ذَرِيعَ الْمِشْيَةِ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ . قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ التَّقْلُعُ الْإِزْتِفَاعُ مِنَ الْأَرْضِ بِجُمْلَتِهِ كَحَالِ الْمُنْحَطِّ فِي الصَّبَبِ وَهِيَ مِشْيَةُ أُولَى الْعِزْمِ وَالْهَمَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَهِيَ أَعْدَلُ الْمِشْيَاتِ وَأَزَوَحَهَا لِلْأَغْضَاءِ . وَأَمَّا مِشْيَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ فَكَانُوا يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ خَلْفَهُمْ وَيَقُولُ خَلُّوا ظَهْرِي لِلْمَلَائِكَةِ وَمَشَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَعْضِ غُرَوَاتِهِ مَرَّةً فَجَرِحَتْ إِبْصَعُهُ وَسَالَ مِنْهَا الدَّمُ فَقَالَ هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِبْصَعٌ ذَمِيتَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظِلٌّ فِي شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ . قَالَ ابْنُ سِنَعٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُورًا فَكَانَ إِذَا مَشَى بِالشَّمْسِ أَوْ الْقَمَرِ لَا يَظْهَرُ لَهُ ظِلٌّ ، (وَأَمَّا لَوْنُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَصَفَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَمُهورُ أَصْحَابِهِ بِالْبَيَاضِ فَمِنْ عِبَارَاتِهِمْ كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا ، كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ ، مَا أَنْسَى شِدَّةَ بَيَاضِ وَجْهِهِ مَعَ شِدَّةِ سَوَادِ شَعْرِهِ ، رَوَى هَذَا الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ وَفِي شِعْرِ أَبِي طَالِبٍ :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَزَامِلِ

وَقَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَبْيَضُ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةِ ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَزْهَرُ اللَّوْنِ ، وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمَهَقٌ . وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ بَيَاضُهُ إِلَى السُّمْرَةِ قَالَ النَّبَهَقِيُّ يُقَالُ إِنَّ الْمُشْرَبَ مِنْهُ بِحُمْرَةِ وَإِلَى السُّمْرَةِ مَا ضَحَى لِلشَّمْسِ وَالرَّيْحِ أُنِيَ كَالْوَجْهِ وَالْعُنُقِ وَأَمَّا مَا تَحْتَ الثِّيَابِ فَهُوَ الْأَزْهَرُ الْأَبْيَضُ ، (وَأَمَّا طِيبُ رِيحِهِ وَغَرِقِهِ وَفَضْلَاتِهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَتْ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ صِفَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ لَمْ يَمَسَّ طِيبًا قَالَ أَنَسٌ مَا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ وَلَا مِسْكَ وَلَا عَثْبَرًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ أُمِّ عَاصِمٍ امْرَأَةِ عُثْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ السَّلَمِيِّ قَالَتْ كُنَّا عِنْدَ عُثْبَةَ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا وَهِيَ تَجْتَهِدُ فِي الطَّيِّبِ لِتَكُونَ أَطْيَبَ مِنْ صَاحِبَتَيْهَا وَلَا يَمَسُّ عُثْبَةُ الطَّيِّبَ إِلَّا أَنْ يَمَسَّ دُهنًا يَمَسُّحُ بِهِ لِخَبِيثَتِهِ وَلَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَّا وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى النَّاسِ قَالُوا مَا شَمِمْنَا رِيحًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ عُثْبَةَ فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا إِنَّا لَتَجْتَهِدُ فِي الطَّيِّبِ وَلَأَنْتِ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَّا فَمِمَّ ذَلِكَ فَقَالَ أَخَذَنِي الشَّرَى عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ ذَلِكَ فَأَمَرَنِي أَنْ أَتَجَرَّدَ فَتَجَرَّدْتُ وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَلْقَيْتُ ثَوْبِي عَلَى فَرْجِي فَفَنَّتْ فِي يَدِهِ ثُمَّ مَسَحَ

ظَهَرِي وَبَطْنِي بِيَدِهِ فَعَبَقَ بِي هَذَا الطَّيِّبُ مِنْ يَوْمِيذِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرَوَى أَيْضًا قِصَّةَ الَّذِي اسْتَعَانَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى تَجْهِيزِ ابْنَتِهِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَاسْتَدْعَى بِقَارُورَةَ فَسَلَّتْ لَهُ فِيهَا مِنْ عَرَقِهِ وَقَالَ مُرَّهَا فَلْتَطَّيَّبَ بِهِ فَكَانَتْ إِذَا تَطَّيَّبَتْ بِهِ شَمُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَلِكَ الطَّيِّبَ فُسُمُوا بَيْنَ الْمُطَيِّبِينَ .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرَّ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ وَجَدُوا مِنْهُ رَائِحَةَ الطَّيِّبِ وَقَالُوا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَنُورَهُمْ لَوْنًا لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ قَطُّ إِلَّا شَبَّهَ وَجْهَهُ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَكَانَ عَرَقُهُ فِي وَجْهِهِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ أَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عِنْدَنَا فَرَقٌ وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُكُ الْعَرَقَ فِيهَا فَاسْتَيْقِظَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ قَالَتْ هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طَيْبِنَا وَهُوَ أَطْيَبُ الطَّيِّبِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ كَانَتْ مَحْرَمًا لَهُ مِنْ قِبَلِ الرِّضَاعِ . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ خَدَّهُ قَالَ فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُودَةِ عَطَارٍ قَالَ غَيْرُهُ مَسَّهَا بِطَيْبٍ أَمْ لَمْ يَمَسَّهَا يُصَافِحُ الْمُصَافِحَ فَيَظَلُّ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَهَا وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيَعْرِفُ مِنْ بَيْنِ الصَّبِيَّانِ بِرِيحِهَا .

وَقَدْ وَرَدَ مِمَّا عَزَاهُ الْقَاضِي عِيَاضُ لِلْأَخْبَارِيِّينَ وَمَنْ أَلْفَ فِي السَّمَائِلِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَغَوَّطَ انْشَقَّتِ الْأَرْضُ وَابْتَلَعَتْ بَوْلَهُ وَغَائِطَهُ وَفَاحَتْ لِذَلِكَ رَائِحَةُ طَيِّبَةٍ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ حَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامًا لِبَعْضِ قُرَيْشٍ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ حِجَامَتِهِ أَخَذَ الدَّمَ فَلَذَّبَ بِهِ مِنْ وَرَاءِ الْحَائِطِ فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَرَ أَحَدًا فَحَسَى دَمَهُ حَتَّى فَرَّغَ ثُمَّ أَقْبَلَ فَتَنَظَّرَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ وَنَحَكَ مَا صَنَعْتَ بِالدَّمِ قَالَ قُلْتُ غَيَّبْتُهُ مِنْ وَرَاءِ الْحَائِطِ قَالَ أَيْنَ غَيَّبْتَهُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَفِسْتُ عَلَى دِمِكَ أَنْ أَهْرِيقَهُ فِي الْأَرْضِ فَهُوَ فِي بَطْنِي فَقَالَ اذْهَبْ فَقَدْ أَخْرَزْتُ نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ .

وَلَمَّا جَرِحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَصَّ جُزْخَهُ مَالِكٌ وَالِدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ حَتَّى أَلْقَاهُ وَلَاخَ أَيْبَضَ فَقَالَ مُجَهٌ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أَمُجُّهُ أَبَدًا ثُمَّ ازْدَرَدَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا فَاسْتَشْهَدَهُ . وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ اخْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي الدَّمَ فَقَالَ أَذْهَبَ فَعَيْتُهُ فَذَهَبْتُ فَشَرِبْتُهُ فَأَتَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قُلْتُ عَيْتُهُ قَالَ لَعَلَّكَ شَرِبْتُهُ قُلْتُ شَرِبْتُهُ فَقَالَ وَيْلَ لَكَ مِنَ النَّاسِ وَيْلَ لِلنَّاسِ مِنْكَ وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةٌ وَلَا تَمْسُكِ النَّارَ . وَعَنْ أُمِّ أَيْمَنَ قَالَتْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى فُخَّارَةٍ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ فَبَالَ فِيهَا فَقُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ وَأَنَا عَطْشَانَةٌ فَشَرِبْتُ مَا فِيهَا وَأَنَا لَا أَشْعُرُ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا أُمُّ أَيْمَنَ قُومِي فَأَهْرِيقِي مَا فِي تِلْكَ الْفُخَّارَةِ فَقُلْتُ قَدْ وَاللَّهِ شَرِبْتُ مَا فِيهَا قَالَتْ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَا يَبْجَعَنَّ بَطْنُكَ أَبَدًا .

وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى طَهَارَةِ بَوْلِهِ وَدَمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ حَجَرٍ قَدْ تَكَثَّرَتْ الْأَدِلَّةُ عَلَى طَهَارَةِ فَضْلَانِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَّ الْأَيْمَةُ ذَلِكَ فِي خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَقَلَ التَّوَوُّيُّ عَنِ الْقَاضِي حُسَيْنٍ أَنَّ الْأَصْحَاقَ الْقَطْعُ بِطَهَارَةِ الْجَمِيعِ وَبِهَذَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا قَالَ الْعَنِّي ، وَكَانَ أَكْثَرَ أَحْوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَوْلُ عَنْ قُعُودٍ وَبَالَ قَائِمًا لِبَيَانِ الْجَوَازِ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْخَلَاءَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ . وَالْخُبْثُ ذِكْرَانُ الشَّيَاطِينِ وَالْخَبَائِثُ إِنَائِهَا . وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ لَمْ يَرْفَعْ ثَوْبَهُ حَتَّى يَدْخُلَ مِنَ الْأَرْضِ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ غُفْرَانُكَ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَسٍ كَانَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأَذَى وَعَاقَانِي . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقَبِيلَةَ وَلَا يُولِهَا ظَهْرَهُ وَلَكِنْ شَرُّقُوا أَوْ غَرَّبُوا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِيهِ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَنْجَى بِالْمَاءِ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَنْجَى بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ .

الفصل الثاني

فِيمَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الزَّكِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خُلُقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي أَخْرِجْهُ أَحْمَدَ وَغَيْرَهُ وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي حَدِيثٍ دُعَاءُ الْإِفْتِتَاحِ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا

أَنْتَ، وَلَمَّا اجْتَمَعَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خِصَالِ الْكَمَالِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ حَدٌّ وَلَا يَحْضُرُهُ عَدُّ أَتَى اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وَحُسْنُ الْخُلُقِ مَلَكَ نَفْسَانِيَّةٍ يَسْهُلُ عَلَى الْمُتَصِفِ بِهَا الْإِثْيَانُ بِالْأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ وَإِنَّمَا كَانَ خُلُقُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَظِيمًا لِاجْتِمَاعِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِيهِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَنِي بِتَمَامِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَمَالِ مَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمُوطَأِ بُعِثْتُ لِأَتُمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ خُلُقُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فَكَمَا أَنَّ مَعَانِي الْقُرْآنِ لَا تَنْتَاهِي كَذَلِكَ أَوْصَافُهُ الْجَمِيلَةُ الدَّالَّةُ عَلَى خُلُقِهِ الْعَظِيمِ لَا تَنْتَاهِي إِذْ فِي كُلِّ حَالَةٍ مِنْ أَحْوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَجَدَّدُ لَهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشَّيَمِ وَمَا يُفِيضُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ مَعَارِفِهِ وَعُلُومِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى فَإِذَا التَّعَرَّضُ لِحَضَرِ جُزْئِيَّاتِ أَخْلَاقِهِ الْجَمِيلَةِ تَعَرَّضُ لِمَا لَيْسَ مِنْ مَقْدُورِ الْإِنْسَانِ وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْبُولًا عَلَى الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ فِي أَصْلِ خَلْقِهِ الرُّكْبَةِ الثَّقِيَّةِ لَمْ يَحْضَلْ لَهُ ذَلِكَ بِرِيَاضَةِ نَفْسٍ بَلْ بِجُودِ إِلَهِيٍّ وَلِهَذَا لَمْ تَزَلْ تُشْرِقُ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ فِي قَلْبِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْعَالِيَةِ الْعُلْيَا وَالْمَقَامِ الْأَسْنَى وَأَصْلُ هَذِهِ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ كَمَالِ الْعَقْلِ لِأَنَّ بِهِ تُفْتَبَسُ الْفَضَائِلُ وَتُجْتَنَّبُ الرَّدَائِلُ وَهُوَ أَمْرٌ رُوحَانِيٌّ بِهِ تُدْرِكُ النَّفْسُ الْعُلُومَ الضَّرُورِيَّةَ وَالنَّظَرِيَّةَ.

وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَمَالِ الْعَقْلِ فِي الْغَايَةِ الْفُضُوزَى الَّتِي لَمْ يَبْلُغَهَا بَشَرٌ سِوَاهُ. قَالَ وَهَبُ بْنُ مُثَنَّى قَرَأْتُ فِي أَحَدٍ وَسَبْعِينَ كِتَابًا فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُعْطِ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ بَدَنِ الدُّنْيَا إِلَى انْقِضَائِهَا مِنَ الْعَقْلِ فِي جَنْبِ عَقْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَحَبَّةِ زَمَلٍ مِنْ جَمِيعِ رِمَالِ الدُّنْيَا وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلًا وَأَفْضَلُهُمْ رَأْيًا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْجِلِّيَّةِ وَابْنُ عَسَاكِرَ، وَفِي عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ عَنْ بَعْضِهِمُ اللَّبُّ وَالْعَقْلُ مِائَةُ جُزْءٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجُزْءٌ فِي سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَنْ تَأَمَّلَ حُسْنَ تَدْبِيرِهِ لِلْعَرَبِ الَّذِينَ هُمْ كَالْوَحْشِ الشَّارِدِ مَعَ الطَّبِيعِ الْمُتَنَافِرِ الْمُتَبَاعِدِ وَكَيْفَ سَاسَهُمْ وَاحْتَمَلَ جَفَاهُمْ وَصَبَرَ عَلَى أَذَاهُمْ إِلَى أَنْ انْقَادُوا إِلَيْهِ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَقَاتَلُوا دُونَهُ أَهْلِيَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَاخْتَارُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَهَجَرُوا فِي رِضَا أَوْطَانِهِمْ وَأَجْبَاءَهُمْ مِنْ غَيْرِ مُمَارَسَةٍ سَبَقَتْ لَهُ وَلَا مُطَالَعَةٍ كُتِبَ يَتَعَلَّمُ مِنْهَا سِيرَ الْمَاضِينَ تَحَقَّقَ أَنَّهُ أَغْقَلَ الْعَالَمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا كَانَ عَقْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْسَعَ الْعُقُولِ لَا جَرَمَ اتَّسَعَتْ أَخْلَاقُ نَفْسِهِ

الْكُرَيْمَةِ اتَّسَاعًا لَا يَضِيقُ عَنْ شَيْءٍ. فَمِنْ ذَلِكَ اتَّسَاعُ خُلُقِهِ الْعَظِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحِلْمِ وَالْعَفْوِ مَعَ الْقُدْرَةِ وَصَبْرُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَا يَكْرَهُ وَحَسَنُكَ صَبْرُهُ وَعَفْوُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ الْكَافِرِينَ بِهِ الْمُقَاتِلِينَ لَهُ الْمُحَارِبِينَ لَهُ فِي أَشَدِّ مَا نَالُوهُ مِنْهُ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْجُهْدِ بِحَيْثُ كُسِرَتْ رِجَاعِيَّتُهُ وَشُجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى صَارَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ الشَّرِيفِ حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ شَدِيدًا وَقَالُوا لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَانًا وَلَكِنْ بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً لِلَّهِمْ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَفِي رِوَايَةٍ أَهْدَى قَوْمِي.

وَقَدْ وَقَعَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ غَضِبَ لِأَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ مَرْجِعُهَا إِلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَصَبْرُهُ وَعَفْوُهُ إِنَّمَا كَانَ فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ. وَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ وَهُوَ أَجَلُ أَخْبَارِ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا أَنَّهُ قَالَ لَمْ يَنْقُ مِنْ عِلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبَرْهُمَا مِنْهُ يَسْبِقُ جِلْمُهُ جَهْلُهُ وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا فَكُنْتُ أَتَلَطَّفُ لَهُ لِأَنَّا أَخَالِطُهُ فَأَعْرِفُ جِلْمَهُ وَجَهْلَهُ فَأَبْتَغْتُ مِنْهُ تَمَرًا إِلَى أَجَلٍ فَأَعْطَيْتُهُ التَّمَنَّا فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الْأَجَلِ بَيِّمِينَ أَوْ ثَلَاثَةِ أَتَيْنُهُ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِيعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهِ غَلِيظٍ ثُمَّ قُلْتُ أَلَا تَفْضِيصِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي قَوْلَالِهِ إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُطَّلٌ فَقَالَ عَمَرُ أَيْ عَدُوُّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَسْمَعُ قَوْلَالِهِ لَوْلَا مَا أَحْدَاثُ قُوَّتِهِ لَصَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى عَمَرَ فِي سُكُونٍ وَتَوَعُّدَةٍ وَتَبَسُّمٍ.

ثُمَّ قَالَ أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عَمَرُ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ وَتَأْمُرُهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي اذْهَبْ بِهِ يَا عَمَرُ فَاغْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مَكَانَ مَا رُغْتَهُ فَقَعَلَ فَقُلْتُ يَا عَمَرُ كُلُّ عِلَامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتَهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبَرْهُمَا فَقَدْ اخْتَبَرْتُهُمَا أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كُنْتُ أَمْسِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَذْرَكَ أَغْرَابِي فَجَبَدَ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً فَتَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِهِ وَقَدْ أَثَرَتْ فِيهِ حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ مُزِلِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحَكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ. وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ بِشَرِّ أَخِي الْعَشِيرَةِ وَبِشَرِّ ابْنِ الْعَشِيرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهْدِي بِبَنِي فَحَاشَا إِنْ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ هَذَا الرَّجُلُ هُوَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْأَحْمَقُ الْمُطَاعُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَوَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا مِثْلُ هَذِهِ الْقِصَّةِ مَعَ مُحَرَّمَةَ بْنِ نُوفَلٍ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ لَمْ يَكُنْ عُيَيْنَةُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ حِينَئِذٍ أَسْلَمَ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَهُ أُمُورٌ تَذُلُّ عَلَى ضَعْفِ إِيْمَانِهِ وَمَا لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْلِمًا بِذِكْرِ اسْمِهِ أَيْ بِصَرْيَحِهِ وَمَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا سُئِلَ شَيْئًا قَطُّ فَمَتَعَهُ إِلَّا أَنْ يُسْأَلَ مَاكُمَا وَمَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ فَيَكُونُ لِلَّهِ يَنْتَقِمُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

وَمِمَّا رُوِيَ مِنْ اتِّسَاعِ خُلُقِهِ وَجَلَمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتِّسَاعُ خُلُقِهِ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْذُونَهُ إِذَا غَابَ وَيَتَمَلَّقُونَ لَهُ إِذَا حَضَرَ وَذَلِكَ مِمَّا تَنَفَّرُ مِنْهُ النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ حَتَّى تُؤْيِدَهَا الْعِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. كُلَّمَا أُذِنَ لَهُ فِي التَّشْدِيدِ عَلَيْهِمْ فَتَحَ لَهُمْ بَابًا مِنَ الرَّحْمَةِ، وَلَمْ يُؤَاخِذْ لِبَيْدِ بْنِ الْأَعَصَمِ إِذْ سَحَرَهُ وَعَفَا عَنِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي سَمَّيْتُهُ فِي الشَّأْءِ عَلَى الصَّحِيحِ، وَمِنْ اتِّسَاعِ خُلُقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَاضَعُهُ وَحُسْنُ عِشْرَتِهِ مَعَ أَهْلِهِ وَخَدَمِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحَسْبُكَ مِنْ تَوَاضَعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ خَيْرَهُ رَبُّهُ تَعَالَى بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا فَأَعْطَاهُ اللَّهُ بِتَوَاضَعِهِ أَنْ جَعَلَهُ أَوَّلَ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلَ شَافِعٍ وَأَوَّلَ مُشْفَعٍ فَلَمْ يَأْكُلْ مَثْكَبًا بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا تُظْرُونِي كَمَا أَظُرْتُ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَمِنْ تَوَاضَعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَنْهَرُ خَادِمًا قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أَفْ قَطُّ وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتُهُ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكَتُهُ لِمَ تَرَكَتُهُ وَكَذَلِكَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عِبِيدِهِ وَإِمَائِهِ مَا ضَرَبَ مِنْهُمْ أَحَدًا قَطُّ وَهَذَا أَمْرٌ لَا تَنْسِيهِ لَهُ الطَّبَاعُ الْبَشَرِيَّةُ لَوْلَا التَّأْيِيدَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ. وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا ضَرَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَسُئِلْتُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَلَا فِي بَيْتِهِ قَالَتْ أَلَيْنَ النَّاسِ بَسَامًا ضَحَّاكًا لَمْ يَرْ قَطُّ مَاذَا رَجَلِيهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ . وَعَنْهَا مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَصْحَابِ إِلَّا قَالَ لَبَّيْكَ . وَرَوَى عَنْهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَرْقَعُ دَلْوَهُ وَيَقْلِي ثَوْبَهُ وَيَحْلُبُ شَاتَهُ وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ وَهَذَا يَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَى أَوْقَاتٍ فَإِنَّهُ ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ خَدَمٌ فَتَارَةً يَكُونُ بِنَفْسِهِ وَتَارَةً بِغَيْرِهِ وَتَارَةً بِالْمَشَارَكَةِ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ وَيُزِدُ خَلْفَهُ وَرَكِبَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلِ مِنْ لَيْفِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ زَارَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَرَادَ الْأَنْصِرَافَ قَرَّبَ إِلَيْنِهِ سَعْدُ حِمَارًا وَطَأَّ عَلَيْهِ بِقَطِيفَةٍ وَرَكِبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ ثُمَّ قَالَ سَعْدُ يَا قَيْسُ اضْحَبْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَيْسٌ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اذْكَبْ فَأَبَيْتُ فَقَالَ إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ تُنْصَرِفَ وَفِي رِوَايَةٍ اذْكَبْ أَمَامِي فَصَاحِبُ الدَّابَّةِ أَوْلَى بِمُقَدِّمِهَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ . وَأَزْدَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ نِسَائِهِ وَأَزْدَفَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَزْدَفَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَلَمَّا قَدِمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ اسْتَقْبَلَهُ أَغْلِمَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَحَمَلَ وَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَآخَرَ خَلْفَهُ .

وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي مُخْتَصَرِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ حِمَارًا عُرِيًا إِلَى قُبَاءَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ مَعَهُ قَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْمِلْكَ فَقَالَ مَا شِئْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ اذْكَبْ فَوُتِبَ أَبُو هُرَيْرَةَ لِيَرْكَبَ فَلَمْ يَقْدِرْ فَاسْتَمْسَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقًا مَعًا ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْمِلْكَ فَقَالَ مَا شِئْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ اذْكَبْ فَلَمْ يَقْدِرْ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى ذَلِكَ فَتَعَلَّقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقًا جَمِيعًا ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْمِلْكَ فَقَالَ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا رَمَيْتُكَ نَالِيًا . وَذَكَرَ الْمُجِيبُ الطَّبْرِيُّ أَيْضًا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِإِصْلَاحِ شَاةٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ذُبْحُهَا وَقَالَ آخَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ سَلْخُهَا وَقَالَ آخَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

عَلَيَّ طَبْنُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيَّ جَمْعُ الْحَطَبِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكْفِيكَ الْعَمَلَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ تَكْفُونِي وَلَكِنْ أَكْزَرُهُ أَنْ أَتَمَيِّزَ عَلَيْكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرَاهُ مُتَمَيِّزًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ.

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَفَدَّ وَفَدَّ النَّجَاشِيُّ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْدُمُهُمْ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ نَكْفِيكَ قَالَ إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَكْفِيَهُمْ. وَجَاءَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةٌ كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَقَالَ اجْلِسِي فِي أَيْ سِكَكِ الْمَدِينَةِ شِئْتَ أَجْلِسِ إِلَيْكَ حَتَّى أَقْضِيَ حَاجَتَكَ فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي الْحَمَسَاءِ بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيتُ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَتَسَيَّيْتُ فَلَذَكْرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ فَقَالَ لَقَدْ شَقَقْتُ عَلَيَّ أَنَا هَهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي أَوْفَى كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَأْتِفُ أَنْ يَمْسِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ فَيَقْضِي لَهُ الْحَاجَةَ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ فِي حَاجَتِهَا. وَدَخَلَ الْحَسَنُ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي قَدْ سَجَدَ فَرَكِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَأَبْطَأَ فِي سُجُودِهِ حَتَّى نَزَلَ الْحَسَنُ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَطْلَلْتُ سُجُودَكَ قَالَ إِنَّ ابْنِي ازْتَحَلَنِي فَكْرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ أَنْيَ جَعَلَنِي كَالرَّاحِلَةِ فَرَكِبَ عَلَى ظَهْرِي، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَمُودُ الْمَرْضَى وَيَشْهَدُ الْجَنَازَةَ وَحُجَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَحْلِ رَثٍّ وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ لَا تَسَاوِي أَرْبَعَةَ ذَرَاهِمَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةً.

وَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعِدَّةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِأَيْتِيهِمْ فِيهَا الْمَاءُ فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهِ فَرُبَّمَا جَاوَوْهُ بِالْغِدَاةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَسَنَ الْعِشْرَةِ مَعَ أَزْوَاجِهِ وَكَانَ يَتَأَمَّ مَعَهُنَّ قَالَ التَّوَوُّيُّ وَهُوَ ظَاهِرٌ فِيهِ الَّذِي وَاطَّبَ عَلَيْهِ مَعَ مُوَاطَّيْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ فَيَتَأَمَّ مَعَ إِخْذَاهُنَّ فَإِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ لِيُوطِّفَنَّهُ قَامَ وَتَرَكَهَا فَيَجْمَعُ بَيْنَ وَطِيفَتِهِ وَأَذَاءِ حَقِّهَا الْمُنْدُوبِ وَعِشْرَتِهَا بِالْمَعْرُوفِ.

وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُسْرِبُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَنَاتِ الْأَنْصَارِ يَلْعَبْنَ مَعَهَا رَوَاهُ الشُّيْخَانِ وَإِذَا شَرِبَتْ مِنَ الْإِنَاءِ أَخَذَهُ فَوَضَعَ قَمَّةً عَلَى مَوْضِعِ قِمِّهَا وَشَرِبَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَإِذَا تَعَرَّقَتْ عَرَفًا وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي عَلَيْهِ اللَّحْمُ أَخَذَهُ فَوَضَعَ قَمَّةً عَلَى مَوْضِعِ قِمِّهَا

رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا وَكَانَ يَتَكَبَّرُ فِي حَجْرِهَا وَيُقْبِلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَكَانَ يُرِيهَا الْحَبَشَةَ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ وَهِيَ مُتَكَبِّرَةٌ عَلَى مَنْكِبِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابَقَهَا فَسَبَقَتْهُ ثُمَّ سَابَقَهَا فَسَبَقَتْهُ ثُمَّ سَابَقَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَسَبَقَهَا وَقَالَ لَهُدِهِ بِئْسَكَ . وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُمْ كَانُوا يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذْ أَتَى بِصُحْفَةٍ خُبِرَ وَلَحِمٌ مِنْ بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَوَضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ضَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَوَضَعَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعْنَا أَيْدِينَا فَأَكَلْنَا وَعَائِشَةُ تَضَنُّعُ طَعَامًا عَجَلْتُهُ وَقَدْ رَأَتْ الصُّحْفَةَ الَّتِي أَتَى بِهَا فَلَمَّا فَرَعَتْ مِنْ طَعَامِهَا جَاءَتْ بِهِ فَوَضَعَتْهُ وَرَفَعَتْ صُحْفَةً أُمِّ سَلَمَةَ فَكَسَرَتْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُوا بِسْمِ اللَّهِ غَارَتْ أَمْكُمُ ثُمَّ أُعْطِيَ صُحْفَتَهَا أُمُّ سَلَمَةَ وَقَالَ طَعَامٌ مَكَانَ طَعَامٍ وَإِنَاءٌ مَكَانَ إِنَاءٍ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَوَقَعَ بِثَلْثِ ذَلِكَ مِنْهَا مَعَ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَزِيرَةٍ طَبَخْتُهَا لَهُ وَقُلْتُ لِسُودَةَ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كُلِّي فَأَبَتْ فَقُلْتُ لَهَا كُلِّي فَأَبَتْ فَقُلْتُ لَهَا لَتَأْكُلِينَ أَوْ لَأَطْخَنَ بِهَا وَجْهَكَ فَأَبَتْ فَوَضَعْتُ يَدِي فِي الْخَزِيرَةِ فَلَطَخْتُ بِهَا وَجْهَهَا فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ فَحَذَهُ لَهَا وَقَالَ لِسُودَةَ اإِطْخِي وَجْهَهَا فَلَطَخْتُ بِهَا وَجْهِي فَضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْخَزِيرَةُ لَحْمٌ يُقَطَّعُ صَعَارًا وَيُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ فَإِذَا نَضَجَ دُرٌّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ .

وَبِالْجُمْلَةِ فَمَنْ تَأَمَّلَ سِيرَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعَ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْأَيْتَامِ وَالْأَرَامِلِ وَالْأَضْيَافِ وَالْمَسَاكِينِ عَلِمَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَلَغَ مِنْ رِقَّةِ الْقَلْبِ وَلِينِهِ الْعَايَةِ الَّتِي لَا مَدَى وَرَاءَهَا لِمَخْلُوقٍ وَأَنَّهُ كَانَ يُشَدُّ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَحُقُوقِهِ وَدِينِهِ حَتَّى قَطَعَ يَدَ السَّارِقِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَاسِطُ أَصْحَابَهُ وَكَانَ رَجُلٌ يُسَمَّى زُهَيْرًا يُهَادِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوْجُودِ الْبَادِيَةِ بِمَا يُسْتَطَرَفُ مِنْهَا وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهَادِيهِ وَيُكَافِيهِ بِمَوْجُودِ الْحَاضِرَةِ وَبِمَا يُسْتَطَرَفُ مِنْهَا وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ زُهَيْرٌ بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرَتُهُ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ فَمَشَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا إِلَى السُّوقِ فَوَجَدَهُ قَائِمًا فَجَاءَهُ مِنْ قِبَلِ ظَهْرِهِ وَضَمَّهُ بِيَدَيْهِ إِلَى صَدْرِهِ فَأَحْسَ زُهَيْرٌ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَجَعَلْتُ أَمْسَحُ ظَهْرِي فِي صَدْرِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهِ

فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ قَالَ لَهُ زُهَيْرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا تَجِدْنِي كَاسِدًا فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ غَالٍ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُكَّةَ مِنَ السُّنَنِ وَالْعَسَلِ فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهُ يَتَقَاضَاهُ جَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ أَعْطِ هَذَا حَقَّ مَتَاعِهِ فَمَا يَزِيدُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ يَتَبَسَّمَ وَيَأْمُرَ بِهِ فَيُعْطَى ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَمْرُخُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ وَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ فِيهِ بَلَّةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ احْمِلْنِي فَقَالَ أَحْمِلْكَ عَلَى ابْنِ النَّاقَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَسَى يُغْنِي عَنِّي ابْنُ النَّاقَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَحْكُ وَهَلْ يِلْدُ الْجَمَلُ إِلَّا النَّاقَةُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجُوزٌ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْغِ اللَّهُ لِي أَنْ يَدْخُلَنِي الْجَنَّةُ فَقَالَ يَا أُمَّ فُلَانٍ إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ قَالَ فَوَلَّتْ تَبْكِي فَقَالَ أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ [الواقعة : ٣٦] .

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَمَارِخُ أَصْحَابَهُ وَيُخَالِطُهُمْ وَيُحَادِثُهُمْ وَيُؤْنِسُهُمْ وَيَأْخُذُ مَعَهُمْ فِي تَذْيِيرِ أُمُورِهِمْ وَيُدَاعِبُ صَبِيَّائَهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ فِي حَجَرِهِ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا قَالَ إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا . وَقَالَ أَنَسٌ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يَقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ وَكَانَ لَهُ نَعْرٌ يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَأَاهُ حَزِينًا فَقَالَ مَا شَأْنُهُ قَالُوا مَاتَ نَعْرُهُ فَقَالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النَّعِيرُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَالنَّعِيرُ تَصْغِيرُ نَعْرِ طَائِرٍ صَغِيرٍ كَالْعُصْفُورِ . وَمَجَّ مَجَّةً مِنْ مَاءٍ فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ بْنِ الرُّبَيْعِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ يَمَارِخُهُ بِهَا . وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ رَبِيبَتُهُ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ وَهُوَ فِي مُغْتَسِلِهِ فَتَفَحَّ الْمَاءُ فِي وَجْهِهَا فَكَانَ مَاءُ الشَّبَابِ ثَابِتًا فِي وَجْهِهَا ظَاهِرًا فِي رَوْنِقِهَا وَهِيَ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ ، وَكَانَ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الدُّعَابَةِ الْمَهَابَةِ وَلَقَدْ جَاءَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَتْهُ رِغْدَةً شَدِيدَةً وَمَهَابَةً فَقَالَ لَهُ هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ وَلَا جَبَّارٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ بِمَكَّةَ فَتَطْلُقُ الرَّجُلَ بِحَاجَتِهِ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أَوْحِي إِلَيْكُمْ أَنْ تَوَاضَعُوا أَلَا تَتَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَمَّا

رَأَتْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قِيلَةً بَشَتْ مَخْرَمَةً فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ قَاعِدُ الْقُرْفُصَاءِ أَرْعَدَتْ مِنْ
الْفَرَقِ أَبِي الْخَوْبِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَا مَلَأْتُ عَيْنَيَّ مِنْهُ قَطُّ حَيَاءً مِنْهُ وَتَعْظِيمًا لَهُ وَلَوْ قِيلَ لِي صِفْهُ لَمَا قَدَرْتُ، وَقَدْ كَانَتْ
مَجَالِسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَجَالِسَ تَذْكِيرٍ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيْبٍ إِمَّا بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ أَوْ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَتَعْلِيمٍ مَا يَنْفَعُ فِي الدِّينِ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُذَكَّرَ وَيَعْطَى وَيَقْصُ وَأَنْ يَدْعُوَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ
بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَأَنْ يُبَشِّرَ وَيُنْذِرَ فَلِلَّذِكْرِ كَانَتْ تِلْكَ الْمَجَالِسُ تُوجِبُ لِأَصْحَابِهِ
رِقَّةَ الْقُلُوبِ وَالزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَالرُّغْبَةَ فِي الْآخِرَةِ رَوَى أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا وَزَهَدْنَا فِي الدُّنْيَا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ
الْآخِرَةِ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا أَهْلَنَا وَشِجْمْنَا أَوْلَادَنَا وَأَنْكَرْنَا أَنْفُسَنَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَوْ أَتَيْتُكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي كُنْتُمْ عَلَى حَالِكُمْ ذَلِكَ لَزَارَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي بُيُوتِكُمْ.
وَقَوْلُهُ عَافَسْنَا أَيَّ عَالَجْنَا أَهْلَنَا وَلَا عُبْنَاهُمْ، وَمِنْ تَوَاضُعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَا عَابَ
ذَوَاقًا قَطُّ وَلَا عَابَ طَعَامًا قَطُّ إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ هَذَا إِنْ كَانَ الطَّعَامُ
مُبَاحًا أَمَا الْحَرَامُ فَكَانَ يَعْيبُهُ وَيَذْمُهُ وَيَنْهَى عَنْهُ.

وَمِنْ تَوَاضُعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَابٌ رَاتِبٌ. وَمَا خَيْرَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ،
(وَأَمَّا حَيَاؤُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَسْبُكَ مَا فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِذْرِهَا وَقَالَ
الْقَاضِي عِيَاضُ رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ حَيَائِهِ لَا يُبْشِتُ بَصَرَهُ فِي وَجْهِ
أَحَدٍ. وَالْحَيَاءُ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ كَمَا رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ، (وَأَمَّا خَوْفُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَا أَتَقَاتُكُمْ لِلَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنِّي لَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ
لَهُ خَشْيَةً رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَرَوَى أَيْضًا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحَحْتُمْ
قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَلِجُوفِهِ أَرِيزُ كَأَرِيزِ الْمَرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ

وغيره. والمرجل القذر وأزيرها عليانها، (وأما ما روي عن شجاعته وقوته ونجدته) صلى الله عليه وسلم فعن أنس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فرغ أهل المدينة ليلة فأنطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبيرا الحبر على فرس لأبي طلحة عزي والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا رواه البخاري وغيره وفي رواية له أن أهل المدينة فرغوا مرة فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان يطفأ أو فيه قطاف فلما رجع قال وجدنا فرسكم لهذا بحرنا فكان بغد لا يجازي. يقال قطف الفرس في مشيه إذا تضابق خطوه والبحر الواسع الجزري.

وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذكر ابن إسحق في كتابه وغيره أنه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس يأتونه من البلاد للمصارعة فيصارعهم فبينما هو ذات يوم في شغب من شعاب مكة إذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه فقال له ركانة يا محمد هل من شاهد يدل على صدقك قال أرأيت إن صرعتك أتؤمن بالله ورسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيا للمصارعة قال تهيا فذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ثم صرعه فتعجب ركانة من ذلك ثم سأله الإقالة والعود ففعل به ثانيا وثالثا فوقف ركانة متعجبا وقال إن شأنك لعجيب ورواه الحاكم في مستدركه عن أبي جعفر محمد بن ركانة المصارع.

وقد صارع صلى الله عليه وسلم جماعة غير ركانة منهم أبو الأسود الجمحي كما قاله السهيلي ورواه البيهقي وكان شديدا بلغ من شدته أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذب أطرافه عشرة ليتزعه من تحت قدميه فيتفرق الجلد ولم يتزعزع عنه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصارعة وقال إن صرعتني آمنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يؤمن. وفي البخاري من حديث البراء وسأله رجل من قيس أفرزتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هواز رما وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكتبنا على المعانيم فاستقبلنا بالسهام وقوت الأعراب ومن تعلم من الناس ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بغليته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث أخذ بزمامها والنبي يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وَهَذَا فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّجَاعَةِ الثَّامَةِ لِأَنَّهُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فِي حَوْمَةِ الرُّومِ
وَقَدْ انْكَشَفَ عَنْهُ جَيْشُهُ وَهُوَ مَعَ هَذَا عَلَى بَغْلَةٍ لَيْسَتْ بِسَرِيعَةِ الْجَزْيِ وَلَا تَصْلُحُ لِكُرٍّ وَلَا قَرٍّ
وَلَا هَرَبٍ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْكُضُهَا إِلَى وَجُوهِهِمْ وَيَتَوَّهُ بِاسْمِهِ لِيَعْرِفَهُ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ صَلَوَاتُ
اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَفِي حَدِيثٍ كُنَّا إِذَا اخْمَرَ النَّاسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
(وَأَمَّا سَخَاؤُهُ وَجُودُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ
وَأَشَجَعَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَمَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ
مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخَافُ الْفَقْرَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرَوَى أَيْضًا أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةٍ قَالَ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا
أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَمِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ قَالَ ابْنُ
شِهَابٍ أَعْطَاهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِائَةً مِنَ الْغَنَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً وَفِي مَغَازِي الْوَأَقِدِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى صَفْوَانَ يَوْمَئِذٍ وَادِيًا مَمْلُوءًا إِبِلًا وَنَعَمًا فَقَالَ صَفْوَانُ أَشْهَدُ مَا طَابَتْ
بِهَذَا إِلَّا نَفْسُ نَبِيٍِّّ وَإِنَّمَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلِيمٌ أَنَّ ذَاكَ لَا يَزُولُ إِلَّا بِهَذَا
الدَّوَاءِ وَهُوَ الْإِحْسَانُ فَعَالَجَهُ بِهِ حَتَّى بَرَأَ مِنْ ذَاكَ الْكُفْرِ وَأَسْلَمَ. وَكَانَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ إِذَا
وَصَفَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًّا وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً. وَرَوَى
عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا أَنَا أَجْوَدُ بَنِي آدَمَ فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَا رَيْبٍ أَجْوَدَ النَّاسِ عَلَى
الْإِطْلَاقِ كَمَا أَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ وَأَعْلَمُهُمْ وَأَشَجَعُهُمْ وَأَكْمَلُهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ.

قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَا
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَيُّ مَا طَلِبَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَمَنْعَهُ قَالَ الْحَافِظُ بْنُ حَجَرٍ إِنْ كَانَ
عِنْدَهُ أَعْطَاهُ إِنْ كَانَ الْعَطَاءُ سَائِعًا وَإِلَّا سَكَتَ كَمَا قَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِذَا سُئِلَ فَأَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ قَالَ نَعَمْ وَإِذَا لَمْ يُرِدْ أَنْ يَفْعَلَ سَكَتَ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ أَنَّهُ حُمِلَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَوُضِعَتْ عَلَى
حَصِيرٍ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَيَسِمُهَا فَمَا رَدَّ سَائِلًا حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا قَالَ وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ مَا عِنْدِي شَيْءٌ
وَلَكِنِّي ابْتِغَ عَلَيْهِ فَإِذَا جَاءَ نَاشِئٌ فَضَيْنَاهُ فَقَالَ لَهُ عَمَّرَ مَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ فَكَّرَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ تَخَفُ مِنْ ذِي
الْعَرْشِ إِفْلَاحًا فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُرِفَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ بِهَذَا
أَمِزْتُ.

وَذَكَرَ ابْنُ قَارِسٍ فِي كِتَابِهِ فِي أَسْمَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ فِي يَوْمٍ حَتِينٍ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ وَأَنْشَدَتْ شِعْرًا تُذَكِّرُهُ أَيَّامَ رِضَاعَتِهِ فِي هَوَارِئَ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ وَأَعْطَاهُمْ عَطَاءً كَثِيرًا حَتَّى قَوْمٌ مَا أَعْطَاهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَكَانَ خَمْسِمِائَةَ أَلْفٍ قَالَ ابْنُ دُخَيْنَةَ وَهَذَا نَهَايَةُ الْجُودِ وَالَّذِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الْوُجُودِ. وَفِي الْبُخَارِيِّ أَبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَالٍ مِنَ الْبُخَرِيِّينَ فَقَالَ انْثَرُوهُ يَغْنِي صُبوهُ فِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ أَكْثَرَ مَالِ أَبِي بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ أَعْطِنِي فَأَعْطَاهُ مَا اسْتَطَاعَ حَمَلُهُ فَمَا قَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَتَمَّ مِنْهَا دِزْهُمٌ وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ أَنَّهُ كَانَ مِائَةَ أَلْفٍ أَرْسَلَ بِهِ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ مِنْ خَزَاجِ الْبُخَرِيِّينَ قَالَ وَهُوَ أَوَّلُ مَالٍ حُمِلَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَايَرُهُ جَابِرٌ عَلَى جَمَلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَغْنِي جَمْلَكَ فَقَالَ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَقَالَ بَلْ يَغْنِيهِ فَبَاعَهُ إِيَّاهُ وَأَمَرَ بِإِلَائِهِ أَنْ يَنْفَعَهُ ثَمَنُهُ فَتَقَدَّهَ ثُمَّ قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اذْهَبْ بِالثَّمَنِ وَالْجَمَلِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِمَا مُكَافَأَةً لِقَوْلِهِ بَلْ هُوَ لَكَ فَأَعْطَاهُ الثَّمَنَ وَرَدَّ عَلَيْهِ الْجَمَلَ وَزَادَهُ الدُّعَاءَ بِالْبَرَكَةِ فِيهِمَا وَحَدِيثُهُ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا.

وَقَدْ كَانَ جُودُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلَّهُ لِلَّهِ وَفِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ كَانَ يَبْذُلُ الْمَالَ تَارَةً لِفَقِيرٍ أَوْ مُخْتِاجٍ وَتَارَةً يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَارَةً يَتَأَلَّفُ بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ يَقْوَى الْإِسْلَامَ بِإِسْلَامِهِ وَكَانَ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَوْلَايِهِ فَيُعْطِي عَطَاءً يَعْجِزُ عَنْهُ الْمُلُوكُ مِثْلُ كِسْرَى وَفَيْصَرَ وَيَعِيشُ فِي نَفْسِهِ عَيْشَ الْفُقَرَاءِ فَيَأْتِي عَلَيْهِ الشَّهْرُ وَالشُّهُرَانِ لَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ وَرَبَّمَا رَبَطَ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ الشَّرِيفَةَ مِنَ الْجُوعِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَتَاهُ سَبِيٌّ فَشَكَتَ إِلَيْهِ فَاطِمَةُ مَا تَلَقَّى مِنْ خِدْمَةِ النَّبِيِّ وَطَلَبَتْ مِنْهُ خَادِمًا يَكْفِيهَا مَوْثَنَ بَيْتِهَا فَأَمَرَهَا أَنْ تَسْتَعِينَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ وَقَالَ لَا أُعْطِيكَ وَأَدْعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوِي بِطُونَهُمْ مِنَ الْجُوعِ وَأَتْنُهُ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْسُوكَ هَلِذَا فَأَخَذَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخْتِاجًا إِلَيْهَا فَلَيْسَهَا فَرَأَاهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ هَلِذَا فَاتَّخَذَهَا فَقَالَ نَعَمْ فَلَمَّا قَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَامَهُ أَصْحَابُهُ قَالُوا مَا أَحْسَنَتْ جِئْنَ رَأَيْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مُخْتِاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلَتْهُ إِيَّاهَا وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَائِرِ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَأَكْمَلُهُمْ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

الفصل الثالث

فِيمَا تَدْعُو ضَرُورَتَهُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غِذَائِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَنْكَحِهِ

وَمَا يَلْحَقُ بِذَلِكَ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ

النوع الأول

فِي عَيْشِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ

اعْلَمَ أَنَّ الشَّبَعَ بِذَعَةِ ظَهَرَتْ بَعْدَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَغَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لَقِيمَاتٍ يَقْنَمُ ضُلْبُهُ فَإِنْ غَلَبَتِ الْأَدَمِيَّةُ نَفْسُهُ قُتِلَتْ لِلطَّعَامِ وَتُلْتُ لِلشَّرَابِ وَتُلْتُ لِلنَّفْسِ قَالَ الْحَافِظُ بْنُ حَجَرٍ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ لَوْ سَمِعَ بَقَرَاتُ بِهَذِهِ الْقِسْمَةِ لَعَجِبَ مِنْ هَذِهِ الْحِكْمَةِ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ وَالِدَيْهَا لَمْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَعًا قَطُّ وَإِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ لَا يَسْأَلُهُمْ طَعَامًا وَلَا يَتَشَهَّاهُ إِنْ أَطْعَمُوهُ أَكَلَ وَمَا أَطْعَمُوهُ قَبْلَ وَمَا سَقَوْهُ شَرِبَ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا شَبَعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيتُ اللَّيَالِي الْمُتَتَابِعَةَ وَأَهْلُهُ طَاوِيًا لَا يَجِدُونَ عِشَاءً وَإِنَّمَا كَانَ خُبْرُهُمُ الشَّعِيرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مَا شَبَعَ آلُ مُحَمَّدٍ يَوْمَيْنِ مِنْ خُبْرِ النَّبْرِ إِلَّا وَأَحَدُهُمَا تَمَرٌ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ خَرَجَ تَغْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَمَلَأْ بَطْنُهُ فِي يَوْمٍ مِنْ طَعَامَيْنِ كَانَ إِذَا شَبَعَ مِنَ التَّمْرِ لَمْ يَشْبَعِ مِنَ الشَّعِيرِ وَإِذَا شَبَعَ مِنَ الشَّعِيرِ لَمْ يَشْبَعِ مِنَ التَّمْرِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَمْسَى فِي آلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ وَإِنَّهَا لَتَسَعَةُ أَبْيَاتٍ وَاللَّهِ مَا قَالَهَا اسْتِفْلَالًا لِرِزْقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ تَتَأَسَّى بِهِ أُمَّتُهُ رَوَاهُ الدُّمَيْطِيُّ فِي السَّيْرَةِ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ كَانَ يُعْجِبُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثَةُ الطَّيِّبِ وَالنِّسَاءِ وَالطَّعَامِ فَأَصَابَ اثْنَيْنِ وَلَمْ يُصِبْ وَاحِدَةً أَصَابَ النِّسَاءَ وَالطَّيِّبَ وَلَمْ يُصِبِ الطَّعَامَ ذَكَرَهُ الدُّمَيْطِيُّ أَيْضًا. وَفِي السُّمَائِلِ لِلتِّرْمِذِيِّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ مَا يَمَلَأُ بَطْنَهُ وَالدَّقْلُ رَدِيءُ التَّمْرِ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِنْ كُنَّا أَلَّ مُحَمَّدٌ نَمُكُّ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بَنَارَ إِنْ هُوَ إِلَّا الْمَاءُ وَالْتَمُرُ. وَقَالَ عُثْبَةُ بْنُ عَزْوَانٍ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَسَابِعُ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ السَّمْرِ حَتَّى تَقَرَّحَتْ أَشْدَاقُنَا وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ لِعِزْرَةَ وَاللَّهِ يَابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوْقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ قَالَ قُلْتُ يَا خَالَتُ فَمَا كَانَ يُعْيِشُكُمْ قَالَتِ الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِيزَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَاجِخٌ فَكَانُوا يُزِيلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِيْنَاهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا قَالَتْ لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا شَبِعَ مِنْ حُبْزٍ وَزَيْتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَالَ أَنَسٌ مَا أَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَغِيفًا مُرَقَّقًا حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ وَلَا رَأَى شَاءَ سَمِيطًا بِعَيْنِهِ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الْمُرَقَّقُ الْمُلَيْنُ كَحُبْزِ الْحَوَارَى وَهُوَ الْخَالِصُ الَّذِي يُنْخَلُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَالسَّمِيطُ هُوَ الَّذِي أُزِيلَ شَعْرُهُ بِالْمَاءِ الشَّخِنِ وَشَوِي بِجُلْدِهِ وَهُوَ مِنْ فِعْلِ الْمُتَرَفِّهِينَ. وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ أَنَّهُ سَأَلَ سَهْلًا هَلْ رَأَيْتُمْ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّقِيَّ قَالَ لَا فَقُلْتُ كُنْتُمْ تَنْخُلُونَ الشَّعِيرَ قَالَ لَا وَلَكِنْ كُنَّا نَنْفُخُهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ هَلْ كَانَتْ لَكُمْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَاجِخٌ فَقَالَ مَا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَاجِخًا مِنْ جِوَانِ ابْتِغَاءِ اللَّهِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي فَأَكُلُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فِكَلْتُهُ فَقَبِضَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا قَالَتْ تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِزْعُهُ مَزْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ قَالَا الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرِجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا فَأَتَى بِهِمَا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ مَرْحَبًا وَأَهْلًا فَقَالَ لَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَيْنَ فَلَانَ قَالَتْ ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الْمَاءُ إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَتَنَظَّرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي قَالَ فَاَنْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ

وَتَمَرٌ وَرُطَبٌ فَقَالَ كُلُوا وَأَخَذَ الْمُذَيَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكَ وَالْحُلُوبُ قَدْ بَخَّ لَهْمُ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ وَشَرِبُوا فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ يَبُوتِكُمْ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَزْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ نَافِعٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَخْرَجَ إِلَيَّ فُلْقًا مِنْ خُبْزٍ فَقَالَ مَا مِنْ أَدَمٍ فَقَالُوا لَا إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ قَالَ نَعَمْ الْأَذْمُ الْخَلُّ قَالَ جَابِرٌ فَمَا زِلْتُ أَحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ طَلْحَةُ فَمَا زِلْتُ أَحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ جَابِرٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرَوَى عَنْ ابْنِ بُجَيْرٍ قَالَ أَصَابَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُوعٌ يَوْمًا فَعَمَدَ إِلَى حَجَرٍ فَوَضَعَهُ عَلَى بَطْنِهِ ثُمَّ قَالَ أَلَا رُبُّ نَفْسٍ طَاعِمَةٍ نَاعِمَةٍ فِي الدُّنْيَا جَائِعَةٍ عَارِيَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا رُبُّ مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُكْرِمٌ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَعَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ شَكَّرْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُوعَ وَزَفَعْنَا عَنْ بَطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَطْنِهِ عَنْ حَجَرَيْنِ. وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُودِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْدَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَالِي وَلِبْلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ أَحَدٌ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِنْطُ بِلَالٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَقَدْ اسْتَشْكَلَ كَوْنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ كَانُوا يَطْوُونَ الْأَيَّامَ جُوعًا مَعَ مَا ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ يَزْفَعُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَةٍ وَأَنَّهُ قَسَمَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَلْفَ بَعِيرٍ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ سَاقَ فِي عُمْرَتِهِ مِائَةَ بَدَنَةٍ فَتَحَرَّهَا وَأَطْعَمَهَا الْمَسَاكِينَ وَأَنَّهُ أَمَرَ لِأَعْرَابِيٍّ بِقَطِيعٍ مِنَ الْعَنَمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَغَيْرِهِمْ مَعَ بَذْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدْ أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِجَمِيعِ مَالِهِ وَعُمَرُ بِنِصْفِهِ وَحَتَّى عَلَى تَجْهِيزِ جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَجَهَّزَهُمْ عُثْمَانُ بِأَلْفِ بَعِيرٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَأَجَابَ عَنْهُ الطَّبْرِيُّ كَمَا حَكَاهُ فِي فَتْحِ الْبَارِي بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُمْ فِي حَالَةٍ دُونَ حَالَةٍ لَا لِعَوَظٍ وَضَيْقٍ بَلْ تَارَةً لِلْإِثَارِ وَتَارَةً لِكِرَاهِيَةِ الشَّبَعِ وَكَثْرَةِ الْأَكْلِ نَعَمْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْتَارُ ذَلِكَ مَعَ إِمْكَانِ حُصُولِ التَّوَسُّعِ وَالتَّبَسُّطِ فِي الدُّنْيَا لَهُ كَمَا أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا

قُلْتُ لَا يَا رَبِّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَجَبْرِيلُ عَلَى الصُّفَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جَبْرِيلُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمْسَى لِأَلِ مُحَمَّدٍ سُقَّةٌ مِنْ دَقِيقٍ وَلَا كَفٌّ مِنْ سَوِيْقٍ فَلَمْ يَكُنْ كَلَامُهُ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ سَمِعَ هَذِهِ مِنَ السَّمَاءِ أَفْرَعَتْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ اللَّهُ الْقِيَامَةَ أَنْ تَقُومَ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَمَرَ إِسْرَافِيلَ فَتَزَلَ إِلَيْكَ حِينَ سَمِعَ كَلَامَكَ فَأَتَاهُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ سَمِعَ مَا ذَكَرْتَ فَبَعَثَنِي إِلَيْكَ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَأَمَرَنِي أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُسَيِّرَ مَعَكَ جِبَالَ تِهَامَةٍ زُمُرْدًا وَيَأْفُوتًا وَذَهَبًا وَفِضَّةً فَعَلْتُ فَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلَكًا وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ جَبْرِيلُ أَنْ تَوَاضَعَ فَقَالَ بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا ثَلَاثًا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَتِهِ الْكَرِيمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَبْسُ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَغْذِيَةِ لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَى سِوَاهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَضُرُّ بِالطَّبِيعَةِ جِدًّا وَلَوْ أَنَّهُ أَفْضَلَ الْأَغْذِيَةِ بَلْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ مَا جَرَتْ عَادَةُ أَهْلِ بَلَدِهِ بِأَكْلِهِ مِنَ اللَّحْمِ وَالْفَاكِهَةِ وَالْخُبْزِ وَالثَّمَرِ وَغَيْرِهِ فَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَلْوَى وَالْعَسَلَ وَكَانَ يُحِبُّهُمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ وَفِي فَهْمِ اللَّغَةِ لِلثَّعَالِبِيِّ أَنَّ حَلْوَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي كَانَ يُحِبُّهَا هِيَ الْمَجِجُ وَهِيَ تَمْرٌ يُعَجَّنُ بِلَبَنٍ حَكَاهُ فِي فَتْحِ الْبَارِي .

وَلَمْ يَصِحَّ وَرُودُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَأَى السُّكَّرَ . وَعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ قَدِمَتْ عِيرٌ فِيهَا جَمَلٌ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ عَلَيْهِ دَقِيقٌ حُوَارَى وَسَمْنٌ وَعَسَلٌ فَأَتَى بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ دَعَا بِبُرْمَةٍ فَنُصِبَتْ عَلَى النَّارِ وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ الْعَسَلِ وَالذَّقِيقِ وَالسَّمْنِ ثُمَّ عَصَدَ حَتَّى نَضِجَ أَوْكَادَ يَنْضِجُ ثُمَّ أُنْزِلَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُوا هَذَا شَيْءٌ تُسَمِّيهِ فَارِسُ الْحَبِیْصِ . وَآكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَحْمَ الضَّأْنِ وَعَنِ أَبِي رَافِعٍ أَنَّهُ أَهْدَيْتَ لَهُ شَاةً فَجَعَلَهَا فِي قَدْرِ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا هَذَا يَا أَبَا رَافِعٍ قَالَ قَالَ شَاةٌ أَهْدَيْتَ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَطَبَخْتُهَا فِي الْقَدْرِ قَالَ نَاوِلْنِي الدَّرَاعَ يَا أَبَا رَافِعٍ فَتَنَاوَلْتُهُ الدَّرَاعَ ثُمَّ قَالَ نَاوِلْنِي الدَّرَاعَ فَتَنَاوَلْتُهُ الدَّرَاعَ الْآخَرَ فَقَالَ نَاوِلْنِي الدَّرَاعَ الْآخَرَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا لِلشَّاةِ ذِرَاعَانِ فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَكَّتَ لَنَاوَلْتَنِي ذِرَاعًا فَذِرَاعًا

مَا سَكَتَ ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَمَضَمَ فَاذْهَبَ وَغَسَلَ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ مَا كَانَتْ الذَّرَاعُ أَحَبَّ لِلَّحْمِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنَّهُ كَانَ لَا يَجِدُ اللَّحْمَ إِلَّا غَبِيًّا وَكَانَ يَجْعَلُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا أَعْجَلُهَا نَضْجًا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَكَذَلِكَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ لَحْمَ الرَّقَبَةِ فَعَنْ ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ أَنَّهَا ذَبَحَتْ فِي بَيْتِهَا شاةً فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَطْعِمِينَا مِنْ شَايَتِكُمْ فَقَالَتْ مَا بَقِيَ عِنْدَنَا إِلَّا الرَّقَبَةُ وَإِنِّي لَا أَسْتَحْيِي أَنْ أُرْسِلَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْجِعَ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ ارْجِعِ إِلَيْهَا فَقُلْ لَهَا أُرْسِلِي بِهَا فَإِنَّهَا هَادِيَةُ الشَّاةِ وَأَقْرَبُ الشَّاةِ إِلَى الْخَيْرِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ الْأَذَى. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَنْهَشُ اللَّحْمَ وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اخْتَرُ مِنْ كَتِفِ شاةٍ فِي يَدِهِ فَدَعِيَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَلْقَاهَا وَالسُّكَيْنِ النَّبِيَّ يَخْتَرُ بِهَا ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّوِيَّ.

فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَرَّبَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَنْبًا مَشْوِيًّا فَأَكَلَ مِنْهُ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَمَا تَوَضَّأَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْقَدِيدَ كَمَا فِي حَدِيثٍ فِي السُّنَنِ عَنْ رَجُلٍ قَالَ ذَبَحْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاةً وَنَحْنُ مُسَافِرُونَ فَقَالَ أَصْلِحْ لَحْمَهَا فَلَمْ أَزَلْ أَطْعِمُهُ مِنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْكَبِدِ الْمَشْوِيَّةِ. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ الدُّجَاجِ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ حِمَارِ الْوَحْشِ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ الْجَمَلِ سَفَرًا وَحَضْرًا. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ الْأَرْنَبِ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَوَابِّ الْبَحْرِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّرِيدَ وَهُوَ أَنْ يُفْرَدَ الْخُبْزُ بِمَرَقِ اللَّحْمِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَهُ اللَّحْمُ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّرِيدُ مِنَ الْخُبْزِ وَالثَّرِيدُ مِنَ الْحَنَسِ وَأَكَلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالسُّنَنِ. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُبْزَ بِالزُّبَيْتِ. وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الدُّبَاءَ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ وَكَانَ يَتَّبَعُهَا مِنْ حِوَالِي الْقَضْعَةِ قَالَ أَنَسٌ فَلَمْ أَزَلْ أَحِبُّ الدُّبَاءَ مِنْ يَوْمَئِذٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ قَالَ التَّوْرِيُّ فِيهِ إِنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ تَحَبَّ الدُّبَاءَ وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ يُحِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَذَلِكَ أَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السَّلْقَ مَطْبُوعًا بِالشَّعِيرِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَكَانُوا يَصُبُّونَ

لَهُ عَلَيْهِ شَيْنًا مِنْ زَيْتٍ وَشَيْنًا مِنَ الْفُلْفُلِ وَالتَّوَابِلِ وَهِيَ أَبْزَارُ الطَّعَامِ. وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ الْخَزِيرَةَ وَهِيَ مَا يَتَّخِذُ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى هَيْئَةِ الْعَصِيدَةِ لِكُنْهَ أَرْقُ مِنْهَا قَالَهُ الطَّبْرِيُّ. وَأَكَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَقِطَ وَهُوَ جُبْنُ اللَّبَنِ الْمُسْتَخْرَجَ زُبْدُهُ. وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ الرُّطَبَ وَالتَّمْرَ وَالْبُسْرَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ. وَأَكَلَ الْكَبَابَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَهُوَ النَّضِيجُ مِنْ تَمْرِ الْأَرَاكِ. وَأَمَّا الْجُبْنُ فَفِي السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجُبْنَةٍ فِي تَبُوكَ فَذَعَا بِسَكِينٍ فَسَمَّى وَقَطَعَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ الْبُطِيخَ بِالرُّطَبِ وَيَقُولُ يَخْسِرُ حُرٌّ هَذَا بَرْدٌ هَذَا وَبَرْدٌ هَذَا حَرٌّ هَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ رَأَيْتُ فِي يَمِينِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِثَاءً وَفِي شِمَالِهِ رُطَبًا وَهُوَ يَأْكُلُ مِنْ ذَا مَرَّةٍ وَمِنْ ذَا مَرَّةٍ. وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرُّطَبِ وَالْخَزِيرِ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْبُطِيخِ الْأَضْفَرِ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَأْكُلُ التَّمْرَ بِالزُّبْدِ وَيُجِبُّهُ.

وَسَمَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّبَنَ بِالتَّمْرِ الْأَطْيَبَيْنِ رَوَاهُ أَحْمَدُ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ الْخُبْزَ مَادُومًا مَا وَجَدَ لَهُ إِذَا مَا فَتَارَةً يَأْذِمُهُ بِاللَّحْمِ وَيَقُولُ هُوَ سَيِّدُ الطَّعَامِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَارَةً بِالْبُطِيخِ وَتَارَةً بِالتَّمْرِ فَإِنَّهُ وَضَعَ تَمْرَةً عَلَى كِسْرَةٍ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ وَقَالَ هَلِهُ إِذَا مَا هَذِهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ وَتَارَةً بِالنَّخْلِ وَيَقُولُ نِعْمَ الْأَذْمُ النَّخْلُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَأْكُلُ مِنْ فَاكِهَةٍ بَلَدِهِ عِنْدَ مَجِيئِهَا وَلَا يَخْتَبِي عَنْهَا وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ الصُّحَّةِ رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ الْعِنَبَ خَرْطًا. أَمَّا الْبَصَلُ فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنِ الْبَصَلِ فَقَالَتْ إِنْ آخِرَ طَعَامٍ أَكَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ بَصَلٌ أَيْ مَطْبُوخٌ.

وَبُتِّبَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ مَنَعَ آكِلَهُ مِنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتْرُكُ الثُّومَ دَائِمًا لِأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ مَجِيءُ الْمَلَائِكَةِ وَالْوُحْيِ كُلِّ سَاعَةٍ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ إِذَا فَرَغَ ثَلَاثًا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ وَيَلْعَقُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا. وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ بِالإِبْهَامِ وَالتِّي تَلِيهَا وَالْوُكُ لَى ثُمَّ رَأَيْتُهُ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثِ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا الْوُسْطَى ثُمَّ التِّي تَلِيهَا ثُمَّ

الإنهَامَ . وَأَكَلَ أَيْضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسٍ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْكُلُ مُتَّكِئًا كَمَا صَحَّ أَنَّهُ قَالَ لَا أَكُلُ مُتَّكِئًا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ وَأَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ . وَأَهْدَيْتَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاةً فَجَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَأْكُلُ فَقَالَ أَعْرَابِي مَا هَذِهِ الْجِلْسَةُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَنِي كَرِيمًا وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ .

قَالَ الْحَافِظُ بْنُ حَجَرٍ الْمُسْتَحَبُّ فِي صِفَةِ الْجُلُوسِ لِلأَكْلِ أَنْ يَكُونَ جَائِعًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَظُهُورِ قَدَمَيْهِ أَوْ يَنْصِبَ الرَّجُلَ الْيَمْنَى وَيَجْلِسَ عَلَى الْيُسْرَى . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَضَعَ يَدَهُ فِي الطَّعَامِ يُسَمِّي اللَّهَ تَعَالَى وَكَانَ يَحْمَدُ اللَّهَ فِي آخِرِهِ فَيَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مُودَّعٍ وَلَا مُسْتَعْنَى عَنْهُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ التَّيَامُنَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَا غُلَامُ سَمِ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ مِمَّا يَلِيكَ . وَقُرَّبَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامٌ فَقَالُوا أَلَا نَأْتِيكَ بِوَضُوءٍ فَقَالَ إِنَّمَا أُمِرْتُ بِالْوَضُوءِ إِذَا قُمْتُ إِلَى الصَّلَاةِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ بَرَكَهُ الطَّعَامِ الْوَضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوَضُوءُ بَعْدَهُ فَيَحْمَلُ الْوَضُوءَ الْأَوَّلَ عَلَى الشَّرْعِيِّ وَالثَّانِي عَلَى اللَّغَوِيِّ .

وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ طَعَامًا حَارًّا فَقَدْ أُتِيَ بِصُخْفَةٍ تَفُورُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُطْعِمْنَا نَارًا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ . وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ الْكَيَّ وَالطَّعَامَ الْحَارَّ وَيَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْبَارِدِ فَإِنَّهُ ذُو بَرَكَةٍ أَلَا وَإِنَّ الْحَارَّ لَا بَرَكَةَ فِيهِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ . وَلَمْ يَأْكُلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَوَانٍ وَلَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَالْخَوَانُ الْمَائِدَةُ مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا طَعَامٌ وَأَمَّا السُّفْرَةُ فَاشْتَهَرَتْ لِمَا يُوَضَّعُ عَلَيْهِ الطَّعَامُ . وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدَحٌ مِنْ خَشَبٍ مُضَبَّبٍ بِحَدِيدٍ قَالَ أَنَسٌ لَقَدْ سَفَيْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهَذَا الْقَدَحِ الشَّرَابَ كُلَّهُ الْمَاءَ وَالنَّبِيذَ وَالْعَسَلَ وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ كَانَ قَدْ انْصَدَعَ فَسَلْسَلَهُ أَنَسٌ بِفِضَّةٍ وَهَذَا النَّبِيذُ هُوَ مَاءٌ يُطْرَحُ فِيهِ التَّمْرُ يُحْلِيهِ وَلَهُ نَفْعٌ عَظِيمٌ فِي زِيَادَةِ الْقُوَّةِ وَلَمْ يَكُنْ يَشْرَبُهُ بَعْدَ ثَلَاثِ خَوَافٍ مِنْ تَغْيِيرِهِ إِلَى الْإِسْكَارِ ، (وَأَمَّا شُرْبُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ يُسْتَعْدَّبُ لَهُ الْمَاءُ أَيْ يُطَلَّبُ لَهُ الْمَاءُ الْحُلُو . قَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ يُسْتَعْدَّبُ لَهُ الْمَاءُ مِنْ بُيُوتِ السُّفْيَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَشْرَبُ الْعَسَلَ الْمَمْزُوجَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُلُو الْبَارِدُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَيَحْتَمِلُ أَنْ تُرِيدَ بِهِ الْمَاءُ الْمَمْرُوجُ بِالْعَسَلِ أَوْ الَّذِي يُفَعُّ فِيهِ التَّمْرُ وَالزَّيْبُ. وَكَانَ يُنْبَذُ لَهُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيَشْرَبُ إِذَا أَصْبَحَ يَوْمَهُ ذَلِكَ وَاللَّيْلَةُ الَّتِي تَجِيءُ وَالْعَدُّ إِلَى الْعَصْرِ فَإِنْ بَقِيَ شَيْءٌ سَقَاهُ الْخَادِمُ أَوْ أَمَرَ بِهِ فَصَبَّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَشْرَبُ اللَّبَنَ خَالِصًا تَارَةً وَتَارَةً مَشُوبًا بِالمَاءِ الْبَارِدِ.

وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ فَسَلَّمَ فَقَرَّدَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَحُولُ الْمَاءَ فِي حَائِطِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ فِي شَيْءٍ وَلَا كَرَعْنَا فَقَالَ عِنْدِي مَاءٌ بَاتَ فِي شَيْءٍ فَانْطَلَقَ إِلَى الْعَرِيشِ فَسَكَبَ فِي قَدَحٍ مَاءً ثُمَّ حَلَبَ عَلَيْهِ مِنْ ذَاجِنٍ فَشَرِبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ عَلَى طَعَامِهِ لِئَلَّا يُفْسِدَهُ وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَاءُ حَارًّا أَوْ بَارِدًا فَإِنَّهُ رَدِيءٌ جِدًّا وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَشْرَبُ قَاعِدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَادَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَرَوَى أَيْضًا أَنَّهُ نَهَى عَنِ الشَّرْبِ قَائِمًا وَفِي حَدِيثٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ شَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ ثُمَّ قَالَ إِنْ نَاسًا يَكْرَهُونَ الشَّرْبَ قَائِمًا وَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُ فَالْتَهَيْ مَحْمُولٌ عَلَى كَرَاهَةِ التَّنْزِيهِ وَشَرِبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا لِيَتَّيَنَ الْجَوَازِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا وَيَقُولُ إِنَّهُ أَرَوَى وَأَمْرًا وَأَبْرَأُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَمَعْنَى تَنَفُّسِهِ إِبَانَتُهُ الْقَدَحَ عَنْ فِيهِ وَتَنَفُّسُهُ خَارِجَهُ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الشَّرَابِ. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَشْرَبُ فِي ثَلَاثَةِ أَنْفَاسٍ إِذَا أَذْنَى الْإِنَاءَ إِلَى فِيهِ سَمَى اللَّهُ تَعَالَى فَإِذَا أَخْرَهُ حَمِيدُ اللَّهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثًا، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دُعِيَ لَطْعَامٍ وَتَبِعَهُ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِهِ رَبُّ الْمَنْزِلِ قَالَ فَيَقُولُ إِنْ هَلِهُ اتَّبَعْنَا فَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَكْرُرُ عَلَى أَضْيَافِهِ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْأَكْلَ مِرَارًا. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا أَكَلَ مَعَ قَوْمٍ كَانَ آخِرُهُمْ أَكْثَلًا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا أَكَلَ عِنْدَ قَوْمٍ لَمْ يَخْرُجْ حَتَّى يَدْعُو لَهُمْ فَدَعَا فِي مَنْزِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُسَيْرٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيْمَا رَزَقْتَهُمْ وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَدَعَا فِي مَنْزِلِ سَعْدِ فَقَالَ أَفْطَرِ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ وَأَكَلِ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَسَقَاهُ آخَرُ لَبَنًا فَقَالَ اللَّهُمَّ مَتَّعْهُ بِشَبَابِهِ فَمَرَّتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً لَمْ يَرَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ رَوَاهُ ابْنُ السَّكَنِ.

النوع الثاني

في لباسه وفراشه صلى الله عليه وسلم

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَجَوَّزُ مِنَ اللَّبَاسِ يَغْنِي يَتَوَسَّعُ فَلَا يُضَيِّقُ بِالْأَفْتِصَارِ عَلَى صِنْفٍ بِغَيْنِهِ وَلَا بِطَلَبِ الثَّقِيفِ الْعَالِي بَلْ يَسْتَعْمِلُ مَا تَيَسَّرَ. وَكَانَتْ سِيرَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَلْبَسِهِ أَتَمَّ وَأَنْفَعَ لِلْبَدَنِ وَأَخْفَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمْ تَكُنْ عِمَامَتُهُ بِالْكَبِيرَةِ الَّتِي يُؤْذِي حَمْلَهَا وَلَا بِالصَّغِيرَةِ الَّتِي تَقْصُرُ عَنْ وَقَايَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَكَذَلِكَ الْأَزْدِيَّةُ وَالْأَزُرُّ أَخْفَ عَلَى الْبَدَنِ مِنْ غَيْرِهَا. وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطَوِّلُ أَكْمَامَهُ وَيُوسِّعُهَا بَلْ كَانَ كُمُهُ إِلَى الرُّسُغِ وَهُوَ مُنْتَهَى الْكَفِّ عِنْدَ الْمَفْصِلِ. وَكَانَ ذَيْلُ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ لَمْ يَتَجَاوَزِ الْكَعْبَيْنِ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ سَمِعْتُ عَمِّي تَحَدَّثُ عَنْ عَمِّهَا قَالَ بَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِالْمَدِينَةِ إِذَا إِنْسَانٌ خَلْفِي يَقُولُ ارْزُقْ إِرَارَكَ فَإِنَّهُ أَتَقَى وَأَبْقَى فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ قَالَ أَمَا لَكَ فِي أُسُوءَةِ فَنَظَرْتُمْ فَإِذَا إِرَارُهُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ.

وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِمَامَةٌ تُسَمَّى السَّحَابَ وَيَلْبَسُ تَحْتَهَا الْقَلَائِسَ اللَّاطِئَةَ. وَالْقَلَائِسُ جَمْعُ قَلَنْسُوَةٍ وَهِيَ غِشَاءٌ مُبْطِنٌ يَشْتُرُ الرَّأْسَ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ. وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ دَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ وَهُوَ رَزْدٌ يُنْسَجُ مِنَ الدَّنْبِ عَلَى قَدْرِ الرَّأْسِ وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنْ الْعِمَامَةَ كَانَتْ فَوْقَ الْمِغْفَرِ.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَمُّ بِدِيرٍ كُورٍ عِمَامَتِهِ وَيَغْرِسُهَا مِنْ وَرَائِهِ وَيُرْخِي لَهَا ذَوَابَةً بَيْنَ كَتِفَيْهِ رَوَاهُ ابْنُ سَابَانَ فِي بَابِ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافٍ قَالَ قَالَ عَمِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِمَامَةٍ سَدَلْ طَرَفَهَا عَلَى مَنْكِبِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ أَمَدَّنِي يَوْمَ نَسِرَ وَيَوْمَ حُتَيْنَ بِمَلَائِكَةٍ مُعَمِّمِينَ هَذِهِ الْعِمَّةُ وَقَالَ إِنَّ الْعِمَامَةَ حَاجَزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَهُ كُمَةٌ بَيْضَاءُ رَوَاهُ الدُّمَيْنِيُّ. وَالْكُمَةُ الْقَلَنْسُوَةُ. وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ قَالَ كَانَتْ كِمَامٌ وَفِي رِوَايَةِ أَكْبَمَةَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَطْحًا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَهِيَ جَمْعُ كُمَةٍ الْقَلَنْسُوَةُ يَغْنِي أَنَّهَا

كَانَتْ مُمِطْحَةً غَيْرَ مُنْتَصِبَةٍ. وَكَانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَمِيصُ رَوَاهُ
التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَهْطٍ مِنْ
مُزَيْنَةَ لِنَبَايَعِهِ وَإِنْ قَمِيصُهُ لَمُطْلَقُ الْأَزْزَارِ أَوْ قَالَ زُرُّ قَمِيصِهِ مُطْلَقٌ قَالَ فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي جَنْبِ
قَمِيصِهِ فَمَسِسْتُ الْخَاتَمَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُهُ الْحَبْرَةَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَالْحَبْرَةُ ضَرْبٌ مِنَ الْبُرُودِ فِيهِ حُمْرَةٌ،
وَعَنْ أَبِي رِمَّةَ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدَانِ أَخْضَرَانِ رَوَاهُ
التِّرْمِذِيُّ. وَعَنْ أَبِي يَغْلَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ مُضْطَبِعًا
بِبُرْدٍ أَخْضَرَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَبَسَ جُبَّةَ رُومِيَّةَ ضَيْقَةَ الْكُمَيْنِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَيْتُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ الصُّوفَ وَكَانَ لَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِسَاءٌ مُلَبَّدٌ يَلْبَسُهُ وَيَقُولُ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ الْعَبْدُ رَوَاهُ
الشَّيْخَانِ. وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ
إِضْحِيَّانٍ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى الْقَمَرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حُمْرَاءُ فَإِذَا هُوَ
أَخْسَنُ عِنْدِي مِنَ الْقَمَرِ رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ. وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حُمْرَاءُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَرِيقِ سَاقِيهِ. وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ مَا
رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حُمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُمَا
التِّرْمِذِيُّ. وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُلَّةٍ حُمْرَاءَ لَمْ أَرِ شَيْئًا
قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لَمَةٍ فِي حُلَّةٍ حُمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَاللَّمَّةُ شَعْرُ الرَّأْسِ دُونَ الْجُمَةِ، وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحْسَنَ
فِي حُلَّةٍ حُمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالْحُلَّةُ إِزَارٌ وَرِدَاءٌ وَلَا تَكُونُ حُلَّةً إِلَّا
مِنْ ثَوْبَيْنِ أَوْ ثَوْبٍ لَهُ بَطَانَةٌ. (وَأَمَّا صِفَةُ إِزَارِهِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي
مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا فَقَالَتْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَيْنِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِي رِوَايَةِ كِسَاءٍ مُلَبَّدًا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ أَنِّي مُرَقِّعًا وَقِيلَ
الْمُلَبَّدُ الَّذِي تُحْنُ وَسَطُهُ وَصَفَقَ حَتَّى صَارَ بِشِبْهِ اللَّبَدِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا قَالَتْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالْمِرْطُ كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ خَزٍّ يُؤْتَرَزُ بِهِ . قَالَ النَّوَوِيُّ وَالصَّوَابُ الَّذِي رَوَاهُ الْجَمْهُورُ وَضَبَطَهُ الْمُتَقِنُونَ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ أَيْ عَلَيْهِ صُورٌ رِحَالِ الْإِبِلِ وَلَا بَأْسَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ وَإِنَّمَا يَحْرُمُ تَصْوِيرُ الْحَيَوَانِ . وَعَنْ عُرْوَةَ أَنَّ طُولَ رِدَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ وَعَرْضُهُ ذِرَاعَانِ وَشِبْرٌ . وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّ ثَوْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَانَ يَخْرُجُ فِيهِ إِلَى الْوَفْدِ رِدَاءٌ أَخْضَرُ فِي طُولِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ وَعَرْضُهُ ذِرَاعَانِ وَشِبْرٌ . وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ رَأَيْتُ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بُرْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَبْرَةٍ لَهُ حَاشِيَتَانِ . وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ يَتَفَعَّقُ .

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُزْجِي الْإِزَارَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَرْفَعُهُ مِنْ وَرَائِهِ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِرُ تَحْتَ سُرَّتِهِ وَتَبْدُو سُرَّتُهُ وَرَأَيْتُ عُمَرَ يَأْتِرُ فَوْقَ سُرَّتِهِ رَوَاهَا كُلُّهَا الدَّمِيَّاطِيُّ . وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةً طَيَالِسَةً كَسَرَوَانِيَّةً لَهَا لِبْنَةٌ دِيبَاجٌ وَقَرَّبَاجًا مَكْفُوفَانِ بِالْذِّبَاجِ وَقَالَتْ هَذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَلَمَّا قُبِضَتْ قُبِضَتْهَا وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُهَا فَتُخَنُّ نَعْسِلُهَا لِلْمَرْضَى وَنَسْتَشْفِي بِهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَوْلُهُ جُبَّةٌ طَيَالِسَةٌ بِإِضَافَةِ جُبَّةٍ إِلَى طَيَالِسَةٍ وَكَسَرَوَانِيَّةٌ نِسْبَةٌ إِلَى كَسْرَى وَلِبْنَةٌ رُقْعَةٌ مِنْ جَنْبِ الْقَمِيصِ .

وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَبْدُو مِنْهُ إِلَّا طَيِّبٌ كَانَ آيَةً ذَلِكَ فِي بَدَنِهِ الشَّرِيفِ أَنَّهُ لَا يَتَسَبَّحُ لَهُ ثَوْبٌ قِيلَ وَلَمْ يَقْمَلْ ثَوْبُهُ . وَنَقَلَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ أَنَّ الدُّبَابَ لَا يَقَعُ عَلَى ثِيَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ لَا يَمْتَصُّ دَمَهُ الْبَعُوضُ ، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُكْثِرُ الْقِنَاعَ وَفِي رِوَايَةٍ يُكْثِرُ التَّقْنَعُ . قَالَ الْعِرَاقِيُّ التَّقْنَعُ تَغْطِيَةُ الرَّأْسِ بِطَرَفِ الْعِمَامَةِ أَوْ بِرِدَاءٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . (وَأَمَّا الْخَاتَمُ) فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ وَرَقٍ فَكَانَ فِي يَدِهِ ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ عُمَرَ ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَتَّى وَقَعَ فِي بَيْتِ أَرَيْسٍ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَسَ

خَاتَمَ فِضَّةً فِيهِ قَصٌّ حَبَشِيٌّ وَكَانَ يَجْعَلُ قَصَّهُ مِمَّا يَلِي كَفَّهُ . وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالتَّجَاشِي فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ كِتَابًا إِلَّا بِخَتَمٍ فَصَاعَ خَاتَمًا وَنَقَشَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَإِنَّمَا لِبَسُهُ أَبُو بَكْرٍ لِأَجْلِ وَلَا يَتِيهِ فَإِنَّهُ كَانَ يَخْتَاجُ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْتَاجُ إِلَيْهِ وَكَذَلِكَ عُمَرُ وَغُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ وَجَعَلَ قَصَّهُ مِمَّا يَلِي بَاطِنَ كَفِّهِ فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ الذَّهَبِ قَالَ فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُنْبَرَ فَأَلْقَاهُ وَبَهَى عَنِ التَّخْتُمِ بِالذَّهَبِ ، وَأَمَّا قَصٌّ خَاتِمِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ قَصُّهُ مِنْهُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ خَاتَمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَصَّهُ حَبَشِيًّا أَيْ مِنْ جَزِيرٍ أَوْ عَقِيقٍ وَمَعْدِنُهُمَا بِالْحَبَشَةِ وَالْيَمَنِ .

وَأَمَّا نَقْشُ خَاتِمِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَعَ خَاتَمًا مِنْ وَرَقٍ نَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ لِلنَّاسِ إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنَقَشْتُ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَلَا يَنْقُشُ أَحَدٌ عَلَى نَقْشِهِ . وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَالتِّرْمِذِيِّ وَكَانَ نَقْشُ الْخَاتَمِ ثَلَاثَةً أَسْطَرِ مُحَمَّدٌ سَطْرٌ وَرَسُولٌ سَطْرٌ وَاللَّهُ سَطْرٌ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى الْخِنْصَرِ مِنْ يَدِهِ الْيُسْرَى .

وَعَنْ حَمَادِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي رَافِعٍ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ وَقَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ . وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَخَتَّمُ وَرُبَّمَا خَرَجَ وَفِي خَاتَمِهِ خَيْطٌ مَرْبُوطٌ يَسْتَذَكِّرُ بِهِ الشَّيْءَ رَوَاهُ ابْنُ عَدِيٍّ وَغَيْرُهُ . (وَأَمَّا السَّرَاوِيلُ) فَقَدْ جَزَمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَلْبَسْهَا لَكِنْ قَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ عِنْدَ أَبِي يَغْلَى الْمُؤَصِّلِي بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ دَخَلْتُ السُّوقَ يَوْمًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ إِلَى الْبَزَائِينَ فَاشْتَرَى سَرَاوِيلَ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ وَكَانَ لِأَهْلِ السُّوقِ وَرَأْنٌ يَرْنُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ائْتِرْنِ وَأَرْجِعْ فَقَالَ الْوَرَأْنُ إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مَا سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ لَهُ كَفَى بِكَ مِنَ الْوَهْنِ وَالْجَفَاءِ فِي دِينِكَ أَنْ لَا تَعْرِفَ نَبِيَّكَ فَطَرَحَ الْمِيزَانَ وَوَقَّبَ إِلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَقْبَلَهَا فَجَذَبَ يَدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ وَقَالَ يَا هَذَا إِنَّمَا تَفْعَلُ هَذَا الْأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا

وَلَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ فَوَزَنَ فَأَرْجَحَ وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
السَّارِوِيلَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَدْ هَبْتُ لِأَخِيْلَهُ عَنْهُ فَقَالَ صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ إِلَّا
أَنْ يَكُونَ ضَعِيفًا يَعْجِزُ عَنْهُ فَيُعِينُهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّكَ تَلْبَسُ السَّارِوِيلَ
فَقَالَ أَجَلٌ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَإِنِّي أُمِرْتُ بِالسَّيْرِ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَسْتَرِ مِنْهُ وَقَدْ
صَحَّ شَرَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْسَّارِوِيلِ. (وَأَمَّا الْخُفُّ) فَزَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ بُرَيْدَةَ أَنَّ
التَّجَاشِيَّ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُفَيْنِ أَسْوَدَيْنِ سَادَجَيْنِ فَلَبِسَهُمَا ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ
عَلَيْهِمَا.

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ أَهْدَى دِيحِيَّةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُفَيْنِ فَلَبِسَهُمَا.
(وَأَمَّا ثَعْلُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ ثَعْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَهُمَا
قِبَالَانِ. وَالْقِبَالَانِ ثَنِيَّةٌ قِبَالٍ وَهُوَ زِمَامُ الثَّغْلِ وَهُوَ السَّيْرُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْإِصْبَعَيْنِ. وَعَنْ
عُبَيْدِ بْنِ جُرَيْجٍ أَنَّهُ قَالَ لِأَبْنِ عُمَرَ رَأَيْتُكَ تَلْبَسُ الثَّعَالَ السَّبْتِيَّةَ قَالَ إِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ الثَّعَالَ التَّيَّ لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَلْبَسَهَا. وَعَنْ عَمْرِو
بْنِ حُرَيْثٍ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي ثَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الثَّيْمَنَ مَا
اسْتَطَاعَ فِي تَرْجُلِهِ وَتَنْعُلِهِ وَطُهْرِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَأَفْرَدَ ثَمَثَالُ ثَعْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالتَّأْلِيفِ غَيْرُ وَاحِدٍ وَمِنْ بَعْضِ مَا ذَكَرَ مِنْ فَضْلِهَا وَجُرْبٍ مِنْ نَفْعِهَا وَبَرَكَتِهَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو
جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ وَكَانَ شَيْخًا صَالِحًا قَالَ حَدَّثْتُ هَذَا الْمِثَالُ لِبَعْضِ الطُّلَبَةِ
فَجَاءَنِي يَوْمًا فَقَالَ لِي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ مِنْ بَرَكَاتِهِ هَذَا الثَّغْلُ عَجَبًا أَصَابَ زَوْجَتِي وَجَعٌ شَدِيدٌ كَادَ
يُهْلِكُهَا فَجَعَلْتُ الثَّغْلَ عَلَى مَوْضِعِ الْوَجَعِ وَقُلْتُ اللَّهُمَّ أَرِنِي بَرَكَاتِهِ هَذَا الثَّغْلُ فَشَفَاها
اللَّهُ لِلْحَيَيْنِ. وَمِمَّنْ أَفْرَدَ الثَّمَنَالَ الشَّرِيفَ بِالتَّأْلِيفِ أَبُو إِسْحَاقَ السُّلَمِيُّ الْأَنْدَلِسِيُّ الْمَشْهُورُ بِابْنِ
الْحَاجِّ قَالَ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمِمَّا جُرْبٍ مِنْ بَرَكَتِهِ أَنَّهُ مَنْ أَمْسَكَهُ عِنْدَهُ مُتَبَرِّكًا بِهِ كَانَ
لَهُ أَمَانٌ مِنْ بَغْيِ الْبُغَاةِ وَعَلَبَةِ الْعِدَاةِ وَجِرَازًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ وَعَيْنٍ كُلِّ حَاسِدٍ وَإِنْ أَمْسَكَتُهُ
الْمَرْأَةُ الْحَامِلُ بِيَمِينِهَا وَقَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهَا الطَّلُقُ تَيَسَّرَ أَمْرُهَا بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ. وَإِلَّا بِي بَخْرٍ
الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَتَعْلٍ خَضَعْنَا هَيْبَةً لِبَهَائِهَا
فَضَعْنَا عَلَى أَغْلَى الْمَفَارِقِ إِنَّهَا
وَلِئَا مَتَى نَخْضَعُ لَهَا أَبَدًا نَعْلُ
حَقِيقَتُهَا تَاجٌ وَصُورَتُهَا نَعْلُ

بِأَخْمَصِ خَيْرِ الْخَلْقِ حَارِثَ مَرْيَةَ
طَرِيقُ الْهَدَى عَنْهَا اسْتَنَارَتْ لِمُبْصِرِ
سَلَوْنَا وَلَكِنْ عَنْ سِوَاهَا وَإِنَّمَا
فَمَا شَاقْنَا مُذْرَاقْنَا رَسْمَ عِزِّهَا
شِفَاءَ لِيذِي سُقْمٍ رَجَاءَ لِبَائِسِ
(وَأَمَّا فِرَاشُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخَذَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا
تَدْعُو ضُرُورَتُهُ إِلَيْهِ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَتَأَمُّ عَلَيْهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لَيْفَ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ وَرَوَى النَّبَهَيْيُّ مِنْ حَدِيثِهَا قَالَتْ
دَخَلْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَأَتْ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطِيفَةً مَثْنِيَةً
فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِفِرَاشٍ حَشْوُهُ الصُّوفُ فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا هَذَا يَا
عَائِشَةُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَانَةُ الْأَنْصَارِيَّةِ دَخَلْتُ فَرَأْتُ فِرَاشَكَ فَبَعَثْتُ إِلَيَّ بِهَذَا فَقَالَ رُدِّيهِ يَا
عَائِشَةُ فَوَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَأَجْرَى اللَّهُ مَعِيَ جَبَالَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي عُرْفَةٍ كَأَنَّهَا بَيْتٌ حَمَامٍ
وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِهِ فَبَكَيْتُ فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
كَيْسَرِي وَقَيْصَرِي يَطْلُوْنَ عَلَى الْخَزْ وَالْدِّيْبَاجِ وَالْحَرِيرِ وَأَنْتَ نَائِمٌ عَلَى هَذَا الْحَصِيرِ قَدْ أَثَّرَ فِي
جَنْبِكَ فَقَالَ لَا تَبْكِي يَا عَبْدَ اللَّهِ فَإِنَّ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَالَ فَجَلَسْتُ إِذَا عَلَيْهِ إِزَارُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي
جَنْبِهِ وَإِذَا بِقُبْضَةٍ مِنَ الشَّعِيرِ نَحْوِ الصَّاعِ وَإِذَا إِمَابٌ مُعَلَّقٌ فَابْتَدَرْتُ عَيْنَايَ فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ يَا بِنْتُ
الْخَطَّابِ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ وَهَذِهِ خَزَائِكَ لَا
أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى وَذَلِكَ كَيْسَرِي وَقَيْصَرِي فِي الثَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ وَأَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ
خَزَائِنُهُ قَالَ يَا بِنْتُ الْخَطَّابِ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونِ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ
صَحِيحٍ وَالْحَاكِمِ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَفْظُهُ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَأْذَنْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي مَشْرُتِهِ وَإِنَّهُ لَمُضْطَجِعٌ عَلَى خَصْفَةٍ وَإِنَّ
بَعْضَهُ لَعَلَى الثَّرَابِ وَتَحْتَ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ مَحْشُوءَةٌ لَيْفًا وَإِنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ لِمِخَابَ عَطِيطٍ وَفِي نَاحِيَةِ
الْمَشْرُتَةِ قَرْطٌ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَجَلَسْتُ فَقُلْتُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ وَكَيْسَرِي وَقَيْصَرِي عَلَى سُورٍ
الذَّهَبِ وَفُرْشِ الدِّيْبَاجِ وَالْحَرِيرِ فَقَالَ أَوْلَيْكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ وَشَيْكَةُ

الْأَنْقِطَاعِ وَإِنَّا قَوْمٌ أُخْرِثَ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي آخِرَتِنَا. وَالْمَشْرُبَةُ الْعُرْقَةُ يُصْعَدُ إِلَيْهَا بِدَرَجَةٍ وَالْخَصْفَةُ
وِعَاءٌ مِنْ خُوصٍ لِلثَّمْرِ وَالْإِهَابُ الْجِلْدُ وَالْعَطِينُ الْمُتَيْنُ وَالْقَرْطُ وَرَقُّ السَّلَمِ الَّذِي يُدْبَعُ بِهِ
وِرْوَايَةُ الْإِهَابِ وَالْعَطِينُ بِذَوْنِ أَلْفٍ مَعَ كَوْنِهِمَا مَنُصُوبَيْنِ عَلَى لَعَةٍ رَبِيعَةٍ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيرٌ مُرْمَلٌ بِالْبَزْدِيِّ
عَلَيْهِ كِسَاءٌ أَسْوَدٌ وَقَدْ حَشُونَاهُ بِالْبَزْدِيِّ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمَرُ عَلَيْهِ فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ نَائِمٌ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَاهُمَا اسْتَوَى جَالِسًا فَتَنَزَّرَ فَإِذَا أَثَرُ السَّرِيرِ فِي جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُؤْذِيكَ حُشُونَةُ مَا نَرَى مِنْ فِرَاشِكَ وَسَرِيرِكَ وَهَذَا
كَسْرَى وَقَيْصَرٌ عَلَى فُرْشِ الدِّيْبَاجِ وَالْحَرِيرِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا تَقُولَا هَذَا فَإِنَّ فِرَاشَ
كَسْرَى وَقَيْصَرَ فِي الثَّارِ وَإِنَّ فِرَاشِي وَسَرِيرِي عَاقِبَتُهُ إِلَى الْجَنَّةِ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.
وَالْمُرْمَلُ الْمَنْسُوجُ وَالْبَزْدِيُّ ثَبَاتٌ. وَمَا غَابَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُضْطَجِعًا قَطُّ إِنْ فُرِشَ لَهُ
اضْطَجَعَ وَإِلَّا اضْطَجَعَ عَلَى الْأَرْضِ. وَتَعَطَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللِّحَافِ قَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا أَتَانِي جَبْرِيلُ وَأَنَا فِي لِحَافٍ أَمْرَأَةٍ مِنْكُمْ غَيْرِ عَائِشَةَ.

النوع الثالث

في سيرته عليه الصلاة والسلام في نكاحه

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حُبُّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءِ وَالطِّيبِ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي
الصَّلَاةِ. وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَضَّلْتُ عَلَى
النَّاسِ بِأَرْبَعٍ بِالسَّمَاخَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَكَثْرَةِ الْجَمَاعِ وَشِدَّةِ الْبُطْشِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ. وَقَالَ أَنَسٌ كَانَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَهُنَّ إِخْدَى عَشْرَةَ قَالَ
فَتَادَةُ قُلْتُ لِأَنَسٍ أَوْ كَانَ يُطِيقُهُ قَالَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ طَاوُسٍ وَمُجَاهِدٍ أُعْطِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فِي الْجَمَاعِ رَوَاهُ
ابْنُ سَعِيدٍ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قُوَّةَ بَضْعٍ وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا كُلُّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ رَوَاهُ
الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ وَعِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَفَعَهُ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجَمَاعِ وَالشَّهْوَةِ. وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ مَرْفُوعًا
أَتَانِي جَبْرِيلُ بِقَدِيرٍ فَأَكَلْتُ مِنْهَا فَأُعْطِيتُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فِي الْجَمَاعِ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ. وَلَمَّا
كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِمَّنْ أَفْدَرَ عَلَى الْقُوَّةِ فِي الْجَمَاعِ وَأُعْطِيَ الْكَثِيرَ مِنْهُ أُبَيِّحُ لَهُ مِنْ

عَدَدِ الْحَرَائِرِ مَا لَمْ يَبَّحْ لِغَيْرِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَزَوَّجُوا فَإِنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً يُشِيرُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

النوع الرابع

فِي نَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيَسْتَيْقِظُ فِي أَوَّلِ النُّصْفِ الثَّانِي فَيَقُومُ فَيَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّأُ وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ مِنَ النَّوْمِ فَوْقَ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ وَلَا يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ مِنْهُ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَامُ عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ ذَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنَاهُ غَيْرَ مُمْتَلِيٍّ الْبَطْنِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَنَامُ عَلَى الْفِرَاشِ تَارَةً وَعَلَى الطُّعْجِ تَارَةً وَعَلَى الْحَصِيرِ تَارَةً وَعَلَى الْأَرْضِ تَارَةً وَالطُّعْجُ مِنَ الْجِلْدِ. وَكَانَ فِرَاشُهُ أَدَمًا حَشَوُهُ لَيْفٌ وَكَانَ لَهُ مِسْحٌ يَنَامُ عَلَيْهِ وَالْمِسْحُ فِرَاشٌ خَشِيشٌ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ وَضَعَ كَفَّهُ تَحْتَ خَدِّهِ الْأَيْمَنِ وَقَالَ رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعُثُ عِبَادَكَ وَفِي رِوَايَةٍ يَوْمَ تَجْمَعُ عِبَادَكَ. وَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا عَرَّسَ بِلَيْلٍ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا نَامَ نَفَخَ. وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتْ وَأَحْيَا.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ كَفَّيْهِ فَيَنْفِثُ فِيهِمَا وَيَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ وَيَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَضَعُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَّنَا وَأَوَّانَا فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَّ رَوَى ذَلِكَ التِّرْمِذِيُّ. وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا قَالَتْ لَهُ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُؤْتَرَ.

المقصد الرابع

في مُعْجَزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الدَّلَالَةُ
عَلَى ثُبُوتِ نُبُوتِهِ وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ وَمَا خُصَّ
بِهِ مِنْ خُصَائِصِ آيَاتِهِ وَبَدَائِعِ كَرَامَاتِهِ وَفِيهِ فَضْلَانِ

الفصل الأول

في مُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اَعْلَمَ أَنَّ دَلَائِلَ نُبُوتِهِ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَةٌ وَالْأَخْبَارُ بِظُهُورِ مُعْجَزَاتِهِ شَهِيرَةٌ
فَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا وَجَدَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَسَائِرِ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ
مِنْ ذِكْرِهِ وَنَعْتِهِ وَخُرُوجِهِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ وَمَا خَرَجَ بَيْنَ يَدَيْ أَيَّامِ مَوْلِدِهِ وَمَبْعَثِهِ مِنَ الْأُمُورِ
الْغَرِيبَةِ الْقَادِحَةِ فِي سُلْطَانِ الْكُفْرِ الْمُوهِنَةِ لِكَلِمَتِهِمُ الْمُؤَيَّدَةِ لِشَأْنِ الْعَرَبِ الْمُتَوَهِّةِ بِذِكْرِهِمْ
كَقِصَّةِ الْفِيلِ وَمَا أَحَلَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْعُقُوبِ وَالنَّكَالِ، وَخُمُودِ نَارِ قَارِسٍ،
وَسُقُوطِ شُرَفَاتِ إِيوَانَ كِسْرَى، وَغَيْضِ مَاءِ بُحَيْرَةِ سَاوَه، وَرُؤْيَا الْمُؤِيدَانِ، وَمَا سَمِعَ مِنَ
الْهَوَاتِفِ الصَّارِخَةِ بِنُبُوتِهِ وَأَوْصَافِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَانْتِكَاسِ الْأَصْنَامِ الْمَغْبُودَةِ
وَحُرُورِهَا لِوُجْهِهَا مِنْ غَيْرِ دَافِعٍ لَهَا مِنْ أَمَكْنَتِهَا، إِلَى سَائِرِ مَا رُويَ وَنُقِلَ فِي الْأَخْبَارِ
الْمَشْهُورَةِ مِنْ ظُهُورِ الْعَجَائِبِ فِي وَلَاذَتِهِ وَأَيَّامِ حِضَانَتِهِ وَبَعْدَهَا إِلَى أَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَسْتَمِيلُ بِهِ الْقُلُوبَ مِنْ مَالٍ فَيُطْمَعُ فِيهِ وَلَا قُوَّةَ فَيَقْهَرُ بِهَا
الرِّحَالَ وَلَا أَغْوَانٍ عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَالَّذِينَ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ عَلَى عِبَادَةِ
الْأَصْنَامِ وَتَعْظِيمِ الْأَزْلَامِ مُقِيمِينَ عَلَى عَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْعُصْبَةِ وَالْحَمِيَّةِ وَالتَّعَادِيِ وَالتَّبَاغِيِ
وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَشَنِّ الْغَارَاتِ لَا تَجْمَعُهُمْ أَلْفَةٌ دِينٍ وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ سُوءِ أَعْقَالِهِمْ نَظَرٌ فِي عَاقِبَةِ
وَلَا خَوْفٌ عُقُوبَةٍ وَلَا يَمَّةٌ قَالَتْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَجَمَعَ كَلِمَتَهُمْ حَتَّى انْتَفَقَتْ
الْأَزَاءُ وَتَنَاصَرَّتِ الْقُلُوبُ وَتَرَادَفَتْ الْأَيْدِي فَصَارُوا إِلْبًا وَاحِدًا فِي نُصْرَتِهِ وَعُتْقًا وَاحِدًا إِلَى

طَلَعَتْهُ وَهَجَرُوا بِلَادَهُمْ وَأَوْطَأَتْهُمْ وَجَفُّوا قَوْمَهُمْ وَعَشَائِرَهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ وَبَدَّلُوا مَهَجَهُمْ وَأَزْوَاحَهُمْ فِي نُصْرَتِهِ وَنَصَبُوا وَجُوهَهُمْ لَوُفْعِ السُّيُوفِ فِي إِغْزَازِ كَلِمَتِهِ بِلَا دُنْيَا بَسَطَهَا لَهُمْ وَلَا أُمُودٍ أَفَاضَهَا عَلَيْهِمْ وَلَا غَرَضٍ فِي الْعَاجِلِ أَطْمَعَهُمْ فِي نَبِيلِهِ يَرْجُوْنَهُ أَوْ أَمْرٍ مِنْ مُهِمَّاتِ الدُّنْيَا يَحُورُونَهُ بَلْ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلَ الْعَنِيَّ فَقِيرًا وَالشَّرِيفَ أُسْوَةً الْوَضِيعِ فَهَلْ يَلْتَنِمُ مِثْلُ هَذِهِ الْأُمُورِ أَوْ يَتَّفِقُ مَجْمُوعُهَا لِأَحَدٍ هَذِهِ سَبِيلُهُ مِنْ قَبْلِ الْأَخْتِيَارِ الْعَقْلِيِّ وَالتَّنْذِيرِ الْفِكْرِيِّ لَا وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَسَخَّرَ لَهُ هَذِهِ الْأُمُورَ مَا يَزَنَابُ عَاقِلٌ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ إِلَهِيٌّ وَشَيْءٌ غَالِبٌ سَمَاوِيٌّ نَاقِضٌ لِلْعَادَاتِ تَعْجِزُ عَنْ بُلُوغِهِ قُوَى النَّبَشْرِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، (فَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أُمِّيًّا لَا يَخْطُ كِتَابًا بِيَدِهِ وَلَا يَقْرَأُ وَلَيْدٌ فِي قَوْمٍ أُمِّيِّينَ وَنَشَأَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ فِي بَلَدٍ لَيْسَ بِهَا عَالِمٌ يَعْرِفُ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ وَلَمْ يَخْرُجْ فِي سَفَرٍ ضَارِبًا إِلَى عَالِمٍ فَيَعْكُفُ عَلَيْهِ فَيَجَاءَهُمْ بِأَخْبَارِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَقَدْ كَانَ ذَهَبَتْ مَعَالِمُ تِلْكَ الْكُتُبِ وَدُرِسَتْ وَحُرِفَتْ عَنْ مَوَاضِعِهَا وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَا وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِصِحِّحِهَا وَسَقِيمِهَا إِلَّا الْقَلِيلُ.

ثُمَّ حَاجَّ كُلَّ قَرِيبٍ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الْمُخَالَفَةِ لَهُ بِمَا لَوْ اخْتَشَدَ لَهُ حُدُودُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجَهًا بِدَلَّةِ النُّقَادِ الْمُتَمَقِّنِينَ لَمْ يَتَّهَيَّ لَهُمْ نَفْضُ ذَلِكَ وَهَذَا أَدْلُ شَيْءٍ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. (وَمِنْ ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ) فَقَدْ تَحَدَّى بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِعْجَازِ وَدَعَاهُمْ إِلَى مُعَارَضَتِهِ وَالْإِثْنَانِ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَتَكَلَّمُوا عَنْهُ وَعَجَزُوا عَنِ الْإِثْنَانِ بِشَيْءٍ مِنْهُ. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّ الَّذِي أَوْزَدَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْعَرَبِ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي أَعْجَزَهُمْ عَنِ الْإِثْنَانِ بِمِثْلِهِ أَعْجَبَ فِي الْآيَةِ وَأَوْضَحَ فِي الدَّلَالَةِ مِنْ إِخْيَاءِ الْمَوْتَى وَلِإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ لِأَنَّهُ أَتَى أَهْلَ الْبَلَاغَةِ وَأَزْنَابَ الْفَصَاحَةِ وَرُؤَسَاءَ الْبَيَانِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ فِي اللَّسَنِ بِكَلَامٍ مَفْهُومٍ الْمَعْنَى عِنْدَهُمْ فَكَانَ عَجْزُهُمْ عَنْهُ أَعْجَبَ مِنْ عَجْزِ مَنْ شَاهَدَ الْمَسِيحَ عِنْدَ إِخْيَاءِ الْمَوْتَى لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَطْمَعُونَ فِيهِ وَلَا فِي إِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَلَا يَتَعَاظُونَ عِلْمَهُ وَقُرَيْشٌ كَانَتْ تَتَعَاظَى الْكَلَامَ الْفَصِيحَ وَالْبَلَاغَةَ وَالْخُطَابَةَ فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَجْزَ عَنْهُ إِثْمًا كَانَ لِيَتَصِيرَ عَلَمًا عَلَى رِسَالَتِهِ وَصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَهَذِهِ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ وَبُرْهَانٌ وَاضِحٌ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عُقَلَاءِ الرُّجَالِ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِهِ بَلْ هُوَ أَعْقَلُ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِطْلَاقِ وَقَدْ قَطَعَ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِ مَا تَحَدَّاهُمْ بِهِ فَقَالَ: ﴿إِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ فَلَوْلَا عِلْمُهُ بِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلَامُ الْغُيُوبِ وَأَنَّهُ لَا يَقَعُ فِيْمَا أَخْبَرَ عَنْهُ خُلْفٌ وَلَا لَمْ يَأْذَنَ لَهُ عَقْلُهُ أَنْ يَفْطَحَ الْقَوْلَ فِي شَيْءٍ بِأَنَّهُ لَا يَكُونُ وَهُوَ يَكُونُ انْتَهَى وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يُقَالُ فِي هَذَا الْمَجَالِ وَأَبْدَعِهِ وَأَكْمَلِهِ وَأَبْيَنِهِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَادَى عَلَيْهِمْ بِالْعَجْزِ قَبْلَ الْمُعَارَضَةِ وَبِالتَّقْصِيرِ عَنْ بُلُوغِ الْغَرَضِ فِي الْمُنَاقَضَةِ صَارِخًا بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ الْإِلْتِمَامَ بِهِ مَعَ تَوْفِيرِ الدَّوَاعِي وَتَظَاهِرِ الْأَجْتِهَادِ فَقَالَ وَكَانَ بِمَا أَلْقَى إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَخْبَارِ عَلِيمًا خَبِيرًا (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: ٨٨] قَرَضِيَتْ هِمَمُهُمُ السَّرِيَّةَ وَأَنْفُسُهُمُ الشَّرِيفَةَ الْأَبْيَّةَ بِسَفْكِ الدَّمَاءِ وَهَتَكِ الْحُرْمِ لِعَجْزِهِمْ.

وَقَدْ وَرَدَ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَإِقْرَارِهِمْ بِإِعْجَازِهِ جُمْلَةً كَثِيرَةً مِنْهَا مَا رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ حَدَّثْتُ أَنَّ عُثْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَذَهُ فِي الْمَسْجِدِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلَا أَقُومُ إِلَى هَذَا فَأَعْرِضُ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنَّا بَعْضُهَا وَيَكْفُ عَنَّا قَالُوا بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ فَقَامَ عُثْبَةُ فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِيْمَا قَالَهُ عُثْبَةُ وَفِيْمَا عَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَاسْمَعْ مِنِّي قَالَ أَفَعَلْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿يَسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت: ٣] فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُهَا عَلَيْهِ فَلَمَّا سَمِعَهَا عُثْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا وَأَلْقَى بِيَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْتَمِعُ مِنْهُ حَتَّى انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّجْدَةِ فَسَجَدَ فِيْمَا ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ قَالَ سَمِعْتُ فَأَنْتَ وَذَلِكَ فَقَامَ عُثْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَخْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي دَهَبَ بِهِ فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ قَالَ إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ قَطُّ وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ وَلَا بِالسُّخْرِ وَلَا الْكَهَانَةِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَطِيعُونِي خَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ قَوْلَ اللَّهِ لِيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأًا قَالَ فَأَجَابَنِي بِشَيْءٍ وَاللَّهِ مَا هُوَ بِشَعْرِ وَلَا سِخْرِ وَلَا كَهَانَةٍ قَرَأَ ﴿يَسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٣] حَتَّى بَلَغَ ﴿فَقُلْ﴾

أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿ فَأَمْسَكْتُ فَمَهُ وَنَاشِدَتُهُ الرِّجَمَ أَنْ يَكُفَّ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا قَالَ شَيْئًا لَمْ يَكْذِبْ فَخِخْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ الْعَذَابَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَعَنْ عِكْرَمَةَ فِي قِصَّةِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُعِيرَةِ وَكَانَ زَعِيمَ قُرَيْشٍ فِي الْفَصَاحَةِ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ عَلَيَّ فَقَرَأَ عَلَيْهِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ﴾ [النحل: ٩٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ أَعِدْ فَأَعَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّ أَغْلَاهُ لَمُثْمِرٌ وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُعْدِقٌ وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ وَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَغْلَمُ بِالشَّعْرِ مِنِّي وَلَا أَغْلَمُ بِرَجْزِهِ وَلَا يَأْشَعَارُ الْجَنُّ وَاللَّهِ مَا يُشَبِّهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَغْلَاهُ مُعْدِقٌ أَسْفَلَهُ وَإِنَّهُ لَيَغْلُو وَلَا يُغْلَى . وَفِي خَبَرِهِ الْآخِرِ حِينَ جَمَعَ قُرَيْشًا عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْسِمِ وَقَالَ إِنَّ وَفُودَ الْعَرَبِ تَرُدُّ فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا لَا يَكْذِبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَقَالُوا نَقُولُ كَاهِنٌ قَالَ وَاللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ مَا هُوَ بِزَمَرَمَةٍ وَلَا سَجْعَةٍ قَالُوا مَجْنُونٌ قَالَ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ وَلَا بِخَنَفٍ وَلَا بِسُوسَتِهِ قَالُوا فَتَقُولُ شَاعِرٌ قَالَ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ قَدْ عَرَفْنَا الشَّعْرَ كُلَّهُ رَجَزُهُ وَهَجَزُهُ وَقَرِيبُضُهُ وَمَسْطُوطُهُ وَمَقْبُوضُهُ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ قَالُوا فَتَقُولُ سَاحِرٌ قَالَ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ وَلَا نَفْثِيهِ وَلَا عُقْدِهِ قَالُوا فَمَا تَقُولُ قَالَ فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا وَأَنَا أَغْرِفُ أَنَّهُ بَاطِلٌ رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَالْبَيْهَقِيُّ .

وَلَمَّا أَسْلَمَ فَيْثَانُ بَنِي سَلَمَةَ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ لِأَبْنَيْهِ أَخْبِرْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ فَقَرَأَ عَلَيْهِ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إِلَى أَنْ بَلَغَ ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ١ - ٦] فَقَالَ مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلَهُ أَوْ كُلُّ كَلَامِهِ مِثْلُ هَذَا قَالَ يَا أَبَتِ وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا . قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَوْ وُجِدَ مَكْتُوبًا فِي مِصْحَفٍ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَلَمْ يُعْلَمْ مَنْ وَضَعَهُ هُنَاكَ لَشَهِدَتْ الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَنَّ الْبَشَرَ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى تَأْلِيفِ مِثْلِ ذَلِكَ فَكَيْفَ إِذَا جَاءَ عَلَى يَدِ أَصْدَقِ الْخَلْقِ وَأَبْرَهَمَ وَأَنْقَاهُمْ وَقَالَ إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَتَحْدَى الْخَلْقِ كُلُّهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَعَجَزُوا فَكَيْفَ يَبْقَى مَعَ هَذَا شَكٌّ وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] .

فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا بَعْدَهُ عَلَى نَظْمِهِ وَتَأْلِيفِهِ وَعُدُوبَةِ مَنْطِقِهِ وَصِحَّةِ مَعَانِيهِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْأَشْيَاءِ الَّتِي ذَلَّتْ

عَلَى الْبَغْيِ وَآيَاتِهِ وَالْإِنْبَاءِ بِمَا كَانَ وَيَكُونُ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْأَمْتِنَاعِ مِنْ إِزَاقَةِ الدَّمَاءِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْعَرَبُ الْفُصَحَاءُ وَالْخُطَبَاءُ وَالْبُلْعَاءُ وَالشُّعْرَاءُ وَالْفُهَمَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَدَّةٍ مَا عَرَفُوهُ قَبْلَ ثُبُوتِهِ وَأَدَاءِ رِسَالَتِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يُحْسِنُ نَظْمَ كِتَابٍ وَلَا عَقْدَ حِسَابٍ وَلَا يُشِيدُ شِعْرًا وَلَا يَحْفَظُ خَبْرًا وَلَا يَزِي أَثْرًا حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالرُّوحِ الْمُتَزَلِّ وَالْكِتَابِ الْمُفْصَّلِ فَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَحَاجَّهُمْ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيَّكُمْ وَلَا أَذْرَأَكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦] وَشَهِدَ لَهُ فِي كِتَابِهِ بِذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتُ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُنْبِطِلُونَ﴾.

وَأَمَّا مَا عَدَا الْقُرْآنَ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَنْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ بِرَكَتِهِ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ، وَنُطْقِ الْجَمَادِ، فَمِنْهُ مَا وَقَعَ التَّحْدِي بِهِ وَمِنْهُ مَا وَقَعَ دَالًا عَلَى صِدْقِهِ مِنْ غَيْرِ سَبْقٍ تَحَدٍّ وَمَجْمُوعُ ذَلِكَ يُفِيدُ الْقَطْعَ بِأَنَّهُ ظَهَرَ عَلَى يَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُعْجَزَاتِ النَّبَوِيَّةِ قَدْ اشْتَهَرَ وَرَوَاهُ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ وَالْعَجْمُ الْغَفِيرُ.

وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مُعْجَزَاتِهِ وَبَاهَرَ آيَاتِهِ وَكَرَامَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَجَدْتَهَا شَامِلَةً لِلْعُلُوبِ وَالسُّفُلِيِّ وَالصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ وَالسَّائِكِ وَالْمُتَحَرِّكِ وَالْمَائِعِ وَالْجَامِدِ وَالسَّابِقِ وَاللَّاحِقِ وَالْعَاجِبِ وَالْحَاضِرِ وَالْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ وَالْعَاجِلِ وَالْأَجَلِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَوْ عُدَّ لَطَالَ كَالرَّمِي بِالشُّهُبِ الثَّوَابِ، وَمَنْعِ الشَّيَاطِينِ مِنْ اسْتِزَاقِ السَّمْعِ، وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهَادَتِهَا لَهُ بِالرَّسَالَةِ وَمُخَاطَبَتِهَا لَهُ بِالسِّيَادَةِ، وَحَنِينِ الْجَذْعِ، وَتَبَعِ الْمَاءِ مِنْ كَفِّهِ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ، وَرَدِّ الْعَيْنِ بَعْدَ الْعَوْرِ، وَنُطْقِ الْبَجِيرِ وَالذُّبِّ، وَكَالُورِ الْمُتَوَارِثِ مِنْ آدَمَ إِلَى جَبْهَةِ أَبِيهِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الَّتِي تَدَاوَلَتْهَا الرُّوَاهُ مِمَّا لَوْ أَعْمَلْنَا أَنْفُسَنَا فِي حَضَرِهَا لَفَنِي الْمَدَى فِي ذِكْرِهَا وَلَوْ بَالَعَ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ فِي إِخْصَاءِ مَنَاقِبِهِ لَعَجَزُوا عَنْ اسْتِيفَاءِ مَا حَبَاهُ الْكَرِيمُ مِنْ مَوَاهِبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بَابُ فَيْسِخِ الْمَجَالِ مَبْنِيهِ الْمَنَالِ لَكِنِّي أَتْبَعُهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى ثُبُوتِ بَيِّنَةٍ فَأَقُولُ: (أَمَّا مُعْجَزَةُ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ) فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ﴿افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] وَالْمُرَادُ وَقُوعُ انْشِقَاقِهِ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْقَمَرَ لَمْ يَنْشَقْ لِأَحَدٍ غَيْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مِنْ أَمْهَاتِ مُعْجَزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ وَأَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى وَقُوعِهِ لِأَجْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ لَمَّا كَذَّبُوهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ فِي دَعْوَاهُ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى هَلِهِ الْآيَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي لَا قُدْرَةَ لِبَشَرٍ عَلَى إِيجَادِهَا دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي دَعْوَاهُ الْوَحْدَانِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى. قَالَ الْخَطَّابِيُّ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ لَا يَكَادُ يَغْدِلُهَا شَيْءٌ مِنْ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَذَلِكَ أَنَّهُ ظَهَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمُومَاتِ خَارِجًا عَنْ جُمْلَةِ طِبَاعِ مَا فِي هَذَا الْعَالَمِ الْمُرَكَّبِ مِنَ الطَّبَائِعِ فَلَيْسَ مِمَّا يُطْمَعُ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ بِحِيلَةٍ فَلِذَلِكَ صَارَ الْبُرْهَانُ بِهِ أَظْهَرَ.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ قَالَ فَقَالُوا انْظُرُوا مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَّاءُ فَإِنْ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَالَ فَجَاءَ السُّفَّارُ فَأَخْبَرُوهُمْ بِذَلِكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ الْوَلِيدُ ابْنُ الْمُغِيرَةِ وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ وَالتَّضَرُّ بْنُ الْحَارِثِ وَنَظَرُواوَهُمْ فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَشَقِّ لَنَا الْقَمَرَ فِرْقَتَيْنِ فَسَالَ رَبُّهُ فَانْشَقَّ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُخْتَصَرًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِلَفْظٍ إِنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا جِرَاءَ بَيْنَهُمَا. وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ وَفِرْقَةٌ دُونَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْهَدُوا.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اٰفْتَرٰتِ السَّاعَةِ وَاٰنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] قَالَ قَدْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْشَقَّ فِلْقَتَيْنِ فَلَقَّةٌ دُونَ الْجَبَلِ وَلَقَّةٌ خَلْفَ الْجَبَلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْهَدُوا. وَعِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ قَالَ انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ وَفِرْقَةٌ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ فَقَالُوا سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ فَقَالُوا إِنْ كَانَ سَحَرَنَا فَلَيْتَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ قَدْ رَوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ يَغْنِي حَدِيثُ

انْشِقَاقِ الْقَمَرِ عَنْ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَرَوَى ذَلِكَ عَنْهُمْ أَمْثَالُهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ ثُمَّ نَقَلَهُ عَنْهُمْ الْجَمُّ الْعَفِيرُ إِلَى أَنْ انْتَهَى إِلَيْنَا وَتَأَيَّدَ بِالْآيَةِ الْكَرِيمَةِ هـ.

وَقَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ السُّبُكِيِّ فِي شَرْحِهِ لِمُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَاجِبِ وَالصَّحِيحِ عِنْدِي أَنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مُتَوَاتِرٌ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ مَرْوِيٌّ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا وَلَهُ طُرُقٌ شَتَّى بِحَيْثُ لَا يُمْتَرَى فِي تَوَاتُرِهِ. (وَأَمَّا رَدُّ الشَّمْسِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَرُوي عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوحَى إِلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجَرٍ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمَّ يُصَلِّ الْعَصْرَ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْلَيْتَ يَا عَلِيُّ قَالَ لَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ فَازْدُدْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ قَالَتْ أَسْمَاءُ فَرَأَيْتُهَا غَرَبَتْ ثُمَّ رَأَيْتُهَا طَلَعَتْ بَعْدَهَا غَرَبَتْ وَوَقَعَتْ عَلَى الْجِبَالِ وَالْأَرْضِ وَذَلِكَ بِالصُّهْبَاءِ فِي خَيْبَرَ حَكَاهُ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي الشُّفَاءِ عَنِ الطَّحَاوِيِّ وَرَوَاهُ عَنْهَا الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ وَأَخْرَجَهُ عَنْهَا ابْنُ مَنْدَهٍ وَابْنُ شَاهِينَ وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْذُوقٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ الشَّمْسَ فَتَأَخَّرَتْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ.

وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضُ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ قَوْمَهُ بِالرُّفْقَةِ وَالْعَلَامَةِ النَّبِيِّ فِي الْعَبِيرِ قَالُوا مَتَى تَجِيءُ قَالَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَشْرَفَتْ فَرَيْشٌ يَنْتَظِرُونَ وَقَدْ وَلَّى النَّهَارُ وَلَمْ تَجِيءْ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرِيدَ لَهُ فِي النَّهَارِ سَاعَةً وَخَبِسَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ.

وَكَذَا رُويَ حَبَسُ الشَّمْسِ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّضًا يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَجِئَ شُغْلٌ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَيَكُونُ حَبَسُ الشَّمْسِ مَخْصُوصًا بِنَبِيِّنَا وَيُوشَعُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي الْإِكْمَالِ وَنَقَلَهُ عَنْهُ التَّوْرِيُّ وَالْحَافِظُ بْنُ حَجَرٍ وَمُغْلَطَائِي وَأَقْرَوهُ. (وَأَمَّا مَا رُويَ مِنْ طَاعَاتِ الْجَمَادَاتِ وَتَكْلِيمِهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِالتَّسْبِيحِ وَالسَّلَامِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ فَمِنْهَا تَسْبِيحُ الطَّعَامِ وَالْحَصَى فِي كَفِّهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ تَنَاوَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ حَصَيَاتٍ فَسَبَّحَنَ فِي يَدِهِ حَتَّى سَمِعَتْ لَهُنَّ حَيْنًا ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ فَسَبَّحَنَ ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُمَرَ فَسَبَّحَنَ ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُثْمَانَ فَسَبَّحَنَ رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَفِي رِوَايَةِ الطَّبْرَانِيِّ فَسَمِعَ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلَقَةِ ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمَّ يُسَبِّحُنَّ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا.

وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كُنَّا نَأْكُلُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّعَامَ وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ، وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَرَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ بِطَبَقٍ فِيهِ رُمَانٌ وَعِنَبٌ فَأَكَلَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبَّحَ رَوَاهُ الْقَاضِي عِيَّاضٌ فِي الشَّفَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ تَسْلِيمُ الْحَجَرِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ. وَقَدْ اخْتُلِفَ فِي هَذَا الْحَجَرِ فَقِيلَ هُوَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ وَقِيلَ حَجَرٌ غَيْرُهُ بِزُقَاقٍ يُعْرَفُ بِهِ بِمَكَّةَ وَالنَّاسُ يَتَبَرَّكُونَ بِلَمْسِهِ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يُسَلَّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا اجْتَاَزَ بِهِ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاجِيهَا فَمَا اسْتَقْبَلَهُ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا اسْتَقْبَلَنِي جَبْرِيلُ بِالرَّسَالَةِ جَعَلْتُ لَا أَمُرُ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَأَبُو نَعِيمٍ، وَمِنْ ذَلِكَ تَأْمِينُ أُسْكُفَةِ الْبَابِ وَخَوَائِطِ الْبَيْتِ عَلَى دُعَائِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا أَبَا الْفَضْلِ لَا تَرِمَ مِنْزِلَكَ أَنتَ وَبَنُوكَ غَدًا حَتَّى آتِيَكُمُ فَإِنِّي لِي فِيكُمْ حَاجَةٌ فَانْتَظِرُوهُ حَتَّى جَاءَ بَعْدَمَا أَضْحَى فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ قَالَ كَيْفَ أَصْبَحْتُمْ قَالُوا أَصْبَحْنَا بِخَيْرٍ بِحَمْدِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُمْ تَقَارَبُوا فَتَقَارَبُوا يَزْحَفُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى إِذَا امْكُثُوا اشْتَمَلَ عَلَيْهِمْ بِمَلَأَتِهِ فَقَالَ يَا رَبِّ هَذَا عَمِّي وَصِنُو أَبِي وَهُوَ لَأَبِي بَيْتِي فَاسْتَرْهَمَ مِنَ النَّارِ كَسْتَرِي إِيَّاهُمْ بِمَلَأَتِي هَذِهِ فَأَمْنَتْ أُسْكُفَةُ الْبَابِ وَخَوَائِطُ الْبَيْتِ فَقَالَتْ آمِينَ آمِينَ آمِينَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ كَلَامُهُ لِلْجَبَلِ وَكَلَامَ الْجَبَلِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ أُحْدًا فَرَجَفَ بِهِمْ فَضْرَبَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِجْلِهِ وَقَالَ اثْبُتْ أُحْدًا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ. وَأُحْدُ جَبَلٌ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُحْدُ جَبَلٌ يُجِبُّنَا وَنُجِبُهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَرَوَى تَعْدُدُ الْقِصَّةِ فِي جَبَلِ ثَبِيرٍ وَجَبَلِ جِرَاءِ بِمَكَّةَ. وَلَمَّا طَلَبَتْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَرِيَشٌ قَالَ لَهُ ثَبِيرٌ اهْبِطْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَثْلُوكَ عَلَى ظَهْرِي فَيَعْدُبَنِي اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ لَهُ جِرَاءُ إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَوَاهُ فِي الشَّفَاءِ.

وَجَزَاءً مُقَابِلَ نَبِيرٍ وَالْوَادِي بَيْنَهُمَا، وَمِنْ ذَلِكَ كَلَامُ الشَّجَرِ لَهُ وَسَلَامُهَا عَلَيْهِ وَطَوَاعِيَّتُهَا لَهُ وَشَهَادَتُهَا لَهُ بِالرَّسَالَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقَدَّمَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أُوجِيَ إِلَيْهِ جَعَلَ لَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ نَافِعٍ قَالَ جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ قَدْ خُصِبَ بِالْدمَاءِ ضَرْبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ فَقَالَ لَهُ مَا لَكَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلِ يَی هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً فَقَالَ نَعَمْ فَتَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي فَقَالَ ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَدَعَاهَا قَالَتْ فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ إِلَى مَكَانِهَا فَأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْبِيَ حَسْبِي.

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ أَغْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَيْتُ تَرْيِدُ قَالَ إِلَى أَهْلِي قَالَ هَلْ لَكَ إِلَيَّ خَيْرٌ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَالَ هَلْ لَكَ مِنْ شَاهِدٍ عَلَى مَا تَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُذُ الْأَرْضَ خَدًا فَقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا فَشَهِدَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنَازِلِهَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلُهُ تَخُذُ أَيُّ تَشَقُّ الْأَرْضَ. وَعَنْ بُرَيْدَةَ سَأَلَ أَغْرَابِيٌّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةً فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ لِيَتِلَّكَ الشَّجَرَةُ وَرَسُولُ اللَّهِ يَدْعُوكَ قَالَ فَمَالَتْ الشَّجَرَةُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ شِمَالِهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا وَخَلَفَهَا فَتَقَطَّعَتْ عُرُوقُهَا ثُمَّ جَاءَتْ تَخُذُ الْأَرْضَ تَجْرُ عُرُوقُهَا مُغْبِرَةً حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ الْأَغْرَابِيُّ مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ إِلَى مَنَازِلِهَا فَجَعَلَتْ فَدَلَّتْ عُرُوقُهَا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَاسْتَقَرَّتْ فَقَالَ الْأَغْرَابِيُّ ائْذَنْ لِي أَنْ أَسْجُدَ لَكَ قَالَ لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا رَوَاهُ فِي الشَّفَاءِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ جَاءَ أَغْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بِمِ اعْرِفْ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِدْقَ مِنْ هَذِهِ الثُّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ الثُّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ ارْجِعْ فَعَادَ فَأَسْلَمَ الْأَغْرَابِيُّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَفِي

حَدِيثُ يَغْلَى بْنِ مُرَّةَ الثَّقَفِيِّ ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا مَنْزِلًا فَتَنَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَتْ شَجَرَةٌ تَشُقُّ الْأَرْضَ حَتَّى غَشِيَتْهُ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنْتْ رَبَّهَا فِي أَنْ تُسَلَّمَ عَلَيَّ فَأَذِنَ لَهَا رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفِيحَ فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِذَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَتَطَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ فَإِذَا شَجَرَتَانِ فِي شَاطِئِ الْوَادِي فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بَعْضُ مَنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ انْفَادِي عَلَيَّ يَا ذَنْ اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ ثُمَّ فَعَلَ بِالْأُخْرَى كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَبِ بَيْنَهُمَا قَالَ التَّيْمَا عَلَيَّ يَا ذَنْ اللَّهِ تَعَالَى فَالْتَأَمَتَا ، وَمِنْ ذَلِكَ حَنِينُ الْجَذْعِ شَوْقًا إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ آيَةٌ كُبْرَى مِنْ أَكْبَرِ الْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا أَعْطَى اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا مَا أَعْطَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقِيلَ لَهُ أَعْطَى عِيسَى إِبْرَاهِيمَ الْمَوْتَى قَالَ أَعْطَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنِينُ الْجَذْعِ حَتَّى سَمِعَ صَوْتَهُ فَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ حَدِيثُ حَنِينِ الْجَذْعِ مَشْهُورٌ مُتَشِيرٌ وَالْخَبَرُ بِهِ مُتَوَاتِرٌ أَخْرَجَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ وَرَوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ بِضَعَةَ عَشَرَ مِنْهُمْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، وَبُرَيْدَةُ ، وَأُمُّ سَلَمَةَ ، وَالْمُطَلِبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ هـ وَالْقِصَّةُ وَاحِدَةٌ وَإِنْ تَعَايَرَتْ بَعْضُ أَلْفَاظِهَا وَهِيَ أَنَّ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَسْقُوفًا عَلَى جُدُوعٍ نَحْلٍ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جَذْعٍ مِنْهَا فَصَنَعَ لَهُ الْمُنْبَرُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ لِيَسْمَعَ النَّاسُ خُطْبَتَهُ لَمَّا كَثُرُوا فَلَمَّا قَعَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارَ الْجَذْعُ حَتَّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ . وَفِي رِوَايَةٍ فَصَاحَتِ الثُّخْلَةُ فَتَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَمَّهَا إِلَيْهِ فَجَعَلَتْ تَيْنٌ أَيْنِ الصَّبِيِّ الَّذِي يَشْكِي . وَفِي رِوَايَةٍ سَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجَذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ .

وَفِي رِوَايَةٍ اضْطَرَبَتْ تِلْكَ السَّارِيَّةُ كَحَنِينِ النَّاقَةِ الْخُلُوجِ وَهِيَ الَّتِي انْتَرَعَ مِنْهَا وَلَدُهَا . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَسُ أَنَّهُ سَمِعَ الْخَشْبَةَ تَحْنُ حَنِينِ الْوَالِيَةِ فَمَا زَالَتْ تَحْنُ حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمُنْبَرِ فَمَشَى إِلَيْهَا فَاحْتَضَنَهَا فَسَكَتَتْ. وَفِي رِوَايَةٍ جَارَ الْجَدْعُ كَجُورِ الثَّوْرِ حُزْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى اِزْتَجَّ الْمَسْجِدُ لِحُجُورِهِ فَتَنَزَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُنْبَرِ فَالْتَزَمَهُ وَهُوَ يَخُورُ فَلَمَّا اَلْتَزَمَهُ سَكَتَتْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ اَلْتَزِمَهُ لَمَا زَالَ هَكَذَا حَتَّى تَقُورَ السَّاعَةُ حُزْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْفِنَ.

وَفِي حَدِيثٍ بَرْيَدَةُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ إِنْ شِئْتَ أَرَدْتُكَ إِلَى الْحَائِطِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ تَنْبُثُ لَكَ عُزُوقَكَ وَيَكْمُلُ خَلْقُكَ وَيَجْدُدُ لَكَ خُوصٌ وَتَمَرَةٌ وَإِنْ شِئْتَ أَغْرُسُكَ فِي الْجَنَّةِ فَتَأْكُلُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مِنْ ثَمَرِكَ ثُمَّ أَضْعَى لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَسْمَعَ مَا يَقُولُ فَقَالَ بَلْ تَغْرِسُنِي فِي الْجَنَّةِ فَيَأْكُلُ مِنِّي أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَكُونُ فِي مَكَانٍ لَا أَهْلِي فِيهِ فَسَمِعَهُ مَنْ يَلِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ فَعَلْتُ ثُمَّ قَالَ اخْتَارَ دَارَ الْبَقَاءِ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ. وَقَدْ رَوَى حَدِيثَ حَنِينِ الْجَدْعِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصُّحَابَةِ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ تُفِيدُ الْقَطْعَ بِوُقُوعِ ذَلِكَ وَقَالَ الْعَلَامَةُ التَّاجُ بْنُ السَّبْكِيِّ الصُّحَيْحُ عِنْدِي أَنَّ حَنِينَ الْجَدْعِ مُتَوَاتِرٌ. وَقَالَ الْحَائِطُ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي حَنِينُ الْجَدْعِ وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ نَقِلَ كُلُّ مِنْهُمَا ثَقَلًا مُسْتَفِيدًا يُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَى طُرُقِ الْحَدِيثِ.

وَقَالَ النَّبَهِيُّ قِصَّةُ حَنِينِ الْجَدْعِ مِنَ الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي حَمَلَهَا الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ. قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ كَانَ الْحَسَنُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَكَى ثُمَّ قَالَ يَا عِبَادَ اللَّهِ الْخَشْبَةُ تَجُنُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَيْهِ، (وَأَمَّا كَلَامُ الْحَيَوَانَاتِ وَطَاعَتُهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَمِنْهَا سُجُودُ الْجَمَلِ وَشُكُوهُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْتَوْنُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِمْ فَمَتَعَهُمْ ظَهْرُهُ وَإِنَّ الْأَنْصَارَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نُسْنِي عَلَيْهِ وَإِنَّهُ اسْتَضَعَبَ عَلَيْنَا وَمَتَعَنَا ظَهْرُهُ وَقَدْ عَطِشَ النُّخْلُ وَالزَّرْعُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ قُومُوا فَقَامُوا فَدَخَلَ الْحَائِطُ وَالْجَمَلُ فِي نَاحِيَةٍ فَمَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ.

فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلْبِ وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاصِيَّتَيْهِ أَذَلَّ مَا كَانَ قَطُّ حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ بِهِيْمَةٌ لَا تَعْقِلُ تَسْجُدُ لَكَ وَنَحْنُ نَعْقِلُ فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عَظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ.

وَالْحَائِطُ هُوَ الْبُسْتَانُ وَقَوْلُهُ نَسِيئِي أَيْ نَسَقِي عَلَيْهِ . وَفِي حَدِيثِ يَعْلَى بْنِ مَرْةٍ الثَّقَفِيِّ بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ مَرَرْنَا بِبَعِيرٍ يُسْنَى عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَاهُ الْبَعِيرُ جَزَجَرَ فَوَضَعَ جِرَانَهُ فَوَقَّفَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ فَجَاءَهُ فَقَالَ يَغْنِيهِ فَقَالَ بَلْ نَهَبَهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّهُ لِأَهْلٍ بَيْنَ مَا لَهُمْ مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ فَقَالَ أَمَا إِذْ ذَكَرْتُ هَذَا مِنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ وَقِلَّةَ الْعَلْفِ فَأَخْبَسُوا إِلَيْهِ رَوَاهُ الْبُغْيَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ .

وَالْجِرَانُ مُقَدَّمُ عُنُقِ الْبَعِيرِ مِنْ مَذْبَحِهِ إِلَى مَلْعَرِهِ . وَأَخْرَجَ ابْنُ شَاهِينَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَنَ ثُمَّ قَالَ مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ هَذَا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتَذِيبُهُ قَالَ فِي الْمَصَابِيحِ وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ . وَذِفْرَاهُ تَثْنِيَّةُ ذِفْرَى وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَغْرَقُ مِنْ قَفَا الْبَعِيرِ عِنْدَ أَذُنِهِ ، وَمِنْهَا سُجُودُ الْعَنَمِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَفِي الْحَائِطِ عَنَمٌ فَسَجَدَتْ لَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ لَكَ مِنْ هَذِهِ الْعَنَمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ .

وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ فِي الشِّمَاءِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآمَنَ بِهِ وَهُوَ عَلَى بَعْضِ خُصُوفٍ خَبِيرَةٍ وَكَانَ فِي عَنَمٍ يَزْعَاهَا لَهُمْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ لِي بِالْعَنَمِ قَالَ اخْصِبْ وَجُوهَهَا فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي عَنْكَ أَمَانَتَكَ وَيَزِدُّهَا إِلَيَّ أَهْلِهَا فَعَمَلٌ فَسَارَتْ كُلُّ شَاةٍ حَتَّى دَخَلَتْ إِلَى أَهْلِهَا ، وَمِنْهَا قِصَّةُ كَلَامِ الذُّئْبِ وَشَهَادَتِهِ لَهُ بِالرَّسَالَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهَا

كثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عَدَا الدُّثُبُ عَلَى شَاةٍ فَأَخَذَهَا
فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ فَأَقْعَى الدُّثُبُ عَلَى ذَنْبِهِ وَقَالَ أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَأَقَهُ اللَّهُ
إِلَيَّ فَقَالَ الرَّاعِي يَا عَجَبًا ذُثِبَ مُقْعٌ عَلَى ذَنْبِهِ يُكَلِّمُنِي بِكَلَامِ الْإِنْسِ فَقَالَ الدُّثُبُ أَلَا أُخْبِرُكَ
يَا عَجَبٌ مِنْ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ يَنْثَرِبُ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ قَالَ فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَشُوقُ عَنَمَهُ
حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَرَوَاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَائِهَا ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَأَخْبَرَهُ فَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتُودِي بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ أَخْبِرْهُمْ
فَأَخْبَرَهُمْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ وَفِي بَعْضِ الطَّرِيقِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ الدُّثُبُ
أَنْتَ أَعْجَبُ مِنِّي وَاقِفًا عَلَى عَنَمِكَ وَتَرَكْتَ نَبِيًّا لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهُ عِنْدَهُ قَدْرًا قَدْ
فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَأَشْرَفَ أَهْلُهَا عَلَى أَصْحَابِهِ يَنْظُرُونَ فِتَالَهُمْ وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلَّا هَذَا
الشَّعْبُ فَتَكُونُ فِي جُنْدِ اللَّهِ قَالَ الرَّاعِي مَنْ لِي بِعَنَمِي قَالَ الدُّثُبُ أَنَا أَرْعَاهَا حَتَّى تَرْجِعَ
فَأَسَلَّمَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ عَنَمَهُ وَمَضَى وَذَكَرَ قِصَّتَهُ وَإِسْلَامَهُ وَوُجُودَهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُقَاتِلُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُدْ إِلَى عَنَمِكَ تَجِدْهَا بِوَفْرِهَا فَوَجَدَهَا كَذَلِكَ وَذَبَحَ
لِلدُّثُبِ شَاةً مِنْهَا.

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سُنَنِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ الدُّثُبُ فَأَقْعَى بَيْنَ يَدَيِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَلَ يُضْبِضُ بِذَنْبِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
هَذَا وَإِذَا الدُّثَابُ جَاءَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا لَهُ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا قَالُوا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ وَأَخَذَ رَجُلٌ
مِنَ الْقَوْمِ حَجَرًا رَمَاهُ بِهِ فَأَذْبَرَ الدُّثُبُ وَلَهُ عَوَاءٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّثُبُ
وَمَا الدُّثُبُ. وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَزْبٍ وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ وَجَدَا ذُثْبًا أَخَذَ ظَنِيًّا
فَدَخَلَ الظَّنِّي الْحَرَمَ فَانصَرَفَ الدُّثُبُ فَعَجَبًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ الدُّثُبُ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بِالْمَدِينَةِ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَتَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ
ذَكَرْتَ هَذَا بِمَكَّةَ تَشْرُكُنَّهَا خُلُوفًا أَيْ فَاسِدَةً.

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الضُّبِّ ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَّاضٌ فِي الشُّفَاءِ وَقَدْ رَوَى مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي مَخِيلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ
قَدْ صَادَ صَبًا جَعَلَهُ فِي كُمِهِ لِيَذْهَبَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَيَشْوِيَهُ وَيَأْكُلَهُ فَلَمَّا رَأَى الْجَمَاعَةَ قَالَ مَنْ
هَذَا قَالُوا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْرَجَ الضُّبَّ مِنْ كُمِهِ وَقَالَ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا
آمَنْتُ بِكَ أَوْ يُؤْمِنَ هَذَا الضُّبُّ وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا ضَبُّ فَأَجَابَهُ بِلِسَانٍ مُبِينٍ يَسْمَعُهُ الْقَوْمُ جَمِيعًا لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا زَيْنَ مَنْ وَافَى الْقِيَامَةَ مَنْ تَعَبُدُ قَالَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ وَفِي الْأَرْضِ سُلْطَانُهُ وَفِي الْبَحْرِ سَبِيلُهُ وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ وَفِي النَّارِ عِقَابُهُ قَالَ فَمَنْ أَنَا قَالَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ وَخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ.

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الْغَزَالَةِ رَوَاهُ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ مِنْ طُرُقٍ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا فَقَعْنُ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ضُحْرَاءَ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَالْتَفَتَ فَإِذَا ظَنَبَةٌ مَشْدُودَةٌ فِي وَثَاقٍ وَأَعْرَابِيٌّ مُتَجِدِلٌ فِي شِمْلَةٍ نَائِمٌ فِي الشَّمْسِ فَقَالَ مَا حَاجَتُكَ قَالَتْ صَاحِبِي هَذَا الْأَعْرَابِيُّ وَلِيَّ جُشْفَانٍ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ فَأُطْلِقْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَرْضِعَهُمَا وَأَرْجِعَ قَالَ وَتَفْعَلِينَ قَالَتْ عَذَّبَنِي اللَّهُ عَذَابَ الْعَشَارِ إِنْ لَمْ أَعُدْ فَأُطْلِقَهَا فَذَهَبَتْ وَرَجَعَتْ فَأَوْثَقَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْتَبَهَ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْكَ حَاجَةٌ قَالَ تُطْلِقُ لِهَذِهِ الظَّنَبَةَ فَأُطْلِقَهَا فَخَرَجَتْ تَعْدُو فِي الصُّحْرَاءِ فَرَحًا وَهِيَ تَضْرِبُ بِرِجْلَيْهَا الْأَرْضَ وَتَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ دَاجِنُ الْبُيُوتِ وَهُوَ مَا أَلْفَهَا مِنَ الْخَيَوَانِ كَالطَّيْرِ وَالشَّاةِ وَغَيْرِهِمَا رَوَى قَاسِمُ ابْنِ ثَابِتٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ وَالِدَيْهَا قَالَتْ كَانَ عِنْدَنَا دَاجِنٌ فَإِذَا كَانَ عِنْدَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَّ وَثَبَّتْ مَكَانَهُ فَلَمْ يَجِيءْ وَلَمْ يَذْهَبْ وَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ وَذَهَبَ وَذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضُ بِسَنَدِهِ. (وَأَمَّا تَبَعُ الْمَاءِ الطُّهْرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ أَشْرَفُ الْمِيَاهِ فَقَدْ رَوَى أَحَادِيثُهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ جَابِرٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَاطَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ وَالشَّمْسُ النَّاسَ الْوُضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَأَتَيْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوُضُوءٍ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَتَّبِعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوْضَأَ الْقَوْمُ قَالَ رَأَوِيهِ فَقُلْنَا لِأَنَسٍ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ كُنَّا ثَلَاثِمِائَةً.

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضًا قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَطِشْتُ دَوَابُّنَا وَإِبِلُنَا فَقَالَ هَلْ مِنْ فَضْلَةٍ مَاءٍ فَجَاءَ رَجُلٌ فِي شَنْ بِشَيْءٍ فَقَالَ هَاتُوا صُحْفَةً فَصَبَّ الْمَاءَ ثُمَّ وَضَعَ رَاحَتَهُ فِي الْمَاءِ قَالَ فَرَأَيْتُهَا تَخْلُلُ عُيُونَنَا بَيْنَ

أَصَابِعِهِ قَالَ فَسَقَيْنَا إِيْلَنَا وَدَوَّابْنَا وَتَزَوَّدْنَا فَقَالَ أَكْتَفَيْنُكُمْ فَقَالُوا نَعَمْ أَكْتَفَيْنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَرَفَعَ يَدَهُ فَارْتَفَعَ الْمَاءُ رَوَاهُ ابْنُ شَاهِينَ. وَأَخْرَجَ النَّبِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَيْضًا قَالَ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قُبَاءَ فَأَتَيْتُ مِنْ بَعْضِ بُيُوتِهِمْ بِقَدَحٍ صَغِيرٍ فَأَدْخَلْتُ يَدَهُ فَلَمْ يَسْغُهُ الْقَدَحُ فَأَدْخَلَ أَصَابِعَهُ الْأَرْبَعَةَ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَ لِلْقَوْمِ هَلُمُّوا إِلَى الشَّرَابِ قَالَ أَنَسٌ بَصُرَ عَيْنِي يَنْبَغُ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فَلَمْ يَزَلِ الْقَوْمُ يَرُدُّونَ الْقَدَحَ حَتَّى رَوُّوا مِنْهُ جَمِيعًا.

وَأَمَّا حَدِيثُ جَابِرٍ فِيهِ الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرُهُمَا عَنْهُ قَالَ غَطَّشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رُكُوعٌ يَتَوَضَّأُ مِنْهَا وَجَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ مَا لَكُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا تَشْرَبُهُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرُّكُوعِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَقُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قَالَ رَاوِيهِ قُلْتُ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ جَابِرٌ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكُنَّا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً. وَالرُّكُوعُ إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ يُشْرَبُ فِيهِ وَالْجَهْشُ أَنْ يَفْرَعَ الْإِنْسَانُ إِلَى غَيْرِهِ.

وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ الطَّوِيلِ فِي ذِكْرِ غَزْوَةِ بُرَاجٍ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جَابِرُ نَادِ الْوُضُوءَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوِيلِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إِلَّا قَطْرَةً فِي عِزْلَاءٍ شَجِبَ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَمَزَهُ وَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ وَقَالَ نَادِ بِجَفْنَةِ الرُّكْبِ فَأَتَيْتُ بِهَا فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَسَطَ يَدَهُ فِي الْجَفْنَةِ وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ وَصَبَّ عَلَيْهِ جَابِرٌ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَقُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ثُمَّ قَارَتِ الْجَفْنَةُ وَاسْتَدَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالِاسْتِجْقَاءِ فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُّوا قُلْتُ هَلْ بَقِيَ مِنْ أَحَدٍ لَهُ حَاجَةٌ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلَأَى. وَالْعِزْلَاءُ هُمُ الْقِرْبَةِ الْأَسْفَلُ وَالشَّجِبُ السَّقَاءُ الَّذِي أَخْلَقَ وَبَلَّى وَصَارَ شَاً وَالْجَفْنَةُ إِنَاءٌ يُشْبَعُ عَشْرَةَ أَكْثَرِ.

وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ فِيهِ الصَّحِيحُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اطْلُبُوا مِنْ مَعَهُ فَضْلُ مَاءٍ فَأَتَيْتُ بِمَاءٍ فَصَبَّهُ فِي إِنَاءٍ ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبَغُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِلَاءٍ فَطَلَبَ الْمَاءَ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ الْمَاءَ قَالَ فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَاءَهُ بِشَيْءٍ فَبَسَطَ كَفَّهُ فِيهِ فَانْبَعَثَتْ تَحْتَ يَدَيْهِ عَيْنٌ فَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَشْرَبُ وَغَيْرُهُ يَتَوَضَّأُ رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَغَيْرُهُ.

قَالَ الْفَرَزُطِيُّ قِصَّةٌ تَبِعَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِدَّةٍ مَوَاطِنَ فِي مَشَاهِدَ عَظِيمَةٍ وَوَرَدَتْ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ يُفِيدُ مَجْمُوعُهَا الْعِلْمَ الْقَطْعِيَّ الْمُسْتَفَادَ مِنَ التَّوَاتُرِ الْمُغْتَوِيِّ وَلَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُعْجَزَةِ عَنْ غَيْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِثِّ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ عَصْبِهِ وَلَحْمِهِ وَدَمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمُزْنِيُّ نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُبْلُغَ فِي الْمُعْجَزَةِ مِنْ نَبْعِ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ خِثِّ ضَرْبَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْعَصَا فَتَفَجَّرَتْ مِنْهُ الْمِيَاهُ لِأَنَّ خُرُوجَ الْمَاءِ مِنَ الْحِجَارَةِ مَعْهُودٌ بِخِلَافِ خُرُوجِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ.

وَمِنْ ذَلِكَ تَفَجُّيرُ الْمَاءِ بِبَرَكَتِهِ وَإِنْعَائُهُ بِمَسِّهِ وَدَعْوَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ مُعَاذٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُمْ إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ عَدَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَيْنَ تَبُوكَ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتَوْهَا حَتَّى يُضْجِيَ النَّهَارُ فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمَسُّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ قَالَ فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا رَجُلَانِ وَالْعَيْنُ مِثْلُ السَّرَاكِ تَبْضُ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ مَسِسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا فَلَا نَعَمْ فَسَبَّحَهُمَا وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ عَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ غَسَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَّتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَاسْتَقَى النَّاسُ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَا مُعَاذُ يَوْشُكُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هُنَا قَدْ مُلِيَءَ جَنَانًا أَيْ بَسَاتِينٍ وَعِمْرَانًا وَزَادَ فِي الشُّفَاءِ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ فَالْخَرَقُ مِنَ الْمَاءِ مَا لَهُ حِسٌّ كَحِسِّ الصُّوَاعِقِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ حَدِيثِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّهُمْ نَزَلُوا بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلٍ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا فَلَمْ يَلْبَثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشَكَّيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِتَانِيَّتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ. وَقَوْلُهُ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا أَيْ يَأْخُذُونَهُ قَلِيلًا قَلِيلًا وَمَعْنَى يَجِيشُ يَقُورُ مَأْوُهُ وَيَزْتَفِعُ. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ فَتَمَضَّمَصَ وَمَجَّ فِي بَثْرِ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ قِمِهِ فَجَاشَتْ بِالْمَاءِ. وَعَنْ غُرُوزَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ فِي الدَّلْوِ وَمَضَّمَصَ فَاهُ ثُمَّ مَجَّ فِيهِ وَأَمَرَ أَنْ يُصَبَّ فِي الْبَثْرِ وَنَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِتَانِيَّتِهِ وَأَلْقَاهُ فِي الْبَثْرِ وَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَفَارَتْ بِالْمَاءِ حَتَّى جَعَلُوا يَغْتَرِفُونَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْهَا وَهُمْ جُلُوسٌ عَلَى سَفَتَيْهَا.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَاسْتَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَطَشِ فَتَزَلَّ فَدَعَا فُلَانًا وَأَسْمُهُ أَبُو رَجَاءٍ وَدَعَا

عَلِيًّا فَقَالَ أَذْهَبَا فَابْتِغِيَا الْمَاءَ فَانْطَلَقَا فَتَلَقِيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَرَادَتَيْنِ أُنَى قِرْبَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ فَجَاءَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا وَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَرَادَتَيْنِ وَأَوْكَأَ أَفْوَاهَهُمَا وَأَطْلَقَ الْعَرَالِي وَهِيَ مَصَابُ الْمَاءِ وَتُودِي فِي النَّاسِ اسْفُؤُوا وَاسْتَقُوا فَسَقَى مَنْ سَقَى وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ إِلَى مَا يَفْعَلُ بِمَا فِيهَا وَائِمْ اللَّهُ لَقَدْ أَفْلَحَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلَّةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْمَعُوا لَهَا فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا فَجَعَلُوهُ فِي ثَوْبٍ وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالَ لَهَا تَعْلَمِينَ مَا رَزَقْنَا مِنْ مَائِكَ شَيْئًا وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي سَقَانَا فَأَتَتْ أَهْلَهَا فَقَالَتْ الْعَجَبَ لِقَيْنِي رَجُلَانِ فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِي فَقَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ النَّاسِ كُلَّهُمْ أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ثُمَّ أَسْلَمَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا.

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ وَتَأْتُونَ الْمَاءَ عَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَانْطَلَقَ النَّاسُ لَا يَلُوي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَ اللَّيْلُ أَيُّ ابْيَضَّ فَمَالَ عَنِ الطَّرِيقِ فَوَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ اخْفَظُوا عَلَيْنَا صَلَاتَنَا فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالشَّمْسُ فِي ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ اارْكَبُوا فَرَكِبْنَا فَمَسَرْنَا حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ نَزَلَ ثُمَّ دَعَا بِمِیْضَاءٍ كَانَتْ مَعِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وَضُوءًا وَبَقِيَ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ قَالَ اخْفَظْ عَلَيْنَا مِیْضَاتَكَ فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ ثُمَّ أَذَّنَ بِإِلَالٍ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى الْغَدَاةَ وَرَكِبَ وَرَكِبْنَا مَعَهُ فَاتَّهَيْنَا إِلَى النَّاسِ حِينَ اشْتَدَّ الْتَهَارُ وَحَمِيَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُمْ يَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْنَا وَعَطِشْنَا فَقَالَ لَا هَلَكَ عَلَيْكُمْ وَدَعَا بِالمِیْضَاءِ فَجَعَلَ يَصُبُّ وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ فَلَمْ يَغْدُ أَنْ رَأَى النَّاسُ مَاءً فِي المِیْضَاءِ فَتَكَابَوْا عَلَيْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسِنُوا الْمِلَّةَ كُلُّكُمْ سَيَزَوَى قَالَ فَعَمَلُوا فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ حَتَّى مَا بَقِيَ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَبَّ ثُمَّ قَالَ لِي اشْرَبْ فَقُلْتُ لَا أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ فَقَالَ إِنَّ سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ قَالَ فَشَرِبْتُ وَشَرِبَ الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَامَ أَغْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْمَالُ

وَجَاعَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَرَعَةً فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهُمَا حَتَّى تَارَ السَّحَابَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَمِنْ الْغَدِ وَمِنْ بَعْدِ الْغَدِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ غَيْرُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهْدِمُ الْبَنَاءَ وَغَرِقَ الْمَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَمَا يُشِيرُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ وَصَارَتْ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةَ شَهْرًا وَلَمْ يَجِيءَ أَحَدٌ مِنَ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجُودِ. وَالْجَوْبَةُ الْحُفْرَةُ الْمُسْتَدِيرَةُ الْوَاسِعَةُ أَيْ حَتَّى صَارَ الْغَنِيمُ وَالسَّحَابُ مُحِيطًا بِأَقَافِ الْمَدِينَةِ وَالْجُودُ الْمَطَرُ الْوَاسِعُ الْعَزِيرُ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَنَا عَنْ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ قَالَ عُمَرُ خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ فَتَرَلْنَا مَنْزِلًا أَصَابَنَا عَطَشٌ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَذْهَبُ يَلْتَمِسُ الرَّجُلَ فَلَا يَزِجُ حَتَّى يَظُنَّ أَنْ رَقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَنْحَرُ بِعَيْرِهِ فَيَعْصُرُ فَرْثَهُ فَيَشْرِبُهُ وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ اللَّهَ قَدْ عَوَّذَكَ فِي الدَّعَاءِ خَيْرًا فَادْعُ اللَّهَ لَنَا قَالَ أَنْجِبُونِ ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزِجْهُمَا حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ فَانْسَكَبَتْ فَمَلَأُوا مَا مَعَهُمْ مِنْ آيَةٍ ثُمَّ دَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَجِدْهَا تُجِورُ الْعَسْكَرَ أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَشَيْخُهُ ابْنُ بَشْرَانَ وَفِي مِصْبَاحِ الظَّلَامِ عَنْ عُمَرَ بْنِ شُعَيْبٍ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ ابْنِ أَخِي يَغْنِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي الْمَجَازِ فَأَذْرَكَنِي الْعَطَشُ فَشَكُوتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ أَخِي عَطِشْتُ وَمَا قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ وَأَنَا أَرَى عِنْدَهُ شَيْئًا إِلَّا الْجَزَعَ فَتَنَّتِي وَرَكَهُ ثُمَّ نَزَلَ وَقَالَ يَا عَمَّ أَعْطِشْتُ فَقُلْتُ نَعَمْ فَأَهْوَى بِعَقْبِهِ إِلَى الْأَرْضِ فإِذَا بِالْمَاءِ فَقَالَ اشْرَبْ يَا عَمَّ فَشَرِبْتُ وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ وَابْنُ عَسَاكِرَ.

وَمِنْ ذَلِكَ تَكْثِيرُ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ بِبَرَكَتِهِ وَدُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ قَالَ فَاثْكَفَاتُ إِلَى أَمْرَاتِي فَقُلْتُ هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ فَلْنِي رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا فَأَخْرَجَتْ جَرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَلَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْزَةِ ثُمَّ جِثْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَارَزْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ فَتَعَالَ أَلْتُ وَنَفَرُ مَعَكَ فَصَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنْ جَابِرًا صَنَعَ سُورًا فَحَيِّلًا بِكُمْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا يُخْبِرُنَّ عَجِيئَتَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ ثُمَّ جَاءَ فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِيئًا وَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ.

ثُمَّ قَالَ اذْهَبِي خَازِنَةُ فَلْتُخْبِرْ مَعَكَ وَافْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا وَهُمْ أَلْفَ فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنْ بُرْمَتَنَا لَتَغِيظُ كَمَا هِيَ وَإِنْ عَجِيتَنَا لَيُخْبِرَنَّ كَمَا هُوَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَقَوْلُهُ دَاخِرٌ يَعْنِي سَمِيئَةَ وَالشُّؤْرُ هُنَا الطَّعَامُ وَحَيْهَلَا يَكُنْ أَنَّى هَلُمُوا مُسْرِعِينَ وَافْدَحِي أَيِ اغْرِفِي وَتَغِيظُ أَيِ تَغْلِي .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَعِيفًا أَغْرِفَ فِيهِ الْجُوعَ فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَتْ نَعَمْ فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا فَلَقَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلَا أَتْنِي بِبَعْضِهِ أَنَّى أَذَارَتْ بَعْضَ الْخِمَارِ عَلَى رَأْسِي مَرَّتَيْنِ كَالْعَمَائِمِ ثُمَّ أَرْسَلْتَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَتْ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَكِ أَبُو طَلْحَةَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ لِي طَعَامٌ قُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ مَعَهُ قُومُوا فَاذْهَبُوا فَاذْهَبْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا نَطْعِمُهُمْ فَقَالَتْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَاذْهَبُوا أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلُمِّي يَا أُمُّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكَ فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَذَمَّتْهُ .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ قَالَ اذْهَبِي لِعَشْرَةِ قَائِدِينَ لَهُمْ فَأَكْلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ثُمَّ قَالَ اذْهَبِي لِعَشْرَةِ ثُمَّ لِعَشْرَةِ فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ ثُمَّ أَكَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُ الْبَيْتِ وَتَرَكَوا سُورًا أَنَّى بَقِيَّةً وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ هَلْ نَقَصَ مِنْهَا شَيْءٌ وَفِي رِوَايَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ إِنَّمَا هُوَ قُرْصٌ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ سَيُبَارِكُ فِيهِ وَوَقَعَ .

فِي رِوَايَةِ مُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ فَقَالَ هَلْ مِنْ سَمْنٍ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ قَدْ كَانَ فِي الْعُكَّةِ شَيْءٌ فَجَاءَ بِهَا فَجَعَلَا يَعْصِرَانِهَا حَتَّى خَرَجَ ثُمَّ مَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْصَ فَانْتَفَحَ وَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَالْقُرْصُ يَنْتَفِخُ حَتَّى رَأَيْتُ الْقُرْصَ فِي الْجَفْنَةِ يَتَسَبَّحُ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَاجِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَاتِ فَقَالَ نَعَمْ فَدَعَا بِنُطْعِ فَبَسِطَ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَاجِهِمْ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَّةٍ وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكِسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النُّطْعِ شَيْءٌ يَسِيرٌ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَرَكَاتِ ثُمَّ قَالَ خُذُوا فِي أَوْعِيَّتِكُمْ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَّتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وَعَاءٌ إِلَّا مَلَّوْهُ قَالَ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَقَضَلَتْ فَضْلَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍ فَيُخْرِجَ عَنِ الْجَنَّةِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرُوسًا بِرَيْثَبٍ فَعَمَدَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى تَمْرٍ وَسَمْنٍ وَأَقِطٍ فَصَنَعَتْ حَنَسًا فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ فَقَالَتْ يَا أَنَسُ اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْ بَعَثْتُ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي وَهِيَ تَفْرُوكَ السَّلَامَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضَعُهُ ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَادْعُ لِي فَلَانًا وَفَلَانًا رَجُلًا سَمَاهُمْ وَادْعُ لِي مَنْ لَقِيتَ فَدَعَوْتُ مَنْ سَمِئْتُ وَمَنْ لَقِيتُ فَرَجَعْتُ فَإِذَا النَّبِيُّ غَاصَ بِأَهْلِهِ قِيلَ لِأَنَسٍ عَدَدَكُمْ كَانُوا قَالَ زُهَاءٌ ثَلَاثُمِائَةٍ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَنَسَةِ وَتَكَلَّمَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو عَشْرَةَ عَشْرَةَ يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَقُولُ لَهُمْ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ بَعْدَ طَائِفَةٍ حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ قَالَ لِي يَا أَنَسُ ارْفَعْ فَرَفَعْتُ فَمَا أَذْرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رَفَعْتُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالْأَقِطُ لَبَنٌ مُجَفَّفٌ وَالْحَنَسُ الطَّعَامُ الْمُتَّخَذُ مِنَ التَّمْرِ وَالسَّمْنِ وَالْأَقِطُ وَالتَّوْرُ إِنَاءٌ مِنْ صُفْرِ أَوْ حِجَارَةٍ.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ إِنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُكَّةٍ لَهَا سَمْنًا فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا فَيَسْأَلُونَهَا الْأَذْمَ وَلَيْسَ عَنْدهُمْ شَيْءٌ فَتَعْمَدُ إِلَى التِّيِّ كَانَتْ تُهْدِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَجِدُ فِيهَا سَمْنًا فَمَا زَالَ يَقِيمُ لَهَا أَذْمَ بَيْتِهَا حَتَّى عَصَرَتْهُ فَأَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَعَصَرْتِهَا قَالَتْ نَعَمْ قَالَ لَوْ تَرَكْتِهَا مَا زَالَ قَائِمًا رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَعَنْ جَابِرٍ أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَطِيعُهُ فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقٍ مِنْ شَعِيرٍ فَمَا زَالَ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَصَنِيفُهُ حَتَّى كَالَهُ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَوْ لَمْ تَكُلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلَقَامَ بِكُمْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا. وَعَنْ أَبِي الْعَلَاءِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَتَدَاوُلُ مِنْ قِصْعَةٍ مِنْ غَدَوَةٍ حَتَّى اللَّيْلُ يَقُومُ عَشْرَةٌ وَيَقْعُدُ عَشْرَةٌ فَلَمَّا كَانَتْ تُمَدُّ قَالَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْجَبُ مَا كَانَتْ تُمَدُّ إِلَّا مِنْ هَهْنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ عَجَزَ صَاعٌ وَصُنِعَتْ شَاةٌ فَشَوِي سَوَادٌ بَطْنُهَا قَالَ وَإِنَّمَا اللَّهُ مَا مِنَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ إِلَّا وَقَدْ حَزَّ لَهُ حُزَّةٌ مِنَ سَوَادِ بَطْنِهَا ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا قُضْعَتَيْنِ فَأَكَلْنَا أَجْمَعُونَ وَفَضَّلَ فِي الْقُضْعَتَيْنِ فَحَمَلْنَاهُ عَلَى الْبَعِيرِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَدْعُو أَهْلَ الصُّفَّةِ فَتَتَبِعُونِي حَتَّى جَمَعْتُهُمْ فَوَضِعْتُ بَيْنَ أَيْدِينَا صُحُفَةً فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا وَفَرَعْنَا وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وَضِعَتْ إِلَّا أَنَّ فِيهَا أَكْرَ الْأَصَابِعِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ وَكَانُوا أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجُدْعَةَ وَيَشْرَبُونَ الْفَرْقَ فَصَنَعَ لَهُمْ مُدًّا مِنْ طَعَامٍ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ كَمَا هُوَ ثُمَّ دَعَا بِعُسٍّ فَشَرِبُوا حَتَّى رَوُوا وَبَقِيَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرَبْ مِنْهُ شَيْءٌ رَوَاهُ فِي الشِّفَاءِ. وَالْجُدْعَةُ مِنَ الضَّأْنِ مَا آتَى عَلَيْهَا ثَمَائِيَّةٌ أَشْهَرُ أَوْ تَسَعَةٌ وَالْفَرْقُ إِنَاءٌ يَسَعُ اثْنَيْ عَشَرَ صَاعًا وَالْعُسُّ قَدَحٌ مِنْ خَشَبٍ يُرَوَّى الثَّلَاثَةَ وَالْأَرْبَعَةَ.

(وَمِنْ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ ذَوِي الْعَاهَاتِ وَإِخْيَاءُ الْمَوْتَى وَكَلَامُهُمْ وَكَلَامُ الصُّبْيَانِ وَشَهَادَتُهُمْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالثَّبُوءِ) رَوَى النَّبِيهِيُّ فِي الدَّلَائِلِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا رَجُلًا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَا أُوْمِنُ بِكَ حَتَّى تُخْبِيَنِي لِي ابْتِنِي فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرِنِي قَبْرَهَا فَأَرَاهُ إِنِّي فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا فُلَانَةُ فَقَالَتْ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى الدُّنْيَا فَقَالَتْ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ خَيْرًا لِي مِنْ أَبِيٍّ وَوَجَدْتُ الْآخِرَةَ خَيْرًا لِي مِنَ الدُّنْيَا. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ الْحُجُونَ كَثِيبًا حَزِينًا فَأَقَامَ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ رَجَعَ مَسْرُورًا قَالَ سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأَخْبَانِي أُمِّي فَأَمَنْتُ بِهِ ثُمَّ رَدَّهَا وَكَذَا رَوَى مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَيْضًا إِخْيَاءُ أَبِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى آمَنَّا بِهِ رَوَاهُ السُّهَيْلِيُّ وَالْحَطِيبُ.

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ شَابًا مِنَ الْأَنْصَارِ تَوَفَّى وَلَهُ أُمٌّ عَجُوزٌ غَمِيَاءُ فَسَجَّيْنَاهُ وَعَزَّيْنَاهَا فَقَالَتْ مَاتَ ابْنِي قُلْنَا نَعَمْ قَالَتْ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي هَاجَرْتُ إِلَيْكَ وَإِلَى نَبِيِّكَ رَجَاءً أَنْ تُعِينَنِي عَلَى كُلِّ شِدَّةٍ فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَيَّ هَذِهِ الْمُصِيبَةَ فَمَا بَرَحْنَا أَنْ كُشِفَ الثُّوبُ عَنْ وَجْهِهِ فَطُعِمَ وَطُعِمْنَا رَوَاهُ النَّبِيهِيُّ وَغَيْرُهُ. وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ كَانَ زَيْدُ بْنُ خَارِجَةَ مِنْ سُرَوَاتِ الْأَنْصَارِ قَبِينَمَا هُوَ يَمْشِي فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ إِذْ خَرَّ فَتَوَلَّى فَأَعْلِمَتْ الْأَنْصَارُ بِهِ وَأَتَوْهُ فَأَحْتَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِهِ فَسَجَّوهُ كِسَاءً وَبُرْذِينَ وَفِي الْبَيْتِ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ

الْأَنْصَارِ يَنْكِيْنَ عَلَيْهِ وَرِجَالٌ مِنْ رِجَالِهِمْ فَمَكَتْ عَلَى حَالِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ
الْأَجْرَةَ سَمِعُوا صَوْتَ قَائِلٍ يَقُولُ .

أَنْصِتُوا أَنْصِتُوا فَتَنْظَرُوا فَإِذَا الصَّوْتُ مِنْ تَحْتِ الثُّيَابِ فَحَسَرُوا عَنْ وَجْهِهِ وَصَدْرِهِ فَإِذَا
الْقَائِلُ يَقُولُ عَلَى لِسَانِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ كَانَ ذَلِكَ فِي
الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ثُمَّ قَالَ صَدَقَ صَدَقَ ثُمَّ قَالَ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابٍ مِنْ عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ . وَأَخْرَجَ أَبُو
ثَعْيْبٍ أَنَّ جَابِرًا ذَبَحَ شَاةً وَطَبَخَهَا وَتَرَدَّ فِي جَفْنَةٍ وَأَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَأَكَلَ الْقَوْمُ وَتَمَنَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُمْ كُلُوا وَلَا تَكْسِرُوا عِظْمًا ثُمَّ
جَمَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ الْعِظَامَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ فَإِذَا الشَّاةُ قَامَتْ
تَنْفُضُ أَذْنَيْهَا . وَعَنْ مُعَيْقِبِ بْنِ يَمَانٍ قَالَ حَجَجْتُ حَجَّةَ الْوَدَاعِ فَدَخَلْتُ دَارًا بِمَكَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَيْتُ مِنْهُ عَجَبًا جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَامَةِ بِغُلَامٍ يَوْمَ وَلِدَ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا غُلَامُ مِنْ أَنَا فَقَالَ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ صَدَقْتَ بَارَكَ اللَّهُ
فِيكَ ثُمَّ إِنَّ الْغُلَامَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى شَبَّ فَكُنَّا نُسَمِّيهِ مُبَارَكَ الْيَمَامَةِ رَوَاهُ النَّبِيهِيُّ .

وَعَنْ فَهْدِ بْنِ عَطِيَّةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِصَبِيٍّ قَدْ شَبَّ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ
فَقَالَ مَنْ أَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ رَوَاهُ النَّبِيهِيُّ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ
بِابْنٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنِي بِهِ جُنُونٌ وَإِنَّهُ
لَيَأْخُذُهُ عِنْدَ عَدَائِنَا وَعَشَائِنَا فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَرَجَ مِنْ
جَوْفِهِ مِثْلُ الْحَبَرِ الْأَسْوَدِ يَسْتَعِي رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَقَوْلُهُ نَعِ أَيْ قَاءَ .

وَأَصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ الثُّعْمَانِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ فَأَتَى بِهِ إِلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي امْرَأَةً أُجْبِهَا وَأَخْشَى إِنْ رَأَيْتَنِي تَقْلُذْنِي فَأَخَذَهَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ وَرَدَّهَا إِلَى مَوْضِعِهَا وَقَالَ اللَّهُمَّ اكْسُهُ جَمَالًا فَكَانَتْ
أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَحَدَهُمَا نَظَرًا وَكَانَتْ لَا تَرْمَدُ إِذَا رَمِدَتِ الْأُخْرَى . وَفِي الْبُخَارِيِّ فِي غَزْوَةِ
خَيْبَرَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا إِنَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي
عَيْنَيْهِ قَالَ فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأَتَى بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ
حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ فَأَرْسَلَنِي النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْتُ بِهِ أَفْوَدُهُ أَرْمَدَ فَبَصَى نِيَّ عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَعِنْدَ الطَّبْرَائِيِّ عَنْ عَلِيٍّ قَمَا

اشْتَكَيْتُهُمَا حَتَّى السَّاعَةِ قَالَ وَدَعَا لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنْهُ الْحَرَّ
وَالْقَرَّ قَالَ فَمَا اشْتَكَيْتُهُمَا حَتَّى يَوْمِي هَذَا. وَأَصِيبَ سَلَمَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ بِضَرْبَةٍ فِي سَاقِهِ فَتَفَتْ
فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشْتَكَاها قَطُّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَتَفَتْ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنِي قُدْرِكَ وَكَانَتْ مُبَيِّضَتَيْنِ لَا يُبْصِرُ بِهِمَا شَيْئًا وَكَانَ وَقَعَ عَلَى
بَيَاضِ حَيَّةٍ فَكَانَ يُدْخِلُ الْخَيْطَ فِي الْإِبْرَةِ وَإِنَّهُ لَا بُنْ ثَمَانِينَ سَنَةً وَإِنَّ عَيْنَيْهِ لَمُبَيِّضَتَانِ رَوَاهُ ابْنُ
أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ.

الفصل الثاني

فِيمَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ
وَشَرَفَهُ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ خَصَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَشْيَاءَ لَمْ يُعْطِهَا لَنَبِيٍّ
قَبْلَهُ وَمَا خَصَّ نَبِيٍّ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُهُ فَإِنَّهُ أُوتِيَ
جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَكَانَ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا فِي حَالِ
نُبُوَّتِهِ وَزَمَانِ رِسَالَتِهِ وَلَمَّا أُعْطِيَ هَذِهِ الْمَثَرَةَ عَلِمْنَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُمِدُّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ
كَامِلٍ مَبْعُوثٍ وَيَرْخُمُ اللَّهُ شَرَفَ الدِّينِ الْأَبُوصَيْرِيِّ حَيْثُ قَالَ:

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلَ الْكَرَامَ بِهَا فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضَلِ هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرُنْ أُنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ
قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ مَرْزُوقٍ يَعْني أَنَّ كُلَّ مُعْجَزَةٍ أَتَى بِهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرُّسُلِ فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ
بِهِ مِنْ نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَالْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِهِ خَلْقُ نَبِيَّنَا
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ضُلْبِهِ فَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ الْمَقْصُودُ وَآدَمُ الْوَسِيلَةُ. وَأَمَّا سُجُودُ
الْمَلَائِكَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ فِي تَفْسِيرِهِ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ أُمِرُوا بِالسُّجُودِ
لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَجْلِ أَنَّ نُورَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي جَنْبِهِ. وَقَالَ الْإِمَامُ
سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا التَّشْرِيفُ الَّذِي شَرَّفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ:
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] الْآيَةُ أَتَمُّ وَأَجْمَعُ مِنْ تَشْرِيفِ آدَمَ
بِأَمْرِ الْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لَهُ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي ذَلِكَ التَّشْرِيفِ
فَتَشْرِيفُ يَصُدُّ عَنْهُ تَعَالَى وَعَنِ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَبْلَغُ مِنْ تَشْرِيفِ تَخْتَصُّ بِهِ الْمَلَائِكَةُ.

وَأَمَّا تَعْلِيمُ آدَمَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُثَلَّثٌ لِي أُمِّتِي فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ وَعَلَّمْتُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا كَمَا عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا أَخْرَجَهُ الدِّيلَمِيُّ عَنْ أَبِي رَافِعٍ .

وَأَمَّا إِدْرِيسُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَرَفَعَهُ اللَّهُ مَكَانًا عَلِيًّا وَأَعْطَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِعْرَاجَ وَرَفَعَ إِلَى مَكَانٍ لَمْ يُرْفَعْ إِلَيْهِ غَيْرُهُ، وَأَمَّا نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَتَجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْغَرَقِ وَتَجَاهُ مِنَ الْخَسْفِ وَأَعْطَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ تَهْلِكْ أُمَّتُهُ بِعَذَابٍ مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] . وَفِي تَفْسِيرِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ أَكْرَمَ اللَّهُ نُوحًا بِأَنْ أَمْسَكَ سَفِينَتَهُ عَلَى الْمَاءِ وَقَعَلَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ مِنْهُ رُوي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى شَطِّ مَاءٍ وَقَعَدَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَادْعُ ذَلِكَ الْحَجَرَ الَّذِي فِي الْجَانِبِ الْآخَرَ فَلْيَسْبَحْ وَلَا يَغْرَقْ فَأَشَارَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَانْقَلَعَ الْحَجَرُ مِنْ مَكَانِهِ وَسَبَحَ حَتَّى صَارَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدَ لَهُ بِالرَّسَالَةِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْفِيكَ هَذَا فَقَالَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهِ .

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَكَانَتْ عَلَيْهِ نَارُ نَمْرُودَ بَرْدًا وَسَلَامًا فَأُعْطِيَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظِيرَ ذَلِكَ إِطْفَاءُ نَارِ الْحَرْبِ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَنَاهِيكَ بِنَارِ حَطَبِهَا السُّيُوفُ وَوَهْجِهَا الْخُتُوفُ وَمُوقِدُهَا الْحَسَدُ وَمَظْلِكُهَا الرُّوحُ وَالْجَسَدُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿كُلُّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤] وَرَوَى النَّسَائِيُّ أَنَّ مُحَمَّدَ ابْنَ حَاطِبٍ قَالَ كُنْتُ طِفْلًا فَانْصَبْتُ الْقِدْرُ عَلَيَّ وَاخْتَرَقَ جِلْدِي كُلُّهُ فَحَمَلَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَقَلَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي جِلْدِي وَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى الْمُخْتَرِقِ وَقَالَ أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ فَصِرْتُ صَحِيحًا لَا بَاسَ بِي .

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَقَامِ الْخُلَّةِ فَقَدْ أُعْطِيَهُ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَرَادَ بِمَقَامِ الْمَحَبَّةِ وَقَدْ رَوَى فِي حَدِيثِ الشُّفَاعَةِ أَنَّ الْخَلِيلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّخَذَكَ اللَّهُ خَلِيلًا فَاشْفَعْ لَنَا قَالَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءِ وَرَاءِ أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ الشُّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَنَا لَهَا أَنَا لَهَا وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَبِيَّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ خَلِيلًا مَعَ رَفْعِ الْحِجَابِ وَكَشْفِ الْغِطَاءِ وَلَوْ كَانَ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءِ وَرَاءِ لَأَعْتَدَرَ كَمَا اعْتَدَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْفِرَادَةُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ وَكَسْرِ الْأَصْنَامِ وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسْرَهَا بِقَضِيبٍ لَيْسَ مِمَّا يَكْسِرُ إِلَّا بِفُذْرَةٍ إِلَهِيَّةٍ حِينَمَا دَخَلَ مَكَّةَ وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا فَجَعَلَ يَطْعُمُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] حَتَّى سَقَطَتْ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ. وَمِمَّا أُعْطِيَهُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَاءَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ قُرَيْشًا لَمَّا بَنَتِ الْبَيْتَ بَعْدَ تَهْدِيمِهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَضْعُ الْحَجَرِ تَنَافَسُوا عَلَى الْفَخْرِ ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يُحْكُمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ فَاتَّفَقَ دُخُولُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا هَذَا الْأَمِينُ فَحَكَّمُوهُ فِي ذَلِكَ فَأَمَرَ بِسِنِيطِ ثَوْبٍ وَوَضَعَ الْحَجَرَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ يَزْعُمُ كُلُّ بَطْنٍ بِطَرَفٍ فَرَفَعُوهُ جَمِيعًا ثُمَّ أَخَذَهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ فَأَذْخَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ذَلِكَ الْمَقَامَ لِيَكُونَ مَثَبَةً لَهُ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةٍ غَيْرَ نَاطِقَةٍ فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيَيْنَ الْجَذَعِ وَقَدْ مَرَّتْ قِصَّتُهُ. وَحَكَى الْإِمَامُ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَبُو جَهْلٍ أَنْ يَزِيْمَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْحَجْرِ رَأَى عَلَى كَتِفَيْهِ نُعْبَاتَيْنِ فَانْصَرَفَ مَرْغُوبًا. وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ وَكَانَ يَبَاضُهَا يُغْشِي الْبَصَرَ فَأُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمَّا يَزَلُ نُورًا يَنْتَقِلُ فِي أَضْلَابِ الْأَبَاءِ وَيُطَوِّنُ الْأُمَهَاتِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ انْتَقَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ أَبِيهِ وَأُعْطِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَادَةَ بَنِ الثُّعْمَانِ وَقَدْ صَلَّى مَعَهُ الْعِشَاءَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ مَطِيرَةٍ عُرْجُونًا وَقَالَ انْطَلِقْ بِهِ فَإِنَّهُ سَيُضِيءُ لَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ عَشْرًا وَمِنْ خَلْفِكَ عَشْرًا فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَتَسْتَرَى سَوَادًا فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَخْرُجَ فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ فَانْطَلِقْ فَأَضَاءَ لَهُ الْعُرْجُونُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ وَوَجَدَ السَّوَادَ وَضَرَبَهُ حَتَّى خَرَجَ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَشِيرٍ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ حَتَّى ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً وَهِيَ لَيْلَةٌ شَدِيدَةُ الظُّلْمَةِ ثُمَّ خَرَجَا وَبَيَدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَصَا فَأَضَاءَتْ لَهُمَا عَصَا أَحَدِهِمَا فَمَشَى فِي ضَوْئِهَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَتْ بِهِمَا الطَّرِيقُ أَضَاءَتْ لِلْآخِرِ عَصَاهُ فَمَشَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ضَوْءِ عَصَاهُ حَتَّى بَلَغَ هَذِيهَ وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِتَحْوِهِ فِي الصَّحِيحِ. وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ وَالْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ عَنْ حَمْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَتَفَرَّقْنَا فِي لَيْلَةٍ ظُلْمَاءَ فَأَضَاءَتْ أَصَابِعِي حَتَّى جَمَعُوا عَلَيْهَا ظَهْرَهُمْ وَمَا هَلَكَ مِنْهُمْ وَإِنْ أَصَابِعِي أَتَيْتُ.

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ انْفِلَاقُ الْبَحْرِ لَهُ وَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ كَمَا مَرَّ فَمُوسَى تَصَرَّفَ فِي عَالَمِ الْأَرْضِ وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَرَّفَ فِي عَالَمِ السَّمَاءِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا وَاضِحٌ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى وَذَكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ أَنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بَحْرًا يُسَمَّى الْمَكْشُوفُ يَكُونُ بَحْرُ الْأَرْضِ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ كَالْفُطْرَةِ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ قَالَ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ ذَلِكَ الْبَحْرُ انْفَلَقَ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَاوَزَهُ يَغْنِي لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ قَالَ وَهَذَا أَكْثَرُ مِنَ انْفِلَاقِ الْبَحْرِ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِبْجَابَةُ دُعَائِهِ وَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يُحْصَى. وَمِمَّا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَفْجِيرُ الْمَاءِ لَهُ مِنَ الْحَجَارَةِ وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمَاءَ تَفْجَرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَهَذَا أَبْلَغُ لِأَنَّ الْحَجَرَ مِنْ جَنْسِ الْأَرْضِ الَّتِي يَنْبَعُ مِنْهَا الْمَاءُ وَلَمْ تَجِرِ الْعَادَةُ بِتَنْبَعِ الْمَاءِ مِنَ اللَّحْمِ. وَمِمَّا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْكَلَامُ وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَزِيَادَةُ الدُّنُوِّ أَيْضًا كَانَ مَقَامُ الْمُتَنَاجَاةِ فِي حَقِّ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا وَسِدْرَةِ الْمُتَنَهَى وَالْمُسْتَوَى وَحُجُبِ الثُّورِ وَالزُّرْفِ وَمَقَامُ الْمُتَنَاجَاةِ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ طَوْرُ سَيْتَا.

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ هَارُونُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَصَاحَةُ اللَّسَانِ وَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ بِالْمَحَلِّ الْأَفْضَلِ وَالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ. وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ شَطْرِ الْحُسْنِ فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُسْنَ كُلَّهُ وَسَتَاتِي الْإِشَارَةِ إِلَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَقْصِدِ الْإِسْرَاءِ وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا نُقِلَ مِنْ صِفَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَبَيَّنَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ التَّفْضِيلُ لَهُ عَلَى كُلِّ مَشْهُورٍ بِالْحُسْنِ فِي كُلِّ جِيلٍ. وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ تَغْيِيرِ الرُّؤْيَا فَالَّذِي نُقِلَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ مَنَامَاتٍ أَحَدُهَا جِئَ رَأَى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالثَّانِي مَنَامَ صَاحِبِي السَّجْنِ وَالثَّلَاثُ مَنَامَ الْمَلِكِ وَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَدْخُلُهُ الْحَضَرُ وَمَنْ تَصَفَّحَ الْأَخْبَارَ وَتَتَبَعَ الْأَثَارَ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ الْعَجَبِ الْعَجَابِ وَسَتَاتِي بُدَّةٍ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ دَاوُدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ تَلْيِينِ الْحَدِيدِ لَهُ فَكَانَ إِذْ مَسَحَ الْحَدِيدَ لِأَنَّهُ فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْعُودَ الْيَاسَ اخْضَرَ فِي يَدِهِ وَأَزْرَقَ. وَمَسَحَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاءَ أَمْ مَعْبِدِ الْجَزْبَاءِ فَبَرَأَتْ وَدَرَّتْ، وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ كَلَامِ الطَّيْرِ وَتَسْخِيرِ الشَّيَاطِينِ وَالرَّيْحِ وَالْمُلْكِ الَّذِي لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ وَزِيَادَةً أَمَّا مَنْطِقُ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ فَتَنَبَّأَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَةُ الْحَجَرِ وَسَبَّحَ فِي كَفِّهِ الْحَصَى وَهُوَ جَمَادٌ وَكَلِمَةُ ذِرَاعِ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ وَكَلِمَةُ الظَّنِّي وَشَكَى إِلَيْهِ الْبَعِيرُ.

وَرَوَى أَنْ طَيْرًا فُجِعَ بِوَلَدِهِ فَجَعَلَ يُرْفِرِفُ عَلَى رَأْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُكَلِّمُهُ فَيَقُولُ أَيُّكُمْ فَجِعَ هَذَا بِوَلَدِهِ فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا فَقَالَ ارْزُدْ وَلَدَهُ ذَكَرَهُ الرَّازِيُّ وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَقِصَّةُ كَلَامِ الذَّنْبِ مَشْهُورَةٌ. وَأَمَّا الرِّيحُ الَّتِي كَانَتْ عُذُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ تَحْمِلُهُ حَيْثُ أَرَادَ مِنْ أَفْطَارِ الْأَرْضِ فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبُرَاقَ الَّذِي هُوَ أَسْرَعُ مِنَ الرِّيحِ بَلْ أَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ الْخَاطِيفِ فَحَمَلَهُ مِنَ الْقَرْشِ إِلَى الْعَرْشِ فِي سَاعَةٍ زَمَانِيَّةٍ وَأَقْلُ مَسَافَةٍ ذَلِكَ سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ وَتِلْكَ مَسَافَةُ السَّمَوَاتِ وَأَمَّا إِلَى الْمُسْتَوَى وَإِلَى الرَّفْرِفِ فَذَلِكَ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَأَيْضًا فَالرِّيحُ سُحَّرَتْ لِسُلَيْمَانَ لِتَحْمِلَهُ إِلَى نَوَاجِي الْأَرْضِ وَنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زُوِيَ لهُ الْأَرْضُ أَيُّ جُمِعَتْ حَتَّى رَأَى مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَفَرَّقَ بَيْنَ مَنْ يَسْعَى إِلَى الْأَرْضِ وَبَيْنَ مَنْ تَسْعَى لهُ الْأَرْضُ.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مِنْ تَسْخِيرِ الشَّيَاطِينِ فَقَدْ رَوَى أَنَّ شَيْطَانًا اغْتَرَضَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَأَمَكَنَهُ اللَّهُ مِنْهُ وَرَبَطَهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ وَخَيَّرَ مِمَّا أُوتِيَهُ سُلَيْمَانُ مِنْ ذَلِكَ إِيْمَانُ الْجِنِّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَمَّا عَدُوُّ الْجِنِّ مِنْ جُنُودِ سُلَيْمَانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحْشِيرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ﴾ [النحل: ١٧] فَخَيَّرَ مِنْهُ عَدُوُّ الْمَلَائِكَةِ جِبْرِيلَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جُمْلَةِ أَجْنَادِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِإِغْيَارِ الْجِهَادِ بِإِغْيَارِ تَكْثِيرِ السَّوَادِ عَلَى طَرِيقِ الْأَجْنَادِ. وَأَمَّا عَدُوُّ الطَّيْرِ مِنْ جُمْلَةِ أَجْنَادِهِ فَأَعْجَبَ مِنْهُ حَمَامَةُ الْغَارِ وَتَوَكُّيرُهَا فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ حِمَايَتَهَا لَهُ مِنْ عَدُوِّهِ وَالْعَرَضُ مِنْ اسْتِكْثَارِ الْجُنْدِ إِنَّمَا هُوَ الْحِمَايَةُ وَقَدْ حَصَلَتْ بِأَيْسَرِ شَيْءٍ.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مِنَ الْمُلْكِ فَتَنَبَّأَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ بَيْنٍ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا فَاخْتَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا. وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَإِخْيَاءِ الْمَوْتَى فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَدَّ الْغَيْنَ إِلَى مَكَانِهَا بَعْدَمَا سَقَطَتْ فَعَادَتْ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ. وَفِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ

لِنَبِيهِ قِصَّةَ الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أُوْمِنُ بِكَ حَتَّى تُخْبِيَّ لِي ابْنَتِي فَأَتَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَهَا فَقَالَ يَا فُلَانَةُ فَقَالَتْ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْحَدِيثُ وَقَدْ سَبَّحَ الْحَصَى فِي كَفِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَنَ الْجَذْعَ لِغِرَاقِهِ وَذَلِكَ أَبْلَغُ مِنْ تَكْلِيمِ الْمَوْتَى لِأَنَّ هَذَا مِنْ جِسْمٍ مَا لَا يَتَكَلَّمُ.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ مَا يُخْفِيهِ النَّاسُ فِي بُيُوتِهِمْ فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يُحْصَى وَسَيَأْتِي مِنْهُ مَا يَكْفِي وَيَشْفِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَزَادَ فِي التَّرْقِي لِمَرْيَدِ الدَّرَجَاتِ وَسَمَاعِ الْمُنَاجَاةِ وَالْحُظُورَةِ فِي الْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُشَاهَدَاتِ. وَقَدْ خُصَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَصَائِصِ التَّكْرِيمِ بِمَا لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَدْ رَوَى جَابِرٌ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ أُعْطِيتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِي كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ وَأَجَلْتُ لِي الْعَنَائِمُ وَلَمْ تَجُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ حَيْثُ كَانَ وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي رِوَايَةٍ وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ فَاخْتَرْتُهَا لِأُمَّتِي فَهِيَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا. وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ زِيَادَةُ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَيْرَ بِي النَّبِيِّونَ. وَفِي حَدِيثِ آخَرَ لِمُسْلِمٍ زِيَادَةُ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ حُرَيْمَةَ وَالنَّسَائِيِّ زِيَادَةُ وَأُعْطِيتُ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَثَرِ تَحْتَ الْعَرْشِ يُشِيرُ إِلَى مَا حَطَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أُمَّتِهِ مِنَ الْإِضْرِ وَتَحْمِيلِ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ وَرَفْعِ الْخَطَا وَالنَّسْيَانِ وَمَعْنَى الرِّضْرِ الْأَمْرُ الثَّقِيلُ، وَفِي حَدِيثِ لِأَحْمَدَ زِيَادَةُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَمِ.

وَعِنْدَ الْبَزَّازِ زِيَادَةُ غُفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ وَأُعْطِيتُ الْكَوْثَرُ وَإِنْ صَاحَبَكُمْ لَصَاحِبُ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُرَّتْهُ. وَلَهُ أَيْضًا زِيَادَةُ كَانَ شَيْطَانِي كَافِرًا فَأَعَانَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ وَيُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ أَمَعَنَ النَّتُّعِ. وَذَكَرَ أَبُو سَعِيدٍ النَّيْسَابُورِيُّ فِي كِتَابِ شَرْفِ الْمُصْطَفَى أَنَّ عَدَدَ الَّذِي خُصَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتُونَ خَصْلَةً. وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِيَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مُعْجِزَةٍ وَخَصِيصِيَّةٍ.

أَمَّا خَصَائِصُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهِيَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ) مَا اخْتَصَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ لِيَكُونَ أَجْرُهُ بِهَا أَعْظَمَ: فَاخْتَصَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوُجُوبِ صَلَاةِ الضُّحَى، وَالْوُثْرِ، وَرَكَعَتَيِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ اللَّيْلِ، وَالسَّوَاكِ، وَالْأُضْحِيَّةِ، وَالْمُشَاوَرَةِ، وَمُصَابَرَةِ الْعَدُوِّ وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ، وَتَغْيِيرِ الْمُتَكَرِّرِ إِذَا رَأَاهُ وَلَا يَسْقُطُ بِالْخَوْفِ، وَقَضَاءِ ذَيْنَ مَنْ مَاتَ مُسْلِمًا مُعْسِرًا، وَتَغْيِيرِ نِسَائِهِ فِي فِرَاقِهِ وَإِمْسَاكِهِنَّ بَعْدَ أَنْ اخْتَرَتْهُ وَتَرَكَ التَّزْوِجَ عَلَيْهِنَّ وَالتَّبْدِيلَ بِهِنَّ مُكَافَأَةً لَهُنَّ ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ لِتَكُونَ الْمِثْلَةُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِنَّ، وَإِتْمَامِ كُلِّ تَطَوُّعٍ شَرَعَ فِيهِ، وَلُزُومِ آدَاءِ فَرَضِ الصَّلَاةِ بِلاَ خَلَلٍ لَا يُبْطِلُهَا، وَعَدَمِ سَقُوطِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثَمَا كَانَ يُؤْخَذُ عَنِ الدُّنْيَا حَالَةَ الْوُخْيِ، وَاسْتِغْفَارِهِ اللَّهَ سَبْعِينَ مَرَّةً حَيْثَمَا كَانَ يُغَانُ عَلَى قَلْبِهِ وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ مِائَةً مَرَّةً وَالْمُرَادُ بِهِذَا الْعَيْنِ عَلَى الْقَلْبِ سَهْوُهُ عَنْ مُدَاوَمَةِ الذِّكْرِ وَمُشَاهَدَةِ الْحَقِّ بِمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَفَعَ إِلَيْهِ مِنْ مَقَاسَاةِ الْبَشَرِ وَسِيَاسَةِ الْأُمَّةِ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَعَنْ أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي فَقَالَ لِي يَا مُبَارَكُ ذَلِكَ غَيْنُ الْأَنْوَارِ لَا غَيْنُ الْأَغْيَارِ. (الْقِسْمُ الثَّانِي) فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْهِ فَاخْتَصَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَحْرِيمِ الرِّكَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وَتَحْرِيمِ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِ، وَتَحْرِيمِ مَا لَهُ رَائِحَةٌ كَرِبْهَةٌ كَثُومٍ وَبَصَلٍ لِتَتَوَقَّعَ مَجِيءُ الْمَلَائِكَةِ وَالْوُخْيِ، وَتَحْرِيمِ الْأَكْلِ مُتَكَبِّيًا، وَتَحْرِيمِ الْكِتَابَةِ وَالشَّعْرِ أَيْ التَّوَضُّعِ إِلَيْهِمَا، وَتَحْرِيمِ نَزْعِ لَامِيَّةِ أَيْ آلَةٍ حَزَبِهِ إِذَا لَبَسَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ، وَتَحْرِيمِ الْمَنِّ لِيَسْتَكْثِرَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] أَيْ لَا تُعْطِ شَيْئًا لِتُعْطِيَ أَكْثَرَ مِنْهُ بَلْ أَعْطِ لِرَبِّكَ وَاقْصِدْ بِهِ وَجْهَهُ، وَتَحْرِيمِ مَدِّ الْعَيْنِ إِلَى مَا مُتَّعَ بِهِ النَّاسُ اسْتِخْسَانًا لَهُ وَتَمَنِّيًا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُهُ، وَتَحْرِيمِ خَائِنَةِ الْأَعْيُنِ وَهِيَ الْإِيمَاءُ إِلَى مُبَاحٍ مِنْ قَتْلِ أَوْ ضَرْبٍ عَلَى خِلَافِ مَا يُشْعِرُ بِهِ الْحَالُ، وَتَحْرِيمِ نِكَاحِ مَنْ لَمْ تَهَاجِرْ، وَتَحْرِيمِ إِمْسَاكِ مَنْ كَرِهْتَهُ، وَتَحْرِيمِ نِكَاحِ الْكِتَابِيَّةِ، وَتَحْرِيمِ نِكَاحِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ، وَتَحْرِيمِ الْإِغَارَةِ إِذَا سَمِعَ التَّكْبِيرَ. (الْقِسْمُ الثَّالِثُ) فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُبَاحَاتِ وَمُعْظَمُهَا لَمْ يَفْعَلْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاخْتَصَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِبَاحَةِ الْمُكْثِ فِي الْمَسْجِدِ جُنُبًا، وَأَنَّهُ لَا يَنْتَقِصُ وَضُوءُهُ بِالنَّوْمِ مُضْطَجِعًا، وَنِكَاحِ أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِ نِسَوَةٍ، وَالنَّكَاحِ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ.

وَالنَّكَاحَ بِغَيْرِ رِضَا الْمَرْأَةِ فَلَوْ رَغِبَ فِي نِكَاحِ امْرَأَةٍ خَلِيَّةٍ لَرَمَاهَا الْإِجَابَةُ وَحَرَّمَ عَلَى غَيْرِهِ خِطْبَتُهَا، وَالنَّكَاحَ بِلاَ وَلِيِّ وَلَا شُهودٍ، وَجَعَلَهُ عَتَقَ أَمَتِهِ صَفِيَّةً صَدَاقُهَا، وَجَلَّ الْجَنَمِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا وَخَالَتِهَا وَأَنَّ لَهُ أَنْ يَضْطَفِي مَا شَاءَ مِنَ الْمَعْنَمِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ مِنْ جَارِيَةٍ وَغَيْرِهَا، وَالْقِتَالِ بِمَكَّةَ وَالْقَتْلِ بِهَا، وَجَوَازِ دُخُولِ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ، وَأَنَّهُ يَقْضِي بِعِلْمِهِ وَيَقْضِي لِنَفْسِهِ وَلِلْوَلَدِ، وَيَشْهَدُ لِنَفْسِهِ وَلِلْوَلَدِ، وَلَا يُكْرَهُ لَهُ الْفَتْوَى وَالْقَضَاءُ فِي حَالِ الْغَضَبِ لِأَنَّهُ لَا يَقُولُ فِي الْغَضَبِ إِلَّا كَمَا يَقُولُ فِي الرِّضَا، وَأَنَّهُ يَدْعُو لِمَنْ شَاءَ بِلَفْظِ الصَّلَاةِ وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُصَلِّيَ إِلَّا عَلَى نَبِيِّ أَوْ مَلَكٍ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْطِعُ الْأَرْضَ قَبْلَ فَتْحِهَا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَلَكَهُ الْأَرْضَ كُلَّهَا وَأَفْتَى الْغَزَالِي بِكُفْرِ مَنْ عَارَضَ أَوْلَادَ تَمِيمِ الدَّارِيِّ فِيمَا أَقْطَعَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقْطِعُ أَرْضَ الْجَلَّةِ فَأَرْضَ الدُّنْيَا أُولَى. (الْقِسْمُ الرَّابِعُ) فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْقَضَائِلِ وَالْكَرَامَاتِ اخْتَصَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلَقًا، وَأَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا وَأَدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ رَوَاهُ الثُّرَيْدِيُّ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بَلَى يَوْمَ السَّبْتِ بِرَبِّكُمْ رَوَاهُ الْقُطَّانُ، وَأَنَّ آدَمَ وَجَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ خُلِقُوا لِأَجَلِهِ رَوَاهُ النَّبْهَيْيُّ وَغَيْرُهُ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ اسْمَهُ الشَّرِيفَ عَلَى الْعَرْشِ وَعَلَى كُلِّ سَمَاءٍ وَعَلَى الْجَنَانِ وَمَا فِيهَا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَنْصُرُوهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١] وَأَنَّهُ وَقَعَ التَّبَشِيرُ بِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي نَسَبِهِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ رَوَاهُ النَّبْهَيْيُّ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ تُكْسِتِ الْأَضْنَامَ لِمَوْلَدِهِ رَوَاهُ الْخَرَّاطِيُّ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ وَلِدَ مَخْتُونًا مَقْطُوعَ السُّرَّةِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَأَنَّهُ خَرَجَ نَظِيفًا مَا بِهِ قَدَرٌ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ، وَأَنَّهُ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ سَاجِدًا رَافِعًا إِضْبَعِيهِ كَالْمُتَضَرِّعِ الْمُبْتَهِلِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ، وَأَنَّهُ رَأَتْ أُمُّهُ عِنْدَ وَلَدَيْهِ نُورًا خَرَجَ مِنْهَا أَضَاءٌ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَأَنَّ مَهْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَحَرَّكُ بِتَحْرِيكِ الْمَلَائِكَةِ ذَكَرَهُ ابْنُ سَنَعٍ فِي الْخَصَائِصِ، وَأَنَّ الْقَمَرَ كَانَ يُحْدِثُهُ وَهُوَ فِي مَهْدِهِ وَيَمِيلُ حَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ رَوَاهُ صَاحِبُ النُّطْقِ الْمَفْهُومِ، وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ رَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ ظَلَّلَتْهُ الْعَمَامَةُ فِي الْحَرِّ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ مَالَ إِلَيْهِ فِي الشَّجَرَةِ إِذْ سَبَقَ إِلَيْهِ رَوَاهُ النَّبْهَيْيُّ، وَأَنَّهُ شَقَّ صَدْرَهُ الشَّرِيفُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ غَطَّه جِبْرِيلُ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْوُحْيِ ثَلَاثَ عَطَاةٍ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ غُضُّوا غُضُّوا فَذَكَرَ قَلْبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١] وَقَوْلِهِ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٤] وَلِسَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣] وَقَوْلِهِ: ﴿فَلِنَمَّا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧] وَبَصَرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧] وَوَجْهَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] وَيَدَهُ وَعُنُقَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] وَظَهْرَهُ وَصَدْرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنَقَكَ وَزُكِّىَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ١] وَأَنَّهُ اشْتَقَّ اسْمُهُ مِنْ اسْمِ اللَّهِ الْمَحْمُودِ قَالَ حَسَّانُ:

وَشَقُّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِیُجِلَّهُ
فَدُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ
وَأَنَّهُ سُمِّيَ أَحْمَدَ وَلَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبِيتُ جَائِعًا وَيُضِيحُ طَائِعًا يُطْعِمُهُ رَبُّهُ وَيَسْقِيهِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَرَى مَنْ خَلْفَهُ كَمَا يَرَى مَنْ أَمَامَهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَنَّهُ كَانَ يَرَى فِي اللَّيْلِ فِي الظُّلْمَةِ كَمَا يَرَى بِالنَّهَارِ وَالضُّوئِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَأَنَّ رِيقَهُ كَانَ يُغَذِّبُ الْمَاءَ الْمِلْحَ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ، وَأَنَّ رِيقَهُ كَانَ يَجْزِي الرُّضِيعَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا مَشَى فِي الصُّخْرِ غَاصَتْ قَدَمَاهُ فِيهِ، وَأَنَّ ابْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا شَعَرَ عَلَيْهِ قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَكَانَ أَبْيَضَ غَيْرَ مُتَغَيَّرِ اللَّوْنِ كَمَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ صَوْتُهُ وَسَمْعُهُ مَا لَا يَبْلُغُ صَوْتُ غَيْرِهِ وَلَا سَمْعُهُ، وَأَنَّهُ كَانَ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَنَّهُ مَا تَنَاءَبَ قَطُّ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ وَأَخْرَجَ الْخَطَّابِيُّ مَا تَنَاءَبَ نَبِيٌّ قَطُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا اخْتَلَمَ قَطُّ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَأَنَّ عَرَقَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ إِذَا مَشَى مَعَ الطَّوِيلِ طَالَهُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ لَهُ ظِلٌّ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا رُيِّيَ لَهُ ظِلٌّ فِي شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ لِأَنَّهُ نُورٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ عَلَى ثِيَابِهِ دُبَابٌ قَطُّ، وَأَنَّهُ لَا يَمْتَصُّ دَمَهُ الْبَعُوضُ، قَالَهُمَا الْفَخْرُ الرَّازِيُّ، وَأَنَّهُ مَا آذَاهُ الْقَمَلُ قَالَهُ ابْنُ سَبْعٍ وَغَيْرُهُ.

وَأَنَّ الْكَهَنَةَ انْقَطَعُوا عِنْدَ مَبْعَثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا انْقَطَعَ اسْتِرَاقُ السَّمْعِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ مُسْرَجًا مُلْجَمًا قِيلَ وَكَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَرْكَبُهُ غُرْيَانًا، وَأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَغُرِجَ بِهِ إِلَى الْمَحَلِّ الْأَعْلَى وَارَاهُ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى وَحَفِظَهُ فِي الْمِعْرَاجِ

حَتَّى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَى وَأَخْضَرَ الْأَنْبِيَاءَ لَهُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصَلَّى بِهِمْ
وَبِالْمَلَائِكَةِ إِمَامًا وَأَطْلَعَهُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأَنَّه رَأَى اللَّهَ تَعَالَى بِعَيْنَيْهِ وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْكَلَامِ
وَالرُّؤْيَا وَكَلَّمَهُ تَعَالَى فِي الرِّقْعِ الْأَعْلَى وَكَلَّمَ مُوسَى بِالْجَبَلِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْبِرُ مَعَهُ حَيْثُ
سَارَ يَمْشُونَ خَلْفَ ظَهْرِهِ وَقَاتَلَتْ مَعَهُ كَمَا مَرَّ فِي غَزْوَةِ بَذْرِ وَحْنَيْنِ، وَأَنَّه يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ
نُصَلِّيَ وَنُسَلِّمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لآيَةٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾
[الأحزاب: ٥٦] وَأَنَّهُ أُوتِيَ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ وَهُوَ أُمِّي لَا يقرأ وَلَا يَكْتُبُ وَلَا اشْتَغَلَ بِمُدَارَسَةٍ،
وَأَنَّ اللَّهَ حَفِظَ كِتَابَهُ الْمُتَزَّلَ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّخْرِيفِ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَأْتِيهِ
الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا
نَخُنُّ نَزْلَنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] أَيْ مِنَ التَّخْرِيفِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ فَلَوْ
خَالَوْا أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِحَرْفٍ أَوْ نُقْطَةٍ لَقَالَ لَهُ أَهْلُ الدُّنْيَا هَذَا كَذَابٌ حَتَّى إِنَّ الشَّيْخَ الْمَهِيبَ لَو
اتَّفَقَ لَهُ تَغْيِيرٌ فِي حَرْفٍ مِنْهُ لَقَالَ الصُّبْيَانُ كُلُّهُمْ أَخْطَأُوا أَيُّهَا الشَّيْخُ وَصَوَابُهُ كَذَا وَلَمْ يَتَّفَقْ
ذَلِكَ لِغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ فَإِنَّهُ لَا كِتَابَ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَهُ التَّضْحِيفُ وَالتَّخْرِيفُ وَالتَّغْيِيرُ سِوَاهُ مَعَ أَنَّ
دَوَاعِي الْمُلْحَدَةِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مُتَوَفِّرَةٌ عَلَى إِبْطَالِهِ وَإِسَادِهِ، وَأَنَّ كِتَابَهُ يَشْتَمِلُ عَلَى مَا
اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْكُتُبِ، وَأَنَّ تَعَالَى يَسِّرُ حِفْظَهُ لِمُتَعَلِّمِيهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠] فَحِفْظُهُ مَيْسَرٌ لِلْعُلَمَاءِ فِي أَقْرَبِ مَدَّةٍ وَسَائِرِ الْأُمَمِ لَا
يَحْفَظُ كُتُبَهَا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْجَمِّ الْغَفِيرِ.

وَأَنَّه أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ تَسْهِيلاً عَلَيْنَا وَتَبْسِيْرًا، وَأَنَّه آيَةٌ بَاقِيَةٌ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا، وَأَنَّه
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خُصَّ بِآيَةِ الْكُرْسِيِّ وَبِالْمُقَصِّلِ وَبِالْمَثْنِي وَبِالسَّنْعِ الطَّوَالِ أَمَّا الْمُفَصَّلُ
فَأَخْرَجَهُ قُلُ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ وَفِي أَوَّلِهِ خِلَافٌ وَرَجَعَ النَّوِيُّ أَنَّهُ سُورَةُ الْحُجُرَاتِ وَالْمَثْنِي
هِيَ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالسَّنْعِ الطَّوَالِ أَوَّلُهَا الْبَقَرَةُ وَأَخْرَجَهَا
الْأَنْفَالُ، وَأَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعْطِيَ مَفَاتِيحَ الْخَزَائِنِ قَالَ بَعْضُهُمْ وَهِيَ خَزَائِنُ أَجْنَاسِ
الْعَالَمِ لِيُخْرِجَ لَهُمْ بِقَدْرِ مَا يَطْلُبُونَهُ لِدَوَائِيهِمْ فَكُلُّ مَا ظَهَرَ مِنْ رِزْقِ الْعَالَمِ فَإِنَّ الْأَسْمَ الْإِلَهِيَّ لَا
يُعْطِيهِ إِلَّا عَنْ يَدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَفَاتِيحُ كَمَا اخْتَصَّ تَعَالَى بِمَفَاتِيحِ
الْغَيْبِ فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَأَعْطَى هَذَا السَّيِّدَ الْكَرِيمَ مَثْرَلَةَ الْأَخْتِصَاصِ بِإِعْطَائِهِ مَفَاتِيحَ
الْخَزَائِنِ، وَأَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَأَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ
إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ وَغَيْرِهِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ كَانَ
النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ وَفِي رِوَايَةٍ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَنَصْرِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَإِخْلَالَ الْعَثَائِمِ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ، وَجَعَلَ الْأَرْضَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَنَّ مُعْجَزَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمُعْجَزَاتُ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ انْقَرَضَتْ لَوْفَتْهَا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا خَبَرُهَا وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ لَمْ تَزَلْ حُجَّتُهُ قَاهِرَةً وَمُعَارَضَتُهُ مُمْتَنِعَةً، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ مُعْجَزَةً.

وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَنَّ شَرْعَهُ مُؤَيَّدٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَتَأْسِخُ لِكُلِّ شَرَايِعِ النَّبِيِّينَ. وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ أَدْرَكَتْهُ الْأَنْبِيَاءُ لَوَجِبَ اتِّبَاعُهُ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ إِلَى الْجَنِّ أَتْفَاقًا، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ فِي إِخْدَى الْقَوْلَيْنِ وَرَجَحَهُ السُّبُكِيُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِمْ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ يَا آدَمُ يَا نُوحَ يَا إِبْرَاهِيمَ يَا دَاوُدَ يَا زَكَرِيَّا يَا يَحْيَى يَا عِيسَى وَلَمْ يُخَاطَبْهُ هُوَ فِيهِ إِلَّا بِمَا آتَاهَا الرُّسُولُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ يَا أَيُّهَا الْمُدْتَرُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ نِدَاؤُهُ بِاسْمِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] أَيْ لَا تَجْعَلُوا نِدَاءَهُ وَتَسْمِيَّتَهُ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا بِاسْمِهِ وَرَفَعَ الصُّوْتِ وَلَكِنْ قُولُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَعَ التَّوْقِيرِ وَالتَّوَاضُّعِ وَخَفَضِ الصُّوْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْرُمُ الْجَهْرُ لَهُ بِالْقَوْلِ قَالَ تَعَالَى: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْرُمُ نِدَاؤُهُ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَرَاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [الحجرات: ٤]، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَبِيبُ اللَّهِ تَعَالَى وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْمَحَبَّةِ وَالْخَلَّةِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ عَلَى رِسَالَتِهِ وَبِحَيَاتِهِ وَبِبَلَدِهِ وَعَصْرِهِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا بِجَمِيعِ أَصْنَافِ الْوَحْيِ.

وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَبَطَ عَلَيْهِ إِسْرَافِيلُ وَلَمْ يَهْبِطْ عَلَى نَبِيٍّ قَبْلَهُ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَقَدْ هَبَطَ عَلَيَّ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ مَا هَبَطَ عَلَيَّ نَبِيٌّ قَبْلِي وَلَا يَهْبِطُ عَلَيَّ أَحَدٌ بَعْدِي وَهُوَ إِسْرَافِيلُ فَقَالَ أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ إِلَيْكَ أَمْرِي أَنْ أُخَيِّرَكَ إِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا فَتَنَظَّرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ فَأَوْمَأَ إِلَيَّ

أَنْ تَوَاضَعَ فَلَوْ أَنِّي قُلْتُ نَبِيًّا مَلِكًا لَصَارَتْ الْجِبَالُ مَعِيَ ذَهَبًا، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ يَلْفِظُ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَبِيَدِي لِرِوَاءِ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢٧].

قَالَ الْبَيْضاوِيُّ جَمِيعَ مَا فَرَطَ مِنْكَ مِمَّا يَصِحُّ أَنْ تُعَاتَبَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ الْمُرْسَلِينَ وَجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْلَمَ قَرِينُهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ وَلَا النِّسْيَانُ، وَأَنَّ الْمَيِّتَ يُسْأَلُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبْرِهِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ نِكَاحَ أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] أَيْ هُنَّ فِي الْحُرْمَةِ كَالْأُمَّهَاتِ حَرَّمَ نِكَاحَهُنَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ تَكْرِمَةً لَهُ وَخُصُوصِيَّةً.

وَأَنَّهُ يَحْرُمُ رُؤْيَاهُ أَشْخَاصِ أَزْوَاجِهِ فِي الْأُزْرِ وَكَذَا كَشْفُ وُجُوهِهِنَّ وَأَكْفُهُنَّ لِلشَّهَادَةِ وَغَيْرِهَا، وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَسِّمَ عَلَى اللَّهِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَأَنَّ أَوْلَادَ بَنَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْحَسَنِ إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَأَنَّ كُلَّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبَهُ وَنَسَبَهُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي وَالنَّسَبُ بِالْوِلَادَةِ وَالسَّبَبُ بِالزَّوَاجِ.

وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّزْوُجُ عَلَى بَنَاتِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤْذِيهِ وَأَذِيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَامٌ بِالِاتِّفَاقِ فَعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنَّ قَوْمَكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ وَهَذَا عَلِيٌّ نَاصِحٌ ابْنَةُ أَبِي جَهْلٍ قَالَ الْمِسْوَرُ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَتْهُ حِينَ تَشْهَدُ قَالَ أَمَا بَعْدَ فَإِنِّي أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي وَإِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنَّمَا أَكْرَهُ أَنْ يَفْتَنُوهَا وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَدًا قَالَ فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ وَفِي رِوَايَةٍ لَهَا مِنَ الْمِسْوَرِ أَيْضًا فَإِنَّ ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْتَهِدُ أَحَدٌ فِي مِخْرَابٍ صَلَّى إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ رَأَاهُ بِالْمَنَامِ فَقَدْ رَأَاهُ حَقًّا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ

بِهِ وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقَظَةِ أَوْ فَكَأَنَّمَا رَأَى فِي الْيَقَظَةِ وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِهِ .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي قَتَادَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ أَيْضًا مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ وَلَهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّهُ لَا يَتَّبِعِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِهِ ، وَأَنَّ التَّسْمِيَّ بِاسْمِهِ نَافِعٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُوقَفُ عَبْدَانِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَيُؤْمَرُ بِهِمَا إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولَانِ رَبَّنَا بِمَ اسْتَأْهَلْنَا الْجَنَّةَ وَلَمْ نَعْمَلْ عَمَلًا تَجَاوِزُنَا بِهِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ادْخُلَا الْجَنَّةَ فَإِنِّي آَلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّارَ مَنْ اسْمُهُ أَحْمَدُ وَلَا مُحَمَّدٌ . وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ ثُبَيْطِ بْنِ شَرِيْطٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَعَذُّبُ أَحَدًا تَسْمَى بِاسْمِكَ فِي النَّارِ .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا مِنْ مَائِدَةٍ وَضِعَتْ فَحَضَرَ عَلَيْهَا مَنْ اسْمُهُ أَحْمَدُ أَوْ مُحَمَّدٌ إِلَّا قَدَسَ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَنْزِلَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ رَوَاهُ أَبُو مَنْصُورٍ الدِّيلَمِيُّ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَكَبَّرَ بِكُنْيَةِ أَبِي الْقَاسِمِ سِوَاهُ كَانَ اسْمُهُ مُحَمَّدًا أَمْ لَا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَجَوَازُهُ مَالِكٌ . وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الْغُسْلُ لِقِرَاءَةِ حَدِيثِهِ وَالتَّطَيُّبُ وَلَا تُرْفَعُ عِنْدَهُ الْأَصْوَاتُ بَلْ تُخَفَّضُ كَمَا فِي حَيَاتِهِ إِذَا تَكَلَّمَ فَإِنَّ كَلَامَهُ الْمَأْثُورَ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الرُّفْعَةِ مِثْلُ كَلَامِهِ الْمَسْمُوعِ مِنْ لَفْظِهِ الشَّرِيفِ وَأَنْ يُفْرَأَ عَلَى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ قَالَ مُطَرِّفٌ كَانَ النَّاسُ إِذَا أَتَوْا مَالِكًا رَحِمَهُ اللَّهُ خَرَجَتْ إِلَيْهِمُ الْجَارِيَةُ فَتَقُولُ لَهُمْ يَقُولُ لَكُمْ الشَّيْخُ ثُرَيْدُونَ الْحَدِيثُ أَوْ الْمَسَائِلُ فَإِنْ قَالُوا الْمَسَائِلُ خَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي الْوَقْتِ وَإِنْ قَالُوا الْحَدِيثُ دَخَلَ مُغْتَسِلُهُ فَاغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ وَلَيْسَ يُبَايَا جُدَدًا وَتَعَمَّمَ وَلَيْسَ سَاجِدًا وَالسَّاجُ الطُّيْلَسَانُ وَتُلْقَى لَهُ مِنْصَةٌ فَيَخْرُجُ يَجْلِسُ عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ الْخُشُوعُ .

وَلَا يَزَالُ يُبَخَّرُ بِالْعُودِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَكُنْ يَجْلِسُ عَلَى تِلْكَ الْمِنْصَةِ إِلَّا إِذَا حَدَّثَ قَالَ ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ أَحِبُّ أَنْ أُعْظَّمَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أُحَدِّثُ بِهِ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ مَتَمَكَّنًا وَيَقَالُ إِنَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَقَدْ كَرِهَ قَتَادَةُ وَمَالِكٌ وَجَمَاعَةُ التَّحْدِيثِ عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ حَتَّى كَانَ الْأَعْمَشُ إِذَا كَانَ عَلَى غَيْرِهَا تَيْعَّمُ وَلَا شَكَّ أَنَّ حُرْمَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَتَعْظِيمُهُ وَتَوْقِيرُهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ وَعِنْدَ ذِكْرِهِ وَذِكْرِ حَدِيثِهِ وَسَمَاعِ اسْمِهِ وَسِيرَتِهِ كَمَا كَانَ فِي حَيَاتِهِ

وَيَكْرَهُ لِقَارِيءٍ حَدِيثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُومَ لِأَحَدٍ وَحَسْبُكَ مَا وَقَعَ لِمَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي لَسَعِ الْعَقْرَبِ لَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً وَهُوَ لَمْ يَتَحَرَّكَ وَتَحَمَّلِهِ لِلْسَّعْيِ تَوْقِيرًا لِعَجَابِ حَدِيثِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ خَصَائِصِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ تَثَبَّتْ الصُّحْبَةُ لِمَنْ اجْتَمَعَ بِهِ لَحْظَةً بِخِلَافِ التَّابِعِيِّ مَعَ الصُّحَابِيِّ فَلَا تَثَبَّتْ إِلَّا بِطُولِ الْأَجْتِمَاعِ مَعَهُ عَلَى الصَّحِيحِ عِنْدَ أَهْلِ الْأُصُولِ وَالْفَرْقِ عَظُمَ مَنْصِبُ الثُّبُوتِ وَتَوَرَّعَ فِيمُجَرَّدِ مَا يَقَعُ بَصَرُهُ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ الْجَلْفِ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ، وَأَنَّ أَصْحَابَهُ كُلَّهُمْ عُدُولٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى خِطَابًا لِلْمَوْجُودِينَ حِينَئِذٍ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أَيُّ عُدُولًا وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدِهِمَا مَا بَلَغَ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. وَمِنْ خَصَائِصِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ الْمُصَلِّيَّ يُخَاطَبُهُ بِقَوْلِهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَلَا يُخَاطَبُ غَيْرُهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَجِبُ عَلَى مَنْ دَعَاهُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يُجِيبَهُ، وَأَنَّ الْكَذِبَ عَلَيْهِ لَيْسَ كَالْكَذِبِ عَلَى غَيْرِهِ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ لَمْ تُقْبَلْ رُؤَايَتُهُ أَبَدًا وَإِنْ تَابَ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَغْضُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا عَمْدًا وَسَهْوًا كَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْجُنُونُ وَلَا الْإِغْمَاءُ الطَّوِيلُ الزَّمَنَ وَلَا الْعَمَى لِأَنَّهَا تَقْصُرُ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنَّ مَنْ سَبَّهُ أَوْ اتَّقَصَّه قُتِلَ ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشُّفَاءِ وَغَيْرُهُ وَاسْتَدَلُّوا لَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَنِ وَالْإِجْمَاعِ.

وَقَالَ الْخُطَّابِيُّ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اخْتَلَفَ فِي وَجُوبِ قَتْلِهِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا وَمَذْهَبُ الْمَالِكِيَّةِ يُقْتَلُ حَدًّا لَا رَدَّةَ وَلَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ وَلَا عُذْرُهُ إِنْ ادَّعَى سَهْوًا أَوْ غَلَطًا وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّ ذَلِكَ رَدَّةٌ تُخْرِجُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ فَهُوَ مُرْتَدٌّ كَافِرٌ قَطْعًا لَا نِزَاعَ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ مِنْ أُمَّتِنَا وَالْمُرْتَدُّ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ. وَمِنْ خَصَائِصِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَخْصُ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ مِنَ الْأَحْكَامِ كَجَعْلِهِ شَهَادَةَ خُرَيْمَةَ شَهَادَةً رَجُلَيْنِ فَعَنِ الثُّغَمَانِ ابْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى مِنْ أَعْرَابِيٍّ قَرَسًا فَجَعَلَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَجَاءَ خُرَيْمَةُ فَقَالَ يَا أَعْرَابِيُّ أَنَا أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَلَّا بَغْتَهُ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ إِنْ شَهِدَ عَلَيَّ خُرَيْمَةُ فَأَعْطِنِي الثَّمَنَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا خُرَيْمَةُ إِنَّا لَمْ نَشْهَدْكَ كَيْفَ تَشْهَدُ قَالَ أَنَا أَصْدُقُكَ عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ أَلَّا أَصْدُقُكَ عَلَى خَبَرِ دَا الْأَعْرَابِيُّ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْدِلُ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ فَلَمْ يَكُنْ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ تَغْدِلُ شَهَادَتَهُ
شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ إِلَّا خُرِيمَةً.

وَمِنْ ذَلِكَ تَرْخِيصُهُ فِي النَّيَاحَةِ لِأَمِّ عَطِيَّةَ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْهَا قَالَتْ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ
﴿يَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَغْنَبُكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢] قَالَتْ
كَانَ مِنْهُ النَّيَاحَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا آلُ فَلَانٍ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَسْعَدُونِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَا بُدَّ
لِي مِنْ أَنْ أَسْعِدَهُمْ فَقَالَ إِلَّا آلُ فَلَانٍ. وَمِنْ ذَلِكَ تَرْكُ الْإِخْدَادِ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ أَخْرَجَ
ابْنُ سَعْدٍ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيَّ ثَلَاثًا ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ وَقَوْلُهُ تَسْلِيَّ أَبِي الْبَيْسِيِّ ثَوْبُ
الْجِدَادِ وَهُوَ السَّلَابُ وَتَسْلَبَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا لَيْسَتْهُ وَهُوَ ثَوْبُ أَسْوَدَ تُغْطِي بِهِ الْمُجْدُ رَأْسَهَا
وَمِنْ ذَلِكَ الْأُضْحِيَّةُ بِالْعَتَاكِ لِأَبِي بُرْزَةَ بْنِ نِيَارٍ. وَالْعَتَاكِ الْأَثْنَى مِنْ وَلَدِ الْمَعْرِزِ قَبْلَ
اسْتِحْكَامِهَا الْخَوْلَ.

وَمِنْ ذَلِكَ إِنْكَاحُ ذَلِكَ الرَّجُلِ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَدْ رَوَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ امْرَأَةً عَلَى سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَقَالَ لَا تَكُونُ لِأَحَدٍ بَعْدَكَ مَهْرًا، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَانَ يُوعَكَ كَمَا يُوعَكَ رَجُلَانِ لِمُضَاعَفَةِ الْأَجْرِ وَالْوَعَكَ أَذَى الْحُمَى وَزَجَعُهَا فِي
الْبَدَنِ، وَأَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي مَرَضِهِ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ
وَعِيزَةُ.

وَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صَلَّى عَلَيْهِ النَّاسُ أَفْوَاجًا أَفْوَاجًا بِغَيْرِ إِمَامٍ وَبَغَيْرِ دُعَاءِ الْجَنَازَةِ
الْمَعْرُوفِ ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَعِيزَةُ، وَتَرَكَ بِلَا دَفْنٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا سَيَأْتِي، وَفُرِشَ لَهُ فِي لَحْدِهِ
حَقِيقَةٌ وَالْأَمْرَانِ مَكْرُوهَانِ فِي حَقَّتَا، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ
لَا يَبْلَى جَسَدُهُ الشَّرِيفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَوَاهُ أَبُو
دَاوُدَ وَعِيزَةُ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُورَثُ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ لَا يُورَثُونَ لِمَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ
مِنْ حَدِيثِ الزُّبَيْرِ مَرْفُوعًا إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ.

وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ يُصَلِّي فِيهِ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلِهَذَا قِيلَ لَا عِدَّةَ عَلَى أَزْوَاجِهِ وَقَدْ حَكَى ابْنُ النُّجَّارِ وَعِيزَةُ أَنَّ
الْأَذَانَ تَرَكَ فِي أَيَّامِ الْحَرَّةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَخَرَجَ النَّاسُ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ فِي الْمَسْجِدِ قَالَ
سَعِيدٌ فَاسْتَوْحَشْتُ فَدَنَوْتُ إِلَى الْقَبْرِ فَلَمَّا حَضَرَتِ الظُّهْرُ سَمِعْتُ الْأَذَانَ فِي الْقَبْرِ فَصَلَّيْتُ

الظُّهْرُ ثُمَّ مَضَى ذَلِكَ الْأَذَانُ وَالْإِقَامَةُ فِي الْقَبْرِ لِكُلِّ صَلَاةٍ حَتَّى مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيْلًا، وَأَنَّهُ
وَكُلُّ بِقَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَكٌ يُبَلِّغُهُ صَلَاةَ الْمُصَلِّينَ عَلَيْهِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ
وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ بِلَفْظٍ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ وَعِنْدَ
الْأَضْبَهَانِي عَنْ عَمَّارٍ إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا أَعْطَاهُ سَمْعَ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ فَمَا مِنْ أَحَدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا
أَبْلَغَنِيهَا، وَأَنَّهُ تُعْرَضُ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ
عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَتُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ
عُدُوَّةٌ وَعَشِيَّةٌ فَيَعْرِضُهُمْ بِسَيِّمَاهُمُ وَأَعْمَالِهِمْ، وَأَنْ مِنْبَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَوْضِهِ
كَمَا فِي الْحَدِيثِ.

وَفِي رِوَايَةٍ وَمِنْبَرِي عَلَى ثُرْعَةٍ مِنْ ثُرَجِ الْجَنَّةِ وَأَصْلُ الثُّرْعَةِ الرُّوضَةُ عَلَى الْمَكَانِ
الْمُرْتَفِعِ خَاصَّةً فَإِنْ كَانَتْ فِي الْمُطْمَئِنِّ فَهِيَ رُوضَةٌ. وَلَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ عَلَى
ظَاهِرِهِ وَأَنَّهُ حَقٌّ مَحْسُوسٌ مُوجُودٌ فَإِنَّ الْقُدْرَةَ صَالِحَةٌ لَا عَجَزَ فِيهَا وَكُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ فَلَا يُؤْمَنُ بِهِ وَاجِبٌ، وَأَنْ مَا بَيْنَ مِنْبَرِهِ وَقَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُوضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِلَفْظٍ مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ.

وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَنْ
يُفِيقُ مِنَ الصُّعْقَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ عَلَى الصُّرَاطِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُخَشَرُ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا رُوِيَ عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إِلَّا نَزَلَ
سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَحْفُونَ بِقَبْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا
عَرَجُوا وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى إِذَا انْشَقَّتْ عَنْهُ الْأَرْضُ خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ
الْمَلَائِكَةِ يُوقِزُونَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ يُخَشَرُ رَاكِبُ الْبُرَاقِ رَوَاهُ الْحَافِظُ السُّلَفِيُّ، وَأَنَّهُ
يُكْسَى فِي الْمَوْقِفِ أَعْظَمَ الْحُلِيِّ مِنَ الْجَنَّةِ لَا يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ وَرَوَاهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ بِلَفْظٍ
يُخَشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ وَيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةَ خَضِرَاءَ، وَأَنَّهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ عَلَى يَمِينِ الْعَرْشِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ غَيْرُهُ يَغِيْطُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ
رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ.

وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطَى الْمَقَامَ الْمُخْمُودَ قَالَ مُجَاهِدٌ هُوَ جُلُوسُهُ عَلَى الْعَرْشِ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ عَلَى الْكَرْسِيِّ ذَكَرَهُمَا الْبَغَوِيُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطَى

الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ حِينَ يَفْرَعُونَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطَى الشَّفَاعَةُ فِي إِدْخَالِ قَوْمِ الْجَنَّةِ بَغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطَى الشَّفَاعَةُ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ نَاسٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبُ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَدَمَ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَهُ رَوَاهُ الْبُزَارِيُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ أَيْضًا قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ بِكَ أَمِزْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِزِيَادَةٍ فِيهِ قَالَ فَيَقُومُ الْخَازِنُ فَيَقُولُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ وَلَا أَقُومُ لِأَحَدٍ بَعْدَكَ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحْرَكُ خَلْقُ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيَدْخُلُنيهَا وَمَعِيَ فَقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ يَسِيلُ فِي حَوْضِهِ مَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَمَاوُهُ أَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ، وَمِنْهَا الْوَسِيلَةُ وَهِيَ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ. (وَأَمَّا خَصَائِصُ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَادَهَا شَرْفًا) فَاعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ أُمَّتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَجَعَلَهُمْ وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَعْطَاهُمْ الْأَجْتِهَادَ فِي الْأَحْكَامِ فَيُخْتَكَمُونَ بِمَا أَدَّى إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُمْ وَكُلُّ مَنْ دَخَلَ فِي زَمَانِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا كَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ لَا يَخْتَكُمُ فِي الْعَالَمِ إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ تَابِعٌ لِنَبِيِّنَا عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَذَلِكَ مَنْ يَقُولُ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِبُيُوتِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهُ بَاقٍ إِلَى الْيَوْمِ فَإِنَّهُ تَابِعٌ لِأَحْكَامِ هَذِهِ الْمِلَّةِ وَكَذَلِكَ الْيَاسَ عَلَى مَا صَحَّحَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ أَنَّهُ حَيٌّ أَيْضًا وَلَيْسَ فِي الرُّسُلِ مَنْ يَتَّبَعُهُ رَسُولٌ إِلَّا نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَفَى بِهِذَا شَرْفًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.

وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ الشَّرِيفَةَ بِخَصَائِصٍ لَمْ يُؤْتِهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ أَبَانَ بِهَا فَضْلَهُمْ وَالْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ نَاطِقَةٌ بِذَلِكَ خَرَّجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مُوسَى لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا ذِكْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاكِحِ أُمَّةٌ هُمْ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاكِحِ أُمَّةٌ أَنَا جِئِلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ يَفْرَعُونَ بِهَا ظَاهِرًا فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي

قَالَ تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَا حِ أُمَّةٌ يَأْكُلُونَ النَّفْيَ فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَا حِ أُمَّةٌ يَجْعَلُونَ الصَّدَقَةَ فِي بُطُونِهِمْ يُؤْجِرُونَ عَلَيْهَا فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَا حِ أُمَّةٌ إِذَا هُمْ أَحَدُهُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَا حِ أُمَّةٌ إِذَا هُمْ أَحَدُهُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ لَهُ وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَا حِ أُمَّةٌ يُؤْتُونَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْعِلْمَ الْآخِرَ فَيُقْتَلُونَ الْمَسِيحَ الدِّجَالُ فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ فَاجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ فَأَعْطِنِي عِنْدَ ذَلِكَ خَصْلَتَيْنِ .

فَقَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اضْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ قَالَ قَدْ رَضِيتُ يَا رَبِّ . وَفِي كِتَابِ التَّنْظِيقِ الْمَفْهُومِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَفَعَهُ قَالَ مُوسَى يَا رَبِّ فَهَلْ فِي الْأُمَمِ أَكْرَمُ عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِي ظَلَلْتُ عَلَيْهِمُ الْعِمَامَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْهِمُ الْمَنِّ وَالسُّلُوى فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَا مُوسَى أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فَضْلَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ كَفَضْلِي عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي قَالَ يَا رَبِّ فَأَرِنِيهِمْ قَالَ لَنْ تَرَاهُمْ وَلَكِنْ أَسْمِعْكَ كَلَامَهُمْ فَنَادَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فَأَجَابُوا كُلُّهُمْ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صَلَاتِي عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي وَعَفْوِي سَبَقَ عَذَابِي اسْتَجَبْتُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُونِي فَمَنْ لَقِيَنِي مِنْكُمْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ بِذَلِكَ فَقَالَ : ﴿ وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْتُنَا ﴾ أَنِي أُمَّتِكَ حَتَّى أَسْمَعُنَا مُوسَى كَلَامَهُمْ وَفِي الْجِلْدِ لِأَبِي نُعَيْمٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى نَبِيِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ لَقِيَنِي وَهُوَ جَاجِدٌ بِأَحْمَدَ أَدْخَلْتُهُ النَّارَ قَالَ يَا رَبِّ وَمَنْ أَحْمَدُ قَالَ مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْهُ كَتَبْتُ اسْمَهُ مَعَ اسْمِي فِي الْعَرْشِ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ إِنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي حَتَّى يَدْخُلَهَا هُوَ وَأُمَّتُهُ قَالَ وَمَنْ أُمَّتُهُ قَالَ الْحَمَادُونَ يَحْمَدُونَ صُغُودًا وَهَبُوطًا وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَشْدُونَ أَوْسَاطَهُمْ وَيُطَهَّرُونَ أَطْرَافَهُمْ صَائِمُونَ بِالنَّهَارِ زُهَّانَ بِاللَّيْلِ أَقْبَلُ مِنْهُمْ الْيَسِيرَ وَأَدْخَلْتُهُمُ الْجَنَّةَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ اجْعَلْنِي نَبِيَّ تِلْكَ الْأُمَّةِ قَالَ نَبِيُّهَا مِنْهَا قَالَ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ ذَلِكَ النَّبِيِّ قَالَ اسْتَفْدَمْتُ وَاسْتَأْخَرَ وَلَكِنْ سَاجِعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِي دَارِ الْجَلَالِ .

وَعَنْ وَهَبِ بْنِ مُثَنَّبٍ قَالَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّ شَغِيأُ إِنِّي بَاعِثُ نَبِيًّا أُمِّيًّا أَفْتَحُ بِهِ آدَانَا صُغًا وَثُلُوبَنَا غُلْفًا وَأَعِينَا عُمِيًّا مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجِرُهُ طَبِيبَةُ وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ عَبْدِي الْمُتَوَكِّلُ

الْمُضْطَمَّى الْمَرْفُوعِ الْحَبِيبِ الْمُتَخَبِّ الْمُخْتَارَ لَا يَعْجِزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةِ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ يَبْكِي لِلْبَهِيمَةِ الْمُثْقَلَةِ وَلِلْيَتِيمِ فِي حَجَرِ الْأَزْمَلَةِ لَيْسَ بِفَطْ وَلَا عَلِيْظَ وَلَا صَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا مُتَزَيِّنٍ بِالْفَحْشِ وَلَا قَوَالٍ لِلْحَنَّا لَوْ يَمُرُّ إِلَى جَنْبِ السَّرَاجِ لَمْ يُطْفِئْهُ مِنْ سَكِينَتِهِ وَلَوْ يَمْشِي عَلَى الْقَصَبِ الرُّغْرَاعِ أَيْ الطُّوِيلِ لَمْ يُسْمَعْ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ أُنْبَعَثُ مُبَشِّرًا وَتَلْذِيرًا إِلَى أَنْ قَالَ وَأَجْعَلْ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيًا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوْحِيدًا لِي وَإِيمَانًا بِي وَإِخْلَاصًا لِي وَتَضَدِيقًا لِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلِي وَهُمْ رِعَاةُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ طُوبَى لِيْلِكَ الْقُلُوبِ وَالْوُجُوهِ وَالْأَزْوَاجِ الَّتِي أَخْلَصَتْ لِي أَلْهَمَهُمُ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّحْمِيدَ وَالتَّوْحِيدَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ وَمَضَاجِعِهِمْ وَمُتَقَلَّبِهِمْ وَمَتَوَاهِمِمْ وَيَصُفُّونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ حَوْلَ عَرْشِي هُمْ أَوْلِيَائِي وَأَنْصَارِي أَنْتَقِمُ بِهِمْ مِنْ أَعْدَائِي عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ يُصَلُّونَ لِي قِيَامًا وَقُعُودًا وَرُكْعًا وَسُجُودًا وَيَخْرُجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي أَلُوفًا وَيَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِي صُفُوفًا أَخْتِمُ بِكِتَابِهِمُ الْكُتُبَ وَبِشَرِيعَتِهِمُ الشَّرَائِعَ وَبِإِدِينِهِمُ الْأَذْيَانَ فَمَنْ أَدْرَكَهُمْ .

فَلَمْ يُؤْمِنْ بِكِتَابِهِمْ وَيَدْخُلَ فِي دِينِهِمْ وَشَرِيعَتِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَهُوَ مِنِّي بَرِيءٌ وَأَجْعَلُهُمْ أَفْضَلَ الْأُمَمِ وَأَجْعَلُهُمْ أُمَّةً وَسَطًا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ إِذَا غَضِبُوا هَلَّلُونِي وَإِذَا تَنَازَعُوا سَبَّحُونِي يُطَهَّرُونَ الْوُجُوهُ وَالْأَطْرَافَ وَيَشْدُونَ الثِّيَابَ إِلَى الْأَنْصَافِ وَيَهْلُلُونَ عَلَى الثَّلَالِ وَالْأَشْرَافِ قُرْبَانِهِمْ دِمَائِهِمْ وَأَنَاجِيْلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ رُهْبَانًا بِاللَّيْلِ لِيُوثَّ بِالنَّهَارِ طُوبَى لِمَنْ كَانَ مَعَهُمْ وَعَلَى دِينِهِمْ وَمِنْهَاجِهِمْ وَشَرِيعَتِهِمْ وَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيَهُ مِنْ أَشَاءِ وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ . وَمِنْ خَصَائِصِهَا الْجُمُعَةُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيِّدَ أَنَّهُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ لَهُ فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ الْيَهُودُ غَدًا وَالتَّصَارِي بَعْدَ غَدٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَمِنْ خَصَائِصِهِمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ عَنْهُمْ الْإِضْرَ الَّذِي كَانَ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِضْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ أَيُّ وَيُخَفِّفُ عَنْهُمْ مَا كُتِفُوا بِهِ مِنَ التَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ كَتَغْيِينِ الْقِصَاصِ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا وَقَطْعِ الْأَعْضَاءِ الْخَاطِئَةِ وَقَطْعِ مَوْضِعِ النَّجَاسَةِ وَقَتْلِ النَّفْسِ فِي التَّوْبَةِ وَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُصْبِحُ قَدْ كَتَبَ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ أَنْ كَفَّارَتُهُ أَنْ تَنْزِعَ عَيْنَيْكَ فَيَنْزِعَهُمَا وَأَضِلَّ الْإِضْرَ الثَّقُلَ الَّذِي يَأْصِرُ صَاحِبَهُ أَيُّ يَحْبِسُهُ مِنَ الْحَرَكَاتِ لِثِقَلِهِ .

وَمِنْهَا أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّ لَهُمْ كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْهِمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] أَيْ ضَيْقٍ بِتَكْلِيفٍ مَا اسْتَدَّ الْقِيَامُ بِهِ عَلَيْهِمْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ الْحَرَجُ مَا كَانَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْإِضْرِ وَالشَّدَائِدِ وَضَعَهُ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَمِنْهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ عَنْهُمْ الْمُوَاخَذَةَ بِالْخَطَا وَالنِّسْيَانِ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ وَحَدِيثِ النَّفْسِ وَقَدْ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا نَسُوا شَيْئًا مِمَّا أُمِرُوا بِهِ أَوْ أَخْطَوْا عَجَلَتْ لَهُمُ الْعُقُوبَةُ فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ الذَّنْبِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنِ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. وَمِنْهَا أَنَّ الْإِسْلَامَ وَصَفَ خَاصٌّ بِهِمْ لَا يَشْرِكُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨] ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وَمِنْهَا أَنَّ شَرِيعَتَهُمْ أَكْمَلُ مِنْ جَمِيعِ شَرَائِعِ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَهَذَا مِمَّا لَا يَخْتَاجُ لَبِّيَانِهِ لَوْضُوحِهِ وَأَنْظُرْ إِلَى شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَدْ كَانَتْ شَرِيعَةً جَلَالٍ وَقَهْرٍ أُمِرُوا بِقَتْلِ نُفُوسِهِمْ وَحُرْمَتِ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ وَذَوَاتِ الظَّفَرِ وَغَيْرِهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَحُرْمَتِ عَلَيْهِمُ الْعَنَائِمُ وَعُجِّلَ لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ مَا عُجِّلَ وَحُمِلُوا مِنَ الْأَصَارِ وَالْأَغْلَالِ مَا لَمْ يَحْمِلْهُ غَيْرُهُمْ وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَعْظَمِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى هَيْئَةً وَقَارًا وَأَشَدَّهُمْ بَأْسًا وَعَضْبًا لِلَّهِ تَعَالَى وَتَبَطُّشًا بِأَعْدَاءِ اللَّهِ فَكَانَ لَا يُسْتَطَاعُ النَّظَرُ إِلَيْهِ وَعَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي مَظْهَرِ الْجَمَالِ وَكَانَتْ شَرِيعَتُهُ شَرِيعَةً فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ وَكَانَ لَا يُقَاتِلُ وَلَا يُحَارِبُ وَلَيْسَ فِي شَرِيعَتِهِ قِتَالُ الْبُهْتَةِ وَالنِّصَارَى يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمُ الْقِتَالُ وَهُمْ بِهِ عُصَاةٌ فَإِنَّ الْإِنْجِيلَ يَأْمُرُ فِيهِ بِقَوْلِهِ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَأَدِرْ لَهُ خَدَّكَ الْأَيْسَرَ وَمَنْ نَازَعَكَ ثَوْبَكَ فَأَعْطِهِ رِدَاءَكَ وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا فَاْمْسِ مَعَهُ مِيلَيْنِ وَنَحْوُ هَذَا.

وَأَمَّا نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ مَظْهَرُ الْكَمَالِ الْجَامِعِ لِبِتْلِكَ الْقُوَّةِ وَالْعَدْلِ وَالشَّدَّةِ فِي اللَّهِ وَاللَّيْنِ وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ فَشَرِيعَتُهُ أَكْمَلُ الشَّرَائِعِ وَأَمَّتُهُ أَكْمَلُ الْأُمَمِ وَأَحْوَالُهُمْ وَمَقَامَاتُهُمْ أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ وَلِلَّذَلِكَ تَأْتِي شَرِيعَتُهُ بِالْعَدْلِ قَرَضًا بِالْفَضْلِ تَذَبًا بِالشَّدَّةِ فِي مَوْضِعِ الشَّدَّةِ وَبِاللَّيْنِ فِي مَوْضِعِ اللَّيْنِ فَيَذْكُرُ الظُّلْمَ وَيُحَرِّمُهُ وَالْعَدْلَ وَيَأْمُرُ بِهِ وَالْفَضْلَ وَيَنْدُبُ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فَهَذَا عَدْلٌ ﴿فَمَنْ عَفَا

وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» [الشورى : ٤٠] فَهَذَا فَضْلُ «إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ» [الشورى : ٤٠] فَهَذَا تَحْرِيمٌ لِلظُّلْمِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : «وَلِإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ» [النحل : ١٢٦] هَذَا إِيْجَابٌ لِلْعَذْلِ وَتَحْرِيمٌ لِلظُّلْمِ «وَلِئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» [النحل : ١٢٦] تَذَبُّ إِلَى الْفَضْلِ وَكَذَلِكَ تَحْرِيمٌ مَا حُرِّمَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ صِيَانَةٌ وَحِمِيَّةٌ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ كُلَّ خَبِيثٍ وَضَارٍّ وَأَحْلَى لَهُمْ كُلَّ طَيِّبٍ وَنَافِعٍ فَتَحْرِيمُهُ عَلَيْهِمْ رَحْمَةٌ وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ لَمْ يَخُلْ مِنْ عُقُوبَةٍ وَهَذَا هُمْ لِمَا ضَلَّتْ عَنْهُ الْأُمَمُ قَبْلَهُمْ كَيَوْمِ الْجُمُعَةِ وَوَهَبَ لَهُمْ مِنْ عِلْمِهِ وَجَلِيهِ وَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَكَمَّلَ لَهُمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا قَرَّقَهُ فِي الْأُمَمِ كَمَا كَمَلَ لِبَنِيهِمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا قَرَّقَهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ كَمَا كَمَلَ فِي كِتَابِهِمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا قَرَّقَهُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ وَكَذَلِكَ فِي شَرِيعَتِهِ فَهَذِهِ الْأُمَّةُ هُمْ الْمُجْتَبُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» [الحج : ٧٨]، وَمِنْهَا أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقَامَهُمْ فِي ذَلِكَ مَقَامَ الرُّسُلِ الشَّاهِدِينَ عَلَى أُمَّتِهِمْ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى ضَلَالَةٍ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ فِي حَدِيثِ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا تَجْتَمِعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ فَأَعْطَانِيهَا، وَمِنْهَا أَنَّ إِجْمَاعَهُمْ حُجَّةٌ وَأَنَّ اخْتِلَافَهُمْ رَحْمَةٌ وَكَانَ اخْتِلَافُ مَنْ قَبْلَهُمْ عَذَابًا، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ أَقْلُ الْأُمَمِ عَمَلًا وَأَكْثَرُهُمْ أَجْرًا وَأَقْصَرُهُمْ أَعْمَارًا وَأَوْتُوا الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ، وَأَنَّهُمْ آخِرُ الْأُمَمِ فَافْتَضَحَتْ الْأُمَمُ عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَفْتَضَحُوا، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ أَوْتُوا الْإِنْسَادَ وَهُوَ خَصِيصَةٌ فَاضِلَةٌ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَسَنَّةٌ بِالْعَةِ مِنَ السُّنَنِ الْمَوْكَّدَةِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنِ الْمُظَفَّرِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَشَرَّفَهَا وَفَضَّلَهَا بِالْإِنْسَادِ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ كُلِّهَا قَدِيمُهَا وَحَدِيثُهَا إِسْنَادٌ إِنَّمَا هُوَ صُحُفٌ فِي أَيْدِيهِمْ وَقَدْ خَلَطُوا بِكُتُبِهِمْ أَخْبَارَهُمْ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ تَمْيِيزٌ بَيْنَ مَا نَزَلَ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَبَيْنَ مَا أَلْحَقَهُ بِكُتُبِهِمْ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أَخَذُوهَا عَنْ غَيْرِ الثَّقَاةِ وَهَذِهِ الْأُمَّةُ الشَّرِيفَةُ زَادَهَا اللَّهُ شَرَفًا بِبَنِيهَا إِنَّمَا تَنْصُ الْحَدِيثَ عَنِ الثَّقَةِ الْمَعْرُوفِ فِي زَمَانِهِ بِالصَّدْقِ وَالْأَمَانَةِ عَنْ مِثْلِهِ حَتَّى تَنْتَاهِيَ أَخْبَارُهُمْ ثُمَّ يَنْتَحُونَ أَشَدَّ النَّحْيِ حَتَّى يَغْرِقُوا الْأَحْفَظَ فَلَا أَحْفَظَ وَالْأَضْبَطَ فَلَا أَضْبَطَ وَالْأَطْوَلَ مُجَالَسَةً بِمَنْ قَوْفَهُ مِمَّنْ كَانَ أَقْصَرَ مُجَالَسَةً ثُمَّ يَكْتُبُونَ الْحَدِيثَ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا وَأَكْثَرَ حَتَّى يَهْذُبُوهُ مِنَ الْغَلْطِ وَالزَّلَلِ وَيَضْبُطُوا حُرُوفَهُ وَيَعْدُوهُ عَدَاً فَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ

اخْتَصُّوا فِي الْأَخِرَةِ بِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ مِنَ الْأُمَمِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا بِلَفْظٍ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنِّي وَعَنْ أُمِّي وَلَا فَخْرَ.

وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي الْمَوْقِفِ عَلَى مَكَانٍ عَالٍ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا بِلَفْظٍ أَنَا وَأُمِّي عَلَى كَوْمٍ مُشْرِفِينَ عَلَى الْخَلَائِقِ مَا مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا وَدَّ أَنَّهُ مِنَّا وَمَا مِنْ نَبِيٍّ كَذَبَهُ قَوْمُهُ إِلَّا وَنَحْنُ نَشْهَدُ لَهُ أَنَّهُ بَلَغَ رَسُولَهُ رَبِّهِ وَفِي رِوَايَةٍ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمِّي عَلَى تَلٍّ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ سَائِرِ الْأُمَمِ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُرِّمَتِ الْجَنَّةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَدْخَلَهَا وَحُرِّمَتِ عَلَى الْأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمِّي، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَمِنْهَا أَنَّ نَوْرَهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَمِنْهَا أَنَّ لَهُمْ مَا سَعَوْا وَمَا يُسْعَى لَهُمْ وَلَيْسَ لِمَنْ قَبْلَهُمْ إِلَّا مَا سَعَى وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] فَهِيَ مَخْصُوصَةٌ بِالْكَافِرِ وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَلَهُ مَا سَعَى وَغَيْرُهُ وَذَكَرَ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْقَطَّانِ الْعَسْقَلَانِيُّ أَنَّ وُصُولَ ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ إِلَى الْمَيِّتِ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ أَجْنَبِيٍّ هُوَ الصَّحِيحُ كَمَا تَنْفَعُهُ الصَّدَقَةُ وَالِدَعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ بِالْإِجْمَاعِ.

وَأَمَّا إِهْدَاءُ الْقِرَاءَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَكَى ابْنُ الْقَيِّمِ أَنَّ مِنْ الْفُقَهَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَنْ اسْتَحَبَّهُ وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنِيًّا عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ أَجْرِ كُلِّ مَنْ عَمِلَ خَيْرًا مِنْ أُمِّيٍّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ شَيْءٌ. قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّةٍ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَضَلُّ فِيهِ. قَالَ الْمَرَاغِي فِي تَحْقِيقِ النُّصَرَةِ فَجَمِيعُ حَسَنَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ فِي صَحَائِفِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زِيَادَةٌ عَلَى مَا لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مَعَ مُضَاعَفَةٍ لَا يَخْصُرُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّ كُلَّ مُهْتَدٍ وَعَامِلٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَحْصُلُ لَهُ أَجْرٌ وَيَتَجَدَّدُ لِشَيْخِهِ مِثْلُ ذَلِكَ الْأَجْرِ وَلِشَيْخِ شَيْخِهِ مِثْلَهُ وَلِلشَيْخِ الثَّلَاثِ أَرْبَعَةٌ وَلِلرَّابِعِ ثَمَانِيَةٌ وَهَكَذَا تُضَعَّفُ كُلُّ مَرْتَبَةٍ بِعَدَدِ الْأَجُورِ الْحَاصِلَةِ بَعْدَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِهَذَا تَعْلَمُ تَفْصِيلَ السَّلَفِ عَلَى الْحَلْفِ فَإِذَا قَرَضَتْ الْمَرَاتِبَ عَشْرَةَ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَجْرِ أَلْفٌ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ فَإِذَا اهْتَدَى بِالْعَاشِرِ حَادِي عَشَرَ صَارَ أَجْرُ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفَيْنِ وَثَمَانِيَّةٍ وَأَرْبَعِينَ وَهَكَذَا كُلَّمَا ارْتَدَّ وَاحِدٌ يَتَضَاعَفُ مَا كَانَ قَبْلَهُ
أَبَدًا كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ أَهـ.

وَبِهَذَا يُجَابُ عَنِ اسْتِشْكَالِ دُعَاءِ الْقَارِيءِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزِيَادَةِ التَّشْرِيفِ مَعَ
الْعِلْمِ بِكَمَالِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ الشَّرَفِ فَكَأَنَّ الدَّاعِيَ لَحَظَّ أَنَّ قَبُولَ قِرَاءَتِهِ
يَتَضَمَّنُ لِمُعَلِّمِهِ تَطْيِيرَ أَجْرِهِ وَهَكَذَا حَتَّى يَكُونَ لِلْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَهُوَ الشَّارِعُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ تَطْيِيرُ جَمِيعِ ذَلِكَ، وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ اخْتَصَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَضَائِلَ لَا
تُحْصَى وَمَنَاقِبَ لَا تُسْتَفْصَى وَكَذَلِكَ أُمَّتُهُ تَكْرِمَةً لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١، والجمعة: ٤].

المقصد الخامس

فِي تَخْصِيصِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِخَصَائِصِ
الْمِعْرَاجِ وَالْإِسْرَاءِ وَتَعْمِيمِهِ بِعُمُومِ لَطَائِفِ التَّكْرِيمِ
فِي حَضْرَةِ التَّقْرِيبِ بِالْمُكَالَمَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ الْكُبْرَى

اَعْلَمُ أَنَّ قِصَّةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مِنْ أَشْهَرِ الْمُعْجَزَاتِ وَأَظْهَرَ الْبَرَاهِينِ الْبَيِّنَاتِ وَأَقْوَى
الْحُجَجِ الْمُخْتَكَمَاتِ وَأَصْدَقِ الْأَنْبَاءِ وَأَعْظَمِ الْآيَاتِ.

وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِسْرَاءٌ وَاحِدٌ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ يَقْطَعُ فِي الْقِصَّةِ كُلِّهَا وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْجَمْهُورُ
مِنْ عُلَمَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ وَلَا يَنْبَغِي
الْعُدُولُ عَنْهُ وَالْإِسْرَاءُ بِالْجِسْمِ إِلَى تِلْكَ الْحَضَرَاتِ الْعَلِيَّةِ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ سِوَاهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَالْمَعَارِيجُ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ عَشْرَةَ سَبْعَةَ إِلَى السَّمَوَاتِ وَالثَّامِنِ إِلَى
سِدْرَةِ الْمُتَنَهَى وَالثَّاسِعِ إِلَى الْمُسْتَوَى الَّذِي سَمِعَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ فِي
تَصَارِيفِ الْأَقْدَارِ وَالْعَاشِرِ إِلَى الْعَرْشِ وَالرُّفْرِفِ وَالرُّؤْيَةِ وَسَمَاعِ الْخُطَابِ بِالْمُكَافَأَةِ
وَالْكَشْفِ الْحَقِيقِيِّ. وَقَدْ وَرَدَ حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَدَّ مِنْهُمْ فِي الْأَصْلِ سِتَّةَ
وَعِشْرِينَ ثُمَّ قَالَ وَبِالْجُمْلَةِ فَحَدِيثُ الْإِسْرَاءِ أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَأَعْرَضَ عَنْهُ الزَّادِقَةُ
الْمُلْحِدُونَ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ صَعْصَعَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ فَقَالَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحَظِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْجَنْرِ
مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ أَيُّ مِنْ ثُغْرَةٍ نَحَرُهُ إِلَى شِعْرَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ
قَلْبِي ثُمَّ أَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ بِإِيمَانًا فَعُسِلَ ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ فَتَرَجَ
صَدْرِي ثُمَّ عَسَلَهُ بِمَاءٍ زَمَزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِيَةٍ بِحِكْمَةٍ وَإِيمَانًا فَأَفْرَعَهُ فِي

صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أُتِيَتْ بِدَائِئِهِ دُونَ النَّبْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ قَالَ أَنَسُ هُوَ الْبَرَّاقُ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ فَعُحِلْتُ عَلَيْهِ فَاَنْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا وَسَاقَ الْبُخَارِيَّ الْحَدِيثَ بِطَوِيلِهِ وَسَيَّأَتِي سُرُودَهُ بَعْدَ ذِكْرِ صَلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَنْبِيَاءِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَوَضَفَ الْمِعْرَاجَ الَّذِي أُتِيَ بِهِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَعِدَ مِنْهُ إِلَى السَّمَاءِ . وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِالْبَرَّاقِ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مُسْرَجًا مُلْجَمًا فَاسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا وَفِي رِوَايَةٍ أَمَّا تَسْتَحْيِي مَا رَكِبَكَ خَلْقٌ قَطُّ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ فَارْقُضْ عَرَقًا .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ إِذَا أَتَى عَلَى جَبَلٍ ارْتَفَعَتْ رِجْلَاهُ وَإِذَا هَبَطَ ارْتَفَعَتْ يَدَاهُ وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ سَعْدٍ لَهُ جَنَاحَانِ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي صِفَتِهِ لَهُ خَدٌّ كَخَدِّ الْإِنْسَانِ وَعَرْفٌ كَعَرْفِ الْفَرَسِ وَقَوَائِمُ كَالْإِبِلِ وَأَطْلَافٌ وَذَنَبٌ كَالْبَقَرِ وَكَانَ صَدْرُهُ يَأْفُوهُ حُمْرَاءُ . وَكَانَ الَّذِي أَمْسَكَ بِرِكَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلُ وَبِزِمَامِهِ مِيكَائِيلُ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ .

وَقَدْ رَوَى التَّبَهَقِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا أُسْرِيَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرًّا بِأَرْضِ ذَاتِ نَحْلٍ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ انْزِلْ فَصَلِّ فَقَالَ صَلَّيْتُ بِبَشَرٍ ثُمَّ مَرًّا بِأَرْضِ بَيْضَاءَ فَقَالَ انْزِلْ فَصَلِّ فَقَالَ صَلَّيْتُ بِمَدْيَنٍ ثُمَّ مَرًّا بِبَيْتِ لَحْمٍ فَقَالَ انْزِلْ فَصَلِّ فَتَزَلَّ فَصَلَّى فَقَالَ صَلَّيْتُ حِينَئِذٍ وَلَدَ عِيسَى . وَرَوَى التَّبَهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ لَمَّا جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبَرَّاقِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَأَنَّمَا أَصْرَتْ أُذُنُهَا فَقَالَ لَهَا جِبْرِيلُ مَهْ يَا بَرَّاقُ قَوْلَ اللَّهِ مَا رَكِبَكَ مِثْلُهُ فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هُوَ بِعُجُوزٍ عَلَى جَنْبِ الطَّرِيقِ فَقَالَ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ سِرَّ يَا مُحَمَّدُ فَسَارَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ فَإِذَا هُوَ بِشَيْخٍ يَدْعُوهُ مُتَنَحِّيًا عَنِ الطَّرِيقِ يَقُولُ هَلُمَّ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ سِرَّ وَأَنَّهُ مَرًّا بِجَمَاعَةٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أَوَّلَ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا آخِرَ السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا حَاشِرُ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ ارْزُدْ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ أَمَّا الْعُجُوزُ الَّتِي رَأَيْتَ جَانِبَ الطَّرِيقِ فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا بَقِيَ مِنْ عُمرٍ تِلْكَ الْعُجُوزِ وَالَّذِي دَعَاكَ إِبْلِيسُ وَالْعُجُوزُ الدُّنْيَا أَمَّا لَوْ أَجَبْتَهَا لَأَخْتَارَتْ أَمْتُكَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَمَّا الَّذِينَ سَلَّمُوا عَلَيْكَ فَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ مَرًّا بِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَلَا مَانِعَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُصَلُّونَ فِي قُبُورِهِمْ لِأَنَّهُمْ أَخْيَاءُ عِنْدَ

رَبِّهِمْ يُزْرَقُونَ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ وَالْبَزَّازِ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ يَزْرَعُونَ وَيَخْصِدُونَ فِي يَوْمٍ كُلَّمَا خَصَدُوا عَادَ كَمَا كَانَ فَقَالَ لِحَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا هَذَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُعْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تَرْضَخُ رُؤُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ وَلَا يَفْتَرُّ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَقَالَ مَا هَذَا يَا حَبْرِيْلُ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَتَنَاقَلُ رُؤُوسُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ.

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَثْبَالِهِمْ رِقَاعٌ وَعَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْأَنْعَامُ يَأْكُلُونَ الصَّرِيحَ وَالزُّقُومَ وَرَضَفَ جَهَنَّمَ فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَمَا رُبُّكَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ. ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ نَضِيجٌ فِي قِدْرِ وَلَحْمٌ نَيِّءٌ فِي قِدْرِ خَبِيثٍ فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنَ النَّيِّءِ الْخَبِيثِ وَيَدْعُونَ النَّضِيجَ فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ يَا حَبْرِيْلُ قَالَ حَبْرِيْلُ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تَكُونُ عِنْدَهُ الْمَرْأَةُ الْحَلَالُ الطَّيِّبُ فَيَأْتِي امْرَأَةً خَبِيثَةً فَيَبِيتُ عِنْدَهَا حَتَّى يُصْبِحَ وَالْمَرْأَةُ تَقُومُ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا حَلَالًا طَيِّبًا فَتَأْتِي رَجُلًا خَبِيثًا فَتَبِيتُ عِنْدَهُ حَتَّى تُصْبِحَ.

ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حُزْمَةَ حَطَبٍ عَظِيمَةً لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا فَقَالَ مَا هَذَا يَا حَبْرِيْلُ قَالَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تَكُونُ عَلَيْهِ أَمَانَاتُ النَّاسِ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَدَائِهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا. ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تَقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لَا يَفْتَرُّ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ قَالَ مَا هَذَا يَا حَبْرِيْلُ قَالَ هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ. قَالَ ثُمَّ أَتَى عَلَى حُجْرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ نُورٌ عَظِيمٌ فَجَعَلَ النُّورُ يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلَا يَسْتَطِيعُ فَقَالَ مَا هَذَا يَا حَبْرِيْلُ قَالَ هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ ثُمَّ يَنْدُمُ عَلَيْهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّهَا.

ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَوَجَدَ فِيهِ رِيحًا طَيِّبَةً بَارِدَةً وَرِيحَ مِسْكِ وَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ مَا هَذَا يَا حَبْرِيْلُ قَالَ هَذَا صَوْتُ الْجَنَّةِ تَقُولُ رَبِّ آتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كُثِرَتْ غُرُفِي وَإِسْتَبْرَقِي وَخَرِيرِي وَسُنْدُوسِي وَعَبَقَرِي وَلَوْلُؤِي وَمَرْجَانِي وَفَضِّي وَذَهَبِي وَأَكْوَابِي وَصِحَافِي وَأَبَارِيقِي وَمَرَاجِي وَعَسَلِي وَمَائِي وَلَبَنِي وَخَمْرِي فَأَتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي قَالَ لَكَ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَأَمِنْ بِي وَبِرُسُلِي وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أَلَدًا وَمَنْ حَشِيَنِي فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ سَأَلَنِي فَقَدْ أَعْطَيْتُهُ وَمَنْ أَقْرَضَنِي جَارِيَتُهُ وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ

إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا أُخْلِفُ الْمِيعَادَ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ وَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ
قَالَتْ قَدْ رَضِيتُ. ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَسَمِعَ صَوْتًا مُنْكَرًا وَوَجَدَ رِيحًا مُنْتِنَةً فَقَالَ مَا هَذَا يَا
جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ رَبِّ آتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَتْ سَلَاسِلِي وَأَغْلَاكِي
وَسَعِيرِي وَحَمِيمِي وَضَرِيرِي وَعَسَاقِي وَعَذَابِي وَقَدْ بَعُدَ قَعْرِي وَاشْتَدَّ حَرِّي فَآتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي
قَالَ لَكَ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ وَكَافِرٍ وَكَافِرَةٍ وَكُلُّ جَبَّارٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ قَالَتْ قَدْ رَضِيتُ
فَسَارَ حَتَّى أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ.

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ النَّبِيِّ دَعَانِي دَاعٍ عَنِ يَمِينِي انْظُرْنِي أَسْأَلُكَ فَلَمْ أَجِبْهُ ثُمَّ
دَعَانِي آخَرَ عَنِ يَسَارِي كَذَلِكَ فَلَمْ أَجِبْهُ وَفِيهِ إِذَا امْرَأَةً حَاسِرَةً عَنْ ذِرَاعَيْهَا وَعَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ
خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَتْ يَا مُحَمَّدُ انْظُرْنِي أَسْأَلُكَ فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَفِيهِ أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لَهُ أَمَّا
الدَّاعِي الْأَوَّلُ فَهُوَ دَاعِي الْيَهُودِ وَلَوْ أَجَبْتَهُ لَتَهَوَّدْتَ أَمَّا الثَّانِي فَدَاعِي النَّصَارَى وَلَوْ
أَجَبْتَهُ لَتَنَصَّرْتَ أَمَّا الْمَرْأَةُ فَالدُّنْيَا.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ رَأَى أُخُوْبَةً عَلَيْهَا لَحْمٌ طَيِّبٌ لَيْسَ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَأُخْرَى عَلَيْهَا
لَحْمٌ نَتْنٌ عَلَيْهَا نَاسٌ يَأْكُلُونَ قَالَ جِبْرِيلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتْرَكُونَ الْحَلَائِلَ وَيَأْكُلُونَ الْحَرَامَ وَفِيهِ أَنَّهُ
مَرَّ بِقَوْمٍ يُطَوِّئُهُمْ أَمْثَالَ الْبُيُوتِ كُلَّمَا نَهَضَ أَحَدُهُمْ خَرَّ وَأَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لَهُ هُمْ أَكَلَةُ الرِّبَا وَأَنَّهُ
مَرَّ بِقَوْمٍ مَشَافِرُهُمْ كَالْإِبِلِ يَلْتَقِمُونَ جَمْرًا فَيَخْرُجُ مِنْ أَصْفَلِهِمْ وَأَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا وَأَنَّهُ مَرَّ بِنِسَاءٍ تَعْلَقْنَ بِثَدْيَيْهِنَّ وَأَنَّهُنَّ الزَّوَانِي وَأَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ يَقْطَعُ مِنْ
جُنُوبِهِمُ اللَّحْمَ فَيُطْعَمُونَ وَأَنَّهُمُ الْعَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ وَفِيهِ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ أَوْتُفْتُ
دَابَّتِي بِالْحَلَقَةِ الَّتِي كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ تَرْبِطُهَا فِيهَا فَدَخَلْتُ أَنَا وَجِبْرِيلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَصَلَّى كُلُّ
وَاحِدٍ مِنَّا رَكَعَتَيْنِ.

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي
جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ اخْتَرْتُ الْفِطْرَةَ أَمْ
اخْتَرْتُ اللَّبَنَ الَّذِي عَلَيْهِ بُنِيَتْ الْخَلْقَةُ وَقَالَ النَّوَوِيُّ الْمُرَادُ بِالْفِطْرَةِ هُنَا الْإِسْلَامُ وَالْأَسْتِقَامَةُ.
وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَسْغُودٍ نَحْوَهُ وَزَادَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَعَرَفْتُ النَّبِيَّ مَا بَيْنَ قَائِمٍ وَزَاوِعٍ
وَسَاجِدٍ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ فَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَقُمْنَا صُفُوفًا فَانْتَظَرُ مَنْ يَوْمُنَا فَأَخَذَ بِيَدِي جِبْرِيلُ
فَقَدَّمَنِي فَصَلَّيْتُ بِهِمْ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَتَدَافَعُوا حَتَّى
قَدَّمُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَنَزَلَ فَرَبَطَ قَرَسَهُ إِلَى صَخْرَةٍ ثُمَّ دَخَلَ فَصَلَّى مَعَ الْمَلَائِكَةِ فَلَمَّا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ قَالُوا يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَكَ قَالَ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ قَالُوا وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَالُوا حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَخَلِيفَةٍ فَنِعْمَ الْأَخُ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ ثُمَّ لَفُوا أَزْوَاجَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَثْنُوا عَلَى رَبِّهِمْ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اتَّخَذَنِي خَلِيلًا وَأَعْطَانِي مُلْكًا عَظِيمًا وَجَعَلَنِي أُمَّةً قَانِتًا يُؤْتُمُّ بِي وَأَنْقَذَنِي مِنَ النَّارِ وَجَعَلَهَا عَلَيَّ بَرْدًا وَسَلَامًا. ثُمَّ إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَلَّمَنِي تَكْلِيمًا وَاصْطَفَانِي وَأَنْزَلَ عَلَيَّ التَّوْرَةَ وَجَعَلَ هَلَاكَ فِرْعَوْنَ وَنَجَاةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدَيَّ وَجَعَلَ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَبْغِدُونَ. ثُمَّ إِنَّ دَاوُدَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي مُلْكًا عَظِيمًا وَعَلَّمَنِي الزُّبُورَ وَالْأَلَانَ لِي الْحَدِيدَ وَسَخَّرَ لِي الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَ مَعِيَ وَالطَّيْرَ وَآتَانِي الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابَ. ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَخَّرَ لِي الرِّيَاحَ وَسَخَّرَ لِي الشَّيَاطِينَ يَعْمَلُونَ مَا شِئْتُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَائِيلَ وَعَلَّمَنِي مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَآتَانِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَسَخَّرَ لِي جُنُودَ الشَّيَاطِينِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالطَّيْرِ وَآتَانِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي وَجَعَلَ مُلْكِي مُلْكًا طَيِّبًا لَيْسَ فِيهِ حِسَابٌ.

ثُمَّ إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي كَلِمَتَهُ وَجَعَلَنِي مِثْلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَعَلَّمَنِي الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَجَعَلَنِي أَخْلَقُ أَيُّ أَصَوْرٍ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَجَعَلَنِي أَبْرَىءَ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصَ وَأَخْبِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَرَفَعَنِي وَطَهَّرَنِي وَأَعَادَنِي وَأُمِّي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْنَا سَبِيلٌ. وَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ كُلُّهُمْ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ وَأَنَا أَثْنَى عَلَى رَبِّي الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ وَكَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ تَبَيَّنَ كُلُّ شَيْءٍ وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَجَعَلَ أُمَّتِي وَسَطًا وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمْ الْآخِرُونَ وَشَرَحَ لِي صَدْرِي وَوَضَعَ عَنِّي وَزْرِي وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي وَجَعَلَنِي قَاتِحًا وَخَاتِمًا فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بِهِذَا فَضَّلَكُمْ مُحَمَّدٌ. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ عُرِجَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَمِنْ سَمَاءِ إِلَى سَمَاءٍ وَذَكَرَهُ فِي الشَّفَاءِ مُخْتَصَرًا.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ أَنَسٍ فَلَمَّا بَلَغَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَبَلَغَ الْمَكَانَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَابُ مُحَمَّدٍ أَتَى إِلَى الْحَجَرِ الَّذِي بِهِ فَعَمَزَهُ جِبْرِيلُ بِإِصْبَعِهِ فَتَقَبَّهَ ثُمَّ رَبَطَهَا ثُمَّ

صَعِدَ فَلَمَّا اسْتَوَى فِي سَرَحَةِ الْمَسْجِدِ أَيْ فَنَائِهِ قَالَ جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ هَلْ سَأَلْتَ رَبَّكَ أَنْ يُرِيكَ الْحُورَ الْعِينِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَاَنْطَلِقْ إِلَى أُولَئِكَ النِّسْوَةِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِنَّ قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِنَّ فَرَدَدَنَ عَلَيَّ السَّلَامَ فَقُلْتُ لِمَنْ أَتُتْنُ فَقُلْنَ خَيْرَاتٍ حَسَنَاتٍ نِسَاءُ قَوْمِ أَزْرَارٍ نَقُوهَا فَلَمْ يَذَرُوهَا وَأَقَامُوا فَلَمْ يَظْعَنُوا وَخَلَدُوا فَلَمْ يَمُوتُوا قَالَ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى اجْتَمَعَ نَاسٌ كَثِيرٌ ثُمَّ أَذَنَ مُؤَذِّنٌ وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ قَالَ فَقُمْنَا صُفُوفًا نَنْتَظِرُ مَنْ يَأْتِي فَخَذَ بِيَدِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَلَّدَ مِنِّي فَصَلَّيْتُ بِهِمْ فَلَمَّا انْصَرَفْتُ قَالَ لِي جِبْرِيلُ أَتَذَرِي مَنْ صَلَّى خَلْفَكَ قُلْتُ لَا قَالَ صَلَّى خَلْفَكَ كُلُّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ. قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ وَالْأَظْهَرُ أَنَّ صَلَاتَهُ بِهِمْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَانَتْ قَبْلَ الْعُرُوجِ وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ صَلَّى بِهِمْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ الْعُرُوجِ وَبَعْدَهُ فَإِنَّ فِي الْحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَلَا مَانِعٌ مِنْهُ.

وَوَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَوَاتِ، وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لَمَّا فَرَعْتُ وَمَا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَتَيْتُ بِالْمِغْرَاجِ وَلَمْ أَرْ قَطُّ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ وَهُوَ الَّذِي يَمُدُّ إِلَيْهِ الْمَيْتَ عَيْنِيهِ إِذَا اخْتَضَرَ فَأُصْعِدُنِي صَاحِبِي فِيهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ وَفِي رِوَايَةٍ كَعْبٌ قَوَّضَعَتْ لَهُ مِرْقَاةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَمِرْقَاةٌ مِنْ ذَهَبٍ حَتَّى عَرَجَ هُوَ وَجِبْرِيلُ وَفِي كِتَابِ شَرْفِ الْمُصْطَفَى أَنَّهُ أَتَى بِالْمِغْرَاجِ مِنْ جَنَّةِ الْفَزْدُوسِ وَأَنَّهُ مَنُصَّدٌ بِاللُّؤْلُؤِ عَنْ يَمِينِهِ مَلَائِكَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ مَلَائِكَةٌ. وَفِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ الَّذِي تَقَدَّمَ صَدْرُهُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَاَنْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَالَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ قَالَ هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَخْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ قَالَ هَذَا يَخْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ قَالَ هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ

مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ
فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِدْرِيسُ قَالَ هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ
فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ .

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ
مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ
فَإِذَا هَارُونَ قَالَ هَذَا هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ
الصَّالِحِ . ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ
مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا
مُوسَى قَالَ هَذَا مُوسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ
الصَّالِحِ فَلَمَّا تَجَارَزْتُ بَكَى قِيلَ لَهُ وَمَا يُبْكِيكَ قَالَ أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بَعَثَ بَعْدِي يَدْخُلُ يَدْخُلُ
الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي .

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ
مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ وَقِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ
فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ فَقَالَ مَرْحَبًا
بِالْأَبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبِيَّهَا مِثْلُ فَلَاكِ هَجَرَ وَإِذَا
وَرَقَّهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ قَالَ هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى وَإِذَا أَرْبَعَةُ نَهَارٍ نَهَارٍ بَاطِنَانِ وَنَهَارٍ ظَاهِرَانِ
فَقُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ أُمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهَارَانِ فِي الْجَنَّةِ وَأُمَّا الظَّاهِرَانِ فَالْثَّلِيلُ وَالْفَرَاتُ .

ثُمَّ رُفِعَ لِي النَّبِيُّ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ . ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرِ
وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَتَتْ عَلَيْهَا وَأُمْتُكَ ثُمَّ
فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَاةُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلُّ يَوْمٍ فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ بِمِ أُمِرْتُ قُلْتُ
أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلُّ يَوْمٍ قَالَ إِنَّ أُمْتُكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلُّ يَوْمٍ وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ
جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ فَازْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ
لِأُمَّتِكَ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا
فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ
فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ
صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ سَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ

قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ قَالَ
سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَخَيْنْتُ وَلَكِنْ أَرْضَى وَأَسْلَمُ قَالَ فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَانِي مُنَادٍ أَمَضَيْتُ
فَرِيضَتِي وَخَفَفْتُ عَنْ عِبَادِي .

وَفِي الْبُخَارِيِّ فِي الصَّلَاةِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَ خَلَصَ إِلَى السَّمَاءِ
الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ إِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا
نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَبْنِ الصَّالِحِ قُلْتُ لِجِبْرِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا
آدَمُ وَهَلِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي
عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ عَنْ شِمَالِهِ بَكَى . وَالْأَسْوَدَةُ جَمْعُ
سَوَادٍ هِيَ الْأَشْخَاصُ وَالنَّسَمُ جَمْعُ نَسَمَةٍ وَهِيَ الرُّوحُ . وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ثُمَّ
عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَذْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ . وَفِيهِ فِي السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ
فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسَيْنِ .

وَفِي حَدِيثِ الْبَيْهَقِيِّ وَغَيْرِهِ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ قَدْ فَضَلَ النَّاسَ بِالْحُسْنِ
كَالْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى غَيْرِ نَبِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ
رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصُّوْبِ وَكَانَ نَبِيُّكُمْ
أَحْسَنَهُمْ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ صَوْتًا، وَوَقَعَ فِي غَيْرِ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ هُنَا زِيَادَةٌ . فَمِنْهَا مَا وَقَعَ فِي
رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي دَلَالِهِ ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَإِذَا بِإِبْرَاهِيمَ
الْخَلِيلِ سَانِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ كَأَحْسَنِ الرِّجَالِ وَمَعَهُ نَقَرٌ مِنْ قَوْمِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَلَيَّ وَإِذَا بِأُمِّي شَطْرَيْنِ شَطْرٌ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيْضٌ كَأَنَّهُمْ الْقَرَّاطِيسُ وَشَطْرٌ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ
زَيْدَةٌ قَالَ فَدَخَلْتُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ وَدَخَلَ مَعِيَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ الثِّيَابُ الْبَيْضُ وَحُجِبَ الْآخَرُونَ
الَّذِينَ عَلَيْهِمْ الثِّيَابُ الزَّيْدَةُ فَصَلَّيْتُ أَنَا وَمَنْ مَعِيَ فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ .

وَفِي رِوَايَةِ الطَّبْرَانِيِّ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ أَشْمَطَ جَالِسًا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ عَلَى كُرْسِيِّ وَعِنْدَهُ
قَوْمٌ جُلُوسٌ بَيْضُ الْوُجُوهِ أَمْثَالُ الْقَرَّاطِيسِ وَقَوْمٌ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ فَدَخَلُوا نَهْرًا فَاغْتَسَلُوا فِيهِ
فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَ مِنْ أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ ثُمَّ دَخَلُوا نَهْرًا آخَرَ فَاغْتَسَلُوا فِيهِ فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَ
مِنْ أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ ثُمَّ دَخَلُوا نَهْرًا آخَرَ فَاغْتَسَلُوا فِيهِ فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَتْ أَلْوَانُهُمْ وَصَارَتْ
مِثْلَ أَلْوَانِ الْبَيْضِ الْوُجُوهِ فَقَالَ مَنْ هَذَا وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ وَمَا هَلِهِ الْأَنْهَارُ

الَّتِي دَخَلُوا فِيهَا وَقَدْ صَفَتْ أَلْوَانُهُمْ قَالَ هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ أَوَّلُ مَنْ شَمِطَ عَلَى الْأَرْضِ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الْبَيْضُ الْوُجُوهُ فَقَوْمٌ لَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الثُّغَرُ الَّذِينَ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ فَقَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَمَّا الْأَنْهَارُ فَأُولَئِكَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَالثَّانِي نِعْمَةُ اللَّهِ وَالثَّلَاثُ وَسَفَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَأَقِي رَبَّكَ اللَّيْلَةَ وَإِنَّ أُمَّتَكَ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَضْعَفُهَا فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ حَاجَتُكَ فِي أُمَّتِكَ فَافْعَلْ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ أَنْ رَأَى إِبْرَاهِيمَ قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ بِي عَلَى ظَهْرِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى نَهْرٍ عَلَيْهِ خِيَامُ الْيَأْقُوتِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالزَّبَرْجَدِ وَعَلَيْهِ طَيْرٌ أَخْضَرُ أَتَعَمُّ طَيْرٌ رَأَيْتُ قَالَ جِبْرِيلُ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا فِيهِ آيَةُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ يَجْرِي عَلَى رَضْرَاضٍ مِنَ الْيَأْقُوتِ وَالزُّمُرِدِ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ قَالَ فَأَخَذْتُ مِنْ آيَتِيهِ فَاغْتَرَفْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ فَشَرِبْتُ فَإِذَا هُوَ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَشَدُّ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قَبَابُ الدُّرِّ الْمُجُوفِ وَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ فَقَالَ جِبْرِيلُ هَذَا الْكَوْثَرُ. وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ ثُمَّ أَذْخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابُ الدُّرِّ وَإِذَا تَرَابُهَا الْمِسْكُ. وَالْجَنَابُ الْقَبَابُ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عِنْدَ التَّبَهَقِيِّ ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ قَالَ ثُمَّ رُفِعْتُ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا كُلُّ وَرَقَةٍ مِنْهَا تُعْطِي هَذِهِ الْأُمَّةَ وَإِذَا فِيهَا عَيْنٌ تَجْرِي يُقَالُ لَهَا السُّلْسِيلُ فَيَنْشَقُّ مِنْهَا نَهْرَانِ أَحَدُهُمَا الْكَوْثَرُ وَالْآخَرُ يُقَالُ لَهُ الرَّحْمَةُ فَاغْتَسَلْتُ فِيهِ فَعُفِّرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِي وَمَا تَأَخَّرَ ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى الْجَنَّةِ فَاسْتَقْبَلَنِي جَارِيَةٌ فَقُلْتُ لَهَا لِمَنْ أَنْتِ يَا جَارِيَةُ قَالَتْ لِيَزِيدَ بْنِ حَارِثَةَ وَفِيهِ وَإِذَا رُمَانُهَا كَأَنَّهُ الدَّلَاءُ عِظْمًا وَإِذَا طَيْرُهَا كَأَنَّهُ الْبُخْتُ ثُمَّ عَرِضْتُ عَلَيَّ النَّارُ فَإِذَا فِيهَا غَضَبُ اللَّهِ وَرِجْزُهُ وَنَقَمَتُهُ لَوْ طَرِحْتُ فِيهَا الْحِجَارَةَ وَالْحَدِيدَ لَأَكَلَتْهَا ثُمَّ أَغْلِقْتُ دُونِي.

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ فِي الصَّلَاةِ ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ الْحَدِيثِ وَالْمُسْتَوَى الْمَضْعَدُ وَصَرِيفُ الْأَقْلَامِ تَصْوِيفُهَا حَالَةَ الْكِتَابَةِ وَالْمُرَادُ مَا تَكْتُبُهُ الْمَلَائِكَةُ مِنَ أَقْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ غَالِبٍ فِيمَا تَكَلَّمَ فِيهِ عَلَى أَحَادِيثِ الْحُجُبِ السَّعِيدِ، وَالسَّبْعِمِائَةِ وَالسَّبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ وَعَزَاهَا لِأَبِي الرَّبِيعِ بْنِ سَبْعٍ فِي شِفَاءِ

الصُّدُورِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَبْدَأَ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ .

أَتَانِي جِبْرِيلُ وَكَانَ السِّفِيرَ بِي إِلَى رَبِّي إِلَى أَنْ انْتَهَى إِلَى مَقَامٍ ثُمَّ وَقَفَ عِنْدَ ذَلِكَ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ يَتْرُكُ الْخَلِيلُ خَلِيلَهُ فَقَالَ إِنَّ تَجَاوُزَهُ اخْتَرَفْتُ بِالثَّوْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جِبْرِيلُ هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى رَبِّكَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ سَلِ اللَّهَ فِي أَنْ أُبْسِطَ جَنَاحِي عَلَى الصُّرَاطِ لِأُمْتِكَ حَتَّى يَجُوزُوا عَلَيْهِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رُجَّ بِي فِي الثَّوْرِ رَجًّا فَخَرِقَ بِي سَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ لَيْسَ فِيهَا حِجَابٌ يُشَبِّهُ حِجَابًا وَانْقَطَعَ عَنِّي حِسُّ كُلِّ مَلَكٍ وَإِنْسِي فَلَحِقَنِي عِنْدَ ذَلِكَ اسْتِيحَاشٌ فَعِنْدَ ذَلِكَ نَادَانِي مُنَادٍ بِلُغَةٍ أَبِي بَكْرٍ فَإِذَا النَّدَاءُ مِنَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى اذْذُنْ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ اذْذُنْ يَا أَحْمَدُ اذْذُنْ يَا مُحَمَّدُ لِيَذُنَ الْحَبِيبُ قَاذِنَانِي رَبِّي حَتَّى كُنْتُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم : ٨] قَالَ وَسَأَلَنِي رَبِّي فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُجِيبَهُ فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ بِلاَ تَكْثِيفٍ وَلَا تَحْدِيدٍ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْ فَأَوْرَثَنِي عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَعَلَّمَنِي عُلُومًا شَتَّى فَعِلِمَ أَخَذَ عَلَيَّ كِشْمَانَهُ إِذْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَعِلِمَ خَيْرِنِي فِيهِ وَعَلَّمَنِي الْقُرْآنَ فَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَذْكُرُنِي بِهِ وَعِلِمَ أَمْرِنِي بِتَبْلِيغِهِ إِلَى الْعَامِّ وَالْخَاصِّ مِنْ أُمَّتِي وَلَقَدْ عَاجَلْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي آيَةِ نَزَلَ عَلَيَّ بِهَا فَعَاتَبَنِي رَبِّي وَأَنْزَلَ عَلَيَّ ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه : ١١٤] ثُمَّ قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمَّا لَحِقَنِي اسْتِيحَاشٌ قَبْلَ قُدُومِي عَلَيْكَ سَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي بِلُغَةٍ تُشَبِّهُ لُغَةَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لِي قِفْ إِنَّ رَبَّكَ يُصَلِّيُ فَعَجِبْتُ مِنْ هَاتَيْنِ هَلْ سَبَقَنِي أَبُو بَكْرٍ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ وَإِنَّ رَبِّي لَعَنِي عَنْ أَنْ يُصَلِّيَ قَالَ فَتَادَانِي أَنَا الْغَنِيُّ عَنْ أَنْ أَصَلِّيَ لِأَحَدٍ وَإِنَّمَا أَقُولُ سُبْحَانِي سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي أَفْرَأُ يَا مُحَمَّدُ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيُ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

فَصَلَاتِي رَحْمَةً لَكَ وَلِأُمْتِكَ وَأَمَّا أَمْرُ صَاحِبِكَ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّ أَخَاكَ مُوسَى كَانَ أَنْسُهُ بِالْعَصَا فَلَمَّا أَرَدْنَا كَلَامَهُ قُلْنَا وَمَا تِلْكَ بِبَيْنِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ وَشُغْلِي بِذِكْرِ الْعَصَا عَنْ عَظِيمِ الْهَيْبَةِ وَكَذَلِكَ أَنتَ يَا مُحَمَّدُ لَمَّا كَانَ أَنْسُكَ بِصَاحِبِكَ أَبِي بَكْرٍ وَإِنَّكَ خُلِفْتَ أَنتَ وَهُوَ مِنْ طَبِئَةٍ وَاحِدَةٍ وَهُوَ أَيْسُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ خَلَقْنَا مَلَكًا عَلَى صُورَتِهِ يُنَادِيكَ بِلُغَتِهِ لِيَزُولَ عَنْكَ الْإِسْتِيحَاشُ لِئَلَّا يَلْحَقَكَ مِنْ عَظِيمِ الْهَيْبَةِ مَا يَقْطَعُكَ عَنْ فَهْمِ مَا يَرَادُ مِنْكَ .

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَابْنُ حَاجَةِ جِبْرِيلَ قُلْتُ اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ قَدْ أَجَبْتُهُ
فِيمَا سَأَلَ وَلَكِنْ فِي مَنْ أَحَبَّكَ وَصَحَبَكَ . وَفِي رِوَايَةٍ فَتَقَدَّمْتُ وَجِبْرِيلَ عَلَى أَثَرِي حَتَّى انْتَهَى
بِي إِلَى حِجَابٍ فِرَاشِ الذَّهَبِ فَحَرَكْتُ الْحِجَابَ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ أَنَا جِبْرِيلُ وَمَعِيَ مُحَمَّدُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الْمَلِكُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ الْحِجَابِ فَأَخْتَمَلَنِي
فَوَضَعَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ فِي أَسْرَعٍ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَعَلِظَ الْحِجَابُ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ فَقَالَ لِي
تَقَدَّمْ يَا مُحَمَّدُ فَمَضَيْتُ فَأَنْطَلَقَ بِي الْمَلِكُ فِي أَسْرَعٍ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ إِلَى حِجَابِ اللُّؤْلُؤِ فَحَرَكْتُ
الْحِجَابَ فَقَالَ الْمَلِكُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ مَنْ هَذَا قَالَ أَنَا فَلَانَ صَاحِبُ حِجَابِ الذَّهَبِ وَهَذَا
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُ رَبِّ الْعِزَّةِ مَعِيَ فَقَالَ الْمَلِكُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ
تَحْتِ الْحِجَابِ فَأَخْتَمَلَنِي حَتَّى وَضَعَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ مِنْ حِجَابٍ إِلَى حِجَابٍ
حَتَّى جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَابًا غَلِظَ كُلُّ حِجَابٍ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ثُمَّ دُلَّنِي لِي زُفَرٌ أَخْضَرُ
تَغْلِبُ خُضْرَتُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ فَالْتَمَعَ بَصَرِي وَوَضِعْتُ عَلَى ذَلِكَ الزُّفَرِ ثُمَّ اخْتِمَلْتُ حَتَّى
وَصَلْتُ إِلَى الْعَرْشِ فَأَبْصَرْتُ أَمْرًا عَظِيمًا لَا تَنَالُهُ الْأَلْسُنُ ثُمَّ دُلَّنِي لِي قَطْرَةٌ مِنَ الْعَرْشِ فَوَقَعَتْ
عَلَى لِسَانِي فَمَا ذَاقَ الدَّائِقُونَ شَيْئًا قَطُّ أَحْلَى مِنْهَا فَأَنْبَأَنِي اللَّهُ بِهَا نَبَأَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَنَوَّرَ
قَلْبِي وَعَشِيَّ نُورَ عَرْشِهِ بَصَرِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا فَجَعَلْتُ أَرَى بِقَلْبِي وَلَا أَرَى بِعَيْنِي وَرَأَيْتُ مِنْ
خَلْفِي وَمِنْ بَيْنِ كَيْفَيَّ كَمَا رَأَيْتُ أَمَامِي الْحَدِيثَ رَوَاهُ وَالَّذِي قَبْلَهُ فِي كِتَابِ شِفَاءِ الصُّدُورِ كَمَا
ذَكَرَهُ ابْنُ غَالِبٍ . وَالزُّفَرُ الْبَسَاطُ .

وَاعْلَمُ أَنَّ مَا ذُكِرَ فِي هَذَا الْمَحَلِّ الرَّفِيعِ مِنَ الْحُجُبِ فَهُوَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ لَا فِي حَقِّ
الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنْزَعًا عَمَّا يَحُجُّبُهُ ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ
وَكَعْبِ الْأَخْبَارِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنَيْهِ بِلَا تَكْثِيفٍ وَلَا
تَشْبِيهِ ، وَلَمَّا رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرِ الْإِسْرَاءِ مَرَّ فِي بَعْضِ طَرِيقِهِ بِعِيرٍ لِقُرَيْشٍ
تَحْمِلُ طَعَامًا فِيهَا جَمَلٌ عَلَيْهِ غَرَارَتَانِ غَرَارَةٌ سَوْدَاءُ وَغَرَارَةٌ بَيْضَاءُ فَلَمَّا حَادَى الْعِيرَ تَفَرَّتْ مِنْهُ
وَاسْتَدَارَتْ وَصُرِعَ ذَلِكَ الْجَمَلُ وَفِي رِوَايَةٍ وَمَرَّ بِعِيرٍ قَدْ أَضَلُّوا بِعِيرًا لَهُمْ قَدْ جَمَعَهُ فَلَانَ قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ هَذَا صَوْتُ مُحَمَّدٍ ثُمَّ أَتَى مَكَّةَ قَبْلَ الصُّبْحِ
وَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَا رَأَى وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ مِنْ آيَةٍ مَا أَقُولُ لَكُمْ أَنِّي مَرَزْتُ بِعِيرِكُمْ فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا
وَقَدْ أَضَلُّوا بِعِيرًا لَهُمْ فَجَمَعَهُ فَلَانَ وَإِنْ مَسِيرَهُمْ يَنْزِلُونَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا وَيَأْتُونَكُمْ يَوْمَ كَذَا
وَكَذَا يَقْدُمُهُمْ جَمَلٌ آدَمُ عَلَيْهِ مَسْحُ أَسْوَدَ وَغَرَارَتَانِ فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَشْرَفَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ

حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبٌ مِنْ يَصْفِ النَّهَارِ أَقْبَلَتِ الْعِيرُ يَفْدُمُهُمْ ذَلِكَ الْجَمَلُ الَّذِي وَصَفَهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَفِي رِوَايَةٍ سَأَلُوهُ آيَةً فَأَخْبَرَهُمْ بِقُدُومِ الْعِيرِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ لَمْ يَفْدُمُوا
حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ فَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى فَحَبَسَ الشَّمْسُ حَتَّى قَدِمُوا كَمَا وَصَفَ. وَعَنْ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ سَعَى رِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالُوا هَلْ
لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزُغُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالَ وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ
لَئِنْ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ قَالُوا تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ
فَقَالَ نَعَمْ إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أَصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي عَذْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ
فَلِذَلِكَ سُمِّيَ الصَّدِيقُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَذْرَكِ وَابْنُ إِسْحَاقَ وَزَادَ ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَحَدُثْتَ هَؤُلَاءِ أُنْكَ جِئْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ
اللَّيْلَةَ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ صِفْهُ لِي فَإِنِّي قَدْ جِئْتُهُ قَالَ الْحَسَنُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَفَعَ لِي الْمَسْجِدَ حَتَّى تَنْظُرْتَ إِلَيْهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِفُهُ
لِأَبِي بَكْرٍ فَيَقُولُ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ كُلَّمَا وَصَفَ لَهُ مِنْهُ شَيْئًا. وَقَوْلُ أَبِي
بَكْرٍ صِفْهُ لِي لَمْ يَكُنْ عَنْ شَكٍّ فَإِنَّهُ صَدَّقَهُ مِنْ أَوَّلِ وَهَلَةٍ وَلِكِنَّهُ أَرَادَ إِظْهَارَ صِدْقِهِ لِقَوْمِهِ.
وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ أَنِّي كَشَفَ الْحُجُبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حَتَّى رَأَيْتُهُ.
وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ فَسَأَلُونِي عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ أُثْبِتْهَا فَكُرِّبْتُ كَرْبًا شَدِيدًا لَمْ أَكْرَبْ مِثْلَهُ قَطُّ فَرَفَعَهُ
اللَّهُ إِلَيَّ أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَتْبَأْتُهُمْ بِهِ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَتَّى وُضِعَ عِنْدَ دَارِ عَقِيلٍ فَتَعَثَّهُ
وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَهَذَا أُبْلَغُ فِي الْمُعْجَزَةِ وَلَا اسْتِحَالَةٍ فِيهِ فَقَدْ أَخْضَرَ عَرْشُ بَلْقَيْسَ بِطَرْفَةِ عَيْنٍ.
وَفِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِئٍ أَنَّهُمْ قَالُوا كَمْ لِلْمَسْجِدِ مِنْ بَابٍ قَالَ وَلَمْ أَكُنْ عَدَدْتُهَا قَالَ فَجَعَلْتُ
أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَعْدُهَا بَابًا بَابًا، وَفِي كَلَامِ بَعْضِ أَهْلِ الْإِشَارَاتِ لَمَّا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثَمَرَةَ شَجَرَةِ الْكَوْنِ وَدُرَّةَ صَدَقَةِ الْوُجُودِ وَسِرَّ مَعْنَى كَلِمَةِ كُنْ وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ عَرْصِ هَذِهِ
الثَّمَرَةِ بَيْنَ يَدَيِ مُثْبِرِهَا وَرَفْعِهَا إِلَى حَضْرَةِ قُدْسِيهِ وَالطَّوَابِ بِهَا عَلَى ثَدَمَانِ حَضْرَتِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ
أَعَزَّ خُدَّامِ الْمَلِكِ عَلَيْهِ فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ قَادِمًا وَاقَاهُ عَلَى فِرَاشِهِ نَائِمًا فَقَالَ لَهُ قُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ
هَيَّئْتُ لَكَ الْعَنَائِمُ قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِلَى أَيْنَ قَالَ يَا مُحَمَّدُ ارْزُقِ الْإِنْسَانَ مِنَ الْبَيْنِ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
الْقَدَمِ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ لِأَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ الْخَدَمِ.

يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ مُرَادُ الْإِرَادَةِ الْكُلِّ مُرَادُ لِأَجْلِكَ وَأَنْتَ مُرَادُ لِأَجْلِهِ أَنْتَ صَفْوَةُ كَأْسِ
الْمَحَبَّةِ أَنْتَ دُرَّةُ هَذِهِ الصَّدَقَةِ أَنْتَ شَمْسُ الْمَعَارِفِ أَنْتَ بَذْرُ اللَّطَائِفِ مَا مُهَدَّتِ الدَّارُ إِلَّا
لِأَجْلِكَ مَا حُمِيَ هَذَا الْحِمَى إِلَّا لِيُضْلِكَ مَا رُوِّقَ كَأْسُ الْمَحَبَّةِ إِلَّا لِشُرْبِكَ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَا جَبْرِيلُ فَالْكَرِيمُ يَدْعُونِي إِلَيْهِ فَمَا الَّذِي يَفْعَلُ بِي قَالَ لِيُغْفِرَ
لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ يَا جَبْرِيلُ هَذَا لِي فَمَا لِعِيَالِي وَأَطْفَالِي قَالَ وَلَسَوْفَ
يُغْفِرُكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى قَالَ يَا جَبْرِيلُ الْأَنْ طَابَ قَلْبِي هَا أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي ثُمَّ قَالَ جَبْرِيلُ يَا
مُحَمَّدُ إِنَّمَا جِيءَ بِي إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ لِأَكُونَ خَادِمَ ذَوْلِكَ وَحَاجِبَ حَاشِيَتِكَ وَحَامِلَ غَاشِيَتِكَ
وَجِيءَ بِالْمَرْكُوبِ إِلَيْكَ لِإِظْهَارِ كَرَامَتِكَ لِأَنَّ مِنْ عَادَةِ الْمُلُوكِ إِذَا اسْتَرْأَوْا حَبِيبًا أَوْ اسْتَدْعَوْا
قَرِيبًا وَأَرَادُوا ظُهُورَ إِكْرَامِهِ وَاخْتِرَامِهِ أَرْسَلُوا أَحْصَى خُدَّامِهِمْ وَأَعَزَّ ثَوَابِهِمْ لِتَقْبَلُ أَفْدَائِهِمْ
فَجِئْنَاكَ عَلَى رِسْمِ عَادَةِ الْمُلُوكِ وَأَدَابِ السُّلُوكِ وَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَصِلُ إِلَيْهِ بِالْخَطَا فَقَدْ وَقَعَ فِي
الْخَطَا وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ مَخْجُوبٌ بِالْغِطَا فَقَدْ حُرِمَ الْعَطَا .

وَلِيَبْغِضَ أَهْلُ الْإِشَارَاتِ أَيْضًا كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُحَمَّدُ قَدْ
أَعْطَيْتُكَ ثَوْرًا تَنْظُرُ بِهِ جَمَالِي وَسَمْعًا تَسْمَعُ بِهِ كَلَامِي يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَعْرِفُكَ بِلِسَانِ الْحَالِ
مَعْنَى عُرُوجِكَ إِلَيَّ يَا مُحَمَّدُ أَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَالشَّاهِدُ مُطَالِبٌ
بِحَقِيقَةٍ مَا يَشْهَدُ بِهِ فَأَرِيكَ جَنَّتِي لِشَّاهِدٍ مَا أَعْدَدْتُ فِيهَا لِأَوْلِيَائِي وَأَرِيكَ نَارِي لِشَّاهِدٍ مَا
أَعْدَدْتُ فِيهَا لِأَعْدَائِي ثُمَّ أَشْهَدُكَ جَلَالِي وَأَكْشِفُ لَكَ عَنْ جَمَالِي لِتَعْلَمَ أَنِّي مُنْزَعٌ فِي كَمَالِي
عَنِ السَّبَبِ وَالنَّظِيرِ وَالْوَزِيرِ وَالْمُشِيرِ فَرَأَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّوَرِّ الَّذِي قَوَاهُ مِنْ غَيْرِ
إِذْرَاكِ وَلَا إِحَاطَةِ فَرَدًا صَمَدًا لَا فِي شَيْءٍ وَلَا مِنْ شَيْءٍ وَلَا قَائِمًا بِشَيْءٍ وَلَا عَلَى شَيْءٍ وَلَا
مُفْتَقِرًا إِلَى شَيْءٍ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فَلَمَّا كَلَّمَهُ شَفَاهاً وَشَاهَدَهُ كِفَاحًا قِيلَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ لَا بُدَّ
لِهَذِهِ الْخُلُوعِ مِنْ سِرٍّ لَا يَدَاغُ وَرَمَزٍ لَا يُشَاعُ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى فَكَانَ سِرًّا مِنْ سِرِّ لَمْ
يَقِفْ عَلَيْهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْعَرْشِ تَمَسَّكَ الْعَرْشُ بِأُذُنَيْهِ وَنَادَاهُ
بِلِسَانِ حَالِهِ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ فِي صَفَاءٍ وَفِتْنَةٍ آمِنٌ مِنْ مَفْتِكِ أَشْهَدُكَ جَمَالَ أَحَدِيَّتِي وَأَطْلَعَكَ
عَلَى جَلَالِ صَمَدِيَّتِي وَأَنَا الظَّمآنُ إِلَيْهِ اللَّهْفَانُ عَلَيْهِ الْمُتَحَيِّرُ فِيهِ لَا أَذْرِي مِنْ أَيْ وَجْهِ آتِيهِ
جَعَلَنِي أَعْظَمَ خَلْقِهِ فَكُنْتُ أَعْظَمَهُمْ مِنْهُ هَيِّبَةً وَأَكْثَرَهُمْ فِيهِ حَيَرَةً وَأَشَدَّهُمْ مِنْهُ خَوْفًا يَا مُحَمَّدُ
خَلَقَنِي فَكُنْتُ أَرْعَدُ لِهَيْبَتِهِ جَلَالِهِ فَكَتَبَ عَلَى قَائِمَتِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَارْذُدْتُ لِهَيْبَتِهِ اسْمُهُ ارْتِعَادًا
وَارْتِعَاشًا فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَسَكَنَ لِذَلِكَ قَلْبِي وَهَذَا رُوعِي فَكَانَ اسْمُكَ لِقَاحًا لِقَلْبِي

وَلَطْمَانِيَّةَ لِسْرِي فَهَلْذِهِ بَرَكَتُهُ اسْمِكَ عَلَيَّ فَكَيْفَ إِذَا وَقَعَ جَمِيلُ نَظَرِكَ إِلَيَّ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ
الْمُرْسَلُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَلَا بُدَّ لِي مِنْ نَصِيبٍ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ وَنَصِيبِي يَا حَبِيبِي أَنْ تَشْهَدَ
لِي بِالْبَرَاءَةِ مِمَّا نَسَبَهُ أَهْلُ الزُّورِ إِلَيَّ وَتَقُولَهُ أَهْلُ الْغُرُورِ عَلَيَّ رَعَمُوا أَنِّي أَسْعُ مِنْ لَا مَثِيلَ لَهُ
وَأُحِيطُ بِمَنْ لَا كَيْفِيَّةَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ مَنْ لَا حَدَّ لِدَايِهِ وَلَا عَدَّ لِيَصِفَاتِهِ كَيْفَ يَكُونُ مُفْتَقِرًا إِلَيَّ أَوْ
مَحْمُولًا عَلَيَّ إِذَا كَانَ الرَّحْمَنُ اسْمَهُ وَالْإِسْتِوَاءُ صِفَتَهُ وَصِفَتُهُ مُتَّصِلَةٌ بِدَايِهِ فَكَيْفَ يَتَّصِلُ بِي أَوْ
يَتَفَصَّلُ عَنِّي يَا مُحَمَّدُ وَعِزَّتِهِ لَسْتُ بِالْقَرِيبِ مِنْهُ وَضَلًّا وَلَا بِالْبَعِيدِ مِنْهُ فَضْلًا وَلَا بِالْمُطِيقِ لَهُ
حَمْلًا أَوْ جَدَنِي مِنْهُ رَحْمَةً وَفَضْلًا وَلَوْ مَحَقَّنِي لَكَانَ حَقًّا مِنْهُ وَعَدْلًا يَا مُحَمَّدُ أَنَا مَحْمُولٌ
قُدْرَتِهِ وَمَعْمُولٌ حِكْمَتِهِ .

فَأَجَابَ لِسَانُ حَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَثْبَاهَا الْعَرْشُ إِلَيْكَ عَنِّي أَنَا مَشْغُولٌ
عَنْكَ فَلَا تُكْذِرْ عَلَيَّ صَفَوَاتِي وَلَا تُشَوِّشْ عَلَيَّ خَلَوَاتِي فَمَا أَعَارَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ
طَرَفًا وَلَا أَثَرَاءَهُ مِنْ مَسْطُورٍ مَا أَوْجَى إِلَيْهِ حَزْفًا .

المقصد السادس

فِي بَعْضِ مَا وَرَدَ فِي آيِ التَّنْزِيلِ مِنْ عِظَمِ قُدْرِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ وَشَهَادَتِهِ تَعَالَى لَهُ بِصِدْقِ نُبُوِّهِ وَقَسَمِهِ عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَأَخْذِهِ تَعَالَى لَهُ الْمِيثَاقَ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ إِنْ أَدْرَكُوهُ وَلَيَنْصُرُنَّهُ وَالتَّنْوِيهِ بِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ كَالْتُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِيهِ عَشْرَةُ أَلْوَاعِ .

النوع الأول

فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ عِظَمَ قُدْرِهِ وَرِفْعَةَ ذِكْرِهِ وَجَلِيلَ مَرْتَبَتِهِ وَعُلُوَّ دَرَجَتِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَتَشْرِيفَ مَنْزِلَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] قَالَ الْمُفَسِّرُونَ يَغْنِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَمَهُ بِلَا وَاسِطَةٍ وَلَيْسَ نَصًّا فِي اخْتِصَاصِ مُوسَى بِالْكَلامِ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ تَعَالَى كَلَّمَ نَبِيَّنَا أَيْضًا . وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] يَغْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ بِالدَّاتِ فِي الْمِعْجَاجِ وَبِالسِّيَادَةِ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ وَبِالْمُعْجِزَاتِ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْتِيَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مَا لَمْ يُوْتَهُ نَبِيٌّ قَبْلَهُ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ وَفِي هَذَا الْإِنْهَامِ مِنْ تَفْخِيمِ فَضْلِهِ وَإِعْلَاءِ قُدْرِهِ مَا لَا يَخْفَى لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَى أَنَّهُ الْعَلَمُ الَّذِي لَا يَشْتَبُهَ وَالْمُتَمَيِّزُ الَّذِي لَا يَلْتَبِسُ .

وَقَدْ بَيَّنَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] أَنَّ مَرَاتِبَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ مُتَفَاوِتَةٌ . قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيمَا حَكَاهُ الْقَاضِي عِيَاضُ وَالتَّفْضِيلُ الْمُرَادُ لَهُمْ هُنَا فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ أَنْ تَكُونَ آيَاتُهُ وَمُعْجِزَاتُهُ أَظْهَرَ وَأَشْهَرَ أَوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أَزْكَى وَأَكْثَرُ أَوْ يَكُونَ فِي دَاتِهِ أَفْضَلُ وَأَظْهَرُ وَفَضْلُهُ فِي دَاتِهِ رَاجِعٌ إِلَى مَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَتَفْضِيلِهِ بِكَلَامٍ أَوْ خُلَّةٍ أَوْ رُؤْيَا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَلْطَافِهِ وَتُحْفٍ وَلَايَتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ . فَلَا مِرْيَةَ أَنَّ آيَاتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعْجِزَاتِهِ أَظْهَرُ

وَأَبْهَرُ وَأَكْثَرُ وَأَبْقَى وَأَقْوَى وَمَنْصِبُهُ أَعْلَى وَدَوْلَتُهُ أَعْظَمُ وَأَوْفَرُ وَذَاتُهُ أَفْضَلُ وَأَطْهَرُ وَخُصُوصِيَّاتُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذَكَّرَ فَدَرَجَتُهُ أَرْفَعُ مِنْ دَرَجَاتِ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ وَذَاتُهُ أَرْكَى وَأَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقِينَ .

وَتَأْمَلْ حَدِيثَ الشَّقَاعَةِ فِي الْمَحْشَرِ وَانْتِهَائِهَا إِلَيْهِ وَانْفِرَادِهِ هُنَاكَ بِالسُّودِدِ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ . وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَئِذٍ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ قَالَ الْمَخْرُ الرَّازِيُّ فِي الْمَعَالِمِ إِنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ الْأَنْبِيَاءَ بِالْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ ثُمَّ قَالَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿أَوْلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهِدَاهُمْ أَفْتِدَهُ﴾ [أنعام : ٩٠] وَقَدْ أَتَى بِجَمِيعِ مَا أَتَوْا بِهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ فَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهِ مَا كَانَ مُفَرَّقًا فِيهِمْ فَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنْهُمْ ، وَإِنْ دَعَوْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصَلَّتْ إِلَى أَكْثَرِ بِلَادِ الْعَالَمِ بِخِلَافِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ فَظَهَرَ أَنَّ انْتِفَاعَ أَهْلِ الدُّنْيَا بِدَعْوَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلَ مِنْ انْتِفَاعِ سَائِرِ الْأُمَمِ بِدَعْوَةِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ . وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَيَبْدِي لِيَوَاءَ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَخْتُ لِيَوَائِي .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنْ كُلِّ أَوْلَادِهِ . وَلَمْ يَقُلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ عُجْبًا وَافْتِخَارًا عَلَى مَنْ دُونَهُ حَاشَاةُ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا قَالَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِإِظْهَارِا لِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِعْلَامًا لِلْأُمَّةِ بِقَدْرِ إِمَامِيَّتِهِمْ وَمَتَّبِعُوهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَوْ مَنَزَلَتِهِ لَدَيْهِ تَعَالَى لِتَعْرِفَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ فَذَلِكَ فَرْخٌ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس : ٥٨] .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الانشراح : ٤] رَوَى ابْنُ حُزَيْمَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ رَبِّي وَرَبُّكَ يَقُولُ تَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ قُلْتُ اللَّهُ أَعْلَمُ قَالَ إِذَا ذُكِرْتَ ذُكِرْتَ مَعِي وَذَكَرَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَصَحَّحَهُ ابْنُ جِبَانَ . وَعَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ مَعْنَاهُ لَا أَذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ يَغْنِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ ذِكْرُهُ عِنْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْأَدَانِ قَالَ وَيَحْتَمِلُ ذِكْرُهُ

عِنْدَ تِلَاوَةِ الْكِتَابِ وَعِنْدَ الْعَمَلِ بِالطَّاعَةِ وَالْوُكُوفِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ آدَمَ رَفَعَهُ بِالنُّبُوَّةِ. وَعَنِ ابْنِ عَطَاءٍ جَعَلْتُمْ ذِكْرًا مِنْ ذِكْرِي فَمَنْ ذَكَرَكَ ذَكَرَنِي وَعَنْهُ أَيْضًا جَعَلْتُ تَمَامَ الْإِيمَانِ بِذِكْرِكَ مَعِيَ.

قَالَ الْبَيْضاوِيُّ وَأَيُّ رَفْعٍ يُمْلَأُ أَنْ قَرَنَ اسْمُهُ بِاسْمِهِ فِي كَلِمَتِي الشَّهَادَةِ وَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَتَهُ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢] ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٣] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ٢٠، ٤٦] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] وَقَالَ قَتَادَةُ وَرَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَهُوَ مَذْكُورٌ مَعَهُ فِي الشَّهَادَةِ وَالتَّشْهِيدِ وَمَقْرُونٌ ذِكْرُهُ بِذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ وَالْخُطْبِ وَالْأَذَانِ وَيُؤَدَّنُ بِاسْمِهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ.

وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْهَيْدِ اسْتَوَحَّشَ فَتَنَزَلَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَتَنَادَى بِالْأَذَانِ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ مَرَّتَيْنِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَرَّتَيْنِ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ الْحَدِيثُ، وَكَتَبَ اسْمَهُ الشَّرِيفَ عَلَى الْعَرْشِ وَعَلَى كُلِّ سَمَاءٍ وَعَلَى الْجَنَانِ وَمَا فِيهَا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ وَأَخْرَجَ الْبَزَّازُ عَنِ ابْنِ عُمرَ مَرْفُوعًا لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ مَا مَرَزْتُ بِسَمَاءٍ إِلَّا وَجَدْتُ اسْمِي فِيهَا مَكْتُوبًا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَفِي الْحِلْيَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ عَلَيْهَا وَرَقَةٌ إِلَّا مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَشَقَّ اسْمُهُ الْكَرِيمَ مِنْ اسْمِهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ حَسَّانُ:

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ قَدْ وَدَّ الْعَرْشُ مَحْمُودًا وَهَذَا مُحَمَّدٌ وَسَمَاءُ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى بِنَحْوِ سَبْعِينَ اسْمًا، وَصَلَّى عَلَيْهِ فِي مَلَائِكَتِهِ وَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] فَأَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ نَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِأَنَّهُ يُفْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَرَ الْعَالَمَ السُّفْلِيَّ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ فَيَجْتَمِعُ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ وَأَهْلِ الْعَالَمِينَ الْعُلَوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ جَمِيعًا وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ وَجُوهٍ رَفْعَةٍ ذَكَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ تَعَالَى طه: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢] ذَكَرُوا فِي سَبَبِ نُزُولِهَا

أَقْرَبًا أَحَدَهَا أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَالْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ وَمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكَ تَشْقَى حَيْثُ تَرَكْتَ دِينَ آبَائِكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ بُعِثْتُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ رَدًّا عَلَيْهِمْ وَتَغْرِيفًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنَ هُوَ السُّلْمُ إِلَى نَيْلِ كُلِّ فَوْزٍ وَالسَّبَبُ فِي إِذْرَاكِ كُلِّ سَعَادَةٍ وَمَا فِيهِ الْكَفَرَةُ هُوَ الشَّقَاوَةُ بِعَيْنِهَا .

وَقَانِيْنَهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِاللَّيْلِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَيْ عَلَى نَفْسِكَ فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ حَقًّا أَيُّ مَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ لِتَنْتَهَكَ نَفْسَكَ بِالْعِبَادَةِ وَتُذَيِّقَهَا الْمَشَقَّةَ الْعَظِيمَةَ وَمَا بُعِثْتَ إِلَّا بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ . وَمَعْنَى طُهُ يَا رَجُلُ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١] قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي فِي هَذِهِ السُّورَةِ كَثِيرٌ مِنَ الْفَوَائِدِ مِنْهَا أَنَّهَا كَالْمُتَمِّمَةِ لِمَا قَبْلَهَا مِنَ السُّورِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ سُورَةَ الضُّحَى فِي مَدْحِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفْصِيلِ أَحْوَالِهِ فَذَكَرَ فِي أَوَّلِهَا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ تَتَعَلَّقُ بِبُيُوتِهِ وَهِيَ قَوْلُهُ : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ وَلِلْأَجْرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يَغْفِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى: ٣ - ٤] ثُمَّ خَتَمَهَا كَذَلِكَ بِأَحْوَالِ ثَلَاثَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾ [الضحى: ٦] أَيُّ عَنِ عِلْمِ الْحَكَمِ وَالْأَحْكَامِ ﴿ فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ [الضحى: ٧ - ٨] ثُمَّ ذَكَرَ فِي سُورَةِ أَلَمْ نُشْرَحْ أَنَّهُ تَعَالَى شَرَّفَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ وَهِيَ ﴿ أَلَمْ نُشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١] أَيُّ أَلَمْ نَفْسَحْهُ حَتَّى وَسِعَ مُتَاجَاةَ الْحَقِّ وَدَعَاةَ الْخَلْقِ ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴾ [الشرح: ٢] أَيُّ عَنَاءَكَ الثَّقِيلَ ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٣ - ٤] وَهَكَذَا سُورَةُ سُورَةِ حَتَّى قَالَ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ أَيُّ أَعْطَيْنَاكَ هَذِهِ الْمَنَاقِبَ الْمُتَكَاثِرَةَ الَّتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا أَعْظَمُ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا وَإِذْ أَلْعَمْنَا عَلَيْكَ بِهَذِهِ النُّعَمِ فَاشْتَغَلِ بِطَاعَتِنَا وَلَا تُبَالِ بِقَوْلِهِمْ .

ثُمَّ إِنَّ الْأَشْتِغَالَ بِالْعِبَادَةِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالنَّفْسِ وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ وَإِمَّا بِالْمَالِ وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ وَانْحَرْ ﴾ وَتَأْمَلْ قَوْلَهُ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ﴾ كَيْفَ ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَلَمْ يَقُلْ سَنُعْطِيكَ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْإِعْطَاءَ حَصَلَ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي عَزِيزًا مَرْعِيَّ الْجَانِبِ أَشْرَفَ مِنْ سَيِّصِيرِ كَذَلِكَ كَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ يَا مُحَمَّدُ قَدْ هَيَّأْنَا أَسْبَابَ

سَعَادَتِكَ قَبْلَ دُخُولِكَ فِي هَذَا الْوُجُودِ فَكَيْفَ أَمْرُكَ بَعْدَ وُجُودِكَ وَاشْتِغَالِكَ بِعُبُودِيَّتِنَا يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْكَرِيمُ إِنَّا لَمْ نُعْطِكَ هَذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ لِأَجْلِ طَاعَتِكَ وَإِنَّمَا اخْتَرْنَاكَ بِمُجَرَّدِ فَضْلِنَا وَإِخْسَانِنَا مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ .

وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ الْكَوْثَرِ عَلَى وَجْهِ مِنْهَا أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ الْمُسْتَفِيزُ عِنْدَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ رَوَى أَنَسُ بْنُ رَضِيهِ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ خَافَتَاهُ قِيبَابُ الدَّرِّ الْمُجَوِّفِ قُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا طِيبُهُ مِنْكَ أَذْفَرُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا مَا يُضْحِكُكَ أَضْحَكَكَ اللَّهُ سَيِّدُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةً سُورَةً فَقَرَأَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَابِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣] ثُمَّ قَالَ أَتَذَرُونَ مَا الْكَوْثَرُ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَذْيِيهِ رَبِّي عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَهُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلِجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ مَا تَذَرِي مَا أَخَذْتُكَ بِعَذَابِكَ وَهُوَ تَفْسِيرُ صَرِيحٍ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَوْثَرِ هُنَا الْحَوْضُ فَالْمَصِيرُ إِلَيْهِ أَوْلَى وَهُوَ الْمَشْهُورُ فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاهُ هَذِهِ الْفَضَائِلَ الْعَظِيمَةَ وَشَرَّفَهُ بِهَذِهِ الْخِصَالِ الْعَمِيمَةِ وَحَبَّاهُ مَا أَقَاضَهُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ الْجَسِيمَةِ .

وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ مَعَ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يُنَادِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمُ الْأَعْلَامِ نَحْوُ ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ [البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩] ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ [هود: ٤٨] ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] ﴿يَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة: ١١٠] وَأَمَّا نَبِينَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَادَاهُ بِالْوَصْفِ الشَّرِيفِ مِنَ الْإِنْبَاءِ وَالْإِزْسَالِ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لِلَّهِ دَرُ الْقَائِلِ :

فَدَعَا جَمِيعَ الرُّسُلِ كُلًّا بِاسْمِهِ وَدَعَاكَ وَحَدَّكَ بِالرُّسُولِ وَالنَّبِيِّ قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَلَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ السَّيِّدَ إِذَا دَعَا عَبْدَهُ بِأَفْضَلِ مَا أَوْجَدَ لَهُمْ مِنَ الْأَوْصَافِ الْعَلِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ وَدَعَا آخَرِينَ بِأَسْمَائِهِمُ الْأَعْلَامِ الَّتِي لَا تُشْعِرُ بِوَصْفٍ مِنَ الْأَوْصَافِ وَلَا يَخْلُقُ مِنَ الْأَخْلَاقِ أَنَّ مَنْزِلَتَهُ مَنْ دَعَاهُ بِأَفْضَلِ

الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ أَعَزُّ عَلَيْهِ وَأَقْرَبُ إِلَيْهِ مِمَّنْ دَعَاهُ بِاسْمِهِ الْعَلَمِ وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالْعُرْفِ أَنَّ مَنْ دُعِيَ بِأَفْضَلِ أَوْصَافِهِ وَأَخْلَاقِهِ كَانَ ذَلِكَ مُبَالَغَةً فِي تَعْظِيمِهِ وَاخْتِرَامِهِ.

وَانْظُرْ مَا فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] مِنْ ذِكْرِ الرَّبِّ وَإِضَافَتِهِ إِلَى كَافِ خِطَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّثْنِيَةِ عَلَى شَرَفِهِ وَاخْتِصَاصِهِ بِخِطَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ تَضَمَّنَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ مِنَ التَّضَرُّيحِ بِجَلِيلِ رُتْبَتِهِ وَعَظِيمِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَقْضِي بِأَنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ التَّكْرِيمِ، وَيَكْفِي إِخْبَارَهُ تَعَالَى بِالْعَفْوِ عَنْهُ مُلَاطَفَةً قَبْلَ ذِكْرِ الْعِتَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] وَتَقْدِيمِ ذِكْرِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ تَعْظِيمًا لَهُ مَعَ تَأْخُرِهِ عَنْهُمْ فِي الزَّمَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] وَإِخْبَارَهُ تَعَالَى بِتَمَنِّي أَهْلِ النَّارِ طَاعَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُقْلَبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ وَهَذَا بَحْرٌ لَا يَنْفَدُ وَقَطْرٌ لَا يَبْدُ.

النوع الثاني

فِي اخْتِذِ الْمِيثَاقِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّينَ لِتَوْمُنٍ بِهِ
إِنْ أَدْرَكُوهُ وَلَيَنْصُرْنَهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١] الْآيَةُ. وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ لَتَيْنِ بَعَثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَأَمَمِهِمْ وَاسْتَعْنَى بِذِكْرِهِمْ عَنْ ذِكْرِ الْأُمَمِ.

قَالَ السُّبْكِيُّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى تَقْدِيرِ مَجِيئِهِمْ فِي زَمَانِهِ يَكُونُ مُرْسَلًا إِلَيْهِمْ فَتَكُونُ بُبُوَّتُهُ وَرِسَالَتُهُ عَامَّةً لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ زَمَنِ آدَمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتَكُونُ الْأَنْبِيَاءُ وَأَمَمُهُمْ كُلُّهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ وَيَكُونُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَأَنَّهُ لَا يَخْتَصُّ بِهِ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَلْ يَتَنَوَّلُ مَنْ قَبْلَهُمْ أَيْضًا إِنَّمَا أَخَذَ الْمَوَاقِفَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ وَأَنَّهُ نَبِيُّهُمْ وَرَسُولُهُمْ فَالْيَبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيُّ

الأنبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أممهم اتباعه والإيمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فثبوتهم عليه ورسالته إليهم معنى حاصل له وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك الأمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقيفه على أهلية الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم.

وإنما هو من جهة وجود العصور لمشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا يأتي عيسى عليه السلام في آخر الزمان على شريعته صلى الله عليه وسلم وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بغض الناس أنه يأتي واجدا من هذه الأمة نعم هو واحد من هذه الأمة لما قلنا من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وإنما يحكمهم بشريعة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة وكل ما فيهما من أمر ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الأمة وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه أو في زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على ثبوتهم ورسالتهم إلى أممهم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول إلى جميعهم فثبوتهم ورسالته أعم وأشمل وأعظم وتتفق مع شرائعهم في الأصول لأنها لا تختلف وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع وبهذا بان لنا معنى حديثين كانا خفيا عنا أحدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الناس كافة كذا نطق أنه من زمانه إلى يوم القيامة فبان أنه إلى جميع الناس أولهم وآخرهم والثاني قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد كذا نطق أنه بالعلم فبان أنه زائد على ذلك.

النوع الثالث

في وصفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بالشهادة وشهادته له بالرسالة

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عند بناء النبي الحرام ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩]

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهُمَا وَبَعَثَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ مِنْهُمْ رَسُولًا بِهِدِيهِ الصِّفَةِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي دَعَا مَعَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِهَذَا الدُّعَاءِ وَقَدْ اجْتَمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى قَالُوا وَأَرَادَ بِالدُّعْوَةِ هَذِهِ الْآيَةُ وَبِشَارَةُ عِيسَى هِيَ مَا ذُكِرَ فِي سُورَةِ الصَّفِّ مِنْ قَوْلِهِ ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنَ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] وَإِنَّمَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ بِهَذَا الدُّعَاءِ بِمَكَّةَ لِذُرِّيَّتِهِ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا وَمَا حَوْلَهَا وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَنْ بِمَكَّةَ إِلَّا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ائْتَنَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِبَعْثِ هَذَا النَّبِيِّ مِنْهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فَقَالَ تَعَالَى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] الْآيَةُ فَلَيْسَ لِلَّهِ مِثْلُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمَ مِنْ إِزْسَالِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ.

وَإِنَّمَا كَانَتْ النُّعْمَةُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِإِزْسَالِهِ أَعْظَمَ النُّعْمِ لِأَنَّ النُّعْمَةَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَّتْ بِهَا مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَمُلَ بِسَبَبِهَا دِينُ اللَّهِ الَّذِي رَضِيَهُ لِعِبَادِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يَعْني أَنَّهُ بَشَّرَ مِنْهُمْ وَإِنَّمَا ائْتَنَّا عَلَيْهِمْ بِالْوَحْيِ وَقُرِئَ فِي الشُّوَادِ ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ يَعْني مِنْ أَشْرَفِهِمْ لِأَنَّهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنُو هَاشِمٍ أَفْضَلُ قُرَيْشٍ وَقُرَيْشٌ أَفْضَلُ الْعَرَبِ وَالْعَرَبُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ. وَقَالَ تَعَالَى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] وَالْمُرَادُ بِالْأُمِّيِّينَ الْعَرَبُ تَنْبِيْهُهَا لَهُمْ عَلَى قَدْرِ هَذِهِ النُّعْمَةِ وَعِظْمِهَا حَيْثُ كَانُوا أُمِّيِّينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنْ آثَارِ الثُّبُوتِ كَمَا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ فَمَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهَذَا الرُّسُولِ وَبِهَذَا الْكِتَابِ حَتَّى صَارُوا أَفْضَلَ الْأُمَمِ وَأَعْلَمَهُمْ وَعَرَفُوا ضَلَالَةَ مَنْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ.

وَفِي كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْهُمْ فَائِدَتَانِ إِحْدَاهُمَا أَنَّ هَذَا الرُّسُولَ كَانَ أَيْضًا أُمِّيًّا كَأُمِّيَّةِ الْمُبْعُوثِ إِلَيْهِمْ لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ وَلَمْ يَخْطُ بِيَمِينِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وَلَا خَرَجَ عَنْ دِيَارِ قَوْمِهِ فَأَقَامَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ حَتَّى تَعَلَّمَ مِنْهُمْ بَلْ لَمْ يَزَلْ أُمِّيًّا بَيْنَ أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمُرِهِ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ بِهَذَا الْكِتَابِ الْمُبِينِ وَهَذِهِ الشَّرِيعَةُ الْبَاهِرَةُ وَهَذَا الدِّينُ الْقَيِّمُ الَّذِي اعْتَرَفَ خُذَّاقُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَظُنَّارُهَا أَنَّهُ لَمْ يَقْرَعْ الْعَالَمَ نَامُوسٌ أَعْظَمَ مِنْهُ وَفِي هَذَا بُرْهَانٌ

عَظِيمٌ عَلَى صِدْقِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْمَبْعُوثَ مِنْهُمْ وَهُمْ الْأُمِّيُونَ خُصُوصًا أَهْلَ مَكَّةَ يَغْرِفُونَ نَسَبَهُ وَشَرَفَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعِفَّتَهُ وَأَنَّهُ نَشَأَ بَيْنَهُمْ مَعْرُوفًا بِذَلِكَ وَأَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ فَكَيْفَ كَانَ يَدْعُ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَفْتَرِي الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا هُوَ الْبَاطِلُ وَلِهَذَا سَأَلَ هِرَقْلُ عَنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَاسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا ادَّعَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى خُطَابًا لَهُمْ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ [الأنعام: ٣٣] وَيُرَوَّى أَنَّ رَجُلًا قَالَ وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ مَا كَذَبْتَنَا قَطُّ فَتَتَّهِمُكَ الْيَوْمَ وَلَكِنْ إِنْ تَتَّبَعْتَ تَنَحَّطَفَ مِنْ أَرْضِنَا فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْأَيَّةُ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَعَنْ مُقَاتِلٍ كَانَ الْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ يُكَذِّبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَلَانِيَةِ فَلَمَّا إِذَا خَلَا مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ مَا مُحَمَّدٌ مِنْ أَهْلِ الْكَذِبِ وَيُرَوَّى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا إِذَا رَأَوْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالُوا إِنَّهُ لَنَبِيٌّ. وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا لَا نُكْذِبُكَ وَلَكِنْ نُكْذِبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَهُ مَعَ الْعِلْمِ بِصِحَّتِهِ.

وَرَوَى أَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَقِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَافَحَهُ فَقِيلَ لَهُ أَنْصَافِحُهُ فَقَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلَكِنْ مَتَى كُنَّا تَبَعًا لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ مَمْلُوءٌ بِالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ هَذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَكَيْفَ يَلِيقُ بِكَمَالِ اللَّهِ أَنْ يَقَرَّ مَنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الْكَذِبِ وَيُخْبِرُ عَنْهُ بِخِلَافِ مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَنْصُرُهُ عَلَى ذَلِكَ وَيُؤَيِّدُهُ وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ وَيَرْفَعُ شَأْنَهُ وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ وَيُهْلِكُ عَدُوَّهُ وَيُظْهِرُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالنَّبَرَاهِينِ وَالْأَدِلَّةِ مَا يَضَعُفُ عَنْ مِثْلِهِ قُوَى الْبَشَرِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَاذِبٌ عَلَيْهِ مُفْتَرٍ سَاعٍ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَهَادَتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَقُدْرَتُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَحُكْمَتُهُ وَعِزَّتُهُ وَكَمَالُهُ الْمُقَدَّسُ يَأْتِي ذَلِكَ كُلُّ الْإِنْبَاءِ وَمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ بِهِ وَجَوَّزَهُ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ أَعْبِدِ الْخَلْقِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَإِذَا تَدَبَّرْتَ الْقُرْآنَ رَأَيْتَهُ يُنَادِي عَلَى ذَلِكَ وَيُبَيِّنُهُ وَيُعِيدُهُ لِمَنْ لَهُ فَهْمٌ وَقَلْبٌ وَاعٍ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] وَقَالَ تَعَالَى لِمَنْ طَلَبَ آيَةَ تَذُلُّ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ

هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿[العنكبوت: ٥١ - ٥٢] فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ يَكْفِي مِنْ كُلِّ آيَةٍ فِيهِ الْحُجَّةَ وَالِدَّلَالَةَ عَلَى أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ فِيهِ بَيِّنَاتٌ مِمَّا يُوجِبُ لِمَنِ اتَّبَعَهُ السَّعَادَةُ وَيُنْجِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [العنكبوت: ٥٢] فَإِذَا كَانَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَالِمًا بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ كَانَتْ شَهَادَتُهُ أَصْدَقَ شَهَادَةٍ وَأَعْدَلَهَا فَإِنَّهَا شَهَادَةٌ يَعْلَمُ تَامَ مُحِيطٌ بِالْمَشْهُودِ بِهِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] فَكَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ يَا أَيُّهَا الْمُشْرَفُ مِنْ قَبْلِنَا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا بِوَحْدَانِيَّتِنَا وَمُشَاهِدًا كَمَالَ فِرْدَاوَيْيَّتِنَا تَبَشِّرُ عِبَادَنَا عَنَّا وَتُحَذِّرُهُمْ مُخَالَفَةَ أَمْرِنَا وَتُعَلِّمُهُمْ مَوَاضِعَ الْخَوْفِ مِنَّا وَدَاعِيًا الْخَلْقَ إِلَيْنَا وَسِرَاجًا يَسْتَضِيئُونَ بِكَ وَشَمْسًا تَبْسُطُ شُعَاعَكَ عَلَى جَمِيعِ مَنْ صَدَّقَكَ وَآمَنَ بِكَ وَلَا يَصِلُ إِلَيْنَا إِلَّا مِنْ أَتْبَعِكَ وَخَدَمَكَ وَقَدَّمَكَ فَبَشِّرُهُ بِفَضْلِنَا وَطَوَّلْنَا عَلَيْهِمْ وَإِخْسَانِنَا إِلَيْهِمْ.

وَلَمَّا كَانَ اللَّهُ قَدْ جَعَلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ شَهِيدًا عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَالشَّاهِدَ لَا يَكُونُ مُدْعِيًا فَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْأَلَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ مُدْعِيًا لَهَا لِأَنَّ الْمُدْعِيَ مَنْ يَقُولُ شَيْئًا عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ وَالْوَحْدَانِيَّةُ أَظْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ ادَّعَى الثَّبُوتَ فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَهِيدًا لَهُ فِي مُجَازَاةِ كَوْنِهِ شَهِيدًا لَهُ تَعَالَى فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾^(١) وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣] فَاسْتَشْهَدَ عَلَى رَسُولِهِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ لَهُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] وَقَوْلُهُ: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ يَعْلَمُهُ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦] وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: ١] وَقَوْلُهُ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] فَهَذَا كُلُّهُ مِنْهُ تَعَالَى شَهَادَةُ لِرَسُولِهِ قَدْ أَظْهَرَهَا وَبَيَّنَّهَا وَبَيَّنَّ صِحَّتَهَا غَايَةَ الْبَيَانِ بِحَيْثُ قَطَعَ الْعُدْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ بِكَوْنِهِ سُبْحَانَهُ شَهِيدًا لِرَسُولِهِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨] فَيُظْهِرُ ظُهُورَيْنِ ظُهُورًا بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ وَظُهُورًا بِالنُّصْرِ وَالْعَلَبَةِ وَالتَّأْيِيدِ حَتَّى يَظْهَرَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ وَيَكُونَ مَنْصُورًا.

وَمِنْ شَهَادَتِهِ تَعَالَى أَيْضًا مَا أَوْدَعَهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ مِنَ التَّضْيِيقِ الْجَازِمِ وَالْيَقِينِ الثَّابِتِ وَالطَّمَأْنِينَةِ بِكَلَامِهِ وَوَحْيِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَطَرَ الْقُلُوبَ عَلَى قُبُولِ الْحَقِّ وَالْإِنْقِيَادِ لَهُ وَالطَّمَأْنِينَةِ

(١) هذا ليس نصّ آية كما قد يتبادر إلى الذهن.

وَالسُّكُونِ إِلَيْهِ وَمَحَبَّتِهِ وَقَطَرَهَا عَلَى بُغْضِ الْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ وَالثُّفُورِ عَنْهُ وَعَدَمِ السُّكُونِ إِلَيْهِ وَلَوْ بَقِيَتْ الْفِطْرَةُ عَلَى حَالِهَا لَمَا آثَرَتْ عَلَى الْحَقِّ سِوَاهُ لَمَا سَكَنْتْ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا اِظْمَأَنْتْ إِلَّا بِهِ وَلَا أَحَبَّتْ غَيْرَهُ وَلِهَذَا نَدَبَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ إِلَى تَذَبُّرِ الْقُرْآنِ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ تَذَبَّرَهُ أَوْجَبَ لَهُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا وَتَقِيَّةً جَازِمًا أَنَّهُ حَقٌّ بَلْ أَحَقُّ كُلِّ حَقٍّ وَأَصْدَقُ كُلِّ صِدْقٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنلَأُ يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] فَلَوْ رُفِعَتِ الْأَقْفَالُ عَنِ الْقُلُوبِ لَبَاسَرَتْهَا حَقَائِقُ الْقُرْآنِ وَاسْتَنَارَتْ فِيهَا مَصَابِيحُ الْإِيمَانِ وَعَلِمَتْ عِلْمًا ضَرُورِيًّا كَسَائِرِ الْأُمُورِ الْوُجْدَانِيَّةِ كَاللَّذَّةِ وَالْأَلَمِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَكَلَّمَ بِهِ حَقًّا وَبَلَّغَهُ رَسُولُهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذَا الشَّاهِدُ فِي الْقَلْبِ مِنْ أَغْظَمِ الشُّوَاهِدِ انْتَهَى مُلَخَّصًا مِنْ مَذَارِجِ السَّالِكِينَ .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْعُوثٌ إِلَى كَافَّةِ الثَّقَلَيْنِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ وَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ نَسْخُ الْمِلَلِ كُلِّهَا بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩] الْآيَةُ خَاطَبَتْ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِأَنَّهُ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُهُ مُحَمَّدًا خَاتِمَ النَّبِيِّينَ الَّذِي لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَلَا رَسُولَ بَلْ هُوَ الْمُعَقَّبُ لِجَمِيعِهِمْ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩] أَيَّ بَعْدَ مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ مَا بَيْنَ إِرْسَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِرْسَالِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي مَقْدَارِ هَذِهِ الْفَتْرَةِ قَالَ الْحَافِظُ بْنُ كَثِيرٍ وَالْمَشْهُورُ أَنَّهَا سِتُّمِائَةٍ سَنَةً قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ لِأَنَّهُ لَيْسَ بَنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَطُمُوسٍ مِنَ السُّبُلِ وَتَغْيِيرِ الْأَدْيَانِ وَكَثْرَةِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالنِّيرَانِ فَكَانَتْ النِّعْمَةُ بِهِ أَتَمَّ وَالنَّفْعُ بِهِ أَعَمَّ . وَفِي حَدِيثٍ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مَرْفُوعًا إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَجَمَتَهُمْ وَعَرَبَتَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَفِي لَفْظٍ مُسْلِمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَكَانَ الَّذِينَ قَدِ التَّبَسَّ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ حَتَّى

بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَدَىٰ بِهِ الْخَلَائِقَ وَأَخْرَجَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَتَرَكَهُمْ عَلَى الْمَحَبَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالشَّرِيعَةِ الْغَرَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] أَي عَزِيزٌ عَلَيْهِ عَنَتُكُمْ أَيِ إِيْمَتُكُمْ بِالشُّرِكِ وَالْمَعَاصِي قَالَ الْحَسَنُ عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ تَدْخُلُوا النَّارَ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَمِنْ جِرْصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا أَنَّهُ لَمْ يُخَاطِبْنَا بِمَا يُرِيدُ إِبْلَاعَهُ إِلَيْنَا وَفَهَمْنَا إِيَّاهُ عَلَى قَدْرِ مَنَزَلَتِهِ بَلْ عَلَى قَدْرِ مَنَزَلَتِنَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وَلَا رَحْمَةً مَعَ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يَفْهَمُ وَلِذَلِكَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مَا يَضْرِبُ الْمَثَلَ بِالْمَحْسُوسِ لِيَنْخَصِلَ الْفَهْمُ وَمَنْ تَتَبَعَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ رَأَى مِنْ ذَلِكَ الْعَجَبَ الْعَجَابَ.

وَلَمَّا سَاوَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ النَّاسِ فِي جِرْصِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى إِسْلَامِهِمْ خَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لَهُمْ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ ظَاهِرٍ زَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِيقَةِ الرَّحْمَةِ فَكَانَ كَوْنُهُ رَحْمَةً وَجَمِيعُ شَمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلَى الْخَلْقِ فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحْمَةً لِلزَّيْرِ وَالْفَاجِرِ لِأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ إِذَا كُذِّبَ أَهْلَكَ اللَّهُ مَنْ كَذَّبَهُ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُخِرَ مَنْ كَذَّبَهُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ إِلَى الْقِيَامَةِ وَأَمَّا مَنْ صَدَّقَهُ فَلَهُ الرَّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ يَعْنِي الْجِنَّ وَالْإِنْسَ. وَقِيلَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةً بِالْهِدَايَةِ وَرَحْمَةً لِلْمُنَافِقِ بِالْأَمَانِ مِنَ الْقَتْلِ وَرَحْمَةً لِلْكَافِرِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ فَذَاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَحْمَةٌ تَعُمُّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ الْأَنْبِيَاءَ خُلِقُوا كُلُّهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ وَنَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنُ الرَّحْمَةِ.

وَفِي الشُّفَاءِ لِلْقَاضِي عِيَاضٍ حُكِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِيَجْبِرِلَ هَلْ أَصَابَكَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ قَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَخْشَى الْعَاقِبَةَ فَأَمِنْتُ بِشَتَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا

كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ ﴿[الأحزاب: ٤٠] هَذِهِ الْآيَةُ نَصٌّ فِي أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ فَلَا رَسُولَ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى لِأَنَّ مَقَامَ الرِّسَالَةِ أَخْصَصُ مِنْ مَقَامِ النَّبُوءَةِ فَإِنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ وَلَا يَنْعَكِسُ وَبِذَلِكَ وَرَدَّتِ الْأَحَادِيثُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنَّبُوءَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَخْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ فَكَانَ مَنْ دَخَلَهَا فَتَنَظَّرَ إِلَيْهَا قَالَ مَا أَخْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ هَذِهِ اللَّبَنَةِ فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبَنَةِ خُتِمَ بِي الْأَنْبِيَاءُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَأُرْسِلَتْ إِلَى الْخَلْقِ كَأَفْهَمِ خُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَرَسُولُهُ فِي السُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْهُ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ادَّعَى هَذَا الْمَقَامَ بَعْدَهُ فَهُوَ كَذَّابٌ أَفَّاكَ دَجَالٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ وَلَوْ تَحَدَّثَ وَتَشَعَّبَ وَآتَى بِأَنْوَاعِ السَّحْرِ وَالطَّلَاسِمِ وَالتَّيْرِزِجِيَّاتِ فَكُلُّهَا مُحَالٌ وَضَلَالٌ وَلَا يَقْدَحُ فِي هَذَا نُزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَهُ لِأَنَّهُ إِذَا نَزَلَ كَانَ عَلَى دِينِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْهَا جِهَةٌ فَنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ آخِرُ مَنْ نُبِيَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

النوع الرابع

فِي التَّنْوِيهِ بِرِسَالَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ كَالْتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ صِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَكْتُوبًا لَكَانَ ذِكْرُ هَذَا الْكَلَامِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُتَنَفَّرَاتِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عَنْ قَبُولِ قَوْلِهِ لِأَنَّ الْإِضْرَارَ عَلَى الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُتَنَفَّرَاتِ وَالْعَاقِلُ لَا يَسْعَى فِيمَا يُوجِبُ نُقْصَانَ حَالِهِ وَيُتَفَرُّ النَّاسَ عَنْ قَبُولِ مَقَالِهِ فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هَذَا دَلٌّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ التُّغْتِ كَانَتْ مَذْكُورًا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الدَّلَائِلِ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكِنْ أَهْلُ الْكِتَابِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] ﴿وَيُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ وَإِلَّا فَهَمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ عَرَفُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا عَرَفُوا أَبْنَاءَهُمْ وَوَجَدُوهُ مَكْتُوبًا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ لِكُنْهِمْ حُرْفُوهُمَا وَبَدَّلُوهُمَا لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ فَذَلِيلٌ نُبُوءَةُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابَيْهِمَا بَعْدَ تَحْرِيفِهِمَا طَافِحَةً وَأَعْلَامَ سَرَائِعِهِ وَرِسَالَتِهِ فِيهِمَا لِاتِّحَةِ كَيْفَ يُغْنِي عَنْهُمْ إِنْكَارُهُمْ وَهَذَا اسْمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّرْيَانِيَّةِ «مُشَفَّحٌ» فَمُشَفَّحٌ مُحَمَّدٌ بِغَيْرِ شَكٍّ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ شَفَحًا لَهَا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِذَا كَانَ الْحَمْدُ شَفَحًا فَمُشَفَّحٌ مُحَمَّدٌ وَلِأَنَّ الصِّفَاتِ الَّتِي أَقْرُوا بِهَا هِيَ وَفَاقٌ لِأَحْوَالِهِ وَزَمَانِهِ وَمَخْرَجِهِ وَمَبْعِثِهِ وَشَرِيعَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيُذَلِّلُونَا عَلَى مَنْ هَذِهِ الصِّفَاتُ لَهُ وَمَنْ خَرَجَتْ لَهُ الْأُمَمُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَانْقَادَتْ لَهُ وَاسْتَجَابَتْ لِدَعْوَتِهِ وَمَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الَّذِي هَلَكْتَ بَابِلُ وَأَصْنَامُهَا بِهِ عَلَى أَنَا لَوْ لَمْ نَأْتِ بِهِذِهِ الْأَنْبَاءِ وَالْقِصَصِ مِنْ كُتُبِهِمْ أَلَمْ يَكُنْ فِيهَا أَوْدَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ وَفِي تَرْكِهِمْ جَحْدَ ذَلِكَ وَإِنْكَارَهُ وَهُوَ يَقْرَعُهُمْ بِهِ دَلِيلٌ عَلَى اغْتِرَابِهِمْ لَهُ فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٧٥] وَيَقُولُ حِكَايَةً عَنِ الْمَسِيحِ ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] وَيَقُولُ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١] وَيَقُولُ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَغْرِفُونَهُ كَمَا يَغْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] وَكَانُوا يَقُولُونَ لِمُخَالَفَتِهِمْ عِنْدَ الْقِتَالِ هَذَا نَبِيٌّ قَدْ أَظْلَمَ مَوْلِدُهُ وَيَذْكُرُونَ مِنْ صِفَتِهِ مَا يَجِدُونَهُ فِي كِتَابِهِمْ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] حَسَدًا وَخَوْفًا عَلَى الرَّيَاسَةِ ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اتِّبَاعِهِ وَتَصْدِيقِهِ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَخْتَجَّ بِبَاطِلٍ مِنَ الْحُجَجِ ثُمَّ يُحِيلَ ذَلِكَ عَلَى مَا عِنْدَهُمْ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيَقُولُ مِنْ عِلَالَةِ نُبُوتِي وَصِدْقِي أَنُّكُمْ تَجِدُونَنِي عِنْدَكُمْ مَكْتُوبًا وَهُمْ لَا يَجِدُونَهُ كَمَا ذَكَرَ أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا يَرِيدُهُمْ عَنْهُ بَعْدًا وَقَدْ كَانَ غَنِيًّا عَنْ أَنْ يَدْعُوهُمْ بِمَا يُتَقَرُّهُمْ وَكَمْ أَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَتَمِيمِ الدَّارِيِّ وَكَعْبٍ وَقَدْ وَقَفُوا مِنْهُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الدَّعَاوِي.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ دِمَشْقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِمَخْرَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ خَرَجَ فَلَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ ابْنُ سَلَامٍ عَالِمٌ أَهْلِي يَثْرِبَ قَالَ نَعَمْ قَالَ نَاشِدُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى هَلْ تَجِدُ صِفَتِي فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ انْسُبْ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ فَأَرْتِجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

[الإخلاص: ٢] فَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُظْهِرُكَ وَمُظْهِرُ دِينِكَ عَلَى الْأَذْيَانِ وَإِنِّي لَأَجِدُ صِفَتَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيتُكَ الْمُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِقَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِثْلَةَ الْعُجُجَاءَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَفْتَحَ بِهِ أَغْنَيْنَا عُمْنًا وَأَذَانَا صُمًّا وَقُلُوبَنَا غُلْفًا. وَقَوْلُهُ لَيْسَ بِقَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِزِيَادَةٍ وَجِزًّا لِلْأُمِّيِّينَ وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ كَعْبٍ بِزِيَادَةٍ يُعِينُ الْمَظْلُومَ وَيَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يُسْتَضْعَفَ. وَعِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ وَلَا صَحَبٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا مُتَزَيِّنٍ بِالْفُحْشِ وَلَا قَوْلًا لِلْحَنَّا أَسَدُّهُ بِكُلِّ جَمِيلٍ وَأَهَبَ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ ثُمَّ أَجْعَلَ السَّكِينَةَ لِبَاسِهِ وَالْبِرَّ شِعَارَهُ وَالثَّقْوَى ضَمِيرَهُ وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ وَالْعَفْوَ وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ وَالْعَدَلَ سِيرَتَهُ وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ وَالْهُدَى إِمَامَتَهُ وَالْإِسْلَامَ مِلَّتَهُ وَأَحْمَدَ اسْمَهُ أَهْدَى بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ وَأَعْلَمَ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ وَأَرْفَعَ بِهِ بَعْدَ الْخَمَالَةِ وَأَسَمَّى بِهِ بَعْدَ التَّكْرَةِ وَأَكْثَرَ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ وَأَغْنَى بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ وَأَجْمَعَ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ وَأَوَّلَفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَهْوَأَ مُمْتَسِتَتَهُ وَأَمَمَ مُتَفَرِّقَتَهُ وَأَجْعَلَ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَدِيمُ الْجَارُودِ فَاسْتَلَمَ وَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ وَجَدْتُ وَصْفَكَ فِي الْإِنْجِيلِ وَلَقَدْ بَشَّرَ بِكَ ابْنُ الْبُتُولِ. وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ قَالَ لَمَّا أَمَرَ إِبْرَاهِيمُ بِإِخْرَاجِ هَاجَرَ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِأَرْضٍ عَذْبَةٍ سَهْلَةٍ إِلَّا قَالَ أَنْزِلْ هَهُنَا يَا جِبْرِيلُ فَيَقُولُ لَا حَتَّى أَتَى مَكَّةَ فَقَالَ جِبْرِيلُ انْزِلْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ حَيْثُ لَا ضَرْعَ وَلَا زَرْعَ قَالَ نَعَمْ هَهُنَا يَخْرُجُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ ذُرِّيَةِ ابْنِكَ الَّذِي تَتِمُّ بِهِ الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا، وَفِي التَّوْرَةِ مِمَّا اخْتَارُوهُ بَعْدَ الْحَذَبِ وَالْتَحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ فِي الْبَسْرِ وَابْنُ قُتَيْبَةَ فِي أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ.

تَحَلَّى اللَّهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرِهِ وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ قَارَانَ فَسَيَّئًا هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَسَاعِيرُ هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي ظَهَرَتْ فِيهِ نُبُوَّةُ عِيسَى وَجِبَالُ قَارَانَ وَهُوَ اسْمُ عِبْرَانِي جِبَالِ بَنِي هَاشِمٍ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَدَّثُ أَيَّ يَتَعَبَّدُ فِي أَحَدِهَا وَفِيهِ قَابِئَةُ الْوَحْيِ وَهُوَ أَحَدُ ثَلَاثَةِ جِبَالٍ أَحَدُهَا أَبُو قُبَيْسٍ وَالْمُقَابِلُ لَهُ قُعَيْقَعَانُ إِلَى

بَطْنِ الْوَادِي وَالثَّالِثُ الشَّرْقِيُّ فَارَانَ وَمُنْفَتَحُهُ الَّذِي يَلِي قُعَيْقَعَانَ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي هُوَ شِعْبُ بَنِي هَاشِمٍ وَفِيهِ وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ .

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَلَيْسَ بِهِذَا عُمُوضٌ لِأَنَّهُ تَجَلَّى لِلَّهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ إِنْزَالُهُ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِطُورِ سَيْنَا وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ إِشْرَاقُهُ مِنْ سَاعِيرِ إِنْزَالِهِ الْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَانَ الْمَسِيحُ يَسْكُنُ مِنْ سَاعِيرِ أَرْضِ الْجَلِيلِ بِقَرْيَةٍ تُدْعَى نَاصِرَةَ وَيَأْسُومَهَا سُمِّيَ مِنْ أَتْبَعِهِ نَصَارَى فَكَمَا وَجِبَ أَنْ يَكُونَ إِشْرَاقُهُ مِنْ سَاعِيرِ إِنْزَالِهِ عَلَى الْمَسِيحِ الْإِنْجِيلَ فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اسْتِغْلَاثُهُ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ إِنْزَالُهُ الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ جِبَالُ مَكَّةَ وَلَيْسَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ اخْتِلَافٌ فِي أَنَّ فَارَانَ هِيَ مَكَّةُ وَإِنْ ادَّعِيَ أَنَّهَا غَيْرُ مَكَّةَ فَلَنَا أَلَيْسَ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ اللَّهَ أَسْكَنَ هَاجَرَ وَإِسْمَاعِيلَ فَارَانَ وَقُلْنَا ذُلُونًا عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي اسْتَغْلَنَ اللَّهُ مِنْهُ وَاسْمُهُ فَارَانَ وَالتَّيْبِيُّ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابُ بَعْدَ الْمَسِيحِ أَوْ لَيْسَ اسْتَغْلَنَ وَعَلَنَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ مَا ظَهَرَ وَانْكَشَفَ فَهَلْ تَعْلَمُونَ دِينًا ظَهَرَ ظُهُورُ الْإِسْلَامِ وَفَنَّا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فُشُوهُ .

وَفِي التَّوْرَةِ أَيْضًا مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ خَطَابًا لِمُوسَى وَالْمُرَادُ بِهِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ الَّذِينَ أَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ خُصُوصًا ثُمَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عُمُومًا وَاللَّهُ رَبُّكَ يُقِيمُ نَبِيًّا مِنْ إِخْوَتِكَ فَاسْتَمِعْ لَهُ كَالَّذِي سَمِعْتَ رَبُّكَ فِي حُورِيَّتِ يَوْمِ الْأَجْتِمَاعِ حِينَ قُلْتَ لَا أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ اللَّهِ رَبِّي لِئَلَّا أَمُوتَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى نِعَمْ مَا قَالُوا وَسَأُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِثْلَكَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَيَقُولُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ أَمَرْتُهُ بِهِ وَأَيُّمَا رَجُلٍ لَمْ يُطِيعْ مَنْ تَكَلَّمَ بِاسْمِي فَأُنِيقَ مِنْهُ .

قَالَ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ أَدَلَّةٌ عَلَى ثُبُوتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَوْلُهُ نَبِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِمْ وَمُوسَى وَقَوْمُهُ مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ وَإِخْوَتُهُمْ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَلَوْ كَانَ هَذَا النَّبِيُّ الْمَوْعُودُ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ لَكَانَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَا مِنْ إِخْوَتِهِمْ وَأَمَّا قَوْلُهُ نَبِيًّا مِثْلَكَ فَقَدْ قَالَ فِي التَّوْرَةِ مِثْلُ مُوسَى لَا يَقُومُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبَدًا فَذَهَبَتْ الْيَهُودُ إِلَى أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْمَوْعُودَ بِهِ هُوَ يُوْسَعُ ابْنُ ثَوْنٍ وَذَلِكَ بَاطِلٌ لِأَنَّهُ يُوْسَعُ لَمْ يَكُنْ كَقَوْمِ مُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَلْ كَانَ خَادِمًا لَهُ فِي حَيَاتِهِ وَمُؤَكَّدًا لِدَعْوَتِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ كَقَوْمِ مُوسَى لِأَنَّهُ مَائِلُهُ فِي نَضْبِ الدَّعْوَةِ وَالتَّحْدِي بِالْمُعْجَزَةِ وَشَرْعِ الْأَحْكَامِ وَإِجْرَاءِ الشُّنْخِ عَلَى الشَّرَائِعِ السَّالِفَةِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَجْعَلْ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَإِنَّهُ وَاضِحٌ فِي أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ

مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَن مَعْنَاهُ أَوْحِيَ إِلَيْهِ بِكَلَامِي فَيَنْطِقُ بِهِ عَلَى نَحْوِ مَا سَمِعَهُ وَلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ صُحُفًا وَلَا أَلْوَحًا لِأَنَّهُ أُمِّي لَا يُحْسِنُ أَنْ يَقْرَأَ الْمَكْتُوبَ.

وفي الإنجيل مما ذكره ابن طغر بك في الدر المنظم قال يوحنا في إنجيله عن المسيح أنه قال: أنا أطلب لكم من الأب أن يعطيكم فارقليط آخر يثبت معكم إلى الأبد روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقتلوه وهو عبد بن ظفر بلفظ: إن أحببتموني فاحفظوا وصيتي وأنا أطلب إلى أبي فيعطىكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله. قال فهذا تضريح بأن الله سينتث إليهم من يقوم مقامه ويثوب في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه منابه وتكون شريعته باقية مخلدة أبدا فهل هذا إلا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد اختلف النصارى في تفسير (الفارقليط) فقيل هو الحامد وقيل المخلص فإن وافقناهم على أنه المخلص أفضى بنا الأمر إلى أن المخلص رسول يأتي بخلاص العالم وذلك من غرضنا لأن كل نبي مخلص لأمره من الكفر ويشهد له قول المسيح في الإنجيل: إني جئت لخلاص العالم. فإذا ثبت أن المسيح هو الذي وصف نفسه بأنه مخلص العالم وهو الذي سأل الأب أن يعطيهم فارقليط آخر ففي مقتضى اللفظ ما يدل على أنه قد تقدم فارقليط أول حتى يأتي فارقليط آخر وإن قلنا معهم إن معناه الحامد فأى لفظ أقرب إلى أحمد ومحمد من هذا.

قال ابن طغر وفي الإنجيل مما ترجموه ما يدل على أن الفارقليط الرسول فإنه قال: إن هذا الكلام الذي تسمعون أنه ليس هو لي بل الأب الذي أرسلني بهذا الكلام لكم وأما الفارقليط روح القدس الذي يرسله أبي باسمي فهو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كل ما قلته لكم فهل بعد هذا بيان أن الفارقليط رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو يصدق بالمسيح ويظهر اسمه أنه رسول حق من الله وليس بإله وهو يعلم الخلق كل شيء ويذكرهم كل ما قاله المسيح عليه الصلاة والسلام لهم وكل ما أمرهم به من توحيد الله وأما قوله أبي فهذه اللفظة مبدلة محرفة ولينست مذكورة الاستعمال عند أهل الكتابين إشارة إلى الرب سبحانه وتعالى لأنها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذي يستمد منه العلم ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالإباء الروحانية ولم تزل بنو إسرائيل وبنو عيصو يقولون نحن أبناء الله يسوء فهمهم عين الله تعالى وأما قوله يرسله باسمي فهو إشارة إلى شهادة المضطفي صلى الله عليه وسلم له بالصدق والرسالة وما تضمنه القرآن من مدحه وتنزيهه عما افتري في أمره.

وَفِي تَرْجَمَةِ أُخْرَى لِلْإِنْجِيلِ أَنَّهُ قَالَ: الْفَارِثِلِيطُ إِذَا جَاءَ وَبَنَعَ الْعَالَمَ عَلَى الْحَاطِيَّةِ وَلَا يَقُولُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ مَا يَسْمَعُ يُكَلِّمُهُمْ بِهِ وَيَسُوسُهُمْ بِالْحَقِّ وَيُخْبِرُهُمْ بِالْحَوَادِثِ وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ طَعْرُ بِكَ يَلْفُظُ: فَإِذَا جَاءَ رُوحُ الْحَقِّ لَيْسَ يَنْطِقُ مِنْ عِنْدِهِ بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ مِنَ اللَّهِ وَيُخْبِرُهُمْ بِكُلِّ مَا يَأْتِي وَهُوَ يُمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا هُوَ لِي وَيُخْبِرُكُمْ فَقَوْلُهُ لَيْسَ يَنْطِقُ مِنْ عِنْدِهِ وَفِي الرُّوَايَةِ الْأُخْرَى وَلَا يَقُولُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ أَيُّ مِنَ اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي صِفَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣] وَقَوْلُهُ وَهُوَ يُمَجِّدُنِي فَلَمْ يُمَجِّدْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَقَّ تَمَجُّدِهِ إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَبَرَأءُهُ وَبَرَأءُ أُمَّةٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِمَا وَأَمَرَ بِذَلِكَ. قَالَ ابْنُ ظَفَرٍ فَمَنْ ذَا الَّذِي وَبَنَعَ الْعُلَمَاءَ عَلَى كَيْتَمَانِ الْحَقِّ وَتَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَبَيَّعَ الدِّينَ بِالثَّمَنِ الْبَخْسِ وَمَنِ الَّذِي أَتَذَرُ بِالْحَوَادِثِ وَأَخْبَرَ بِالْغُيُوبِ إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي الدَّلَائِلِ لِلْبَيْهَقِيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ الْأَمَوِيِّ قَالَ بُعِثْتُ أَنَا وَرَجُلٌ آخَرُ إِلَى هِرَاقِلَ صَاحِبِ الرُّومِ نَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَأَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ لِيَلَّا قَالَ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقَدَا بِشَيْءٍ كَهَيْئَةِ الرُّبْعَةِ الْعَظِيمَةِ مُذْهَبَةً فِيهَا بَيُوتٌ صِغَارٌ عَلَيْهَا أَبْوَابٌ فَفَتَحَ وَاسْتَخْرَجَ حَرِيرَةً سَوْدَاءَ فَتَشَرَّهَا فَإِذَا فِيهَا صُورَةُ حَمْرَاءَ وَإِذَا رَجُلٌ ضَخْمٌ الْعَيْنَيْنِ عَظِيمِ الْإِلْتِنَيْنِ لَمْ أَرِ مِثْلَ طُولِ عُنُقِهِ وَإِذَا لَهُ ضَفِيرَتَانِ أَحْسَنُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ أَتَعْرِفُونَ هَذَا قُلْنَا لَا قَالَ هَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخَرَ فَاسْتَخْرَجَ حَرِيرَةً سَوْدَاءَ وَإِذَا فِيهَا صُورَةُ بَيْضَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ ضَخْمٌ الْهَامَةِ حَسَنُ اللَّحْيَةِ فَقَالَ أَتَعْرِفُونَ هَذَا قُلْنَا لَا قَالَ هَذَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخَرَ وَأَخْرَجَ حَرِيرَةً فَإِذَا فِيهَا صُورَةُ بَيْضَاءَ وَإِذَا فِيهَا وَاللَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَتَعْرِفُونَ هَذَا قُلْنَا نَعَمْ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَنَبِيُّنَا وَاللَّهُ إِنَّهُ أَيُّ هِرَاقِلَ قَامَ قَائِمًا ثُمَّ جَلَسَ وَقَالَ إِنَّهُ لَهُوَ قُلْنَا نَعَمْ إِنَّهُ لَهُوَ كَأَنَّكَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ فَأَمْسَكَ سَاعَةً يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَخِرُ الْبَيُوتِ وَلَكِنْ عَجَلْتُهُ لَكُمْ لِأَنظُرَ مَا عِنْدَكُمْ الْحَدِيثَ وَفِيهِ ذِكْرُ صُورِ الْأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَسُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِمْ قَالَ قُلْنَا لَهُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذِهِ الصُّورُ فَقَالَ إِنْ آدَمُ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ وَلَدِهِ فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ صُورَهُمْ فَكَانَتْ فِي خِزَانَةِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَاسْتَخْرَجَهَا ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَدَفَعَهَا إِلَى دَانِيَالَ.

وَفِي ذُبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَزْمُورِ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ فَاصْبِ النُّعْمَةَ مِنْ شَفَقَتِكَ مِنْ أَجْلِ هَذَا بَارَكَكَ اللَّهُ إِلَى الْأَبَدِ تَقَلَّدُ أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ فَإِنْ شَرَّاعَكَ وَشُتَّتَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَتِهِ

يَمِينِكَ وَسَهَامَكَ مَسْنُونَةً وَجَمِيعَ الْأُمَمِ يَخْرُونَ تَحْتَكَ. فَهَذَا الْمَزْمُورُ يُنَوِّهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَالْنِعْمَةُ الَّتِي فَاضَتْ مِنْ شَفَّتِيهِ هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي يَقُولُهُ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَالسُّنَّةُ الَّتِي سَنَّهَا وَفِي قَوْلِهِ تَقَلَّدَ سَيْفَكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ إِذْ لَيْسَ يَتَقَلَّدُ السُّيُوفَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا الْعَرَبُ وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّدُونَهَا عَلَى عَوَاتِقِهِمْ وَفِي قَوْلِهِ فَإِنَّ شَرَائِعَكَ وَسُنَّتَكَ نَصٌّ صَرِيحٌ عَلَى أَنَّهُ صَاحِبُ شَرِيعَةٍ وَسُنَّةٍ وَأَنَّهَا تَقُومُ بِسَيِّفِهِ وَالْجَبَّارُ الَّذِي يَجْبُرُ الْخَلْقَ بِالسَّيْفِ عَلَى الْحَقِّ وَيَضْرِبُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ جَبْرًا.

وَعَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ قَالَ اللَّهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَنْزِلُنَّ عَلَى جِبَالِ الْعَرَبِ نُورًا يَمْلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْأَخْرِجَنَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ نَبِيًّا عَرَبِيًّا أُمِّيًّا يُؤْمِنُ بِهِ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ وَنَبَاتِ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ يُؤْمِنُ بِي رَبًّا وَبِهِ رَسُولًا وَيَكْفُرُونَ بِجَلَلِ آبَائِهِمْ وَيَفْرُونَ مِنْهَا قَالَ مُوسَى سُبْحَانَكَ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ لَقَدْ كَرَّمْتَ هَذَا النَّبِيَّ وَشَرَفْتَهُ قَالَ اللَّهُ يَا مُوسَى إِنِّي أَتَقَبَّلُ مِنْ عَدُوِّهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَأُظْهِرُ دَعْوَتَهُ عَلَى كُلِّ دَعْوَةٍ وَأُذِلُّ مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُ وَبِالْعَدْلِ زَيْنَتُهُ وَلِلْقِسْطِ أَخْرَجْتُهُ وَعِزَّتِي لِأَسْتَقْبِلَنَّ بِهِ أُمَّةً مِنَ النَّارِ فَتَحْتُ الدُّنْيَا بِإِبْرَاهِيمَ وَخَتَمْتُهَا بِمُحَمَّدٍ مِثْلُ كِتَابِهِ الَّذِي يَجِيءُ بِهِ فَأَعْقِلُوهُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَثَلِ السَّقَاءِ الْمَمْلُوءِ لَبَنًا يُمَخَّضُ فَيُخْرَجُ زُبْدًا بِكِتَابِهِ أَخْتِمُ الْكُتُبَ وَبِشَرِيعَتِهِ أَخْتِمُ الشَّرَائِعَ فَمَنْ أَدْرَكَهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ فِي شَرِيعَتِهِ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ بَرِيءٌ أَجْعَلْ أُمَّتَهُ يَنْتُونُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا مَسَاجِدَ إِذَا ذُكِرَ اسْمِي فِيهَا ذُكِرَ اسْمُ ذَلِكَ النَّبِيِّ مَعِي لَا يَزُولُ ذِكْرُهُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَزُولَ ذِكْرُهُ ابْنُ ظَفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَغَيْرُهُ.

النوع الخامس

فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ إِقْسَامَهُ تَعَالَى عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَثُبُوتِ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ مِنْ آيَاتِهِ وَعُلُوِّ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ وَمَكَانَتِهِ وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى مَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَ الْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَمَعْلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١] قِيلَ إِنَّ نَ لَوْحٍ مِنْ نُورٍ تُكْتُبُ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ مَا تَأْمُرُهُمْ بِهِ اللَّهُ وَلَقَدْ سَبَّلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ

كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ فَكَانَ كَلَامُهُ مُطَابِقًا لِلْقُرْآنِ تَفْصِيلًا وَتَبْيِينًا وَعُلُومُهُ عُلُومُ الْقُرْآنِ وَإِزَادَتُهُ وَأَعْمَالُهُ مَا أَوْجَبَهُ وَنَدَبَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ وَإِعْرَاضُهُ وَتَرْكُهُ لِمَا مَنَعَ مِنْهُ الْقُرْآنُ وَرَغْبَتُهُ فِيَمَا رَغِبَ فِيهِ وَرُذُودُهُ فِيَمَا رَهَّدَ فِيهِ وَكَرَاهَتُهُ لِمَا كَرِهَهُ وَمَحَبَّتُهُ لِمَا أَحَبَّهُ وَسَعْيُهُ فِي تَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ فَتَرَجَمَتْ رِضَايَ اللَّهِ عَنْهَا لِكَمَالِ مَعْرِفَتِهَا بِالْقُرْآنِ وَبِالرَّسُولِ وَحُسْنِ تَغْيِيرِهَا عَنْ هَذَا كُلِّهِ بِقَوْلِهَا كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، وَلَمَّا وَصَفَهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ قَالَ: ﴿فَسَتَبَصِّرُ وَتُبْصِرُونَ بِأَيْكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦] أَيِ فَسَتَرَى يَا مُحَمَّدُ وَسَتَرَى الْمُشْرِكُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِكَ فَإِنَّكَ تَصِيرُ مُعْظَمًا وَيَصِيرُونَ أَذِلَّةً مَغْلُوبِينَ وَتَسْتَوْلِي عَلَيْهِمْ.

الفصل الثاني

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَهُ مِنْ قَدَرِهِ الْعَلِيِّ لَدَيْهِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ١، ٢، ٣] تَأَمَّلْ مُطَابَقَةَ هَذَا الْقَسَمِ وَهُوَ نُورُ الضُّحَى الَّذِي يُؤَافِي بَعْدَ ظِلَامِ اللَّيْلِ لِلْمُقَسَّمِ عَلَيْهِ وَهُوَ نُورُ الْوَحْيِ الَّذِي وَافَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ اخْتِبَاسِهِ عَنْهُ حَتَّى قَالَ أَغْدَاؤُهُ وَدَّعَ مُحَمَّدًا رَبَّهُ فَتَنَقَّى سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ وَدَّعَ نَبِيَّهُ أَوْ قَلَاءَهُ فَالتَّوَدُّيعُ التَّرُكُ وَالْقَلَى الْبُغْضُ أَيِ مَا تَرَكَكَ مُنْذُ اعْتَنَى بِكَ وَلَا أَبْغَضَكَ مُنْذُ أَحَبَّكَ ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤] هَذَا يَعُمُّ أَحْوَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ حَالَةٍ يَرْفِيقُ إِلَيْهَا هِيَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا قَبْلَهَا كَمَا أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ هِيَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا قَبْلَهَا ثُمَّ وَعَدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا تَقَرَّرَ بِهِ عَيْنُهُ وَيَنْشَرُحُ بِهِ صَدْرُهُ وَهُوَ أَنْ يُعْطِيَهُ فَيَرْضَى وَهَذَا يَعُمُّ مَا يُعْطِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْهُدَى وَنَشْرٍ دَعْوَتِهِ وَإِعْلَافِ كَلِمَتِهِ عَلَى أَغْدَائِهِ فِي مَدَّةِ حَيَاتِهِ وَأَيَّامِ خُلُقَاتِهِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَمَا يُعْطِيهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَمَا يُعْطِيهِ فِي الْحِجَّةِ مِنَ الْوَسِيلَةِ وَالدرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْكَوْنِ وَالْجَمْلَةِ فَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يُعْطِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلُّ مَا يُرْضِيهِ.

ثُمَّ ذَكَرَهُ سُبْحَانَهُ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَابِلَهَا بِمَا يَلِيقُ بِهَا مِنَ الشُّكْرِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

الفصل الثالث

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى تَصْدِيقِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْهَوَى فِي نُطْقِهِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

[النجم: ١] أَفَسَمَ تَعَالَى بِالنَّجْمِ عَلَى بَرَاءَةِ رَسُولِهِ مِمَّا نَسَبَهُ إِلَيْهِ أَغْدَاؤُهُ مِنَ الضَّالِّينَ وَالْعَيِّ .
 قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَفَسَمَ بِالثَّرْبَا إِذَا سَقَطَتْ وَغَابَتْ، وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾
 [النجم: ١] وَلَمْ يَقُلْ مُحَمَّدٌ تَأْكِيدًا لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ صَاحِبُهُمْ وَهُمْ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ
 وَبِحَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ بِكَذِبٍ وَلَا عَيٍّ وَلَا ضَلَالٍ وَلَا يَنْقِمُونَ عَلَيْهِ أَمْرًا
 وَاجِدًا وَقَدْ ثَبَّهَ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ [المؤمنون:
 ٦٩] ثُمَّ نَزَّهَ نَظْمَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ يَضْدَرَ عَنْ هَوَى فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا
 يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣] وَذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ
 قَالَ كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّتَةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ
 يُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا .

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ وَصْفِ مَنْ عَلَّمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ وَالْقُرْآنَ فَقَالَ:
 ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥] وَهُوَ جِبْرِيلُ وَلَا شَكَّ أَنَّ مَذْحَ الْمُعَلِّمِ مَذْحٌ لِمُتَعَلِّمٍ وَهَذَا
 نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَى
 إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١] فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ تَصْدِيقِ فُؤَادِهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَتْهُ عَيْنَاهُ وَأَنَّ الْقَلْبَ صَدَقَ الْعَيْنَ وَلَيْسَ كَمَنْ رَأَى شَيْئًا عَلَى
 خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ فَكَذَّبَ فُؤَادُهُ بَصَرَهُ بَلْ مَا رَأَهُ بِبَصَرِهِ صَدَقَهُ الْفُؤَادُ وَعَلِمَ أَنَّهُ كَذَلِكَ وَقَالَ
 تَعَالَى: ﴿فَلَا أَفْسِسُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِي الْكُنُوسِ﴾ [التكوير: ١٦] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ
 شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [التكوير: ٢٥] أَيْ لَا أَفْسِسُ إِذَ الْأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يَخْتِاجَ إِلَى قَسَمٍ وَفِيهِ
 أَقْوَالٌ أُخْرَى أَنَّهُ أَيْ الْقُرْآنَ قَوْلَ رَسُولِ كَرِيمٍ .

وَهُوَ هُنَا جِبْرِيلُ وَأَمَّا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ فِي سُورَةِ الْحَاقَّةِ فَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فَأَضَافَهُ إِلَى الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ تَارَةً وَإِلَى الْبَشَرِيِّ أُخْرَى وَإِضَافَتُهُ إِلَيْهِمَا إِضَافَةٌ تَبْلِيغٌ لَا
 إِضَافَةٌ إِنْشَاءً مِنْ عِنْدِهِمَا وَلَفْظُ الرَّسُولِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُبَلِّغُ كَلَامَ مَنْ
 أَرْسَلَهُ فَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ كَلَامَ مَنْ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِبْرِيلُ تَلْقَاهُ
 عَنِ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلْقَاهُ عَنْ جِبْرِيلَ وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْمَلَكِيَّ
 فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِأَنَّهُ كَرِيمٌ يُعْطِي أَفْضَلَ الْعَطَايَا وَهِيَ الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ وَالْهِدَايَةُ وَالْبِرُّ وَالْإِزْشَادُ
 وَهَذَا غَايَةُ الْكَرَمِ ﴿وَذِي قُوَّةٍ﴾ [التكوير: ٢٠] كَمَا قَالَ فِي النَّجْمِ عِلْمُهُ شَدِيدُ الْقُوَى فَيَمْنَعُ
 بِقُوَّتِهِ الشَّيَاطِينَ أَنْ يَذْنُبُوا مِنْهُ وَأَنْ يَزِيدُوا فِيهِ أَوْ يَنْقُصُوا مِنْهُ وَزَوَّيْ أَنَّهُ رَفَعَ قُرَيَاتٍ قَوْمٍ لُوطٍ

الْأَزْنَعَ عَلَى قَوَادِمِ جَنَاحِهِ حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ نَبَاحَ كِلَابِهَا وَأَصْوَاتَ بَنِيهَا. ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠] أَيْ مُتَمَكِّنِ الْمُنْزِلَةِ وَهَذِهِ الْعِنْدِيَّةُ عِنْدِيَّةُ الْإِكْرَامِ وَالتَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ ﴿مُطَاعٍ﴾ [التكوير: ٢٠] فِي مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى الْمُقَرَّبِينَ يَصُدُّوْنَ عَنْ أَمْرِهِ وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ «ثُمَّ» هُنَاكَ «أَمِينٍ» عَلَى وَحْيِ اللَّهِ رِسَالَتِهِ فَقَدْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالزَّلَلِ فَهَذِهِ خَمْسُ صِفَاتٍ تَتَضَمَّنُ تَزْكِيَّةَ سَنَدِ الْقُرْآنِ وَأَنَّهُ سَمَاعُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جِبْرِيلَ وَسَمَاعُ جِبْرِيلَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَتَاهِيكَ بِهَذَا السَّنَدِ عُلُوقًا وَجَلَالَةً فَقَدْ تَوَلَّى اللَّهُ تَزْكِيَّتَهُ بِنَفْسِهِ. ثُمَّ نَزَّ رَسُولُهُ الْبَشَرِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكَعًا مِمَّا يَقُولُ فِيهِ أَعْدَاؤُهُ فَقَالَ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] وَهَذَا أَمْرٌ يَعْلَمُونَهُ وَلَا يَشْكُونَ فِيهِ وَإِنْ قَالُوا بِالنِّسْبَةِ خِلَافَهُ فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ رُؤْيِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ رَأَى بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] وَهَذَا يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ مَلَكٌ مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ يُرَى بِالْعِيَانِ وَيُذْرَكُ بِالْبَصَرِ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَيْسَ بِبَحِيلٍ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَأَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ الْغَيْبَ هَهُنَا الْقُرْآنُ وَالْوَحْيُ وَقُرْيَاءُ ﴿بِظُنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] وَمَعْنَاهُ الْمُتَّهَمُ وَالْمَعْنَى وَمَا هَذَا الرُّسُولُ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقُرْآنِ بِمُتَّهَمٍ بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِيهِ لَا يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَفْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٣٨] الْآيَةُ أَفْسِمَ تَعَالَى بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا مَا يُبْصَرُ مِنْهَا وَمَا لَا يُبْصَرُ وَهَذَا أَعْمُ قَسَمٍ وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَعْمُ الْعُلُوبَاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ وَالْأَخْيَرَةَ وَمَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى فَذَلِكَ كُلُّهُ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ حَقٌّ ثَابِتٌ كَمَا أَنَّ سَائِرَ الْمَوْجُودَاتِ مَا يُرَى مِنْهَا وَمَا لَا يُرَى حَقٌّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ إِنَّهُ حَقٌّ كَمَا أَنَّ مَا تُشَاهِدُونَهُ مِنَ الْعَلَمِ وَمَا لَا تُشَاهِدُونَهُ حَقٌّ مَوْجُودٌ وَيَكْفِيهِ الْإِنْسَانُ مِنْ جَمِيعِ مَا يُبْصَرُهُ وَمَا لَا يُبْصَرُهُ نَفْسُهُ وَمَبْدَأُ خَلْقِهِ وَنَشَأَتُهُ وَمَا يُشَاهِدُهُ مِنْ أَحْوَالِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَفِي ذَلِكَ أَبْتِنٌ دَلَالَةٌ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ الرَّبِّ وَثُبُوتِ صِفَاتِهِ وَصِدْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ لَمْ يَبْأَشِرْ قَلْبُهُ ذَلِكَ حَقِيقَةً لَمْ تُخَالِطْ بَشَاشَةُ الْإِيمَانِ قَلْبَهُ.

ثُمَّ أَقَامَ سُبْحَانَهُ الْبَرْهَانَ الْقَاطِعَ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُورْ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَه وَأَنَّهُ لَوْ

تَقُولُ عَلَيْهِ وَافْتَرَى لَمَّا أَقَرُّهُ وَلَعَاجَلَهُ بِالْإِهْلَاكِ فَإِنْ كَمَالَ عَلَيْهِ وَقُدِّرَتْهُ وَحِكْمَتِهِ يَأْتِي أَنْ يُقَرَّ
مَنْ تَقُولُ عَلَيْهِ وَافْتَرَى عَلَيْهِ وَأَصْلُ عِبَادَةِ وَاسْتَبَاحَ دِمَاءَ مَنْ كَذَّبَهُ وَحَرَبَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَكَيْفَ
يَلِيْقُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَأَقْدَرِ الْقَادِرِينَ أَنْ يُقَرَّ عَلَى ذَلِكَ بَلْ كَيْفَ يَلِيْقُ بِهِ أَنْ يُؤَيِّدَهُ وَيَنْصُرَهُ
وَيُعْلِيَهُ وَيُظَهِّرَهُ وَيُظْفِرَهُ بِهِمْ فَيَسْفِكَ دِمَاءَهُمْ وَيَسْتَبِيحَ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَبِلَادَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ
قَائِلًا إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِذَلِكَ وَأَبَاحَهُ لِي بَلْ كَيْفَ يَلِيْقُ بِهِ أَنْ يُصَدِّقَهُ بِأَنْوَاعِ التَّضْذِيقِ كُلِّهَا فَيُصَدِّقَهُ
بِإِفْرَاقِهِ وَبِالْآيَاتِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِدْقِهِ ثُمَّ يُصَدِّقُهُ بِأَنْوَاعِهَا كُلِّهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فَكُلُّ آيَةٍ عَلَى
انْفِرَادِهَا مُصَدِّقَةٌ لَهُ ثُمَّ يُقِيمُ الدَّلَائِلَ الْقَاطِعَةَ عَلَى أَنَّ هَذَا قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ فَيَشْهَدُ لَهُ بِإِفْرَاقِهِ وَفِعْلِهِ
وَقَوْلِهِ فَمِنْ أَعْظَمِ الْمُحَالِ وَأَبْطَلِ الْبَاطِلِ وَأَبْيَنِ الْبُهْتَانِ أَنْ يَجُوزَ عَلَى أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ أَنْ
يَفْعَلَ ذَلِكَ وَالْمَرَادُ بِالرُّسُولِ الْكَرِيمِ هُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَغْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ
لَفَرَّانٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [المرسلات: ٨] قِيلَ هُوَ اللَّوْحُ
الْمَحْفُوظُ وَقِيلَ الْكِتَابُ الَّذِي بِيَدِي الْمَلَائِكَةِ وَقِيلَ الْمُصْحَفُ وَرَجَّحَهُ ابْنُ الرَّفْعَةِ.

الْفَضْلُ الرَّابِعُ

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
[يس: ٢] الْآيَةُ قَالَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ يَا مُحَمَّدُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَسَمَ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَهُوَ مِنْ أَسْمَائِهِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالْقُرْآنِ
الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢] وَهُوَ رَدُّ عَلَى الْكُفَّارِ حَيْثُ قَالُوا لَسْتَ مُرْسَلًا فَأَقْسَمَ
اللَّهُ بِاسْمِهِ وَكِتَابِهِ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بِوَحْيِهِ إِلَى عِبَادِهِ وَعَلَى طَرِيقِ
مُسْتَقِيمٍ مِنْ إِيْمَانِهِ أَيْ طَرِيقِ لَا اغْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا عُذُولَ عَنِ الْحَقِّ قَالَ النَّقَاشُ لَمْ يُقْسِمِ اللَّهُ
تَعَالَى لِأَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِالرِّسَالَةِ فِي كِتَابِهِ إِلَّا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الْفَضْلُ الْخَامِسُ

فِي قَسَمِهِ بِحَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَصْرِهِ وَبَلَدِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] الْعَمْرُ هُوَ الْعُمُرُ

وَيُفْتَحُ فِي الْقَسَمِ وَيَعْمَهُونَ يَتَحَيَّرُونَ وَفِي الْمُخَاطَبِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْهُ لِلْوُطِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالثَّانِي أَنَّ الْخُطَابَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ وَفِي هَذَا تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ وَمَقَامٌ رَفِيعٌ وَجَاهٌ عَرِيضٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَمَا ذَرَأَ وَمَا بَرَأَ نَفْسًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا سَمِعْتُ اللَّهَ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] يَقُولُ وَحَيَاتِكَ وَعَمْرُكَ وَنَقَائِكَ فِي الدُّنْيَا إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَرَوَاهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِلَفْظٍ وَمَا أَقْسَمَ اللَّهُ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إِلَّا بِحَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١ - ٢] الْآيَةُ أَقْسَمَ تَعَالَى بِالْبَلَدِ الْأَمِينِ وَهُوَ مَكَّةُ أُمُّ الْقُرَى وَهُوَ بَلَدُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَيَّدَهُ بِحُلُولِهِ فِيهِ إِظْهَارًا لِمَزِيدِ فَضْلِهِ وَإِشْعَارًا بِأَنَّهُ شَرَفَ الْمَكَانَ بِشَرَفِ أَهْلِهِ قَالَهُ النَّبِضَاوِيُّ ثُمَّ أَقْسَمَ بِالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ وَهُوَ فِيمَا قِيلَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمَا وَلَدَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلُهُ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ هُوَ مِنَ الْحُلُولِ فَيَتَضَمَّنُ إِفْسَامَهُ تَعَالَى بِبَلَدِهِ الْمُشْتَمَلِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ خَيْرُ الْبَقَاعِ وَاشْتَمَلَ عَلَى خَيْرِ الْعِبَادِ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُ هُدًى لِلنَّاسِ وَنَبِيَّهُ إِمَامًا وَهَادِيًا لَهُمْ وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ وَلَا يَخْفَى مَا فِي قَسَمِهِ تَعَالَى بِبَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ زِيَادَةِ التَّعْظِيمِ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ أَقْسَمَ بِحَيَاتِكَ دُونَ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنْ أَقْسَمَ بِبَلَدِكَ فَقَالَ: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] قِيلَ مَكَّةُ وَقِيلَ الْمَدِينَةُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢] وَفِي تَفْسِيرِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ وَالنَّبِضَاوِيِّ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهُ أَقْسَمَ بِزَمَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ وَاحْتَجُّوا لَهُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا مِثْلُكُمْ وَمِثْلُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِثْلُ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءَ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الْفَجْرِ إِلَى الظُّهْرِ بِقِيَرَاتٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الظُّهْرِ إِلَى الْعَصْرِ بِقِيَرَاتٍ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بِقِيَرَاتَيْنِ فَعَمِلْتُمُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلُ أَجْرًا فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهَلْ نَفَضْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا قَالُوا لَا قَالَ فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَسَاءَ فَكُنْتُمْ أَقْلُ عَمَلًا وَأَكْثَرُ

أَجْرًا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ قَالُوا فَهَذَا الْحَدِيثُ دَلٌّ عَلَى أَنَّ الْعَصْرَ هُوَ عَصْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الَّذِي هُوَ فِيهِ فَيَكُونُ عَلَى هَذَا أَقْسَمَ تَعَالَى بِزَمَانِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَبِمَكَانِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَأَنْتَ جَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢] وَبِعَمْرِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الحجر: ٧٢] وَذَلِكَ كُلُّهُ
كَالظَّرْفِ فَكَيْفَ حَالُ الْمَظْرُوفِ قَالَ وَوَجْهُ الْقَسَمِ كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ مَا أَعْظَمَ خُسْرَانَهُمْ إِذْ
أَعْرَضُوا عَنْكَ فَانْظُرْ شِدَّةَ اعْتِنَاءِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ تَعَلَّمَ أَنَّهُ أَحَبُّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ.

النوع السادس

فِي وَضْفِهِ تَعَالَى لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالنُّورِ وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ

اعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَصَفَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنُّورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] وَقِيلَ الْمُرَادُ الْقُرْآنُ وَوَصَفَهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا بِالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وَالْمُرَادُ كَرْنُهُ هَادِيًا مُبِينًا
كَالسِّرَاجِ الَّذِي يُرِي الطَّرِيقَ وَيُبَيِّنُ الْهَدَى وَالرُّشَادَ فَبَيَّانُهُ أَقْوَى وَأَتَمُّ وَأَنْفَعُ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ
وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ الْقُدْسِيَّةُ أَعْظَمَ فِي الثُّورَانِيَّةِ مِنَ الشَّمْسِ فَكَمَا أَنَّ
الشَّمْسَ فِي عَالَمِ الْأَجْسَامِ تُفِيدُ النُّورَ لغيرها وَلَا تَسْتَفِيدُ مِنْ غَيْرِهَا فَكَذَا نَفْسُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُفِيدُ الْأَنْوَارَ الْعَقْلِيَّةَ لِسَائِرِ الْأَنْفُسِ الْبَشَرِيَّةِ وَكَذَلِكَ وَصَفَ اللَّهُ الشَّمْسَ بِأَنَّهَا سِرَاجٌ
حَيْثُ قَالَ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

وَكَمَا وَصَفَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِأَنَّهُ نُورٌ وَصَفَ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿اللَّهُ نُورٌ
السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] فَلَيْسَ فِيهِمَا إِلَّا اللَّهُ وَنُورُهُ الْمُقَدَّسُ هُوَ سِرُّ الْوُجُودِ
وَالْحَيَاةِ وَالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ وَهُوَ الَّذِي أَشْرَقَ عَلَى الْعَالَمِ فَأَشْرَقَ عَلَى الْعَوَالِمِ الرُّوحَانِيَّةِ وَهُمْ
الْمَلَائِكَةُ فَصَارَتْ سُرُجًا مُنِيرَةً يَسْتَعِيدُ مِنْهَا مَنْ دُونَهَا بِجُودِ اللَّهِ ثُمَّ سَرَى النُّورُ إِلَى عَالَمِ
النُّفُوسِ الْإِنْسَانِيَّةِ ثُمَّ طَرَحَتْهُ النُّفُوسُ عَلَى صَفَحَاتِ الْجُسُومِ فَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا نُورُ اللَّهِ
السَّارِي إِلَى الشَّيْءِ مِنْهُ بِقَدْرِ قَبُولِهِ وَوُسْعِ اسْتِعْدَادِهِ وَرَخْبِ تَلْقَائِهِ وَقَوْلُهُ: «مَثَلُ نُورِهِ» أَيْ مَثَلُ
هَذَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَنْ مُقَاتِلٍ أَيْ مَثَلُ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ فَالْمِشْكَاةُ نَظِيرُ صُلْبِ عَبْدِ اللَّهِ وَالرُّجَاجَةُ نَظِيرُ جَسَدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُضْبَاحُ نَظِيرُ الْإِيمَانِ وَالنُّبُوَّةُ فِي قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَنْ غَيْرِهِ
الْمِشْكَاةُ نَظِيرُ إِبْرَاهِيمَ وَالزُّجَاجَةُ نَظِيرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْمُضْبَاحُ جَسَدُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَالشَّجَرَةُ النُّبُوَّةُ وَالرَّسَالَةُ.

النوع السابع

فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ وَجُوبَ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعَ سُنَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ٥٩] ومحمد:
[٣٣] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] وَقَالَ
تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنَّ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]
قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ فَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَةَ رَسُولِهِ وَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ وَوَعَدَ عَلَى ذَلِكَ بِجَزِيلِ
الثَّوَابِ وَأَوْعَدَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ بِسُوءِ الْعِقَابِ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾
[النساء: ٨٠] يَغْنِي مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ لِكُونِهِ رَسُولًا مُبَلِّغًا إِلَى الْخَلْقِ أَحْكَامَ اللَّهِ فَهُوَ فِي
الْحَقِيقَةِ مَا أَطَاعَ إِلَّا اللَّهَ وَذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ
عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾ [النساء: ٨٠] فَإِنَّ مَنْ أَعْمَاهُ اللَّهُ عَنِ الرُّشْدِ وَأَضَلَّهُ عَنِ الطَّرِيقِ فَإِنْ أَحَدًا مِنْ
خَلْقِ اللَّهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِرْشَادِهِ وَهَذِهِ الْآيَةُ مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ مَعْصُومٌ فِي جَمِيعِ
الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَفِي كُلِّ مَا يَبْلُغُهُ عَنِ اللَّهِ لِأَنَّهُ لَوْ أَخْطَأَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا لَمْ تَكُنْ طَاعَتُهُ طَاعَةً
لِلَّهِ تَعَالَى وَأَيْضًا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِمُتَابَعَتِهِ فِي قَوْلِهِ:
﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وَالْمُتَابَعَةُ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِثْنَانِ بِمِثْلِ فِعْلِ الْغَيْرِ فَتَبَّتْ أَنَّ الْأَنْقِيَادَ لَهُ
فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَأَفْعَالِهِ إِلَّا مَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ بِهِ طَاعَةً لَهُ وَانْقِيَادَ لِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] الْآيَةُ وَهَذَا عَامٌّ فِي الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ
وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَقَدْ ذَكَرُوا فِي.

سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ شَدِيدَ
الْحُبِّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلِيلَ الصَّبْرِ عَنْهُ فَأَتَاهُ يَوْمًا وَقَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَنَحَلَ
جِسْمُهُ وَعَرَفَ الْحُزْنَ فِي وَجْهِهِ فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ مَا بِي وَجَعٌ غَيْرَ أَتَى إِذَا لَمْ أَرَكَ اسْتَقْشَنْتُكَ وَاسْتَوْحَشْتُ وَخَشَةَ عَظِيمَةً حَتَّى أَلْقَاكَ

فَذَكَرْتُ الْآخِرَةَ بِحَيْثُ لَا أَرَاكَ هُنَاكَ لِأَنِّي إِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَأَنْتَ تَكُونُ فِي دَرَجَاتِ النَّبِيِّينَ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ فَحَيْثُ لَا أَرَاكَ أَبَدًا فَتَزَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُفَارِقَكَ فَإِنَّكَ لَوْ قَدُمْتَ لَرُفِعَتْ فَوْقَنَا وَلَمْ نَرَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ. وَذَكَرَ عَنْ عِكْرَمَةَ مَرْسَلًا قَالَ أَتَى فَتًى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَنَا مِنْكَ نَظَرَةٌ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا نَرَاكَ فَإِنَّكَ فِي الْجَنَّةِ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ الْمُحَقِّقُونَ لَا تُنْكَرُ صِحَّةُ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ إِلَّا أَنْ سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ الْحُبُّ عَلَى الطَّاعَةِ وَالتَّزْغِيبُ فِيهَا فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ خُصُوصَ السَّبَبِ لَا يَقْدَحُ فِي عُمُومِ اللَّفْظِ فَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي حَقِّ جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ وَهُوَ أَنْ كُلُّ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَأَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ قَارَى بِالدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ فِي الْمَرَاتِبِ الشَّرِيفَةِ عِنْدَهُ تَعَالَى وَقَدْ ثَبَتَ وَصَّحَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَثَبَتَ عَنْهُ أَيْضًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ إِنْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا نَزَلْتُمْ مَنْزِلًا إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] وَهَذِهِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ تُسَمَّى آيَةَ الْمَحَبَّةِ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ ادَّعَى قَوْمٌ مَحَبَّةَ اللَّهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ إِشَارَةً إِلَى دَلِيلِ الْمَحَبَّةِ وَتَمَرَّتْهَا وَقَائِدَتُهَا قَدِيلُهَا وَعَلَامَتُهَا اتِّبَاعُ الرَّسُولِ وَقَائِدَتُهَا وَتَمَرَّتُهَا مَحَبَّةُ الْمُرْسَلِ لَكُمْ فَمَا لَمْ تَخْضُلِ الْمُتَابَعَةَ فَلَا مَحَبَّةَ لَكُمْ حَاصِلَةٌ وَمَحَبَّتُهُ لَكُمْ مُنْتَفِيَةٌ وَيَسْتَحِيلُ ثُبُوتُ مَحَبَّتِهِمْ لِلَّهِ وَثُبُوتُ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُمْ بِذَوْنِ الْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مُتَابَعَةَ الرَّسُولِ هِيَ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَةُ أَمْرِهِ وَلَا يَكْفِي ذَلِكَ فِي الْعُبُودِيَّةِ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَمَتَى كَانَ شَيْءٌ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُمَا فَهَذَا هُوَ الشُّرْكُ الَّذِي لَا يَغْفَرُ لِصَاحِبِهِ الثَّبَّةُ وَلَا يَهْدِيهِ اللَّهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

فَكُلُّ مَنْ قَدَّمَ طَاعَةَ أَحَدٍ مِنْ غُلَاةٍ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْ قَوْلَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْ مَرْضَاةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْ خَوْفَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْ

رَجَاءَهُ أَوْ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ عَلَى خَوْفِ اللَّهِ وَرَجَائِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ أَوْ مُعَامَلَةً أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مُعَامَلَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ يَمُنُّ لَيْسَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا وَإِنْ قَالَ بِلِسَانِهِ فَهُوَ كَذِبٌ مِنْهُ وَإِخْبَارٌ بِمَا لَيْسَ هُوَ عَلَيْهِ انْتَهَى مُلْخَصًا مِنْ كِتَابِ مَذَارِجِ السَّالِكِينَ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] أَيْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَجَعَلَ رَجَاءَ الْأَهْتِدَاءِ أَثَرُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِالرُّسُولِ وَاتِّبَاعِهِ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ مَنْ صَدَّقَهُ وَلَمْ يَتَابِعْهُ بِالتَّزَامِ شَرَعَهُ فَهُوَ فِي الضَّلَالَةِ فَكُلُّ مَا أَتَى بِهِ الرُّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَجِبُ عَلَيْنَا اتِّبَاعُهُ إِلَّا مَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ بِهِ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْثَوْرَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ﴾ [التغابن: ٨] يَغْنِي الْقُرْآنَ قَالِ إِيْمَانٌ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجِبٌ مُتَعَيَّنٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ لَا يَتِمُّ إِيْمَانٌ إِلَّا بِهِ وَلَا يَصِحُّ إِسْلَامٌ إِلَّا مَعَهُ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣] أَيْ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] الْآيَةُ مَعْنَاهَا فَوْرَبِّكَ وَلَا مَزِيدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ لِمَعْنَى الْقَسَمِ وَلَا يُؤْمِنُونَ جَوَابُ الْقَسَمِ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّى يُحَكِّمَ الرُّسُولَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَيَرْضَى بِجَمِيعِ مَا حَكَّمَ بِهِ وَيَتَّقَادَ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا سَوَاءَ كَانَ الْحُكْمُ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ أَوْ يُخَالِفُهَا كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا وَعَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حُصُولِ الرِّضَا بِحُكْمِهِ فِي الْقَلْبِ وَذَلِكَ بِأَنْ يَخْضَلَ الْجُزْمُ وَالتَّيَقُّنُ فِي الْقَلْبِ بِأَنَّ الَّذِي يَحْكُمُ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ الْحَقُّ وَالصَّدَقُ فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَتِّقَادِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا .

النوع الثامن

فِيمَا يَتَضَمَّنُ الْأَدَبَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] قَالَ مُجَاهِدٌ لَا تَقْتَاتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ حَتَّى يَقْضِيَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ وَانْظُرْ أَدَبَ الصُّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الصَّلَاةِ أَنْ تَقْدَمَ

بَيْنَ يَدَيْهِ كَيْفَ تَأَخَّرَ فَقَالَ مَا كَانَ لِأَبِي فُحَافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَيْفَ أَوْرَثَهُ اللَّهُ مَقَامَهُ وَالْإِمَامَةَ بَعْدَهُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ لَا تَقْضُوا أَمْرًا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ غَيْرُهُ لَا تَأْمُرُوا حَتَّى يَأْمُرَ وَلَا تَنْهَوْا حَتَّى يَنْهَى.

فَمِنْ الْأَدَبِ أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ وَلَا إِذْنٍ وَلَا تَصْرُفٍ حَتَّى يَأْمُرَ هُوَ وَيَنْهَى وَيَأْذَنَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَهَذَا بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَمْ يُنْسَخْ فَالْتَقَدُّمُ بَيْنَ يَدَيِ سُتَيْهِ بَعْدَ وَقَاتِهِ كَالْتَقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَاتِهِ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ ذِي عَقْلِ سَلِيمٍ، وَمِنْ الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تُرْفَعَ الْأَصْوَاتُ فَوْقَ صَوْتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢] قَالَ الرَّازِيُّ أَفَادَ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ الْمُؤْمِنُ عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يَتَكَلَّمُ الْعَبْدُ عِنْدَ سَيِّدِهِ أَيْ بَلْ يَكُونُ صَوْتُهُ دُونَ صَوْتِهِ مَعَ سَيِّدِهِ. وَإِذَا كَانَ رَفْعُ الْأَصْوَاتِ فَوْقَ صَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوجِبًا لِحُبُوطِ الْأَعْمَالِ فَمَا الظَّنُّ بِرَفْعِ الْأَرْءِ وَتَتَائِجِ الْأَفْكَارِ عَلَى سُتَيْهِ وَمَا جَاءَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَرَوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَكَلِمَتِكَ إِلَّا كَأَخِي السَّرَّارِ أَيْ الْكَلَامِ الْخَفِيِّ الَّذِي يُرَادُ كَنُّهُ وَأَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا حَدَّثَهُ حَدَّثَهُ كَأَخِي السَّرَّارِ مَا كَانَ يَسْمَعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ. وَرَوَى أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَاطَرَ مَالِكًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ مَالِكُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَرْفَعُ صَوْتَكَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَبَ قَوْمًا فَقَالَ: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] وَمَدَحَ قَوْمًا فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣] الْآيَةَ وَدَّمَ قَوْمًا فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات: ٤] الْآيَةَ وَإِنْ حُزِمَتْهُ مَيْتًا كَحُزْمَتِهِ حَيًّا فَاسْتَكَانَ لَهَا أَبُو جَعْفَرٍ.

وَمِنْ الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يُجْعَلَ دَعَاؤُهُ كَدُعَاءِ بَعْضِنَا بَعْضًا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ وَفِيهِ قَوْلَانِ لِلْمُفْسِّرِينَ أَحَدُهُمَا لَا تَدْعُوهُ بِاسْمِهِ كَمَا يَدْعُو بَعْضُكُمْ بَعْضًا بَلْ قُولُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَعَ التَّوْقِيرِ وَالتَّوَاضُعِ الثَّانِي أَنَّ الْمَعْنَى لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَهُ لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ دُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا إِنْ شَاءَ

الْمَدْعُو أَجَابَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ بَلْ إِذَا دَعَاكُمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بُدٌّ مِنْ إِجَابَتِهِ وَلَمْ يَسْغَكُمُ التَّخَلُّفُ عَنْهَا الْبَتَّةَ فَإِنَّ الْمُبَادَرَةَ إِلَى إِجَابَتِهِ وَاجِبَةٌ وَالْمَرَاجَعَةُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ مُحَرَّمَةٌ.

وَمِنْ الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرِ جَامِعٍ مِنْ خُطْبَةٍ أَوْ جِهَادٍ أَوْ رِبَاطٍ لَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ مَذْهَبًا فِي حَاجَةٍ لَهُ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرِ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢] وَمِنْ الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا يُسْتَشْكَلُ قَوْلُهُ بَلْ تُسْتَشْكَلُ الْأَرْاءُ بِقَوْلِهِ وَلَا يُعَارَضُ نَصُّهُ بِقِيَّاسٍ بَلْ تُهْدَرُ الْأَقْيَسَةُ وَتُلْقَى لِئُصْوَصِهِ وَلَا يُحَرَفُ كَلَامُهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِخَيَالٍ مُخَالَفٍ تُسَمِّيهِ أَضْحَانُهُ مَغْفُولًا نَعَمَ هُوَ مَجْهُولٌ وَعَيْنُ الصُّوَابِ مَغْرُورٌ وَلَا يَتَوَقَّفُ قَبُولُ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى مُوَافَقَةِ أَحَدٍ فَكُلُّ هَذَا مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ مَعَهُ وَهُوَ عَيْنُ الْجُرْأَةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَرَأْسُ الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَالُ التَّسْلِيمِ لَهُ وَالْإِتْقَانُ لِأَمْرِهِ وَتَلَقِّي خَبَرِهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ دُونَ أَنْ يَحْمِلَهُ مُعَارَضَةُ خَيَالٍ بَاطِلٍ عَلَى أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ أَرْاءَ الرِّجَالِ فَيُوحِدُ التَّحْكِيمَ وَالتَّسْلِيمَ وَالْإِتْقَانُ لِلرُّسُولِ كَمَا وَحَّدَ الْمُرْسِلُ بِالْعِبَادَةِ فَهُمَا تَوْحِيدَانِ لَا نَجَاةَ إِلَّا بِهِمَا. وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ بِالْآيَاتِ الْمُرْشِدَةِ إِلَى الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

النوع التاسع

فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ رَدَّهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى عَدُوِّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْفِيعًا لِشَأْنِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنِ الْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] لَمَّا قَالَ الْمُسْرِكُونَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] أَجَابَ تَعَالَى عَنْهُ عَدُوُّهُ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَهَكَذَا سُنَّةُ الْأَخْبَابِ فَإِنَّ الْحَبِيبَ إِذَا سَمِعَ مَنْ يُسُبُّ حَبِيبَهُ تَوَلَّى بِنَفْسِهِ جَوَابَهُ فَهَهُنَا تَوَلَّى الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَوَابَهُمْ بِنَفْسِهِ مُنْتَصِرًا لَهُ لِأَنَّهُ نُصْرَتُهُ تَعَالَى لَهُ أَنَّهُ مِنْ نُصْرَتِهِ وَارْفَعُ لِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِمَا أَقْسَمَ بِهِ مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ عَلَى تَنْزِيهِ رَسُولِهِ مِمَّا افْتَرَتْ بِهِ عَلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ الْكَفَرَةُ وَتَكْذِيبُهُمْ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] وَسَيَعْلَمُ أَعْدَاؤُهُ الْمَكْذُوبُونَ لَهُ أَنَّهُمْ الْمَفْتُونُ هُوَ أَوْ هُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَزْدَادُ عِلْمُهُمْ بِهِ

فِي الْبَرْزَخِ وَيُنَكْشِفُ وَيُظْهِرُ كُلَّ الظُّهُورِ فِي الْآخِرَةِ بِحَيْثُ يَتَسَاوَى الْخَلْقُ كُلُّهُمْ فِي الْعِلْمِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢].

لَمَّا رَأَى الْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ السُّهْمِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَدْخُلُ فَالْتَفَتًا عِنْدَ بَابِ بَنِي سَهْمٍ وَتَحَدَّثَا وَأَنَاسَ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ جُلُوسٌ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمَّا دَخَلَ الْعَاصِي قَالُوا مَنْ ذَا الَّذِي كُنْتَ تَحَدِّثُ مَعَهُ ذَلِكَ الْأَبْتَرُ يَغْنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ قَدْ تُوَفِّيَ ابْنُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَدِيجَةَ فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَتَوَلَّى جَوَانِبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أَيْ عَدُوُّكَ وَمُبْغِضُكَ هُوَ الدَّلِيلُ الْحَقِيرُ. وَلَمَّا قَالُوا: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١ وغيرها] قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨] وَلَمَّا قَالُوا: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣] أَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقَالَ: ﴿يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٣] وَلَمَّا قَالُوا: ﴿أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦] رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿بَلِ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧] فَصَدَّقَهُ ثُمَّ ذَكَرَ وَعِيدَ خُصَمَائِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ [الصافات: ٣٨] وَلَمَّا قَالُوا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَثُونِ﴾ [الطور: ٣٠] رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

وَلَمَّا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ قَوْلَهُمْ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] كَذَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤]. وَقَالَ رَدًّا لِقَوْلِهِمْ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦] وَلَمَّا قَالُوا يُلْقِيهِ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠] الْآيَةِ. وَلَمَّا تَلَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الْأَوَّلِينَ قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيبًا لَهُمْ: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وَلَمَّا قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢] تَسْلِيَةً لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَلَمَّا قَالُوا مُحَمَّدٌ قَلَاءُ رُبُّهُ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

بِقَوْلِهِ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]. وَلَمَّا قَالُوا: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ
الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] وَلَمَّا حَسَدْتُهُ أَغْدَاءُ الدِّ
الْيَهُودُ عَلَى كَثْرَةِ النِّكَاحِ وَالزُّوَاجِ وَقَالُوا مَا هُمُّهُ إِلَّا النِّكَاحُ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَنْ رَسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ
إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤] وَلَمَّا اسْتَبَعَدُوا أَنْ يَنْبَغَ اللَّهُ
رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ بِقَوْلِهِمْ الَّذِي حَكَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ
الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤] وَجَهِلُوا أَنَّ التَّجَانُّسَ يُورِثُ
التَّائِسَ وَأَنَّ التَّخَالَفَ يُورِثُ التَّائِسَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمْشُونَ
مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥] أَيْ لَوْ كَانُوا مَلَائِكَةً لَوَجِبَ
أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنَ الْبَشَرِ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ
مِنَ الْبَشَرِ وَقَدْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ إِنَّمَا يَدْفِعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَيُرَدُّونَ عَلَى أَغْدَائِهِمْ كَقَوْلِ نُوحٍ: ﴿يَا
قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١] وَقَوْلِ هُودٍ ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ رَبِّي سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٧].

النوع العاشر

فِي إِزَالَةِ الشُّبُهَاتِ عَنْ آيَاتٍ وَرَدَتْ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُتَشَابِهَاتٍ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧] اَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ لَعَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا ضَلَّ لَحْظَةً وَاجِدَةً قَطُّ قَالَ فِي الشُّفَاءِ وَالصُّوَابِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ قَبْلَ
النُّبُوَّةِ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَالتَّشْكِيكِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ تَعَاضَدَتِ الْأَخْبَارُ وَالْأَثَارُ
عَنْ الْأَنْبِيَاءِ بِتَنْزِيهِهِمْ عَنْ هَذِهِ التَّقْيِصَةِ مُنْذُ وُلِدُوا وَنَشَأَتْهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بَلْ عَلَى
إِشْرَاقِ أَنْوَارِ الْمَعَارِفِ وَنَفْحَاتِ الطَّافِ السَّعَادَةِ وَلَمْ يَنْثُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ أَنَّ أَحَدًا بُيِّئَ
وَاضْطُفِيَ بِمَنْ عُرِفَ بِكُفْرٍ وَإِشْرَاقٍ قَبْلَ ذَلِكَ وَمُسْتَنَدُ هَذَا الْبَابِ الثَّقُلُ.

وَاخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٌ وَجَدَكَ ضَالًّا عَنْ مَعَالِمِ النُّبُوَّةِ
وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كُنْتُ تَذِيرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢] أَيْ مَا كُنْتُ
تَذِيرِي قَبْلَ الْوُحْيِ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَلَا كَيْفَ تَدْعُو الْخَلْقَ إِلَى الْإِيمَانِ قَالَهُ السَّمَرَزَنْدِيُّ. ٩
بَكَرَ الْقَاضِي وَلَا الْإِيمَانُ الَّذِي هُوَ الْفَرَائِضُ وَالْأَحْكَامُ وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَبْلُ

مُؤْمِنًا بِتَوْجِيدِهِ ثُمَّ نَزَلَتْ الْفَرَايِضُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَذَرِبُهَا قَبْلُ فَأَزَادَ بِالتَّكْلِيفِ إِيمَانًا. وَذَكَرَ
الْإِمَامَ فَخْرُ الدِّينِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ضَلَلْتُ عَنْ جَدِّي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَنَا صَبِيٌّ
حَتَّى كَادَ الْجُوعُ يَفْتُلْنِي فَهَدَانِي اللَّهُ.

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ
الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ إِلَيَّ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا
بِشَيْءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ قُلْتُ لَيْلَةً لِعِلَامٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ يَزْعَى عَنَّمَا بِأَعْلَى مَكَّةَ لَوْ
حَفِظْتُ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ فَأَسْمُرَ بِهَا كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ أَوَّلَ دَارٍ
مِنْ دُورِ أَهْلِ مَكَّةَ سَمِعْتُ عَزْفًا بِالْدُّفُوفِ وَالْمَزَامِيرِ فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى
أُذُنِي فَنِمْتُ فَمَا أَقْظَنِي إِلَّا مَسُ الشَّمْسِ ثُمَّ قُلْتُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِي
فَمَا أَقْظَنِي إِلَّا مَسُ الشَّمْسِ ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِشَيْءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٣] فَقَدْ
اخْتَلَفَ فِي تَفْسِيرِهِ فَقِيلَ الْمُرَادُ مِنْهُ تَخْفِيفُ أَغْيَاءِ الثُّبُورَةِ الَّتِي يَثْقُلُ الظُّهْرُ الْقِيَامَ بِأَمْرِهَا وَحِفْظُ
مُوجِبَاتِهَا وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى حُقُوقِهَا فَسَهَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَحَطَّ عَنْهُ بِقَلْبِهَا بِأَنْ يَسْرَهَا عَلَيْهِ حَتَّى
تَيْسَّرَتْ لَهُ. وَقِيلَ الْوِزْرُ مَا كَانَ يَكْرَهُهُ مِنْ تَغْيِيرِهِمْ لِسُنَّةِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَانَ
لَا يَفْدِرُ عَلَى مَنْعِهِمْ إِلَى أَنْ قَوَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ لَهُ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَمَعْنَى أَنْقَضَ أَغْيَى
وَأَثْقَلَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] فَقَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ أَنِّي إِنَّكَ مَغْفُورٌ لَكَ غَيْرُ مُوَاحِدٍ بِذَنْبٍ أَنْ لَوْ كَانَ وَقِيلَ الْمُرَادُ أَمْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالذَّنْبِ تَرْكُ الْأَوَّلَى كَمَا قِيلَ حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ. وَقَالَ
السُّبْكِيُّ قَدْ تَأَمَّلْتُهُمَا يَغْنِي الْآيَةُ مَعَ مَا قَبْلُهَا وَمَا بَعْدَهَا فَوَجَدْتُهَا لَا تَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا
وَهُوَ تَشْرِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ذَنْبٌ.

وَقَدْ سَبَقَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ فَقَالَ وَإِنَّمَا الْمَعْنَى التَّشْرِيفُ بِهَذَا الْحُكْمِ وَلَمْ تَكُنْ ذُنُوبَ النِّبَّةِ
وَكَيْفَ يُتَخَيَّلُ خِلَافَ ذَلِكَ وَأَحْوَالُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى قَوْلٍ وَفِعْلٍ أَمَّا الْقَوْلُ فَقَالَ
تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣] وَأَمَّا الْفِعْلُ فَإِجْمَاعُ
الصَّحَابَةِ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَالتَّاسِّي بِهِ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ لَمْ يَكُنْ
عِنْدَهُمْ فِي ذَلِكَ تَوَقُّفٌ وَلَا بَحْثٌ حَتَّى أَعْمَالِهِ فِي السِّرِّ وَالْخَلْوَةِ يَحْرِضُونَ عَلَى الْعِلْمِ بِهَا
وَعَلَى اتِّبَاعِهَا عِلْمَ بِهِمْ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ أَنْ يُخْطِرَ بِبَالِهِ خِلَافَ ذَلِكَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] فَإِنَّمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَقْوَى تَوْجِبُ اسْتِزَامَةَ الْحُضُورِ وَقِيلَ الْمُرَادُ دُمَ عَلَى التَّقْوَى وَقِيلَ الْخِطَابُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤] وَلَمْ يَقُلْ بِمَا تَعْمَلُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم: ٨] فَأَعْلَمَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ مَا عَلَيْهِ الْكُفَّارُ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَسَبَتِهِ إِلَى مَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ مَعَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْكَمَالِ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالْخُلُقِ الْعَظِيمِ أَتْبَعَهُ بِمَا يَقْوَى قَلْبُهُ وَيَدْعُوهُ إِلَى التَّشْدِيدِ مَعَ قَوْمِهِ وَقْوَى قَلْبُهُ بِذَلِكَ مَعَ قِلَّةِ الْعَدَدِ وَكَثْرَةِ الْكُفَّارِ فَإِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ فَقَالَ: ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم: ٨] وَالْمُرَادُ رُؤَسَاءُ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ دَعَوْهُ إِلَى دِينِهِمْ فَتَهَاةَ اللَّهِ أَنْ يُطِيعَهُمْ وَهَذَا مِنَ اللَّهِ تَهْيِيجَ لِلتَّشْدِيدِ فِي مُخَالَفَتِهِمْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] الْآيَةَ فَقَالَ قَوْمُ الْمُخَاطَبِ بِهِ غَيْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ آخَرُونَ الْمُخَاطَبِ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الظَّاهِرِ وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١] وَأَمْثَالُهُ كَثِيرَةٌ أَوْ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْصِ وَالتَّقْدِيرِ لَا إِمْتِنَانٍ وَقُوعِ الشَّكِّ لَهُ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤] أَيُّ فِي أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] فَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِالْإِزَامِ الصَّبْرِ عَلَى إِعْرَاضِ قَوْمِهِ وَأَنْ لَا يَضِيقَ صَدْرُهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيُقَارِبَ حَالَ الْجَاهِلِ بِشِدَّةِ التَّحْسُرِ وَقِيلَ الْخِطَابُ لِأُمَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيُّ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُطِيعِ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١٦] فَالْمُرَادُ غَيْرُهُ كَمَا قَالَ: ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ١٤٩] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُغْنِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤] ﴿وَلَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَالْمُرَادُ غَيْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾

[يوسف: ٣] فَلَيْسَ بِمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: ٧] وَإِنَّمَا الْمَعْنَى لِمَنِ الْغَافِلِينَ عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِكَ وَلَمْ تَقْرَعْ سَمْعَكَ قَطُّ فَلَمْ تَعْلَمْهَا إِلَّا بِوَحْيِنَا، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] الْآيَةُ فَمَعْنَاهُ يَسْتَحَقُّكَ بِغَضَبٍ يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَالتَّزَعُّزِ أَذْنَى حَرْكَةٍ تَكُونُ كَمَا قَالَه الرَّجَاجُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] الْآيَةُ فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا مَا عَلَيْهِ جَمْهُورُ الْمُفْسِّرِينَ أَنَّ التَّمَنَّى الْمُرَادُ بِهِ هُنَا التَّلَاوُذُ وَالْقَاءُ الشَّيْطَانِ فِيهَا إِشْغَالُهُ بِخَوَاطِرٍ وَأَذْكَارٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا لِلتَّالِي حَتَّى يُدْخِلَ عَلَيْهِ الْوَهْمَ وَالنُّشْيَانَ فَيَمَّا تَلَاةٌ أَوْ يُدْخِلَ غَيْرَ ذَلِكَ عَلَى أَفْهَامِ السَّامِعِينَ مِنَ التَّخْرِيفِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ مَا يَزِيلُهُ اللَّهُ وَيَنْسَحُهُ وَيَكْشِفُ لَبْسَهُ وَيَحْكِمُ آيَاتِهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ٢] الْآيَاتِ فَلَيْسَ فِيهَا إِثْبَاتٌ ذَلْبٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَفِعْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا فَعَلَ وَتَصْدِيهِ لِذَلِكَ الْكَافِرِ كَانَ طَاعَةً لِلَّهِ وَتَبْلِيغًا عَنْهُ وَاسْتِثْلَاقًا لَهُ كَمَا شَرَعَهُ اللَّهُ لَا مَعْصِيَةَ وَلَا مَخَالَفَةَ لَهُ تَعَالَى وَمَا قَصَصَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِغْلَامٌ بِحَالِ الرَّجُلَيْنِ وَتَوْهِينِ أَمْرِ الْكَافِرِ عِنْدَهُ وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَنْ لَا يُرَكِّي﴾ [عبس: ٧] أَنِّي لَيْسَ عَلَيْكَ نَاسٌ فِي أَنْ لَا يَتَزَكَّى بِالْإِسْلَامِ أَنِّي لَا يَتَلَعَّنُ بِكَ الْحِرْصُ عَلَى إِسْلَامِهِمْ أَنْ تُعْرِضَ عَنْهُمْ أَسْلَمَ بِالْأَشْتِعَالِ بِدَعْوَتِهِمْ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] الْآيَةُ فَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ عَزْرٍ قَالَ هَلْ سَمِعْتُمْ بِمُعَانَبَةِ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا بَدَأَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ الْمُعَانَبَةِ وَكَذَا قَالَ غَيْرُهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ عَاتَبَهُ اللَّهُ كَمَا تَسْمَعُونَ ثُمَّ أُنْزِلَ النَّبِيُّ فِي سُورَةِ النُّورِ فَرَخَّصَ لَهُ فِي أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ إِنْ شَاءَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوا لِيَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢] فَقَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى رَأْيِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ اثْنَتَانِ فَعَلَهُمَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِمَا بِشَيْءٍ إِذْنُهُ لِلْمُنَافِقِينَ وَأَخْذُهُ الْيَدَاءَ مِنَ الْأَسْرَى فَعَاتَبَهُ اللَّهُ كَمَا تَسْمَعُونَ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى مُبَالَغَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِيُغَيِّرَهُ إِذَا كَانَ عَظِيمًا عِنْدَهُ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ مَا جَوَّبْتُكَ عَنْ كَلَامِي وَعَافَاكَ اللَّهُ أَلَا عَرَفْتَ حَقِّي فَلَا يَكُونُ غَرَضُهُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا زِيَادَةُ التَّبَجُّيلِ وَالتَّعْظِيمِ. وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] فَدَهَبَ نَاسٌ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَانَبَ بِهِ

الآيَةِ وَحَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ بَلْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخَيَّرًا فَلَمَّا أَدِنَ لَهُمْ أَعْلَمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ لَقَعَدُوا لِيَفَاقِهِمْ وَأَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي الْإِذْنِ لَهُمْ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي أَسَارَى بَذَرٍ : ﴿مَا كَانَ لِإِنَّبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْجَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧] فَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْكِينَ يَوْمَ بَذَرٍ وَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَأَسِيرَ سَبْعُونَ اسْتَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيًّا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَؤُلَاءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ وَالْإِخْوَانُ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ الْفِدْيَةَ فَيَكُونُ مَا أَخَذْتَاهُ مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ وَعَسَى أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ فَيَكُونُوا لَنَا عَضُدًا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَرَى يَا بَنَ الْخَطَّابِ قَالَ قُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَرَى مَا رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلِكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنِي مِنْ فُلَانٍ قَرِيبٍ لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمْكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمْكِّنَ حَمْزَةَ مِنْ فُلَانٍ أَخِيهِ يَغْنِي الْعَبَّاسَ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ حَتَّى يَغْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ أَيْ مِثْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ فَهَوِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هَوِيَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ فَأَخَذَ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِّ عَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَهُمَا يَبْكِيَانِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مَا يُبْكِيكَ أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ تَبَاكَيْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَى أَصْحَابِكَ مِنَ الْفِدَاءِ لَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿مَا كَانَ لِإِنَّبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْجَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧] وَقَوْلُهُ حَتَّى يُفْجَنَ فِي الْأَرْضِ أَيْ يُكْشَرُ الْقَتْلُ وَيَبَالِغُ فِيهِ حَتَّى يَذُلَّ الْكُفْرُ وَيَقِلَّ جِزْبُهُ وَيَعِزَّزَ الْإِسْلَامُ وَيَسْتَوْلِيَ أَهْلُهُ وَلَيْسَ فِي هَذَا إلْزَامٌ ذَنْبٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ فِيهِ بَيَانٌ مَا حُصِّ بِهِ وَفُضِّلَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ مَا كَانَ هَذَا لِإِنَّبِيٍّ غَيْرِكَ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَجَلْتُ لِيِ الْعَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلِّ لِنَبِيِّ قَبْلِي .

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧] فَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْخَطَّابِ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَتَجَرَّدَ عَرَضُهُ لِعَرَضِ الدُّنْيَا وَخَذَهُ وَالْأَسْتِثْنَاءُ مِنْهَا وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بَلْ قَدْ رُوِيَ عَنِ الصُّحَّاحِ أَنَّهَا نَزَلَتْ حِينَ انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَذَرٍ وَاشْتَغَلَ النَّاسُ بِالسَّلْبِ وَجَمَعَ الْعَنَائِمُ عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى خَشِيَ عُمَرُ أَنْ يَغْطِفَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨] فَاخْتَلَفَ

الْمُفْسَّرُونَ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ فَقِيلَ مَعْنَاهَا لَوْلَا أَنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَن لَّا أَعْدَبَ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ
النُّهْيِ لَعَذَّبْتُكُمْ فَهَذَا يَنْفِي أَن يَكُونَ أَمْرُ الْأَسْرَى مَعْصِيَةً وَقِيلَ لَوْلَا إِيمَانُكُمْ بِالْقُرْآنِ وَهُوَ
الْكِتَابُ السَّابِقُ فَاسْتَوْجِبْتُمْ بِهِ الصَّفْحَ لِعُوقِبْتُمْ عَلَى الْعَنَائِمِ وَقِيلَ لَوْلَا أَنَّهُ سَبَقَ فِي اللُّوْحِ
الْمَحْفُوظِ أَنَّهَا حَلَالٌ لَّكُمْ لَعُوقِبْتُمْ.

وَهَذَا كُلُّهُ يَنْفِي الذَّنْبَ وَالْمَعْصِيَةَ لِأَنَّ مَنْ فَعَلَ مَا أُجِلَّ لَهُ لَمْ يَعْصِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿فَكُلُوا مِنَّمَا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] قَالَ الْقَاضِي بَكْرُ بْنُ الْعَلَاءِ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى
نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ تَأْوِيلَهُ وَافَقَ مَا كُتِبَ لَهُ مِنْ إِحْلَالِ الْعَنَائِمِ وَالْفِدَاءِ
فَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِعْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى كَانَ عَلَى تَأْوِيلٍ
وَبَصِيرَةٍ فَلَمْ يُنْكَرْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ لِعَظَمِ أَمْرِ بَذْرِ وَكَثْرَةِ أَسْرَاهَا إِظْهَارَ نِعْمَتِهِ
وَتَأَكِيدَ مِثْلَهُ بِتَغْرِيفِهِمْ مَا كَتَبَهُ فِي اللُّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنْ جِلِّ ذَلِكَ لَا عَلَى وَجْهِ عِقَابٍ أَوْ إِنْكَارٍ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْنَتْنَاكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَادُّنَاكَ
ضِعْفَ الْمِثَالِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [إسراء: ٧٥] الْآيَةُ فَالْمَعْنَى لَوْلَا أَن تَبْنَتْنَاكَ لَقَارَبْتَ أَن تَمِيلَ
إِلَى اتِّبَاعِ مَرَادِهِمْ لَكِنَّ أَدْرَكَتْكَ عِصْمَتُنَا فَمُنِعَتْكَ أَنْ تَقْرُبَ فَضْلًا عَنْ أَن تَرْكَنَ إِلَيْهِمْ وَهُوَ
صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هُمْ بِإِجَابَتِهِمْ مَعَ قُوَّةِ الدَّوَاعِي إِلَيْهَا فَالْعِصْمَةُ بِتَوْفِيقِ
اللَّهِ وَحِفْظِهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ
لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦] فَالْمَعْنَى لَوْ افْتَرَى عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ
بِالْيَمِينِ وَقَطَعْنَا يَبَاطَ قَلْبِهِ وَأَهْلَكْنَاهُ وَقَدْ أَعَادَهُ اللَّهُ مِنَ الثَّقُولِ عَلَيْهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا
كُنْتُ تَذَرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢] فَقِيلَ مَعْنَاهُ مَا كُنْتُ تَذَرِي الْإِيمَانَ عَلَى
التَّفْصِيلِ الَّذِي شَرَعَ لَكَ فِي الْقُرْآنِ وَقَدْ اشْتَهَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
يُوحِدُ اللَّهَ وَيَبْغُضُ الْأَوْثَانَ وَيَحُجُّ وَيَعْتَمِرُ.

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ عَبَدْتَ وَتَنَاقَطُ قَالَ
لَا قِيلَ فَهَلْ شَرِبْتَ خَمْرًا قَطُّ قَالَ لَا وَمَا زِلْتُ أَغْرِفُ أَنَّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ كُفَرُوا وَمَا كُنْتُ أَذْرِي
مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَزَالُوا عَلَى بَقَايَا مِنْ دِينِ إِسْمَاعِيلَ كَحَجِّ النَّبِيِّ
وَالْحِجَابِ وَالْعُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَقْرُبُ الْأَوْثَانَ وَيَعْبِيهَا وَلَا يَعْرِفُ
شَرَائِعَ اللَّهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ عَلَى لِسَانِهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كُنْتُ تَذَرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].

المقصد السابع

في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وفرض محبة آله وأصحابه
وحكم الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة فصول
الفضل الأول

في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه

اعلم أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المنزل التي يتنافس فيها
المتنافسون وإليها يشخص العالمون وعليها يتفانى المحبون وبروح نسيبها يتروح العابدون
فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرّة العيون وهي الحياة التي من حرمتها فهو من جملة
الأموات والنور الذي من فقدته فهو في بحر الظلمات وهي روح الإيمان والأعمال
والأحوال والمقامات .

وإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين مغروفا فإننا منقطعاً أو
استنقذه من مهلكة أو مضرة لا تدوم فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من
العذاب الأليم ما لا يفنى ولا يحول وإذا كان المرء يحب غيره على ما فيه من صورة جميلة
وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الأخلاق والتكريم
المانح لنا جوامع المكارم والفضل العقيم فقد منحنا الله به من الدنيا والآخرة وأسبغ علينا
نعمه باطنة وظاهرة فاستحق أن يكون خطه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لأنفسنا
وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين بل لو كان في مثبت كل شجرة منا محبة تامة له
صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا .

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى
أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين رواه البخاري وفي صحيح ابن خزيمة من

أَهْلِيهِ وَمَالِهِ، وَفِي كَلَامِ الْقَاضِي عِيَاضٍ أَنَّ ذَلِكَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْإِيمَانِ لِأَنَّهُ حَمَلَ الْمَحَبَّةَ عَلَى مَعْنَى التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ وَقَالَ غَيْرُهُ اغْتِقَادُ الْأَعْظَمِيَّةِ لَيْسَ مُسْتَلْزِمًا لِلْمَحَبَّةِ إِذْ قَدْ يَجِدُ الْإِنْسَانُ إِعْظَامَ شَيْءٍ مَعَ خُلُوهُ مِنْ مَحَبَّتِهِ فَعَلَى هَذَا مَنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ الْمِثْلَ لَمْ يَكْمُلْ إِيْمَانُهُ وَإِلَى هَذَا يَوْمِيءُ قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّذْوِيرِ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ فَقَالَ عُمَرُ وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآنَ يَا عُمَرُ فَهَلْزِهِ الْمَحَبَّةُ لَيْسَتْ بِاِغْتِقَادِ الْأَعْظَمِيَّةِ فَقَطْ فَإِنَّهَا كَانَتْ حَاصِلَةً لِعُمَرَ قَبْلَ ذَلِكَ قَطْعًا.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْحُبِّ الْمَذْكُورِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَغْرِضَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ لَوْ خُيِّرَ بَيْنَ فَقْدِ غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ وَفَقْدِ رُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ لَوْ كَانَتْ مُمْكِنَةً فَإِنَّ كَانَ فَقْدُهَا أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ فَقْدِ شَيْءٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ فَقَدْ اتَّصَفَ بِالْأَحْبِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ لَا فَلَا.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ كُلُّ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيْمَانًا صَحِيحًا لَا يَخْلُو عَنْ وَجْدَانِ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ الرَّاجِحَةِ غَيْرَ أَنَّهُمْ مُتَّفَاوِتُونَ فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ بِالْحَظِّ الْأَوْفَى وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ بِالْحَظِّ الْأَذْنَى كَمَنْ كَانَ مُسْتَعْرِقًا فِي الشَّهَوَاتِ مَخْجُوبًا بِالْعَقْلَانِ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ لَكِنَّ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَقَاقٌ إِلَى رُؤْيَيْهِ بِحَيْثُ يُؤْثِرُهَا عَلَى أَهْلِيهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَيَبْذُلُ نَفْسَهُ فِي الْأُمُورِ الْخَطِيرَةِ وَيَجِدُ رُجْحَانِ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ وَجْدَانًا لَا تَرُدُّدَ فِيهِ وَقَدْ شُوهِدَ مِنْ هَذَا الْجَنْسِ مَنْ يُؤْثِرُ زِيَارَةَ قَبْرِهِ وَرُؤْيَا مَوَاضِعِ آثَارِهِ عَلَى جَمِيعِ مَا ذُكِرَ لِمَا وَقَرَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ سَرِيعُ الزَّوَالِ لِتَوَالِي الْعُقَلَاتِ اهـ. فَكُلُّ مُسْلِمٍ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِذْ لَا يَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا بِهَا وَالنَّاسُ مُتَّفَاوِتُونَ فِي مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَسَبِ اسْتِحْضَارِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ النُّفْعِ الشَّامِلِ لِخَيْرِ الدَّارَيْنِ وَالْعَقْلَةِ عَنْ ذَلِكَ وَلَا شَكَّ أَنَّ حَظَّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَتَمُّ لِأَنَّ هَذَا ثَمَرَةُ الْمَعْرِفَةِ وَهُمْ بِهَا أَعْلَمُ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قُتِلَ أَبُوهَا وَأَخُوهَا وَزَوْجُهَا يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا خَيْرًا هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ فَقَالَتْ أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلُ أَيْ صَغِيرَةٌ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظَّمَا. وَلَمَّا أَخْرَجَ أَهْلَ مَكَّةَ زَيْدُ بْنُ الدُّثَيْلَةِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ قَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ يَا زَيْدُ أَتُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ عِنْدَنَا نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَتُكِّ فِي أَهْلِكَ فَقَالَ زَيْدٌ وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ وَإِنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا.

قَالَ الْإِمَامُ الْبُغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] فِي ثَوْبَانِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلِيلَ الصَّبْرِ عَنْهُ فَأَتَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ يُعْرِفُ الْحُزْنَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِي مَرَضٌ وَلَا وَجَعٌ غَيْرَ أَنِّي إِذَا لَمْ أَرَكَ اسْتَوْحَشْتُ وَخَشَةَ شَدِيدَةً حَتَّى أَلْفَاكَ ثُمَّ ذَكَرْتُ الْآخِرَةَ فَأَخَافُ أَنْ لَا أَرَكَ لِأَنَّكَ تُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَإِنِّي إِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فِي مَنْزِلَةٍ أَدْنَى مِنْ مَنْزِلِكَ وَإِنْ لَمْ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ لَا أَرَكَ أَبَدًا فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَكَذَا ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ.

وَمَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ قَالَ إِنْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَمَالِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَلَوْلَا أَنِّي آتَيْتُكَ فَأَرَاكَ لَرَأَيْتُ أَنْ أَمُوتَ وَبَكَى الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَبْكََاكَ قَالَ بَكَيتُ أَنْ ذَكَرْتُ أَنَّكَ سَتَمُوتُ وَتَمُوتُ فَتُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَتَكُونُ نَحْنُ إِنْ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ دُونَكَ فَلَمْ يُجِرِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ بِمَعْنَى أَنِّي لَمْ يَزِجْهُ إِلَيْهِ بِقَوْلٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ هَذَا الْأَنْصَارِيَّ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ الَّذِي رَأَى الْأَذَانَ وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ هَذَا كَانَ يَغْمَلُ فِي جَنَّةٍ لَهُ فَأَتَاهُ ابْنُهُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَفَّى فَقَالَ اللَّهُمَّ أَذْهَبْ بَصَرِي حَتَّى لَا أَرَى بَعْدَ حَبِيبِي مُحَمَّدٍ أَحَدًا فَكُفَّ بَصَرُهُ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا حَيَاةَ لِلْقَلْبِ إِلَّا بِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ بِحَبِيبِهِمْ وَسَكَنَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهِ وَاطْمَأَنَّتْ

فَلَوْبُهُمْ بِهِ وَاسْتَأْنَسُوا بِقُرْبِهِ وَتَتَعَمُّوا بِمَحَبَّتِهِ فَنَفِي الْقَلْبِ طَاقَةٌ لَا يَسُدُّهَا إِلَّا مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَمَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِذَلِكَ فَحَيَاتُهُ كُلُّهَا هُمُومٌ وَغُمُومٌ وَالْأَمُّ وَحَسَرَاتٌ قَالَ صَاحِبُ الْمَدَارِجِ وَلَنْ
يَصِلَ الْعَبْدُ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الْعَلِيَّةِ وَالْمَرْتَبَةِ السَّنِيَّةِ حَتَّى يَعْرِفَ اللَّهَ وَيَهْتَدِيَ إِلَيْهِ بِطَرِيقِ تَوْصُلِهِ
إِلَيْهِ وَيَخْرِقَ ظُلُمَاتِ الطَّبَعِ بِأَشِعَّةِ الْبَصِيرَةِ فَيَقُومَ بِقَلْبِهِ شَاهِدًا مِنْ شَوَاهِدِ الْآخِرَةِ فَيَنْجَذِبَ إِلَيْهَا
بِكُلِّيَّتِهِ وَيَزْهَدَ فِي التَّعَلُّقَاتِ الْفَانِيَةِ وَيَذَابَ فِي تَصْحِيحِ التَّوْبَةِ وَالْقِيَامِ بِالْمَأْمُورَاتِ الظَّاهِرَةِ
وَالْبَاطِنَةِ وَتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

ثُمَّ يَقُومُ حَارِسًا عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يُسَامِحُهُ بِخَطَرَةٍ يَكْرَهُهَا اللَّهُ تَعَالَى وَلَا بِخَطَرَةٍ فُضُولٍ لَا
تَنْفَعُهُ فَيَضْمُرُ لِدَلِكِ قَلْبُهُ بِذِكْرِ رَبِّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ فَحَيْثُ يَجْتَمِعُ قَلْبُهُ وَخَوَاطِرُهُ وَحَدِيثُ
نَفْسِهِ عَلَى إِرَادَةِ رَبِّهِ وَطَلَبِهِ وَالشُّوقِ إِلَيْهِ فَإِذَا صَدَقَ فِي ذَلِكَ رُزْقَ مَحَبَّةِ الرَّسُولِ وَاسْتَوَلَتْ
رُوحَانِيَّتُهُ عَلَى قَلْبِهِ فَجَعَلَهُ إِمَامَةً وَأُسْتَاذَةً وَمُعَلِّمَةً وَشَيْخَةً وَقُدُوتَةً كَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيًّا وَرَسُولَهُ
وَهَادِيَةً فَيُطَالِعُ سِيرَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَبَادِيءِ أُمُورِهِ وَكَيْفِيَّةِ نَزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ وَيَعْرِفُ
صِفَاتِهِ وَأَخْلَاقَهُ وَأَدَابَهُ وَحَرَكَاتِهِ وَسُكُونَهُ وَيَقْظَنَتَهُ وَمَنَامَهُ وَعِبَادَتَهُ وَمُعَاشَرَتَهُ لِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى
غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ مَعَهُ مِنْ بَغْضِ أَصْحَابِهِ. (وَلِمَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَامَاتٌ) أَعْظَمُهَا الْأَقْتِدَاءُ بِهِ وَاسْتِعْمَالُ سُنَّتِهِ وَسُلُوكُ طَرِيقَتِهِ وَالْأَهْتِدَاءُ
بِهَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وَالْوُقُوفُ عَلَى مَا حَدَّثَهُ لَنَا مِنْ شَرِيعَتِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فَجَعَلَ تَعَالَى مُتَابِعَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةً مَحَبَّةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَجَعَلَ جَزَاءَ
الْعَبْدِ عَلَى حُسْنِ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ وَيَحْسَبُ هَذَا الْإِتْبَاعُ تَحْصُلَ الْمَحَبَّةِ
وَالْمَحْبُوبِيَّةِ مَعًا وَلَا يَتِمُّ الْأَمْرُ إِلَّا بِهِمَا فَلَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ اللَّهُ فَقَطْ بَلِ الشَّأْنُ أَنْ يُحِبَّكَ
اللَّهُ وَلَا يُحِبَّكَ إِلَّا إِذَا اتَّبَعْتَ حَبِيبَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَصَدَّقْتَهُ خَبْرًا وَأَطَعْتَهُ
أَمْرًا وَأَجَبْتَهُ دَعْوَةً وَآثَرْتَهُ طَوْعًا وَفَنَيْتَ عَنْ حَكْمٍ غَيْرِهِ بِحُكْمِهِ وَعَنْ مَحَبَّةٍ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ
بِمَحَبَّتِهِ وَعَنْ طَاعَةٍ غَيْرِهِ بِطَاعَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا تَتَعَنَّ فَلَسْتَ عَلَى شَيْءٍ وَتَأْمَلْ قَوْلَهُ
تَعَالَى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] أَيْ الشَّأْنُ فِي أَنْ اللَّهُ يُحِبَّكُمْ لَا فِي أَنْتُمْ
تُحِبُّونَهُ وَهَذَا لَا يَتَأَلَوْنَهُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْحَبِيبِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ عَلَامَةُ حُبِّ الْعَبْدِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اتِّبَاعُ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالتَّشَمُّكُ بِسُنَنِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا ذَاقَ الْعَبْدُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَوَجَدَ طَعْمَهُ ظَهَرَتْ ثَمَرَةُ

ذَلِكَ عَلَى جَوَارِحِهِ وَلِسَانِهِ فَاسْتَحْلَى اللِّسَانَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا وَالَاهُ وَأَسْرَعَتِ الْجَوَارِحُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ فَحَبِيتُذْ يَدْخُلُ حُبُّ الْإِيمَانِ بِالْقَلْبِ كَمَا يَدْخُلُ حُبُّ الْمَاءِ الْبَارِدِ الشَّدِيدِ بَرْدُهُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْحَرِّ لِلظَّمْآنِ الشَّدِيدِ الْعَطَشِ فَيَرْتَفِعُ عَنْهُ تَعَبُ الطَّاعَةِ لَا سَتِيلْدَاذِهِ بِهَا بَلْ تَبْقَى الطَّاعَاتُ غِذَاءً لِقَلْبِهِ وَسُرُورًا لَهُ وَفَرَّةً عَيْنٍ فِي حَقِّهِ وَنَعِيمًا لِرُوحِهِ يَلْتَنِدُ بِهَا أَعْظَمُ مِنَ اللَّذَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ فَلَا يَجِدُ فِي أَوْزَادِ الْعِبَادَةِ كُفْلَةً.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ أَحْبَبَ سُتِّي فَقَدْ أَحْبَبَنِي وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِيَ فِي النَّجَّةِ. وَعَنِ ابْنِ عَطَاءٍ مَنْ أَلَزَمَ نَفْسَهُ آدَابَ السُّنَّةِ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ الْمَعْرِفَةِ وَلَا مَقَامَ أَشْرَفَ مِنْ مَقَامِ مُتَابَعَةِ الْحَبِيبِ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ. وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الرَّقِّيُّ مِنْ أَقْرَانِ الْجُنَيْدِ عَلَامَةٌ مَحَبَّةِ اللَّهِ إِثَارُ طَاعَتِهِ وَمُتَابَعَةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ غَيْرِهِ لَا يَظْهَرُ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَمُجَانِبَةِ الْبِدْعَةِ فَأَمَّا مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَمْ يَتَلَقَّ الْعِلْمَ مِنْ مِشْكَاةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَدْعُوهُ عِلْمًا لَدُنِّيَا أَوْتِيَهُ فَهُوَ مِنْ لَدُنِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَإِنَّمَا يُعْرِفُ كَوْنُ الْعِلْمِ لَدُنِّيَا رَحْمَانِيَا بِمُوَافَقَتِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى وَالْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ الرَّحْمَانِيُّ هُوَ ثَمَرَةُ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمُتَابَعَةِ لِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ أَرْكَى الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ وَبِهِ يَخْصُلُ الْفَهْمُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِأَمْرِ يَخْتَصُّ بِهِ صَاحِبُهُ كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ سُئِلَ هَلْ خَصَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ دُونَ النَّاسِ فَقَالَ لَا إِلَّا فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ فَهَذَا هُوَ الْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ الْحَقِيقِيُّ فَاتَّبَاعُ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَنُورُ الْبَصَائِرِ وَشِفَاءُ الصُّدُورِ وَرِيَاضُ النَّفُوسِ وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ وَأَنْسُ الْمُسْتَوْحِشِينَ وَدَلِيلُ الْمُتَحِيرِينَ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ يَرْضَى مُدْعِيَهَا بِمَا شَرَعَهُ حَتَّى لَا يَجِدَ فِي نَفْسِهِ حَرَجًا مِمَّا قَضَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] فَسَلَبَ اسْمَ الْإِيمَانِ عَمَّنْ وَجَدَ فِي صَدْرِهِ حَرَجًا مِنْ قَضَائِهِ وَلَمْ يُسَلِّمْ لَهُ قَالَ تَاجُ الدِّينِ بْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ أَذَقَنَا اللَّهُ حَلَاوَةَ مَشْرِبِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةً عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ الْحَقِيقِي لَا يَخْصُلُ إِلَّا لِمَنْ حَكَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَأَخْذًا وَتَرْكًا وَحُبًّا وَبُغْضًا.

ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَكْتَفِ بِتَقْيِ الْإِيمَانِ عَمَّنْ لَمْ يُحَكِّمْ أَوْ حَكَّمَ وَوَجَدَ الْحَرَجَ فِي نَفْسِهِ

حَتَّى أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ بِالرُّبُوبِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَافِقَةً وَعِنَايَةً وَتَخْصِيصًا وَرِعَايَةً لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ فَلَا وَالرَّبِّ إِنَّمَا قَالَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] فَفِي ذَلِكَ تَأْكِيدٌ بِالْقَسَمِ وَتَأْكِيدٌ فِي الْقَسَمِ عِلْمًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِمَا الثُّفُوسُ مُنْطَوِيَّةٌ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الْعَلَبَةِ وَوُجُودِ الثُّصَرَةِ سَوَاءً كَانَ الْحَقُّ عَلَيْهَا أَوْ لَهَا وَفِي ذَلِكَ إِظْهَارٌ لِعِنَايَتِهِ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَعَلَ حُكْمَهُ حُكْمَهُ وَقَضَاءَهُ قَضَاءَهُ فَأَوْجَبَ عَلَى الْعِبَادِ الْأَسْتِسْلَامَ لِحُكْمِهِ وَالْأَتْفِيَادَ لِأَمْرِهِ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ الْإِيمَانَ بِالْهِبِيَّةِ حَتَّى يَذْعَبُوا لِأَحْكَامِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ كَمَا وَصَفَهُ رَبُّهُ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣] فَحُكْمُهُ حُكْمُ اللَّهِ وَقَضَاؤُهُ قَضَاءُ اللَّهِ كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وَفِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ أُخْرَى إِلَى تَعْظِيمِ قُدْرِهِ وَتَفْخِيمِ أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبِّكَ﴾ [فَأَصَافَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى كَهَيْعَصَ ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢] فَأَصَافَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصَافَ زَكَرِيَّا إِلَيْهِ لِيُعْلِمَ الْعِبَادَ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمُنْزِلَتَيْنِ وَتَفَاوُتَ الرُّتَبَتَيْنِ.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكْتَفِ بِالتَّحْكِيمِ بِالظَّاهِرِ فَيَكُونُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ بَلِ اشْتَرَطَ فَقَدْ دَانَ الْحَرَجُ وَهُوَ الضِّيقُ مِنْ ثُقُوسِهِمْ فِي أَحْكَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوَاءً كَانَ الْحُكْمُ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ أَوْ يُخَالِفُهَا وَإِنَّمَا تَضِيقُ الثُّفُوسُ لِفَقْدَانِ الْأَنْوَارِ وَوُجُودِ الْأَغْيَارِ فَعَنْهُ يَكُونُ الْحَرَجُ وَهُوَ الضِّيقُ وَالْمُؤْمِنُونَ لَيْسُوا كَذَلِكَ إِذْ نُرُ الْإِيمَانِ مَلَأَ قُلُوبَهُمْ فَاتَّسَعَتْ وَانْشَرَحَتْ فَكَانَتْ وَاسِعَةً يَبُورُ الْوَاسِعِ الْعَلِيمِ مَمْدُودَةً بِوُجُودِ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ مُهَيَّأَةً لِوَارِدَاتِ أَحْكَامِهِ مُفَوَّضَةً لَهُ فِي نَفْضِهِ وَإِبْرَامِهِ.

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ لَمْ يَزِ وَلَايَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَيَزَى نَفْسَهُ فِي مِلْكِهِ لَمْ يَذُقْ خِلَاوَةَ سُنَّتِهِ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نَصْرُ دِينِهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالذَّبِّ عَنْ شَرِيعَتِهِ وَالتَّحَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ فِي الْجُودِ وَالْإِيثَارِ وَالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ وَالتَّوَاضُّعِ وَغَيْرِهَا فَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ وَجَدَ خِلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَمَنْ وَجَدَهَا اسْتَلَذَّ الطَّاعَاتِ وَتَحَمَّلَ الْمَشَاقِّ فِي الدِّينِ وَآثَرَ ذَلِكَ عَلَى أَعْرَاضِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) التَّسْلِي عَنْ الْمَصَائِبِ فَإِنَّ الْمُحِبَّ يَجِدُ فِي لَذَّةِ الْمَحَبَّةِ مَا يُنْسِيهِ

الْمَصَائِبَ وَلَا يَجِدُ مِنْ مَسْهَا مَا يَجِدُ غَيْرُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ اِكْتَسَى طَبِيعَةً ثَانِيَةً لَيْسَتْ طَبِيعَةً الْخَلْقِ بَلْ يَفُورُ سُلْطَانُ الْمَحَبَّةِ حَتَّى يَلْتَدُّ بِكَيْبِيرٍ مِنَ الْمَصَائِبِ أَعْظَمَ مِنَ التَّدَاذِ الْخَلِيِّ بِحُطُوطِهِ وَشَهَوَاتِهِ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَثْرَةُ ذِكْرِهِ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْظِيمُهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ وَإِظْهَارُ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْإِنْكَسَارِ مَعَ سَمَاعِ اسْمِهِ فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا خَضَلَ لَهُ كَمَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعْدَهُ إِذَا ذَكَرُوهُ خَسَعُوا وَاقْشَعَرَّتْ جُلُودُهُمْ وَبَكَوْا وَكَذَلِكَ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ التَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مَحَبَّةً لَهُ وَشَوْقًا إِلَيْهِ وَتَهْنِئَةً وَتَوْقِيرًا.

قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ التُّجِيبِيُّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ مَتَى ذَكَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ ذَكَرَ عِنْدَهُ أَنْ يَخْضَعَ وَيَخْشَعَ وَيَتَوَقَّرَ وَيَسْكُنَ مِنْ حَرَكَتِهِ وَيَأْخُذَ فِي هَيْئَتِهِ وَإِجْلَالِهِ بِمَا كَانَ يَأْخُذُ بِهِ نَفْسُهُ لَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَتَأَدَّبُ بِمَا أَدَبَنَا اللَّهُ بِهِ. وَكَانَ أَيُّوبُ السُّخْتِيَانِيُّ إِذَا ذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ بَكَى حَتَّى نَرَحِمُهُ. وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ كَثِيرَ الدُّعَابَةِ وَالتَّبَسُّمِ فَإِذَا ذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اضْفَرَّ لَوْنُهُ.

وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ إِذَا ذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنْظَرُ إِلَى لَوْنِهِ كَأَنَّهُ قَدْ نَزَفَ مِنْهُ الدَّمُ وَقَدْ جَفَّ لِسَانُهُ فِي فَمِهِ هَيْئَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا ذَكَرَ عِنْدَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى حَتَّى لَا يَبْقَى فِي عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ. وَكَانَ الزُّهْرِيُّ مِنْ أَهْلِ النَّاسِ وَأَقْرَبِهِمْ فَإِذَا ذَكَرَ عِنْدَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَأَنَّكَ مَا عَرَفْتَهُ وَلَا عَرَفَكَ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ الْمُجْتَهِدِينَ فَإِذَا ذَكَرَ عِنْدَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى فَلَا يَزَالُ يَبْكِي حَتَّى يَقُومَ النَّاسُ عَنْهُ وَيَتَرَكُوهُ. وَكَانَ قَتَادَةُ إِذَا سَمِعَ الْحَدِيثَ أَخَذَهُ الْبُكَاءُ وَالْعَوِيلُ وَالزُّوِيلُ أَيْ الْقَلْقُ وَالْأَنْزِعَاجُ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الْقَاضِي عِيَاضُ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَثْرَةُ الشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذَا اشْتَدَّ بِهِمُ الشُّوقُ وَأَزَعَجَتْهُمْ لَوَاعِجُ الْمَحَبَّةِ قَصَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَشْفَقُوا بِمُشَاهَدَتِهِ وَتَلَدَّدُوا بِالْجُلُوسِ مَعَهُ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَنْ عَبْدِ بَنِي خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ وَهُوَ مِنَ التَّابِعِينَ قَالَتْ مَا كَانَ خَالِدٌ يَأْوِي إِلَى فِرَاشٍ إِلَّا وَهُوَ يَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يُسَمِّيهِمْ وَيَقُولُ هُمْ أَصْلِي وَفَضْلِي وَإِلَيْهِمْ يَجُنُّ قَلْبِي طَالَ شَوْقِي إِلَيْهِمْ فَعَجَّلَ رَبِّ قَبْضِي إِلَيْكَ حَتَّى يَغْلِبَهُ النُّومُ.

وَلَمَّا اخْتَضِرَ بِلَالٌ نَادَتْ امْرَأَتُهُ وَاحْرَبَاهُ فَقَالَ وَاطْرَبَاهُ غَدَا أَلْقَى الْأَجِبَةَ مُحَمَّداً وَصَحْبَهُ،
(وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حُبُّ الْقُرْآنِ الَّذِي آتَى بِهِ وَهَدَى بِهِ وَاهْتَدَى بِهِ
وَتَخَلَّقَ بِهِ وَإِذَا أَرَدَتْ أَنْ تَعْرِفَ مَا عِنْدَكَ وَعِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَانِظُ مَحَبَّةِ
الْقُرْآنِ مِنْ قَلْبِكَ وَالتَّيْدَاذِ بِسَمَاعِهِ هَلْ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ التَّيْدَاذِ أَصْحَابِ الْمَلَاهِي وَالْغِنَى الْمُطْرِبِ
بِسَمَاعِهِمْ. وَيُزَوَّى أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَالَ لَوْ طَهَّرْتُ قُلُوبَنَا لَمَّا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ اقْرَأْ عَلَيَّ قَالَ أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ
أَنْزَلَ فَقَالَ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي فَاسْتَفْتَحَ وَقَرَأَ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ ﴿فَكَيْفَ
إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٤١] قَالَ حَسْبُكَ فَرَفَعَ
رَأْسَهُ فَإِذَا عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ مِنَ الْبُكَاءِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَهَذَا يَجِدُهُ
مَنْ سَمِعَ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ بِأَذْنِ قَلْبِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى
أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]. وَقَدْ كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا زُبَّاناً مَرَّ بِآيَةٍ فِي وَرِيدِهِ فَتَخَنَّقَهُ الْعَبْرَةُ وَيَسْقُطُ وَيَلْزَمُ الْبَيْتَ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ حَتَّى يُعَادَ
وَيُحْسَبَ مَرِيضاً.

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ ذَوْقَهُ وَوَجَدَهُ وَطَرَبَهُ وَنَشَأْتَهُ فِي سَمَاعِ الْأَنْبِيَاءِ دُونَ سَمَاعِ الْآيَاتِ
وَفِي سَمَاعِ الْأَلْحَانِ دُونَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا مِنْ أَفْوَى الْأَدِلَّةِ عَلَى فِرَاقِ قَلْبِهِ مِنْ مَحَبَّةِ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ رَزَقْنَا اللَّهُ خَلَاوَةً مَحَبَّتِهِ بِمِثْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، (وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ) مَحَبَّةُ سُنَّتِهِ وَقِرَاءَةُ حَدِيثِهِ فَإِنَّ مَنْ دَخَلَتْ خَلَاوَةُ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ إِذَا سَمِعَ كَلِمَةً مِنْ
كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشَرَّبَتْهَا رُوحُهُ وَقَلْبُهُ وَنَفْسُهُ،
(وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ يَلْتَذُّ مَحَبَّةً بِذِكْرِهِ الشَّرِيفِ وَيَطْرَبُ عِنْدَ سَمَاعِ
اسْمِهِ الْمُنِيفِ وَقَدْ يُوجِبُ لَهُ ذَلِكَ سُكْرًا يَسْتَغْرِقُ قَلْبَهُ وَرُوحَهُ وَسَمْعَهُ، فَمَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ
الْعَلَامَاتِ فَهُوَ كَامِلُ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ خَالَفَ بَعْضَهَا فَهُوَ نَاقِصُ الْمَحَبَّةِ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ
اسْمِهَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلَّذِي حَدَّثَهُ فِي الْخَمْرِ لَمَّا لَعَنَهُ بَعْضُهُمْ وَقَالَ مَا أَكْثَرَ
مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَلْعَنُهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ
وَرَسُولَهُ مَعَ وَجُودِ مَا صَدَرَ مِنْهُ (تَنْبِيْه) الْمَحَبَّةُ أَرْفَعُ مِنَ الْخُلَّةِ وَقِيلَ بِالْعَكْسِ وَقِيلَ هُمَا سَوَاءٌ
وَتَبَيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ حَبِيبُ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ وَإِنْ اشتهَرُ هُوَ بِالْحَبِيبِ وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ بِالْخَلِيلِ وَقَدْ وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى فَضْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بَلْ
هُوَ أَفْضَلُ خَلَقِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ.

الفصل الثاني

في حكم الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] قِيلَ نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ وَلِذَلِكَ يُقَالُ لَهُ شَهْرُ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ مَعْنَى صَلَاةِ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَنَاءُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ مَلَائِكَتِهِ وَمَعْنَى صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ الدُّعَاءُ قَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي وَهَذَا أَوْلَى الْأَقْوَالِ فَيَكُونُ مَعْنَى صَلَاةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ثَنَاءُهُ وَتَعْظِيمُهُ وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ طَلَبُ ذَلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمُرَادُ طَلَبُ الزِّيَادَةِ لَا طَلَبُ أَصْلِ الصَّلَاةِ.

وَحَكَى الْقَاضِي عِيَاضٌ عَنْ بَكْرِ الْقُسَيْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّهِ تَشْرِيفٌ وَزِيَادَةٌ تَكْرِمَةٌ وَعَلَى مَنْ دُونَ النَّبِيِّ رَحْمَةٌ وَبِهَذَا يَظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وَقَالَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي السُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣] وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقَدَرَ الَّذِي يَلِيْقُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ أَزْفَعُ مِمَّا يَلِيْقُ بغيره وَالْإِجْمَاعُ مُنْعَقِدٌ عَلَى أَنَّ فِي هَذِهِ آيَةِ مِنْ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّوْبِيهِ بِهِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهَا.

وَقَالَ الْحَلِيمِيُّ مَعْنَى الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْظِيمُهُ فَمَعْنَى قَوْلِنَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَظْمَ مُحَمَّدًا وَالْمُرَادُ تَعْظِيمُهُ فِي الدُّنْيَا بِإِعْلَاءِ ذِكْرِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ وَإِبْقَاءِ شَرِيعَتِهِ وَفِي الْآخِرَةِ بِإِجْزَالِ مَثُوبَتِهِ وَتَشْفِيعِهِ فِي أُمَّتِهِ وَإِبْدَاءِ فَضِيلَتِهِ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَعَلَى هَذَا فَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦] اذْعُوا رَبِّكُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالْمَقْصُودُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِامْتِنَالِ أَمْرِهِ تَعَالَى وَقَضَاءِ بَعْضِ حَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا، قَالَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ لَيْسَتْ صَلَاتُنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَاعَةً لَهُ فَإِنْ مِثْلُنَا لَا يَشْفَعُ لِمِثْلِهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا فَإِنْ عَجَزْنَا عَنْهَا كَأَفَانَا بِالْدُّعَاءِ فَارْشَدَنَا اللَّهُ لِمَا عَلِمَ عَجَزْنَا عَنْ مُكَافَأَةِ نَبِيِّنَا إِلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فَإِذَا صَلَّاهُ عَلَيْهِ تَزَجُّعٌ إِلَى الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْهِ لِدَلَالَةِ ذَلِكَ عَلَى

نُصُوْحِ الْعَقِيْدَةِ وَخُلُوصِ النِّيَّةِ وَإِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَى الطَّاعَةِ وَاخْتِرَامِ الْوَاسِطَةِ الْكَرِيْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَاخْتُلِفَ فِي حُكْمِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: تَجِبُ فِي الْفُعُودِ آخِرُ الصَّلَاةِ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَسَلَامِ التَّحْلِيلِ قَالَهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ تَبِعَهُ، الثَّانِي: أَنَّهَا تَجِبُ فِي الْجُمْلَةِ بِغَيْرِ حَضَرٍ لَكِنْ أَقَلُّ مَا يَخْضُلُ بِهِ الْإِجْرَاءُ مَرَّةً، الثَّالِثُ: يَجِبُ الْإِكْتَارُ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِعَدَدٍ قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ بُكَيْرٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، الرَّابِعُ: تَجِبُ كُلَّمَا ذُكِرَ وَهُوَ قَوْلُ كَثِيرَيْنِ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَاسْتَدَلُّوا بِحَدِيثٍ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى فَمَاتَ فَدَخَلَ الثَّارُ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَحَدِيثٍ رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى وَحَدِيثٍ شَقِيَّ عَبْدٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى، الْخَامِسُ: فِي كُلِّ مَجْلِسٍ مَرَّةً وَلَوْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السَّادِسُ: فِي كُلِّ دُعَاءٍ حَكَاهُمَا الرَّمْخَشَرِيُّ، السَّابِعُ: أَنَّهَا مِنَ الْمُسْتَحَبَّاتِ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ، الثَّامِنُ: تَجِبُ فِي الْمُغْمَرِ مَرَّةً فِي الصَّلَاةِ أَوْ غَيْرِهَا قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ، الثَّاسِعُ: تَجِبُ فِي الصَّلَاةِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ الْمَحَلِّ وَثِقَلِ ذَلِكَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ، الْعَاشِرُ: تَجِبُ فِي التَّشَهُّدِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَهُوَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ.

وَأَمَّا صِفَةُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ لَقِيتُ كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ فَقَالَ أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّيْ عَلَيْكَ قَالَ قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتَّسَائِيُّ وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِلَفْظٍ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ قَالَ قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّيْ عَلَيْكَ قَالَ قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ

قَالَ أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَخُنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ أَمَرَنَا اللَّهُ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّيُ عَلَيْكَ قَالَ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَمْتَنَيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ رَوَاهُ مَالِكٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَغَيْرُهُمَا.

فَإِنْ قُلْتَ مَا مَوْقِعُ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ مَعَ أَنَّ الْمُقَرَّرَ أَنَّ الْمُشَبَّهَ دُونَ الْمُشَبَّهِ بِهِ وَالْوَاقِعُ هُنَا عَكْسُهُ لِأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدَهُ أَفْضَلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَلَا سِيَّمًا وَقَدْ أَضِيفَ إِلَيْهِ آلُ مُحَمَّدٍ وَقَضِيَّةُ كَوْنِهِ أَفْضَلَ أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ الْمَطْلُوبَةُ لَهُ أَفْضَلَ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ حَصَلَتْ أَوْ تَحْصُلُ لِغَيْرِهِ فَقَدْ أَجَابَ الْعُلَمَاءُ عَنْهُ بِأَجَوِبَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا أَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ مَقْطُوعٌ عَنِ التَّشْبِيهِ فَيَكُونُ التَّشْبِيهُ مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَنُقِلَ هَذَا عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَمِنْهَا أَنَّ كَوْنَ الْمُشَبَّهَ دُونَ الْمُشَبَّهِ بِهِ لَيْسَ مُطَرِّدًا بَلْ قَدْ يَكُونُ التَّشْبِيهُ بِالْمِثْلِ بَلْ بِالْأَدْنَى كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور: ٣٥] وَأَيْنَ يَقَعُ نُورُ الْمِشْكَاةِ مِنْ نُورِهِ تَعَالَى.

وَقَالَ التَّوَوِيُّ أَحْسَنُ الْأَجَوِبَةِ مَا تُسَبِّحُ إِلَى الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ التَّشْبِيهِ لِأَصْلِ الصَّلَاةِ بِأَصْلِ الصَّلَاةِ أَوْ لِلْمَجْمُوعِ بِالْمَجْمُوعِ، وَمِمَّا يُغْزَى لِلْعَارِفِ الرَّبَّانِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَرْجَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ وَسِرُّ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَكَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يَقُلْ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى مُوسَى لِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ التَّجَلِّي لَهُ بِالْجَلَالِ فَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا وَالْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ كَانَ التَّجَلِّي لَهُ بِالْجَمَالِ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ وَالْخُلَّةَ مِنْ آثَارِ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ فَلِهَذَا أَمَرَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَنْ يُصَلُّوا عَلَيْهِ كَمَا صَلَّى عَلَى إِبْرَاهِيمَ لِيَسْأَلُوا لَهُ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ وَهَذَا لَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلِيلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا لَهُ التَّجَلِّي بِالْوَضِيفِ الَّذِي تَجَلَّى بِهِ لِلْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فَالَّذِي يَقْتَضِيهِ الْحَدِيثُ الْمُشَارَكَةُ فِي الْوَضِيفِ الَّذِي هُوَ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ وَلَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهِ فِي الْمَقَامَيْنِ وَلَا فِي الرُّتَبَتَيْنِ فَإِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ يَتَجَلَّى بِالْجَمَالِ لِشَخْصَيْنِ بِحَسَبِ مَقَامَيْهِمَا وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي وَضِيفِ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ فَيَتَجَلَّى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِحَسَبِ مَقَامِهِ

عِنْدَهُ وَرُتَّبَتِهِ مِنْهُ وَمَكَانَتِهِ فَيَتَجَلَّى لِلْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْجَمَالِ بِحَسَبِ مَقَامِهِ وَيَتَجَلَّى لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَمَالِ بِحَسَبِ مَقَامِهِ فَعَلَى هَذَا يُفْهَمُ الْحَدِيثُ ١ هـ وَالْمُرَادُ بِآلِ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ حَرَمَتْ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ وَاخْتَارَهُ الْجَمْهُورُ وَقِيلَ أَرْوَاجُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذُرِّيَّتُهُ وَقِيلَ جَمِيعُ الْأُمَّةِ أُمَّةِ الْإِجَابَةِ وَقِيلَ الْأَتْقِيَاءُ مِنْهُمْ .

ولهذه أفضلُ كَيْفِيَّاتِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ لَا يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ إِلَّا الْأَشْرَفَ الْأَفْضَلَ وَيَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ خَلَفَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ فَطَرِيقُ الْبِرِّ أَنْ يَأْتِيَ بِذَلِكَ هَكَذَا صَوْبُهُ التَّوَوُّيُّ وَقِيلَ يَبْرُ إِذَا قَالَ كُلَّمَا ذَكَرَهُ الدَّاكِرُونَ وَكُلَّمَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ لِذِكْرِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةُ فِي حُطْبَةِ الرِّسَالَةِ لَهُ . وَقَالَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ فِي طَرِيقِ الْبِرِّ أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَيَسْتَحِقُّهُ وَلَوْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ مَا فِي الْحَدِيثِ وَأَضَافَ إِلَيْهِ أَثَرُ الشَّافِعِيِّ وَمَا قَالَهُ الْقَاضِي لَكَانَ أَشْمَلَ وَلَوْ قِيلَ إِنَّهُ يَغْمِدُ إِلَى جَمِيعِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الرِّوَايَاتُ الثَّابِتَةُ فَيَسْتَعْمِلُ مِنْهَا ذِكْرًا يَخْصُلُ بِهِ الْبِرُّ لَكَانَ حَسَنًا ، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَازْحَمْ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ رَوَاهُ الْحَاكِمُ .

وَعَنِ سَلَامَةَ الْكِنْدِيِّ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُعَلِّمُ النَّاسَ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ دَاجِي الْمَذْخُوعَاتِ وَبَارِي الْمَسْمُوكَاتِ اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَتَوَاسِي بَرَكَاتِكَ وَرَأْفَةً تَحْنِينِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْدَائِمِ لِحَيَاثَاتِ الْأَبَاطِيلِ كَمَا حُمِلَ قَاضِطَلَعِ بِأَمْرِكَ بِطَاعَتِكَ مُسْتَوْفِرًا فِي مَرْضَاتِكَ وَاعِيًا لِيَوْخِيكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى تَفَاضُلِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْزَى قَبَسًا لِقَابِسِ آلَاءِ اللَّهِ تَصِلُ بِأَهْلِهِ أَسْبَابُهُ بِهِ هُدِيَّتِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْيَتْنِ وَالْإِثْمِ وَأَبْهَجَ مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَائِزَاتِ الْأَحْكَامِ وَمُنِيرَاتِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي عَذْنِكَ وَاجْزِهِ مَضَاعِفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ مَهْنَاتِ لَهُ غَيْرَ مُكْدَرَاتِ مِنْ قُوْرِ ثَوَابِكَ الْمَحْلُولِ وَجَزِيلِ عَطَايِكَ الْمَغْلُولِ اللَّهُمَّ اعْلِ عَلَى بَنَاءِ النَّاسِ بِنَاءَهُ وَأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَذِيكَ وَنَزْلَهُ وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ

وَأَجْزِهِ مِنْ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولِ الشَّهَادَةِ مَرْضِيٍّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَذَلٍ وَخُطَّةٍ فَضْلٍ وَبُرْهَانٍ عَظِيمٍ .

وَمَعْنَى دَاجِي بَاسِطٍ وَالْمَذْخُوتِ الْأَرْضُونَ وَبَارِئِ خَالِقِ وَالْمَسْمُوكَاتِ أَيِ الْمَرْفُوعَاتِ يَغْنِي السَّمُوتِ وَتَوَامِي بَرَكَاتِكَ زَوَائِدَهَا وَالْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ أَيِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ أَيِ مِنَ الثُّبُوتِ وَالرَّسَالَةِ وَالْدَائِمِ الدَّافِعِ وَالْمُزِيلِ وَجَنِّشَاتِ الْأَبَاطِيلِ ازْتِفَاعَاتِهَا وَاضْطَلَعَ قَوِيٍّ وَالْمُسْتَوْفِزُ الْمُسْتَعْجِلُ وَأَوْرَى أَنْارَ الْقَبَسِ أَضْلُهُ الشُّغْلَةُ مِنَ النَّارِ وَالْقَابِسُ طَالِبُ الْأَقْتِبَاسِ وَالْمُرَادُ هُنَا طَالِبُ ثَوْرِ الْحَقِّ وَالْهِدَايَةِ وَالْآءِ اللَّهُ نِعْمُهُ وَأَبْهَجَ أَنْارَ وَالْأَعْلَامِ الْعَلَامَاتِ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا وَالتَّائِرَاتِ الْمُضِيئَاتِ وَالْمَحْلُولِ الَّذِي يُحَلُّ فِيهِ وَهُوَ الْجَنَّةُ وَالْمَعْلُولُ مِنَ الْعَلَلِ وَهُوَ الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ وَمَثْوَاهُ مَقَامُهُ وَالتَّزُلُّ مَا يُعَدُّ لِإِكْرَامِ الضَّيْفِ إِذَا نَزَلَ وَالْخُطَّةُ الْأَمْرُ وَالشَّأْنُ الْعَزْلُ وَالْفَضْلُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ فَإِنَّكُمْ لَا تَذَرُونَ لَعَلَّ ذَلِكَ يُغْرَضُ عَلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ عَلَّمْنَا قَالَ قُولُوا اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إِمَامِ الْخَيْرِ وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغِيطُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . وَعَنْ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْزِلْهُ الْمَقْعَدَ الصَّدُوقَ الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَعَنْ طَاوُسِ سَمِغْتِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ الْكُبْرَى وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ الْعُلْيَا وَأَعْطِهِ سُوْلَهُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى كَمَا آتَيْتَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ، وَأَمَّا الْمَوَاطِنُ الَّتِي تُشْرَعُ فِيهَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْهَا: التَّشَهُدُ الْآخِرُ وَهِيَ وَاجِبَةٌ فِيهِ ، وَمِنْهَا التَّشَهُدُ الْأَوَّلُ وَهِيَ سُنَّةٌ فِيهِ وَأَقْلَاهَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ .

وَمِنْهَا خُطْبَتَا الْجُمُعَةِ وَغَيْرِهَا فَلَا تَصِحُّ خُطْبَتَا الْجُمُعَةِ إِلَّا بِهَا . وَمِنْهَا عَقِبُ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ لِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْرَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْتَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَزْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ وَقَوْلُهُ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ أَيُّ وَجَبَتْ وَقِيلَ غَشِيَتْهُ وَنَزَلَتْ بِهِ . وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الثَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَخْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَمِنْهَا أَوَّلُ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ لِمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّايِبِ يَمْلَأُ قَدَحَهُ ثُمَّ يَضَعُهُ وَيَرْفَعُ مَتَاعَهُ فَإِنْ احتَاجَ إِلَى شَرَابٍ شَرِبَهُ أَوْ الْوُضُوءَ تَوَضَّأَ وَإِلَّا أَهْرَاقَهُ وَلَكِنْ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ .

وَمِنْهَا وَهُوَ مِنْ أَكْدِهَا عَقِبُ دُعَاءِ الْفُتُوبِ لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوُتْرِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لِي فِيمَا أُعْطِيتَ وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ . وَمِنْهَا أَثْنَاءُ تَكْبِيرَاتِ الْعِيدَيْنِ رَوَى ذَلِكَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَمِنْهَا عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ .

وَمِنْهَا فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ فَإِنَّ السُّنَّةَ أَنْ يَفْرَأَ الْقَاتِحَةَ بَعْدَ إِحْدَى التَّكْبِيرَاتِ وَبَعْدَ الْأُولَى أُولَى وَأَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الثَّانِيَةِ وَيَدْعُو لِمَيِّتٍ بَعْدَ الثَّالِثَةِ وَيَقُولُ بَعْدَ الرَّابِعَةِ اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ وَفِي ذَلِكَ حَدِيثُ رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ وَالنَّسَائِيُّ . وَمِنْهَا عِنْدَ التَّلْبِيَةِ أَيُّ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهَا . وَمِنْهَا عِنْدَ الصُّفَا وَالْمَرْوَةِ . وَمِنْهَا عِنْدَ الْأَجْتِمَاعِ

وَالْتَفَرَّقَ لِمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِيزَةٌ فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ عَفَّرَ لَهُمْ وَالتَّرْتَةُ النَّقْصُ أَوْ التَّبِعَةُ أَوْ الْحَسْرَةُ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ مَا مِنْ قَوْمٍ يَقْعُدُونَ ثُمَّ يَقُومُونَ وَلَا يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِمَا يَرَوْنَ مِنَ الثَّوَابِ لِمَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ.

وَمِنْهَا عِنْدَ الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ لِمَا رَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُضِيحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمَسِي عَشْرًا أَدْرَكْتُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَمِنْهَا عِنْدَ الْوُضُوءِ لِحَدِيثِ ابْنِ مَاجَهَ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا وَضُوءَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْهَا عِنْدَ نِسْيَانِ الشَّيْءِ لِحَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَسِيتُمْ شَيْئًا فَصَلُّوا عَلَيَّ تَذْكُرُوهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى رَوَاهُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ. وَمِنْهَا بَعْدَ الْعُطَاسِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ وَجَمَاعَةٌ. وَمِنْهَا عِنْدَ زِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ. وَوَرَدَ الْأَمْرُ بِالْإِكْتَارِ مِنْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتِهَا فَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَفِيهِ قُبُضَ وَفِيهِ الثَّفَحَةُ وَفِيهِ الصَّغْفَةُ فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنْ صَلَّاتُكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُغَرِّضُ صَلَاتِنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ أَيْ بَلَيْتَ قَالَ إِنْ اللَّهُ حَرَّمَ عَلَيَّ الْأَرْضَ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حُزَيْمَةَ وَغَيْرُهُ.

وَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَمْرَ بِالْإِكْتَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ. فَإِنْ قُلْتَ مَا الْحِكْمَةُ فِي خُصُوصِيَّةِ الْإِكْتَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتِهَا أَجَابَ ابْنُ الْقَيِّمِ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ الْأَنْامِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ فَلِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِيهِ مَزِيَّةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مَعَ حِكْمَةٍ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ نَالَتْهُ أُمَّتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَإِنَّمَا نَالَتْهُ عَلَى يَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَ اللَّهُ لِأُمَّتِهِ بَيْنَ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعْظَمَ كَرَامَةً

تَحْضُلُ لَهُمْ إِنَّمَا تَحْضُلُ لَهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّ فِيهِ بَعْثُهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقُصُورِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ يَوْمَ الْمَزِيدِ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ وَهُوَ يَوْمٌ عِيدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمٌ فِيهِ يُسْنَعُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِطَلِبَاتِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ وَلَا يَزِدُّ سَائِلَهُمْ وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا عَرَفُوهُ وَحَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِهِ وَعَلَى يَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ وَأَدَاءِ الْقَلِيلِ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَكْثُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَلَيْلَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا فَضِيلَةُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَرَدَ التَّضَرُّعُ بِهَا فِي أَحَادِيثٍ قَوِيَّةٍ أَمْثَلُهَا مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَرَفَعَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ. وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالسُّرُورُ يُرَى فِي وَجْهِهِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَرَى السُّرُورَ فِي وَجْهِكَ فَقَالَ إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَمَا يُرْضِيكَ أَنْ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ إِنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا قَالَ بَلَى رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ فَلْيُقِلِّلْ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ مَنْ صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ بِهَا سَبْعِينَ صَلَاةً فَلْيُقِلِّلْ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ. وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي قَالَ مَا شِئْتَ قُلْتُ الرَّبْعَ قَالَ مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قُلْتُ فَالنِّصْفَ قَالَ مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قُلْتُ فَالثُلُثَيْنِ قَالَ مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ إِذَا تَكَلَّمْتَ هَمَّكَ وَيَغْفِرُ ذَنْبَكَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، قَالَ النَّوَوِيُّ وَيُكْرَهُ إِفْرَادُ الصَّلَاةِ عَنِ السَّلَامِ وَاسْتَدْلَ بِوُرُودِ الْأَمْرِ بِهِمَا مَعًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وَقَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي إِنَّهُ يُكْرَهُ أَنْ يُفْرَدَ الصَّلَاةُ وَلَا يُسَلِّمَ أَضْلًا أَمَا لَوْ صَلَّى فِي وَقْتٍ وَسَلِّمَ فِي وَقْتٍ آخَرَ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُنْتَبِلًا.

الفصل الثالث

في ذكرِ محبة أصحابه عليه الصلاة والسلام وآله
وقرآته وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين

قَالَ الطَّبْرَانِيُّ اَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا اصْطَفَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعٍ مِنْ سِوَاهُ وَخَصَّهُ بِمَا عَمَّهُ بِهِ مِنْ فَضْلِهِ الْبَاهِرِ وَحَبَّاهُ أَعْلَى بِبَرَكَّتِهِ مَنْ انْتَمَى إِلَيْهِ نَسَبًا أَوْ نِسْبَةً وَرَفَعَ مَنْ انْطَوَى عَلَيْهِ نُصْرَةً وَصُحْبَةً وَأَلَزَمَ مَوَدَّةَ قُرْبَاهُ كَأَفْهَمَ بَرِيَّتِهِ وَقَرَضَ مَحَبَّةَ جُمْلَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ الْمُعْظَمِ وَذُرِّيَّتِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣] وَيُزَوِّى أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قَرَابَتُكَ هَؤُلَاءِ قَالَ عَلِيٌّ وَقَاطِمَةُ وَإِنَّا هُمَا وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عِكْرَمَةَ.

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي بَيْتِهِ إِذْ جَاءَتْ قَاطِمَةُ بِبُرْمَةٍ فِيهَا خَزِيرَةٌ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ بِهَا فَقَالَ اذْهَبِي رُوحَكِ وَابْنَتُكِ قَالَتْ فَجَاءَ عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تِلْكَ الْخَزِيرَةِ وَتَحْتَهُ كِسَاءٌ قَالَتْ وَأَنَا فِي الْحُجْرَةِ أَصْلِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قَالَتْ فَأَخَذَ فَضْلُ الْكِسَاءِ وَعَشَاهُمْ بِهِ ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ فَأَلَوَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَحَامَتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا قَالَتْ فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي مِنَ الْبَيْتِ فَقُلْتُ وَأَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ. وَالْخَزِيرَةُ لَحْمٌ يَقْطَعُ صِغَارًا وَيُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ فَإِذَا نَضَجَ ذُرٌّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لَحْمٌ فَهِيَ عَصِيدَةٌ وَالْكِسَاءُ مِرْطٌ مِنْ شَعْرِ وَالْمِرْطُ هُوَ كُلُّ ثَوْبٍ غَيْرِ مَخِيطٍ وَحَامَتِي أُمِّي خَاصَّتِي.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي خَمْسَةٍ فِيَّ وَفِي عَلِيٍّ وَحَسَنٍ وَحُسَيْنٍ وَقَاطِمَةَ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا

أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأُجِيبُهُ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخُذُوا بِهِ وَحَتْ فِيهِ وَرَعَبٌ فِيهِ ثُمَّ قَالَ وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقِيلَ لِرَزِيدٍ مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ بَلَى إِنَّ نِسَاءَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ قِيلَ مَنْ هُمْ قَالَ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ الْعَبَّاسِ قِيلَ كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ قَالَ نَعَمْ خَرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالثَّقَلُ كُلُّ شَيْءٍ نَفِيسٌ مَصُونٌ.

وَلَا يَشُكُّ مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ أَنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاخِلَاتٌ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فَإِنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ مَعَهُنَّ وَهَذَا اخْتِيارُ ابْنِ عَطِيَّةٍ بَعْدَ نَقْلِ أَنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى أَنَّهُمْ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أَدْعِيَ فَأُجِيبَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابُ اللَّهِ وَعِشْرَتِي كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِشْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانظُرُوا بِمَاذَا تَخْلُقُونِي فِيهِمَا. وَعِثْرَةُ الرَّجُلِ أَهْلُهُ وَأَقَارِبُهُ.

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ ارْزُقُوا مُحَمَّدًا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَالْمُرَاقِبَةُ لِلشَّيْءِ الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ يَقُولُ احْفَظُوهُمْ وَلَا تُؤْذُوهُمْ، وَقَالَ أَيْضًا لِقِرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ وَأَحِبُّوا بَيْتِي بِحُبِّ أَهْلِ بَيْتِي بِحُبِّي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي الْمَنَاقِبِ لِأَحْمَدَ مَنْ أَبْغَضَ أَهْلَ الْبَيْتِ فَهُوَ مُنَافِقٌ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيِّ أُنْتُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَفِي لَفْظٍ آخَرَ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى وَلَمَّا كَانَ هَارُونَ إِنَّمَا كَانَ خَلِيفَةً فِي حَيَاةِ مُوسَى ذَلِكَ عَلَى تَخْصِيصِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَيَاتِهِ وَأَمَّا حَدِيثُ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ فَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَغْنِي بِذَلِكَ وَلَاءُ الْإِسْلَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي أَخْرَجَهُ الْإِيمَانُ أَحْمَدُ وَأَخْرَجَ الْمُخَلَّصُ الدَّهَبِيُّ مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَقَدْ ذَكَرَ الثَّقَافُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ لَا تَجِدُ مُؤْمِنًا إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ فَاطِمَةُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوْجُهَا أَحَبَّ الرِّجَالِ إِلَيْهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي الْبُخَارِيِّ إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي. وَالْبَضْعَةُ قِطْعَةُ اللَّحْمِ وَاسْتَدَلَّ بِهِ السُّهَيْلِيُّ عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّهَا يَكْفُرُ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي حَسَنِ وَحُسْنِ اللَّهِمَّ إِنِّي أَجِبُهُمَا فَأَجِبُهُمَا وَأَحِبُّ مَنْ يُجِبُهُمَا، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْحَافِظِ السُّلَفِيِّ قَالَ مَا رَأَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ قَطُّ إِلَّا قَاضَتْ عَيْنَايَ دُمُوعًا وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمًا وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ فَأَخَذَ يَبْدِي وَاتَّكَأَ عَلَيَّ حَتَّى جِئْنَا سُوقَ قَيْنَقَاعَ فَنَظَرَ فِيهِ ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَالَ اذْغِ ابْنِي قَالَ فَأَتَى الْحَسَنَ بْنُ عَلِيٍّ يَشْتَدُّ حَتَّى وَقَعَ فِي حِجْرِهِ فَمَجَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَحُ فَمَهْ ثُمَّ يُدْخِلُ فَمَهْ فِي فَمِهِ وَيَقُولُ اللَّهِمَّ إِنِّي أَجِبُهُ فَأَجِبْهُ وَأَحِبُّ مَنْ يُجِبُهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْمَعِيَّةِ هُنَا الْمَعِيَّةُ مِنْ حَيْثُ الْمَقَامُ بَلْ مِنْ جِهَةِ رَفْعِ الْحِجَابِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء: ٦٩] وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ حَمَلَ الْحَسَنَ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَبِي شَبِهُ بِالنَّبِيِّ لَيْسَ شَبِهَا بِعَلِيٍّ وَعَلِيٍّ يَضْحَكُ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُجِبْكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ أَضْلُ الصُّنُو أَنْ تَطْلُعَ نَحْلَتَانِ مِنْ عِرْقٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ أَضْلَ الْعَبَّاسَ وَأَضْلَ أَبِي وَاحِدًا.

وَجَلَّلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبَنِيهِ بِكَسَاءٍ ثُمَّ قَالَ اللَّهِمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لَا تُعَادِرُ ذَنْبًا إِلَّا سَتَرْتَهُ اللَّهِمَّ اخْفِظْهُ فِي وَلَدِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ السَّرِيِّ غَطَّاهُمْ بِشَمْلَةٍ لَهُ سَوْدَاءَ مُخَطَّطَةٍ بِحُمْرَةٍ وَقَالَ اللَّهِمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَعِزَّتِي فَاسْتَرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَسْتَرْهُمْ بِهَذِهِ الشَّمْلَةِ قَالَ فَلَمْ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ مَدْرَةٌ وَلَا بَابٌ إِلَّا أَمَّنْ.

وَالْمَدْرَةُ الثَّرَابُ وَأَمَّنْ قَالَ أَمِينَ مُعْجَزَةٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالشَّمْلَةُ الْكِسَاءُ سُمِّيَ شَمْلَةً لِأَنَّهُ يُشْتَمَلُ بِهِ، وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِنِّي أَجِبُكَ حُبِّينَ حُبًّا لِقَرَابَتِكَ مِنِّي وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ أَغْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي لَكَ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَوْمَ حُتَيْنِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ خَيْرِ أَهْلِي، وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَنْغَضُّنَا أَهْلُ الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَلْفَاظَ الْأَرْبَعَةَ أَلَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَعِثْرَتَهُ وَذَوِي الْقُرْبَى مَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ وَقَدْ وَقَعَ الْإِضْطِلَاحُ عَلَى اخْتِصَاصِهِمْ مِنْ بَيْنِ ذَوِي الشَّرَفِ بِالشُّطْفَةِ الْخَضِرَاءِ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ ثُمَّ انْقَطَعَ إِلَى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ فَأَمَرَ السُّلْطَانُ الْأَشْرَفُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةً أَنْ يَمْتَنَّاوْا عَنْ النَّاسِ بِعَصَائِبِ خُضِرٍ عَلَى الْعَمَائِمِ فَفَعِلَ ذَلِكَ بِمِضِرٍّ وَالشَّامِ وَغَيْرِهِمَا.

وَأَمَّا الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُهُ حَقًّا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ فَقَالَ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] ثُمَّ تَنَّى بِالثَّنَاءِ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] فَوَصَفَهُمْ بِالشَّدَّةِ عَلَى الْكُفَّارِ وَالرَّحْمَةِ بِالْأَخْيَارِ ثُمَّ أَتَى عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ مَعَ الْإِخْلَاصِ الثَّامِ فَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ أَعْجَبَهُ سَمْتُهُمْ وَهَذِيهِمْ لِخُلُوصِ نِيَّاتِهِمْ وَحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ [الفتح: ٢٩] أَيْ أَفْرَاحَهُ ﴿فَأَزْرَهُ﴾ [الفتح: ٢٩] أَيْ شَدَّهُ وَقَوَّاهُ ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ [الفتح: ٢٩] شَبَّ قَطَالٌ ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سَوَابِهِ يَعْجَبُ الزُّرَّاعُ﴾ [الفتح: ٢٩] قُوَّتُهُ وَغِلَظُهُ وَحُسْنُ مَنْظَرِهِ فَكَذَلِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آزَرُوهُ وَأَيَّدُوهُ وَنَصَرُوهُ فَهُمْ مَعَهُ كَالشُّطْءِ مَعَ الزَّرْعِ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ انْتَزَعَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ تَكْفِيرَ الرِّوَايَةِ الَّذِينَ يَنْغَضُّونَ الصَّحَابَةَ قَالَ لِأَنَّهُمْ يَغِيظُونَهُمْ وَمَنْ غَاظَهُ الصَّحَابَةَ فَهُوَ كَافِرٌ وَقَدْ وَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَحَادِيثِ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ كَثِيرَةٌ وَيَكْفِي ثَنَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرِضَاهُ عَنْهُمْ وَقَدْ وَعَدَهُمُ اللَّهُ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا وَوَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَصِدْقًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَلَّغَنِي أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا إِذَا رَأَوْا الصَّحَابَةَ الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّامَ يَقُولُونَ وَاللَّهِ لَهُؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فِيمَا بَلَّغْنَا وَصَدَّقُوا فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ خُصُوصًا الصَّحَابَةَ لَمْ يَزَلْ ذِكْرُهُمْ مُعَظَّمًا فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وَالصَّحَابِيُّ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ رَأَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَوْ سَاعَةً وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ أَجْمَعَ جَمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى أَنَّ أَصْحَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَخَوَاصُّ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَيْرُ النَّاسِ قُرْبَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.

قَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي وَالْقُرْنُ أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ مُتَقَارِبٍ اشْتَرَكُوا فِي أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ الْمَقْصُودَةِ وَيُطْلَقُ عَلَى مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ اخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِهَا مِنْ عَشْرَةِ أَغْوَامٍ إِلَى مِائَةِ وَعِشْرِينَ. وَالْمُرَادُ بِقُرْبَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحَابَةُ، وَآخِرُ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ بِلَا خِلَافٍ أَبُو الطَّفِيلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ اللَّيْثِيُّ وَكَانَ مَوْتُهُ سَنَةَ مِائَةٍ عَلَى الصَّحِيحِ، وَأَمَّا عِدَّةُ أَصْحَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لِكثْرَةِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَوَّلِ الْبَيْعَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ عَنْ مِائَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفًا.

وَأَفْضَلُهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ لِجَمَاعَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَذَهَبَ بَعْضُ السَّلَفِ إِلَى تَفْدِيمِ عَلِيٍّ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَالْجَمْهُورُ عَلَى تَفْدِيمِ عُثْمَانَ وَعَنْ مَالِكٍ الْوَقْفُ أَيْ لَا يُفْضَلُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مَنْصُورٍ الْبُغْدَادِيُّ أَصْحَابُنَا مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَهُمُ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ ثُمَّ السُّنَّةُ تَمَامُ الْعَشْرَةِ يَعْنِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَسَعْدًا وَسَعِيدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَأَبَا عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ وَهُمْ الَّذِينَ بَشَّرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ فِي أَحَادِيثَ، وَقَدْ رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي الرِّيَاضِ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلَيٍّ كَمَا افْتَرَضَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ فَمَنْ أَتَكَرَّ فَضْلَهُمْ فَلَا تُقْبَلُ مِنْهُ الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَلَا الصَّوْمُ وَلَا الْحَجُّ.

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَاجِبٌ عَلَى أُمَّتِي، وَأَخْرَجَ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَيْتَ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ إِخْوَانُكَ قَالَ لَا أَنْتُمْ أَصْحَابِي إِخْوَانِي الَّذِينَ لَمْ يَرُونِي وَصَدَّقُوا بِي وَأَحْبَبُونِي حَتَّى إِنِّي لَأَحِبُّ إِلَى أَحَدِهِمْ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا نَحْنُ إِخْوَانُكَ قَالَ لَا أَنْتُمْ أَصْحَابِي إِلَّا تُحِبُّ يَا أَبَا بَكْرٍ قَوْمًا أَحَبُّوكَ بِحُبِّي إِلَيْكَ قَالَ

فَأَحَبَّهُمْ مَا أَحَبُّوكَ بِحُبِّي إِيَّاكَ فَمَحَبَّتُهُ مِنْ أَحَبِّهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَالِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَامَةً عَلَى مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَنَّ مَحَبَّتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَامَةً عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَذَلِكَ عَدَاوَةُ مَنْ عَادَاهُمْ وَبُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبُّهُمْ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَحَبَّ مَنْ يُحِبُّهُ وَأَبْغَضَ مَنْ يُبْغِضُهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] فَحُبُّ آلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَزْوَاجِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْمُتَعَيِّنَاتِ وَبُغْضُهُمْ مِنَ الْمَوْجِبَاتِ الْمُهْلِكَاتِ.

وَمِنْ مَحَبَّتِهِمْ وَجُوبُ تَوْقِيرِهِمْ وَبِرِّهِمْ وَالْقِيَامُ بِحُقُوقِهِمْ وَالْإِفْتِدَاءُ بِهِمْ بِأَنْ يَمْشِيَ عَلَى سَنِينِهِمْ وَأَدَابِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَالْعَمَلُ بِأَقْوَالِهِمْ مِمَّا لَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهِ مَجَالٌ وَحُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يُذَكِّرُوا بِأَوْصَافِهِمْ الْجَمِيلَةِ عَلَى قَصْدِ التَّعْظِيمِ فَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ وَمَنْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ فَهُوَ وَاجِبُ الثَّنَاءِ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامَ وَلِيُّ الدِّينِ الْعِرَاقِيُّ مَنْ اعْتَرَفَ بِأَنْ أَفْضَلَ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ لِكُنْهَ أَحَبُّ عَلَيْنَا أَكْثَرُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ مَثَلًا فَإِنْ كَانَتْ الْمَحَبَّةُ الْمَذْكُورَةُ مَحَبَّةً دِينِيَّةً فَلَا مَعْنَى لِدَلِكِ إِذِ الْمَحَبَّةُ لَا زِمَةَ لِلْأَفْضَلِيَّةِ وَهَذَا لَمْ يَعْتَرَفْ بِالْأَفْضَلِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا بِلِسَانِهِ وَأَمَّا بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُفَضَّلٌ لِعَلِيٍّ لِكُونِهِ أَحَبُّهُ مَحَبَّةً دِينِيَّةً زَائِدَةً عَلَى مَحَبَّةِ أَبِي بَكْرٍ وَهَذَا لَا يَجُوزُ وَإِنْ كَانَتْ الْمَحَبَّةُ الْمَذْكُورَةُ مَحَبَّةً دُنْيَوِيَّةً لِكُونِهِ مِنْ دُرِّيَّةِ عَلِيٍّ أَوْ لِعَبْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي فَلَا امْتِنَاعَ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ لَمْ يُؤْمِنْ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يُوقِرْ أَصْحَابَهُ وَلَمْ يُعِزْ أَوَامِرَهُ، وَمِمَّا يَجِبُ أَيْضًا الْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ أَيْ وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْأَخْتِلَافِ وَالْإِضْرَابِ عَنِ اخْتِبَارِ الْمُؤَرِّخِينَ وَجَهْلَةِ الرُّوَاةِ وَضَلَالِ الشَّيْعَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ الْقَادِحَةِ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا وَأَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ فِيمَا نُقِلَ مِنْ ذَلِكَ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفِتَنِ أَحْسَنُ التَّأْوِيلَاتِ وَيُخْرَجَ لَهُمْ أَصُوبُ الْمَخَارِجِ إِذْ هُمْ أَهْلُ ذَلِكَ كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ فِي مَنَاقِبِهِمْ وَمَعْدُودٌ مِنْ مَائِهِمْ مِمَّا يَطُولُ إِبْرَادُ بَعْضِهِ وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْمُنَازَعَاتِ وَالْمُحَارِبَاتِ فَلَهُ مَحَابِلُ وَتَأْوِيلَاتٌ فَسَبُّهُمْ وَالطُّغْنُ فِيهِمْ إِذَا كَانَ مِمَّا يُخَالِفُ الْأَدِلَّةَ الْقَطْعِيَّةَ كَقَوْلِهِ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَإِلَّا فَبِدْعَةٌ وَفُسُوقٌ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ احْفَظُونِي فِي أَخْتَانِي وَأَصْهَارِي وَأَصْحَابِي لَا يُطَالِبَنَّكُمُ اللَّهُ بِمَظْلِمَةٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِمَّا رَهَبَ رَوَاهُ الْخَلِيعِيُّ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي مَنْ أَحَبَّهُمْ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنِي وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يُؤَاخِذَهُ رَوَاهُ الْمُخَلَّصُ الدَّهَبِيُّ وَهَذَا الْحَدِيثُ خُرَجَ مَخْرَجَ الْوَصِيَّةِ بِأَصْحَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طَرِيقِ التَّكْيِيدِ وَالتَّرْغِيبِ فِي حُبِّهِمْ وَالتَّزْهِيبِ عَنْ بُغْضِهِمْ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ حُبَّهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ بُغْضُهُمْ بُغْضًا لَهُ كَانَ كُفْرًا بِلَا نِزَاعٍ لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ قُرْبِهِمْ مِنْهُ بِتَنْزِيلِهِمْ مَنْزِلَةَ نَفْسِهِ حَتَّى كَانَ آذَاهُمْ وَاقِعٌ عَلَيْهِ وَوَاصِلٌ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفِي الْحَدِيثِ مَنْ سَبَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي فَاجْلِدُوهُ.

المقصد الثامن

فِي طِبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَوِي الْأَمْرَاضِ وَالْعَاهَاتِ وَتَعْبِيرِهِ
الرُّؤْيَا وَإِنْبَائِهِ بِالْأَنْبَاءِ الْمُعْتَبَرَاتِ

اعْلَمْ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَى الْإِحَاطَةِ بِنُقْطَةِ مَنْ بِحَارِ مَعَارِفِهِ أَوْ قَطْرَةٍ مِمَّا أَفَاضَهُ اللَّهُ
تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ سَحَابِ عَوَارِفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مَا مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ وَخَصَّصَهُ بِهِ مِنْ بَدَائِعِ الْحَكَمِ وَحُسْنِ سَبِيلِهِ وَحَكَمِ حَدِيثِهِ وَإِنْبَائِهِ بِأَنْبَاءِ الْقُرُونِ
السَّالِفَةِ وَالْأُمَمِ الْبَائِدَةِ وَالشَّرَائِعِ الدَّائِرَةِ كَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ قَوْمِهِمْ وَخَبَرِ مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ
وَيُوسُفَ مَعَ إِخْوَتِهِ وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَذِي الْقُرْنَيْنِ وَبَدِئِ الْخَلْقِ وَأَخْبَارِ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَمَا فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزُّبُورِ وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَإِظْهَارِ أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمْرِهِمْ وَأَسْرَارِ
عُلُومِهِمْ وَإِعْلَامِهِ بِمَكْتُومِ شَرَائِعِهِمْ وَمُضْمَنَاتِ كُتُبِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا صَدَّقَهُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ بِهَا
وَلَمْ يَفِدِرُوا عَلَى تَكْذِيبِ مَا ذَكَرَ مِنْهَا فَضْلاً عَمَّا أَفَاضَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَمَحَاسِنِ الْأَدَبِ وَالشَّيْمِ
وَالْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ وَالتَّثْبِيهِ عَلَى طُرُقِ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّاتِ وَالرَّدِّ عَلَى فِرْقِ الْأُمَمِ بِبَرَاهِينِ الْأَدِلَّةِ
الْوَاضِحَاتِ وَالْإِشَارَةِ إِلَى فُتُونِ الْعُلُومِ الَّتِي اتَّخَذَ أَهْلُهَا كَلَامَهُ فِيهَا قُدُورَةَ كَعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ
وَقَوَانِينِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَالسِّيَاسَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَمَعَارِفِ عَوَارِفِ الْحَقَائِقِ الْقَلْبِيَّةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ ضُرُوبِ الْعُلُومِ وَفُتُونِ الْمَعَارِفِ الشَّامِلَةِ لِمَصَالِحِ أُمِّيهِ كَالطَّبِّ وَعَبَرِ الرُّؤْيَا وَالْحِسَابِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ مِمَّا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحَدُّ قَضِيَّتْ بِأَنَّ مَجَالَ هَذَا الْبَابِ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُمْتَدُّ
تَنْقُطُحُ دُونَ نَفَادِهِ الْأَدِلَاءُ وَأَنَّ بَحَرَ عِلْمِهِ . وَمَعَارِفِهِ زَاخِرٌ لَا تُكْدَرُهُ الدَّلَاءُ وَأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَحِيلُ
أَنْ يَكُونَ مِنْ بَشَرٍ دُونَ أَنْ يَكُونَ اسْتِمْدَادُهُ مِنْ بَحَارِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَمَوَاهِبِهَا اللَّذْنِيَّةِ وَهَذَا
الْمَقْصِدُ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ فُصُولٍ .

الفصل الأول

فِي طِبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَوِي الْأَمْرَاضِ وَالْعَاهَاتِ

اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعُودُ مَنْ مَرَضَ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى إِنَّهُ

لَقَدْ عَادَ غُلَامًا كَانَ يَخْدُمُهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَعَادَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ وَهُوَ مُشْرِكٌ وَعَرَضَ عَلَيْهِمَا
الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ الْأَوَّلُ وَكَانَ يَهُودِيًّا.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْنُو مِنَ الْمَرِيضِ وَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَيَسْأَلُ عَنْ حَالِهِ
وَيَقُولُ كَيْفَ تَجِدُكَ، وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَعُودُنِي وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مَاشِيَانِ فَوَجَدَانِي أَعْمَى عَلَيَّ فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ فَأَقْفُتُ فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ، وَلَمْ يَكُنْ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخُصُّ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَلَا وَقْتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ فَتَرَكَ
الْعِيَادَةَ يَوْمَ السَّبْتِ مُخَالِفًا لِلْسُّنَّةِ ابْتِدَاعَهُ يَهُودِيٍّ طَبِيبٌ وَيَتَّبِعِي اجْتِنَابَ التَّطْيِيبِ بِأَعْدَاءِ الدِّينِ
مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَحْوِهِ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ كَبِيرًا فِي دِينِهِ أَوْ عِلْمِهِ.

وَمِمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَأْمُرُ بِهِ تَطْيِيبُ نَفْسِ الْمَرَضَى وَتَقْوِيَةُ قُلُوبِهِمْ
فَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى
الْمَرِيضِ فَتَنَفَّسُوا فِي أَجْلِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَيِّبُ نَفْسَهُ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ نَوْعٌ شَرِيفٌ مِنْ أَنْوَاعِ
الْعِلَاجِ وَهُوَ الْإِزْشَادُ إِلَى مَا يُطَيِّبُ نَفْسَ الْعَلِيلِ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي تَقْوَى بِهِ الطَّبِيعَةُ وَتَنْتَعِشُ بِهِ
النُّفُوسُ وَفِي تَفْرِيحِ نَفْسِ الْمَرِيضِ وَتَطْيِيبِ قَلْبِهِ وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِ تَأْيِيدٌ عَجِيبٌ فِي شِفَاءِ
عِلَّتِهِ وَخَفَّتِهَا، قَالَ فِي الْهَذْيِ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ الْمَرِيضَ عَنْ شَكْوَاهُ وَكَيْفَ
يَجِدُ وَعَمَّا يَشْتَهِيهِ فَإِنْ اشْتَهَى شَيْئًا وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَضُرُّهُ أَمَرَ لَهُ بِهِ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى جَنْبَيْهِ وَرُبَّمَا
وَضَعَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ وَيَذْعُو لَهُ وَيَصِفُّ لَهُ مَا يَنْفَعُهُ فِي عِلَّتِهِ وَرُبَّمَا تَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَى الْمَرِيضِ
مِنْ وَضُوءِهِ وَرُبَّمَا كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَرُبَّمَا كَانَ يَقُولُ
كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَادَ مَرِيضًا يَضَعُ
يَدَهُ عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَأْلُمُ ثُمَّ يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَامَ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَلَى جَنْبَيْهِ فَيَسْأَلُهُ
كَيْفَ هُوَ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ كَيْفَ أَصْبَحْتَ وَكَيْفَ أَمْسَيْتَ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ دَاءٌ إِلَّا وَأُنْزِلَ لَهُ شِفَاءٌ رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَرَوَى أَصْحَابُ السُّنَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدَاوُوا يَا عِبَادَ
اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا وَهُوَ الْهَرَمُ وَفِي لَفْظٍ إِلَّا السَّامَ وَهُوَ
الْمَوْتُ يَعْنِي إِلَّا دَاءَ الْمَوْتِ أَيِ الْمَرَضِ الَّذِي قُدِّرَ عَلَى صَاحِبِهِ الْمَوْتُ فِيهِ. وَعَنْ أَبِي

الدُّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَتَدَاوُوا وَلَا تَدَاوُوا بِحَرَامٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَفِي الْبُخَارِيِّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ فَلَا يَجُوزُ التَّدَاوِي بِالْحَرَامِ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أَصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْإِشَارَةُ إِلَى إِبْطَاتِ الْأَسْبَابِ وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَتَأْفِي التَّوَكُّلُ كَمَا لَا يَتَأْفِيهِ دَفْعُ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَكَذَلِكَ تَجُتَبُّ الْمُهِلِكَاتِ وَالِدُّعَاءُ بِطَلَبِ الشِّفَاءِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَوَرَدَ فِي خَبَرِ إِسْرَائِيلِيٍّ أَنَّ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ يَا رَبِّ مِمَّنِ الدَّاءُ قَالَ مِمَّنِي قَالَ فَمِمَّنِ الدَّوَاءُ قَالَ مِمَّنِي قَالَ فَمَا بَالُ الطَّيِّبِ قَالَ رَجُلٌ أُرْسِلَ الدَّوَاءُ عَلَى يَدَيْهِ.

وَأَيْنَ يَقَعُ طِبُّ حُدَاقِ الْأَطِبَّاءِ الَّذِي غَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُودًا مِنْ قِيَاسٍ وَحَدْسٍ وَتَجَرِبَةٍ مِنَ الْوَحْيِ الَّذِي يُوحِيهِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يَنْفَعُ وَيَضُرُّ فَيَنْسَبُهُ مَا عِنْدَ حُدَاقِ الْأَطِبَّاءِ مِنَ الطَّبِّ إِلَى هَذَا الْوَحْيِ كَنِسْبَةِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ هُنَا مِنَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَشْفِي مِنَ الْأَمْرَاضِ مَا لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا عَقُولُ أَكْبَارِ الْأَطِبَّاءِ وَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهَا عُلُومُهُمْ وَتَجَرِبَتُهُمْ وَأَقْبَسَتُهُمْ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ وَقُوَّةِ الْقَلْبِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِنْكَسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالْاسْتِغْفَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ وَالتَّفَرُّجِ عَنِ الْمَكْرُوبِ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ قَدْ جَرَّبَتْهَا الْأُمَمُ عَلَى اخْتِلَافِ أَذْيَانِهَا وَمِلَلِهَا فَوَجَدُوا لَهَا مِنَ التَّأْثِيرِ فِي الشِّفَاءِ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ عِلْمُ أَعْلَمِ الْأَطِبَّاءِ.

قَالَ فِي الْأَضْلِ وَقَدْ جَرَّبْتُ ذَلِكَ وَاللَّهِ مَرَّاتٍ فَوَجَدْتُهُ يَفْعَلُ مَا لَمْ تَفْعَلْهُ الْأَدْوِيَةُ الْحِسِّيَّةُ وَلَا زَيْبُ أَنَّ طِبَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَبَيِّنُ الْبَرِّ لِمُصْدَرِهِ عَنِ الْوَحْيِ وَمِشْكَاتِ النُّبُوَّةِ وَطِبُّ غَيْرِهِ أَكْثَرُهُ حَدْسٌ وَتَجَرِبَةٌ وَقَدْ يَتَخَلَّفُ الشِّفَاءُ عَنْ بَعْضِ مَنْ يَسْتَعْمِلُ طِبَّ النُّبُوَّةِ وَذَلِكَ لِمَنْعِ قَامٍ بِالْمُسْتَعْمِلِ مِنْ ضَعْفِ اعْتِقَادِ الشِّفَاءِ بِهِ وَتَلَقُّيهِ بِالْقَبُولِ وَأَظْهَرُ الْأَمْثَلَةِ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنُ الَّذِي هُوَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ لَا يَحْصُلُ لِبَعْضِ النَّاسِ شِفَاءُ صَدْرِهِ بِهِ لِقُصُورِهِ فِي الْأَعْتِقَادِ وَالتَّلَقِّيِ بِالْقَبُولِ بَلْ لَا يَزِيدُ الْمُنَافِقُ إِلَّا رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِ وَمَرَضًا إِلَى مَرَضِهِ فَطِبُّ النُّبُوَّةِ لَا يَنْاسِبُ إِلَّا الْأَبْدَانِ الطَّيِّبَةَ كَمَا أَنَّ شِفَاءَ الْقُرْآنِ لَا يَنْاسِبُ إِلَّا الْأَرْوَاحَ الطَّيِّبَةَ وَالْقُلُوبَ الْحَيَّةَ فَاِعْرَاضُ النَّاسِ عَنْ طِبِّ النُّبُوَّةِ كَاِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْأَسْتِشْفَاءِ بِالْقُرْآنِ الَّذِي

هُوَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَكَانَ عِلَاجُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمَرَضَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: أَحَدُهَا: بِالْأَدْوِيَةِ الْإِلَهِيَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ وَالثَّانِي: بِالْأَدْوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالثَّالِثُ: بِالْمَرْكَبِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ.

النوع الأول

فِي طِبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَدْوِيَةِ الْإِلَهِيَّةِ

اغْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ شِفَاءً قَطُّ أَعْمَ وَلَا أَنْفَعَ وَلَا أَعْظَمَ وَلَا أَنْجَعَ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ لِلدَّاءِ شِفَاءٌ وَلِصَدْرِ الْقُلُوبِ جِلَاءٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] وَمِنَ الْجِنْسِ لَا لِلتَّبْعِيضِ فَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ كَالْأَغْتِقَادَاتِ الْبَاطِلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ وَشِفَاءٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْجِسْمَانِيَّةِ لِأَنَّ التَّبَرُّكَ بِقِرَاءَتِهِ يَنْفَعُ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْرَاضِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ فَلَا شِفَاءَ لَهُ.

وَقِيلَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ وَلَدَهُ مَرِضًا شَدِيدًا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ قَالَ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا بَوْلَدِي فَقَالَ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ آيَاتِ الشِّفَاءِ فَأَنْتَبَهْتُ فَأَفْكَرْتُ فِيهَا فَإِذَا هِيَ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤] ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] قَالَ فَكَتَبْتُهَا ثُمَّ حَلَلْتُهَا بِالْمَاءِ وَسَقَيْتُهُ إِيَّاهَا فَكَأَلْتُهَا نُشِطٌ مِنْ عِقَالٍ. قَوْلُهُ نُشِطٌ أَيْ حُلٌّ وَالْعِقَالُ الْحَبْلُ الَّذِي يُعْقَلُ بِهِ الْبَعِيرُ.

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَعْضِ أَدْعِيَّتِهِ وَأَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِبْعَ قَلْبِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَشِفَاءَ صَدْرِي. وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ رِضَى اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ الدَّوَا الْفُرْقَانَ، وَهَذَا أَمْرٌ يَتَّبَعِي أَنْ يَتَّقَطَرَ لَهُ نَبَّةٌ عَلَيْهِ ابْنُ الْقَيْمِ وَهُوَ أَنَّ الْآيَاتِ وَالْأَذْكَارَ وَالْأَدْعِيَّةَ الَّتِي يُسْتَشْفَى بِهَا وَيُزَقَّى بِهَا هِيَ فِي نَفْسِهَا نَافِعَةٌ شَافِيَةٌ وَلَكِنْ تَسْتَدْعِي قَرَأَةَ الْحُلِّ وَقُوَّةَ الْعَافِلِ وَتَأْثِيرِهِ فَمَتَى تَخَلَّفَ الشِّفَاءُ كَانَ لِضَعْفِ تَأْثِيرِ الْعَافِلِ أَوْ لِعَدَمِ قَرَأَةِ الْحُلِّ الْمُتَقَعِّلِ أَوْ لِمَانِعٍ قَوِيٍّ فِيهِ يَمْنَعُ أَنْ يَنْجَعَ فِيهِ الدَّوَاءُ كَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَدْوِيَةِ وَالْأَنْدَاءِ الْحَبِيبَةِ.

وَمِنْ أُنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ الدُّعَاءُ وَهُوَ عَدُوُّ الْبَلَاءِ يُدَافِعُهُ وَيُعَالِجُهُ وَيَمْنَعُ نَزْوَلَهُ وَيَرْفَعُهُ أَوْ يُخَفِّقُهُ إِذَا نَزَلَ وَهُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ وَإِذَا جُمِعَ مَعَ الدُّعَاءِ حُضُورُ الْقَلْبِ وَصَادَفَ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ كَثُلَتْ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ مَعَ الْخُضُوعِ وَالْانْكِسَارِ وَالذُّلِّ وَاسْتِغْبَالِ الْقِبْلَةِ وَالطَّهَارَةِ وَرَفْعِ الْيَدَيْنِ وَالْبَدَاءَةِ بِالْحَمْدِ وَالْتِّئَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ وَالْحَجِّ فِي الْمَسْأَلَةِ وَأَكْثَرَ التَّمَلُّقِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوَسُّلِ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوَجُّعِهِ إِلَيْهِ بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ لَا يَكَادُ يُرَدُّ أَبَدًا لَا سِيَّمَا إِنْ دَعَا بِالْأَدْعِيَةِ الَّتِي أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا مِظَنَّةُ الْإِجَابَةِ أَوْ أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلْأَسْمِ الْأَعْظَمِ.

وَأَمَّا الرُّقَى فَأَعْلَمُ أَنَّ الرُّقَى بِالْمَعْوَذَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الطَّبُّ الرُّوحَانِيُّ فَقِي الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمَعْوَذَاتِ وَهِيَ الْفَلَقُ وَالنَّاسُ وَالْإِخْلَاصُ، وَمِنْ الطَّبِّ الرُّوحَانِيِّ كُلُّ مَا وَرَدَ مِنَ التَّغْوِيدِ فِي الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧] وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ الرُّقَى عِنْدَ اجْتِمَاعِ ثَلَاثَةِ شُرُوطٍ أَنْ تَكُونَ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَبِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَوْ بِمَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ مِنْ غَيْرِهِ وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الرُّقِيَّةَ لَا تُؤَثِّرُ بِذَاتِهَا بَلْ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ فَقَالَ اغْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ. وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رُقَى فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقِيَّةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ الْعَقْرِبِ قَالَ اغْرِضُوا عَلَيَّ قَالَ فَعَرَضُوا عَلَيْهِ قَالَ مَا أَرَى بِأَسَا مِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعُهُ. وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَخَصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرُّقَى مِنَ الْعَيْنِ وَالْحَمَةِ وَالتَّمَلَّةِ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ وَالْأَذْنِ أَيْ وَجَعِهَا وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَنَسٍ وَالدِّم. (رُقِيَّةٌ الَّتِي يُصَابُ بِالْعَيْنِ) رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدْرِ لَسَبَقْتُهُ الْعَيْنُ أَيْ الْإِصَابَةُ بِالْعَيْنِ شَيْءٌ ثَابِتٌ مُجُودٌ وَالتَّأْيِيرُ إِذَا مَا هُوَ بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَلْقِهِ.

وَالْعِلَاجُ النَّبَوِيُّ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ الْإِكْثَارُ مِنْ قِرَاءَةِ الْمَعْوَذَتَيْنِ وَالْفَاتِحَةِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ

وَالْتَعَوَّذَاتِ التَّبَوُّيَّةِ نَحْوُ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّامَةِ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ
أَيُّ مُصِيبَةٍ بِسُوءٍ وَنَحْوُ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّامَةِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا
خَلَقَ وَذَرَّ أَوْ بَرًّا وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ فِيهَا وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي
الْأَرْضِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا
طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ. وَإِذَا كَانَ يَخْشَى ضَرَرَ عَيْنِهِ وَإِصَابَتَهَا لِلْمَعِينِ فَلْيَذْفَعْ شَرَّهَا بِقَوْلِهِ
اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَيْهِ وَمِمَّا يُدْفَعُ بِهِ إِصَابَةُ الْعَيْنِ قَوْلُ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَمِنْهَا رُقِيَّةُ
جَبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِسْمِ اللَّهِ أَزِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ
شَرِّ كُلِّ ذِي نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِسْمِ اللَّهِ أَزِيكَ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتَّسَائِي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ أَبَاهُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَاءٍ حَتَّى إِذَا كَانَ بِشِغْبِ الْخَرَارِ مِنَ الْجُحْفَةِ
اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَكَانَ أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجِلْدِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ فَقَالَ مَا
رَأَيْتُ كَالنِّيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُحَبَّاءٍ فَلَبِطَ سَهْلٌ أَيُّ صُرْعٍ وَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هَلْ تَتَّبِعُونِ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ فَذَعَا عَامِرًا فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ فَقَالَ
عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ هَلَا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَكْتَ ثُمَّ قَالَ اغْتَسِلْ لَهُ فَعَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ
وَمِرْقَتَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ ثُمَّ صَبَّ ذَلِكَ الْمَاءَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ
خَلْفِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ ثُمَّ كَفَّيَّ الْقَدَحَ فَقَعَلَ ذَلِكَ قَرَّاحَ سَهْلٍ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ قَالَ
الْقَاضِي عِيَّاضُ وَالْمُرَادُ بِدَاخِلَةِ الْإِزَارِ مَا يَلِي جَسَدَهُ مِنَ الْإِزَارِ، (ذِكْرُ رُقِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي كَانَ يَزِي بِهَا لَا فِي دَاءٍ بَعِيْنِهِ) عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَتَابَتْ عَلَى
أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ تَابَتْ يَا أَبَا حَمْرَةَ اسْتَكْنَيْتُ فَقَالَ أَنْسُ أَزِيكَ بِرُقِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَلَى قَالَ قُلِ اللَّهُمَّ رَبِّ النَّاسِ مُذْهِبِ الْبَاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شَافِيَ إِلَّا
أَنْتَ شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَمَعْنَى لَا يُعَادِرُ لَا يَنْزُكُ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ أَنَّهُ شَكَى إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ
وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ. (ذِكْرُ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَرْعِ وَالْأَرْقِ الْمَانِعِ مِنَ
النُّومِ) عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ شَكََا خَالِدٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا

اللَّيْلَ مِنَ الْأَرْقِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلِ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ
السَّنْبَعِ وَمَا أَظْلَلْتُ وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّنْبَعِ وَمَا أَقْلَلْتُ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ كُنْ لِي جَارًا
مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ يَنْبَغِي عَلَيَّ عَزَّ جَارُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ
وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ رَوَاهُ الثَّرَمِذِيُّ، (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَزَنِ الْمَصِيبَةِ بِبَرْدِ الرَّجُوعِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى) رَوَى مُسْلِمٌ وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ أَحَدٍ تُصِيبُهُ
مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا
أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، (ذَكَرَ طَبِيبُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ دَاءِ الْهَمِّ
وَالْكَرْبِ بِدَوَاءِ التَّوَجُّهِ إِلَى الرَّبِّ) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّنْبَعِ وَرَبُّ الْأَرْضِينَ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ.

وَرَوَى الثَّرَمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَهَمَّهُ أَمْرٌ
رَفَعَ طَرَفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَإِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ قَالَ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ
وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ قَالَ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِكَ
أَسْتَعِيْثُ. وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحِّمْتَنِي أَزْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ
لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا أَصَابَ عَبْدًا هَمٌّ وَلَا حُزْنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ
نَاصِيَّتِي بَيْنَكَ مَاضٍ فِي حُكْمِكَ عَذْلٌ فِي قَضَائِكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ
أَوْ أُنْزِلَتْهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلِمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتُ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ
الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَدَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ
وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ قَرَحًا.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ فَقَالَ يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ
فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ فَقَالَ هُمُومٌ لَزِمْتَنِي وَدُبُونُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَفَلَا أَعْلَمُكَ
كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ ذَنْبَكَ قَالَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ
قَالَ قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ

وَالْكَسَلَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ قَالَ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دِينِي .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَثَبَّتْ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّهَا كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ وَفِي التِّرْمِذِيِّ أَنَّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ . وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا كَرَبَنِي أَمْرٌ إِلَّا تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ فَقَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ قُلْ تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا . وَفِي كِتَابِ ابْنِ السُّنِّيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ الْكَرْبِ أَغَاثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَفِيهِ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كَلِمَةً أَخِي يُوسُفُ ﴿فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

وَرَوَى الدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ يَغْنِي الصَّادِقَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ وَاخْفُفْنِي بِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يَرَامُ وَارْحَمْنِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ فَلَا أَهْلِكَ وَأَنْتَ رَجَائِي فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ قُلْ لَكَ بِهَا شُكْرِي وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بِهَا قُلْ لَكَ بِهَا صَبْرِي فَيَا مَنْ قُلْ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي فَلَمْ يَخْرِمْنِي وَيَا مَنْ قُلْ عِنْدَ بَلِيَّتِهِ صَبْرِي فَلَمْ يَخْذِلْنِي وَيَا مَنْ رَأَيْتَنِي عَلَى الْخَطَايَا فَلَمْ يَفْضَحْنِي يَا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا يَنْقُضِي أَبَدًا وَيَا ذَا النُّعْمَةِ الَّتِي لَا تُحْصَى عَدَدًا أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَبِكَ أَذْرَأُ فِي نُحُورِ الْأَعْدَاءِ وَالْجَبَّارِينَ اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى دِينِي بِالدُّنْيَا وَعَلَى آخِرَتِي بِالثَّقْوَى وَاحْفَظْنِي فِيمَا غِبْتُ عَنْهُ وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فِيمَا حَضَرْتُهُ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ وَلَا يَنْفُضُهُ الْعَفْوُ هَبْ لِي مَا لَا يَنْفُصُكَ وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ أَسْأَلُكَ فَرَجًا قَرِيبًا وَصَبْرًا جَمِيلًا وَرِزْقًا وَاسِعًا وَالْعَافِيَةَ مِنَ الْبَلَايَا وَأَسْأَلُكَ تَمَامَ الْعَافِيَةِ وَأَسْأَلُكَ دَوَامَ الْعَافِيَةِ وَأَسْأَلُكَ الشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ وَأَسْأَلُكَ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، (ذِكْرُ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَاءِ الْفَقْرِ) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الدُّنْيَا أَذْبَرَتْ عَنِّي وَتَوَلَّتْ قَالَ لَهُ فَأَيَّنَ أَنْتَ مِنْ صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ وَتَسْبِيحِ الْخَلَائِقِ وَبِهِ يُرْزَقُونَ

قُلْ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ تَأْتِيكَ الدُّنْيَا صَاحِرَةً قَوْلِي الرَّجُلُ فَمَكَتْ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَقْبَلْتُ عَلَيَّ الدُّنْيَا فَمَا أَذْرِي أَيْنَ أَضَعُهَا رَوَاهُ الْخَطِيبُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَمْ يُصِبْهُ فَقْرٌ أَبَدًا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا. وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَ لَهُ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ وَأَنْسَا مِنْ وَخْشَةِ الْقَبْرِ وَاسْتَفْتَحَ بِهِ بَابَ الْغِنَى وَاسْتَفْرَعَ بِهِ بَابَ الْجَنَّةِ ذَكَرَهُ عَبْدُ الْحَقِّ فِي كِتَابِ الطَّبِّ النَّبَوِيِّ، (ذَكَرُ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَاءِ الْحَرِيقِ).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَيْتُمُ الْحَرِيقَ فَكَبِّرُوا فَإِنَّ التَّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ وَقَدْ جَرَّبْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا هَذَا فَوَجَدْنَاهُ كَذَلِكَ قَالاَ فِي الْأَصْلِ وَقَدْ جَرَّبْتُ ذَلِكَ بِطَبِيبَةٍ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ فَوَجَدْتُ لَهُ أَثَرًا عَظِيمًا لَمْ أَجِدْهُ لِغَيْرِهِ، (ذَكَرُ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَاءِ الصَّرْعِ) كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي طَبِّ الْمَضْرُوعِ بِالْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ مِنَ الْجَنِّ اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ يَغْنِي فَيُخْرَجُ وَيَبْرَأُ الْمَضْرُوعُ. قَالَ فِي الْأَصْلِ وَقَدْ جَرَّبْتُ الْإِفْسَامَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ (الفتح: ٢٩) إِلَى آخِرِ سُورَةِ الْفَتْحِ فِي ابْنَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ صُرَعَتَا فَشَفِيتِنِي قَالَ وَمِنَ الْغَرِيبِ قِصَّةُ غَزَالِ الْحَبَشِيَّةِ خَادِمَتِنَا لَمَّا صُرِعَتْ بِدَرْبِ الْحِجَازِ الشَّرِيفِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ بَعْدَ رُجُوعِي مِنَ الزِّيَارَةِ الشَّرِيفَةِ لِقَصْدِ مِصْرَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ وَاسْتَمَرَّ بِهَا الصَّرْعُ أَيَّامًا وَاسْتَعْنَتْ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَجِيءَ إِلَيَّ بِصَارِعِهَا فِي الْمَنَامِ بِأَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَبَّخْتُهُ وَأَفْسَمَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا فَاسْتَيْقَظَتْ وَمَا بِهَا قَلْبَةٌ أَيْ وَجَعٌ.

وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعُدْ إِلَيْهَا فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَلَا زَالَتْ فِي عَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى فَارَقْتُهَا بِمَكَّةَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ، (ذَكَرُ دَوَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَاءِ السُّحْرِ) قَدْ ثَبَتَ فِي الْبَحَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُحَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ يَغْنِي مِنْ بَعْضِ أُمُورِ الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ عَائِشَةَ دَعَا وَدَعَا أَنِي كَرَّرَ الدُّعَاءَ ثُمَّ قَالَ يَا عَائِشَةُ أَشْعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ

أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي فَقَالَ أَحَدُهُمَا مَا بَالُ الرَّجُلِ قَالَ مَطْبُوبٌ أَيْ مَسْحُورٌ
قَالَ مَنْ طَبَّهُ قَالَ لَيْدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ قَالَ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفٍّ
طَلَعَ نَخْلَةً ذَكَرٍ قَالَ وَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بَثْرِ دُرَّوَانَ فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِثَاءِ وَكَأَنَّ رُؤُوسَ نَخْلِهَا رُؤُوسُ
الشَّيَاطِينِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ قَالَ قَدْ عَاقَبَانِي اللَّهُ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتُورَ عَلَى النَّاسِ
فِيهِ شَرًّا فَأَمَرَهُ بِهَا فَدَفِنْتُ . وَقَدْ سَلَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مَسَلَكِي
التَّقْوِيضِ وَتَعَاطِي الْأَسْبَابِ فَمِنِ أَوَّلِ الْأَمْرِ قَوْضٌ وَسَلَمٌ لِأَمْرِ رَبِّهِ وَاحْتِسَابُ الْآخِرِ فِي صَبْرِهِ
ثُمَّ لَمَّا تَمَادَى ذَلِكَ وَخَشِيَ مِنْ تَمَادِيهِ أَنْ يُضْعِفَهُ عَنْ عِبَادَتِهِ جَنَحَ إِلَى التَّدَاوِي فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو
عُبَيْدٍ مِنْ مُرْسَلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ اخْتَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِهِ
يَغْنِي حِينَ طُبَّ أَيْ سَجَرَ ثُمَّ جَنَحَ إِلَى الدُّعَاءِ وَكُلُّ مِنَ الْمُقَلَّمِينَ غَايَةً فِي الْكِمَالِ . (ذِكْرُ رُقِيَّةٍ
تَنْفَعُ لِكُلِّ شَكْوَى).

عَنْ أَبِي الدُّرْدَاءِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ اشْتَكَى مِنْكُمْ
شَيْئًا فَلْيَقُلْ رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا رَحِمْتَكَ
فِي السَّمَاءِ فَاجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ وَاغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ
رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الرَّجْعِ فَيَنْبِرُ بِإِذْنِ اللَّهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَالْحُوبُ
الدُّثْبُ الْعَظِيمُ . وَقَدْ وَصَفَ هَذِهِ الرُّقِيَّةَ أَبُو الدُّرْدَاءِ لِعُسْرِ الْبَوْلِ كَمَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ ، (رُقِيَّتُهُ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الصَّدَاحِ) رَوَى الْحَمِيدِيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الصَّدَاحِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الْكَبِيرِ
وَأَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنْ شَرِّ كُلِّ عِزْقٍ نَعَارٍ وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ .

وَالنُّعَارُ الَّذِي فَازَ مِنْهُ الدَّمُ أَوْ صَوْتُ لِحُزْجِ الدَّمِ . وَأَصَابَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا وَزَمَ فِي رَأْسِهَا قَوْضَعُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ فَوْقِ
الْثِيَابِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ أَذْهَبَ عَنْهَا سُوءُهُ وَفُحْشَتُهُ بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْمَكِينِ عِنْدَكَ
بِسْمِ اللَّهِ صَنَعَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَأَمَرَهَا أَنْ تَقُولَ ذَلِكَ فَقَالَتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَذَهَبَ الزَّرَمُ رَوَاهُ
الْبَيْهَقِيُّ . (رُقِيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَجَعِ الضَّرْسِ) رَوَى قَوْضَعُ الْبَيْهَقِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
رَوَاحَةَ شَكَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَ ضَرْسِهِ فَوَضَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ
عَلَى خَدِّهِ الَّذِي فِيهِ الْوَجَعُ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنْهُ سُوءَ مَا يَجِدُ وَفُحْشَتُهُ بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ الْمَكِينِ
الْمُبَارَكِ عِنْدَكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَشَفَاهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَبْرَحَ .

وَرَوَى الْحَمِيدِيُّ أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو مَا تَلْقَى مِنْ ضَرَبَانِ الضُّرْسِ فَأَدْخَلَ سَبَابَتَهُ الْيَمْنَى فَوَضَعَهَا عَلَى السِّنِّ الَّذِي تَأَلَّمَ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ أَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِنْ مَرِئَمَ لَمْ تَلِدْ غَيْرَ عِيسَى مِنْ رُوحِكَ وَكَلِمَتِكَ أَنْ تَكْشِفَ مَا تَلْقَى فَاطِمَةُ بِنْتُ خَدِيجَةَ مِنَ الضُّرِّ كُلِّهِ فَسَكَنَ مَا بِهَا. (رُقِيَّةُ الْحُمَى) عَنْ أَنَسٍ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ مُوَعَّكَةٌ وَهِيَ تَسُبُّ الْحُمَى فَقَالَ لَا تَسُبِّهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتِيهِنَّ أَذْهَبَهَا اللَّهُ عَنْكَ قَالَتْ فَعَلَّمْنِي قَالَ قُولِي اللَّهُمَّ ارْحَمْ جُلْدِي الرَّقِيقَ وَعَظْمِي الدَّقِيقَ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِيقِ يَا أُمَّ مِلْدَمٍ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فَلَا تَصْدَعِي الرَّأْسَ وَلَا تُنْيِبِي الْقَمَّ وَلَا تَأْكُلِي اللَّحْمَ وَلَا تَشْرَبِي الدَّمَ وَتَحْوِلِي عَنِّي إِلَى مَنْ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قَالَ فَقَالَتْهَا فَذَهَبَتْ عَنْهَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةُ فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، (ذَكَرَ مَا بَقِيَ مِنْ كُلِّ بَأْسٍ) عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حِينَ يُمَسِّي لَمْ تُصِبْهُ فُجَاءَةٌ بَلَاءٌ حَتَّى يُضْبِحَ وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُضْبِحُ لَمْ تُصِبْهُ فُجَاءَةٌ بَلَاءٌ حَتَّى يُمَسِّي قَالَ فَأَصَابَ أَبَانَ بْنُ عُثْمَانَ الْفَالِجُ فَجَعَلَ الَّذِي يَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ قَوْلَ اللَّهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنْ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ فَتَسْبِيْتُ أَنْ أَقُولَهَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، (ذَكَرَ مَا يُسْتَجْلَبُ بِهِ الْمُعَافَاةُ مِنْ سَبْعِينَ بَلَاءً).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ عَشْرَ مَرَّاتٍ بَرِيءٌ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ وَعُوفِي مِنْ سَبْعِينَ بَلَاءً مِنْ بَلَايَا الدُّنْيَا مِثْلَهَا الْجُنُونُ وَالْجَذَامُ وَالْبَرَصُ وَالرَّيْحُ، (ذَكَرَ دَوَاءَ دَاءِ الطَّعَامِ).

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مَنْ قَالَ حِينَ يُوضَعُ الطَّعَامُ بِسْمِ اللَّهِ خَيْرَ الْأَسْمَاءِ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ دَاءٌ أَجْعَلَ فِيهِ رَحْمَةً وَشِفَاءً لَمْ يَضُرَّهُ مَا كَانَ، (ذَكَرَ دَوَاءَ أُمِّ الصَّبْيَانِ) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَ فِي الْيُسْرَى لَمْ تَضُرَّهُ أُمُّ الصَّبْيَانِ رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّي. وَأُمُّ الصَّبْيَانِ هِيَ الرِّيحُ الَّتِي تَغْرُضُ لَهُمْ فَرُبَّمَا يُخْشَى عَلَيْهِمْ مِنْهَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ.

النوع الثاني

فِي طِبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَدْوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ

(ذَكَرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُعَالِجُ بِهِ الصُّدَاعَ وَالشَّقِيقَةَ) أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ رُبَّمَا أَخَذَتْهُ الشَّقِيقَةُ فَيَمْكُثُ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ لَا يَخْرُجُ. وَالشَّقِيقَةُ وَجَعٌ أَحَدِ جَانِبِي الرَّأْسِ. وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ وَارَأْسَاهُ وَأَنَّهُ خَطَبَ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ فَعَصَبَ الرَّأْسَ يَنْفَعُ فِي الشَّقِيقَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَوْجَاعِ الرَّأْسِ. وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اخْتَجَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحَرِّمٌ فِي رَأْسِهِ مِنْ شَقِيقَةٍ كَانَتْ بِهِ وَفِي رِوَايَةٍ فِي وَسْطِ رَأْسِهِ وَقَدْ قَالَ الْأَطِبَّاءُ إِنَّهَا نَافِعَةٌ جِدًّا.

وَوَرَدَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَجَمَ أَيْضًا فِي الْأَخْدَعَيْنِ وَالْكَاهِلِ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ. وَالْأَخْدَعَانِ عِرْقَانِ فِي سَالِفَتَيِ الْعُنُقِ وَالْكَاهِلُ مَا بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ. وَقَدْ قَالَ الْأَطِبَّاءُ الْحِجَامَةُ عَلَى الْأَخْدَعَيْنِ تَنْفَعُ مِنْ أَمْرَاضِ الرَّأْسِ وَالْوَجْهِ وَالْأَذُنَيْنِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالْأَسْنَانِ وَالْأَنْفِ. وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ فِي سُنَنِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صَدِغَ غُلْفَ رَأْسِهِ بِالْحِجَاءِ وَيَقُولُ إِنَّهُ نَافِعٌ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الصُّدَاعِ أَيْ إِذَا كَانَ الصُّدَاعُ مِنْ حَرَارَةِ مُلْتَهَبَةٍ وَلَمْ يَكُنْ عَنْ مَادَّةٍ يَجِبُ اسْتِفْرَاعُهَا وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ نَفَعَ فِيهِ الْحِجَاءُ نَفْعًا ظَاهِرًا. وَفِي تَارِيخِ الْبُخَارِيِّ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَكَأَ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَجَعًا فِي رَأْسِهِ إِلَّا قَالَ لَهُ اخْتَجِمِ وَلَا شَكَأَ وَجَعًا فِي رِجْلَيْهِ إِلَّا قَالَ لَهُ اخْتَضِبْ بِالْحِجَاءِ. وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ جَدِّهِ سَلَمَى رُوحَةَ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ مَا كَانَ يَكُونُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْحَةٌ وَلَا نُكْتَةٌ إِلَّا أَمَرَنِي أَنْ أَضَعَّ عَلَيْهَا الْحِجَاءَ. (ذَكَرَ طِبُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلرَّمَدِ) رَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يُعَالِجُ الرَّمَدَ بِالسُّكُونِ وَالِدَّعَةِ وَتَرْكِ الْحَرَكَةِ. وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ خُبْزٌ وَتَمْرٌ فَقَالَ اذْكُلْ وَكُلْ فَأَخَذْتُ تَمْرًا فَأَكَلْتُ فَقَالَ تَأْكُلُ تَمْرًا وَبِكَ رَمَدٌ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْضَعُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمَى عَلِيًّا مِنَ الرُّطْبِ لَمَّا أَصَابَهُ الرَّمَدُ. وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْكُمَاءُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنَيْنِ. وَالْكُمَاءُ نَبَاتٌ لَا وَرَقَ لَهُ وَلَا سَاقَ يُوجَدُ فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ يَبْذُرُ وَلَا سَفْيَ، (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعُذْرَةِ) وَهِيَ وَجَعٌ فِي الْحَلْقِ يَغْتَرِي الصُّبْيَانُ غَالِبًا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعِنْدَهَا صَبِيٌّ يَسِيلُ مَنَحْرَاهُ دَمًا فَقَالَ مَا هَذَا فَقَالُوا بِهِ الْعُذْرَةُ أَرَزَّ وَجَعٌ فِي رَأْسِهِ فَقَالَ وَنَلَكُنْ لَا تَقْتُلُنْ أَوْلَادَكَ أَيْمًا أَمْرَأَةً أَصَابَ وَلَدَهَا عُذْرَةٌ أَوْ وَجَعٌ فِي رَأْسِهِ فَلَتَأْخُذَ قُسْطًا هِنْدِيًّا فَلَتَجْلُهُ بِمَاءٍ ثُمَّ تُسْعِطُهُ إِيَّاهُ فَأَمَرَتْ عَائِشَةُ فَصْنَعَ ذَلِكَ لِلصَّبِيِّ فَبَرَأَ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدَاءِ اسْتِطْلَاقِ الْبَطْنِ) فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ وَفِي رِوَايَةٍ اسْتَطْلَقَ بَطْنَهُ فَقَالَ اسْقِهِ عَسَلًا فَسَقَاهُ فَقَالَ إِنِّي سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتَطْلَاقًا فَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ.

وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ فَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ اسْقِهِ عَسَلًا قَالَ فَأَطْلُهُ قَالَ فَسَقَاهُ فَبَرَأَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ إِنَّ حَمَلَ الْآيَةِ عَلَى عُمُومِهَا فِي الشِّفَاءِ أَوْلَى وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءِ مِنَ الْعَسَلِ وَالْقُرْآنِ، (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يُنْسِ الطَّبِيعَةَ بِمَا يُمَشِّيه وَيُلَيِّنُهُ) رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَاذَا كُنْتِ تَسْتَمِشِينَ قَالَتْ بِالشُّبْرَمِ قَالَ حَارٌّ حَارٌّ ثُمَّ قَالَتْ اسْتَمَشَيْتُ بِالسَّنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ أَنَّ شَيْئًا كَانَ فِيهِ شِفَاءٌ مِنَ الْمَوْتِ لَكَانَ فِي السَّنَا.

وَشَرِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّنَا بِالشَّمْرِ ذَكَرَهُ الْمُحَاسِبِيُّ. وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِالسَّنَا وَالسُّنُوتِ فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا السَّامُ قَالَ الْمَوْتُ. قَالُوا وَالشُّبْرَمُ قَشْرُ عِزْقِ شَجَرَةٍ وَأَمَّا السَّنَا فَهِيَ تَبْتُ حِجَازِيٍّ أَفْضَلُهُ الْمَكِّيُّ وَهُوَ دَوَاءٌ شَرِيفٌ مَأْمُونٌ الْعَائِلَةُ وَالشَّرْبَةُ مِنْهُ مِنْ أَرْبَعَةِ ذَرَاهِمَ إِلَى سَبْعَةِ ذَرَاهِمَ وَأَمَّا السُّنُوتُ فَهِيَ الْعَسَلُ الَّذِي يَكُونُ فِي زِقَاقِ السَّمَنِ فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ يَخْلَطُ السَّنَا مَذْقُوقًا بِالْعَسَلِ الْمُخَالِطِ لِلسَّمَنِ ثُمَّ يُلْعَقُ فَيَكُونُ أَصْلَحَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ مُفَرَّدًا لِمَا فِي الْعَسَلِ وَالسَّمَنِ مِنْ إِصْلَاحِ السَّنَا وَإِعَانَتِهِ عَلَى الْإِسْهَالِ. (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمَفْؤُودِ) وَهُوَ الَّذِي أُصِيبَ فُؤَادُهُ

أَنَّى قَلْبُهُ بِمَرَضٍ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ سَعْدِ قَالَ مَرَضْتُ مَرَضًا فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ تَدْيِيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا عَلَى فُؤَادِي وَقَالَ لِي إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْقُودٌ فَأَتِ الْحَارِثَ بْنَ كَلْدَةَ مِنْ ثَقِيفٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مُتَطَبِّبٌ فَلْيَأْخُذْ سِنْعَ ثَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةٍ الْمَدِينَةِ فَلْيَجَاهُنَّ بِنَوَاهِنَ ثُمَّ لِيَلِدْ بِهِنَ الْفُؤَادَ. وَمَعْنَى فَلْيَجَاهُنَّ أَيْ فَلْيَدْفَقْنَهُنَّ وَاللَّدُودُ مَا يُسْقَاهُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَحَدٍ جَانِبِي الْقَمِ أَوْ أُدْخِلَ مِنْ هُنَاكَ بِإِصْبَعٍ. (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدَاءِ ذَاتِ الْجَنْبِ) فِي الْبُخَارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدَاوُوا مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ بِالْقُسْطِ الْبَحْرِيِّ وَالزَّيْتِ وَالْمُرَادُ بِذَاتِ الْجَنْبِ هُنَا مَا يَغْرُسُ فِي نَوَاحِي الْجَنْبِ مِنْ رِيَّاحٍ غَلِيظَةٍ تُحْدِثُ وَجَعًا وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ هُوَ الْعُودُ الْهِنْدِيُّ وَذَلِكَ بِأَنَّهُ يُلْدُ بِهِ الْمَرِيضُ أَيْ يُصَبِّبُ الدَّوَاءَ فِي أَحَدِ شِقَائِهِ فَمِ، (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدَاءِ الْأَسْتِشْقَاءِ) عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ عَرَبِيَّةٍ وَعُكِّلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ أَيْ أَصَابَهُمُ الْجَوَى وَهُوَ دَاءُ الْجَوْفِ وَفِي رَوَايَةٍ مُسْلِمٍ فَعَظَمَتْ بُطُونُهُمْ فَشَكَّوْا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَشَرِبْتُمْ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَاءِ عِزْقِ الثَّسَا) وَهَذَا الْعِزْقُ مُنْتَدٍ مِنْ مَفْصِلِ الْوَرَكِ وَيَنْتَهِي إِلَى آخِرِ الْقَدَمِ وَرَاءَ الْكَعْبِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَوَاءُ عِزْقِ الثَّسَا أَلْيَةُ شَاةٍ أَغْرَابِيَّةٍ تُذَابُ ثُمَّ تُجْزَأُ ثَلَاثَةً أَجْزَاءٍ ثُمَّ يُشْرَبُ عَلَى الرِّيقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُزْءٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ. وَهَذَا الدَّوَاءُ خَاصٌّ بِالْعَرَبِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَمَنْ جَاوَزَهُمْ، (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَوْرَامِ).

يُذَكِّرُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ بِظَهْرِهِ وَرَمَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ بِهِدِهِ مِدَّةً فَقَالَ بُطُوا عَنْهُ قَالَ عَلِيٌّ فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى بُطْتُ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاهِدٌ. وَالْمِدَّةُ قَيْحٌ غَلِيظٌ. (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ الْعُرْوِقِ وَالْكَيْ) فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَى أَبِي بَنٍ كَعْبٍ طَبِيبًا فَقَطَّعَ لَهُ عِزْقًا وَكَوَاهُ عَلَيْهِ أَيْ فَصَدَهُ وَكَوَاهُ.

وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ لَمَّا رُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي أَكْحَلِهِ حَسَمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ قَطَّعَ دَمَهُ بِالْكَيْ. وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَوَى أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ مِنْ

الشُّوْكَة وَهِيَ حُمْرَةٌ تَغْلُو الْوَجْهَ . وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ الْكَيُّ فِي الْخَلِطِ الْبَاغِي الَّذِي لَا تُحْسَمُ مَادَّتُهُ إِلَّا بِهِ وَلِهَذَا وَصَفَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْهُ وَإِنَّمَا كَرِهَهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَلَمِ الشَّدِيدِ وَالْخَطَرِ الْعَظِيمِ فَالْتَّهَى عَنْهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْكَرَاهَةِ أَوْ عَلَى خِلَافِ الْأَوَّلَى قَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي وَلَمْ أَرِ فِي أَثَرِ صَحِيحٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَوَى ، (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الطَّاعُونَ فِي أَرْضِهِ وَالْخُرُوجِ مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ) قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ أَصْلُ الطَّاعُونَ الْقُرُوحُ الْخَارِجَةُ فِي الْجَسَدِ وَالْوَنَاءُ عُمُومُ الْأَمْرَاضِ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الطَّاعُونَ رَجَزُ أَرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ . (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السَّلْعَةِ) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ شُرَحْبِيلَ الْجَعْفِيِّ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَكَفِي سِلْعَةً فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَذْنَبِي تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ قَائِمِ السَّيْفِ أَنْ أَقْبِضَ عَلَيْهِ وَعِنَانِ الدَّابَّةِ فَتَنَفَّتْ فِي كَفِّي وَوَضَعَ كَفُّهُ عَلَى السَّلْعَةِ فَمَا زَالَ يَطْعَمُهَا بِكَفِّهِ حَتَّى رَفَعَهَا عَنْهَا وَمَا أَرَى أَثَرَهَا .

وَمَسَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَ أَبِيضَ بْنِ حَمَالٍ وَكَانَ بِهِ الْقُوبَاءُ فَلَمْ يُمْسِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَمِنْهَا أَثَرُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ ، (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحُمَى) رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْحُمَى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَطْفِئُوهَا بِالنَّمَاءِ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَةَ بِالنَّمَاءِ الْبَارِدِ أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَغْتِسَالَ عَلَى كَيْفِيَّةٍ مَخْصُوصَةٍ وَأَوَّلَى مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ كَيْفِيَّةُ تَبْرِيدِ الْحُمَى بِالنَّمَاءِ مَا صَنَعْتَهُ أُسَامَةُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَإِنَّهَا كَانَتْ تَرُشُ عَلَى بَدَنِ الْمَحْمُومِ شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ وَتَوْبِهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ النُّشْرَةِ الْمَأْدُونِ فِيهَا . وَجَعَلَ ابْنُ الْقَيْمِ خُطَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ خَاصًا لِأَهْلِ الْحِجَازِ وَمَا وَالَاهُ .

وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ اسْتِعْمَالُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَاءِ الْبَارِدِ فِي عِلَّتِهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ صُبُّوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكَيْتُهُنَّ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حُمَّ دَعَا بِقُرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ فَأَفْرَغَهَا عَلَى رَأْسِهِ فَأَغْتَسَلَ . وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حُمَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَنْشُرْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ مِنَ السَّحَرِ ثَلَاثَ لَيَالٍ أَخْرَجَهُ الطَّحَاوِيُّ وَغَيْرُهُ . وَالْأَوْكِيَّةُ جَمْعُ وَكَاءٍ وَهُوَ الْخَيْطُ الَّذِي يُرْبَطُ بِهِ فَمُ الْقُرْبَةِ وَالشُّنُ الصَّبُّ الْمُتَقَطُّعُ . وَأَخْرَجَ

الطَّبْرَانِيُّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُمَى رَأَيْدُ الْمَوْتِ وَهِيَ سَجُنُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَبَرِّدُوا لَهَا الْمَاءَ فِي الشَّتَاءِ وَصُبُّوهُ عَلَيْكُمْ فِيمَا بَيْنَ الْأَذَانَيْنِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ قَالَ فَفَعَلُوا فَذَهَبَ عَنْهُمْ .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ الْحُمَى وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيُطْفِئْهَا عَنْهُ بِالْمَاءِ يَسْتَنْقِعُ فِي نَهْرٍ جَارٍ وَيَسْتَقْبِلُ جَرِيَّتَهُ وَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ وَصَدِيقَ رَسُولِكَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَلْيَتَعَمَّسْ فِيهِ ثَلَاثَ عَمَّسَاتٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ لَمْ يَبْرَأْ فَخُمْسٌ وَإِلَّا فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَتِسْعٌ فَإِنَّهَا لَا تَكَادُ تَجَاوِزُ تِسْعًا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . (ذُكِرَ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَمَا يُؤَلِّدُ الْقَمَلَ) رَخَّصَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي لُبْسِ الْحَرِيرِ لِحِكْمَةٍ كَانَتْ بِهِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، (ذُكِرَ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السُّمِّ الَّذِي أَصَابَهُ بِخَيْبَرَ) قَدْ اخْتَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا عَلَى كَاهِلِهِ لِمَا أَكَلَ مِنَ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ بِخَيْبَرَ وَالْقِصَّةُ تَقَدَّمَتْ فِي غُرُوبِهَا .

النوع الثالث

فِي طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَذْوِيَةِ الْمُرَكَّبَةِ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ

(ذُكِرَ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَرْحَةِ وَالْجُرْحِ وَكُلِّ شَكْوَى) رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي الرُّقِيَّةِ بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا وَرِيقُهُ بَعْضُنَا يَشْفِي سَقِيمَنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا وَفِي رَوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ أَوْ كَانَتْ بِهِ فَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ قَالَ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَابَتَهُ بِالْأَرْضِ الْحَدِيثُ قَالَ الثَّوْرِيُّ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْ رِيقِ نَفْسِهِ عَلَى إِصْبَعِهِ السَّبَابَةِ ثُمَّ وَضَعَهَا عَلَى التُّرَابِ فَعَلِقَ بِهَا شَيْءٌ مِنْهُ ثُمَّ مَسَحَ بِهِ الْمَوْضِعَ الْعَلِيلَ أَوْ الْجُرْحَ قَائِلًا الْكَلَامَ الْمَذْكُورَ فِي حَالِ الْمَسْحِ . (ذُكِرَ طَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ لَذَعَةِ الْعَقْرَبِ) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي إِذْ سَجَدَ فَلَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ فِي إِصْبَعِهِ فَاَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَعَنَ اللَّهُ الْعَقْرَبَ مَا تَدْعُ نَبِيًّا وَلَا غَيْرَهُ ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ وَمِلْحٌ فَجَعَلَ يَضَعُ مَوْضِعَ اللَّذَعَةِ فِي الْمَاءِ وَالْمِلْحِ وَيَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوَّدَتَيْنِ حَتَّى سَكَتَتْ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ . (ذُكِرَ الطَّبُّ مِنَ الثَّمَلَةِ وَهِيَ قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الْجَنْبِ يَحْسُ صَاحِبُهَا كَأَنَّ ثَمَلَةً تَدِبُ عَلَيْهِ وَتَعْمُضُهُ) رَوَى مُسْلِمٌ

عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَخَّصَ فِي الرُّقِيَةِ مِنَ الْحَمَةِ وَالْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ تَكُونُ لِذَوَاتِ السُّمُومِ. وَرَوَى الْخَلَالُ أَنَّ الشَّفَاءَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ كَانَتْ تَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ النَّمْلَةِ فَلَمَّا هَاجَرَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ قَدْ بَايَعَتْهُ بِمَكَّةَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ النَّمْلَةِ وَأُرِيدُ أَنْ أُعْرِضَهَا عَلَيْكَ فَعَرَضْتُهَا فَقَالَتْ بِسْمِ اللَّهِ ضَلَّتْ حَتَّى تَعُودَ مِنْ أَفْوَاهِهَا وَلَا تَضُرَّ أَحَدًا اللَّهُمَّ اكْشِفِ النَّاسَ رَبِّ النَّاسِ قَالَ أَيُّ الرَّائِي تَرْقِي بِهَا عَلَى عَوْدِ سَبْعِ مَرَّاتٍ وَتَقْصِدُ مَكَانًا نَظِيفًا وَتَذْلُكُهُ عَلَى حَجَرٍ بِخَلِّ خَمْرِ حَازِقٍ وَتَطْلِيهِ عَلَى النَّمْلَةِ.

(ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبُثْرَةِ) رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَهَا عِنْدَكَ ذُرِّيَّةٌ فَقُلْتُ نَعَمْ قَدَعَا بِهَا فَوَضَعَهَا عَلَى بُثْرَةٍ بَيْنَ إِبْصَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رِجْلِهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ مُطْفِئِ الْكَبِيرِ وَمُكَبِّرِ الصَّغِيرِ أَطْفِئْهَا فَطُفِئَتْ. وَالذُّرِّيَّةُ نَوْعٌ مِنَ الطَّيْبِ. (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَرِّ النَّارِ) رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ قَالَ تَنَاوَلْتُ قِذْرًا فَأَصَابَتْ كَفِّي مِنْ مَائِهَا فَاخْتَرَقَ ظَهْرُ كَفِّي فَأَنْطَلَقْتُ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَذْهَبِ النَّاسَ رَبِّ النَّاسِ وَأَخْسِبُهُ قَالَ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي وَتَقَلَّ. (ذَكَرَ طَبِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنِينَةِ) عَنْ أُمِّ الْمُثَنِّبِ بِنْتِ قَيْسِ الْأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَهُوَ نَاقٍ مِنْ مَرَضٍ وَلَنَا دَوَالٍ مُعَلَّقَةٌ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيٌّ يَأْكُلَانِ مِنْهَا فَطَفِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِعَلِيٍّ إِنَّكَ نَاقٍ حَتَّى كَفَّ قَالَتْ وَصَنَعْتُ شَعِيرًا وَسَلَفًا فَجِئْتُ بِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ مِنْ هَذَا أَصَبَ فَإِنَّهُ أَتَفَعَّ لَكَ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ.

(ذَكَرَ جَنِينَةُ الْمَرِيضِ مِنَ الْمَاءِ) عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَخْمِي سَقِيمَةَ الْمَاءِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَرَوَى الْحَمِيدِيُّ. مَرْفُوعًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ أَقْلُوا مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ لَأَسْتَقَامَتْ أَبْدَانُهُمْ. وَلِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ شَرِبَ الْمَاءَ عَلَى الرَّيْقِ انْتَقَصَتْ قُوَّتُهُ.

(ذَكَرَ أَمْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنِينَةِ مِنَ الْمَاءِ الْمُشْمِسِ خَوْفَ الْبَرَصِ) رَوَى الشَّافِعِيُّ وَالذَّارِقُطْنِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَا تَغْتَسِلُوا بِالْمَاءِ الْمُشْمِسِ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْبَرَصَ. وَرَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ حَدِيثِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَسَلَّمَ وَأَخْرَجَهُ الْعَقِيلِي عَنْ أَنَسٍ. (ذِكْرُ الْحِمِيَّةِ مِنْ طَعَامِ الْبُخْلَاءِ) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ طَعَامُ الْبَخِيلِ دَاءٌ وَطَعَامُ الْأَسْخِيَاءِ شِفَاءٌ رَوَاهُ التَّيْسِيُّ عَنْ مَالِكٍ فِي غَيْرِ الْمُوطَأِ. (ذِكْرُ الْحِمِيَّةِ مِنَ النَّوْمِ فِي الشَّمْسِ فَإِنَّهُ يُورِثُ دَاءَ الْكَسَلِ وَيُثِيرُ الدَّاءَ الدَّفِينِ) رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي الْمَرَّاسِيلِ عَنْ يُونُسَ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ رَأَاهُ مُضْطَجِعًا فِي الشَّمْسِ قَالَ يُونُسُ فَتَنَاهَنِي وَقَالَ بَلَّغْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّهَا تُورِثُ الْكَسَلَ وَتُثِيرُ الدَّاءَ الدَّفِينِ.

(ذِكْرُ الْحِمِيَّةِ مِنَ الْجَمَاعِ مَعَ اخْتِيَاكِسِ الْبُؤْلِ فَإِنَّ مِنْهُ دَاءَ الْبَوَاسِيرِ) عَنْ الْحَسَنِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُجَامِعَنَّ أَحَدُكُمْ وَبِهِ خَفْنٌ خَلَاءً فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْهُ الْبَوَاسِيرُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَحَقَّقَ الْخَلَاءُ اخْتِيَاكِسُ الْبُؤْلِ. (ذِكْرُ حِمَايَةِ الشَّرَابِ مِنْ سُمِّ أَحَدِ جَنَاحِي الدُّبَابِ بِإِغْمَاسِ الثَّانِي) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا وَقَعَ الدُّبَابُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ فَإِنْ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءٌ وَفِي الْآخَرِ دَاءٌ. (ذِكْرُ أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِمِيَّةِ مِنَ الْوَبَاءِ النَّازِلِ فِي الْإِنَاءِ بِاللَّيْلِ بِتَغْطِيطِهِ) عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَطُّوا الْإِنَاءَ وَأَوْكِنُوا السَّقَاءَ فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ إِلَّا يَنْزِلُ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ قِيلَ وَذَلِكَ فِي آخِرِ شَهْرِ السَّنَةِ الرُّومِيَّةِ فِي كَانُونِ الْأَوَّلِ وَالْوَكَاءُ هُوَ الْخَيْطُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ قَمِ الْقُرْبَةِ.

(ذِكْرُ حِمِيَّةِ الْوَلَدِ مِنْ إِرْضَاعِ الْحَمَقَى) رَوَى أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُسْتَرْضَعَ الْحَمَقَى فَإِنَّ اللَّبْنَ يُشَبُّهُ أَيُّ يُوْرِثُ شَبَهَا بَيْنَ الرُّضِيعِ وَالْمُرْضِيعَةِ وَفِي رِوَايَةِ يُعْدِي. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّضَاعُ يُغَيِّرُ الطَّبَاعَ. وَعِنْدَ ابْنِ حَبِيبٍ مَرْفُوعًا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ اسْتِرْضَاعِ الْفَاجِرَةِ أَيْ الْفَاسِقَةِ. وَأَمَّا الْحِمِيَّةُ مِنَ الْبَرْدِ فَقَدْ أَوْرَدَ فِيهَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ اسْتَدْفِئُوا مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ. وَأَوْرَدَ الْمُسْتَعْفِرِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَفْرَحُ بِإِرْتِفَاعِ الْبَرْدِ عَنْ أُمَّتِي.

الفصل الثاني

في تغييره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّوْيَا

رَوَى الدَّارِمِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَهَا رُوجٌ

تَاجِرٌ يَخْتَلِفُ فِي التَّجَارَةِ فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنَّ زَوْجِي غَائِبٌ وَتَرَكَنِي حَامِلًا فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنَّ سَارِيَّةَ بَنِيي انْكَسَرَتْ وَأَنِّي وَلَدْتُ غُلَامًا أَعَوَزَ فَقَالَ خَيْرَ يَزْجِعُ زَوْجُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى صَالِحًا وَتَلْدِينَ غُلَامًا بَرًّا فَذَكَرْتُ ذَلِكَ ثَلَاثًا فَجَاءَتْ أَنِّي مَرَّةً أُخْرَى وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَائِبٌ فَسَأَلْتُهَا فَأَخْبَرَتْنِي بِالْمَنَامِ فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ صَدَقْتَ رُؤْيَاكِ لَيْمَوْتَنَّ زَوْجُكَ وَتَلْدِينَ غُلَامًا فَاجِرًا فَقَعَدَتْ تَبْكِي فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَهْ يَا عَائِشَةُ إِذَا عَبَرْتُمْ لِلْمُسْلِمِ الرُّؤْيَا فَاعْبُرُوهَا عَلَى خَيْرٍ فَإِنَّ الرُّؤْيَا تَكُونُ عَلَى مَا يُعْبَرُهَا صَاحِبُهَا وَالْمَرَادُ بِصَاحِبِهَا مَنْ يُعْبَرُهَا وَسَارِيَّةُ الْبَيْتِ عُمُوهُ.

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ جَائِزَةَ بَنِيي أَنِّي سَارِيَّةُ انْكَسَرَتْ وَكَانَ زَوْجُهَا غَائِبًا فَقَالَ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ زَوْجُكَ سَالِمًا، وَرَوَى التَّبَهَّقِيُّ أَنَّ ابْنَ زَيْدٍ لَمَّا قَصَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤْيَاهُ قَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَيْرٌ نَلْقَاهُ وَشَرٌّ نَتَوَقَّاهُ وَخَيْرٌ لَنَا وَشَرٌّ عَلَى أَعْدَائِنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَفْضَلُ عَلَى رُؤْيَاكَ.

(ثُبَّةٌ مِنْ مَرَاتِبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ تَغْيِيرِهَا) اَعْلَمَ أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ هِيَ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَقَدْ تَقَعُ لِعَيْرِهِمْ بِندورٍ وَهِيَ الَّتِي تَقَعُ فِي الْيَقْظَةِ عَلَى وَقْفٍ مَا وَقَعَتْ فِي النَّوْمِ وَقَدْ وَقَعَ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ الَّتِي كَفَلَتْ الصُّبْحَ مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحَدُّ قَالَتْ عَائِشَةُ أَوَّلَ مَا بُدِيَءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَنِي الصُّبْحِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَرُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهَا صَادِقَةٌ وَقَدْ تَكُونُ صَالِحَةً وَهِيَ الْأَكْثَرُ وَغَيْرُ صَالِحَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدُّنْيَا كَمَا وَقَعَ فِي الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نَفْسَهُ فِي دِزَعٍ حَصِينَةٍ وَرَأَى بَقْرًا تُذْبَحُ وَرَأَى فِي سَيْفِهِ ثَلَاثَ أَوَّلِ الدَّرْعِ بِالْمَدِينَةِ وَالْبَقَرُ مَا أَصَابَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ مِنْ اسْتِشْهَادِ سَبْعِينَ وَالثَّلْثُ الَّذِي كَانَ فِي سَيْفِهِ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَنِيهِ يُقْتَلُ فَكَانَ حُمْزَةُ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَتْ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَتَيْتُ بِقَدَحٍ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي فَأَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالُوا فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْعِلْمُ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ

يُغَرِّضُونَ عَلِيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدْيَ وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ وَمَرُّ عَلِيٍّ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قُمْصٌ يَجْرُهُ قَالُوا مَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الدِّينَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ أَنَّهُ وُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَفَطَعْتُهُمَا وَكَرِهْتُهُمَا فَأُذِنَ
لِي فَتَفَخَّخْتُهُمَا فَطَارَ فَأَوْلَتْهُمَا كَذَابَيْنِ يَخْرُجَانِ قَالَ عُبيدُ اللَّهِ الرَّايِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَحَدُهُمَا
الْعَنَسِيُّ الَّذِي قَتَلَهُ فَيُرَوِّدُ بِالْيَمَنِ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ وَفِي رِوَايَةٍ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ بَيْنَا أَنَا
نَائِمٌ إِذْ أُورِيتُ خَزَائِنَ الْأَرْضِ فَوُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ وَالْمَرَادُ بِخَزَائِنِ
الْأَرْضِ مَا فُتِحَ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْعَنَائِمِ وَذِخَائِرِ كِسْرَى وَفَيْصَرَ وَغَيْرِهِمَا، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ
حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَابِرَةً الرَّأْسِ
خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةٍ وَهِيَ الْجُحْفَةُ فَأَوْلَتْ ذَلِكَ أَنَّ وِبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ
إِلَيْهَا .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَأَيْتُ فِي
الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلَبِي أَنِي وَهَمِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ
هَجَرَ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ قَاتِنًا بِرُطْبٍ مِنْ رُطْبِ ابْنِ
طَابٍ فَأَوْلَتْهُ أَنَّ الرُّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ
رَأَيْتُنِي عَلَى قَلْبٍ وَعَلَيْهَا دَلُّو فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ مِنْهَا
دُثُوبًا أَوْ دُثُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ لَهُ ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
فَلَمْ أَرَ عُنُقِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ ابْنِ الْخَطَّابِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنِ . الْقَلْبُيبُ الْبِثْرُ
وَالذُّثُوبُ الدُّلُؤُ الْمُتَمَلِّئُ وَالْعَرْبُ الدُّلُؤُ الْعَظِيمَةُ وَعَبَقْرِي الْقَوْمُ سَيِّدُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ وَقَوِيَّهُمْ
وَالْعَطَنُ لِلْإِبِلِ كَالْوَطَنِ لِلنَّاسِ لَكِنْ غُلِبَ عَلَى مَبْرِكِهَا حَوْلَ الْحَوْضِ وَيُقَالُ ضَرَبْتُ الْإِبِلَ
بِعَطَنِ إِذَا رَوَيْتُ ثُمَّ بَرَكَتْ حَوْلَ الْمَاءِ وَهَذَا الْمَنَامُ مِثَالٌ لِمَا جَرَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَاللَّحْلِيْقَتَيْنِ بَعْدَهُ وَقَوْلُهُ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ فَهُوَ إِخْبَارٌ عَنْ خَالِهِ فِي قِصْرِ مُدَّةٍ وَلَا يَتَّبِعُهُ وَلَيْسَ فِي
قَوْلِهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ لَهُ نَقْصٌ وَلَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ ذَنْبٌ وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ كَانُوا يَقُولُونَهَا وَأَمَّا

وَلَايَةُ عُمَرَ فَإِنَّهَا لَمَّا طَالَتْ كَثُرَ انْتِفَاعُ النَّاسِ بِهَا وَاتَّسَعَتْ دَائِرَةُ الْإِسْلَامِ بِكَثْرَةِ الْفَتْوحِ وَتَمَصِيرِ الْأَمْصَارِ وَتَدْوِينِ الدَّوَاوِينِ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْوًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ بِعَرَائِقِهَا فَشَرِبَ شَرْبًا ضَعِيفًا ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِعَرَائِقِهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَائِقِهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَنْثَشِطَ وَأَنْثَضِحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ وَالْعَرَّاقِيُّ جَمَعَ عَرَقُوهَ وَهِيَ الْخَشَبَةُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَى فَمِ الدَّلْوِ كَالصُّلْبِ وَهُمَا عَرَقُوتَانِ وَأَنْثَشِطَتْ جَذِبَتْ وَرَفِعَتْ، (ذَكَرَ تَغْيِيرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَاهُ غَيْرُهُ) كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْقَلَبَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَيَقُولُ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا فَلْيَقْصِّصْهَا عَلَيَّ أَعْبَرَهَا لَهُ فَيَقْصُصُ النَّاسُ عَلَيْهِ مَرَاتِبَهُمْ ثُمَّ تَرَكَ السُّؤَالَ إِيقَارًا لِسِرِّ الْعَوَاقِبِ فَكَانَ يُعْبَرُ لِمَنْ قَصَّ مُتَبَرِّعًا .

فَمِنْ غَرِيبٍ مَا نَقَلَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّغْيِيرِ أَنَّ زُرَّارَةَ بْنَ عَمْرِو النَّخَعِيِّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَفْدِ النَّخَعِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي طَرِيقِي هَذَا رُؤْيَا رَأَيْتُ أَتَانَا تَرَكَتْهَا فِي الْحَيِّ وَلَدْتُ جَذْيًا أَسْفَعَ أَخَوِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ لَكَ مِنْ أَمْرٍ أَوْ تَرَكَتْهَا مَصْرَةً حَمَلًا قَالَ نَعَمْ تَرَكَتُ أُمَةً أَطْلُهَا قَدْ حَمَلَتْ قَالَ فَقَدْ وَلَدَتْ غُلَامًا وَهُوَ ابْنُكَ قَالَ فَمَا بَالُهُ أَسْفَعَ أَخَوِي قَالَ إِذْ مِئِّي قَدْنَا مِنْهُ قَالَ هَلْ بِكَ بَرَصٌ تَكْتُمُهُ قَالَ نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَاهُ مَخْلُوقٌ وَلَا عَلِيمٌ بِهِ أَحَدٌ قَالَ فَهُوَ ذَلِكَ قَالَ وَرَأَيْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ وَعَلَيْهِ قُرْطَانٌ وَدُمْلَجَانٌ وَمَسْكَتَانِ قَالَ ذَلِكَ مُلْكُ الْعَرَبِ رَجَعَ إِلَى أَحْسَنِ زَيْهِ وَبَهَجَتِهِ قَالَ وَرَأَيْتُ عَجُوزًا شَمْطَاءَ تَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ قَالَ تِلْكَ بَقِيَّةُ الدُّنْيَا قَالَ وَرَأَيْتُ نَارًا خَرَجَتْ مِنَ الْأَرْضِ فَحَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ لَبِي يُقَالُ لَهُ عَمْرُو رَأَيْتَهَا تَقُولُ لَطَى لَطَى بَصِيرٌ وَأَعْمَى أَكَلِكُمْ أَكَلِكُمْ أَهْلَكُمْ وَمَالَكُمْ .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَالَ وَمَا الْفِتْنَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ يَفْتِكُ النَّاسُ بِإِمَامِهِمْ ثُمَّ يَشْتَجِرُونَ أَطْبَاقَ الرَّأْسِ وَخَالَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ يَخْسِبُ الْمُسِيءُ أَنَّهُ مُحْسِنٌ وَدَمُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ أَخْلَى مِنْ شَرْبِ الْمَاءِ الْبَارِدِ . الْأَتَانُ أَتَى الْحَوِيرِ وَالْجَذْيُ الدَّكْرُ مِنْ أَوْلَادِ الْمَغَزِ وَالْأَسْفَعُ الَّذِي أَصَابَ جَسَدَهُ لَوْنٌ آخَرُ وَالْأَخْوَى الْأَسْوَدُ الَّذِي لَيْسَ بِالشَّدِيدِ وَالْقُرْطُ مَا يُخْلَقُ فِي شَحْمَتِي الْأَذْنِ وَالْدُمْلَجُ شَيْءٌ يُشَبِّهُ السَّوَارَ وَالْمَسْكَتَانِ السَّوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَالشَّمْطَاءُ الَّتِي شَعَرُ رَأْسِهَا أَبْيَضُ وَأَطْبَاقُ الرَّأْسِ عِظَامُهُ وَالْأَشْتَجَارُ الْأَخْيَلَفُ وَالْأَشْيِيكُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ كُنْتُ فِي حَلَقَةٍ فِيهَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ عَمْرٍو
فَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالُوا هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا قَالَ
سُبْحَانَ اللَّهِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ إِنَّمَا رَأَيْتُ كَأَنَّمَا عَمُودٌ وَضِعَ فِي
رَوْضَةٍ خَضِرَاءَ فَتُصَبَّ فِيهَا وَفِي رَأْسِهَا عُرْوَةٌ وَفِي أَسْفَلِهَا مِنْصَفٌ وَالْمِنْصَفُ الْوَصِيفُ فَقَالَ
ارْقُهُ فَرَقِيئُهُ أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ فَفَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَمُوتُ عَبْدُ
اللَّهِ وَهُوَ آخِذٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْهُ بَيِّنًا أَنَا نَائِمٌ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي قُمْ فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَإِذَا
أَنَا بِجَوَادٍ جَمْعُ جَادَةٍ وَهِيَ الطَّرِيقُ الْمَسْلُوكُ عَنْ شِمَالِي قَالَ فَأَخَذْتُ لِأَخَذَ فِيهَا أَيْ أَسِيرَ
فَقَالَ لَا تَأْخُذْ فِيهَا فَإِنَّهَا طَرِيقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ فَإِذَا مَنَهَجٌ عَنْ يَمِينِي فَقَالَ لِي خُذْ هَهُنَا فَأَتَى
بِي جَبَلًا فَقَالَ لِي اضْعُدْ فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَضْعُدَ خَزَرْتُ حَتَّى قَعَلْتُ ذَلِكَ مِرَارًا وَفِي
رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ خَيْرًا أَمَّا الْمَنَهَجُ فَالْمَحْشَرُ وَأَمَّا
الْجَبَلُ فَهُوَ مَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ وَلَنْ تَنَالَهُ وَهَذَا عَلَّمَ مِنْ أَغْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ عَبْدَ
اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ لَمْ يَمُتْ شَهِيدًا وَإِنَّمَا مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بِالْمَدِينَةِ ، وَرَوَى
الْبُخَارِيُّ عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ قَالَتْ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَرَيْتُ لِعِثْمَانَ بْنِ
مَظْعُونٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي فَجِثْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ
فَقَالَ ذَلِكَ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ .

الفصل الثالث

فِي إِنْبَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَنْبَاءِ الْمَعْيَبَاتِ

أَعْلَمَ أَنَّ عِلْمَ الْغَيْبِ يَخْتَصُّ بِهِ تَعَالَى وَمَا وَقَعَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِ فَمِنْ اللَّهِ تَعَالَى إِمَّا بِوَحْيٍ أَوْ بِالْإِهَامِ لِإِثْبَاتِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي
الْحَدِيثِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي رَبِّي وَقَدْ اسْتَشْهَرَ
وَانْتَشَرَ أَمْرُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْإِطْلَاعِ عَلَى الْغُيُوبِ حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ
اسْكُتْ قَوْلَ اللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَنْ يُخْبِرُهُ لَأَخْبَرْتُهُ جِجَارَةَ الْبَطْحَاءِ وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَثْلُو كِتَابَهُ إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ

أَرَأَيْتَ الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنْ مَا قَالَ وَاقِعٌ وَقَوْلُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَسْأَلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
فَلِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةً غَائِبٍ فَتَضِيدُهَا فِي ضُخْوَةِ الْيَوْمِ أَوْ عَدِ
وَهَذَا الْفَضْلُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: (الْأَوَّلُ فِيَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِمَّا نَطَقَ بِهِ
الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ) فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤] فَقَوْلُهُ:
﴿وَلَكِنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤] إِخْبَارٌ عَنْ غَيْبِ تَقْضِي الْعَادَةِ بِخِلَافِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَائِيَةً فِي
الْبَلَاغَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ
ذَاتِ الشُّكَّةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] الْآيَةُ وَالطَّائِفَتَانِ هُمَا الْعَبِيرُ وَالنَّبِيرُ فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى
عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ وَأَنْجَزَ لَهُمْ مَا وَعَدَ وَلَا شَكَّ أَنْ الْوَعْدَ كَانَ قَبْلَ اللَّقَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرُ﴾ [] يَغْنِي كُفَارَ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَذَرٍ وَقَدْ كَانَ عَدَدُهُمْ مَا
بَيْنَ الثَّسْعِمِائَةِ إِلَى الْأَلْفِ وَكَانُوا مُسْتَعِدِّينَ بِالْمَالِ وَالسَّلَاحِ وَكَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثِمِائَةً
وِثْلَاثَةً عَشَرَ رَجُلًا فَهَرَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ وَمَكَّنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَتْلِ أَبْطَالِهِمْ وَاعْتِنَامِ أُمُورِهِمْ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي كُفَارِ قُرَيْشٍ ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا
أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١] يُرِيدُ مَا قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ
الْخَوْفِ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى تَرَكُوا الْقِتَالَ وَرَجَعُوا مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْم
غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ
الْآيَةِ أَنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ تَقَاتَلَا فَغَلَبَ كِسْرَى قَيْصَرَ فَسَاءَ الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ لِأَنَّ الرُّومَ أَهْلُ كِتَابٍ
وَلِتَعْظِيمِ قَيْصَرَ كِتَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَمْزِيْقِ كِسْرَى كِتَابَهُ وَفَرِحَ الْمُشْرِكُونَ فَأَخْبَرَ
اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّ الرُّومَ بَعْدَ أَنْ غَلِبُوا سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ. وَالْبِضْعُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى
الْعَشْرَةِ فَغَلِبَتِ الرُّومُ أَهْلَ فَارِسَ يَوْمَ الْحَنْدِثِيَّةِ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ وَذَلِكَ بَعْدَ سَبْعِ سِنِينَ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٤ - ٩٥] فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَا يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ بِالْقَلْبِ وَلَا بِالنُّطْقِ بِالسَّانِ مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَيْهِ فَلَوْ لَمْ
يَعْلَمُوا مَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْمَوْتِ لَسَارَعُوا إِلَى تَكْذِيبِهِ بِالتَّمَنِّي وَرُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَوْ تَمَنَّا الْمَوْتَ لَعَصَّ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِرِيقِهِ فَمَاتَ مَكَانَهُ وَمَا بَقِيَ يَهُودِيٌّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] الْآيَةُ هَذَا وَغَدٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ سَيَجْعَلُ أُمَّتَهُ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِمَّةَ النَّاسِ وَالْوَلَاةَ عَلَيْهِمْ وَبِهِمْ تَصْلُحُ الْبِلَادُ وَتَخْضَعُ لَهُمُ الْعِبَادُ وَقَدْ فَعَلَ تَعَالَى ذَلِكَ فِيهِمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ فَإِنَّهُ لَمْ يَمُتْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَخَبَرَ الْبَحْرَيْنِ وَسَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَرْضَ الْيَمَنِ بِكَمَالِهَا وَأَخَذَ الْجُزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ وَمِنْ بَعْضِ أَطْرَافِ الشَّامِ وَهَذَا هِرَقْلُ مَلِكِ الرُّومِ وَصَاحِبُ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَهُوَ الْمُقَوْسُ وَمُلُوكُ عَمَانَ وَالنَّجَاشِيِّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ الَّذِي تَمَلَّكَ بَعْدَ أَصْحَمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثُمَّ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ خَلِيفَتُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمْ شَعَتْ مَا وَهَى وَمَهَّدَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ وَبَعَثَ الْجُيُوشَ الْإِسْلَامِيَّةَ إِلَى بِلَادِ قَارِسَ فَفَتَحُوا طَرَفًا مِنْهَا وَجَنِّشًا آخَرَ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ وَجَنِّشًا ثَالِثًا إِلَى بِلَادِ مِصْرَ فَفَتَحَ اللَّهُ لِلْجَنِّشِ الشَّامِيَّ فِي أَيَّامِهِ بُضْرَى وَدِمَشْقَ وَتَوَاجِيَهُمَا مِنْ بِلَادِ حَوْرَانَ وَمَا وَالَاهَا وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ اسْتَخْلَفَ عُمَرُ الْقَارَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَامَ فِي الْأَمْرِ بَعْدَهُ قِيَامًا تَامًا لَمْ يَذَرِ الْفَلَكَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى مِثْلِهِ وَتَمَّ فِي أَيَّامِهِ فَتْحُ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ بِكَمَالِهَا وَدِيَارِ مِصْرَ إِلَى آخِرِهَا وَأَكْثَرُ إِقْلِيمِ قَارِسَ ثُمَّ فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الثَّالِثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امْتَدَّتْ الْمَمَالِكُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَجِيءَ بِالْخَرَاجِ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ثُمَّ زَادَتْ الْفَتْوحَاتُ وَاتَّسَعَتِ الْمَمَالِكُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَهَذَا نَحْنُ نَتَقَلَّبُ فِيهَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١] فَالْيَهُودُ أَذَلُّ الْكُفَّارِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ كَمَا أَخْبَرَ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] وَالصَّف: ٩] وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي الْعِيَانِ بِأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ كَمَا أَخْبَرَ عَالٍ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إِلَى آخِرِهَا فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ أَفْوَاجًا فَمَا مَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي بِلَادِ الْعَرَبِ كُلِّهَا مَوْضِعٌ لَمْ يَدْخُلْهُ الْإِسْلَامُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ اسْتِقْصَاؤُهُ.

القِسْمُ الثَّانِي

فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ سِوَى مَا فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ فَكَانَ

كَمَا أَخْبَرَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَفَعَ لِي الدُّنْيَا فَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا هُوَ كَائِنٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي هَذِهِ. وَعَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا قَمَا تَرَكَ شَيْئًا فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيَهُ فَأَرَاهُ فَأَعْرِفُهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَأَاهُ عَرَفَهُ ثُمَّ قَالَ حُدَيْفَةُ مَا أَذْرِي أَنَسِي أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوْهُ وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَائِدٍ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تُلْقِصِي الدُّنْيَا يَبْلُغُ مِنْ مَعَهُ ثَلَاثِمِائَةٍ فَصَاعِدًا إِلَّا قَدْ سَمَاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي الدَّجَالِ فَيَبْعَثُونَ عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَالْوَلَانَ خِيُولَهُمْ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَوَضَّحَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفَهُمْ بِمَا يَقَعُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ. وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لَقَدْ تَرَكَنا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحِيهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَّرْنَا مِنْهُ عِلْمًا.

فَمَنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى النَّجَاشِيَّ لِلنَّاسِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ أَحَدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَضْرَبَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجْلِهِ وَقَالَ لَهُ أَتُبْتُ أَحَدًا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرٌ بَعْدَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفِقَنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

قَالَ التَّوَوِيُّ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَسَائِرُ الْعُلَمَاءِ مَعْنَاهُ لَا يَكُونُ كِسْرَى بِالْعِرَاقِ وَلَا قَيْصَرُ

بِالشَّامِ كَمَا كَانَ فِي زَمَنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَأَعْلَمَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِانْقِطَاعِ مُلْكِهِمَا مِنْ هَذَيْنِ الْإِقْلِيمَيْنِ وَكَانَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِسُرَاقَةَ كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارِي كِسْرَى فَلَمَّا أُتِيَ بِهِمَا عَمَرُ أَلْبَسَهُمَا إِثَابَهُ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَبَهُمَا كِسْرَى وَأَلْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ وَهُوَ أَغْرَابِيٌّ بَدَوِيٌّ مِنْ بَنِي مُذَلِّجٍ. وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَالِ الَّذِي تَرَكَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ بَعْدَ أَنْ كَتَمَهُ فَقَالَ مَا عَلِمَهُ غَيْرِي وَغَيْرُهَا وَأَسْلَمَ. وَإِخْبَارُهُ بِشَأْنِ كِتَابِ حَاطِبٍ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ. وَيَمَوْضِعِ نَاقَتِهِ حِينَ ضَلَّتْ وَكَيْفَ تَعَلَّقَتْ بِخَطَامِهَا فِي الشَّجَرَةِ، وَلَمَّا رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا فَلَمْ يُغْزَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهَا.

وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا إِلَى مَوْتَةَ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ثُمَّ قَالَ فَإِنْ أَصِيبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَإِنْ أَصِيبَ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا التَقَى الْمُسْلِمُونَ بِمَوْتَةَ جَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْيَمِينِ فَكُشِفَ لَهُ حَتَّى نَظَرَ إِلَى مُعْتَرِكِهِمْ فَقَالَ أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى اسْتَشْهِدَ فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ اسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى اسْتَشْهِدَ فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ جَعْفَرَ ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَاسْتَشْهِدَ فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِقَتْلِهِمْ فِي السَّاعَةِ الَّتِي قُتِلُوا فِيهَا. وَمَوْتَةَ دُونَ دِمَشْقَ بِأَرْضِ الْبَلْقَاءِ.

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسَ قَالَتْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبِيحَةَ الْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ جَعْفَرُ وَأَصْحَابُهُ فَقَالَ يَا أَسْمَاءُ أَيْنَ بَنُو جَعْفَرَ فَجِئْتُ بِهِمْ فَضَمَّهُمْ وَشَمَّهُمْ ثُمَّ دَرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالْأُفُوحِ فَبَكَى فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْلَغَكَ عَنْ جَعْفَرَ شَيْءٌ قَالَ نَعَمْ قُتِلَ الْيَوْمَ رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رُوِيَ لِي الْأَرْضُ قَرَأْتُ مَسَارِقَهَا وَمَعَارِبَهَا وَسَيَبُلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا رُوِيَ لِي مِنْهَا فَكَانَ كَذَلِكَ امْتَدَّتْ فِي الْمَسَارِقِ وَالْمَعَارِبِ مَا بَيْنَ أَفْصَى الْهِنْدِ إِلَى أَفْصَى الْمَشْرِقِ إِلَى بَحْرِ طَنْجَةَ، وَمِنْ ذَلِكَ إِعْلَامُهُ قَرَيْشًا بِأَكْلِ الْأَرْضِ مَا فِي صَحِيفَتِهِمُ الَّتِي تَظَاهَرُوا بِهَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَقَطَعُوا بِهَا رَجَمَهُمْ وَأَنَّهُ أُنْقِطَ فِيهَا كُلُّ اسْمٍ لِلَّهِ فَوَجَدُوهَا كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبَرَاءُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْجِدِ مَتَى فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلٌ مِنَ ثَقِيفٍ فَسَلَّمَا ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْنَا نَسْأَلُكَ فَقَالَ إِنْ شِئْتُمَا أَنْ أُخْبِرَكُمَا بِمَا جِئْتُمَا تَسْأَلَانِي عَنْهُ فَعَلْتُ وَإِنْ شِئْتُمَا أَنْ أُمْسِكَ

وَتَسْأَلَانِي فَعَلْتُ فَقَالَ أَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ الثَّقَفِيُّ لِلْأَنْصَارِيِّ سَلْ فَقَالَ أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ جِئْتَنِي تَسْأَلُنِي عَنْ مَخْرَجِكَ مِنْ بَيْتِكَ تَوُّمَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَمَا لَكَ فِيهِ وَعَنْ رَكْعَتِكَ بَعْدَ الطَّوَابِ وَمَالَكَ فِيهِمَا وَعَنْ سَعْيِكَ بَيْنَ الصُّفَا وَالْمَرْوَةِ وَمَالَكَ فِيهِ وَعَنْ وَقُوفِكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ وَمَالَكَ فِيهِ وَعَنْ رَمِيكَ الْجِمَارِ وَمَالَكَ فِيهِ وَعَنْ نَحْرِكَ وَمَالَكَ فِيهِ وَعَنْ حِلَاقِكَ رَأْسَكَ وَمَالَكَ فِيهِ مَعَ الْإِفَاضَةِ فَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَعَنَ هَذَا جِئْتُ أَسْأَلُكَ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُحَدِّثُهُمْ فَجَلَسْتُ وَسَطَ الْحَلْفَةِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ يَا وَاثِلَةُ قُمْ عَنْ هَذَا الْمَجْلِسِ فَقَدْ نُهَيْتَا عَنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعُونِي وَإِيَّاهُ فَإِنِّي أَعْلَمُ مَا الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْ مَنْزِلِهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي قَالَ أَخْرَجَكَ مِنْ مَنْزِلِكَ لِتَسْأَلَنِي عَنِ الْبِرِّ وَعَنِ الشُّكِّ قَالَ قُلْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبِرُّ مَا اسْتَقَرَّ فِي الصُّدُورِ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالشُّكُّ مَا لَمْ يَسْتَقِرَّ فِي الصُّدْرِ قَدَغَ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ وَإِنْ أَفْكَتَاكَ الْمُفْتُونَ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي مَرَضِهِ إِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِي لِحُوقًا بِي فَعَاشَتْ بَعْدَهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَقِيلَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ.

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِنِسَائِهِ أَسْرَعُكُمْ بِي لِحُوقًا أَطْوَلُكُمْ يَدًا فَكَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ يَدَيْهَا وَتَتَصَدَّقُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَلِيٍّ أَتَدْرِي مَنْ أَشَقَى الْأَخْرِيْنَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ قَاتِلُكَ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاوِيَةَ أَمَا إِنَّكَ سَتَلِي أَمْرَ أُمَّتِي مِنْ بَغْدِي فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَاقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِيهِمْ وَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِيهِمْ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَفَ عَلَى أَطْعَمٍ مِنْ أَطْعَمِ الْمَدِينَةِ أَنِي حِضْنٍ مِنْ خُصُومِهَا ثُمَّ قَالَ هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْفَطْرِ فَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ قَتَلَ عُثْمَانُ وَتَتَابَعَتِ الْفِتْنُ إِلَى فِتْنَةِ الْحَرَّةِ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَبِي مُوسَى وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى قُبِّ بَنِي أَرِيْسٍ أَنِي حَافِيهِ لَمَّا طَرَقَ عُثْمَانُ الْبَابَ ائْذَنْ لَهُ وَيَسْرُهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بُلُوَى تُصِيبُهُ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِشْهَادِهِ يَوْمَ الدَّارِ.

وَأَصْرَحَ مِنْهُ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِتْنَةَ قَمَرٍ رَجُلٌ فَقَالَ يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا يَوْمَئِذٍ ظُلُمًا قَالَ فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِوَقْعَةِ الْجَمَلِ وَصِفَتَيْنِ وَقِتَالِ عَائِشَةَ وَالزُّبَيْرِ عَلِيًّا كَمَا أَخْرَجَهُ

الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَقَالَ لِلزُّبَيْرِ ثَقَاتِلُهُ يَغْنِي عَلَيَّ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فَكَانَ كَمَا قَالَ بِصُلْحِهِ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَمِنْ ذَلِكَ إِعْلَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بِالطُّفِّ وَأَخْرَجَ بِيَدِهِ تُرْبَةً وَقَالَ فِيهَا مَضْجَعُهُ رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِمَارٍ تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ فَكَانَ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمَرَ رَأَى رَجُلًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَعْرِفْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَأَيْتَهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ ذَلِكَ جَبْرِيلُ أَمَا إِنَّكَ سَتَقْفِدُ بَصْرَكَ فَعَمِيَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ تَعِيشُ حَمِيدًا وَتُقْتَلُ شَهِيدًا فَقُتِلَ يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَابِ بِالْيَمَامَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَنِزْلَ لَكَ مِنَ النَّاسِ وَنِزْلَ لِلنَّاسِ مِثْلَ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَ الْحِجَاجِ مَا كَانَ، وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ هَذَا الدِّينَ بَدَأَ ثُبُوءَ وَرَحْمَةً ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا عَضُودًا ثُمَّ يَكُونُ سُلْطَانًا وَجَبْرِيةً. وَقَوْلُهُ مُلْكًا عَضُودًا أَيُّ يُصِيبُ الرِّعِيَّةَ فِيهِ عَسْفٌ وَظُلْمٌ كَأَنَّهُ يَعْضُهَا عَضًا.

وَفِي حَدِيثِ سَفِينَةَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخِلَافَةُ بَعْدِي فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ فَكَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَتَبِمَةُ الثَّلَاثِينَ سَنَةً السُّنَّةُ أَشْهُرُ النَّبِيِّ وَلِيِّهَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ مَرَّتْ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّكِ حَامِلٌ بِغُلَامٍ فَإِذَا وَلَدْتِهِ فَأْتِينِي بِهِ قَالَتْ فَلَمَّا وَلَدَتْهُ أَتَيْتُهُ بِهِ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَ فِي الْيُسْرَى وَالْبَاءُ مِنْ رِيقِهِ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ وَقَالَ أَذْهَبِي بِأَبِي الْخَلَفَاءِ قَالَتْ فَأَخْبَرْتُ الْعَبَّاسَ فَأَتَاهُ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ هُوَ مَا أَخْبَرْتُكَ هُوَ أَبُو الْخُلَفَاءِ حَتَّى يَكُونُ مِنْهُمْ السُّفَاحُ حَتَّى يَكُونُ مِنْهُمْ الْمَهْدِيُّ، وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِعَالِمِ الْمَدِينَةِ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوْشِكُ النَّاسُ أَنْ يَضْرِبُوا أَكْبَادَ الْإِبِلِ فَلَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَغَيْرُهُ تَرَى هَذَا الْعَالَمَ مَالِكٌ بْنُ أَنَسٍ.

وَإِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَالِمِ قُرَيْشٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسْبُوا قُرَيْشًا فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلَأُ طِبَاقَ الْأَرْضِ عِلْمًا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ

وَعَبْرُهُ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَعَبْرُهُ هَذَا الْعَالِمُ هُوَ الشَّافِعِيُّ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْتَشِرْ فِي طَبَاقِ الْأَرْضِ مِنْ عِلْمِ عَالِمٍ قَرِيبِي مِنَ الصَّحَابَةِ وَعَبْرِهِمْ مَا انْتَشَرَ مِنْ عِلْمِ الشَّافِعِيِّ، وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَنَّ طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِهِ لَا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْعَثُ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَهَابِ الْأَمْثَلِ فَلَا أَمْثَلُ أَيِ الْأَفْضَلِ فَلَا أَفْضَلَ رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ بِلَفْظٍ تَذْهَبُونَ الْخَيْرَ فَالْخَيْرَ، وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَوَارِجِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ بِلَفْظٍ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا إِذْ أَتَاهُ دُرُ الْخَوِصِرَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اغْدِلْ فَقَالَ وَنِلَكَ وَمَنْ يَغْدِلُ إِنْ لَمْ أَغْدِلْ خِبتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَغْدِلْ فَقَالَ عَمْرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَغْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دَغُهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِرُ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَةِ أَيُّهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدَ إِخْدَى عَضْدِيهِ مِثْلُ ثُدِي الْمَرْأَةِ يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ وَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتَبَسَ فَوَجَدَ فَأَتَيْتُ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعْتُهُ.

وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا بِالرَّافِضَةِ أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكُونُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يَسْمُونَ الرَّاغِبَةَ يَرْفُضُونَ الْإِسْلَامَ، وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَدَرِيَّةِ وَالْمَرْجَنَةِ وَقَالَ هُمْ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَنَسٍ وَالْقَدَرِيَّةُ سُمُّوا بِذَلِكَ لِإِنْكَارِهِمُ الْقَدَرَ وَإِسْنَادِهِمْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ إِلَى قُدْرَتِهِمْ وَقَوْلِهِمْ لَمْ يَقْدِرِ اللَّهُ الشَّرَّ وَالْمَرْجَنَةُ هُمْ الْقَائِلُونَ بِالْإِزْجَاءِ وَهُوَ تَأْخِيرُ الْعَمَلِ عَنِ النَّيَّةِ وَالْأَعْيَادِ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ.

وَقَدْ أَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَصْحَابَهُ بِأَشْيَاءَ بَيْنَ مَوْتِهِ وَبَيْنَ السَّاعَةِ وَحَدَّرَ مِنْ مُفَاجَأَتِهَا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى تَظْهَرَ جُمْلَةٌ مِنَ الْأَمَارَاتِ فِي الْعَالَمِ كَمَا رُوِيَ مِنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ وَالْقُرْآنِ وَاشْتِهَارِ الْخِيَانَةِ وَحَسَدِ الْأَقْرَانِ وَقِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسْوَانِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا شَهِدَتْ بِصِحَّتِهِ أَخْبَارُ رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَاوَاهُمَا وَاحِدَةٌ وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَحَتَّى يَقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَتَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتُظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَزَجُ وَهُوَ الْقَتْلُ وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يَهْمَ الرَّجُلُ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا أَرَبَ لِي فِيهِ وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانُهُ وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِيهِ وَلَا يَطْوِيَانِيهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقَحْتِهِ فَلَا يَطْعُمُهُ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ أَيْ يَضْلُهُ بِالطِّينِ فَلَا يَسْقِي فِيهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعُمُهَا فَهَذِهِ ثَلَاثُ عَشْرَةَ عَلَامَةً جَمَعَهَا أَبُو هُرَيْرَةَ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ وَقَدْ ظَهَرَ أَكْثَرُ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنَ الْحِجَازِ تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ يُبْصِرُهَا وَقَدْ خَرَجَتْ نَارٌ عَظِيمَةٌ عَلَى قُرْبٍ مَرَحَلَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَكَانَ بَدْؤُهَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ثَالِثَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَفِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ اشْتَدَّتْ حَرَكَتُهَا وَعَظُمَتْ رَجْفَتُهَا وَتَتَابَعَتْ حِطْمَتُهَا وَارْتَجَبَتِ الْأَرْضُ بِمَنْ عَلَيْهَا حَتَّى أَتَقَنَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِوُقُوعِ الْهَلَكَةِ وَزَلْزَلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا مِنْ وَفُوعِ ثَمَانِي عَشْرَةِ حَرَكَةٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ دُونَ لَيْلَتِهِ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَكَانَ يَأْتِي الْمَدِينَةَ بِبَرَكَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسِيمٌ بَارِدٌ وَشَوْهَدٌ مِنْ هَذِهِ النَّارِ عَلَيَّانِ كَعَلَيَّانِ الْبَحْرِ وَانْتَهَتْ إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْيَمَنِ فَأَخْرَقَتْهَا قَالَ وَقَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لَقَدْ رَأَيْتُهَا صَاعِدَةً فِي الْهَوَاءِ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ قَالَ وَسَمِعْتُ أَنَّهَا رُؤِيتُ مِنْ مَكَّةَ وَمِنْ جِبَالِ نَضْرَى. وَقَالَ الْقُطُبُ الْقُسْطَلَانِيُّ أَقَامَتْ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ يَوْمًا وَكَانَ انْطِقَاؤُهَا فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المقصد التاسع

فِي فَوَائِدَ لَطِيفَةٍ مِنْ لَطَائِفِ عِبَادَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَاطِبًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧] وَالْيَقِينُ الْمَوْتُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هَلْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَبْلَ بَعْثِهِ مُتَعَبِّدًا بِشَرَعٍ مِنْ قَبْلِهِ أَمْ لَا فَقَالَ جَمَاعَةٌ لَمْ يَكُنْ مُتَعَبِّدًا بِشَيْءٍ وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ فَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِاتِّبَاعِهِ فِي التَّوْحِيدِ وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْبُلْقِينِيُّ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ لَمْ تَجِءْ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي وَقَفْنَا عَلَيْهَا كَيْفِيَّةُ تَعَبُّدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَكِنْ رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَخْرُجُ إِلَى جِرَاءٍ فِي كُلِّ عَامٍ شَهْرًا مِنَ السَّنَةِ يَتَنَسَّكُ فِيهِ حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ مِنْ مُجَاوَزَتِهِ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ وَحَمَلَ بَعْضُهُمُ التَّعَبُّدَ عَلَى التَّفَكُّرِ. وَهَذَا الْمَقْصِدُ يَشْتَمِلُ عَلَى سَبْعَةِ أَنْوَاعٍ.

النوع الأول

فِي الطَّهَارَةِ وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ:

الفصل الأول

فِي ذِكْرِ وُضُوئِهِ وَسَوَاقِهِ وَمِقْدَارِ وُضُوئِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اعْلَمُ أَنَّ الْوُضُوءَ بِالْضَّمِّ الْفِعْلُ وَبِالْفَتْحِ الْمَاءُ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ وَنَقَلَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ انْتِفَاقَ أَهْلِ السَّيْرِ عَلَى أَنَّ غُسْلَ الْجَنَابَةِ فُرْضَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِمَكَّةَ كَمَا افْتَرَضَتْ

الصَّلَاةُ وَأَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ إِلَّا بِوُضُوءٍ قَالَ وَهَذَا مِمَّا لَا يَجْهَلُهُ عَالِمٌ . وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ قِيلَ لَهُ كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ قَالَ يُجْزِي أَحَدُنَا الْوُضُوءَ مَا لَمْ يُحْدِثْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ . وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ بَرِيدَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ صَلَّى الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَعَلْتَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ فَقَالَ عَمْدًا فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ يَغْنِي لِيَبَانِ الْجَوَارِ . وَفِي رِوَايَةٍ أَحْمَدُ وَأَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَسِيلِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالْوُضُوءِ لِكُلِّ صَلَاةٍ طَاهِرًا أَوْ غَيْرَ طَاهِرٍ فَلَمَّا سَقَى ذَلِكَ عَلَيْهِ أَمَرَ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ وَوَضَعَ عَنْهُ الْوُضُوءَ إِلَّا مِنْ حَدِيثٍ وَعَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ هُنَّ عَلَيَّ قَرَائِضُ وَهُنَّ لَكُمْ سُنَّةُ الْوُثْرِ وَالسَّوَاكِ وَقِيَامُ اللَّيْلِ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَأَمَّا يَفْقَدَارُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَوَضَّأُ أَوْ يَغْتَسِلُ بِهِ مِنَ الْمَاءِ فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْتَسِلُ بِالصَّبَاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ . وَالْمُدُّ رُبْعُ صَاعٍ وَالصَّبَاعُ خَمْسَةُ أَزْطَالٍ وَتِلْكَ بِرِطْلٍ بَغْدَادَ وَهُوَ عَلَى مَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ مِائَةٌ وَثَمَانِيَّةٌ وَعِشْرُونَ يَرْهَمًا .

الْفَضْلُ الثَّانِي

فِي وَضُوءِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّةً مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثًا ثَلَاثًا

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً مَرَّةً رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ وَقَالَ هُوَ نُورٌ عَلَى نُورٍ ذَكَرَهُ رَزِينٌ . وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ .

الْفَضْلُ الثَّلَاثُ

فِي صِفَةِ وَضُوءِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ دَعَا بِإِنَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَعَسَلَهُمَا ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ ثُمَّ عَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ ثَلَاثًا إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ عَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثُمَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحْدِثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا

تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ تَوَضَّأْ لَنَا وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا بِإِنَاءٍ فَأَكْفَأَ مِنْهُ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَهُمَا ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ مِنْ كَفِّ وَاحِدٍ فَقَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ يَدَيْهِ وَأَذْبَرَ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ لِهَكَذَا كَانَ وَضُوءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي رِوَايَةٍ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَذْبَرَ بَدَأَ بِمَقْدَمِ رَأْسِهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ ثُمَّ رَدَّهُمَا حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ وَأَذْنَيْهِ ظَاهِرِهِمَا وَبَاطِنِهِمَا وَأَدْخَلَ أَصَابِعَهُ فِي صِمَاحِي أَذُنَيْهِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ الْمَاقِنِينَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعَنْ عُثْمَانَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُخَلِّلُ لِيَحِيَّتَهُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ وَعِنْدَهُ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا تَوَضَّأَ عَرَّكَ عَارِضِيهِ بَعْضَ الْعَرَّكَ ثُمَّ شَبَّكَ لِيَحِيَّتَهُ بِأَصَابِعِهِ مِنْ تَحْتِهَا، وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ أَخَذَ كَفًّا مِنْ مَاءٍ وَيُدْخِلُهُ تَحْتَ حَنْكِهِ وَيُخَلِّلُ بِهِ لِيَحِيَّتَهُ وَيَقُولُ بِهَذَا أَمَرَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ حَرَّكَ خَاتَمَهُ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَغَيْرُهُ.

وَعَنِ الْمُسْتَوْدِدِ بْنِ شَدَادٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ يَذْلِكُ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ بِخَنْصَرِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، وَعَنْ عَائِشَةَ كَانَتْ يَدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيُمْنَى لِيَطْهُرَ وَطْعَامِهِ وَكَانَتْ الْيُسْرَى لِيَحْلَايَهُ وَمَا كَانَ مِنْ أَدَى، وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَأَنَّهُ ذَهَبَ لِحَاجَةٍ لَهُ وَأَنَّ الْمُغِيرَةَ جَعَلَ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَعَنْ عَائِشَةَ كَانَتْ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خِرْقَةٌ يُنَشَفُ بِهَا بَعْدَ الْوُضُوءِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ النَّوْمِ رُبَّمَا تَوَضَّأَ وَرُبَّمَا لَمْ يَتَوَضَّأَ لِأَنَّ عَيْنَهُ تَنَامُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ. وَإِنَّمَا مُنِعَ قَلْبُهُ النَّوْمَ لِيَعْيِيَ الْوَحْيَ الَّذِي يَأْتِيهِ فِي مَنَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفصل الرابع

فِي مَسْحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْخُفَيْنِ

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهُ غَرَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ فَتَبَرَّرَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبَلَ الْغَائِطَ فَحَمَلَتْ مَعَهُ إِدَاوَةً قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَمَّا رَجَعَ أَخَذَتْ أَهْرِيْقَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَعَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ ذَهَبَ يَخْسُرُ ذِرَاعَيْهِ فَضَاقَ كُمُ الْجُبَّةِ فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ الْجُبَّةِ وَأَلْقَى الْجُبَّةَ عَلَى مَنْكَبَيْهِ وَعَسَلَ ذِرَاعَيْهِ ثُمَّ مَسَحَ بِنَاصِيَتَيْهِ وَعَلَى الْعِمَامَةِ ثُمَّ أَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْهِ فَقَالَ دَعُهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا ثُمَّ رَكِبَ وَرَكِبْتُ الْحَدِيثَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْفَضْلُ الْخَامِسُ

فِي تَيْمُمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَعَنْ عَمَّارٍ قَالَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِنِّي أَجْتَنَّبُ فَلَمْ أَصِْبِ الْمَاءَ فَقَالَ عَمَّارٌ لِعُمَرَ أَمَا تَذْكُرُ أَنَا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَكَتُ فَصَلَّيْتُ فَلَذَكَّرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا وَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَفَّيْهِ الْأَرْضَ وَنَفَخَ فِيهِمَا ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ إِلَى كُوعَيْهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَعَنْ أَبِي الْجُهَيْنِمِ قَالَ مَرَزْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ حَتَّى قَامَ إِلَى جِدَارٍ فَحَتَّهُ بِعَصَا كَانَتْ مَعَهُ ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى الْجِدَارِ فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ ثُمَّ رَدَّ عَلَيَّ رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ.

الْفَضْلُ السَّادِسُ

فِي غُسْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ طَافَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى نِسَائِهِ يَغْتَسِلُ عِنْدَ هَذِهِ وَعِنْدَ هَذِهِ قَالَ قُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَجْعَلُهُ غُسْلًا وَاحِدًا آخِرًا قَالَ هَذَا أَزْكَى وَأَطْيَبُ وَأَطْهَرُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَعَبْدُ اللَّهِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ بَدَأَ فَعَسَلَ يَدَيْهِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ يَدْخُلُ أَصَابِعِهِ فِي الْمَاءِ فَيُخَلِّلُ بِهَا أَصُولَ الشَّعْرِ ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ عَرَفَاتٍ بِيَدَيْهِ ثُمَّ يُفِيضُ الْمَاءَ عَلَى جَسَدِهِ كُلِّهِ رَوَاهُ

الْبُخَارِيُّ، وَقَالَتْ مَيْمُونَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَضَعَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاءً لِلْغُسْلِ فَعَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى شِمَالِهِ فَعَسَلَ مَذَاكِيرَهُ ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ بِالْأَرْضِ ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ أَقَاضَ عَلَى جَسَدِهِ ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنْ مَكَانِهِ فَعَسَلَ قَدَمَيْهِ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ وَضَعْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُسْلًا أَيْ مَاءً فَسَتَرْتُهُ أَيْ الْمَاءِ بِثَوْبٍ وَصَبَّ عَلَى يَدَيْهِ فَعَسَلَهُمَا ثُمَّ صَبَّ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَعَسَلَ فَرْجَهُ فَضَرَبَ بِيَدِهِ الْأَرْضَ فَمَسَحَهَا ثُمَّ غَسَلَهَا فَتَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَذَرَاعِيَهُ ثُمَّ صَبَّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ وَأَقَاضَ عَلَى جَسَدِهِ ثُمَّ تَنَحَّى فَعَسَلَ قَدَمَيْهِ فَتَأَوَّلَتْهُ ثَوْبًا فَلَمْ يَأْخُذْهُ فَاِنْطَلَقَ وَهُوَ يَنْفِضُ يَدَيْهِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَأَمَّ وَهُوَ جُنُبٌ غَسَلَ فَرْجَهُ وَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَجَنَّبَ وَأَرَادَ أَنْ يَتَأَمَّ تَوَضَّأَ أَوْ تَيَمَّمَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ التَّيَمُّمُ هُنَا عِنْدَ عُسْرِ وَجُودِ الْمَاءِ.

النوع الثاني

فِي ذِكْرِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

فِي الْفَرَائِضِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا وَفِيهِ خَمْسَةُ أَبْوَابٍ

الْبَابُ الْأَوَّلُ

فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ:

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

فِي فُرُوضِهَا

عَنْ أَنَسٍ قَالَ فُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً أُسْرِي بِهِ خَمْسُونَ صَلَاةً ثُمَّ نَقِصَتْ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْسًا ثُمَّ نَادَى يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُ لَا يُبْدَلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَإِنَّ لَكَ بِهِذِهِ الْخَمْسِ خَمْسِينَ رَوَاهُ الثِّرِمِذِيُّ هَكَذَا مُخْتَصَرًا وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ تَقَدَّمَ فِي مَقْصِدِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِغْرَاجِ مُسْتَوْفَى فَرَاغَهُ هُنَاكَ.

الفصل الثاني

في الأوقات التي صلى فيها الصلوات الخمس صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم أمني جبريل عند البَيْتِ مَرَّتَيْنِ فَصَلَّى بِي الظُّهْرَ فِي الْأَوَّلَى حِينَ كَانَ الْفَيْءُ مِثْلَ الشَّرَاكِ ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ وَأَفْطَرَ الصَّائِمُ ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ ثُمَّ صَلَّى الْفَجْرَ حِينَ بَرَقَ الْفَجْرُ وَحَرَّمَ الطَّعَامَ عَلَى الصَّائِمِ وَصَلَّى الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ كَوَفَّتِ الْعَصْرَ بِالْأَمْسِ ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ كَوَفَّتِ الْأَوَّلَى ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ أَسْفَرَ ثُمَّ التَّقَتْ إِلَيَّ جَبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا وَقْتُ الْأَيْتِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ وَالْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقَّتَيْنِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ. وَقَوْلُهُ صَلَّى بِي الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ أَيْ فَرَعَ مِنْهَا حِينَئِذٍ كَمَا شَرَعَ فِي الْعَصْرِ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَحِينَئِذٍ فَلَا اشْتِرَاكَ بَيْنَهُمَا فِي وَقْتٍ وَيَدُلُّ لَهُ حَدِيثُ مُسْلِمٍ وَقْتُ الظُّهْرِ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ مَا لَمْ تَخْضِرِ الْعَصْرُ، وَقَدْ بَيَّنَّ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي الْمَغَارِي عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ وَغَيْرِهِ أَنَّ صَلَاةَ جَبْرِيلَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ صَبِيحَةَ اللَّيْلَةِ الَّتِي فُرِضَتِ الصَّلَاةُ فِيهَا وَهِيَ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةً حَيْثُ فَيَذْهَبُ الدَّاهِبُ إِلَى الْعَوَالِي فَيَأْتِيهِمْ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةً وَبَعْضُ الْعَوَالِي مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِي ذَلِكَ ذَلِيلٌ عَلَى تَعْجِيلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ، وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَتَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَعَنْ زَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ كُنَّا نُصَلِّي الْمَغْرِبَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْصَرِفُ أَحَدًا وَإِنَّهُ لَيَرَى مَوَاقِعَ تَبْلِيهِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ أَيْ يُبْصِرُ مَوَاقِعَ سَهَامِهِ إِذَا رَمَى بِهَا، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ الْحَرُّ أَبْرَدَ بِالصَّلَاةِ وَإِذَا كَانَ الْبَرْدُ عَجَّلَ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَأَغْتَمَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعِشَاءِ لَيْلَةً حَتَّى نَادَاهُ عَمْرُ الصَّلَاةَ نَامَ النَّاسُ ۝ ۱۱ ۝ فَنَبَّيَانُ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا يَنْتَظِرُهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَحَدٌ. ۝ ۱۲ ۝ وَفِي رِوَايَةٍ فَخَرَجَ وَرَأْسُهُ تَقَطَّرُ مَاءٌ يَقُولُ لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَتَيْتُهُمْ بِالصَّلَاةِ

هَذِهِ السَّاعَةَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مَا انْتَبَهَرْتُمْ الصَّلَاةَ وَلَوْلَا ضَعْفُ الضَّعِيفِ وَسُقْمُ السَّقِيمِ لَأَخَّرْتُ هَذِهِ الصَّلَاةَ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمِّي لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُؤَخَّرُوا الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفِهِ صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ .

الْفَضْلُ الثَّالِثُ

فِي كَيْفِيَّةِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ خَمْسَةُ عَشَرَ فَرْعًا

الْفَرْعُ الْأَوَّلُ

فِي صِفَةِ افْتِتَاحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رَوَى أَبُو دَاوُدَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَمِعَ بِأَنَّ يُقِيمُ الصَّلَاةَ قَلَمًا قَالَ قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ قَالَ أَقَامَهَا اللَّهُ وَأَدَامَهَا، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ، وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ رَوَاهُ الْبَرْزَاءُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَلَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ فِي إيجابِ التَّيَّةِ فِي الصَّلَاةِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يَكُونَا حَذْوِ مَنْكَبَيْهِ ثُمَّ يَكْبُرُ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ وَقَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حِينَ يَسْجُدُ وَلَا حِينَ يَرْفَعُ مِنَ السُّجُودِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْبُرُ فِي كُلِّ خَفْضٍ وَرَفَعٍ رَوَاهُ مَالِكٌ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً فَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ أُنْتِ وَأُمِّي مَا تَقُولُ فِي سَكُنَتِكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ قَالَ أَقُولُ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ تَقْنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُتَقْنَى الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدُّنَسِ اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالتَّلْجِ وَالتَّبَرْدِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ .

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَبَّرَ ثُمَّ قَالَ وَجْهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أَنْتَ

الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي فَأَغْفِرْ لِي ذُنُوبِي
جَمِيعًا لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ
وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَبِّكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ
وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ الْحَدِيثُ رَوَاهُ
مُسْلِمٌ، وَعَنْ عَائِشَةَ كَانِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ
وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ، وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ
مُطْعِمٍ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي صَلَاةَ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنَ نَفْعِهِ وَنَفْعِهِ وَهَمَزِهِ.

الْفَرْعُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِ الْفَاتِحَةِ

اخْتَلَفَتْ رَوَايَاتُ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ
بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَوْ لَا يَفْتَتِحُهَا بِهَا قَالَ الْحَافِظُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ حَجَرٍ وَطَرِيقُ
الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ مُمَكِّنٌ بِحَمْلِ نَفْيِ الْقِرَاءَةِ عَلَى نَفْيِ السَّمَاعِ وَنَفْيِ السَّمَاعِ عَلَى نَفْيِ
الْجَهْرِ وَبِهَذَا الْجَمْعِ زَالَتْ دَعْوَى الْأَضْطِرَابِ.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ

فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَاتِحَةَ وَقَوْلِهِ آمِينَ بَعْدَهَا

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَأَ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ آمِينَ وَمَدَّ بِهَا
صَوْتَهُ وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ وَخَفَضَ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ

فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ

رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْعَدَاةِ مَا بَيْنَ
السُّتَيْنِ إِلَى الْمِائَةِ أَيْ مِنَ الْآيَاتِ وَرَوَى أَيْضًا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي الْفَجْرِ إِذَا
الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بَقِ وَالْقُرْآنِ
الْمَجِيدِ وَتَحْوِيهَا وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ بَعْدَ تَخْفِيفَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَرَأَ فِي الصُّبْحِ إِذَا زُلْزِلَتْ فِي

الرُّكْعَتَيْنِ كِلْتَاهُمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي صُبْحِ الْجُمُعَةِ ﴿الْم تَنْزِيلُ﴾ [السجدة: ١] وَ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١] رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَإِنَّمَا كَانَ يَقْرَأُهُمَا كَامِلَتَيْنِ وَقِرَاءَةُ بَعْضِهِمَا خِلَافُ السُّنَّةِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ فِي الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي ﴿الْم تَنْزِيلُ﴾ السَّجْدَةِ.

الْفَرْعُ الْخَامِسُ

فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاتِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بِأَمِّ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ وَفِي الرُّكْعَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ بِأَمِّ الْكِتَابِ وَيُسْمِعُنَا آيَةَ أَحْيَانًا وَيُطَوِّلُ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى مَا لَا يُطَوِّلُ فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ وَهَكَذَا فِي الْعَصْرِ وَهَكَذَا فِي الصُّبْحِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كُنَّا نَحْزِرُ أَنِّي نُقَدِّرُ قِيَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ قَدَرِ ﴿الْم تَنْزِيلُ﴾ السَّجْدَةِ وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الْآخِرَتَيْنِ قَدَرِ النُّصْبِ مِنْ ذَلِكَ وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى قَدَرِ قِيَامِهِ فِي الْآخِرَتَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ وَفِي الْآخِرَتَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى النُّصْبِ مِنْ ذَلِكَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَرَوَى عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ بِاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَفِي رِوَايَةٍ بِسَبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَفِي الْعَصْرِ بِنَحْوِ ذَلِكَ، وَعَنْهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعَنْ أَنَسٍ قَرَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الظُّهْرِ بِسَبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

الْفَرْعُ السَّادِسُ

فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ

عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ قَالَتْ سَمِعْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالْمُرْسَلَاتِ عَزْفًا وَإِنَّمَا لَآخِرُ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهَا آخِرُ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِالْمَغْرِبِ بِالطُّورِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الْمَغْرِبَ بِسُورَةِ الْأَعْرَافِ فَرَفَعَهَا فِي رَكَعَتَيْنِ وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ قَرَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ حَمْدَ الدُّخَانِ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَبَّهَ صَلَاةَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فُلَانٍ وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ بِطَوَالِ الْمُفْصَلِ وَفِي الْمَغْرِبِ بِقِصَارِ الْمُفْصَلِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْمُفْصَلُ مِنَ الْحُجَرَاتِ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ.

الْفَرْغُ السَّابِعُ

فِي ذِكْرِ مَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُهُ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ
وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ جُمْلَةً أَحَادِيثَ تَتَعَلَّقُ بِقِرَاءَتِهِ فِي الصَّلَاةِ مُطْلَقًا

عَنِ الْبَرَاءِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى عَلَى آيَةِ عَذَابٍ وَقَفَ وَتَعَوَّذَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ. وَكَانَ إِذَا قَرَأَ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ فَانْتَهَى إِلَى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] فَلْيَقُلْ بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَمَنْ قَرَأَ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَانْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخِيطَ بِمَوْتِي﴾ [القيامة: ٤٠] فَلْيَقُلْ بَلَى وَمَنْ قَرَأَ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَلْيَقُلْ ﴿فَبَأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فَلْيَقُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ إِسْكَانَةً وَيَسْكُتُ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ وَيَسْكُتُ ثَالِثَةً بَعْدَ قِرَاءَةِ السُّورَةِ وَهِيَ سَكَنَةٌ لَطِيفَةٌ جَدًّا حَتَّى يَتَرَادَّ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَمْ يَكُنْ يَصِلُ الْقِرَاءَةَ بِالرُّكُوعِ، وَأَمَّا السَّكَنَةُ الْأُولَى فَلِإِنَّهُ كَانَ يَجْعَلُهَا بِقَدْرِ الْأَسْتِفْتَاكِحِ وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَلِأَجْلِ قِرَاءَةِ الْمَأْمُومِ الْفَاتِحَةَ فَيَتَّبِعِي تَطْوِيلَهَا بِقَدْرِهَا.

الْفَرْعُ الثَّامِنُ

فِي ذِكْرِ رُكُوعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَازِي بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ ثُمَّ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَازِي بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَضَعُ رَاحَتَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَغْتَدِلُ فَلَا يَصُوبُ رَأْسَهُ وَلَا يُفْنِغُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ وَقَوْلُهُ يَصُوبُ أَيْ يَخْفِضُ وَلَا يُفْنِغُ أَيْ لَا يَرْفَعُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ أَعْلَى مِنْ ظَهْرِهِ.

الْفَرْعُ التَّاسِعُ

فِي ذِكْرِ مِقْدَارِ رُكُوعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ ابْنِ جُبَيْرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ مِنَ التَّابِعِينَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ أَشَبَّ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْفَتَى يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ فَحَزَرْنَا رُكُوعَهُ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ وَسُجُودَهُ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعَنِ الْبَرَاءِ كَانَ رُكُوعُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُجُودُهُ وَبَيْنَ السُّجُودَتَيْنِ وَإِذَا رَفَعَ مِنَ الرُّكُوعِ مَا خَلَا الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ قَالَ النَّوَوِيُّ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ تَطْوِيلُ قِيَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الْفَرْعُ الْعَاشِرُ

فِيمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ فِي الرُّكُوعِ وَالرَّفْعِ مِنْهُ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَبِّرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَمَعْنَى يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ يَعْمَلُ بِمَا أَمَرَ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣] فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ الْبَدِيعَ فِي الْجَزَالَةِ الْمُسْتَوْفِي مَا أَمَرَ بِهِ فِي الْآيَةِ، وَعَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَعَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ وَفِي سُجُودِهِ سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ أَهْلِ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَالْجَدُّ الْحَطُّ، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بَعْدَ قَوْلِهِ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ الْمَاءِ الْبَارِدِ.

الْفَرْعُ الْحَادِي عَشَرَ

فِي ذِكْرِ صِفَةِ سُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَقُولُ فِيهِ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْتَهَى مِنْ ذِكْرِ قِيَامِهِ عَنِ الرُّكُوعِ يُكَبِّرُ وَيَجْرُ سَاجِدًا وَلَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ أَيْضًا وَصَحَّحَهُ بَعْضُ الْحَفَاطِ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَضَعُ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكُوبَتِهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ثُمَّ جَبَهَتُهُ وَأَنْفَهُ وَقَالَ أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمِ الْجَبْهَةِ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا سَجَدَ فَرَجَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَبْدُو بَيَاضُ إِبْطِئِهِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةً وَجَلَّةً أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ عِلَاقَتَهُ وَسِرَّهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَقَوْلُهُ دِقَّةً وَجَلَّةً أَيُّ قَلِيلَةً وَكَثِيرَةً.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي السُّجُودِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ مُكَبِّرًا غَيْرَ رَافِعٍ يَدَيْهِ ثُمَّ يَجْلِسُ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَجْلِسُ لِلْأَسْتِرَاحَةِ جَلْسَةً لَطِيفَةً بِحَيْثُ تَسْكُنُ جَوَارِحُهُ سُكُونًا بَيْنًا ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ بَيْنَ السُّجُودَيْنِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الْفَرْعُ الثَّانِي عَشَرَ

فِي ذِكْرِ جُلُوسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلتَّشْهِيدِ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ لِلتَّشْهِيدِ يَفْرُشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ فِي عَشْرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا فَأَعْرِضْ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ السُّجْدَةُ الَّتِي فِيهَا التَّسْلِيمُ أَخْرَجَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَقَعَدَ مُتَوَرِّكًا عَلَى شِقِّهِ الْأَيْسَرِ ثُمَّ سَلَّمَ قَالُوا صَدَقْتَ هَكَذَا كَانَ يُصَلِّي، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَعَدَ فِي التَّشْهِيدِ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَرَفَعَ إِصْبَعَهُ الَّتِي تَلِي الْإِنْهَامَ وَيَدْعُو بِهَا وَيَدُّهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتَيْهِ بِأَسْطِهَا عَلَيْهَا، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَقْبِلُ بِأَصَابِعِهِ الْقِبْلَةَ فِي رَفْعِ يَدَيْهِ وَرُكُوعِهِ وَفِي سُجُودِهِ وَفِي التَّشْهِيدِ وَاسْتَقْبِلَ بِأَصَابِعِ رِجْلَيْهِ الْقِبْلَةَ فِي سُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ عَشَرَ

فِي ذِكْرِ تَشْهِيدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَشْهَدُ دَائِمًا فِي هَذِهِ الْجَلْسَةِ الْأَخِيرَةِ وَيُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ أَنْ يَقُولُوا التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ فَقَالَ إِنَّ الرُّجْلَ إِذَا عَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَّبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ وَدَعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ لِتَغْلِيمِ أُمَّتِهِ. وَعَنْ عَلِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ مَا بَيْنَ التَّشْهِيدِ وَالتَّسْلِيمِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمَقْدُمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ عَشَرَ

فِي ذِكْرِ تَسْلِيمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ

وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ جُمْلَةً أَحَادِيثَ تَتَعَلَّقُ بِحَالِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ خَدِّهِ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ طَاطَأَ رَأْسَهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُعَاوِزُ بَصَرَهُ إِشَارَتَهُ أَيْ إِصْبَعَهُ الَّتِي يُشِيرُ بِهَا وَهِيَ السَّبَابَةُ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ قُرَّةَ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ كَمَا قَالَ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ . وَلَمْ يَكُنْ يَشْغَلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا هُوَ فِيهِ عَنْ مُرَاعَاةِ أَحْوَالِ الْمَأْمُومِينَ مَعَ كَمَالِ إِقْبَالِهِ وَقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ حُضُورِ قَلْبِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ فَيُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ مَخَافَةً أَنْ يَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْمُ النَّاسَ وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةً بِنْتُ بَنِيهِ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فَيَجِيءُ الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ فَيَرْكَبُ عَلَى ظَهْرِهِ فَيُطِيلُ السَّجْدَةَ كَرَاهِيَةً أَنْ يُلْقِيَهُ عَنْ ظَهْرِهِ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرُدُّ السَّلَامَ بِالْإِشَارَةِ عَلَى مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَعَائِشَةُ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَهَا بِيَدِهِ فَقَبَضَتْ رِجْلَيْهَا وَإِذَا قَامَ بَسَطَتْهُمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَرَوَى مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي وَلَعُجُوفِهِ أَرِيذُ كَأَزِيذِ الْمِرْجَلِ يَغْنِي بَيْنِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْأَرِيذُ الصُّوْتُ وَالْمِرْجَلُ قَدْرٌ مِنْ نَحَاسٍ . وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغْمَضُ عَيْنَيْهِ فِي صَلَاتِهِ . وَقَدْ كَانَتْ صَلَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَسِّطَةً عَارِيَةً عَنِ الْغُلُوفِ كَالْوَسْوَسَةِ فِي عَقْدِ النَّيَّةِ وَالْجَهْرِ بِالْأَذْكَارِ الَّتِي شَرَعَتْ سِرًّا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِمَّنْ ابْتُلِيَ بِدَاءِ الْوَسْوَسَةِ عَاقِبَانَا اللَّهُ مِنْهَا وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الْجُنُونِ فَمَنْ أَرَادَ التَّخَلُّصَ مِنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ فَلْيَتَّبِعْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّوِيَّةَ .

الْفَرْعُ الْخَامِسَ عَشَرَ

فِي ذِكْرِ قُتُوبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُنِيَ دُعَائِهِ فِي الصَّلَاةِ

عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعِينَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَاءُ فَعَرَضَ لَهُمْ حَيَّانٍ مِنْ سُلَيْمٍ رِغْلٌ وَذَكَوَانٌ عِنْدَ بَثْرِ يُقَالُ لَهَا بَثْرٌ مَعُونَةٌ فَفَتَلَوْهُمْ فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرًا فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ أَيْ الصُّبْحِ وَذَلِكَ بَدْءُ الْقُنُوتِ وَمَا كُنَّا نَقُتُّ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قُنَّتْ قَبْلَ الرُّكُوعِ وَفِي أُخْرَى أَنَّهُ قُنَّتْ بَعْدَ الرُّكُوعِ، وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرُّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ يَقُولُ اللَّهُمَّ الْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا بَعْدَمَا يَقُولُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلْيَنْهَمِ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ قَالَ اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ وَعِيَّاشَ بْنَ أَبِي رِبْعَةَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرِّ اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِينِي يُوسُفَ وَفِي رِوَايَةٍ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَفِي رِوَايَةٍ ثُمَّ بَلَّغْنَا أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنِ الْبَرَاءِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُتُّ فِي الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَإِبْنُ دَاوُدَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَغْرِبَ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُتُّ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَفِي وَثْرِ اللَّيْلِ بِهَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ أَخْرِجْهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ وَتَمَامُهَا وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ وَقَبِي شَرًّا مَا قَضَيْتَ فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ.

الْفَضْلُ الرَّابِعُ

فِي سُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْسَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ مِنْ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ ثُمَّ قَامَ فَلَمْ يَجْلِسْ فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ وَنَظَرْنَا أَيْ انْتَهَرْنَا تَسْلِيمَهُ كَبَّرَ قَبْلَ التَّسْلِيمِ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ ثُمَّ سَلَّمَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الْفَضْلُ الْخَامِسُ

فِيمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ بَعْدَ انْصِرَافِهِ
مِنَ الصَّلَاةِ وَجُلُوسِهِ بَعْدَهَا وَسُرْعَةِ انْفِثَالِهِ بَعْدَهَا

عَنْ ثَوْبَانَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَعْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ اللَّهُمَّ
أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صَلَّى أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَيُحْمَلُ مَا وَرَدَ مِنَ الدُّعَاءِ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى أَنَّهُ
كَانَ يَقُولُهُ بَعْدَ أَنْ يُقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ الشَّرِيفِ فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُسْرِعُ
الْانْفِثَالَ إِلَى الْمَأْمُومِينَ وَكَانَ يَنْفَتِلُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَالْأَكْثَرُ عَنْ يَمِينِهِ. وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ مَكَثَ فِي مَكَانِهِ يَسِيرًا قَالَ الزُّهْرِيُّ فُتْرَى
وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِكَيْ يَنْصَرِفَ النِّسَاءُ قَبْلَ الرِّجَالِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ لَا يَقْعُدُ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا يَقُولُ اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ
السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا
الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بِأَعْلَى
صَوْتِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النُّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ
الْجَمِيلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَعَنْ سَعْدٍ أَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ بَيْنَهُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَيَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّدُ بِهِنَّ ذُبُرَ الصَّلَوَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ
وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ
شَيْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ الرَّبُّ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ اللَّهُمَّ رَبَّنَا
وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ اجْعَلْنِي مُخْلِصًا لَكَ وَأَهْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَا ذَا الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ اسْمَعِ وَاسْتَجِبِ اللَّهُ الْأَكْبَرُ اللَّهُ الْأَكْبَرُ اللَّهُ نُورَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اللَّهُ الْأَكْبَرُ حَسْبِيَ
اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ اللَّهُ الْأَكْبَرُ اللَّهُ الْأَكْبَرُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَحْمَدُ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي أَخْرِجْهُ النَّسَائِيُّ عَنْ صُهَيْبٍ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ تَقَامُ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ إِذَا رَأَاهُمْ قَلِيلًا جَلَسَ وَإِذَا
رَأَاهُمْ جَمَاعَةً صَلَّى رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسُحُ
مَتَاكِئَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلِينِي مِنْكُمْ أُولُوا الْأَخْلَامِ
وَاللَّهُمَّ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُصَلِّي فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَأَخَذَ بِيَدِي مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ يُغْدِلُنِي كَذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ إِلَى الشَّقِّ
الْأَيْمَنِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

البَابُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُمُعَةِ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ
أَنَسٍ وَلَمْ يَكُنْ يُؤَدِّنُ فِي رَمَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَنَارِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَإِنَّمَا كَانَ بِأَلَّ
يُؤَدِّنُ وَخَذَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْمَدِينَةَ أَقَامَ بِقُبَاءَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ
يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَأَسَّسَ مَسْجِدَهُمْ ثُمَّ خَرَجَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَذَرَ كَتِفَهُ
الْجُمُعَةَ فِي بَنِي سَالِمٍ فَصَلَّاهَا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِي فَكَانَتْ أَوَّلُ جُمُعَةٍ صَلَّاهَا
بِالْمَدِينَةِ وَذَلِكَ قَبْلَ تَأْسِيسِ مَسْجِدِهِ وَخَطَبَ وَهِيَ أَوَّلُ خُطْبَةٍ خُطِبَهَا بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ: الْحَمْدُ
لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَهْدِيهِ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَلَا أَكْفُرُهُ وَأَعَادِي مَنْ يَكْفُرُ بِهِ وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ وَالْحِكْمَةِ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَقَلَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ وَضَلَالَةٍ مِنَ النَّاسِ وَانْقِطَاعِ
مِنَ الزَّمَانِ وَذُلٍّ مِنَ السَّاعَةِ وَقُرْبٍ مِنَ الْأَجَلِ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى وَفَرَطَ وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ خَيْرَ مَا أَوْصَى بِهِ
الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَحْضَهُ عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمُ اللَّهُ مِنْ

نَفْسِهِ فَإِنْ تَقَوَّى اللَّهَ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا عَلَى وَجَلٍ وَمَخَافَةٍ مِنْ رَبِّهِ عَوْنٌ وَصِدْقٌ عَلَى مَا تَبْتَغُونَ مِنَ الْآخِرَةِ وَمَنْ يَصِلِ إِلَيْهِ بَيِّنَةٌ وَبَيِّنٌ اللَّهُ مِنْ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لَا يَنْوِي بِهِ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ يَكُنْ لَهُ ذِكْرًا فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ وَدُخْرًا فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَفْتَقِرُ الْمَرْءُ إِلَى مَا قَدَّمَ وَمَا كَانَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ يَوَدُّ لَوْ أَنْ بَيِّنَةٌ وَبَيِّنَةٌ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ هُوَ الَّذِي صَدَقَ قَوْلُهُ وَأَنعَزَ وَعَدَهُ لَا خُلْفَ لِدَٰلِكَ فَإِنَّهُ يَقُولُ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ وَأَجَلِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ قَارَىٰ قَوْزًا عَظِيمًا وَإِنْ تَقَوَّى اللَّهَ تَوَقَّى مَقْتَهُ وَتَوَقَّى عُقُوبَتَهُ وَسَخَطَهُ وَإِنْ تَقَوَّى اللَّهَ تَبَيَّضَ الْوَجْهَ وَتَرَضِيَ الرَّبُّ وَتَرَفَعَ الدَّرَجَةَ فَخُذُوا بِحِفْظِكُمْ وَلَا تُفَرِّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ فَقَدْ عَلَّمَكُمْ كِتَابَهُ وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَسَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَاتَّخِذُوا ذِكْرَ اللَّهِ وَاعْمَلُوا لِمَا يَغْدَىٰ الْمَوْتُ فَإِنَّهُ مَنْ يُصْلِحْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَخْطُبُ خُطْبَتَيْنِ يَجْلِسُ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ حَتَّى يَفْرَغَ الْمُؤَذِّنُ ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ ثُمَّ يَجْلِسُ فَلَا يَتَكَلَّمُ ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبِّحَكُمْ وَمَسَاكُمْ وَيَقُولُ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ وَيَقْرَأُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ بِذْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا أَوَّلِي بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَا لَا فَلَا هِلَهِ وَمَنْ تَرَكَ دِينَنَا أَوْ ضَيَاعًا فَلِيَّ وَعَلَيَّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَمَعْنَى ضَيَاعًا عِيَالًا عَالَةً وَأَطْفَالًا لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ .

وَعَنْ أُمِّ هِشَامِ بِنْتِ حَارِثَةَ بِنِ الثُّعْمَانِ قَالَتْ مَا أَخَذْتُ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] إِلَّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُهَا كُلُّ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَعَنْ الْحَكَمِ بْنِ حَزْنٍ قَالَ قَدِمْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابِعَ سَبْعَةٍ أَوْ تَاسِعَ تِسْعَةٍ فَلَبِثْنَا عِنْدَهُ أَيَّامًا شَهِدْنَا فِيهَا الْجُمُعَةَ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَكِّئًا

عَلَى قَوْسٍ أَوْ قَالَ عَلَى عَصَا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ كَلِمَاتٍ خَفِيفَاتٍ طَيِّبَاتٍ مُبَارَكَاتٍ ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَنْ تَفْعَلُوا أَوْ لَنْ تُطِيقُوا كُلَّ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَلَكِنْ سَدُّوا وَأَبْشِرُوا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ: قَوْلُهُ سَدُّوا أَيْ لَا زِمُوا الصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

وَعَنْ أَبِي الدُّرْدَاءِ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تَشْتَغِلُوا وَصَلُّوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ تَسْعَدُوا وَأَكْثِرُوا الصَّدَقَةَ تُزْرَقُوا وَأَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ تُخْصَبُوا وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ تُنْصَرُوا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ أَكْثَرْتُمْ أَكْثَرَكُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ وَأَكْرَمَكُمْ أَحْسَنَكُمْ اسْتِعْدَادًا لَهُ أَلَا وَإِنْ مِنْ عَلَامَاتِ الْعَقْلِ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ وَالْإِنَابَةَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ وَالتَّزَوُّدَ لِسُكْنَى الْقُبُورِ وَالتَّأَهُبَ لِيَوْمِ الثُّشُورِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

وَفِي مَرَايسِلِ أَبِي دَاوُدَ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ كَانَ صَدْرُ خُطْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمُدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ يَطِيعِهِ وَيُطِيعِ رَسُولَهُ وَيَتَّبِعِ رِضْوَانَهُ وَيَجْتَنِبِ سَخَطَهُ. وَعِنْدَهُ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ بَلَّغْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا خَطَبَ كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ لَا بُعْدَ لِمَا هُوَ آتٍ يُرِيدُ اللَّهُ أَمْرًا وَيُرِيدُ النَّاسُ أَمْرًا مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ وَلَا مُبْعِدَ لِمَا قَرَّبَ اللَّهُ وَلَا مُقَرَّبَ لِمَا أَبْعَدَ اللَّهُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالَ جَابِرٌ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَقُولُ بَعْدَ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ وَيُصَلِّيَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ فَأَنْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ وَإِنَّ لَكُمْ نِهَائِيَّةَ فَأَنْتَهُوا إِلَى نِهَائِيَّتِكُمْ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَذِرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَذِرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ فَلْيَأْخِذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَمِنْ الشُّبُهَاتِ قَبْلَ الْكِبَرِ وَمِنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُمُعَةَ قَصْدًا بَيْنَ الطُّوْلِ وَالتَّخْفِيفِ وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ يَقْرَأُ بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَيَذْكُرُ النَّاسَ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ أَرْخَى

طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الْهَدْيِ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ خَرَجَ إِلَيْهِمْ وَخَدَّهُ مِنْ غَيْرِ شَاوِيشٍ يَصِيحُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا لُبْسٍ طِنْلَسَانٍ وَلَا طَرْحَةٍ وَلَا سَوَادٍ فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَإِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَجْلِسُ وَيَأْخُذُ بِلَالٍ فِي الْأَذَانِ فَإِذَا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَ فَخَطَبَ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْخُطْبَةِ لَا بِإِيزَادٍ خَبَرٍ وَلَا غَيْرِهِ وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ بِيَدِهِ سَيْفًا وَلَا غَيْرَهُ وَإِنَّمَا كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى قَوْسٍ أَوْ عَصَا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَ الْمِنْبَرَ وَكَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ مِنْهُ وَيَأْمُرُهُمْ بِالْإِنصَاتِ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِسُورَةِ «الْجُمُعَةِ» فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى وَ «إِذَا جَاءَكَ الْمُتَأَفِّقُونَ» [المنافقون: ١] بِالثَّانِيَةِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَفِي حَدِيثِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَفِي الْجُمُعَةِ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» [الأعلى: ١] وَ «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ» [الغاشية: ١] وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بِالْمَدِينَةِ وَكَانُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا .

الْبَابُ الثَّالِثُ

فِي تَهَجُّدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

التَّهَجُّدُ الصَّلَاةُ بَعْدَ الرُّقَادِ ثُمَّ صَلَاةٌ أُخْرَى بَعْدَ رُقْدَةٍ ثُمَّ صَلَاةٌ أُخْرَى بَعْدَ رُقْدَةٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ قَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَقُلْتُ لَهُ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ عَفَّرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدِّمُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا تَأْخُرُ قَالَ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا قَالَتْ فَلَمَّا بَدَأَ وَكَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ .

(ذِكْرُ سِيَاقِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ) عَنْ شُرَيْحٍ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ قَطُّ فَدَخَلَ بَيْتِي إِلَّا صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَوْ سِتَّ رَكَعَاتٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ وَالصَّارِخُ الدِّيكُ، وَقَالَتْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَأَمُّ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصَلِّي ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى فِرَاشِهِ فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ وَتَبَّ فَإِنْ كَانَتْ بِهِ حَاجَةٌ اغْتَسَلَ وَإِلَّا تَوَضَّأَ وَخَرَجَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَقَالَتْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رُبَّمَا اغْتَسَلَ فِي

أَوَّلِ اللَّيْلِ وَرُبَّمَا اغْتَسَلَ فِي آخِرِهِ وَرُبَّمَا أَوْتَرَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَرُبَّمَا أَوْتَرَ فِي آخِرِهِ وَرُبَّمَا جَهَرَ بِالْقِرَاءَةِ وَرُبَّمَا خَفَتْ أُنَى أَسَرَّ بِهَا.

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِنَا ثُمَّ يَتَامُ قَدَرَ مَا صَلَّى ثُمَّ يُصَلِّي قَدَرَ مَا تَامَ ثُمَّ يَتَامُ قَدَرَ مَا صَلَّى حَتَّى يُضِيحَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ مَا كُنَّا نَشَاءُ أَنْ نَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْنَاهُ وَلَا نَشَاءُ أَنْ نَرَاهُ نَائِمًا إِلَّا رَأَيْنَاهُ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، وَعَنْهَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ اللَّهُ عَشْرًا وَحَمِدَ اللَّهُ عَشْرًا وَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَشْرًا وَقَالَ سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ عَشْرًا وَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ عَشْرًا وَهَلَّلَ عَشْرًا ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا وَضِيقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَشْرًا ثُمَّ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

(وَكَانَ قِيَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْوَاعٍ) فَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَشٌّ عِنْدَ خَالَتِي مِمُّونَةَ لَيْلَةً وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا فَتَحَدَّثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ أَوْ نِصْفُهُ قَعَدَ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَرَأَ ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الْقِرْبَةِ فَأَطْلَقَ شِئَانَهَا ثُمَّ صَبَّ فِي الْجَفْنَةِ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءًا حَسَنًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ لَمْ يَكْثُرْ وَقَدْ أَبْلَغَ فَقَامَ فَصَلَّى فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَذَانَنِي عَنْ يَمِينِهِ فَتَنَامَتْ صَلَاتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةِ رَكْعَةٍ ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ فَأَذَنُهُ بِلَالٍ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ يَسَارِي نُورًا وَفَوْقِي نُورًا وَتَحْتِي نُورًا وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا وَزَادَ بَعْضُهُمْ وَفِي لِسَانِي نُورًا وَذَكَرَ عَصَبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعْرِي وَبَشْرِي.

وَفِي رِوَايَةٍ فَقَامَ فَصَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنْهَا رَكْعَتَا الْفَجْرِ حَزَزْتُ قِيَامَهُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِقَدْرِ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ﴾ [المزمل: ١] وَفِي رِوَايَةٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى صَلَّى ثَمَانِي رَكْعَاتٍ ثُمَّ أَوْتَرَ بِخَمْسٍ لَمْ يَجْلِسَ فِيهِنَّ، وَعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ انْطَلَقْتُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئْنِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ أَلَسْتُ

تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قُلْتُ بَلَى قَالَتْ كَانَ خُلِقَ الْقُرْآنَ قُلْتُ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِي عَنِ وَثَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ كُنَّا نَعُدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهْوَرَهُ فَيَنْعَثُهُ اللَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَنْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَتَسَوَّكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّيُ تِسْعَ رَكَعَاتٍ وَلَا يَجْلِسُ فِيهَا إِلَّا فِي الثَّامِنَةِ فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ثُمَّ يَنْهَضُ وَلَا يُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّيُ التَّاسِعَةَ ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا ثُمَّ يُصَلِّيُ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَهَا يُسَلِّمُ وَهُوَ قَاعِدٌ فَيَلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً يَا بُنَيَّ فَلَمَّا أَسَرَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ أَوْ تَرَ بِسَبْعٍ وَصَنَعَ فِي الرُّكَعَتَيْنِ مِثْلَ صَنِيعِهِ الْأَوَّلِ فَيَلْكَ تِسْعَ يَا بُنَيَّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهَا لِلنَّسَائِيِّ فَصَلَّى سِتَّ رَكَعَاتٍ يُحْتَلِلُ إِلَيْهَا أَنَّهُ سَوَّى بَيْنَهُنَّ فِي الْقِرَاءَةِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ثُمَّ يُؤَيِّرُ بِرَكَعَةٍ ثُمَّ يُصَلِّيُ رَكَعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ ثُمَّ يَضَعُ جَنْبَهُ، وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ بِرَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ .

وَعَنْهَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُصَلِّيُ فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً وَيُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ وَيُؤَيِّرُ بِوَاحِدَةٍ فَيَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَتَبَيَّنَ لَهُ الْفَجْرُ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ لِلْإِقَامَةِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَعَنْهَا قَالَتْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكَعَةً يُؤَيِّرُ مِنْ ذَلِكَ بِخَمْسٍ وَلَا يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي آخِرِهَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ سَأَلَتْ عَائِشَةَ عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ سَبْعًا وَتِسْعًا وَإِحْدَى عَشْرَةَ سِوَى رَكَعَتَيْ الْفَجْرِ وَأَشْكَلَتْ رِوَايَاتِ عَائِشَةَ عَلَى كَثِيرٍ وَالصُّوَابُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ذَكَرْتُهُ مِنْ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى أَوْقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَأَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ بِحَسَبِ النَّشَاطِ وَبَيَانِ الْجَوَازِ قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ أَنَّهُ قَالَ لَا زَمَقْنَ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّيْلَةَ قَالَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ أَوْتَرَ فَلَيْكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكَعَةً رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَعَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيُ مِنَ اللَّيْلِ فَكَانَ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا دُوَ الْمَلَكُوتِ وَالْجَبْرُوتِ وَالْكَبِيرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقْرَةَ ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعَهُ

قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هَذِهِ لَيْلَةُ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُطْلِعُ عَلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ وَيَرْحَمُ الْمُسْتَرحِمِينَ وَيُؤَخِّرُ أَهْلَ الْحَفْدِ كَمَا هُمْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ فَقَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ بِالْبَقِيعِ رَافِعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ أَكُنْتُ تَخَافِينَ أَنْ يَجِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتَ بَعْضَ نِسَائِكَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ لَيْلَةَ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرِ مَنْ عَدِدَ شَعْرَ عَنَمٍ كُلِّبَ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمَعْنَى يَنْزِلُ أَيَّ أَمْرِهِ أَوْ مَلَكُهُ.

(وَأَمَّا قِيَامُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ) وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى بِالْأَرْبَاعِ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ الْأَوَّلُ مِنْ رَمَضَانَ أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيَّظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِثْرَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا وَلِمُسْلِمٍ قَالَتْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ وَفِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْهُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَعَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا.

وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ ثُمَّ قُمْنَا مَعَهُ لَيْلَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ قُمْنَا مَعَهُ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ حَتَّى ظَنَّنَا أَنْ لَا نُذْرِكَ الْفَلَاحَ أَيُّ السُّحُورِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، (وَأَمَّا عَدَدُ الرُّكْعَاتِ الَّتِي كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيُهَا فِي رَمَضَانَ) فَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ قَالَتْ مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةِ رُكْعَةٍ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حُسْنِيٍّ وَطَوِيلٍ ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حُسْنِيٍّ وَطَوِيلٍ ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ قَالَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنِي ثَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيلُ الْقِرَاءَةَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ بِاللَّيْلِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ وَقَدْ

صَلَّى مَعَهُ حَذِيفَةُ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ قَالَ فَقَرَأَ بِالْبَقَرَةِ ثُمَّ النَّسَاءِ ثُمَّ آلَ عِمْرَانَ لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ تَخْوِيفٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَأَلَ قَالَ فَمَا صَلَّيَ الرُّكْعَتَيْنِ حَتَّى جَاءَهُ بِلَالٌ فَأَذَّنَهُ بِالصَّلَاةِ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتَّسَائِي وَعِنْدَهُ أَيْضًا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا صَلَّيَ إِلَّا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ حَتَّى جَاءَهُ بِلَالٌ يَدْعُوهُ إِلَى الْعَدَاةِ .

البَابُ الرَّابِعُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوُتْرُ

قَدْ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَوْتَرَ بِخَمْسٍ وَلَمْ يَجْلِسْ إِلَّا فِي آخِرِهِنَّ وَرَوَى الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوتِرُ بِثَلَاثٍ لَا يَقْعُدُ إِلَّا فِي آخِرِهِنَّ، وَرَوَى الطَّحَاوِيُّ مِنْ طَرِيقِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْصِلُ بَيْنَ شَفْعِهِ وَوُتْرِهِ بِتَسْلِيمَةٍ وَأَخْبَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْعَلُهُ وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ .

وَفِي مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ فَلَمْ يَقُمْ مِنَ اللَّيْلِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيِ عَشْرَةٍ رَكَعَةً أَيْ لَمْ يَقْضِ الْوُتْرَ إِذْ لَوْ قَضَاهُ لَصَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةٍ، وَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَوْتَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ مِنْ أَوَّلِهِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ وَانْتَهَى وَتَرَاهُ إِلَى السَّحَرِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا وَالْمُرَادُ بِأَوَّلِهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اخْتِلَافٌ وَقَدْ الْوُتْرُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ فَحِينَئِذٍ أَوْتَرَ أَوَّلَهُ لَعَلَّهُ كَانَ وَجَعًا وَحِينَئِذٍ أَوْتَرَ وَسَطَهُ لَعَلَّهُ كَانَ مُسَافِرًا وَأَمَّا وَتَرُهُ فِي آخِرِهِ فَكَانَ غَالِبَ أَحْوَالِهِ لَمَّا عُرِفَ مِنْ مُوَظَّيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّلَاةِ آخِرَ اللَّيْلِ وَالسَّحَرِ قُبَيْلَ الصُّبْحِ، وَرَوَى أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَادَنِي رَبِّي صَلَاةً وَهِيَ الْوُتْرُ وَفَتْهَا مِنَ الْعِشَاءِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ .

وَعَنْ عَلِيٍّ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوتِرُ بِثَلَاثٍ يَقْرَأُ فِيهِنَّ بِتِسْعِ سُورٍ مِنَ الْمُفْصَلِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ بِثَلَاثِ سُورٍ آخِرُهُنَّ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَعَنْ عَائِشَةَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى بِسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَفِي الثَّانِيَةِ بِقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَفِي الثَّالِثَةِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوَّدَتَيْنِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَلِأَبِي دَاوُدَ كَانَ إِذَا سَلَّمَ قَالَ سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ وَعِنْدَ النَّسَائِيِّ ثَلَاثًا يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالثَّالِثَةِ، وَعَنْ عَلِيٍّ كَانَ عَلَيْهِ

الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ يَقُولُ فِي آخِرِ وَثَرِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقْرَأُ فِي سُنَّةِ الْفَجْرِ وَفِي الْوُثْرِ بِسُورَتِي الْإِخْلَاصِ وَهُمَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ.

البَابُ الْخَامِسُ

فِي ذِكْرِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضُّحَى

رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الضُّحَى رَكْعَتَيْنِ وَرَوَتْ عَائِشَةُ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّيهَا أَرْبَعًا وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَرَوَى جَابِرٌ وَمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهَا سِتَّ رَكَعَاتٍ وَرَوَتْ أُمُّ هَانِيءٌ وَأَنْسُ أَنَّهُ صَلَاتُهَا ثَمَانِي رَكَعَاتٍ وَرَوَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّيهَا ثِنْتِي عَشْرَةَ رَكَعَةً.

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّوَافِلِ وَأَحْكَامِهَا وَفِيهِ بَابَانِ

البَابُ الْأَوَّلُ

فِي النَّوَافِلِ الْمَقْرُونَةِ بِالْأَوْقَاتِ وَفِيهِ فَضْلَانِ

الْفَضْلُ الْأَوَّلُ

فِي رَوَاتِبِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ وَفِيهِ سَبْعَةُ فُرُوعٍ

الْفَرْعُ الْأَوَّلُ

فِي أَحَادِيثِ جَامِعَةٍ لِرَوَاتِبِ مُشْتَرَكَةٍ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ رَكْعَتَيْنِ وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ وَبَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ رَكْعَتَيْنِ وَكَانَ لَا يُصَلِّي بَعْدَ

الْجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ فَيُصَلِّي فِي بَيْتِهِ رَكَعَتَيْنِ قَالَ وَأَخْبَرَنِي حَفْصَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنَ الْأَذَانِ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ وَبَدَأَ لَهُ الصُّبْحُ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَقَامَ الصَّلَاةُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي بَيْتِهِ قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الظُّهْرَ ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ الْحَدِيثُ وَفِي آخِرِهِ وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الثَّانِي

فِي رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّوَابِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنْهُ عَلَى رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا وَلِمُسْلِمٍ لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا وَكَانَ يُصَلِّيهِمَا إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ بَعْدَ أَنْ يَسْتَنِيرَ الْفَجْرُ وَيُخَفِّفُهُمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَهَذَا لَفْظُ النَّسَائِيِّ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مَا يَقْرَأُ فِي الْأَوَّلَى مِنْهُمَا ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] الْآيَةَ وَفِي الْآخِرَةِ مِنْهُمَا ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَرَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نِعَمَ السُّورَتَانِ يَقْرَأُ بِهِمَا فِي رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ

فِي رَاتِبَةِ الظُّهْرِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَدْعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ الْأَرْبَعُ كَانَتْ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِهِ وَالرُّكَعَتَانِ فِي قَلِيلِهَا.

وَرَوَى الْبُزَارُ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ بَعْدَ
يُضْفِ النَّهَارِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْكَ تَسْتَحِبُّ الصَّلَاةَ هَذِهِ السَّاعَةَ قَالَ تُفْتَحُ فِيهَا
أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى خَلْقِهِ بِالرَّحْمَةِ وَهِيَ صَلَاةٌ كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا آدَمُ وَنُوحٌ
وَلِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي أَرْبَعًا
بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ وَقَالَ إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأُجِبُ أَنْ يَضَعَدَ
لِي فِيهَا عَمَلُ صَالِحٍ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ

فِي سُنَّةِ الْعَصْرِ

عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي قَبْلَ الْعَصْرِ رَكْعَتَيْنِ رَوَاهُ أَبُو
دَاوُدَ، وَعَنْهُ كَرُمُ اللَّهِ وَجْهَهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ يَفْصِلُ
بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
وَرَوَى أَيْضًا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَجِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا، وَرَوَى أَبُو
دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بَعْدَ الْعَصْرِ
رَكْعَتَيْنِ وَيَنْتَهِي عَنْهُمَا.

الْفَرْعُ الْخَامِسُ

فِي رَاتِبَةِ الْمَغْرِبِ

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ مَا أَحْصِي مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي
الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَفِي الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَقُلُ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيلُ الْقِرَاءَةَ فِي الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ
الْمَغْرِبِ حَتَّى يَتَفَرَّقَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَمَّا الرُّكْعَتَانِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ فَلَمْ يُصَلِّهُمَا
وَصَلَّاهُمَا أَصْحَابُهُ فَأَقْرَهُهُمَا عَلَيْهِمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَنَسٍ.

الْفَرْعُ السَّادِسُ

فِي رَاتِبَةِ الْعِشَاءِ

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ قَطُّ

فَدَخَلَ بَيْتِي إِلَّا صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَوْ سِتَّ رَكَعَاتٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَفِي مُسْلِمٍ قَالَتْ عَائِشَةُ ثُمَّ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ فَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَكَذَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ .

الْفَرْعُ السَّابِعُ

فِي رَاتِبَةِ الْجُمُعَةِ

كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُطِيلُ الصَّلَاةَ قَبْلَ الْجُمُعَةِ وَيُصَلِّي بَعْدَهَا رَكَعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ وَيُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حَبَّانَ . وَدَخَلَ سُلَيْكُ الْغَطَفَانِيُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فَقَالَ لَهُ صَلَّيْتَ قَالَ لَا قَالَ قُمْ فَارْكَعْ رَكَعَتَيْنِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

الْفَضْلُ الثَّانِي

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِيدَيْنِ وَفِيهِ سَبْعَةُ فُرُوعٍ

الْفَرْعُ الْأَوَّلُ

فِي عَدَدِ الرُّكَعَاتِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمَ عِيدِ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهُمَا وَلَا بَعْدَهُمَا ثُمَّ أَتَى إِلَى النِّسَاءِ وَيَلَالٍ مَعَهُ فَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تَتَصَدَّقُ بِخُرْصِهَا وَسِخَابِهَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا وَالْخُرْصُ حَلَقَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ وَالسَّخَابُ قِلَادَةٌ مِنْ عَنَبٍ أَوْ قُرْنُلٍ أَوْ غَيْرِهِ وَلَا يَكُونُ فِيهِ خَرَزٌ .

الْفَرْعُ الثَّانِي

فِي عَدَدِ التَّكْبِيرِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُكَبِّرُ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى فِي الْأَوَّلَى سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ وَفِي الثَّانِيَةِ خَمْسَ تَكْبِيرَاتٍ سِوَى تَكْبِيرَتِي الْإِحْرَامِ وَالرُّكُوعِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

الْفَرْعُ الثَّالِثُ

فِي الْوَقْتِ وَالْمَكَانِ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى إِلَى الْمُصَلَّى فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلَاةُ الْحَدِيثَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ

فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِيدَيْنِ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الْخَامِسُ

فِي الْقِرَاءَةِ

عَنْ أَبِي وَائِلٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ ﴿بِقِ وَالْفُرَّانِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] فِي الْأُولَى وَ﴿افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] فِي الثَّانِيَةِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، وَعَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ ﴿يَسْبُحُ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١] وَرُبَّمَا اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَقَرَأَ بِهِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ السَّادِسُ

فِي الْخُطْبَةِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يُصَلُّونَ الْعِيدَيْنِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا. وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِيدَ فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ بِلاَ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلَالٍ فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَثَّ عَلَى طَاعِيَتِهِ وَوَعظَ النَّاسَ وَذَكَرَهُمْ ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ فَوَعظَهُنَّ وَذَكَرَهُنَّ فَقَالَ تَصَدَّقْنَ فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبٌ جَهَنَّمَ فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ وَسَطِ النِّسَاءِ سَفْعَاءَ الْحَدِيدِ فَقَالَتْ لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشُّكَاةَ وَتُكْفِرْنَ الْعَشِيرَ قَالَ

فَجَعَلَن يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ وَيُلْقِينَ فِي تَوْبٍ بِلَالٍ مِنْ أَقْرَاطِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ وَلَايْنِ خَزِيمَةَ خَطَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَ عِيدٍ عَلَى رَجُلَيْهِ وَهَذَا يُشْعِرُ بِأَنَّهُ لَمْ
يَكُنْ فِي الْمُصَلَّى فِي زَمَنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْبَرٌ. وَسَفَعَاءُ أَيْ فِي خَذْيِهَا سَوَادٌ وَالْكَفَرُ
هُنَا سَتْرُ الْحَقِّ وَالْعَتِيبُ الرُّوْجُ وَالْأَقْرَاطُ جَمْعُ قُرْطٍ مَا يُعَلَّقُ فِي شَحْمَةِ الْأُذُنِ.

الْفَرْعُ السَّابِعُ

فِي أَكْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفِطْرِ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى الصَّلَاةِ

عَنْ أَنَسٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَعَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْكُلُهُنَّ وَتَرَاهُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَطْعَمَ
وَلَا يَطْعَمَ يَوْمَ الْأَضْحَى حَتَّى يُصَلِّيَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الْأُمِّ بَلَّغْنَا عَنِ
الزُّهْرِيِّ قَالَ مَا رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِيدٍ وَلَا جَنَازَةٍ قَطُّ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ
عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْعِيدِ مَاشِيًا، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ يَوْمَ الْعِيدِ فِي طَرِيقٍ رَجَعَ فِي غَيْرِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ،
وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَخْرُجُ الْعَتَرَةَ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى يَزْكُرُهَا فَيُصَلِّي إِلَيْهَا رَوَاهُ
التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ. وَالْعَتَرَةُ الْعَصَا الصَّغِيرَةُ، وَقَدْ ضَحَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ
أَفْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدَيْهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ وَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى
صِفَاحِهِمَا يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَالْأَمْلَحُ هُوَ الَّذِي يَخَالِطُ سَوَادَهُ بَيَاضٌ وَالْبَيَاضُ أَكْثَرُ
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ الْأَغْبَرُ وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ الْأَبْيَضُ الْخَالِصُ، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِكَبْشٍ يَطَأُ فِي سَوَادٍ وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ فَأَتَى بِهِ لِيُضْحِيَ بِهِ قَالَ يَا
عَائِشَةُ هَلُمِّي الْمُدِيَّةَ ثُمَّ قَالَ اشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ فَفَعَلْتُ ثُمَّ أَخَذَهَا وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضَجَعَهُ ثُمَّ
ذَبَحَهُ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ثُمَّ ضَحَى بِهِ رَوَاهُ
مُسْلِمٌ. وَمَعْنَى يَطَأُ فِي سَوَادٍ وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ أَنْ قَوَائِمَهُ سُودٌ وَمَا يُلَاقِي مَحَلَّ بُرُوكِهِ مِنْ بَدَنِهِ
أَسْوَدٌ وَفِي رِوَايَةٍ وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ أَيْ مَحَاجِرُهُ سُودٌ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالْأَمْلَحِ.

وَعَنْ جَابِرٍ ذَبَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النُّحْرِ كَبْشَيْنِ أَفْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ مَوْجُوعَيْنِ
فَلَمَّا وَجَّهَهُمَا قَالَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَى مِثْلِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ عَن مُحَمَّدٍ وَأُمِّهِ بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ
ذَبَحَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ ذَبَحَ بِيَدِهِ وَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ
اللَّهُمَّ هَذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحَّ مِنْ أُمَّتِي . وَمَوْجُوءَيْنِ مَخْصِيَيْنِ .

البَابُ الثَّانِي

فِي التَّوَافِلِ الْمَقْرُونَةِ بِالْأَسْبَابِ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ فُصُولٍ الْفَضْلُ الْأَوَّلُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكُسُوفِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ
قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ
دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ قِيَامًا
طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا
طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ ثُمَّ سَجَدَ
ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ انْجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ
لَمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْكُرُوا اللَّهَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَفِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ وَمَالِكٍ وَالتِّرْمِذِيِّ قَالَ
مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَلَقَدْ أُوجِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ
تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا لَا أَذْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ يُؤْتَى
أَحَدُكُمْ فِي قَبْرِهِ فَيَقَالُ لَهُ مَا عَلِمْتَ بِهَذَا الرَّجُلِ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤْمِنَةُ لَا أَذْرِي أَيَّ ذَلِكَ
قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَاجَبَبْنَا وَاتَّبَعْنَا هُوَ مُحَمَّدٌ
ثَلَاثًا فَيَقَالُ لَمْ صَلَاحًا قَدْ عَلِمْنَا أَنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا وَأَمَّا الْمُتَنَابُثُ لَا أَذْرِي أَيَّ ذَلِكَ
قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ لَا أَذْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ .

وَعِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ لَمَّا سَلَّمَ مِنْ صَلَاةِ الْكُسُوفِ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَشَهِدَ أَنْ لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَشَهِدَ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنشُدْكُمْ بِاللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي قَصَرْتُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَاتِ رَبِّي لَمَّا أَخْبَرْتُمُونِي ذَلِكَ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ رِسَالَاتِ رَبِّكَ وَنَصَحْتَ لِأُمَّتِكَ وَقَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ ثُمَّ قَالَ وَإِنَّمِ اللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْذُ قُمْتُ أَصْلَى مَا أَنْتُمْ لَأَقْوَمُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ وَأَخَّرْتَكُمْ وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا آخِرُهُمُ الْأَعْوَرُ الدَّجَالُ مَنْ تَبِعَهُ لَمْ يَنْفَعَهُ صَالِحٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَعَنْ عَائِشَةَ لَمَّا كُسِفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُنَادِيًا فَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً وَرَوَى ابْنُ جِبَّانَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ رَكَعَتَيْنِ مِثْلَ صَلَاتِكُمْ.

الفصل الثاني

في صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْأَسْتِسْقَاءِ

كَانَ اسْتِسْقَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْوَاعًا «النُّوعُ الْأَوَّلُ» الْأَسْتِسْقَاءُ بِصَلَاةٍ رَكَعَتَيْنِ وَخُطْبَتَيْنِ وَيَتَأَهَّبُ قَبْلَهُ بِصَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَتَوْبَةٍ وَإِقْبَالٍ عَلَى الْخَيْرِ وَمُجَابَبَةِ الشَّرِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ جِبَّانَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ شَكَأَ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحُطَّ الْمَطَرُ فَأَمَرَ بِمُنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ فَخَرَجَ حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَقَعَدَ عَلَى الْمُنْبَرِ فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَذَبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِخَارَ الْمَطَرُ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَعْلَمُ مَا يُرِيدُ اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى بَدَأَ بِنَاضٍ إِبْطِنِيهِ ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ فَأَنشَأَ اللَّهُ سَحَابًا فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَمَّ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَأَلَتِ السُّيُولُ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَسُرَعَتْهُمْ إِلَى الْكِنِ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ تَوَاجِهُهُ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَاللَّوَاجِدُ الْأَثِيَابِ وَلِلشُّيْخَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِهِمْ رَكَعَتَيْنِ جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ وَأَفَادَ ابْنُ جِبَّانَ أَنَّ خُرُوجَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُصَلَّى لِلْأَسْتِسْقَاءِ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ.

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اسْتَسْقَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ بِأَسْفَلِهَا فَيَجْعَلُهُ أَغْلَاهَا فَلَمَّا ثَقُلَتْ عَلَيْهِ قَلْبَهَا عَلَى عَاتِقِهِ. وَالْخَمِيصَةُ كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ. «النُّوعُ الثَّانِي» اسْتِسْقَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْمَعْنَى حَدِيثُ أَنَسٍ الصَّحِيحُ فِي الْفَضْلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَقْصِدِ الرَّابِعِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى مُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «النُّوعُ الثَّالِثُ» اسْتِسْقَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِنْبَرِ الْمَدِينَةِ رَوَى النَّبَيْهِيُّ فِي الدَّلَائِلِ مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ عُبَيْدِ السَّلَمِيِّ قَالَ لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَتَاهُ وَقَدْ مِنْ بَنِي فَرَازَةَ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا وَفِيهِمْ خَارِجَةُ بْنُ حِصْنٍ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ فَتَزَلُّوا فِي دَارٍ رَمَلَةٍ بَنَتْ الْحَارِثُ مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَدِمُوا عَلَى إِبِلٍ عَجَافٍ وَهُمْ مُسْتَيْثُونَ فَاتَّوَا مُقَرَّرِينَ بِالْإِسْلَامِ فَسَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بِلَادِهِمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَنْتَ بِلَادُنَا وَأَجَدْتَ جَنَابَنَا وَغَرَّتْ عِيَالُنَا وَهَلَكَتْ مَوَاشِينَا فَادْعُ رَبَّنَا أَنْ يَغِيثَنَا وَتَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ وَتَشْفَعُ رَبُّكَ إِلَيْنَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبَلَدُكَ أَنَا شَفَعْتُ إِلَى رَبِّي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ رَبُّنَا إِلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ يَتَبُكُ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ كَمَا يَتَبُكُ الرَّحْلُ الْجَدِيدُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَيَضْحَكُ مِنْ شَفَقِكُمْ وَقُرْبِ غِيَاثِكُمْ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ يَضْحَكُ رَبُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ لَنْ نَعْلَمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا فَضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ خَيْرًا فَضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَتَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَزْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَّا فِي الْأَسْتِسْقَاءِ فَرَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُويَ بَيَاضُ إِنْطِيهِ وَكَانَ مِمَّا حَفِظَ مِنْ دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اسْقِ بَلَدَكَ وَبِهِمَّتَكَ وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ وَأَخِي بَلَدَكَ أَلَمِيتَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيئًا طَبَقًا وَاسِعًا عَاجِلًا غَيْرَ أَجَلٍ نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ اللَّهُمَّ سُقِنَا رَحْمَةً لَا سُقَيْنَا عَذَابٍ وَلَا هَدمٍ وَلَا عَرَقٍ وَلَا مَحَقٍ اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَانْصُرْنَا عَلَى الْأَعْدَاءِ.

فَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْدِرِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ التَّمَرَ فِي الْمَرَابِدِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا فَقَالَ أَبُو لُبَابَةَ إِنَّ التَّمَرَ فِي الْمَرَابِدِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اللَّهُمَّ اسْقِنَا حَتَّى يَقُومَ أَبُو لُبَابَةَ عُرْيَانًا يَسُدُّ ثَعْلَبَ مَرْبِدِهِ بِإِزَارِهِ قَالَ قَوْلَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَاءِ مِنْ قُرْعَةٍ وَلَا سَحَابٍ وَمَا بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَسَلْعٍ مِنْ بَنَاءٍ وَلَا دَارٍ قَطَلَعَتْ مِنْ وَرَاءِ سَلْعٍ سَحَابَةٌ مِثْلُ الثُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءُ انْتَشَرَتْ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ثُمَّ أَمْطَرَتْ قَوْلَ اللَّهِ مَا زَاوَا الشَّمْسُ سَبْتًا أَيْ أَسْبُوعًا وَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ عُرْيَانًا يَسُدُّ ثَعْلَبَ مَرْبِدِهِ بِإِزَارِهِ لِئَلَّا يَخْرُجَ التَّمَرُ مِنْهُ

فَقَالَ الرَّجُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَغْنِي الَّذِي سَأَلَهُ أَنْ يَسْتَسْقِيَ لَهُمْ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ
فَصَعِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ فَدَعَا وَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا حَتَّى رُؤِيَ بَيَاضُ إِبْطِيهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ
حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللَّهُمَّ عَلَى الْإِكَامِ وَالظَّرَابِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ فَانْجَابَتِ السَّحَابَةُ
عَنِ الْمَدِينَةِ كَانْجِيَابِ الثُّوبِ .

وَقَوْلُهُ مَرِيئًا أَيِ مَحْمُودِ الْعَاقِبَةِ لَا ضَرَرَ فِيهِ وَمَرِيئًا مُخَصِّبًا وَالْأَطِيطُ صَوْتُ الْأَفْتَابِ
يَغْنِي أَنْ الْكُزَيْسِيِّ لِيَعْجَزُ عَنْ عَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ أَطِيطَ الرَّحْلِ إِنَّمَا يَكُونُ
لِقُوَّةِ مَا فَوْقَهُ وَعَجْزِهِ عَنِ اخْتِمَالِهِ وَهَذَا مَثَلٌ لِعَظَمَتِهِ تَعَالَى وَجَلَالِهِ وَلَمْ يَكُنْ جُلُوسٌ وَلَا أَطِيطُ
وَلِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ لِبَيَانِ عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَبَقًا أَيِ مَالِكًا لِلْأَرْضِ مُعْطِيًا لَهَا وَالْمَرْبُودُ مُوضِعٌ
يُجَفَّفُ فِيهِ الثَّمَرُ وَتَغْلِبُهُ ثِقْبُهُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهُ مَاءُ الْمَطَرِ وَالْإِكَامِ الرَّوَابِي وَالظَّرَابِ الْجِبَالُ
الصَّغِيرَةُ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ جَاءَ أَغْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْنَاكَ وَمَا لَنَا صَبِيٌّ يَغِطُ وَلَا بَعِيرٌ يَيْطُ وَأَنْشَدَ شِعْرًا وَصَفَ بِهِ ضَيْقَ حَالِهِمْ مِنْ
الْمَخْلِ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ
اللَّهُمَّ اسْقِنَا عَيْنًا مُغِيثًا مَرِيئًا عَدَقًا طَبَقًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ عَاجِلًا غَيْرَ رَاثٍ تَمْلَأُ بِهِ الضَّرْعَ وَتُنْبِتُ
بِهِ الزُّرْعَ وَتُخَيِّي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَالَ فَمَا رَدَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ إِلَى نَحْرِهِ حَتَّى
الْتَفَتِ السَّمَاءُ بِأَبْرَاقِهَا وَجَاءَ أَهْلُ الْبِطَانَةِ يَضْبُجُونَ الْعَرَقَ الْعَرَقَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَانْجَابَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الْمَدِينَةِ حَتَّى أَخَذَقَ حَوْلَهَا كَالْإِكْلِيلِ وَضَحِكَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَالَ لِلَّهِ دُرُّ أَبِي طَالِبٍ لَوْ كَانَ حَيٌّ لَقَرَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ
يُنْشِدُنَا قَوْلَهُ فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ تُرِيدُ قَوْلَهُ :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ	يَمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَزَامِلِ
تُطِيفُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَقَوَاضِلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيَّتُ اللَّهُ يُبْزَى مُحَمَّدٌ	وَلَمَّا نَطَاعِنَ حَوْلَهُ وَنُضَائِلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى تُصْرَعَ حَوْلَهُ	وَتَذْهَلَ عَنِ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَلَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ . وَصَبِيٌّ يَغِطُ يَصَوْتُ وَيُبْزَى يُفْهَرُ أَيِ لَا
يُفْهَرُ مُحَمَّدٌ وَلَا نُسْلِمُهُ فَهَمَّا عَلَى حَذَفِ حَرْفِ النُّفْيِ . «الْتَوُّعُ الرَّابِعُ» اسْتَسْقَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالِدُعَاءِ مِنْ غَيْرِ صَلَاةٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ قُرَيْشًا أَبْطَلُوا عَنِ الْإِسْلَامِ فَدَعَا عَلَيْهِمْ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانٌ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ جِئْتُ تَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّجِمِ وَإِنَّ قَوْمَكَ هَلَكُوا فَادْعُ اللَّهَ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَقُوا الْغَيْثَ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ سَعَا وَشَكَا النَّاسُ كَثْرَةَ الْمَطَرِ فَقَالَ اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَاثَحَدَرَتِ السَّحَابَةُ عَنْ رَأْسِهِ فَسَقُوا النَّاسُ حَوْلَهُمْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ بِالْمَدِينَةِ فِي الْقُنُوتِ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ . «التَّنَوُّعُ الْخَامِسُ» اسْتِسْقَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَخْجَارِ الزُّبَيْتِ مِنْ الزُّوْرَاءِ خَارِجَ بَبَابِ السَّلَامِ عَنْ عُمَيْرِ مَوْلَى أَبِي اللَّحْمِ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَسْقَى هُنَاكَ رَافِعًا يَدَيْهِ قَبْلَ وَجْهِهِ لَا يُجَاوِزُهُمَا رَأْسُهُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . «التَّنَوُّعُ السَّادِسُ» اسْتِسْقَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَعْضِ عَزَوَاتِهِ لَمَّا سَبَقَهُ الْمُشْرِكُونَ إِلَى الْمَاءِ فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ الْعَطَشُ فَشَكُّوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَفِّقِينَ لَوْ كَانَ نَبِيًّا لَأَسْتَسْقَى لِقَوْمِهِ كَمَا اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ قَبْلَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَوْقَدْ قَالُوهُمَا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَسْقِيَكُمْ ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ وَدَعَا فَمَا رَدَّ يَدَيْهِ مِنْ دُعَائِهِ حَتَّى أَظْلَمَ السَّحَابُ وَأَمْطَرُوا إِلَى أَنْ سَالَ الْوَادِي فَشَرِبَ النَّاسُ وَارْتَوَوْا .

الفصل الثالث

فيه دعاء للاستسقاء

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ اللَّهُمَّ إِنَّ بِالْعِبَادِ وَالْبِلَادِ وَالْبَهَائِمِ وَالْخَلَائِقِ مِنَ الْأَوَاءِ وَالْجَهْدِ وَالضَّنَكِ مَا لَا تَشْكُوهُ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ انْبِثْ لَنَا الزَّرْعَ وَأَدِرْ لَنَا الضَّرْعَ وَاسْقِنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَنْبِثْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ اللَّهُمَّ ازْفَعْ عَنَّا الْجَهْدَ وَالْجُوعَ وَالْعُرْيَ وَانْخِشِفْ عَنَّا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يَكْشِفُهُ غَيْرُكَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ عَفَّارًا فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ . وَاللَّوَاءُ الشَّدَّةُ وَالْجَهْدُ الْمَسَقَّةُ وَالضَّنَكُ الضِّيقُ .

الفصل الرابع

في الاستسقاء بِقَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رَوَى أَبُو الْجَوْزَاءِ قَالَ قَطَطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قُحْطًا شَدِيدًا فَشَكُّوا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ انظُرُوا قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كُوى إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ

سَفَفَ فَفَعَلُوا فَمَطَرُوا حَتَّى تَبَتِ الْعُشْبُ وَسَمِنَتِ الْإِبِلُ حَتَّى تَفْتَقَتْ مِنَ السُّحْمِ فَسُمِيَ عَامُ
الْفَتْحِ وَالْكُورَى الثُّقُوبُ فِي الْحَائِطِ .

الْقِسْمُ الثَّالِثُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ فُضُولٍ
الْفَضْلُ الْأَوَّلُ

فِي قَضَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ فِيهِ وَفِيهِ فَرَاعَانِ
الْفَرْعُ الْأَوَّلُ فِي كَمِّ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ يَقْضُرُ الصَّلَاةَ

عَنْ أَنَسٍ قَالَ صَلَّيْتُ الظُّهْرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ أَرْبَعًا وَخَرَجَ
يُرِيدُ مَكَّةَ فَصَلَّى بِذِي الْحُلَيْفَةِ الْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ . وَذُو الْحُلَيْفَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ
سِتَّةُ أَمْيَالٍ وَقَالَ الْجُمْهُورُ لَا يَجُوزُ الْقَضْرُ إِلَّا فِي سَفَرٍ مَزْحَلَتَيْنِ وَأَبُو حَنِيفَةَ إِلَّا فِي ثَلَاثِ
مَرَاحِلَ .

الْفَرْعُ الثَّانِي

فِي الْقَضْرِ مَعَ الْإِقَامَةِ

عَنْ أَنَسٍ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ فَكَانَ يُصَلِّي
رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ قِيلَ لَهُ أَقَمْتُمْ بِمَكَّةَ شَيْئًا قَالَ أَقَمْنَا بِهَا عَشْرًا رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَ تِسْعَةَ عَشَرَ يَقْضُرُ الصَّلَاةَ
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ عَنْهُ سَبْعَةَ عَشَرَ بِمَكَّةَ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ
ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً فَالْبَغْضُ عَدَّ يَوْمِي الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ وَالْبَغْضُ حَدُّهُمَا .

الْفَضْلُ الثَّانِي

فِي الْجَمْعِ وَفِيهِ فَرَاعَانِ

الْفَرْعُ الْأَوَّلُ

فِي جَمْعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الظُّهْرَيْنِ وَبَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ
رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ

إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَزْتَجَلَ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فَإِنْ رَحَلَ قَبْلَ أَنْ تَزِيغَ الشَّمْسُ
أَخَّرَ الظُّهْرَ حَتَّى يَنْزِلَ لِلْعَصْرِ وَفِي الْمَغْرِبِ مِثْلُ ذَلِكَ إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَزْتَجَلَ جَمَعَ
بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَإِنْ ازْتَحَلَ قَبْلَ أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ أَخَّرَ الْمَغْرِبَ حَتَّى يَنْزِلَ لِلْعِشَاءِ ثُمَّ
يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا.

الْفَرْعُ الثَّانِي

فِي جَمْعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَمْعٍ أَيْ بِمُزْدَلِفَةٍ

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِجَمْعٍ
وَصَلَّى الْمَغْرِبَ ثَلَاثَ رَكَعَاتٍ وَصَلَّى الْعِشَاءَ رَكَعَتَيْنِ وَفِي رِوَايَةِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عِنْدَ
أَبِي دَاوُدَ صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ بِعَرَفَةَ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا وَصَلَّى الْمَغْرِبَ
وَالْعِشَاءَ بِجَمْعٍ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّوَافِلَ فِي السَّفَرِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَافَرْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ
وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ فَكَانُوا يُصَلُّونَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ وَلَا يُصَلُّي قَبْلَهُمَا وَلَا بَعْدَهُمَا
وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لَوْ كُنْتُ مُصَلِّيًا قَبْلَهُمَا أَوْ بَعْدَهُمَا لَأَتَمَمْتُهُمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ
عَنْهُ أَيْضًا قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ الظُّهْرَ رَكَعَتَيْنِ
وَبَعْدَهَا رَكَعَتَيْنِ وَالْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ وَلَمْ يُصَلِّ بَعْدَهَا شَيْئًا وَالْمَغْرِبَ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ سَوَاءً
ثَلَاثَ رَكَعَاتٍ لَا تَنْقُضُ فِي حَضَرٍ وَلَا سَفَرٍ وَهِيَ وَثُرُ النَّهَارِ وَبَعْدَهَا رَكَعَتَيْنِ وَفِي مُسْلِمٍ فِي
قِصَّةِ النَّوْمِ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ ثُمَّ صَلَّى
الصُّبْحَ كَمَا كَانَ يُصَلِّي. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ قَالَ سَافَرْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَفَرًا فَلَمْ أَرَهُ تَرَكَ رَكَعَتَيْنِ إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ.

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّطَوُّعَ فِي السَّفَرِ عَلَى الدَّابَّةِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي سُبْحَتَهُ حَيْثُمَا تَوَجَّهَتْ بِهِ

نَاقَتْهُ وَفِي رِوَايَةٍ يُصَلِّي وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ كَانَ وَجْهَهُ، وَعَنْ أَنَسٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَطَوَّعَ فِي السَّفَرِ اسْتَقْبَلَ بِنَاقَتِهِ الْقِبْلَةَ ثُمَّ صَلَّى حَيْثُ تَوَجَّهَتْ رِكَابُهُ وَهَذَا حُجَّةٌ مَنْ قَالَ يَسْتَقْبِلُ بِالتَّكْبِيرِ فِي ابْتِدَاءِ الصَّلَاةِ.

الْقِسْمُ الرَّابِعُ

فِي ذِكْرِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْخَوْفِ

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ عَنْ صَالِحِ بْنِ خُوَاتٍ عَمَّنْ صَلَّى مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ صَلَاةَ الْخَوْفِ أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ وَطَائِفَةٌ وَجَاءَ الْعَدُوُّ فَصَلَّى بِالنَّبِيِّ مَعَهُ رُكْعَةً ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا وَأَتَمُّوا لِأَنفُسِهِمْ ثُمَّ انْصَرَفُوا فَصَفُّوا وَجَاءَ الْعَدُوُّ وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمْ الرُّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ ثُمَّ ثَبَتَ جَالِسًا وَأَتَمُّوا لِأَنفُسِهِمْ ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ قَالَ مَالِكٌ وَذَلِكَ أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ وَوَاقَفَهُ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَلَهَا كَيْفَيَّاتٌ أُخْرَى.

الْقِسْمُ الْخَامِسُ

فِي ذِكْرِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجَنَازَةِ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ فُرُوعٍ

الْفَرْعُ الْأَوَّلُ

فِي عَدَدِ التَّكْبِيرَاتِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الثَّانِي

فِي الْقِرَاءَةِ وَالِدُعَاءِ

رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ السُّنَّةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْجَنَازَةِ أَنْ يُكَبَّرَ ثُمَّ يَقْرَأَ بِأَمِّ الْقُرْآنِ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يُخْلِصُ الدُّعَاءَ لِلْمَيِّتِ وَلَا يَقْرَأُ إِلَّا فِي الْأَوَّلَى، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَنَازَةٍ فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَنَازَةٍ فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مَذْخَلَهُ وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ قَالَ عَوْفٌ حَتَّى تَمْنِيَتْ أَنْ أَكُونَ ذَلِكَ الْمَيِّتَ لِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا وَذَكَرِنَا وَأَنْتَانَا اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَخِيهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقَبْرِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُ الْمَسْجِدَ فَقَفَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَ عَنْهَا فَقَالُوا مَاتَتْ قَالَ أَفَلَا آذَنْتُمُونِي قَالَ فَكَأَنَّهُمْ صَعَرُوا أَمْرَهَا فَقَالَ دُلُونِي عَلَى قَبْرِهَا فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ زَادَ ابْنُ حِبَّانَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورُ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا وَإِنَّ اللَّهَ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ

فِي صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْغَائِبِ

عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَدْ تَوَفَّيَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الْحَبَشِ فَهَلِّمُ فَصَلُّوا عَلَيْهِ قَالَ فَصَفَفْنَا فَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَاهُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَهُوَ التَّجَاشِيُّ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ

فِي ذِكْرِ سِيرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرِّكَاءِ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ أَهْدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَإِنْ قِيلَ صَدَقَةٌ قَالَ لِأَصْحَابِهِ كُلُوا وَلَمْ يَأْكُلْ وَإِنْ قِيلَ هَدِيَّةٌ ضَرَبَ بِيَدِهِ فَأَكَلَ مَعَهُمْ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي

هَرِيرَةً . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَةٍ قَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ فَأَتَاهُ أَبُو أَوْفَى بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى رَوَاهُ الشُّيْخَانِ وَاخْتَلَفَ فِي أَوَّلِ وَقْتِ فَرَضِ الزَّكَاةِ فَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إِلَى أَنَّهُ وَقَعَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ ، وَفَرَضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ رَوَاهُ الشُّيْخَانُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَأَحْكَامُ زَكَاةِ الْمَالِ مُفَصَّلَةٌ فِي كُتُبِ الْفَقْهِ وَفِي الْأَصْلِ مِنْهَا جُمْلَةٌ وَافِرَةٌ .

النوع الرابع

فِي ذِكْرِ صِيَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْكَلَامُ فِيهِ عَلَى قِسْمَيْنِ

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

فِي صِيَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَفِيهِ عَشْرَةٌ فَصُولٍ

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

فِيمَا كَانَ يَخْصُ بِهِ رَمَضَانَ مِنَ الْعِبَادَاتِ

وَتَضَاعُفِ جُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ

قَدْ كَانَ فَرَضَ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ فَتَوَفَّى سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ صَامَ تِسْعَ رَمَضَانَاتٍ . وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ فِيهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ الْجَامِعَةِ لِوُجُوهِ السَّعَادَاتِ وَيَخْصُهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ بِمَا لَا يَخْصُ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الشُّهُورِ وَكَانَ جُودُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَضَاعَفُ فِيهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ الشُّيْخَيْنِ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ فَيَدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ أَيْ الْمَطْلَقَةِ وَقَعَ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ وَلَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أُعْطِيَ . وَقَدْ كَانَ ابْتِدَاءُ نُزُولِ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَكَذَا نُزُولُهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً وَاحِدَةً فَكَانَ جِبْرِيلُ يَتَعَاهَدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيَعَارِضُهُ بِمَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنْ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَارِضَهُ بِهِ

مَرَّتَيْنِ كَمَا ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْمُدَارِسَةَ بَيْتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ جَبْرِيلَ كَانَتْ لَيْلًا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ رَمَضَانَ يَقُولُ قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ مُبَارَكٌ كُتِبَ عَلَيْكُمْ صِيَامُهُ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ وَتُغْلَقُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا رَأَى هِلَالَ رَمَضَانَ قَالَ هِلَالٌ رُشِدٌ وَخَيْرٌ هِلَالٌ رُشِدٌ وَخَيْرٌ آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

الْفَضْلُ الثَّانِي

فِي صِيَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرُؤِيَةِ الْهِلَالِ

عَنْ عَائِشَةَ كَانَتْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَفَّظُ مِنْ شَعْبَانَ مَا لَا يَتَحَفَّظُ مِنْ غَيْرِهِ ثُمَّ يَصُومُ لِرُؤْيِيَةِ رَمَضَانَ فَإِنْ غَمَّ عَلَيْهِ عَدَّ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ثُمَّ صَامَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الْفَضْلُ الثَّالِثُ

فِي صَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَهَادَةِ الْعَدْلِ الْوَاحِدِ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ تَرَاءَى النَّاسُ الْهِلَالَ فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي رَأَيْتُهُ فَصَامَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَاءَ أُعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ هِلَالَ رَمَضَانَ فَقَالَ أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ يَا بِلَالُ أَذْنُ فِي النَّاسِ فَلْيَصُومُوا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

الْفَضْلُ الرَّابِعُ

فِيمَا كَانَ يَفْعَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَائِمٌ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَجَمَ وَهُوَ

صَائِمٌ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا . وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ وَهُوَ صَائِمٌ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا قَالَتْ وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِأَرْبِهِ أَنِّي لِحَاجَتِهِ تَغْنِي أَنَّهُ كَانَ غَالِيًا لِهَوَاهُ . وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَكْتَحِلُ بِالْإِثْمِدِ وَهُوَ صَائِمٌ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُضْبِعُ جُنُبًا مِنْ جَمَاعٍ لَا حُلْمَ ثُمَّ لَا يَفْطِرُ وَلَا يَقْضِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَقَالَ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَاكُ وَهُوَ صَائِمٌ مَا لَا أَعُدُّ وَلَا أَخْصِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

الْفَضْلُ الْخَامِسُ

فِي وَقْتِ إِفْطَارِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ قَالَ يَا بِلَالُ انْزِلْ فَاجْدِخْ لَنَا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا قَالَ انْزِلْ فَاجْدِخْ لَنَا قَالَ فَتَنَزَّلَ فَجَدِخَ فَأَتَى بِهِ فَشَرِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ مِنْ هُنَا وَجَاءَ اللَّيْلُ مِنْ هُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ . وَالْجَدِخُ خَلْطُ الشَّيْءِ بِغَيْرِهِ وَالْمَرَادُ خَلْطُ السُّوْيِقِ بِالْمَاءِ وَتَحْرِيكُهُ حَتَّى يَسْتَوِيَ وَالسُّوْيِقُ هُوَ الْقَمْحُ أَوْ الشَّعِيرُ الْمَقْلُوءُ الْمَطْحُونُ .

الْفَضْلُ السَّادِسُ

فِيمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْطِرُ عَلَيْهِ

عَنْ أَنَسٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى رُطَبَاتٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ رُطَبَاتٍ فَتَمَرَاتٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمَرَاتٍ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

الْفَضْلُ السَّابِعُ

فِيمَا كَانَ يَقُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ اللَّهُمَّ لَكَ صُمتٌ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ السُّنِّي . وَعَنِ ابْنِ عُمرَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَتَبَّتِ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ رَوَاهُ

أَبُو دَاوُدَ وَزَادَ رُزَيْنُ الْحَمْدُ لِلَّهِ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ . وَفِي كِتَابِ ابْنِ السُّنِّيِّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَانَنِي فَصُمْتُ وَرَزَقَنِي فَأَفْطَرْتُ .

الْفَضْلُ الثَّامِنُ

فِي وَصَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّيَامِ

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاصَلَ قَوَاصِلَ النَّاسِ فَسَقَّ عَلَيْهِمْ فَتَهَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوَاصِلُوا قَالُوا إِنَّكَ تُوَاصِلُ قَالَ لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَظَلُّ أَطْعَمُ وَأُسْقِي . وَعَنْ أَنَسٍ وَاصَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ قَوَاصِلَ نَاسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَقَالَ لَوْ مَدُّ لَنَا الشَّهْرُ لَوَاصَلْنَا وَصَلَاً يَدْعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِثْلِي إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِيَنِي رَوَاهُ الشَّيْخَانِ . وَالْمُتَعَمِّقُونَ الْمُتَشَدِّدُونَ وَالْوِصَالُ فِي الصَّوْمِ أَنْ يَصِلَ صَوْمُ النَّهَارِ بِإِمْسَاكِ اللَّيْلِ مَعَ صَوْمِ الَّذِي بَعْدَهُ .

الْفَضْلُ التَّاسِعُ

فِي سُحُورِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَسَحَّرُ فَقَالَ إِنَّهَا بَرَكَةٌ أَعْطَاكُمْ اللَّهُ إِيَّاهَا فَلَا تَدْعُوهُ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ . وَعَنْ الْعِزْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السُّحُورِ فِي رَمَضَانَ قَالَ هَلُمَّ إِلَى الْغِذَاءِ الْمُبَارَكِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ ، وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ عِنْدَ السُّحُورِ يَا أَنَسُ إِنِّي أُرِيدُ الصَّيَامَ فَأَطْعِمْنِي شَيْئًا فَأَتَيْتُهُ بِتَمْرٍ وَإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَذَّنَ بِلَالٌ أَيُّ فِي اللَّيْلِ قَالَ يَا أَنَسُ انْظُرْ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعِيَ فَدَعَا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَجَاءَ فَقَالَ إِنِّي أُرِيدُ شُرْبَةَ سَوِيْقٍ وَأَنَا أُرِيدُ الصَّيَامَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أُرِيدُ الصَّيَامَ فَتَسَحَّرَ مَعَهُ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ . وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ أَنَسُ قُلْتُ كَمْ كَانَ قَدْرُ مَا بَيْنَهُمَا قَالَ قَدَرُ خَمْسِينَ آيَةً رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَعَنْهُمَا .

الفصل العاشر

في إفطاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ وَصَوْمِهِ

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ وَصَامَ النَّاسُ ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ ثُمَّ شَرِبَ فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ فَقَالَ أُولَئِكَ الْعَصَاةُ أُولَئِكَ الْعَصَاةُ أَيْ لِمُخَالَفَتِهِمْ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ وَأَفْطَرَ فَمَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ وَلَا يَجِدُ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ.

القِسْمُ الثَّانِي

في صَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

في سَرَدِهِ أَيَّامًا مِنَ الشَّهْرِ وَفِطْرِهِ أَيَّامًا

عَنْ أَنَسٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى تَنْظُنَّ أَنْ لَا يَصُومُ مِنْهُ ثُمَّ يَصُومُ حَتَّى تَنْظُنَّ أَنْ لَا يُفْطِرُ مِنْهُ شَيْئًا وَكَانَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ وَلَا نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَا صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ وَكَانَ يَصُومُ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ لَا وَاللَّهِ لَا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ لَا وَاللَّهِ لَا يَصُومُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

الفصل الثاني

في صَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشُورَاءَ

صَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَمُهُ الْيَهُودُ وَالتَّنَازَرَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ قَالَ فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَنْ عَائِشَةَ كَانَ يَوْمٌ

عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ عَاشُورَاءَ فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا. وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ صَوْمَ عَاشُورَاءَ يُكْفِّرُ سَنَةً وَأَنَّ صَوْمَ عَرَفَةَ يُكْفِّرُ سَنَتَيْنِ.

الْفَضْلُ الثَّالِثُ

فِي صِيَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعْبَانَ

عَنْ عَائِشَةَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا شَهْرَ رَمَضَانَ وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ أَزَكُّ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ قَالَ ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُزْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُزْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ كَأَنَّ أَكْثَرَ صِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَعْبَانَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَى أَكْثَرَ صِيَامِكَ فِي شَعْبَانَ قَالَ إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ يُكْتَبُ فِيهِ لِمَلَكَ الْمَوْتِ أَسْمَاءٌ مَنْ يُقْبَضُ فَأُحِبُّ أَنْ لَا يَنْسَخَ اسْمِي إِلَّا وَأَنَا صَائِمٌ، وَأَمَّا صِيَامُ رَجَبٍ فَعَنْ عَطَاءٍ أَنَّ عُرْوَةَ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ فِي رَجَبٍ قَالَ نَعَمْ وَيُسْرِفُهُ قَالَهَا ثَلَاثًا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، وَعَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ إِنَّ فِي الْحِجَّةِ قَصْرًا لِصُومِ رَجَبٍ قَالَ النَّبِيُّ أَبُو قِلَابَةَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ فَلَا يَقُولُهُ إِلَّا عَنْ بَلَاغٍ.

الْفَضْلُ الرَّابِعُ

فِي صَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ

وَالْمُرَادُ بِهَا الْأَيَّامُ التَّسْعَةُ مِنْ أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ

عَنْ هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ امْرَأَتِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَصَوْمُهَا مُسْتَحَبٌّ اسْتِحْبَابًا شَدِيدًا لَا سِيَّمَا يَوْمَ التَّاسِعِ مِنْهَا وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَفْضَلُ مِنْهُ فِي هَذِهِ يَغْنِي الْعَشَرَ الْأَوَّلَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَالصُّومُ مِنْ جُمْلَةِ الْعَمَلِ.

الْفَضْلُ الْخَامِسُ فِي صَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامَ الْأُسْبُوعِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَوْمِ الْإِثْنَيْنِ فَقَالَ فِيهِ وَلِدْتُ وَفِيهِ أَنْزَلَ عَلَيَّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأُجِبُ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ مِنْ هَذِهِ الْجُمُعَةِ وَالْإِثْنَيْنِ مِنَ الْمُقْبِلَةِ وَفِي أَوَّلِ اثْنَيْنٍ مِنَ الشَّهْرِ ثُمَّ الْخَمِيسَ ثُمَّ الْخَمِيسَ الَّذِي يَلِيهِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ أَنَّى أَنَّهُ تَارَةً يَفْعَلُ هَذَا وَأُخْرَى هَذَا.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ يَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ السَّبْتَ وَالْأَحَدَ وَالْإِثْنَيْنِ وَمِنْ الشَّهْرِ الْآخِرِ الثَّلَاثَةَ وَالْأَرْبَعَةَ وَالْخَمِيسَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَعَنْ كُرَيْبِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَرْسَلَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ أَسْأَلُهَا أَيَّ الْأَيَّامِ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَهَا صِيَامًا قَالَتِ السَّبْتُ وَالْأَحَدُ وَيَقُولُ إِنَّهُمَا عِيدَ الْمُشْرِكِينَ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَحَالِفَهُمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَقَدْ ثَبَتَ التَّهْنُيُّ عَنْ إِفْرَادِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بِالصَّوْمِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ يَوْمًا بَعْدَهُ.

الْفَضْلُ السَّادِسُ

فِي صَوْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامَ الْبَيْضِ

وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْقَمَرُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ وَهِيَ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةٍ وَخَمْسَ عَشْرَةٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُفْطِرُ أَيَّامَ الْبَيْضِ فِي حَضَرٍ وَلَا سَفَرٍ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُهُنَّ صِيَامَ عَاشُورَاءَ وَالْعَشْرِ وَأَيَّامَ الْبَيْضِ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكَعَتَا الْفَجْرِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْمُرَادُ بِالْعَشْرِ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ، وَرَوَى أَصْحَابُ السُّنَنِ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حُزَيْمَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ غُرَّةِ كُلِّ شَهْرٍ.

النوع الخامس

في ذكرِ اغْتِكَافِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجْتِهَادِهِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ
مِنْ رَمَضَانَ وَتَحْرِيرِهِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ
رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ ، وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ
شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَخْبَا لَيْلَهُ وَأَيَقُظُ أَهْلَهُ . وَعَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ رَمَضَانُ قَامَ وَنَامَ
فَإِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْآخِرُ مِنْ رَمَضَانَ طَوَى فِرَاشَهُ وَاعْتَزَلَ النِّسَاءَ وَاعْتَسَلَ بَيْنَ الْأَذَانَيْنِ وَجَعَلَ
الْعِشَاءَ سُحُورًا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ ثُمَّ
اغْتَكَفَ الْعَشْرَ الْاَوْسَطَ فِي قُبَّةِ تَرْكِيَّةٍ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ إِنِّي اغْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ أَلْتَمِسُ هَلْ هُوَ
الْلَّيْلَةُ يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ اغْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْاَوْسَطَ ثُمَّ أَتَيْتُ فَقِيلَ لِي إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْاَوَّخِرِ
فَمَنْ اغْتَكَفَ مَعِيَ فَلْيَعْتَكَفِ الْعَشْرَ الْاَوَّخِرَ فَقَدْ أُرِيتُ هَلْ هُوَ الْلَّيْلَةُ ثُمَّ أُنْسِيَتْهَا وَقَدْ رَأَيْتُنِي
أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ مِنْ صَبْحَتِهَا فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْاَوَّخِرِ وَالتَّمِسُوهَا فِي كُلِّ وَتَرٍ مِنْهُ
قَالَ فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ تِلْكَ الْلَّيْلَةَ وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ فَبَصُرْتُ عَيْنَايَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى جَبْهَتِهِ أَكْثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ مِنْ صَبِيحَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ
رَوَاهُ الشَّيْخَانِ . وَالْقُبَّةُ التُّرْكِيَّةُ خِيْمَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ لُبُودٍ . وَلِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ عَلَامَاتٌ مِنْهَا مَا رَوَاهُ
أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا صَافِيَةٌ كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا
سَاطِعًا سَاكِئًا لَا حَرٌّ فِيهَا وَلَا بَرْدٌ وَلَا يَحِلُّ لِكُتُوبٍ أَنْ يُزْمَى بِهِ فِيهَا وَأَنَّ مِنْ أَمَارَاتِهَا أَنَّ
الشَّمْسَ فِي صَبِيحَتِهَا تَخْرُجُ مُسْتَوِيَّةً لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يَحِلُّ لِلشَّيْطَانِ أَنْ
يَخْرُجَ مَعَهَا يَوْمَئِذٍ وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ أَنَّ الْمِيَاءَ الْمَالِحَةَ تَعْدُبُ فِي تِلْكَ الْلَّيْلَةِ .

النوع السادس

في ذكرِ حَجِّهِ وَعُمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَلَكَ رَاجِلَةً وَزَادَا
يُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ فَلَمْ يَحُجَّ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ،

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُحُجُّ كُلَّ سَنَةٍ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ مَكَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يُحُجَّ ثُمَّ أُذِنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجٌ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتِمَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ أَصْنَعُ فَقَالَ اغْتَسِلِي وَاسْتَنْفِرِي أَيَّ اخْتِجَزِي بِتُوبٍ وَأَخْرِمِي فَصَلِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ رَكِبَ الْقُضَوَاءَ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ نَظَرْتُ مَدَّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا وَعَلَيْهِ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ وَمَا عَمِلَ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ وَكَانَ خُرُوجُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْمَدِينَةِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فَتَزَلَّ بِإِذِي الْحُلَيْفَةِ فَصَلَّى بِهَا الْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ بَاتَ بِهَا وَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ وَالظُّهْرَ وَكَانَ نِسَاؤُهُ كُلُّهُمْ مَعَهُ فَطَافَ عَلَيْهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ثُمَّ اغْتَسَلَ غُسْلًا ثَانِيًا لِإِحْرَامِهِ غَيْرَ غُسْلِ الْجَمَاعِ الْأَوَّلِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ عَائِشَةَ طَيَّبَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَبِيرَةٍ وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الطَّيِّبِ يُجْعَلُ فِيهِ الْمِسْكُ قَالَتْ طَيَّبَتْهُ عِنْدَ إِحْرَامِهِ ثُمَّ طَافَ فِي نِسَائِهِ ثُمَّ أَصْبَحَ مُحْرِمًا، وَتُبَّتْ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَزْكُغُ بِإِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ النَّاقَةُ قَائِمَةً عِنْدَ مَسْجِدِ ذِي الْحُلَيْفَةِ أَهْلًا أَيْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ، وَقَدْ اخْتَلَفَتْ رِوَايَاتُ الصَّحَابَةِ فِي حَجِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ هَلْ كَانَ مُفْرِدًا أَوْ قَارِنًا أَوْ مُتَمَتِّعًا، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ بِإِذِي الْحُلَيْفَةِ ثُمَّ دَعَا بِنَاقَتِهِ فَأَشْعَرَهَا فِي صَفْحَةٍ سَنَامِهَا الْأَيْمَنِ وَسَلَّتَ الدَّمَ عَنْهَا وَقَلَّدَهَا نَعْلَيْنِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْ لِيُعْلَمَ أَنَّهَا هَذِي وَأَشْعَرَهَا شَقَّهَا، وَكَانَ حَجُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَحْلِ رَثٍّ يُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَلَمَّا مَرَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَادِي عُسْفَانَ قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَيُّ وَادٍ هَذَا قَالَ وَادِي عُسْفَانَ قَالَ لَقَدْ مَرَّ بِهِ هُوْدٌ وَصَالِحٌ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَخْمَرَيْنِ خُطَامُهُمَا اللَّيْفُ وَأُزْرُهُمَا الْعَبَاءُ وَأَرْدِيَّتُهُمَا اللَّمَارُ يَلْبُؤْنَ بِالْحِجِّ يَحْجُونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ رَوَاهُ أَحْمَدُ. وَالتَّمَارُ جَمْعُ تَمْرَةٍ بُرْدَةٌ مِنْ صُوفٍ تَلْبَسُهَا الْأَعْرَابُ، وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَمَّا مَرَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ بِوَادِي الْأَرْزَقِ قَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ وَاضِعًا إصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ مَا رَأَى بِهَذَا الْوَادِي وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالثَّلَاثِيَّةِ، وَلَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَا طَوًى عِنْدَ آبَارِ الزَّاهِرِ بَاتَ بِهَا بَيْنَ الثَّنِيَّتَيْنِ فَلَمَّا أَصْبَحَ صَلَّى الْغَدَاةَ ثُمَّ اغْتَسَلَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ مَكَّةَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا الَّتِي يُنْزَلُ مِنْهَا إِلَى الْمَغَلَاةِ مَقْبَرَةَ مَكَّةَ وَيُقَالُ لَهَا كَدَاءُ وَالْحَجُّونَ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَكَّةَ لِأَرْبَعِ خَلُودٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ضَحَى مِنْ بَابِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَهُوَ بَابُ بَنِي شَيْبَةَ لِأَنَّ بَابَ الْكَعْبَةِ فِي جِهَةِ ذَلِكَ الْبَابِ، وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا نَظَرَ الْبَيْتَ قَالَ اللَّهُمَّ زِدْ بَيْتَكَ هَذَا تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَبِرًّا وَمَهَابَةً وَزِدْ مَنْ شَرَفَهُ وَعَظَّمَهُ مِنْ حَجَّهِ وَاعْتَمَرَهُ تَعْظِيمًا وَتَشْرِيفًا وَبِرًّا وَمَهَابَةً، وَلَمْ يَزْكُغْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ إِثْمًا بَدَأَ بِالطَّوَافِ لِأَنَّهُ تَحِيَّةُ الْبَيْتِ، ثُمَّ اسْتَلَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ بِالْمُخَجَّنِ، وَرَوَى الشَّافِعِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَرَ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ وَضَعَ شَفَتَيْهِ عَلَيْهِ طَوِيلًا وَكَانَ إِذَا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَكُلَّمَا أَتَى الْحَجَرَ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ.

وَلَمَّا اسْتَلَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَرَ مَضَى عَلَى يَمِينِهِ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا، وَلَمَّا فَرَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ طَوَافِهِ أَتَى الْمَقَامَ فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَالْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٢] ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ الَّذِي فِيهِ الْحَجَرُ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصُّفَا فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصُّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصُّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] أَبَدًا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ فَبَدَأَ بِالصُّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ أَيْ تَوَجَّهَ إِلَيْهَا حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي رَمَلَ حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ يَقُولُونَ هَذَا مُحَمَّدٌ هَذَا مُحَمَّدٌ حَتَّى خَرَجَ الْعَوَاتِقُ مِنَ الْبُيُوتِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُضْرِبُ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِ رَكِبَ وَالْمَشْيُ فِي السَّغْيِ أَفْضَلُ هَذَا

نَفْظُ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُدَّةَ مُقَامِهِ بِمَنْزِلِهِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ بِالْمُسْلِمِينَ بِظَاهِرِ مَكَّةَ يَقْصُرُ الصَّلَاةَ فِيهِ وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْخُرُوجِ إِلَى مِثَى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَقَدِمَ عَلَيَّ رَضِيَّ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْيَمَنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ بِمَ أَهْلَلْتَ فَقَالَ بِمَا أَهَلُّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَوْلَا أَنْ مَعِيَ الْهَذِي لَأَخْلَلْتُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَذِي الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةً. وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّزْوِيَةِ وَهُوَ الثَّامِنُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَكَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ ضَحَى رَكِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَوَجَّهَ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى مِثَى وَقَدْ أَخْرَمَ بِالْحَجِّ مَنْ كَانَ أَحَلَّ مِنْهُمْ فَصَلَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنَى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ نَعْرِ فَضْرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةٍ مِنْ عَرَفَةَ فَلَمَّا بَلَغَهَا نَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا رَأَعَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقُضْوَاءِ فَرُجِلَتْ لَهُ فَرَكِبَ فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ وَوَضَعَ أَيْ أَسْقَطَ دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ وَرِبَاهَا وَأَوْصَى بِالنِّسَاءِ خَيْرًا.

وَقَالَ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَزْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُثُهَا إِلَى النَّاسِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَدْنَى بِلَاذٍ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.

وَلَمَّا فَرَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ رَكِبَ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقُضْوَاءَ إِلَى الصُّخْرَاتِ وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُسَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَكَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي الْمَوْقِفِ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَالَّذِي نَقُولُ وَخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ اللَّهُمَّ لَكَ صَلَاتِي وَتُسْكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي وَإِلَيْكَ مَآبِي وَلَكَ رَبِّ تُرَايِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَوَسْوَسةِ الصُّدْرِ وَشَتَاتِ الْأَمْرِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرٍ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيَّاحُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ أَفْضَلُ الدُّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَرَفَةَ أَيْضًا كَمَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرَى مَكَانِي وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعَلَانِيَتِي لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ الْوَجِلُ الْمُشْفِقُ الْمُقِرُّ الْمُعْتَرِفُ بِذُنُوبِهِ أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمُسْكِينِ وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمَذْنِبِ الدَّلِيلِ وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ مَنْ خَضَعْتَ لَكَ رَقَبَتَهُ وَقَاضَتْ لَكَ عِبْرَتَهُ وَذَلَّ لَكَ جِسْمَهُ وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَكُنْ بِي رَوْفًا رَحِيمًا يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ. وَأَتَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَهُوَ بِعَرَفَةَ فَسَأَلُوهُ كَيْفَ الْحَجُّ فَأَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي الْحَجَّ عَرَفَةَ مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعٍ أَيْ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَقَدْ أَذْرَكَ الْحَجَّ أَيَّامَ مِنَى ثَلَاثَةً فَمَنْ تَعَجَّلَ فِيهِ يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَجَمَعَ هِيَ الْمُرْدَلِفَةُ وَلَيْلَتُهَا لَيْلَةُ الْعِيدِ وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَةَ وَقَفْتُ هَهُنَا وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ وَهَهُنَا أَنْزَلٌ عَلَيَّ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] الْآيَةَ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَمَّا غَزَبَتِ الشَّمْسُ بِحَيْثُ ذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا حِينَ غَابَ الْقُرْصُ أَقَاضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَرَفَةَ وَأَرْدَفَ أَسَامَةَ خَلْفَهُ وَقَدْ شَتَّقَ لِلْقُضَاءِ الزَّمَامَ حَتَّى إِذَا رَأَسَهَا لَيْصِبُ مَوْرِكِ رِجْلِهِ وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ وَكُلُّمَا أَتَى جَبَلًا مِنَ الْجِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا حَتَّى تَضَعَدَ وَأَقَاضَ مِنْ طَرِيقِ الْمَأْرَمَيْنِ. وَمَعْنَى الْحَبْلِ الثَّلِّ اللَّطِيفُ مِنَ الزَّمَلِ وَطَرِيقُ الْمَأْرَمَيْنِ بَيْنَ عَرَفَةَ وَالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَمِعَ وَرَاءَهُ رَجُلًا شَدِيدًا وَضَرْبًا لِلْإِبِلِ فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ وَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِضْطِرَاعِ يَغْنِي بِالْإِسْرَاعِ وَفِي رِوَايَةِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ كَانَ يَسِيرُ الْعَنْقُ فَإِذَا وَجَدَ فَجْوَةً نَصَّ. وَالْعَنْقُ سَيْرٌ بَيْنَ الْإِبْطَاءِ وَالْإِسْرَاعِ وَالنَّصُّ فَوْقَ الْعَنْقِ وَالْفَجْوَةُ الْمَكَانُ الْوَاسِعُ.

وَلَمَّا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ نَزَلَ قَبَالَ وَتَوَضَّأَ وَضُوءًا خَفِيفًا فَقَالَ لَهُ أَسَامَةُ الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الصَّلَاةُ أَمَامَكَ فَارْكَبْ حَتَّى أَتَى مُرْدَلِفَةَ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِإِقَامَةٍ وَتَرَكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيَامَ اللَّيْلِ بِلَيْلَةٍ وَنَامَ حَتَّى أَصْبَحَ مَعَ كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَأَنَّهُ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَوَرَّعَتْ قَدَمَاهُ وَلَكِنَّهُ أَرَاخَ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ لِمَا تَقَدَّمَ فِي عَرَفَةَ وَلَمَّا هُوَ بِصَدِيدِهِ يَوْمَ النَّحْرِ

مِنْ كَوْنِهِ نَحَرَ يَدَيْهِ الْمُبَارَكَةِ ثَلَاثًا وَسَتَيْنَ بَدَنَةً وَذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ لَطَوَافِ الْإِقَاضَةِ وَرَجَعَ إِلَى مِثَى
كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ فِي شَرْحِ تَقْرِيبِ الْأَسَانِيدِ.

وَعَنْ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا لِأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ
بِالْمَغْفِرَةِ فَأُجِيبَ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلَا الظَّالِمَ فَإِنِّي أَخَذُ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ قَالَ أَيْ رَبِّ إِنْ
شِئْتَ أَغَطَيْتَ الْمَظْلُومَ مِنَ الْجَنَّةِ وَغَفَرْتَ لِلظَّالِمِ فَلَمْ يُجِبْ عَشِيَّتَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ بِالْمُزْدَلِفَةِ أَعَادَ
الدُّعَاءَ فَأُجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَ قَالَ فَضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ قَالَ تَبَسَّمَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ
وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا بِأَيِّ أَثْنٍ وَأُمِّي إِنْ هَذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنْتُ تَضْحَكُ فِيهَا فَمَا الَّذِي
أَضْحَكَكَ أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ قَالَ إِنْ عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدِ اسْتَجَابَ دُعَائِي
وَعَفَّرَ لِأُمَّتِي أَخَذَ التُّرَابَ فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالتُّبُورِ فَأَضْحَكَنِي مَا رَأَيْتُ
مِنْ جَزَعِهِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَأَبُو دَاوُدَ.

وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ عَنْ غَيْرِ الْعَبَّاسِ مَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْأُمَّةِ مِنْ وَقَفَ
بِعَرَفَةَ وَقَالَ الطَّبْرِيُّ إِنَّهُ مَحْمُولٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَظَالِمِ عَلَى مَنْ تَابَ وَعَجَزَ عَنْ وَفَائِهِ، وَقَالَ
الْزَّهَّابِيُّ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَزُفْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ
وَهُوَ مَخْصُوصٌ بِالْمَعَاصِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِحُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى خَاصَّةً دُونَ الْعِبَادِ، وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ
صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ عِدَاةُ النَّحْرِ وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
رَاجِلَيْهِ هَاتِ الْقُطْبَ لِي فَلَقَطُ حَصِيَّاتٍ مِثْلَ حَصَى الْخَذْفِ أَيْ الرَّمْيِ وَالْمُرَادُ الْحَصَى الصَّغَارُ
فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْعُلُوُّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
بِالْعُلُوِّ فِي الدِّينِ.

ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَرَقِيَ عَلَيْهِ
فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحْدَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ
تَطْلُعَ الشَّمْسُ. وَفِي حَدِيثٍ عَلِيِّ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ لَمَّا أَصْبَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُزْدَلِفَةِ عَدَا
فَوَقَفَ عَلَى فُزَحٍ وَأَزْدَفَ الْفَضْلُ ثُمَّ قَالَ هَذَا الْمَوْقِفُ وَكُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ حَتَّى إِذَا أَسْفَرَ
دَفَعَ. وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَسَامَةَ قَالَ كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَرَفَةَ
إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ ثُمَّ أَزْدَفَ الْفَضْلُ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى مِثَى فَكَلَاهُمَا قَالَ لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا. وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ فَلَمَّا أَتَى

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَطْنَ مُحَسِّرٍ حَرَكَ نَاقَتَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ قَلِيلًا. وَمَحَسَّرَ مَوْضِعَ بَيْنَ مُزْدَلِفَةَ وَمِنَى وَهُوَ مَكَانٌ نَزَلَ فِيهِ الْعَذَابُ عَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ.

ثُمَّ سَلَكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ فَرَمَاهَا بِسَنَعِ حَصَبَاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَجَعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ وَمِنَى عَنْ يَمِينِهِ وَاسْتَقْبَلَ الْجَمْرَةَ وَكَانَ رَمِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ ضَحَى كَمَا قَالَه جَابِرٌ فِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ أُمُّ الْحُصَيْنِ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ رَأَيْتُ أَسَامَةَ وَبِلَالًا وَأَحَدَهُمَا آخِذٌ بِخَطَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرُ رَافِعٌ ثَوْبَهُ يَسْتُرُهُ مِنَ الْحَرِّ حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ.

وَعَنْ أُمِّ جُنْدُبٍ رَأَيْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَزِمِي الْجَمْرَةَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَهُوَ رَاكِبٌ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ وَرَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ يَسْتُرُهُ أَيْ مِنَ الْحَرِّ فَسَأَلْتُ عَنْ الرَّجُلِ فَقَالُوا الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَازْدَحَمَ النَّاسُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَفْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَإِذَا رَمَيْتُمُ الْجَمْرَةَ فَارْمُوا بِمِثْلِ حَصَى الْحَذَفِ. وَفِي رِوَايَةٍ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ قَالَ رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِمِي عَلَى رَاجِلَيْهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ يَقُولُ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ لَا أُدْرِي لَعَلِّي لَا أَحْجُجُ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ قُدَامَةَ عِنْدَ الثَّرْمِذِيِّ رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِمِي الْجِمَارَ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ صَهْبَاءَ لَيْسَ ضَرْبٌ وَلَا طَرْدٌ وَلَا إِلَيْكَ إِلَيْكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُنَحَرِ فَتَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا فَتَحَرَ مَا غَبَرَ وَأَشْرَكَهُ فِي هَذِيهِ ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ فَجُعِلَتْ فِي قَدْرِ فَطِيخَتْ فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرَبَا مِنْ مَرْقِهَا. قَوْلُهُ فَتَحَرَ مَا غَبَرَ أَيْ مَا بَقِيَ مِنَ الْبُذْنِ وَكَانَتْ مِائَةً.

وَفِي رِوَايَةٍ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ نَحَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ نِسَائِهِ بَقَرَةً، ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَزِلَهُ بِمِنَى ثُمَّ قَالَ لِلْحَلَاقِ خُذْ قَبْدًا بِالشَّقِّ الْأَيْمَنِ قَوْرَعَهُ الشَّعْرَةَ وَالشَّعْرَتَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ ثُمَّ قَالَ بِالْأَيْسَرِ فَصَنَعَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ هُنَا أَبُو طَلْحَةَ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ. وَعِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَقَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَظْفَارَهُ وَقَسَمَهَا بَيْنَ النَّاسِ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ قَالَ وَلِلْمُقَصِّرِينَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ

بِمَنَى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَفْتُ قَبْلَ أَنْ أَتَحَرَّ فَقَالَ ادْبَحْ وَلَا حَرَجَ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَشْعُرْ فَتَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَزِمِي فَقَالَ أَزِمِ وَلَا حَرَجَ قَالَ فَمَا سِئَلٌ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ أَوْ أُخِّرَ إِلَّا قَالَ أَفْعَلْ وَلَا حَرَجَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحَرَّمُ وَرَجَبٌ مُضَرُّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ وَقَالَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمَ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ قُلْنَا بَلَى قَالَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمَ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ الْبَلَدُ الْحَرَامُ قُلْنَا بَلَى قَالَ فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمَ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ قُلْنَا بَلَى قَالَ فَإِنْ دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ تَحْرُمَةٌ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ضَلَالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ قَالُوا نَعَمْ قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ قُرْبَ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ قُودَعَ النَّاسِ. وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاذٍ التَّيْمِيِّ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ بِمَنَى فَفُتِحَتْ أَسْمَاعُنَا حَتَّى كُنَّا نَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا فَطَفِقَ يُعَلِّمُهُمْ مَنَاسِكَهُمْ حَتَّى بَلَغَ الْجِمَارَ فَوَضَعَ إصْبَعَيْهِ السَّبَّابَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ يَخْصِي الْحَذَفَ ثُمَّ أَمَرَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَزَلُّوا فِي مَقْدَمِ الْمَسْجِدِ وَأَمَرَ الْأَنْصَارَ أَنْ يَتَزَلُّوا وَرَاءَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ نَزَلَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ.

ثُمَّ رَكِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الظُّهْرِ فَأَفَاضَ إِلَى النَّبِيتِ فَطَافَ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ وَهُوَ طَوَافُ الزِّيَارَةِ وَالرُّكْنِ وَالصُّدْرِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَزُورُ النَّبِيتَ كُلَّ لَيْلَةٍ مَا أَقَامَ بِمَنَى الْحَدِيثِ، وَأَتَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمْرَمَ وَبَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَيْهَا فَقَالَ انْزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمْ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ فَنَازَلُوهُ دَلُّوا فَشَرِبَ مِنْهُ. وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ. وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ وَقِيلَ بِمَنَى وَفِي كُلِّ حَدِيثٍ صَحِيحٌ.

ثُمَّ رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنَى فَمَكَثَ بِهَا لَيَالِي أَيَّامِ الشَّرِيقِ يَزِمِي الْجَمْرَةَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ كُلَّ جَمْرَةٍ يَسْبِغُ خَصِيَّاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ خَصَاةٍ يَقِفُ عِنْدَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ فَيُطِيلُ الْقِيَامَ فِيهِمَا وَيَتَضَرَّعُ وَيَزِمِي الثَّالِثَةَ فَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ. وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَمَى الْجِمَارَ مَسَى إِلَيْهَا ذَاهِبًا وَرَاجِعًا.

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ وَكَانَ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فِي الْجَمْرَتَيْنِ الدُّنْيَا وَالْوُسْطَى وَيَرْمِي جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي.

ثُمَّ أَقَاضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الظُّهْرِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ بَعْدَ أَنْ أَكْمَلَ رَمِيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَلَمْ يَتَعَجَّلْ فِي يَوْمَيْنِ إِلَى الْمُحَصَّبِ وَهُوَ الْأَبْطَحُ وَحَدُّهُ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ إِلَى الْمُقَبَّرَةِ وَهُوَ خَيْفُ بَنِي كِنَانَةَ فَوَجَدَ مَوْلَاهُ أَبَا رَافِعٍ قَدْ ضَرَبَ قُبَّتَهُ هُنَاكَ وَكَانَ عَلَى ثَقْلِهِ، وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ ثُمَّ رَفَدَ رَفْدَةً بِالْمُحَصَّبِ ثُمَّ رَكِبَ إِلَى النَّبِيتِ وَطَافَ بِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَهَذَا هُوَ طَوَافُ الْوَدَاعِ. ثُمَّ ارْتَحَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ فَخَرَجَ مِنْ كُدَى وَهِيَ عِنْدَ بَابِ شَبْيَكَةَ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ رَجُلًا بِالرُّوحَاءِ فَقَالَ مَنِ الْقَوْمُ فَقَالُوا الْمُسْلِمُونَ فَقَالُوا مَنْ أَنْتَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ فَرَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا فِي يَحْفَةٍ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْهَذَا حَجٌّ قَالَ نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ.

وَلَمَّا وَصَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذِي الْحُلَيْفَةِ بَاتَ بِهَا لَيْلًا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ لَيْلًا فَلَمَّا رَأَى الْمَدِينَةَ كَبَّرَ ثَلَاثًا وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيُّونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحَدُّهُ ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ نَهَارًا مِنْ طَرِيقِ الْمَعْرَسِ مَكَانٌ مَعْرُوفٌ وَهُوَ وَالشَّجَرَةُ الَّتِي بَاتَ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَهَابِهِ إِلَى مَكَّةَ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَ (أَمَّا عُمْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَهِيَ أَرْبَعٌ: فَفِي الصَّحِيحَيْنِ وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسًا كَمْ حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حَجَّةً وَاحِدَةً وَاعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرِ عُمْرَةٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَعُمْرَةَ الْحَذَبِيَّةِ وَعُمْرَةً مَعَ حَجَّتِهِ وَعُمْرَةَ الْجِعْفَرَانَةِ إِذْ قَسَمَ غَنِيمَةَ حُنَيْنٍ وَهَذَا لَفْظُ رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ.

النوع السابع

فِي ذِكْرِ نُبْدَةٍ مِنْ أَدْعِيَّتِهِ وَاسْتِجَابَةِ دُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ
وَقِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ وَيَدْعُ مَا سَوَى ذَلِكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ. ، وَالْجَوَامِعُ الَّتِي تَجْمَعُ الْأَغْرَاضَ الصَّالِحَةَ وَالْمَقَاصِدَ الصَّحِيحَةَ أَوْ

تَجَمُّعُ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَآدَابُ الْمَسْأَلَةِ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ
اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي
آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ
شَرٍّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا
عَلَّمْتَنِي وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَزِدْنِي عِلْمًا الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ
النَّارِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ .

وَكَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ رَبِّ أَعِنِّي وَلَا
تُعِنْ عَلَيَّ وَانصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ وَاهْدِنِي وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَعَى
عَلَيَّ رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا لَكَ ذَاكِرًا لَكَ رَاهِبًا مَطْوَعًا لَكَ مُخْبِتًا إِلَيْكَ أَوَاهًا مُيْنِبًا رَبِّ
تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ خَوْبَتِي وَأَجِبْ دَعْوَتِي وَثَبِّتْ حُجَّتِي وَسَدِّدْ لِسَانِي وَاهْدِ قَلْبِي وَاسْأَلْ
سَخِيمَةَ صَدْرِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَالسَّخِيمَةُ الْحَقْدُ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ
لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ لَا تَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعِفَافَ وَالْغِنَى
رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي
وَخَطِيئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا
أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ رَوَاهُ
الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى . وَكَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ
ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي جَسَدِي وَعَافِنِي فِي سَمْعِي وَبَصَرِي
وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ رَبِّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ
الثَّلْجِ وَالْبَرْدِ وَتَقِ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا تَقْنِيتُ الثُّوبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَكَانَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَافْضِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو اللَّهُمَّ فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا أَقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ وَأَمْتِنْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي وَقُوَّتِي وَتَوَفَّنِي فِي سَبِيلِكَ رَوَاهُ فِي الْمَوْطَأِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ ثِقْلُهُ وَشِدَّتُهُ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجَذَامِ وَالْبَرَصِ وَالْجُنُونِ وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتَّسَائِي مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَلِيزِ الْأَرْبَعِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالتَّسَائِي مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجْأَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو أَيْضًا. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أَظْلَمَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ يَنْسُ الضَّجِيعُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا يَنْسُ الْبِطَانَةُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتَّسَائِي مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ رَوَاهُ التَّسَائِي، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّيِّ وَمِنَ الْعَرَقِ وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُذْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدَيْعًا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتَّسَائِي مِنْ حَدِيثِ أَبِي التَّيْسَرِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

فَلَمَّا نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَاتَانِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ .

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا هَمُّهُ أَمْرٌ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا كَرِهَ أَمْرًا قَالَ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا كَرَّبَنِي أَمْرٌ إِلَّا تَمَثَّلَ لِي جَبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ قُلْ تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّلِّ وَكَبَّرُهُ تَكْبِيرًا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ زَادْ الصَّلَاةَ وَهَادِي الصَّلَاةِ أَنْتَ تَهْدِي مِنَ الصَّلَاةِ ارْزُدْ عَلَيَّ ضَالَّتِي بِعِزَّتِكَ وَسَلْطَانِكَ فَإِنَّهَا مِنْ عَطَائِكَ وَفَضْلِكَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو هَكَذَا بِبَاطِنِ كَفِّهِ وَظَاهِرِهِمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَنَسٍ وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِئِهِ، وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْحَافِظُ وَأَبُو دَاوُدَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَةَ وَيَبْسُطُهُمَا وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَعَا ضَمَّ كَفِّهِ وَجَعَلَ بَطُونَهُمَا مِمَّا يَلِي وَجْهَهُ.

وَلَا يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ فِي الْقُتُوبِ فِي الصَّلَاةِ أَمَّا خَارِجَهَا فَقَدْ رُوِيَ فِيهِ خَبَرٌ (وَأَمَّا اسْتِجَابَةُ دُعَائِهِ) فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ دَعَا لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَأَطْلُ عُمُرَهُ وَاعْفِزْ لَهُ فَقَدْ دَفَعْتُ مِنْ صُلْبِي مِائَةَ وَائْتْنِينَ وَإِنْ تَمَرَّتِي لِتَحْوِيلٍ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ وَلَقَدْ بَقِيتُ حَتَّى سَمِعْتُ الْحَيَاةَ وَأَرْجُو الرَّابِعَةَ. وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السُّلُولِيِّ أَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِي وَلَدِهِ قَوْلَهُ لَهُ ثَمَانُونَ ذَكَرًا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى عَلِيِّ يَوْمَ خَيْبَرَ وَكَانَ أَرْمَدَ فَتَقَلَّ فِي عَيْنَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ

الْحَرِّ وَالْبَرْدَ قَالَ فَمَا وَجَدْتُ حَرًّا وَلَا بَرْدًا مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا رَمِدْتُ عَيْنَيَّ .

وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ فَقَالَ أَذُنُ مِثِّي فِدْنَا مِنْهُ فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وَثَبِّتْ لِسَانَهُ قَالَ عَلِيٌّ قَوْلَ اللَّهِ مَا شَكَّكَتُ فِي قَضَاءِ بَيْنِ اثْنَيْنِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ . وَعَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا مِنْ مَرَضٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ اشْفِهِ اللَّهُمَّ عَافِهِ ثُمَّ قَالَ قُمْ قَالَ عَلِيٌّ فَمَا عَادَ لِي ذَلِكَ الْوَجَعُ بَعْدَ رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ ، وَمَرَضَ أَبُو طَالِبٍ فَعَادَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا بَنَ أَخِي اذْغُ رَبِّكَ الَّذِي تَعْبُدُ أَنْ يُعَافِيَنِي فَقَالَ اللَّهُمَّ اشْفِ عَمِّي فَقَامَ أَبُو طَالِبٍ كَأَنَّمَا نَشِطَ أُنَى حُلٍّ مِنْ عِقَالٍ فَقَالَ يَا بَنَ أَخِي إِنَّ رَبِّكَ الَّذِي تَعْبُدُ لِيُطِيعَكَ فَقَالَ وَأَنْتَ يَا عَمَّاهُ لَيْسَ أَطْعَمَ اللَّهُ لِيُطِيعَكَ رَوَاهُ النَّبْهَظِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ، وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ اللَّهُمَّ أَعْطِ ابْنَ عَبَّاسٍ الْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ التَّأْوِيلَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَفِي الْبُخَارِيِّ اللَّهُمَّ عَلَّمَهُ الْكِتَابَ فَكَانَ حَبْرَ الْأُمَّةِ بَحْرَ الْعِلْمِ رَئِيسَ الْمُفَسِّرِينَ تَرْجَمَانِ الْقُرْآنِ ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ لَمَّا أُنْشِدَهُ «وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ» الْبَيْتَيْنِ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَكَ أَيْ لَا يُسْقِطُ اللَّهُ أَسْنَانَكَ فَأَتَى عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا رَوَاهُ النَّبْهَظِيُّ ، وَسَقَاهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَمْرُو بْنُ أُخْطَبَ مَاءً فِي قَدَحٍ قَوَارِيرَ قَرَأَ فِيهِ شَعْرَةَ بَيْضَاءَ فَأَخَذَهَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ جَمِّلهُ قَبْلَ ثَلَاثِ تِسْعِينَ سَنَةً وَمَا فِي لِحْيَتَيْهِ وَرَأْسِهِ شَعْرَةُ بَيْضَاءَ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَرَوَى مَعْمَرٌ أَنَّ يَهُودِيًّا حَلَبَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاقَةً فَقَالَ اللَّهُمَّ جَمِّلهُ فَاسْوَدَّ شَعْرُهُ وَعَاشَ تِسْعِينَ سَنَةً فَلَمْ يَشِبْ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِابْنِ الْحَمِقِ الْخَزَاعِيِّ وَقَدْ سَقَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَنًا اللَّهُمَّ مَتَّعْهُ بِشَبَابِهِ فَمَرَّتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً وَلَمْ يَرِ شَعْرَةُ بَيْضَاءَ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ .

وَجَاءَتْهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ عَلَاها الصُّفْرَةُ مِنَ الْجُوعِ فَتَنَظَّرَ إِلَيْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهَا ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ مُشْبِعَ الْجَاعَةِ لَا تُجِيعْ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ قَالَ عِمْرَانُ بْنُ الْحَصَنِينِ فَتَنَظَّرْتُ إِلَيْهَا وَقَدْ عَلَاها الدَّمُ عَلَى الصُّفْرَةِ فِي وَجْهِهَا وَلَقِيَتْهَا بَعْدَ فَقَالَتَ مَا جُعْتُ يَا عِمْرَانُ ذَكَرَهُ يَعْقُوبُ الْإِسْفَرَايِينِيُّ ، وَدَعَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعُرْوَةَ بِنِ الْجَعْدِ الْبَارِقِيِّ فَقَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ قَالَ فَمَا اشْتَرَيْتُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا رِبِخْتُ فِيهِ ، وَقَالَ لِعَجْرِيرٍ وَكَانَ لَا يَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ وَضَرَبَ فِي صَدْرِهِ اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا قَالَ فَمَا

وَقَعْتُ عَنْ قَرَسٍ بَعْدُ، وَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ اللَّهُمَّ أَجِبْ دَعْوَتَهُ فَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَدَعَا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بِالْبَرَكَةِ قَالَ فَلَوْ رَفَعْتُ حَجْرًا لَرَجَوْتُ أَنْ أَصِيبَ نَحْتَهُ دَهَبًا أَوْ فِضَّةً رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُضَرَ فَأَقْحَطُوا حَتَّى أَكَلُوا الْعِلَهَرَ وَهُوَ الدَّمُ بِالْوَبْرِ حَتَّى اسْتَغْطَفْتُهُ قُرَيْشٌ. وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُتَيْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ فَفَقَتَلَهُ الْأَسَدُ وَتَقَدَّمَ قِصَّتُهُ فِي الْمَقْصِدِ الثَّانِي. وَعَنْ مَازِنِ الطَّائِفِيِّ وَكَانَ بِأَرْضِ عُمَانَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرُؤٌ مُوَلَّعٌ بِالطَّرِبِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالنِّسَاءِ وَأَلَحْتُ عَلَيْنَا السُّنُونَ فَأَذْهَبْنَ الْأَمْوَالَ وَأَهْزَلْنَ الدَّرَارِي وَالرِّجَالَ وَلَيْسَ لِي وَلَدٌ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ عَنِّي مَا أَجِدُ وَيَأْتِينِي بِالْحَيَا أَيْ الْمَطَرِ وَيَهَبَ لِي وَلَدًا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ أَبْدِلْهُ بِالطَّرِبِ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَبِالْحَرَامِ الْحَلَالِ وَأَيِّهِ بِالْحَيَا وَهَبْ لَهُ وَلَدًا قَالَ مَازِنٌ فَادْهَبَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّمَا كُنْتُ أَجِدُ وَأَخْصَبَتْ عُمَانٌ وَتَزَوَّجْتُ أَرْبَعَ حَرَائِرَ وَوَهَبَ اللَّهُ لِي حَيَّانَ ابْنِ مَازِنٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَلَمَّا نَزَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتُوكَ صَلَّى إِلَى نَخْلَةٍ فَمَرَّ رَجُلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطَعَ صَلَاتَنَا قَطَعَ اللَّهُ أَثَرَهُ فَأَقْعِدَ فَلَمْ يَقُمْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ، وَأَكَلَ رَجُلٌ عِنْدَهُ بِشِمَالِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلْ بِيَمِينِكَ قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ قَالَ لَا اسْتَطَعْتَ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ يَغْدُ وَالرَّجُلُ بُسْرُ بْنُ رَاعِي الْعَبْرِي، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ رَدِيفَهُ يَوْمًا فَقَالَ يَا مُعَاوِيَةُ مَا بَلَيْتَنِي مِنْكَ قَالَ بَطْنِي قَالَ اللَّهُمَّ امْلَأْهُ عِلْمًا وَجِلْمًا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي تَرْوَانَ اللَّهُمَّ أَطِلْ شِقَاءَهُ وَبَقَاءَهُ فَأَذْرَكَ شَيْخًا كَبِيرًا شَقِيًّا يَتِمُّنَى الْمَوْتُ. وَالشَّقَاءُ هُنَا التَّعَبُ وَأَبُو تَرْوَانَ كَانَ رَاعِي إِبِلٍ فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبِلَهُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ لَمَّا هَرَبَ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا فَدَعَا عَلَيْهِ ثُمَّ أَسْلَمَ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.

وَلَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا بِشَيْءٍ فَلَمْ يُسْتَجَبْ. (وَأَمَّا اسْتِغْفَارُهُ) فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْمَجْلِسِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِائَةَ مَرَّةً وَلَهُ عَنْهُ أَيْضًا إِنْ كُنَّا لَنَعْدُو لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ رَبَّ اغْزِزْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الْغَفُورُ مِائَةَ مَرَّةً. وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ جَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ثُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ.
وَدَعَاؤُهُ وَاسْتَغْفَارُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَشْرِيعٌ لِأُمَّتِهِ وَإِظْهَارٌ لِعِبُودِيَّتِهِ.

وَوَرَدَ فِي حَدِيثِ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَيِّدُ الْأَسْتَغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى
عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ أَبُوءُ لَكَ بِبُغْيَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذُنُوبِي
فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ
أَنْ يُمَسِّيَ قَهْوٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُضِيحَ قَهْوٌ مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ فَتَعَيَّنَ أَنَّ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةَ هِيَ الْأَفْضَلُ. (وَأَمَّا قِرَاءَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصِفَتُهَا) فَكَانَتْ
مَدًّا يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ. وَتَعَتُّهَا أُمُّ سَلَمَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قِرَاءَةً مَفْسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا رَوَاهُ أَبُو ذَرْدُ وَغَيْرُهُ، وَقَالَتْ أَيْضًا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ يَقُولُ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ثُمَّ يَقِفُ ثُمَّ يَقُولُ
﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢] ثُمَّ يَقِفُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَالَتْ حَفْصَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتُلُّ السُّورَةَ حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ الْبَرَاءُ
كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ
قِرَاءَةً مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَنَّى بِقِرَاءَتِهِ
وَيَرْجِعُ صَوْتَهُ أحيانًا كَمَا رَجَعَ يَوْمَ الْفَتْحِ فِي قِرَاءَةِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]
وَقَدْ اسْتَمَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَيْلَةً لِقِرَاءَةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَلَمَّا أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ لَوْ
كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَسْمَعُهُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْظِيرًا أَيْ حَسَنَتُهُ وَزَيْنَتُهُ بِصَوْتِي تَزِينًا، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكُلِّ شَيْءٍ جَلِيَّةٌ وَجَلِيَّةُ الْقُرْآنِ حُسْنُ الصَّوْتِ.

المقصد العاشر

في إتمام الله نعمته عليه بوفاته صلى الله عليه وسلم وزيارته قبره الشريف ومسجده المنيّف وتفضيله في الآخرة وتشريفه بخصائص الزلّقى في مشهد الأنبياء والمرسلين وتخصيصه بالشفاعة العظمى والمقام المحمود في مجمع الأولين والآخرين وترقيته في الجنّات إلى أعلى الدرجات وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول

في إتمامه نعمته عليه بوفاته ونقلته إلى حظيرة قدسه صلى الله عليه وسلم اعلم أن الموت لما كان مكروهاً بالطبع لم يمت نبي من الأنبياء حتى يُخَيَّرَ وأول ما أُعْلِمَ به صلى الله عليه وسلم بافتِرَابِ أَجَلِهِ سُورَةُ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] وَقَدْ قِيلَ إِنَّ هَذِهِ السُّورَةُ آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنَى فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَقِيلَ عَاشَ بَعْدَهَا أَحَدًا وَثَمَانِينَ يَوْمًا. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ الدَّارِمِيِّ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ وَقَالَ نَعِيتُ إِلَيَّ نَفْسِي فَبَكَتْ قَالَ لَا تَبْكِي فَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي فَضَحِكَتْ.

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ نَعِيتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ فَأَخَذَ بِأَشَدِّ مَا كَانَ قَطُّ اجْتِهَادًا فِي الْآخِرَةِ، وَلِلطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَجْرِيلَ نَعِيتُ إِلَيَّ نَفْسِي فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى، وَرَوَى فِي حَدِيثٍ ذَكَرَهُ ابْنُ رَجَبٍ فِي اللَّطَائِفِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَبَّدَ حَتَّى صَارَ كَالشُّنِّ الْبَالِي، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَغْرِضُ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ عَلَى جَبْرِيلَ مَرَّةً فَعَرَضَهُ ذَلِكَ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَغْتَكِفُ الْعَشَرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ كُلَّ عَامٍ فَاغْتَكِفَ فِي ذَلِكَ الْعَامِ عَشْرِينَ وَأَكْثَرَ مِنَ الذَّكْرِ وَالِاسْتِغْفَارِ.

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ أَمْرِهِ لَا يَقُومُ وَلَا يَقْعُدُ وَلَا يَذْهَبُ وَلَا يَجِيءُ إِلَّا قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّكَ تَدْعُو بِدَعَاءٍ لَمْ تَكُنْ تَدْعُو بِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ فَقَالَ إِنَّ رَبِّي أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَى عَلَمًا فِي أُمْتِي وَأَنِّي إِذَا رَأَيْتُهُ أَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ السُّورَةَ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ، وَرَوَى الشُّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ عَقَبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَتْلَى أَحَدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمَوْدَعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطُ وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ وَإِنْ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ وَإِنِّي لَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَنَا فِي مَقَامِي هَذَا وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ يَنُوكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ وَقَالَ النَّاسُ انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدِ خَيْرِهِ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ قَدْ يَنُوكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَمْرَ النَّاسِ عَلَيَّ بِصُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ لَا يَبْقَى فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا سُدَّتْ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ رَوَاهُ الشُّيْخَانِ.

وَكَانَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ فِي ابْتِدَاءِ مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَإِنَّهُ خَرَجَ كَمَا رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَهُوَ مَعْصُوبُ الرَّأْسِ بِخَرْقَةٍ حَتَّى أَهْوَى إِلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَعْدَ الْخُطْبَةِ هَبَطَ عَنْهُ فَمَا رُويَ عَلَيْهِ حَتَّى السَّاعَةِ وَمَا زَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَرِّضُ بِافْتِرَافٍ أَجْلِهِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ فَإِنَّهُ لَمَّا خَطَبَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ قَالَ لِلنَّاسِ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ فَلَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا وَطَفِقَ يُودِّعُ النَّاسَ فَقَالُوا هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ فَلَمَّا رَجَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ إِلَى الْمَدِينَةِ جَمَعَ النَّاسَ بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًا فِي طَرِيقِهِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوْشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبْ ثُمَّ حَضَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَوَصَّى بِأَهْلِ بَيْتِهِ.

قَالَ الْحَافِظُ بْنُ رَجَبٍ وَكَانَ ابْتِدَاءَ مَرَضِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ صَفَرٍ وَكَانَتْ مُدَّةُ مَرَضِهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا فِي الْمَشْهُورِ وَذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ أَنَّهُ ابْتَدَأَ بِهِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَاخْتَلَفَ فِي مُدَّةِ مَرَضِهِ فَلَا تَكْثُرُ أَهْلًا ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَفِي الْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَرْوَاجَهُ أَنْ يَمْرُضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَ لَهُ فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَحْطُ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ أَيْ وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ دُخُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَيْنَهَا كَانَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَمَوْتُهُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الَّذِي يَلِيهِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ وَارَأَسَاهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَاسْتَغْفِرَ لَكَ وَأَدْعُو لَكَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ وَائْتَكِلِيَاهُ إِنِّي لَأُطْلُكَ تُحِبُّ مَوْتِي فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَطَلَبْتُ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرَّسًا بِبَعْضِ أَرْوَاجِكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَنَا وَارَأَسَاهُ لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ فَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ ثُمَّ قُلْتُ يَا أَبَى اللَّهِ وَيَذْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ أَوْ يَذْفَعُ اللَّهُ وَيَأْتِي الْمُؤْمِنُونَ. وَقَدْ تَبَيَّنَ كَمَا تَبَّهَ عَلَيْهِ فِي اللَّطَائِفِ أَنَّ أَوَّلَ مَرَضِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ صُدَاعَ الرَّأْسِ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ حُمَى فَإِنَّ الْحُمَى اشْتَدَّتْ بِهِ فِي مَرَضِهِ فَكَانَ يَجْلِسُ فِي مِخْضَبٍ وَيُصَبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ مِنْ سَنَبِ قَرِيبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِتُهُنَّ يَتَبَرَّدُ بِذَلِكَ. وَالْمِخْضَبُ إِنَاءٌ يُغْتَسَلُ فِيهِ وَالْأَوْكِتَةُ جَمْعُ وَكَاءٍ وَهُوَ رِبَاطُ الْقُرْبَةِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ قَالَ أَهْرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَنَبِ قَرِيبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ فَأَجْلَسَنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَرِيبِ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ. وَكَانَتْ عَلَيْهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطِيفَةً فَكَانَتْ الْحُمَى تُصِيبُ مَنْ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِهَا فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّا كَذَلِكَ يُشَدُّ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ وَيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ وَغَمًا شَدِيدًا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُوَعَكُ وَغَمًا شَدِيدًا فَقَالَ أَجَلُ إِنِّي أُوَعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمُ قُلْتُ ذَلِكَ أَنَّ لَكَ لِأَجْرَيْنِ قَالَ أَجَلُ ذَلِكَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحْطُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَالْوَعَكُ الْحُمَى.

وَأَخْرَجَ الْإِسْنَادُ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْيَمَانِ قَالَتْ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نِسَاءٍ

تَعُوذُهُ فَإِذَا سَقَاءَ يَقْطُرُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْحُمَى فَقَالَ إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وَفِي حَدِيثٍ عَائِشَةَ أَنَّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ غُلْبَةٌ أَوْ رَكْوَةٌ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ الْحَدِيثَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَرَوَى أَيْضًا عَنْ عُرْوَةَ أَنَّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا أَزَالَ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ فَهَذَا أَوَّانٌ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ. وَالْأَبْهَرُ عِرْقٌ مُسْتَبِطٌ بِالْصُّلْبِ يَتَّصِلُ بِالْقَلْبِ فَإِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ. وَقَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ شَهِيدًا مِنَ السُّمِّ.

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَعْوَذَاتِ وَمَسَحَ بِيَدَيْهِ فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ طَفَقَتْ أَنَا أَنْفَثُ عَلَيْهِ بِالْمَعْوَذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ وَأَمْسَحُ بِبِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي رِوَايَةٍ مَالِكٍ. وَأَمْسَحُ بِبِدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا. وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَفِي يَدِهِ جَرِيدَةٌ رَطْبَةٌ فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ بِهَا حَاجَةً فَأَخَذْتُهَا فَمَضَعْتُ رَأْسَهَا وَنَفَضْتُهَا وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ فَاسْتَنَّ بِهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ مُسْتَنًّا ثُمَّ تَوَلَّيْتُهَا فَسَقَطَتْ يَدُهُ أَوْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهَا قَالَتْ دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مُسْنِدُهُ إِلَى صَدْرِي.

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّهُ لَيَهْوُنَ عَلَيَّ الْمَوْتُ أَنِّي رَأَيْتُ بَيَاضَ كَفِّ عَائِشَةَ فِي الْجَنَّةِ وَفِي رِوَايَةٍ رَأَيْتُهَا فِي الْجَنَّةِ، وَيُرَوَّى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ سَبْعَةٌ دَنَائِرَ فَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ بِهَا ثُمَّ يُغْمِي عَلَيْهِ فَيَسْتَعْلُونَ بِوَجْعِهِ فَدَعَا بِهَا فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ وَقَالَ مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِرَبِّهِ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَعِنْدَهُ هَذِهِ ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهَا كُلُّهَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ فِي شَكْوَاهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَسَارَهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ ثُمَّ دَعَاَهَا فَسَارَهَا فَضَحِكَتْ فَسَأَلْنَاهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ سَارَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُقْبِضُ فِي وَجْعِهِ الَّذِي تَوَفِّيَ فِيهِ فَبَكَتُ ثُمَّ سَارَنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهَا يَتَّبَعُهُ فَضَحِكْتُ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ عَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا أَنَّهَا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمَنًا وَهَذِيًا وَدَلًّا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ. وَالِدُّ هَهُنَا السُّكِينَةُ وَالْوَقَارُ

وَحُسْنُ السَّيْرِ وَالطَّرِيقَةِ وَاسْتِقَامَةُ الْمَنْظَرِ وَالْهَيْبَةُ وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ إِلَيْهَا وَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَعَلَتْ ذَلِكَ فَلَمَّا مَرَضَ دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَأَكْبَتْ عَلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ وَفِي رِوَايَةٍ مَسْرُوقٍ أَنَّ ضِحْكَهَا كَانَ لِإِخْبَارِهِ بِأَنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا أَوَّلُ أَهْلِهِ لِحُوقًا بِهِ .

وَفِي رِوَايَتِهِ عَنْ عَائِشَةَ قُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ مَا كُنْتُ لِأَفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُوَفِّي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا فَقَالَتْ أَسْرَ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِفَاطِمَةَ إِنَّ جِبْرِيلَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَيْسَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَعْظَمَ رِزْيَةً مِنْكَ فَلَا تَكُونِي أَذْنَى امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ صَبْرًا .

وَفِي الْحَدِيثِ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا سَيَقَعُ وَوَقَعَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا كَانَتْ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ حَتَّى مِنْ أَزْوَاجِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شِدَّةِ وَجَعِهِ يُغْمَى عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ ثُمَّ يُفِيقُ وَأُغْمِيَ عَلَيْهِ مَرَّةً فَقَطُّوا أَنْ وَجَعَهُ ذَاتَ الْجَنْبِ فَلَدُّوهُ فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يَلْدُوهُ فَقَالُوا كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ أَلَمْ أَنْهَكُمُ أَنْ تَلْدُونِي فَقَالُوا كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ فَقَالَ لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلَّا لَدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَّا الْعَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَاللَّدُّ وَهُوَ مَا يُجْعَلُ فِي جَانِبِ الْقَمْرِ مِنَ الدَّوَاءِ فَأَمَّا مَا يُصَبُّ فِي الْحَلْقِ فَيُقَالُ لَهُ الْوُجُورُ .

وَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ قَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَعَاوَدَتْهُ مِثْلَ مَقَالَتِهَا فَقَالَ إِنَّكَ صَوَاجِبَاتُ يَوْسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ رَوَاهُ الشُّبَّخَانُ وَأَبُو حَاتِمٍ وَاللَّفْظُ لَهُ وَنَقَلَ الدُّمَيْاطِيُّ أَنَّ الصَّدِيقَ صَلَّى بِالنَّاسِ سَبْعَ عَشْرَةَ صَلَاةً . وَقَدْ ذَكَرَ الْفَاكِهَانِيُّ فِي الْفَجْرِ الْمُنِيرِ مِمَّا عَرَاهُ لِسَيْفِ الدِّينِ بْنِ عُمَرَ فِي كِتَابِ الْفَتْوحِ أَنَّ الْأَنْصَارَ لَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزْدَادُ وَجَعًا أَطَافُوا بِالْمَسْجِدِ فَدَخَلَ الْعَبَّاسُ فَأَعْلَمَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِمَكَانِهِمْ وَإِشْفَاقِهِمْ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الْفَضْلُ فَأَعْلَمَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَذَلِكَ فَخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَكِّئًا عَلَى

عَلَيْهِ وَالْفَضْلُ وَالْعَبَّاسُ أَمَامَهُ وَالْثِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَغْضُوبُ الرَّأْسِ يَخْطُ بِرِجْلَيْهِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى أَسْفَلِ مِرْقَاةٍ مِنَ الْمَنِيرِ وَنَارَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

وَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ بَلَّغْنِي أَتُكْمُ تَخَافُونَ مِنْ مَوْتِ نَبِيِّكُمْ هَلْ خَلَدَ نَبِيٌّ قَبْلِي فِيمَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَأَخْلَدَ فِيكُمْ أَلَا وَإِنِّي لَأَحِقُّ بِرَبِّي أَلَا وَإِنَّكُمْ لَأَحِقُّونَ بِهِ فَأَوْصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْرًا وَأَوْصِي الْمُهَاجِرِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٢] وَإِنَّ الْأُمُورَ تَجْرِي بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِظْهَاءُ أَمْرِ عَلَى اسْتِغْجَالِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعْجَلُ بِعَجَلَةٍ أَحَدٍ وَمَنْ غَالَبَ اللَّهَ غَلَبَهُ وَمَنْ خَادَعَ اللَّهَ خَدَعَهُ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] وَأَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ أَلَمْ يُشَاطِرُوكُمْ فِي الثَّمَارِ أَلَمْ يَوْسَعُوا لَكُمْ فِي الدِّيَارِ أَلَمْ يُؤْزِرُوكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِهِمُ الْخَصَاصَةُ أَلَا فَمَنْ وَلِيَ أَنْ يَخْشَكُمْ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَلْيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ أَلَا وَلَا تَسْتَأْذِرُوا عَلَيْهِمْ أَلَا وَإِنِّي فَرَطُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَأَحِقُّونَ بِي أَلَا وَإِنْ مَوَدَّكُمْ الْحَوْضُ أَلَا فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِدَهُ عَلَيَّ غَدًا فَلْيَكْفُفْ يَدَهُ وَلِسَانَهُ إِلَّا فِيمَا يَنْتَبِغِي يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنُوبَ تُغَيِّرُ النِّعَمَ وَتُبْدِلُ الْقِسَمَ فَإِذَا بَرَّ النَّاسُ بَرَّهُمْ أَيْمُهُمْ وَإِذَا فَحَرُوا عَفْوَهُمْ .

وَذَكَرَ الْوَاحِدِيُّ بِسَنَدٍ وَصَلَهُ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ نَعَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرِ فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقُ جَمَعَنَا فِي بَيْتٍ عَائِشَةُ فَقَالَ حَيَّاكُمْ اللَّهُ بِالسَّلَامِ رَحِمَكُمُ اللَّهُ جَبَرَكُمُ اللَّهُ رَزَقَكُمُ اللَّهُ نَصَرَكُمُ اللَّهُ رَفَعَكُمُ اللَّهُ أَوَّأَكُمُ اللَّهُ أَوْصِيَكُمُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ وَأَحْذَرَكُمُ اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَغْلُوا عَلَى اللَّهِ فِي بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] وَقَالَ : ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠] قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى أَجْلُكَ قَالَ دَنَا الْفِرَاقُ وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يَغْسِلُكَ قَالَ رَجَالُ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَلَاذْنَى قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَ نُكْفِّكَ قَالَ فِي يَتَابِي هَذِهِ وَإِنْ شِئْتُمْ فِي يَتَابِ بَيَاضٍ مِصْرَ أَوْ حُلَّةٍ يَمَنِيَّةٍ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْكَ قَالَ إِذَا أَنْتُمْ غَسَلْتُمُونِي وَكَفَنْتُمُونِي فَضَعُونِي عَلَى سَرِيرِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ثُمَّ اخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ جِبْرِيلُ ثُمَّ مِيكَائِيلُ ثُمَّ إِسْرَافِيلُ ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ

وَمَعَهُ جُنُودٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجًا فَوْجًا فَصَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وَلْيَبْدَأْ
بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي ثُمَّ نِسَاؤُهُمْ ثُمَّ أَنْتُمْ وَاقْرَأُوا السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ غَابَ مِنْ أَصْحَابِي
وَمَنْ تَبِعَنِي عَلَيَّ دِينِي مِنْ يَوْمِي هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَدْخُلُكَ قَبْرُكَ قَالَ
أَهْلِي مَعَ مَلَائِكَةِ رَبِّي وَكَذَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَاحِبُ يَقُولُ
إِنَّهُ لَمْ يُفْبِضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَفْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ وَرَأْسُهُ
عَلَى فُحْلِي غُشِيَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ
الْأَعْلَى قُلْتُ إِذَا لَا يَخْتَارُنَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَاحِبُ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهَا
أَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ مُسْتَنِدٌّ إِلَى ظَهْرِهِ يَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَالْحَقِّنِي
بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوَيْهَةَ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِيَتْ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَالْخُلْدِ ثُمَّ الْجَنَّةِ فَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ
رَبِّي وَالْجَنَّةِ فَاخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ .

وَعِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ مِنْ مُرْسَلِ طَاوُوسٍ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُيِّرْتُ بَيْنَ
أَنْ أَبْقَى حَتَّى أَرَى مَا يَفْتُنُّ عَلَى أُمَّتِي وَبَيْنَ التَّعْجِيلِ فَاخْتَرْتُ التَّعْجِيلَ ، وَفِي حَدِيثِ مُرْسَلٍ
ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَأْخُذُ الرُّوحَ مِنْ بَيْنِ الْعَصَبِ
وَالْقَصَبِ وَالْأَنَامِلِ فَأَعِنِّي عَلَيْهِ وَهَوْنُهُ عَلَيَّ ، وَلَمَّا تَغَشَّاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَرْبُ قَالَتْ
فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَكْرَبَ أَبْنَاءَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا لَا كَرَبَ عَلَيَّ أَبْنِيكَ بَعْدَ
النُّيُومِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ قَالَ الْعُلَمَاءُ إِنَّ ذَلِكَ الْأَلَمَ وَالْأَوْجَاعَ زِيَادَةٌ فِي رَفْعَةِ مَنْزِلَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَمَا هُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَأَبُو
بَكْرٍ يُصَلِّي بِهِمْ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَشَفَ بَشْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ
فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلَاةِ ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ فَتَكَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَتِهِ لِيَصِلَ
الْصَّفَّ وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ أَنَسٌ وَهُمْ
الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَيْمُوا صَلَاتَكُمْ ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرَاخَى السُّتْرَ وَتَوَفَّى صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ .

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا بَقِيَ مِنْ أَجْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ نَزَلٍ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ إِحْرَامًا لَكَ وَتَفْضِيلًا لَكَ وَخَاصَّةً لَكَ لِيَسْأَلَكَ عَمَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ يَقُولُ كَيْفَ تَجِدُكَ فَقَالَ أَجِدُنِي يَا جِبْرِيلُ مَغْمُومًا وَأَجِدُنِي يَا جِبْرِيلُ مَكْرُوبًا ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ فِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى آدَمِيٍّ قَبْلَكَ وَلَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى آدَمِيٍّ بَعْدَكَ قَالَ ائْذَنْ لَهُ فَدَخَلَ مَلَكُ الْمَوْتِ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي أَنْ أُطِيعَكَ فِي كُلِّ مَا تَأْمُرُ إِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَقْبِضَ رُوحَكَ قَبَضْتُهَا وَإِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَتْرَكَهَا تَرَكْتُهَا فَقَالَ جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ اشْتَاقَ إِلَيَّ لِقَائِكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاْمْضِ يَا مَلَكُ الْمَوْتِ لِمَا أَمَرْتُ بِهِ فَقَالَ جِبْرِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا آخِرُ مَوْطِئِي مِنَ الْأَرْضِ إِنَّمَا كُنْتُ حَاجَتِي مِنَ الدُّنْيَا فَقَبِضْ رُوحَهُ .

فَلَمَّا تُوفِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَاءَتِ التَّغْزِيَةُ سَمِعُوا صَوْتًا مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفُّونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ فِي اللَّهِ عَزَاءٌ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَخَلْفًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَدَرَكًا مِنْ كُلِّ فَاِئْتِ فَبِاللَّهِ فَيُثْقَلُوا وَلِيَّاهُ فَارْجُوا فَإِنَّمَا الْمَصَابُ مِنْ حَرَمِ الثَّوَابِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَقَالَ عَلِيٌّ أَتَذَرُونُ مَنْ هَذَا هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَوَاهُ النَّبِيهِيُّ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ فَاسْتَأْذَنَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ ارْجِعْ فَإِنَّا مَشَاغِلُ عَنْكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ ادْخُلْ رَاشِدًا فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ إِنَّ رَبِّكَ يَقْرُؤُكَ السَّلَامَ فَبَلَغَنِي أَنَّ مَلَكُ الْمَوْتِ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ قَبْلَهُ وَلَا يُسَلِّمْ بَعْدَهُ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحَرِي وَنَحْرِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَالسَّخَرُ الصَّدْرُ وَالْمَرَادُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوفِّيَ وَرَأْسُهُ بَيْنَ عُنُقِهَا وَصَدْرِهَا .

قَالَ السَّهْلِيُّ وَجَدْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُسْتَرْضِعٌ عِنْدَ حَلِيمَةَ اللَّهِ أَكْبَرُ وَآخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا الرَّفِيقُ الْأَعْلَى وَرَوَى الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَالُ رَبِّي الرَّفِيعُ، وَعَنْ

سَالِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْأَشَجَعِيُّ قَالَ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَجْزَعُ النَّاسِ كُلِّهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَأَخَذَ بِقَائِمِ سَيْفِهِ وَقَالَ لَا أَسْمَعُ أَحَدًا يَقُولُ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هَذَا قَالَ فَقَالَتِ النَّاسُ يَا سَالِمُ اطْلُبْ لَنَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَجْهَشْتُ بِالْبُكَاءِ أَيْ تَهَيَّأْتُ فَقَالَ يَا سَالِمُ أَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لَا أَسْمَعُ أَحَدًا يَقُولُ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هَذَا قَالَ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُسْجِي فَرَفَعَ الْبُرْدَ عَنْ وَجْهِهِ وَوَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ وَاسْتَنْشَى الرِّيحَ ثُمَّ سَجَّاهُ وَالتَفَّتْ إِلَيْنَا فَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الْآيَةُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ يَغْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَغْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَالَ عُمَرُ فَوَاللَّهِ لِكَأَنِّي لَمْ أَتْلُ هَذِهِ الْآيَاتِ قَطُّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَاسْتَنْشَى الرِّيحَ شَمَّهَا.

وَقَالَ ابْنُ الْمُنَبِّرِ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَاشَتِ الْعُقُولُ فَمِنْهُمْ مَنْ خَبِلَ وَمِنْهُمْ مَنْ أُفْعِدَ فَلَمْ يُطِقِ الْقِيَامَ وَمِنْهُمْ مَنْ أُخْرِسَ فَلَمْ يُطِقِ الْكَلَامَ وَمِنْهُمْ مَنْ أُضْنِيَ وَكَانَ عُمَرُ مِمَّنْ خَبِلَ وَكَانَ عُثْمَانُ مِمَّنْ أُخْرِسَ يَذْهَبُ وَيَجِيءُ وَلَا يَسْتَطِيعُ كَلَامًا وَكَانَ عَلِيٌّ مِمَّنْ أُفْعِدَ فَلَمْ يَسْتَطِيعْ جِرَافًا وَأُضْنِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ فَمَاتَ كَعْمًا وَكَانَ أَثْبَتُهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ جَاءَ وَعَيْنَاهُ تَهْمَلَانِ وَزَفَرَاتُهُ تَتَرَدَّدُ وَغُصَصُهُ تَتَصَاعَدُ وَتَرْتَفِعُ فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ وَكَشَفَ الثُّوبَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَانْقَطَعَ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَعَظُمْتَ عَنِ الصِّفَةِ وَجَلَلْتَ عَنِ الْبُكَاءِ وَلَوْ أَنَّ مَوْتَكَ كَانَ اخْتِيَارًا لَجَدْنَا لِمَوْتِكَ بِالنُّفُوسِ أَذْكَرْنَا يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ وَلَنُكُنَّ مِنْ بَالِكَ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَائِشَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَحَدَّرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ثُمَّ قَالَ وَأَنْبِيَاءَهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَحَدَّرَ فَاهُ. قَبَّلَ جَبْهَتَهُ ثُمَّ قَالَ وَأَصْفِيَاءَهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَحَدَّرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ وَقَالَ وَآخِلِيَاءَهُ. وَلَمَّا نُوفِيَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاةً يَا أَبَتَاهُ مَنْ جِئْتُ الْفِرْدَوْسَ مَأْوَاهُ يَا أَبَتَاهُ مَنْ إِلَى جِبْرِيلَ نَعَاهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَزَادَ الطَّبْرَانِيُّ يَا أَبَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ مَا أَذْنَاهُ. وَقَدْ عَاشَتْ

قَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ فَمَا ضَحِكْتَ تِلْكَ الْمُدَّةَ وَحَقُّ لَهَا ذَلِكَ، وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ لَمَّا قُبِضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ مَلَكُ الْمَوْتِ بَاكِيًا إِلَى السَّمَاءِ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يُنَادِي وَامْحَمَدَاهُ كُلُّ الْمَصَائِبِ تَهْوُو عِنْدَ هَٰذِهِ الْمُصِيبَةِ، وَفِي سَنَنِ ابْنِ مَاجَهَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِي بِي عَنْ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بَعِيرِي فَإِنْ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي.

وَقَالَ أَبُو الْجَوَزَاءِ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ جَاءَ أَخُوهُ فَصَافَحَهُ وَيَقُولُ يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَدَ حَسَنَةٍ، وَرَوَى أَنْ بِلَالًا لَمَّا كَانَ يُؤَدُّ بَعْدَ وَقَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبْلَ دَفْنِهِ قَالَا أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ازْتَجَّ الْمَسْجِدُ بِالْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ فَلَمَّا دُفِنَ تَرَكَ بِلَالٌ الْأَذَانَ. وَقَدْ كَانَتْ وَقَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ بِلَا خِلَافٍ وَفَتْ دُخُولِ الْمَدِينَةِ فِي هِجْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اشْتَدَّ الضَّخَاءُ وَدُفِنَ يَوْمَ الثَّلَاثَةِ وَقِيلَ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ وَقِيلَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَالسَّبَبُ فِي تَأْخِيرِ دَفْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا وَقَعَ مِنَ الْأَخْتِلَافِ فِي مَوْتِهِ وَفِي مَحَلِّ دَفْنِهِ. وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي دُؤَيْبٍ الْهَذَلِيِّ قَالَ بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِيلٌ فَأَوْجَسَ أَهْلُ الْحَيِّ خِيفَةً وَبَتْ بِلَيْلَةٍ طَوِيلَةً حَتَّى إِذَا كَانَ قُرْبُ السَّحَرِ نِمْتُ فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ وَهُوَ يَقُولُ:

خَطْبُ أَجَلٍ أُنَاحَ بِالإِسْلَامِ بَيْنَ النُّخِيلِ وَمَقْعَدِ الْأَطَامِ
قُبِضَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَعُيُونُنَا تُبْهِدِي الدُّمُوعَ عَلَيْهِ بِالنَّسْجَامِ
وَتَبْتُ مِنْ نَوْمِي فَرِعًا فَتَطَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ أَرَ إِلَّا سَعْدَ الدَّايِحِ فَعَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَلِأَهْلِهَا ضَجِيجٌ بِالْبُكَاءِ كَضَجِيجِ الْحَجِيجِ إِذَا أَهْلُوا بِالْإِحْرَامِ فَقُلْتُ مَهْ فَقِيلَ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ حَسَانُ بِقَوْلِهِ يَزِيدِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

كُنْتُ السُّوَادَ لِنَاطِرِي فَعَمِي عَلَيْكَ النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمْتُ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ
وَفِي الشُّفَاءِ وَغَيْرِهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَمَّا تَحَقَّقَ مَوْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ يَبْكِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ لَكَ جِدْعٌ تَخْطُبُ النَّاسَ

عَلَيْهِ فَلَمَّا كَثُرُوا اتَّخَذَتْ مِنْبَرًا لِتُسْمِعَهُمْ فَحَنُّ الْجَذْعِ لِفِرَاقِكَ حَتَّى جَعَلْتَ يَدَكَ عَلَيْهِ فَسَكَنَ قَامَتُكَ أُولَى بِالْحَيْنِ عَلَيْكَ حِينَ فَارَقْتَهُمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ قُضِيلَتِكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَنْ جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ فَقَالَ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ قُضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنْ بَعَثَكَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَكَ فِي أَوَّلِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] الْآيَةُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ قُضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَدُودُونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ وَهُمْ فِي أَطْبَاقِهَا يُعَذِّبُونَ يَقُولُونَ: ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

وَمِنْ عَجِيبِ مَا اتَّفَقَ مَا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا غُسْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لَا نَدْرِي أَنْجَرُذُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْفَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَدَقَّتْهُ فِي صَدْرِهِ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ النَّبِيِّ لَا يَذَرُونَ مَنْ هُوَ اغْسِلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَقَامُوا وَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ يَضَعُونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ وَيَذْكُرُونَهُ بِالْقَمِيصِ رَوَاهُ النَّبِيهِيُّ فِي دَلَائِلِ الثُّبُوتِ، وَرَوَى ابْنُ مَاجَهَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَلِيٍّ يَزْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَنَا مُتُّ فَاغْسِلُونِي بِسَنَعٍ قَرِيبٍ مِنْ بَثْرِي بِثَرِ عَرَسٍ.

وُغُسِّلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ غَسَلَاتٍ الْأُولَى بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ وَالثَّانِيَةِ بِالْمَاءِ وَالسُّدْرِ وَالثَّلَاثَةَ بِالْمَاءِ وَالْكَافُورِ وَغَسَلَهُ عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ وَابْنُهُ الْفَضْلُ يُعِينَانِيهِ وَقُتْمٌ وَأَسَامَةُ وَشُقْرَانُ مَوْلَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضُبُّونَ الْمَاءَ وَأَعْيُنُهُمْ مَغْصُوبَةٌ مِنْ وَرَاءِ السُّتْرِ لِحَدِيثِ عَلِيٍّ لَا يَغْسِلُنِي إِلَّا أَنْتَ فَإِنَّهُ لَا يَرَى أَحَدًا عَوْرَتِي إِلَّا طُمِسَتْ عَيْنَاهُ رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَالْبَيْهَقِيُّ.

وَأَخْرَجَ النَّبِيهِيُّ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ غَسَلَ عَلِيٌّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ يَقُولُ وَهُوَ يَغْسِلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طُبْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا. وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ غَسَلْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا وَكَانَ طَيِّبًا حَيًّا وَمَيِّتًا وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ سَعْدٍ وَسَطَعَتْ رِيحٌ طَيِّبَةً لَمْ يَجِدُوا مِثْلَهَا قَطُّ قِيلَ وَجَعَلَ عَلِيٌّ عَلَى يَدِهِ خِرْقَةً وَأَدْخَلَهَا تَحْتَ الْقَمِيصِ ثُمَّ اغْتَضَبُوا قَمِيصَهُ وَحَنَطُوا مَسَاجِدَهُ وَمَقَاصِلَهُ وَوَضُّوْا مِنْهُ ذِرَاعِيهِ وَوَجْهَهُ وَكَفْيَهُ وَقَدَمَيْهِ وَجَمَرُوهُ عَوْدًا وَنَدًّا. وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ كَانَ الْمَاءُ يَسْتَتِقِعُ فِي جُفُونِ النَّبِيِّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ عَلَيَّ يَحْسُوهُ أَنِّي يَشْرِبُهُ بِفَمِيهِ، وَفِي حَدِيثٍ غُرُورَةٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كُفِّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بَيْضِ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ أَخْرَجَهُ الْأَيُّمَةُ السُّتَّةُ بِزِيَادَةٍ وَتَقْصِيرٍ. وَالسَّحُولِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَحُولِ قَرْيَةٍ بِالْيَمَنِ وَالْكُرْسُفُ الْقُطْنُ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهٍ لَمَّا فَرَّغُوا مِنْ جِهَازِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَالًا يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا دَخَلَ النِّسَاءُ حَتَّى إِذَا فَرَّغْنَ دَخَلَ الصُّبْيَانُ وَلَمْ يَأْتِ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَلَائِكَةُ أَفْوَاجًا ثُمَّ أَهْلُ بَيْتِهِ ثُمَّ النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا ثُمَّ نِسَاؤُهُ آخِرًا، ثُمَّ قَالُوا أَيْنَ تَذْفُونَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا هَلَكَ أُنْثَى مَاتَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا يُدْفَنُ حَيْثُ تُقْبَضُ رُوحُهُ وَقَالَ عَلِيٌّ وَأَنَا أَيْضًا سَمِعْتُهُ. وَحَفَرَ أَبُو طَلْحَةَ لِحْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْضِعٍ فِرَاسِيهِ حَيْثُ قُبِضَ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيمَنْ أَدْخَلَهُ قَبْرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصَحُّ مَا رُوِيَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي قَبْرِهِ عَلِيٌّ وَعُمَةُ الْعَبَّاسُ وَابْنَاهُ الْفَضْلُ وَقَتُّمُ وَكَانَ قَتُّمُ آخِرَ النَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ بُنِيَ فِي قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعُ لِبَنَاتٍ وَفُرِشَ تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ نَجْرَانِيَّةٌ كَانَ يَتَغَطَّى بِهَا فَرَشَهَا شُقْرَانُ فِي الْقَبْرِ وَقَالَ وَاللَّهِ لَا يَلْبَسُهَا أَحَدٌ بَعْدَكَ وَفِي كِتَابِ تَحْقِيقِ النُّصَرَةِ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ثُمَّ أُخْرِجَتْ يَغْنِي الْقَطِيفَةُ مِنَ الْقَبْرِ لَمَّا فَرَّغُوا مِنْ وَضْعِ اللَّبَنَاتِ التُّسْعِ، وَلَمَّا دُفِنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ كَيْفَ طَابَتْ نُفُوسُكُمْ أَنْ تَخْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرَابَ وَأَخَذَتْ مِنْ تُرَابِ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ وَوَضَعَتْهُ عَلَى عَيْنَيْهَا وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

مَاذَا عَلَى مَنْ شِمَّ ثُرْبُهُ أَحْمَدُ أَنْ لَا يَشُمَّ مَدَى الزَّمَانِ عَوَالِيَا

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُذُنَ لِيَالِيَا

وَفِي رِوَايَةِ الدَّارِمِيِّ قَالَ أَنَسٌ مَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَفْجَحَ وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ عَنْهُ أَيْضًا لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ

فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ وَمَا نَفَضْنَا أَبْيَدَيْنَا مِنَ التُّرَابِ وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا، وَمِنْ آيَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ مَوْتِهِ مَا ذُكِرَ مِنْ حُزْنِ حِمَارِهِ عَلَيْهِ حَتَّى تَرَدَّى فِي بئرٍ وَكَذَا نَافَقُهُ فَإِنَّهَا لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ حَتَّى مَاتَتْ.

قَالَ رَزَيْنٌ وَرُسُ قَبْرُهُ الشَّرِيفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَشَهُ بِلَالٍ بَنُ رِبَاحٍ بِقَرْبَةِ بَدَأَ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ حَكَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ وَجَعَلَ عَلَيْهِ مِنْ حَضَبَاءَ حَمَرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَرَفَعَ قَبْرَهُ عَنِ الْأَرْضِ قَدْرَ شِبْرٍ، وَفِي حَدِيثٍ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ لَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ بَنِ عِيَّاشٍ عَنْ سُفْيَانَ الثَّمَارِ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَمًا أَيَّ مُزْتَفِعًا زَادَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْمُسْتَخْرِجِ وَقَبْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَذَلِكَ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمُّهُ أَكْثَفَنِي لِي عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَشَفَ لِي عَنْ ثَلَاثَةِ قُبُورٍ لَا مُشْرِفَةَ وَلَا لَاطِئَةَ مَبْطُوحَةٍ يَبْطَحَاءِ الْعَرْصَةِ الْحَمْرَاءِ زَادَ الْحَاكِمُ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَدَّمًا وَأَبُو بَكْرٍ رَأْسُهُ بَيْنَ كَتِفَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُمَرَ رَأْسُهُ عِنْدَ رِجْلَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا كَانَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ فَكَانَهَا كَانَتْ فِي الْأَوَّلِ مُسَطَّحَةً ثُمَّ لَمَّا بَنِيَ جِدَارُ الْقُبُورِ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ قَبْلِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ صَيَّرُوهَا مُزْتَفِعَةً، وَقَدْ رَوَى أَبُو بَكْرٍ الْأَجْرِيُّ فِي صِفَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عُثَيْمِ بْنِ نِسْطَاسِ الْمَدَنِيِّ قَالَ رَأَيْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَأَيْتُهُ مُزْتَفِعًا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ أَصَابِعَ وَرَأَيْتُ قَبْرَ أَبِي بَكْرٍ وَرَأَى قَبْرَهُ وَرَأَيْتُ قَبْرَ عُمَرَ وَرَأَى قَبْرَ أَبِي بَكْرٍ أَسْفَلَ مِنْهُ.

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ لَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْحَائِطُ يَغْنِي حَائِطَ حُجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَمَانِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخَذُوا فِي بِنَائِهِ فَبَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ فَفَزَعُوا وَظَنُّوا أَنَّهَا قَدَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا وَجَدُوا أَحَدًا يَعْلَمُ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ وَاللَّهِ مَا هِيَ قَدَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هِيَ إِلَّا قَدَمُ عُمَرَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَرَوَى الْأَجْرِيُّ قَالَ رَجَاءُ ابْنُ حَيَّوَةَ قَبْرُ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ وَسْطِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُمَرَ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ رَأْسُهُ عِنْدَ وَسْطِهِ وَهَذَا ظَاهِرُهُ يُخَالِفُ حَدِيثَ الْقَاسِمِ فَإِنْ أَمَكَّنَ الْجَمْعُ وَإِلَّا فَحَدِيثُ الْقَاسِمِ

أَصْح، وَنَقَلَ أَهْلُ السَّيْرِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ بَقِيَ فِي الْبَيْتِ مَوْضِعُ قَبْرِ فِي السَّهْوَةِ الشَّرْقِيَّةِ يُدْفَنُ فِيهَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَكُونُ قَبْرُهُ الرَّابِعُ. وَالسَّهْوَةُ بَيْتٌ صَغِيرٌ مُنْحَدِرٌ فِي الْأَرْضِ قَلِيلًا شِبْهَ بِالْمَخْدَعِ وَالْخِزَانَةِ.

وَفِي الْمُتَنَتِّظِ لِابْنِ الْجَوَازِيِّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فِي الْأَرْضِ فَيَتَزَوَّجُ وَيُولَدُ لَهُ وَيَمُوتُ خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَمُوتُ فَيُدْفَنُ مَعِيَ فِي قَبْرِي وَأَقُومُ أَنَا وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مِنْ قَبْرِ وَاحِدٍ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ.

الفصل الثاني

فِي زِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ وَمَسْجِدِهِ الْمُئَيِّفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اعْلَمَنَّ أَنَّ زِيَارَةَ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَكْثَرِ الْقُرْبَاتِ. وَأَزْجَى الطَّاعَاتِ. وَالسَّبِيلُ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ. وَمَنْ اعْتَقَدَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ انْخَلَعَ مِنْ رِبْقَةِ الْإِسْلَامِ. وَخَالَفَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمَاعَةَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ. قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ إِنَّهَا سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا وَفَضِيلَةٌ مُرْغَبٌ فِيهَا فَقَدْ رَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا تُعْمَلُ حَاجَةٌ إِلَّا زِيَارَتِي كَانَ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ شَفِيعًا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَصَحَّحَهُ ابْنُ السَّكَنِ وَفِي الْإِخْيَاءِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ وَجَدَ سَعَةً وَلَمْ يَفِدْ إِلَيَّ فَقَدْ جَفَانِي.

وَأَخْرَجَ ابْنُ الثَّجَارِ عَنْ أَنَسٍ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِي لَهُ سَعَةٌ ثُمَّ لَمْ يَزُرْنِي إِلَّا وَلَيْسَ لَهُ عُذْرٌ. وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي. وَعَنْ حَاطِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي وَمَنْ مَاتَ بِأَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ مِنَ الْأَمْنَيْنِ رَوَاهُ النَّبِيهَقِيُّ. وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ زَارَ قَبْرِي أَوْ قَالَ مَنْ زَارَنِي كُنْتُ شَفِيعًا لَهُ وَشَهِيدًا رَوَاهُ النَّبِيهَقِيُّ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ زَارَنِي بِالْمَدِينَةِ مُحْتَسِبًا كَانَ فِي جَوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَوَاهُ النَّبِيهَقِيُّ أَيْضًا، قَالَ الْعَلَامَةُ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَرْاغِيُّ وَيَتَّبِعُنِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ اعْتِقَادُ كَوْنِ زِيَارَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْبَةً لِلْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ

وَلَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وَقَدْ اسْتَغْفَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْجَمِيعِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] فَإِذَا وَجَدَ مَجِيئَهُمْ وَاسْتَغْفَرَهُمْ تَكَمَّلَتْ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ الْمَوْجِبَةُ لِتَوْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ.

وَيَتَّبِعِي لِمَنْ نَوَى زِيَارَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْوِيَ مَعَ ذَلِكَ زِيَارَةَ مَسْجِدِهِ الشَّرِيفِ وَالصَّلَاةَ فِيهِ فَإِنَّهُ أَحَدُ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَيْهَا وَهُوَ أَفْضَلُهَا عِنْدَ مَالِكٍ. وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ يُبَرِّدُ الْبَرِيدَ لِلسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَى يُبَرِّدُ يُزِيلُ وَالْبَرِيدُ الرَّسُولُ الْمُسْتَعَجِلُ. وَيَتَّبِعِي لِمَنْ أَرَادَ زِيَارَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ فَإِذَا وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى مَعَالِمِ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ وَمَا تُعْرِفُ بِهِ فَلْيُرَدِّدِ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمَ وَيَسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِزِيَارَتِهِ وَيُسْعِدَهُ بِهَا فِي الدَّارَيْنِ وَلِيُغْتَسِلَ وَلِيَلْبَسَ الطُّيْفَ مِنْ ثِيَابِهِ وَلِيَتَرَجَّلَ مَاثِيًا بَاكِيًا.

وَلَمَّا رَأَى وَقَدْ عِنْدَ الْقَيْسِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ عَنْ رَوَاجِلِهِمْ وَلَمْ يَبْيَحُوهَا وَسَارَعُوا إِلَيْهِ فَلَمْ يَنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ. وَيُسْتَحَبُّ صَلَاةُ رَمْعَتَيْنِ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ قَبْلَ الزِّيَارَةِ قِيلَ وَهَذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ مُرُورُهُ مِنْ جِهَةٍ وَجْهِهِ الشَّرِيفِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَإِنْ كَانَ اسْتَحْبَبَتِ الزِّيَارَةُ قَبْلَ التَّحِيَّةِ، وَيَتَّبِعِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَسْتَخْضِرَ مِنَ الْخُشُوعِ مَا أَمْكَنَهُ وَلِيَكُنْ مُقْتَصِدًا فِي سَلَامِهِ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْإِسْرَارِ وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِرَجُلَيْنِ مِنَ الطَّائِفِ لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا ضَرْبًا تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَسْمَعُ صَوْتَ الْوَتْدِ يُوتَدُ وَالْمِسْمَارِ يُضْرَبُ فِي بَعْضِ الدُّوَرِ الْمُطِيفَةِ بِمَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتُرْسِلُ إِلَيْهِمْ لَا تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالُوا وَمَا عَمِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِضْرَاعِي دَارِهِ إِلَّا بِالْمَنَاصِيحِ اسْمُ مَكَانٍ خَارِجِ الْمَدِينَةِ تَوْقِيًا لِذَلِكَ فَيَجِبُ الْأَدَبُ مَعَهُ كَمَا فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَّبِعِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الْقَبْرِ الشَّرِيفِ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ وَإِنْ جَاءَ مِنْ جِهَةِ رِجْلِي الصَّاحِبَيْنِ فَهُوَ أَوْلَى فِي الْأَدَبِ مِنَ الْإِنْتِابِ مِنْ جِهَةِ رَأْسِهِ الْمَكْرُمِ وَيَسْتَنْدِرُ الْقِبْلَةَ وَيَقِفُ قُبَالَةَ وَجْهِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ مَالِكًا سَأَلَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ الْعَبَّاسِيُّ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَدْعُو أَمْ أَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ

وَأَدْعُو فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَلَازِمَ الْأَدَبَ وَالْخُشُوعَ وَالتَّوَاضُّعَ غَاضٍ الْبَصَرِ فِي مَقَامِ الْهَيْبَةِ كَمَا كَانَ
يَفْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَاتِهِ وَيَسْتَحْضِرَ عِلْمَهُ بِوُقُوفِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَمَاعَهُ لِسَلَامِهِ كَمَا هُوَ فِي حَالِ
حَيَاتِهِ إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَوْتِهِ وَحَيَاتِهِ فِي مُشَاهَدَتِهِ لِأُمَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِأَحْوَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ وَعَزَائِمِهِمْ
وَحَوَاطِرِهِمْ وَذَلِكَ عِنْدَهُ جَلِيلٌ لَا خَفَاءَ بِهِ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ لَيْسَ
مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَتُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ عُذُوةً وَعَشِيَّةً فَيَعْرِفُهُمْ
بِسِمَاهُمْ وَأَعْمَالِهِمْ فَلِذَلِكَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ.

وَلْيُمَثِّلِ الزَّائِرُ وَجْهَهُ الْكَرِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي ذَهَبِهِ وَيُخَضِّرَ قَلْبُهُ جَلَالَ رُتْبَتِهِ
وَعُلُوُّ مَنْزِلَتِهِ وَعَظِيمَ حُزْمَتِهِ وَأَنْ أَكَابَرَ الصُّخْبَ مَا كَانُوا يُخَاطِبُونَهُ إِلَّا كَأَخِي السَّرَّارِ تَغْظِيماً لِمَا
عَظَّمَهُ اللَّهُ مِنْ شَأْنِهِ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ النَّجَّارِ أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ أَكْشِفَنِي
لِي عَنْ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَشَفَتْهُ فَبَكَتْ حَتَّى مَاتَتْ. وَحَكِي عَنْ أَبِي
الْفَضَائِلِ الْحَمَوِيِّ أَحَدِ خُدَّامِ الْحُجْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ أَنَّهُ شَاهَدَ شَخْصاً مِنَ الزُّوَّارِ الشُّيُوخِ أَتَى بَابَ
مَقْصُورَةِ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ فَطَاطَأَ رَأْسَهُ نَحْوَ الْعَتَبَةِ فَحَرَّكَوهُ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ
جَنَازَتَهُ.

ثُمَّ يَقُولُ الزَّائِرُ بِحُضُورِ قَلْبٍ وَعَظْ طَرْفٍ وَصَوْتٍ وَسُكُونٍ وَإِطْرَاقٍ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللَّهِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَةَ
خَلْقِ اللَّهِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفْوَةَ اللَّهِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ.
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ. السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.
السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَزْوَاجِكَ الطَّاهِرَاتِ أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ. السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ
أَجْمَعِينَ. السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ. جَزَاكَ اللَّهُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا وَرَسُولاً عَنْ أُمَّتِهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَعَقَلَ عَنْ
ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَمِينُهُ وَخَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ
وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الرُّسَالَهَ وَأَذَيْتَ الْأَمَانَةَ وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ وَجَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ.
وَمَنْ ضَاقَ وَفْتَهُ عَنْ ذَلِكَ أَوْ عَنْ حِفْظِهِ فَلْيَقُلْ مَا تيسَّرَ مِنْهُ أَوْ مِمَّا يَحْصُلُ بِهِ الْغَرَضُ.

وَفِي تَحْفَةِ الزَّائِرِ لِابْنِ عَسَاكِرَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ وَغَيْرَهُ مِنَ السَّلَفِ كَانُوا يَفْتَحِرُونَ وَيُوجِرُونَ

فِي هَذَا جِدًّا فَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ إِمَامِ دَارِ الْهِجْرَةِ وَتَاهِيكَ بِهِ خَبْرَةٌ بِهَذَا الشَّانِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ وَهَبٍ عَنْهُ يَقُولُ الرَّائِزِيُّ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ثُمَّ أَتَى الْقَبْرَ الْمُقَدَّسَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُو وَلَا يَتَكَلَّفَ السُّجْعَ فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْإِخْلَالِ بِالْخُشُوعِ.

وَقَدْ حَكَى جَمَاعَةُ الْحِكَايَةِ الْمَشْهُورَةِ عَنِ الْعُتْبِيِّ وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ تُوْفِيَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ قَالَ أَتَيْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوُزْتُهِ وَجَلَسْتُ بِجِذَائِهِ فَجَاءَ أَعْرَابِي فَرَأَاهُ ثُمَّ قَالَ يَا خَيْرَ الرُّسُلِ إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَابًا صَادِقًا قَالَ فِيهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاوَوْكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذُنُوبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا خَيْرَ مَنْ دُقِّنْتَ بِالقَّاعِ أَعْظَمُهُ قَطَابَ مِنْ طَيْبِهِنَّ القَّاعُ وَالْأَكْمُ
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنتَ سَاكِئُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ
ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَانْصَرَفَ فَرَقَدْتُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ وَهُوَ يَقُولُ
الْحَقِّ الْأَعْرَابِيَّ وَبَشْرُهُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَفَرَ لَهُ بِشَفَاعَتِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَخَرَجْتُ بِطَلْبِهِ فَلَمْ
أَجِدْهُ.

وَوَقَفْتُ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَبْرِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَ بِعِتْقِ الْعَبِيدِ وَهَذَا حَبِيبُكَ وَأَنَا عَبْدُكَ فَأَعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ عَلَى قَبْرِ حَبِيبِكَ فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ: يَا هَذَا تَسْأَلُ الْعَتَقَ لَكَ وَحَدَّكَ هَلَّا سَأَلْتَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ اذْهَبْ فَقَدْ أَعْتَقْنَاكَ مِنَ النَّارِ، وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ وَقَفْتُ حَاتِمَ الْأَصَمِ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَبِّ إِنَّا زُرْنَا قَبْرَ نَبِيِّكَ فَلَا تَرُدُّنَا خَائِبِينَ فَنُودِيَ: يَا هَذَا مَا أَذِنَّا لَكَ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ حَبِيبِنَا إِلَّا وَقَدْ قَبَلْنَاكَ فَارْجِعْ أَنتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الرُّوَّارِ مُغْفُورًا لَكُمْ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ أَذْرَكَتْ يَقُولُ بَلَعْنَا أَنْ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلْنَا هَذِهِ الْأَيَّةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى يَقُولَهَا سَبْعِينَ مَرَّةً نَادَاهُ مَلَكٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَا فُلَانُ وَلَمْ تَسْقُطْ لَكَ حَاجَةٌ قَالَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْمَرَاغِي وَغَيْرُهُ وَالْأَوَّلَى أَنْ يُتَادِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ الرِّوَايَةُ يَا مُحَمَّدُ.

فَإِنْ أَوْصَاهُ أَحَدٌ بِإِبْلَاحِ السَّلَامِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ قُلَانٍ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْ يَمِينِهِ قَدَرُ ذِرَاعٍ فَيُسَلِّمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِأَنَّ رَأْسَهُ بِحِذَاءِ مَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَيْدَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الرِّدَّةِ الدِّينَ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْهُ وَارْضَ عَنَّا بِهِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْ يَمِينِهِ قَدَرُ ذِرَاعٍ فَيُسَلِّمُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَيَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَيْدَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْهُ وَارْضَ عَنَّا بِهِ.

ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَوْفِيقِهِ الْأَوَّلِ قُبَالَةَ وَجْهِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى وَيُحَمِّدُهُ وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَيُجَدِّدُ التَّوْبَةَ فِي حَضْرَتِهِ الْكَرِيمَةِ وَيَسْأَلُ اللَّهَ بِجَاهِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلَهَا تَوْبَةً نَصُوحًا وَيُكْثِرُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَضْرَتِهِ الشَّرِيفَةِ حَيْثُ يَسْمَعُهُ وَيَزِدُّ عَلَيْهِ فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا زَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمَعْنَى رَدِّ رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَزِدَّ عَلَى الْمُسْلِمِ السَّلَامَ مَعَ أَنَّهُ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ بِلَا شَكٍّ إِقْبَالَ خَاصِّ وَالتَّيَقُّاتِ رُوحَانِي يَخْصُلُ مِنَ الْحَضْرَةِ الْكُبْوَةِ لِذَلِكَ الْمُسْلِمِ وَهَذَا الْإِقْبَالُ يَكُونُ عَامًّا شَامِلًا حَتَّى لَوْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ أَلْفٍ لَوَسَّعَهُمْ ذَلِكَ الْإِقْبَالُ النَّبَوِيُّ وَالْإِلْتِقَاءُ الرُّوحَانِي.

قَالَ صَاحِبُ الْأَصْلِ الْعَلَامَةُ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ الْقَسْطَلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْبِرَ عَنْهُ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ سُئِلَ كَيْفَ يَرُدُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فِي آتٍ وَاجِدٍ فَأَنْشَدَ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ:

كَالشَّمْسِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ وَنُورِهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا وَلَا رَيْبَ أَنَّ حَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَرْزَخِ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ مِنْ حَالِ الْمَلَائِكَةِ هَذَا وَسَيِّدُنَا عِزْرَائِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقْبِضُ مِائَةَ أَلْفِ رُوحٍ فِي آتٍ وَاجِدٍ وَلَا يَشْغَلُهُ قَبْضٌ عَنْ قَبْضٍ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَشْغُولٌ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى مُقْبِلٌ عَلَى التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ.

وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ غَائِبًا بُلَّغْتُهُ، وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سُهَيْمٍ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ

فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَكَ فَيَسْأَلُونَكَ عَنْهُمْ قَالَتْ نَعَمْ وَأَرَدْتُ عَلَيْهِمْ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ كَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ. وَقَدْ رَوَى ابْنُ التَّجَارِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا تَغَلَّبَ عَسْكَرُ يَزِيدَ عَلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لَمْ يُؤْذَنْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا حَضَرَتِ الظُّهْرُ سَمِعْتُ الْأَذَانَ فِي الْقَبْرِ فَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَمِعْتُ الْإِقَامَةَ فَصَلَّيْتُ الظُّهْرَ ثُمَّ مَضَى ذَلِكَ الْأَذَانُ وَالْإِقَامَةُ فِي الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ لِكُلِّ صَلَاةٍ حَتَّى مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيْلًا يَغْنِي لَيْلًا أَيَّامَ الْحَرَّةِ.

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ شَهِيدًا لِأَكْبَلِهِ يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ شَأَةِ مَسْمُومَةٍ سَمًا قَاتِلًا مِنْ سَاعَتِهِ حَتَّى مَاتَ مِنْهُ بِشَرُّ بَنِي النَّبَرَاءِ وَصَارَ بِقَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْجَزَةً فَكَانَ أَلَمُ السُّمِّ يَتَعَاهَدُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ بِهِ قَالَ الْعُلَمَاءُ فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بِذَلِكَ الْبُؤَةِ وَالشَّهَادَةِ وَقَدْ ثَبَتَتْ حَيَاةُ الشَّهَدَاءِ بِنَصِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ مِنْ وَجْهَيْنِ وَجْهِ الْبُؤَةِ وَوَجْهِ الشَّهَادَةِ بَلْ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَفْضَلُ الشَّهَدَاءِ فَحَيَاتُهُ أَكْمَلُ مِنْ حَيَاتِهِمْ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُقْبَرُ فِي الثَّرْبَةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا فَكَانَتْ بِهَذَا ثَرْبَةُ الْمَدِينَةِ أَفْضَلُ الثَّرْبِ كَمَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَفْضَلُ النَّبِيِّينَ فَلِهَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ يَتَضَاعَفُ رِيحُ الطَّيْبِ فِيهَا عَلَى سَائِرِ الْبُلْدَانِ قَالَهُ ابْنُ بَطَّالٍ، وَتَبْنِي لِلزَّائِرِ أَنْ يُكَبِّرَ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالِاسْتِعَاثَةِ وَالتَّشْفُّعِ وَالتَّوَسُّلِ وَالتَّوَجُّهِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَدِيرٌ بِمَنْ اسْتَشْفَعَ بِهِ أَنْ يُشْفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ فَإِنَّ كُلًّا مِنَ الْاسْتِعَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ وَالتَّشْفُّعِ وَالتَّوَجُّهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي تَحْقِيقِ الثُّصَرَةِ وَمِضْبَاحِ الظَّلَامِ وَغَيْرِهِمَا وَاقَعَ فِي كُلِّ حَالٍ قَبْلَ خَلْقِ وَبَعْدِهِ فِي مَدَّةِ حَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَوْتِهِ فِي مَدَّةِ الْبَرَزَخِ وَبَعْدَ الْبَعْثِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ.

فَأَمَّا الْحَالَةُ الْأُولَى فَحَسْبُكَ مَا تَقَدَّمَ فِي الْمَقْصِدِ الْأَوَّلِ مِنْ اسْتِشْفَاعِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهِ لَمَّا أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى يَا آدَمُ لَوْ تَشَفَّعْتَ إِلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ فِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَشَفَعْنَاكَ وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِهِ بَعْدَ خَلْقِهِ فِي مَدَّةِ حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ السَّائِي وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَنْظَلٍ أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرًا أَتَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ

فَيُحْسِنُ وَضُوءَهُ وَيَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ فِي حَاجَتِي لِتُقْضَى اللَّهُمَّ شَفْعُهُ فِي وَصَحِّهِ النَّبِيِّ وَرَادَ فَقَامَ وَقَدْ أَبْصَرَ.

وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْبَرَزِخِ فَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى وَفِي كِتَابِ مِصْبَاحِ الظَّلَامِ فِي الْمُسْتَعِيشِينَ بِخَيْرِ الْأَنْبَاءِ لِلشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ التُّمَّانِ طَرَفٌ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ صَاحِبُ الْأَصْلِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَقَدْ كَانَ حَصَلَ لِي دَاءٌ أَغْنَى دَوَاؤُهُ الْأَطِبَاءُ وَأَقَمْتُ بِهِ سِنِينَ فَاسْتَعَثْتُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَتَمَانِمِائَةٍ بِمَكَّةَ زَادَهَا اللَّهُ شَرَفًا قَبَّيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مَعَهُ قِرْطَاسٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ هَذَا دَوَاءٌ دَاءِ أَحْمَدَ بْنِ الْقُسْطَلَانِيِّ مِنَ الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ بَعْدَ الْإِذْنِ الشَّرِيفِ ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ فَلَمْ أَجِدْ بِي وَاللَّهِ شَيْئًا مِمَّا كُنْتُ أَجِدُهُ وَحَصَلَ الشِّفَاءُ بِبَرَكَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ فِيمَا قَامَ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ وَتَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ فِي حَدِيثِ الشِّفَاعَةِ فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الطَّالِبُ إِذْرَاكَ السَّعَادَةِ. وَالْمُؤْمَلُ لِحُسْنِ الْحَالِ فِي حَضْرَةِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ. بِالتَّعَلُّقِ بِأَذْيَالِ عَطْفِهِ وَكَرَمِهِ. وَالتَّطَفُّلِ عَلَى مَوَائِدِ نِعَمِهِ. وَالتَّوَسُّلِ بِجَاهِهِ الشَّرِيفِ. وَالتَّشَفُّعِ بِقُدْرَةِ الْمُنِيفِ. فَهُوَ الْوَسِيلَةُ إِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي وَافْتِنَاصِ الْمَرَامِ. وَالْمَفْرَعُ يَوْمَ الْجَزَعِ وَالْهَالِعُ لِكَافَةِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ. وَاجْعَلْهُ أَمَامَكَ فِيمَا نَزَلَ بِكَ مِنَ التَّوَالِيزِ. وَإِمَامَكَ فِيمَا تُجَاوِلُ مِنَ الْقُرْبِ وَالْمَنَازِلِ. فَإِنَّكَ تَظْفَرُ مِنَ الْمَرَادِ بِأَفْصَاهُ. وَتُذَرِّكُ رِضًا مِنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَخْصَاهُ. وَاجْتَهِدْ مَا دُمْتَ بِطَبِيبَةِ الطَّبِيبَةِ حَسَبَ طَاقَتِكَ فِي تَحْصِيلِ أَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ. وَلَا زِمَ قَرَعَ أَبْوَابِ السَّعَادَةِ بِأَطْوَافِ الطَّلِبَاتِ. وَارْقُ فِي مَدَارِجِ الْعِبَادَاتِ. وَلِجْ فِي سُرَادِقِ الْمُرَادَاتِ. وَلَا زِمَ الصَّلَوَاتِ مَكْتُوبَةً وَنَافِلَةً فِي مَسْجِدِهِ الْمَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

خُصُوصًا بِالرَّوْضَةِ الَّتِي ثَبَتَ أَنَّهَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَحِكْمَةُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَضَّلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ وَأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ مَسْئُومًا إِلَيْهِ بِنِسْبَةِ مَا مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ يَكُونُ لَهُ تَفْضِيلٌ عَلَى جَنْبِهِ كَمَا اسْتَفْرَى فِي كُلِّ أَمْرِهِ مِنْ بَدْءِ ظُهُورِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ فَمِنْهَا مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ أُمِّهِ أَمِنَةً وَمَا نَالَهَا مِنْ بَرَكَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِثْلُ ذَلِكَ مُرْضِعَتُهُ حَلِيمَةُ وَأَتَانُهَا وَالبُقْعَةُ الَّتِي كَانَتْ تِلْكَ الْأَتَانُ تَمْشِي عَلَيْهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ مَتَى جَعَلَتْ يَدَهَا عَلَى بُقْعَةٍ

اخْضَرَتْ مِنْ حَيْثُهَا وَكَانَتْ تَظْهَرُ بَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِسًا وَمَعْنَى حَيْثُمَا مَشَى وَحَيْثُمَا وَضَعَ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ كَمَا هُوَ مَقْبُولٌ مَعْرُوفٌ.

وَلَمَّا كَانَ تَرَدُّدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ مَنْبَرِهِ وَبَيْنِهِ كَثِيرًا فَكَانَ يَتَرَدَّدُ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ مِرَارًا فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ طَوْلَ عُمُرِهِ مِنْ وَقْتِ هِجْرَتِهِ إِلَى حِينِ وَقَاتِهِ تَضَاعَفَتْ حُزْمَتُهَا عَلَى غَيْرِهَا وَلَيْسَ لَهَا وَضْفٌ أَعْلَى مِنْ وَضْفِهَا الْمَذْكُورِ وَهُوَ أَنَّهَا كَانَتْ مِنَ الْحِجَّةِ وَتَعُودُ إِلَيْهَا وَهِيَ الْآنَ مِنْهَا وَلِلْعَامِلِ فِيهَا مِثْلُهَا لِأَنَّ الْعَمَلَ فِيهَا يُوجِبُ لِصَاحِبِهِ رَوْضَةً فِي الْحِجَّةِ فَإِنْ قِيلَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِلْمَدِينَةِ بِكَمَالِهَا لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَطُوفُهَا بِقَدَمِهِ مِرَارًا فَالْجَوَابُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لِلْمَدِينَةِ تَفْضِيلٌ لَمْ يَخْصُلْ لِغَيْرِهَا مِنْ ذَلِكَ أَنَّ تَرَاتِبَهَا شِفَاءً كَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَنَّهَا تُمْنَعُ مِنَ الدُّجَالِ وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَا يَشْفَعُ لِأَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ مَا كَانَ لَهَا مِنَ الْوَبَاءِ وَالْحُمَى رُفِعَ عَنْهَا وَأَنَّهُ بُورِكَ فِي طَعَامِهَا وَشَرَابِهَا وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ فَكَانَ التَّفْضِيلُ لَهَا بِنِسْبَةِ تَرَدُّدِهِ فِيهَا وَتَرَدُّدُهُ فِي الْمَسْجِدِ أَكْثَرُ مِنْ تَرَدُّدِهِ فِي الْمَدِينَةِ وَتَرَدُّدُهُ فِيمَا بَيْنَ الْمَنْبَرِ وَالنَّبِيتِ أَكْثَرُ مِمَّا سِوَاهُ مِنْ سَائِرِ الْمَسْجِدِ قَالِمَدِينَتُهُ أَرْفَعَ الْمُدُنِ وَالْمَسْجِدُ أَرْفَعَ الْمَسَاجِدِ وَالْبُقْعَةُ أَرْفَعَ الْبُقَعِ قَضِيَّةٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي هَذَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. وَذَكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ فِي الْوَاضِحَةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ وَجُمُعَةٌ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ جُمُعَةٍ فِيمَا سِوَاهُ وَرَمَضَانُ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهُ. وَاخْتَلَفَ هَلْ الْأَفْضَلُ مَكَّةُ أَوِ الْمَدِينَةُ فَقَالَ بِكُلِّ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْأَئِمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الشَّرِيفَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَتَّى مَوْضِعِ الْكَعْبَةِ بَلْ نَقَلَ الثَّاجُ السُّبُكِيُّ عَنِ ابْنِ عَقِيلٍ الْحَنْبَلِيِّ أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنَ الْعَرِشِ وَصَرَّحَ الْفَاكِهَانِيُّ فِي تَفْضِيلِهَا عَلَى السَّمَوَاتِ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَتَفْضِيلُ مَا ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الشَّرِيفَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاغْتِيَارَيْنِ أَحَدُهُمَا مَا قِيلَ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُذَقُّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ وَالثَّانِي تَنْزُلُ الْمَلَائِكَةُ وَالْبَرَكَاتُ عَلَيْهِ وَرَقَابَاتُ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ رَوَى أَبُو يَعْلَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يُقْبَضُ النَّبِيُّ إِلَّا فِي أَحَبِّ الْأَمَكَيْنَةِ إِلَيْهِ وَلَا

شَكَ أَنْ أَحَبَّهَا إِلَيْهِ أَحَبَّهَا إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى فَإِنْ حُبَّهُ تَابِعَ لِحُبِّ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا وَمَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ
اللَّهُ وَرَسُولِهِ فَكَيْفَ لَا يَكُونُ أَفْضَلَ وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ دَعَاكَ
لِمَكَّةَ وَأَنَا أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ إِبْرَاهِيمُ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ وَلَا رَيْبَ أَنَّ دُعَاءَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ لِأَنَّ فَضْلَ الدُّعَاءِ عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الدَّاعِي وَقَدْ
صَحَّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَفِي رِوَايَةٍ بَلَّ
أَشَدَّ وَقَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ يُحَرِّكُ ذَابْتَهُ إِذَا رَأَاهَا مِنْ حُبِّهَا.

وَرَوَى الْحَاكِمُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيَّ
فَأَسْكِنِّي فِي أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيْكَ، وَوَرَدَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ
الْمَخْزُومِيِّ أَنْتَ الْقَائِلُ لِمَكَّةَ خَيْرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هِيَ حَرَمُ اللَّهِ وَأَمْنُهُ وَفِيهَا بَيْتُهُ
فَقَالَ عُمَرُ لَا أَقُولُ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَبَيْتِهِ شَيْئًا ثُمَّ كَرَّرَ عُمَرُ قَوْلَهُ الْأَوَّلَ فَأَعَادَ عَبْدُ اللَّهِ جَوَابَهُ
فَأَعَادَ لَهُ عُمَرُ لَا أَقُولُ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَبَيْتِهِ شَيْئًا فَأَشِيرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَانصَرَفَ، وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ
حَدِيثَ الْمَدِينَةِ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ وَفِيهِ رَأَوْ لَيْسَ بِقَوِيٍّ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرْتُ بِقَرِيَّةٍ تَأْكُلُ الْفَرَى يَقُولُونَ يَثْرِبُ وَهِيَ
الْمَدِينَةُ تَنْفِي النَّاسَ أَيَّ الْخَيْثِ مِنْهُمْ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبْتَ الْحَدِيدِ.

قَالَ الْعَارِفُ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْمَزُورِيُّ فِي الْبُخَارِيِّ لَيْسَ
مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ظَاهِرُ هَذَا الْحَدِيثِ يُعْطِي التَّنْوِينَ بَيْنَهُمَا فِي
الْفَضْلِ قَالَ وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَتْ حُصِبَتِ الْمَدِينَةُ بِمَذْفُونِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِقَامَتِهِ بِهَا
وَمَسْجِدِهِ فَقَدْ حُصِبَتْ مَكَّةُ بِمَسْقِطِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا وَمَبْعَثِهِ مِنْهَا وَهِيَ قِبْلَتُهُ فَمَطْلَعُ
شَمْسِ ذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُبَارَكَةِ مَكَّةُ وَمَغْرِبُهَا الْمَدِينَةُ، وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيْبَهُ هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ
وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ
فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ لَا يَضْبِرُ عَلَى لَأَوَاءِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ
شَهِيدًا. وَاللَّأَوَاءُ الشَّدَّةُ وَالْجُوعُ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ
الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا أَيْ يَنْقَبِضُ وَيَنْضَمُّ وَيَلْتَجِئُ لِأَنَّهَا أَضَلُّ

فِي انْتِشَارِهِ فَكُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ سَائِقٌ إِلَيْهَا فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ لِحُبِّهِ فِي سَاكِنَتِهَا عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ
يَمُوتُ بِهَا. وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا
يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ وَلَا الطَّاغُوتُ. وَفِيهِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُغْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ
عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ.

قَالَ التَّوَوُّيُّ وَغَيْرُهُ إِنَّ الطَّاغُوتَ لَمْ يَدْخُلِ الْمَدِينَةَ أَصْلًا قَالَ بَعْضُهُمْ هَذَا مِنَ الْمُعْجَزَاتِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ لِأَنَّ الْأَطْبَاءَ مِنْ أَوْلِيهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ عَجَزُوا أَنْ يَدْفَعُوا الطَّاغُوتَ عَنْ بَلَدِ بَلٍّ عَنْ قَرْيَةٍ
وَقَدْ امْتَنَعَ الطَّاغُوتُ مِنَ الْمَدِينَةِ هَذِهِ الدُّهُورَ الطَّوِيلَةَ. وَمَنْ خَصَّائِصِ الْمَدِينَةِ أَنَّ غُبَارَهَا شِفَاءٌ
مِنَ الْجُدَامِ وَالْبَرَصِ بَلْ مِنْ كُلِّ دَاءٍ كَمَا رَوَاهُ رَزِينٌ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ. رَأَى فِي حَدِيثِ ابْنِ
عُمَرَ وَعَمَلُوتُهَا شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ. وَنَقَلَ الْبَغَوِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتُبْنَوُنَّهُمْ فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: ٤١] أَنَّهَا الْمَدِينَةُ. وَذَكَرَ ابْنُ النَّجَّارِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا
أَنَّهَا قَالَتْ كُلُّ الْبِلَادِ افْتَتِحَتْ بِالسَّيْفِ وَافْتَتِحَتِ الْمَدِينَةُ بِالْقُرْآنِ، وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةُ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ وَدَارُ الْإِيمَانِ وَأَرْضُ الْهَجْرَةِ وَمَتَوَى
الْحَلَائِكِ وَالْحَرَامِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَكُلُّ الْمَدِينَةِ تَرَابُهَا وَطُرُقُهَا وَفِجَاجُهَا وَدُورُهَا وَمَا حَوْلَهَا قَدْ شَمِلَتْهُ بَرَكَتُهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَلْفُهُمْ كَانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِدُخُولِهِ مَنَازِلَهُمْ وَيَدْعُوْنَهُ إِلَيْهَا وَإِلَى الصَّلَاةِ فِي
يُؤْتِيهِمْ وَلِذَلِكَ امْتَنَعَ مَا لِكَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ رُكُوبِ دَابَّةٍ فِي الْمَدِينَةِ وَقَالَ لَا أَطَأُ بِحَافِرٍ دَابَّةً فِي
عِرَاصٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي فِيهَا بِقَدَمَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَيَتَّبِعِي لِلزَّائِرِ أَنْ
يَأْتِيَ مَسْجِدَ قُبَاءَ لِلصَّلَاةِ فِيهِ وَالزِّيَارَةَ فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهُ رَاكِبًا وَمَاشِيًا رَوَاهُ
مُسْلِمٌ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ يَأْتِي بَدَلُ يَزُورُ فَيُصَلِّي فِيهِ رَكَعَتَيْنِ.

وَعِنْدَهُ أَيْضًا أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يَأْتِيهِ كُلُّ سَنَةٍ وَيَقُولُ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَأْتِيهِ كُلُّ سَنَةٍ. وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أُسَيْدِ بْنِ ظُهَيْرٍ الْأَنْصَارِيِّ وَهُوَ غَيْرُ ابْنِ حُضَيْنٍ قَالَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ كَعُمْرَةٍ. وَيَتَّبِعِي لَهُ بَعْدَ زِيَارَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ
يَقْصِدَ الْمَزَارَاتِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ وَالْأَنْثَارِ الْمُبَارَكَةِ وَالْمَسَاجِدِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا التِّمَاسَا

لِيَرْكَبَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَيَخْرُجَ إِلَى الْبَقِيعِ لِرِيَاةٍ مَنْ فِيهِ فَإِنْ أَكْثَرَ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ تُؤْتَى فِي الْمَدِينَةِ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ مَذْفُونٌ بِالْبَقِيعِ وَكَذَلِكَ سَادَاتُ أَهْلِ النَّبِيبِ وَالتَّابِعِينَ. وَرَوَى عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَشْرَةُ آلَافٍ وَكَذَلِكَ أُمَهَّاتُ الْمُؤْمِنِينَ سِوَى خَدِيجَةَ فَإِنَّهَا بِمَكَّةَ وَمَيْمُونَةُ فَإِنَّهَا بِسَرَفٍ. وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ آخِرَ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرَوَى ابْنُ التَّجَارِ مَرْفُوعًا مَقْبَرَتَانِ مُضَيَّعَتَانِ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضَيَّعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا بِبَقِيعِ الْعَرْفَدِ وَمَقْبَرَةُ عَسْقَلَانَ. وَعَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ قَالَ نَجِدُهَا فِي التَّوْرَةِ يَغْنِي مَقْبَرَةَ الْمَدِينَةِ كَقَبَّةِ مَحْفُوفَةٍ بِالنَّخِيلِ مُوَكَّلٌ بِهَا مَلَائِكَةٌ كُلَّمَا امْتَلَأَتْ أَخَذُوهَا فَكَمَوْهَا فِي الْحِجَّةِ. وَأَخْرَجَ أَبُو حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ آتَى الْبَقِيعَ فَيُخَشِرُونَ مَعِيَ ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى تُخَشَرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ. قَالَ الطَّبِيُّيُّ الْحَشْرُ هُنَا الْجَمْعُ.

الفصل الثالث

فِي تَفْصِيلِهِ فِي الْآخِرَةِ بِفَضَائِلِ الْأَوَّلِيَّاتِ وَانْفِرَادِهِ بِالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ

بَيْنَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَتَرْقِيهِ فِي الْجَنَّاتِ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

مِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنَالِكَ بِشَرَائِفِ الْكَرَامَاتِ

اعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا فَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَدْءِ بِأَنْ جَعَلَهُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ وَأَوَّلَهُمْ فِي الْإِجَابَةِ فِي عَالَمِ الدَّرْ يَوْمَ «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» [الأعراف: ١٧٢] جَعَلَهُ فِي الْعَوْدِ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلَ شَافِعٍ وَأَوَّلَ مُشْفَعٍ وَأَوَّلَ مَنْ يُؤَدُّ لَهُ بِالسُّجُودِ وَأَوَّلَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْخَلْقِ مَخْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَيْهِ إِذْ ذَاكَ وَأَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ يُقْضَى بَيْنَ أُمَّتِهِ وَأَوَّلَهُمْ إِجَارَةٌ عَلَى الصَّرَاطِ بِأُمَّتِهِ وَأَوَّلَ دَاخِلٍ إِلَى الْجَنَّةِ وَأُمَّتُهُ أَوَّلُ الْأُمَمِ دُخُولًا إِلَيْهَا وَزَادَهُ مِنْ لَطَائِفِ التَّحْفِ وَنَفَائِسِ الطَّرَفِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يَعُدُّ.

فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يُنْعَثُ رَاكِبًا وَتُخَصِّصُ لَهُ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَلِوَاءِ الْحَمْدِ تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَاخْتِصَاصُهُ أَيْضًا بِالسُّجُودِ لِلَّهِ تَعَالَى أَمَامَ الْعَرْشِ وَمَا يَفْتَحُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي سُجُودِهِ مِنَ التَّحْمِيدِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ زِيَادَةً فِي

كَرَامَتِهِ وَقُرْبِهِ وَكَلَامَ اللَّهِ لَهُ يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشْفَعْ وَلَا
كَرَامَةً فَوْقَ هَذَا إِلَّا النَّظَرُ إِلَيْهِ تَعَالَى. وَمِنْ ذَلِكَ تَكَرُّرُهُ الشَّفَاعَةَ وَسُجُودُهُ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً وَتَجْدِيدُ
الثَّنَاءِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِمَا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَكَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ فِي كُلِّ سَجْدَةٍ يَا مُحَمَّدُ
ارْزُقْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشْفَعْ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيَامُهُ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ
أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرُهُ يَغْبِطُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ وَشَهَادَتُهُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ
وَأَمَمِهِمْ بِأَتَمِّهِمْ بَلَّغُوهُمْ وَسْأَلُهُمْ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ لِيُرِيَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ وَعَزَائِهِمْ وَطَوْلِهِمْ وَقُوفِهِمْ
وَشَفَاعَتُهُ فِي أَقْوَامٍ قَدْ أَمَرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ.

وَمِنْهَا: الْحَوْضُ الَّذِي لَيْسَ فِي الْمَوْقِفِ أَكْثَرُ أَوَانِي مِنْهُ وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ إِلَّا بِشَفَاعَتِهِ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَشْفَعُ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ أَقْوَامٍ لَا تَبْلُغُهَا أَعْمَالُهُمْ وَهُوَ صَاحِبُ
الْوَسِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ جَلَالَهُ وَتَعْظِيمًا
وَتَبَجِيلًا وَتَكْرِيمًا عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَالْمَلَائِكَةِ أَجْمَعِينَ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١] فَأَمَّا تَفْضِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِأُولِيَّةِ انْشِقَاقِ الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ عَنْهُ فَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ
شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشْفَعٍ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَبَيْدِي لِرِوَاءِ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمِيذِ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ
لِوَائِي وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ
عُمَرُ ثُمَّ آتِي أَهْلُ الْبَقِيعِ فَيُخْشَرُونَ مَعِيَ ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى نُخْشَرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ رَوَاهُ أَبُو
حَاتِمٍ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَمَعْنَى نُخْشَرَ نَجْتَمِعُ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ النَّاسُ حِينَ يَضَعُونَ فَأَكُونُ أَوَّلُ مَنْ قَامَ فَلِذَا
مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ فَلَا أَذْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَبَقَ فَأَقَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ يَمُنَّ اسْتَشْنَى اللَّهُ رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ. وَالْمُرَادُ بِالصَّبْقِ غَشْيَ يَلْحَقُ مَنْ سَمِعَ صَوْتًا أَوْ رَأَى شَيْئًا فَرَعَ مِنْهُ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا
وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَقِدُوا وَأَنَا خَطِيئُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا وَأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حُسِبُوا وَأَنَا مُبَسِّرُهُمْ إِذَا أَيْسُوا

الْكِرَامَةُ وَالْمَقَاتِيخُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَلِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ بَيِّضٌ مَكْنُونٌ أَوْ لَوْلُوْهُ مَثُورٌ رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ . وَفِي حَدِيثٍ رَوَاهُ صَاحِبُ كِتَابِ حَادِي الْأَرْوَاحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبِلَالٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يُنَادِي بِالْأَذَانِ .

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تُبْعَثُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى الدَّوَابِّ وَأُبْعَثُ عَلَى الْبُرَاقِ وَيُبْعَثُ بِلَالٌ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ يُنَادِي بِالْأَذَانِ مَحْضًا وَبِالشَّهَادَةِ حَقًّا حَتَّى إِذَا قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ شَهِدَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَفِي رِوَايَةٍ فَإِذَا سَمِعَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَأَمَمَهَا أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالُوا وَنَحْنُ نَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةٌ وَيُخْشَرُ صَالِحٌ عَلَى نَاقَتِهِ وَيُخْشَرُ ابْنَا فَاطِمَةَ عَلَى نَاقَتِي الْعَضْبَاءِ وَالْقَضَوَاءِ ، وَعَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كَعْبٌ مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إِلَّا نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى يَحْفُقُونَ بِالْقَبْرِ يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا عَرَجُوا وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَحْفُقُونَ بِالْقَبْرِ وَيَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِاللَّيْلِ وَسَبْعُونَ أَلْفًا بِالنَّهَارِ حَتَّى إِذَا انْتَشَقَّتْ عَنْهُ الْأَرْضُ خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُوقِرونها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي نَوَادِرِ الْأُصُولِ لِلْحَكِيمِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمرَ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِمِثْنُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَشِمَالُهُ عَلَى عُمرَ فَقَالَ هَكَذَا تُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ فَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ كَعْبٌ حُلَّةٌ خَضِرَاءُ . وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى مِنَ الْجَنَّةِ إِبْرَاهِيمُ يُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ وَيُؤْتَى بِكُرْسِيِّ قِبْطَرُخَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ ثُمَّ يُؤْتَى بِي فَأُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ لَا يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ وَفِيهِ أَنَّهُ يَجْلِسُ عَلَى الْكُرْسِيِّ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ .

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ حَوْضِي مَسِيرَةِ شَهْرِ مَاوُهُ أَبْيَضٌ مِنَ اللَّبَنِ وَزَائِحَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِبْرَانُهُ كَثُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَا يَظْلَمُ أَبَدًا وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ طَوْلُهُ كَعَرْضِهِ وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ وَلَمْ يَسْوَدْ وَجْهَهُ أَبَدًا وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ لَمْ يَزَوْ أَبَدًا . وَفِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ عِنْدَ

التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ أَكْثَرُ النَّاسِ عَلَيْهِ رُؤُودًا فَقَرَأَ الْمُهَاجِرِينَ . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي التَّذَكُّرَةِ
ذَهَبَ صَاحِبُ الثُّقُوتِ وَغَيْرُهُ إِلَى أَنَّ الْحَوْضَ يَكُونُ بَعْدَ الصُّرَاطِ وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى الْعَكْسِ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ مِمَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَنَّ الْحَوْضَ يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَانَانِ مِنَ الْجَنَّةِ . وَعَنْ
أَنَسٍ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ أَنَا قَاعِلٌ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ قُلْتُ فَأَيُّنِ أَطْلُبُكَ قَالَ أَوَّلُ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصُّرَاطِ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصُّرَاطِ
قَالَ فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ قَالَ فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَلِإِنِّي لَا
أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ مَوَاطِنَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ مِمَّا يَجِبُ عَلَى
كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَهُ وَيُصَدِّقَ بِهِ أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ خَصَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالْحَوْضِ الْمُصَرِّحِ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ وَشَرَايِهِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي يَخْضُلُ
بِمَجْمُوعِهَا الْعِلْمُ الْقَطْعِيُّ إِذْ رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّحَابَةِ ثِنْتٌ عَلَى
الثَّلَاثِينَ مِنْهُمْ فِي الصَّحِيحَيْنِ مَا يَزِيدُ عَلَى الْعِشْرِينَ وَفِي غَيْرِهِمَا بَقِيَّةُ ذَلِكَ كَمَا صَحَّ تَقْلُدهُ
وَاشْتَهَرَتْ رَوَاتُهُ ثُمَّ رَوَاهُ عَنِ الصَّحَابَةِ الْمَذْكُورِينَ مِنَ التَّابِعِينَ أَمْثَالُهُمْ وَمِنْ بَعْدِهِمْ أَضْعَافُ
أَضْعَافِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا وَاجْتَمَعَ عَلَى إِثْبَاتِهِ السَّلَفُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْخَلَفِ .

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَرِدُ عَلَيَّ
أُمَّتِي الْحَوْضَ وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ عَنْ إِبِلِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تَعْرِفُنَا قَالَ
نَعَمْ لَكُمْ سِيْمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ . وَفِي حَدِيثِ
أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِحَوْضِي أَرْبَعَةُ أَزْكَانٍ الْأَوَّلُ بَيْدُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَالثَّانِي
بَيْدُ عُمَرَ الْفَارُوقِ وَالثَّلَاثُ بَيْدُ عُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ وَالرَّابِعُ بَيْدُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَمَنْ كَانَ
مُحِبًّا لِأَبِي بَكْرٍ مُبْغِضًا لِعُمَرَ لَا يَسْقِيهِ أَبُو بَكْرٍ وَمَنْ كَانَ مُحِبًّا لِعَلِيٍّ مُبْغِضًا لِعُثْمَانَ لَا يَسْقِيهِ
عَلِيٌّ رَوَاهُ أَبُو سَعْدٍ .

(وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ) فَقَدْ قَالَ تَعَالَى :
﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإِسْرَاءُ : ٧٩] وَاتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ كَلِمَةَ عَسَى
مِنْ اللَّهِ وَاجِبٌ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي تَفْسِيرِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ عَلَى أَقْوَالٍ أَوَّلُهَا وَرَجَحَهُ الْفَخْرُ
الرَّازِيُّ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُفَسِّرُونَ كَمَا قَالَه الْوَاجِدِيُّ أَنَّهُ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ وَوَرَدَتْ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ
فِي تَفْهِيمِ هَذَا الْمَعْنَى كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ فَقَالَ هُوَ الشَّفَاعَةُ وَفِيهِ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُنَى أَى جَمَاعَاتٍ كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يَا فُلَانُ اشْفَعْ لَنَا حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَيَّ فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هَذَا الدُّعَاءُ الْمَشْهُورُ وَابْتَعَثَ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغِطُّهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ.

الْقَوْلُ الثَّانِي قَالَ حُذَيْفَةُ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَلَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ قَاوُلَ مَدْعُو مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ وَالْمُهْتَدِي مَنْ هَدَيْتَ وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ وَلَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَمَلَّيْتَ سُبْحَانَكَ رَبِّ النَّبِيِّ قَالَ فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ قَالَ ابْنُ مَنَظَّهٍ حَدِيثٌ مُجْمَعٌ عَلَى صِحَّةِ إِسْنَادِهِ وَثِقَةٍ رَجَالِهِ، الْقَوْلُ الثَّالِثُ مَقَامٌ تُحَمَّدَ عَاقِبَتُهُ. الْقَوْلُ الرَّابِعُ هُوَ إِجْلَاسُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْعَرْشِ وَقِيلَ عَلَى الْكُرْسِيِّ رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ يُفْعِدُ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْكُرْسِيِّ.

وَاخْتُلِفَ فِي فَاعِلِ الْحَمْدِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] قَالَ أَكْثَرُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَهْلُ الْمَوْقِفِ لِمَا ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ بِلَفْظٍ مَقَامًا مَحْمُودًا يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ. فَإِنْ قُلْتَ إِذَا قُلْنَا بِالْمَشْهُورِ إِنَّ الْمُرَادَ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الشَّفَاعَةُ فَأَيُّ شَفَاعَةٍ هِيَ قَالَ جَوَابُ إِنَّ الشَّفَاعَةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْأَحَادِيثِ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ نَوْعَانِ: النُّوعُ الْأَوَّلُ: الْعَامَّةُ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ وَالثَّانِي: فِي الشَّفَاعَةِ فِي إِخْرَاجِ الْمُذْنِبِينَ مِنَ النَّارِ لَكِنِ الَّذِي يَتَّجِعُ رَدُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ كُلِّهَا إِلَى الشَّفَاعَةِ الْعَامَّةِ فَإِنَّ إِعْطَاءَهُ لَوَاءَ الْحَمْدِ وَثَنَاءَهُ عَلَى رَبِّهِ وَكَلَامَتَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجُلُوسَهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ هِيَ صِفَاتٌ لِلْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الَّذِي يَشْفَعُ فِيهِ لِيُفْضَى بَيْنَ الْخَلْقِ وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ فِي إِخْرَاجِ الْمُذْنِبِينَ مِنَ النَّارِ فَمِنْ تَوَابِعِ ذَلِكَ.

وَقَدْ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ الَّتِي بَلَغَ مَجْمُوعُهَا الثَّوَاتِرُ بِصِحَّةِ الشَّفَاعَةِ فِي الْآخِرَةِ لِمُذْنِبِي الْمُؤْمِنِينَ فَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ فَأُخْزِنِي وَسَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا سَبَقَ لِلْأُمَّمِ قَبْلَهُمْ فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي فِيهِمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَفَعَلَ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا وَأَرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ.

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي وَهَذَا مِنْ مَزِيدِ شَفَقَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَحَسَنِ تَصَرُّفِهِ حَيْثُ جَعَلَ دَعْوَتَهُ الْمُجَابَةِ فِي أَهَمِّ أَوْقَاتِ حَاجَاتِنَا جَزَاءَهُ اللَّهُ عَنَّا

أَحْسَنَ الْجَزَاءِ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا وَرَدَ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ فِي الشَّفَاعَةِ فَقَالَ شَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانَهُ قَلْبُهُ . وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَلْ تَذَرُونَ مِنْ ذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُنْبِصِرُهُمُ النَّاطِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَتَذْهُو السُّمُسُ مِنْ جَمَاجِمِ النَّاسِ فَيَنْبُلُغُ النَّاسُ مِنَ الْعَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ أَبُوكُمْ يَا آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَتَفَخَّ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ وَأَسْكَنْكَ الْجَنَّةَ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغْنَا .

فَقَالَ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَغْنَا أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَقُولُونَ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ .

فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ فَذَكَرَهَا نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى فَيَأْتُونَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ .

فَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ

وَلَمَّا يَغْضَبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَأَنْطَلِقُ فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِيدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي ثُمَّ يَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُغْطَهُ اشْفَعْ تُشْفَعُ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمِّتِي يَا رَبِّ أُمِّتِي يَا رَبِّ فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَذْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَهَلْ بِهِ الشُّفَاعَةُ بَعْدَ الْعَامَّةِ لِجَمِيعِ الْأُمَّمِ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ فِيهِ السِّيَاقُ حَذَفَ وَفِي مُسْنَدِ الْبِزَّارِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ عَجِّلْ عَلَيَّ الْخَلْقَ الْحِسَابَ. وَوَقَعَ فِي رِوَايَةٍ حَذِيفَةُ أَنَّ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ وَمَعْنَاهُ لَمْ أَكُنْ فِي التَّقْرِيبِ وَالْإِذْلَالِ بِمَنْزِلَةِ الْحَبِيبِ وَقَوْلُهُ مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ إِشَارَةٌ إِلَى نَبِيَّتِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ حَصَلَتْ لَهُ الرُّوْيَةُ وَالسَّمَاعُ بِلاَ وَاسِطَةٍ وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْكَذَبَاتِ الثَّلَاثِ فَقَالَ الْبَيْضاوِيُّ الْحَقُّ أَنَّهَا إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ مَعَارِضِ الْكَلَامِ لَكِنْ لَمَّا كَانَتْ صُورَتُهَا صُورَةُ الْكَذِبِ أَشْفَقَ مِنْهَا اسْتَفْصَارًا لِنَفْسِهِ عَنِ الشُّفَاعَةِ لِأَنَّ مَنْ كَانَ أَغْرَفَ بِاللَّهِ وَأَقْرَبَ إِلَيْهِ مَنْزِلَةً كَانَ أَعْظَمَ خَوْفًا. وَأَمَّا قَوْلُهُ عَنْ عِيْسَى إِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا فَوَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيِّ إِنِّي أَخَذْتُ إِلَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَفِي حَدِيثِ الثُّضَرِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ حَدَّثَنِي نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي لِقَائِكُمْ أَنْتَظِرُ أُمِّتِي عِنْدَ الصَّرَاطِ إِذْ جَاءَ عِيْسَى فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَسْأَلُونَكَ لَتَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُفَرِّقَ جَمْعَ الْأُمَّمِ إِلَى حَيْثُ شَاءَ لِعَظَمِ مَا هُمْ فِيهِ فَأَقَادَتْ هَذِهِ الرُّوْيَةُ تَعْيِينَ مَوْقِفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَئِذٍ وَأَنَّ هَذَا الَّذِي وَصِفَ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ كُلُّهُ يَفْعُ عِنْدَ نَصْبِ الصَّرَاطِ بَعْدَ تَسَاقُطِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ وَأَنَّ عِيْسَى هُوَ الَّذِي يُخَاطَبُ نَبِيَّتَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ يَسْأَلُونَهُ فِي ذَلِكَ.

وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ يَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنْتَ فَتَحَ اللَّهُ بِكَ وَخَتَمَ بِكَ وَعَقَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَجِثَتْ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَتَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَهَمُّ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ أَنَا صَاحِبُكُمْ فَيَجُوسُ النَّاسُ أَيْ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى بَابِ

الْجَنَّةِ، وَفِي حَدِيثٍ كَغِبٍ عِنْدَ أَبِي يَغْلَى رَفَعَهُ فَأَسْجُدَ لَهُ سَجْدَةً يَرْضَى بِهَا عَنِّي ثُمَّ أَمْتَدَحُهُ بِمِدْحَةٍ يَرْضَى بِهَا عَنِّي وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثٍ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا ثُمَّ أَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ وَفِي رِوَايَةٍ ثَابِتٍ عِنْدَ أَحْمَدَ فَأَقُولُ أَنِّي رَبُّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ أَخْرَجَ مِنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ ثُمَّ حَبَّةُ خَزْدَلٍ أَنِّي مِنْ إِيْمَانٍ. قَالَ التَّوْرِيُّ الشُّفَاعَاتِ خَمْسٌ: الْأُولَى: فِي الْإِرَاحَةِ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ. الثَّانِيَّةُ: فِي إِدْخَالِ قَوْمِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ. الثَّالِثَةُ: فِي إِدْخَالِ قَوْمِ حُوسِبُوا فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ أَنْ لَا يُعَذَّبُوا. الرَّابِعَةُ: فِي إِخْرَاجِ مَنْ أَدْخَلَ النَّارَ مِنَ الْعَصَاةِ. الْخَامِسَةُ: فِي رَفْعِ الدَّرَجَاتِ اهـ.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَشْفَعَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدَدَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ وَمَدْرَةٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ يُقَالُ أَتَيْنَ الْأُمَّةَ الْأُمِّيَّةَ وَنَبِيِّهَا فَتَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ خَلْقِهِ نَادَى مُنَادٍ أَتَيْنَ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَأَقُومُ وَتَتَّبِعُنِي أُمَّتِي غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الطُّهُورِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ فَتُفْرَجُ لَنَا الْأُمَمُ عَنْ طَرِيقَتَا وَتَقُولُ الْأُمَمُ كَادَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلِّهَا.

وَذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ فَإِنْ رَجَحَ وَإِلَّا شَفَعْتُ لَهُ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُضْرَبُ الصُّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَبِّقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدَلُ ثُمَّ يَنْجُو رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَالسَّعْدَانُ نَبَاتٌ دُو شَوْكِ وَيُؤَبِّقُ يَهْلِكُ وَيُخْرَدَلُ يُضْرَعُ، وَفِي حَدِيثٍ حَذِيفَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَنَبِيَّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصُّرَاطِ يَقُولُ يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

وَفِي حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فَإِذَا عَصَفَ الصُّرَاطُ بِأَمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَادَوْا وَأَمَحَمَدَاهُ وَأَمَحَمَدَاهُ فَيُبَادِرُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ شِدَّةِ إِشْفَاقِهِ عَلَيْهِمْ وَجِبْرِيلُ آخِذٌ بِحُجْرَتِهِ وَالْحُجْرَةُ مَعْقَدُ الْإِزَارِ فَيُنَادِي رَافِعًا صَوْتَهُ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ نَفْسِي وَلَا فَاطِمَةَ ابْنَتِي وَالْمَلَائِكَةُ قِيَامٌ عَنْ يَمِينِ الصُّرَاطِ وَيَسَارِهِ يُنَادُونَ رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَقَدْ عَظُمَتِ

الْأَهْوَالِ وَاشْتَدَّتْ الْأَوْجَالُ وَالْعُصَاةُ يَتَسَاقُطُونَ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ وَالزَّبَانِيَةُ يَتَلَقَّوْنَهُمْ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَيُنَادُونَهُمْ أَمَا نُهَيْتُمْ عَنْ كَسْبِ الْأَوْزَارِ أَمَا أَنْذَرْتُمْ كُلَّ الْإِنْدَارِ أَمَا جَاءَكُمْ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ.

وَرَوَى الْقُرْطُبِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ نَبِيًّا نَبِيًّا وَأُمَّةً أُمَّةً وَيُضْرَبُ الْجَسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَيُنَادَى أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ فَيَقُومُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَتَّبَعُهُ أُمَّتُهُ بَرُّهَا وَقَاجِرُهَا حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى الصُّرَاطِ طَمَسَ اللَّهُ أَبْصَارَ أَغْدَائِهِ فَيَتَهَفَّتُونَ فِي النَّارِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَيَمْضِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّالِحُونَ مَعَهُ فَيَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ عَلَى يَمِينِكَ عَلَى شِمَالِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَبِّهِ فَيُوضَعُ لَهُ كُرْسِيُّ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ ثُمَّ يَتَّبَعُهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مِثْلِ سَبِيلِهِ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(وَأَمَّا تَفْصِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَفْرُغُ بَابَ الْجَنَّةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهَا) فِيهِ صَحِيحٌ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرُغُ بَابَ الْجَنَّةِ وَفِيهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِيحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ وَزَادَ الطَّبْرَانِيُّ فَيَقُومُ الْخَازِنُ وَيَقُولُ لَا أَقُومُ لِأَحَدٍ بَعْدَكَ. وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ وَلَا فُخْرَ. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فُخْرَ وَيَبِيدِي لَوَاءَ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فُخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ آدَمَ فَمَنْ دُونُهُ إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَشْتَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فُخْرَ قَالَ فَيَفْرَغُ النَّاسُ ثَلَاثَ فَرَغَاتٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ قَالَ أَنَسٌ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأَقْعِقُهَا فَيَقَالُ مَنْ هَذَا فَيَقَالُ مُحَمَّدٌ فَيَفْتَحُونَ لِي وَيُرْحَبُونَ بِي فَيَقُولُونَ مَرْحَبًا فَأَخْرُ سَاجِدًا فَيُلْهِمُنِي اللَّهُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ فَيَقَالُ ارْزُقْ رَأْسَكَ الْحَدِيثَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ.

وَفِي حَدِيثِ الصُّورِ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا انْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ تَشَاوَرُوا فِيمَنْ يَسْتَأْذِنُ لَهُمْ فِي الدُّخُولِ فَيَقْصِدُونَ آدَمَ ثُمَّ نُوحًا ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ مُوسَى ثُمَّ عِيسَى ثُمَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فَعَلُوا عِنْدَ الْعَرَصَاتِ عِنْدَ اسْتِشْفَاعِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ لِيُظْهَرَ

شَرَفُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْبَشَرِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَظِرُونَهُ فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قَالَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ عَجَبًا أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَقَالَ آخَرُ مَاذَا بِأَعَجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا وَقَالَ آخَرُ فَعِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَقَالَ آخَرُ فَأَدَمُ اضْطَفَّاهُ اللَّهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ قَسَلَمٌ وَقَالَ قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبْتُكُمْ أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَهُوَ كَذَلِكَ وَمُوسَى كَلِيمًا وَهُوَ كَذَلِكَ وَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَأَدَمُ اضْطَفَّاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا حَامِلُ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَائِعٍ وَأَوَّلُ مُشْفَعٍ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحْرَكُ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِيَ فَقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أُلْصَقُوا وَقَائِدُهُمْ إِذَا وَقَدُوا وَشَافِعُهُمْ إِذَا حُيِسُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا يُبْسَو لَوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي وَمَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ وَيَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ مَعِينٍ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ وَابْنُ أَبِي عَرِينَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ الْأَخِيرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَعَنْهُ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَحْنُ الْأَخِيرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَحْنُ أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولَ الْجَنَّةِ .

فَهَلِهِ الْأُمَّةُ أَسْبَقُ الْأُمَمِ خُرُوجًا مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي الْمَوْقِفِ وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى ظِلِّ الْعَرْشِ وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى فَضْلِ الْقَضَاءِ وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى الْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى دُخُولِ الْجَنَّةِ وَهِيَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ . رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة : ٣٩ - ٤٠] قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتُمْ ثَلَاثُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْتُمْ ثَلَاثُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَفِي حَدِيثِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةً صَفٌّ أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ . وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْجَنَّةَ حُرِّمَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ حَتَّى أَدْخُلَهَا وَحُرِّمَتْ عَلَى الْأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي .

وَرَوَى ابْنُ شَيْبَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا بِي

جَبْرِيلُ فَأَخَذَ يَدَيَّ وَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي. وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَ بَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ بَابُ الرَّحْمَةِ وَهُوَ بَابُ التَّوْبَةِ. وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نِعَمَ الرَّجُلُ أَنَا لِشِرَارِ أُمَّتِي فَقَالُوا فَكَيْفَ أَنْتَ لِخِيَارِهَا فَقَالَ أَمَا خِيَارُهَا فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَمَا شِرَارُ أُمَّتِي فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَشْفَقُهُ عَلَى أُمَّتِهِ.

(وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ بِالْكَوْثَرِ) فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا قُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْزِلْتَ عَلَيَّ آيَةً سُورَةَ فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣] ثُمَّ قَالَ أَتَذَرُونَ مَا هُوَ الْكَوْثَرُ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: إِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ الْحَدِيثُ، وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قَبَابُ اللَّوْلُؤِ الْمُجَوَّفُ فَقُلْتُ مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ، وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَضَى بِهِ جَبْرِيلُ فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ فَذَهَبَ يَشْمُ ثَرَابَهُ فَإِذَا هُوَ بِمِسْكٍ قَالَ يَا جَبْرِيلُ مَا هَذَا النَّهْرُ قَالَ الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ.

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكَوْثَرُ قَالَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أَعْطَانِيهِ رَبِّي لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] قَالَتْ نَهْرٌ أَعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ فِي الْجَنَّةِ شَاطِئَاهُ دُرٌّ مُجَوَّفٌ آيَتُهُ كَعَدَدِ الثُّجُومِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَقَوْلُهُ شَاطِئَاهُ أَيُّ حَافَتَاهُ وَقَوْلُهُ دُرٌّ مُجَوَّفٌ أَيُّ الْقَبَابِ الَّتِي عَلَى جَوَانِبِهِ وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ يَلْفِظُ قَالَتْ نَهْرٌ فِي بُطْنَانِ الْجَنَّةِ قُلْتُ وَمَا بُطْنَانُ الْجَنَّةِ قَالَتْ وَسَطُهَا حَافَتَاهُ قُصُورُ اللَّوْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ ثَرَابُهُ الْمِسْكُ وَخَضْبَاؤُهُ اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ. وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْمَاءِ يَجْرِي عَلَى اللَّوْلُؤِ وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهٍ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الخاتمة

قَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ مَا أَعَدُّتُ لَهَا قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبِّتَ قَالَ أَنَسُ فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبِّتَ قَالَ أَنَسُ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، رُئِيتُ امْرَأَةً مُسْرِفَةً عَلَى نَفْسِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا فَقِيلَ لَهَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ قَالَتْ عَفَرَ لِي قِيلَ لَهَا بِمَاذَا قَالَتْ بِمَحَبَّتِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَانْظُرْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٩] وَطُوبَى اسْمُ شَجَرَةٍ عَرَسَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ أَنَّى قُدِّرَتْهُ تُنْبِثُ النُّحْلِيَّ وَالْحُلَّالَ وَإِنَّ أَغْصَانَهَا لَتُفَرِّقُ مِنْ وَرَاءِ سُورِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ أَصْلَهَا فِي دَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي دَارِ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْهَا غَضَنٌ فَمَا مِنْ جَنَّةٍ مِنَ الْجَنَّاتِ إِلَّا وَفِيهَا مِنْ شَجَرَةٍ طُوبَى لِمَنْ لِيَكُونَ سِرُّ كُلِّ نَعِيمٍ وَنَصِيبُ كُلِّ وَلِيٍّ مِنْ سِرِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَأَ الْجَنَّةَ فَلَا وَلِيٍّ يَتَنَعَّمُ فِي جَنَّتِهِ إِلَّا وَالرَّسُولُ مُتَنَعِّمٌ بِنِعْمَتِهِ لِأَنَّ الْوَلِيَّ مَا وَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلِهَذَا كَانَ سِرُّ النُّبُوَّةِ قَائِمًا بِهِ فِي تَنَعُّمِهِ وَكَذَلِكَ إِبْلِيسُ مَلَأَ النَّارَ فَلَا عَذَابَ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا وَإِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ سِرُّ تَغْذِيهِهِ وَمُشَارِكُ لَهُ فِيهِ.

وَفِي الْبَحْرِ لِأَبِي حَيَّانَ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] قِيلَ هِيَ عَيْنٌ فِي دَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُفَجِّرُ إِلَى دُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ. وَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَأَكْمَلَهُ التَّمَتُّعُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَّةِ الْعَيْنِ بِالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَعَ الْقَوْرِ بِكَرَامَةِ الرُّضْوَانِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْجَنَّاتِ وَمَا فِيهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْأَمْرَ أَجَلٌ مِمَّا يَخْطُرُ بِبَالٍ أَوْ يَدُورُ فِي خَيَالٍ وَلَا سِيَّمًا عِنْدَ قَوْرِ الْمُحِبِّينَ فِي رَوْضَةِ الْأَنْسِ وَحَظِيرَةِ الْقُدُسِ بِمَعِيَةِ مَحْبُوبِهِمُ الَّذِي هُوَ غَايَةُ

مَطْلُوبِهِمْ فَأَيُّ نَعِيمٍ وَأَيُّ لَذَّةٍ وَأَيُّ قُرَّةِ عَيْنٍ وَأَيُّ فَوْزٍ يُدَانِي تِلْكَ الْمَعِيَّةَ وَلَذَّتْهَا وَقُرَّةِ الْعَيْنِ بِهَا وَهَلْ فَوْقَ نَعِيمٍ قُرَّةِ الْعَيْنِ بِمَعِيَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ نَعِيمٌ.

فَلَا شَيْءَ وَاللَّهِ أَجَلٌ وَلَا أَكْمَلُ وَلَا أَجْمَلُ وَلَا أَجْلَى وَلَا أَخْلَى وَلَا أَغْلَى وَلَا أَغْلَى مِنْ حَضْرَةِ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمُحِبُّ بِأَخْبَابِهِ فِي مَشْهَدٍ مَشَاهِدِ الْإِكْرَامِ حَيْثُ يَتَجَلَّى لَهُمْ حَبِيبُهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ الْإِلَهُ الْحَقُّ جَلُّ جَلَالُهُ خَلْفَ حِجَابٍ وَاحِدٍ بِاسْمِهِ الْجَمِيلِ اللَّطِيفِ فَيَنْفَعُهُمْ عَلَيْهِمْ نُورٌ يَسْرِي فِي دَوَاتِهِمْ فَيُبَيِّهُتُونِ مِنَ جَمَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَتُشْرِقُ دَوَاتُهُمْ بِنُورِ ذَلِكَ الْجَمَالِ الْأَقْدَسِ بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَرْفَعُ الْحِجَابَ وَيَتَجَلَّى لَهُمْ فَيُخْرَوْنَ سُجَّدًا فَيَقُولُ لَهُمْ ازْقِعُوا رُؤُوسَكُمْ فَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ سُجُودٍ يَا عِبَادِي مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَّا لِتَتَمَتَّعُوا بِمُشَاهَدَتِي يَا عِبَادِي قَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا فَمَا أَخْلَاهَا مِنْ كَلِمَةٍ وَمَا أَلَدَّهَا مِنْ بُشْرَى فَعِنْدَهَا يَقُولُونَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ وَأَخْلَلْنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٥] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] ﴿دَعُواهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم	٣	أمر الحديبية	٦٠
المقصد الأول	٨	غزوة خيبر	٦٣
غزوة ودَّانَ	٤١	غزوة وادي القرى	٦٤
غزوة بواط	٤١	عمرة القضاء	٦٥
غزوة العشيرة	٤٢	فتح مكة المُشرَّفة	٦٩
غزوة بدر الأولى	٤٢	غزوة حُنين	٧٥
سرية أمير المؤمنين عبدالله بن جحش	٤٢	غزوة الطائف	٧٨
غزوة بدر الكبرى	٤٢	قصة كعب بن زهير مع النبي ﷺ ...	٨١
غزوة قرقرة الكُذِر	٤٥	غزوة تبوك	٨٢
غزوة بني قينقاع	٤٥	المقصد الثاني	٨٨
غزوة السَّوِيق	٤٦	الفصل الأول: في ذكر أسمائه	
غزوة غطفان	٤٧	الشريفة ﷺ	٨٨
غزوة بُحْرانَ	٤٧	الفصل الثاني: في ذكر أولاده الكرام	
غزوة أُحد	٤٨	عليه وعليهم الصلاة والسلام	٩٤
غزوة حمراء الأسد	٥١	الفصل الثالث: في ذكر أزواجه	
غزوة بني النضير	٥٢	الطاهرات وسراريه المطهرات ﷺ	٩٦
غزوة ذات الرِّقاع	٥٣	الفصل الرابع: في أعمامه وعماته	
غزوة بدر الأخيرة	٥٣	وإخوته من الرضاعة وجداته ﷺ	١٠٣
غزوة دُومَة الجَنْدَل	٥٣	الفصل الخامس: في خدمه وحرسه	
غزوة المُرَيْسِيع	٥٤	ومواليه ومن كان على نفقاته	
غزوة الخَنْدَق	٥٤	وخاتمه ونعله وسواكه ومن يأذن	
غزوة بني قُرَيْظَة	٥٦	عليه ومن كان يضرب الأعناق بين	
غزوة بني لُخَيان	٥٧	يديهِ ﷺ	١٠٦
غزوة الغابة	٥٨	الفصل السادس: في أمرائه ورسله	

وكتابه وكتبه ﷺ إلى الملوك	وغيرهم ١٠٧
الفصل السابع: في مؤذنيه وحداته	وشعرائه وخطيبه ﷺ ١١٣
الفصل الثامن: في آلات حروبه ﷺ	كدروعه وأقواسه ومنطقته وأتراسه ١١٣
الفصل التاسع: في ذكر خيله ولقاحه	ودوابه ﷺ ١١٤
الفصل العاشر: في ذكر من وفد	عليه ﷺ ١١٥
المقصد الثالث: فيما فضله الله تعالى	به من كمال خلقته وجمال صورته
وأخلاقه الزكية وأوصافه	المرضية وما تدعو ضرورة حياته
إليه وهو يشتمل على شمائله	الشريفة ﷺ ١٢٦
الفصل الأول: في كمال خلقته	وجمال صورته ﷺ ١٢٦
الفصل الثاني: فيما أكرمه الله تعالى	به من الأخلاق الزكية ﷺ ١٤٢
الفصل الثالث: فيما تدعو ضرورته	إليه ﷺ من غذائه وملبسه ومنكحه
وما يلحق بذلك وفيه أربعة أنواع .	١٥٤ . النوع الأول: في عيشه ﷺ في
المأكل والمشرب ١٥٤
النوع الثاني: في لباسه وفراشه ﷺ ..	١٦٢
النوع الثالث: في سيرته عليه الصلاة	والسلام في نكاحه ١٦٨
النوع الرابع: في نومه ﷺ ١٦٩
المقصد الرابع: في معجزاته عليه	الصلاة والسلام الدالة على ثبوت
نبوته وصدق رسالته وما خص به	من خصائص آياته وبدائع كراماته
وفيه فصلان ١٧٠	
الفصل الأول: في معجزاته ﷺ ١٧٠
الفصل الثاني: فيما خصه الله تعالى	به ﷺ من المعجزات وشرفه به
على سائر الأنبياء من الكرامات	والآيات اليبينات ١٩٢
المقصد الخامس: في تخصيصه عليه	الصلاة والسلام بخصائص المعراج
والإسراء وتعميمه بعموم لطائف	التكريم في حضرة التقريب
بالمكالمة والمشاهدة الكبرى ٢١٥
المقصد السادس ٢٢٩
النوع الأول: في آيات تتضمن عظم	قدره ورفعته ذكره وجليل مرتبته
وعلو درجته على الأنبياء وتشريف	منزلته ﷺ ٢٢٩
النوع الثاني: في أخذ الميثاق له ﷺ	على النبيين ليؤمننّ به إن أدركوه
ولينصرنه ٢٣٤
النوع الثالث: في وصفه تعالى عليه	الصلاة والسلام بالشهادة وشهادته
له بالرسالة ٢٣٥
النوع الرابع ٢٤١
النوع الخامس: في آيات تتضمن	إقسامه تعالى على تحقيق رسالته
وثبوت ما أوحى إليه من آياته	وعلو رتبته الرفيعة ومكانته وفيه
خمسة فصول ٢٤٧
الفصل الأول: في قسمه تعالى على	

٢٧٤	والتسليم عليه ﷺ	٢٤٧	ما خصّه به من الخلق العظيم
٢٨٢	أجمعين	٢٥١	والفضل العميم
٢٨٩	وإنائه بالأنباء المغيبات	٢٥٣	والفضل العميم
٣٠٠	الطبيعية	٢٥٤	والفضل العميم
٣٠٤	المرکبة من الإلهية الطبيعية	٢٥٦	والفضل العميم
٣٠٦	الفصل الثاني: في تعيينه ﷺ الرؤيا	٢٥٨	والفضل العميم
٣١٠	المغيبات	٢٦٠	والفضل العميم
٣١٣	مماثله	٢٦٦	والفضل العميم
٣١٩	لطاقف عباداته ﷺ	٢٦٦	والفضل العميم
٣١٩	فصول	٢٦٦	والفضل العميم
٣١٩	وإنبائه بالأنباء	٢٦٦	والفضل العميم
٣٢٠	مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثاً ثلاثاً	٢٦٦	والفضل العميم
٢٤٧	والتسليم عليه ﷺ	٢٤٧	والفضل العميم
٢٤٨	المقصد الثامن: في طبه ﷺ لذوي الأمراض والعاهات وتعبيره الرؤيا	٢٤٨	والفضل العميم
٢٤٨	نطقه	٢٤٨	والفضل العميم
٢٥١	تحقيق رسالته ﷺ	٢٤٨	والفضل العميم
٢٥١	بحياته ﷺ وعصره وبلده	٢٤٨	والفضل العميم
٢٥١	النوع السادس: في وصفه تعالى له	٢٤٨	والفضل العميم
٢٥٣	والسراج المنير	٢٤٨	والفضل العميم
٢٥٤	طاعته واتباع سنته ﷺ	٢٤٨	والفضل العميم
٢٥٦	معها	٢٤٨	والفضل العميم
٢٥٨	عدوه ﷺ ترفيعاً لشأنه	٢٤٨	والفضل العميم
٢٦٠	النوع التاسع: في آيات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة على	٢٤٨	والفضل العميم
٢٦٦	فصول	٢٤٨	والفضل العميم
٢٦٦	وإنبائه بالأنباء	٢٤٨	والفضل العميم
٢٦٦	مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثاً ثلاثاً	٢٤٨	والفضل العميم

٣٢٩ ...	الفرع الثامن: في ذكر ركوعه ﷺ	٣٢٠	الفصل الثالث: في صفة وضوئه ﷺ
	الفرع التاسع: في ذكر مقدار ركوعه ﷺ	٣٢١	الفصل الرابع: في مسحه ﷺ على الخفين
٣٢٩	الفرع العاشر: فيما كان ﷺ يقول في الركوع والرفع منه	٣٢٢	الفصل الخامس: في تيممه ﷺ
٣٢٩	الفرع الحادي عشر: في ذكر صفة سجوده ﷺ وما يقول فيه	٣٢٢	الفصل السادس: في غسله ﷺ
٣٣٠	الفرع الثاني عشر: في ذكر جلوسه ﷺ للتشهد	٣٢٣	النوع الثاني: في ذكر صلاته ﷺ وفيه خمسة أقسام
٣٣١	الفرع الثالث عشر: في ذكر تشهده ﷺ	٣٢٣	القسم الأول: في الفرائض وما يتعلق بها وفيه خمسة أبواب
٣٣١	الفرع الرابع عشر: في ذكر تسليمه ﷺ من الصلاة ويتبع ذلك جملة أحاديث تتعلق بحال صلاته ﷺ	٣٢٣	الباب الأول: في الصلوات الخمس وفيه خمسة فصول
٣٣٢	الفرع الخامس عشر: في ذكر قنوته ﷺ أي دعائه في الصلاة	٣٢٣	الفصل الأول: في فروضها
٣٣٣	الفصل الرابع: في سجوده ﷺ للسهو في الصلاة	٣٢٣	الفصل الثاني: في الأوقات التي صلى فيها الصلوات الخمس
٣٣٣	الفصل الخامس: فيما كان ﷺ يقول بعد انصرافه من الصلاة وجلوسه بعدها وسرعة انقائه بعدها	٣٢٤	الفصل الثالث: في كيفية صلاته ﷺ وفيه خمسة عشر فرعاً
٣٣٤	الباب الثاني: في ذكر صلاته ﷺ الجمعة	٣٢٥	الفرع الأول: في صفة افتتاحه ﷺ
٣٣٥	الباب الثالث: في تهجده ﷺ	٣٢٥	الفرع الثاني: في ذكر قراءته ﷺ
٣٣٨	الباب الرابع: في صلاته ﷺ الوتر	٣٢٦	البسملة في أول الفاتحة
٣٤٣	الباب الخامس: في ذكر صلاته ﷺ الضحى	٣٢٦	الفرع الثالث: في ذكر قراءته ﷺ
٣٤٤	القسم الثاني: في صلاته ﷺ النوافل وأحكامها وفيه بابان	٣٢٦	الفاتحة وقوله آمين بعدها
٣٤٤	الباب الأول: في النوافل المقرونة	٣٢٦	الفرع الرابع: في ذكر قراءته ﷺ بعد الفاتحة في صلاة الصبح
		٣٢٦	الفرع الخامس: في ذكر قراءته ﷺ في صلاتي الظهر والعصر
		٣٢٧	الفرع السادس: في ذكر قراءته ﷺ في صلاة المغرب
		٣٢٧	الفرع السابع: في ذكر ما كان ﷺ يقرؤه في صلاة العشاء ويتبع ذلك جملة أحاديث تتعلق بقراءته في الصلاة مطلقاً
		٣٢٨	

٣٥٥ السفر وفيه أربعة فصول	٣٤٤ بالأوقات وفيه فصلان
الفصل الأول: في قصره ﷺ الصلاة	الفصل الأول: في رواتب الصلوات
٣٥٥ فيه وفيه فرعان	الخمسة والجمعة وفيه سبعة فروع
الفرع الأول: في كم كان عليه الصلاة	الفرع الأول: في أحاديث جامعة
٣٥٥ والسلام يقصر الصلاة	لرواتب مشتركة
الفرع الثاني: في القصر مع الإقامة .. ٣٥٥	الفرع الثاني: في ركعتي الفجر
الفصل الثاني: في الجمع وفيه فرعان ٣٥٥	الفرع الثالث: في راتبة الظهر
الفرع الأول: في جمعه ﷺ بين	الفرع الرابع: في سنة العصر
الظهرين وبين العشاءين ٣٥٥	الفرع الخامس: في راتبة المغرب
الفرع الثاني: في جمعه ﷺ بجمع أي	الفرع السادس: في راتبة العشاء
بمزدلفة ٣٥٦	الفرع السابع: في راتبة الجمعة
الفصل الثالث: في صلاته ﷺ	الفصل الثاني: في صلاته ﷺ
النوافل في السفر ٣٥٦	العیدین وفيه سبعة فروع
الفصل الرابع: في صلاته ﷺ التطوع	الفرع الأول: في عدد الركعات
في السفر على الدابة ٣٥٦	الفرع الثاني: في عدد التكبير
القسم الرابع: في ذكر صلاته ﷺ	الفرع الثالث: في الوقت والمكان
صلاة الخوف ٣٥٧	الفرع الرابع: في الأذان والإقامة
القسم الخامس: في ذكر صلاته ﷺ	الفرع الخامس: في القراءة
على الجنابة وفيه أربعة فروع ٣٥٧	الفرع السادس: في الخطبة
الفرع الأول: في عدد التكبيرات ٣٥٧	الفرع السابع: في أكله ﷺ يوم الفطر
الفرع الثاني: في القراءة والدعاء ٣٥٧	قبل خروجه إلى الصلاة
الفرع الثالث: في صلاته ﷺ على	الباب الثاني: في النوافل المقرونة
القبر ٣٥٨	بالأسباب وفيه أربعة فصول
الفرع الرابع: في صلاته ﷺ على	الفصل الأول: في صلاته ﷺ
الغائب ٣٥٨	الكسوف
النوع الثالث: في ذكر سيرته ﷺ في	الفصل الثاني: في صلاته ﷺ صلاة
الزكاة ٣٥٨	الاستسقاء
النوع الرابع: في ذكر صيامه ﷺ	الفصل الثالث: فيه دعاء للاستسقاء .. ٣٥٤
والكلام فيه على قسمين ٣٥٩	الفصل الرابع: في الاستسقاء بقبر
القسم الأول: في صيامه ﷺ شهر	النبي ﷺ
رمضان وفيه عشرة فصول ٣٥٩	القسم الثالث: في صلاته ﷺ في

ذي الحجة والمراد بها الأيام	الفصل الأول: فيما كان يخص به
التسعة من أول ذي الحجة ٣٦٤	رمضان من العبادات وتضاعف
الفصل الخامس: في صومه ﷺ أيام	جوده ﷺ فيه ٣٥٩
الأسبوع ٣٦٥	الفصل الثاني: في صيامه ﷺ بروية
الفصل السادس: في صومه ﷺ الأيام	الهلال ٣٦٠
اليض ٣٦٥	الفصل الثالث: في صومه ﷺ بشهادة
النوع الخامس: في ذكر اعتكافه ﷺ	العدل الواحد ٣٦٠
واجتهاده في العشر الأخير من	الفصل الرابع: فيما كان يفعله ﷺ
رمضان وتحريه ليلة القدر ٣٦٦	وهو صائم ٣٦٠
النوع السادس: في ذكر حجه	الفصل الخامس: في وقت إفطاره
وعمره ﷺ ٣٦٦	عليه الصلاة والسلام ٣٦١
النوع السابع: في ذكر نبذة من أديته	الفصل السادس: فيما كان ﷺ يفطر
واستجابة دعائه واستغفاره	عليه ٣٦١
وقراءته ﷺ ٣٧٤	الفصل السابع: فيما كان يقوله ﷺ
المقصد العاشر: ٣٨١	عند الإفطار ٣٦١
الفصل الأول ٣٨١	الفصل الثامن: في وصاله ﷺ للصيام
الفصل الثاني: في زيارة قبره الشريف	الفصل التاسع: في سحوره ﷺ ٣٦٢
ومسجده المنيف ﷺ ٣٩٤	الفصل العاشر: في إفطاره ﷺ في
الفصل الثالث: في تفضيله في الآخرة	السفر وصومه ٣٦٣
بفضائل الأوليات وانفراده	القسم الثاني: في صومه ﷺ غير
بالشفاعة والمقام المحمود بين	شهر رمضان وفيه ستة فصول ٣٦٣
جميع المخلوقات وترقيه في	الفصل الأول: في سرده أيامًا من
الجنان أعلى الدرجات وغير ذلك	الشهر وفطره أيامًا ٣٦٣
من تكريم الله له ﷺ هنالك	الفصل الثاني: في صومه ﷺ
بشرائف الكرامات ٤٠٤	عاشوراء ٣٦٣
الخاتمة ٤١٦	الفصل الثالث: في صيامه ﷺ شعبان
	الفصل الرابع: في صومه ﷺ عشر

